THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190322

UNIVERSAL
LIBRARY

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

ديوان مهيار الديلمي

الجزء الأول

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م

فهـــرس

قوافى الجزء الأوّل من ديوان مهيار

صحيفة

قافيـــة الألف الممدودة والمقصورة ١

« البـاء ٨

« التـاء ١٥٣

« الجـيم ١٨٠

« الحـاء ١٨٣

« الدال ٢٢٦

« الراء ٣٤٥

(ملحوظة) ليس للشاعر قوافٍ من حروف الفاء والخاء والذال .

ترجمة مهيار

عن كتابَيْ

"وفَيات الأعيان" و"المنتظم، فى تواريخ الملوك والأمم"

جاء فى "وفيات الأعيان" لابن خلّكان ما نصّه :

هو "أبو الحُسَين"(١) مِهْيارُ بن مَرْزَوَيْه الكاتب الفارسىّ الديلمىّ الشاعر المشهور، كان مجوسيًّا فأسلم، ويقال : إنّ إسلامَه كان على يد الشريف الرضىّ أبى الحسن محمّد الموسوىّ وهو شيخه وعليه تخرَّجَ فى نظم الشعر، وقد وازن مهيارُ كثيرا من قصائده، وكان شاعرا جزلَ القول مقدّما على أهل وقته وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ، وهو رقيقُ الحاشية طويلُ النَّفَس فى قصائده، وقد ذَكَره "أبو الحسَن الباخَرْزِىّ"(٢) فى كتابه المسمَّى "دُمية القَصْر" فقال فى حقّه :

"هو شاعر، له فى مَناسك الفضل مَشاعر، وكاتب، تحت كلّ كلمةٍ من كلماته كاعب، وما فى قصائده بيت، يُتَحَكَّم عليه بلوٍ وليت، وهى مصبوبةٌ فى قوالب القلوب، وبمثلها يعتذر الدهرُ المذنبُ عن الذنوب"

---

(١) نبّه القارئ الى أن كنية مهيار فى كتاب وفيات الأعيان "أبو الحسين" وفى كتاب "المنتظم" "أبو الحسن" وبهذه الرواية الأخيرة وردت كنيته مرّاتٍ عديدة فى ديوانه، وهو النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة — والتى نقل منها هذا الجزء — تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) فليتنبّه القارئ الى ذلك إذ ليس من حقّنا الفصل أو الترجيح فى هذا الخلاف الخاص بأسم أبيه. (٢) هو أبو الحسن على بن الحسن الباخرزىّ الشاعر المشهور، صَنَّف كتابَ "دمية القصر، وعصرة أهل العصر" وهو ذيل "يتيمة الدهر" للثعالبىّ، وقد قُتِل "بباخَرْز" فى ذى القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة؛ و"باخَرْز" هذه ناحيةٌ من نواحى "نيسابور" تشتمل على قرًى ومزارع.

وذكره " أبو الحسن علىّ بن بَسَّام " فى كتابه المسمَّى " الذخيره ، فى محاسن أهل الجزيره" وبالغ فى الثناء عليه، وذَكَرَ شيئا من شعره

وتُوفِّىَ مِهيارُ ليلة الأحد لخمس خلون من جُمادَى الآخرة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة هجريّة . انتهى

* * *

وجاء فى " المنتظم ، فى تواريخ الملوك والأمم[1] " للإمام أبى الفَرج الجَوْزىّ ما نصّه :

مِهْيار بن مَرْزَوَيْه أبو الحسَن الكاتب الفارسىّ

" كان مجوسيًّا فأسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة وصار رافضيًّا غاليًا ، وفى شعره لطفٌ ، إلا أنه يذْكُر الصحابةَ بما لا يصلح

قال له " أبو القاسم بن برهان" : يا مهيار، انتقلتَ بإسلامك فى النار من زاوية الى زاوية، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنك كنتَ مجوسيًّا فأسلمتَ فصرتَ تسبُّ الصحابة .

وكانت امرأةٌ تخدمُه ، فكنَست العرصةَ، فوجدتْ خيطا فجزَّتْه فاذا هو خيطُ هِمْيان[2] فيه مالٌ، وكان قد ترك الدارَ قومٌ من الخراسانية الحاجّ، فأخبرتْهُ فلم يتغيّر، وقال لها : قد تعبتُ حتى خبأتُه فلماذا نبشتيه ؟ وكان فيه ألفا دينار، وسُعِىَ به الى "جلال الدولة"[3] فقبض عليه ثم أطلقه ، وتوفّى فى جمادى الآخرة من هذه السنة . انتهى

---

(١) نسخة فوتوغرافيّة محفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ١٢٩٦ (تاريخ) ومانقلناه منها عن مهيار فى الجزء السابع من هذه النسخة : فيمن توفّوا سنة ٤٢٨ هجريّة . (٢) الهميان : الكيس .

(٣) جلال الدولة : أحد الملوك من " بنى بُوَيه " الذين آختصّهم ووزراءهم مهيارُ بطائفة كبيرة من مدائحه فى هذا الجزء والجزءين التالين ونخصّ بالذكر من أولئك الوزراء " أبا سعد بن عبد الرحيم " الملقّب " بعميد الدولة " ، لكثرة ما آمتدحه به مهيار من القصائد .

كيف صُحِّحَ هذا الجزء

نُقِلَ هذا الجزءُ من النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) وخطها من خطوط أوائل القرن السابع .

وقد عانينا كثيرا من المشاقّ فى قراءة هذه النسخة وٱستجلاء غامضها وٱستكناه عويصها ، حتى ٱضطُررنا الى تصحيف كثيرٍ من الألفاظ التى ذهب إعجامها أو وُضِعَ خطأً فى غير محلّه . وبعض هـذه الألفاظ قد يحتمل تصحيفا آخر ولكنا راعينا فيما رجّحناه موقع الكلمة من ٱنسجامها مع أخواتها حتى يأخذ بعضها برقاب بعض ، كقوله :

وأنعمُ " تأتيـــه " مع الربيع جُـــدُدُ

المقصود فى هذا البيت كلمة "تأتيه" وهى فضلا عن بعدها عما يقتضيه السياق وعن عدم ٱتزان البيت بها فإنها توجب أن تكون القافية منصوبةً ، فصحّفناها الى " نابتة " والى " ثابتة " ورجّحنا الأولى لٱلتئامها مع قوله " الربيع " وقوله "جُدُد" وهى لا تخفى على أهل الذوق . ومن الواضح أن الشعر ذو وجوه ومناحٍ وكثيرا ما يُختلف على البيت الواحد وكلّ ٱختلاف له وجهٌ من الظن وناحيةٌ من الرأى . والواقع ، أنه لو أُطلق لنا العنان لنجرى وراء الأهواء سامعين لكلّ مُدْلٍ برأيه فيما صحفناه أو حورناه أو رجحناه لوقفنا فى وسط المضمار ولأعيانا الشوط وضاقت صحف هـذا الجزء عن ٱستيعاب الألفاظ التى توافق كل هوى .

وٱضطُررنا أيضا الى تحوير كثيرٍ من الكلمات التى لا تتفق ومعنى البيت ، والى زيادة طائفةٍ أخرى من الكلمات التى نقصتها الأبياتُ لتحل محـل المفقود وراعينا فى ذلك ما يرمى اليه الشاعر غير جازمين بأنها هى بعينها إذ قد تختلف هذه الكلمات

أمثلة

من كلماتٍ صُحِّفتْ خطأً أو ذَهبَ إعجامُها

صحيفة سطر

الأصل : علىَّ ضوافٍ من سوالفِ طَولِهِ يجرِّرُ أذيالَ السحابِ "نَحوبُها"

٤٧ ٥ صوابه : علىَّ ضوافٍ من سوالفِ طَولِهِ يجرِّرُ أذيالَ السحابِ "سَحوبُها"

الأصل : وفى التُّرب مما آستصحب الطيفُ نعمةٌ يراوح قلبى "بِشرُها" المتغرِّبُ

٥١ ١٦ صوابه : وفى التُّرب مما آستصحب الطيفُ نعمةٌ يراوح قلبى "نَشرُها" المتغرِّبُ

الأصل : لئن دَرَست منها "الحظوظُ" فإنّه لَيبقَ طويلا عَرفُها فى المساحبِ

٥٦ ٦ صوابه : لئن دَرَست منها "الخطوطُ" فإنّه لَيبقَ طويلا عَرفُها فى المساحبِ

الأصل : فألسنهم غيظا "بوارد طمه" وأكبادهم خلف الضلوع حِرارُ

٣٨٦ ٤ صوابه : فألسنهم غيظا "بوارد رطبة" وأكبادهم خلف الضلوع حِرارُ

الأصل : فى ليلةٍ ... "سب" غيرَ حديثِها شُمَّارُها

٣٩٩ ١٣ صوابه : فى ليلةٍ [لم] "يَنْثُ" غيرَ حديثِها شُمَّارُها

الأصل : ولقد ظننتِ بها وراء لثامها خيرافكشَّفَ "فتحها" "الأشفارُ"

٤٢٤ ١٥ صوابه : ولقد ظننت بها وراء لثامها خيرافكشَّفَ "قُبحَها" "الإسفارُ"

أمثلة

من كلماتٍ محرَّفة

الأصل : على "شرطٍ" عِزٌّ لا تحولُ رسومُهُ وسرح نعيمٍ لا تُراعُ سُروبُهُ

١٣٦ ٩ صوابه : على "صَرحٍ" عِزٌّ لا تحولُ رسومُهُ وسرح نعيمٍ لا تُراعُ سُروبُهُ

صحيفة سطر

الأصل : ومثلك أسرَى لا يُسامُ فـداؤها هوانا "وقلبي" لا تُساقُ دياتُها
١٧٠ ١٠ صوابه : ومثلك أسرَى لا يُسامُ فـداؤها هوانا "وقتلَى" لا تُساقُ دياتُها

الأصل : وفيحاءَ من "دُونِهـم" زرتُها وأخلقْ بها جنّـةً أن تُزارا
٣٥١ ٦ صوابه : وفيحاءَ من "دُورِهم" زرتُها وأخلقْ بها جنّـةً أن تُزارا

الأصل : ولم أدر والشـك "يلقى" اليقين الى أيّ شـقَّيْ طريق أصـيرُ
٣٩٣ ١٥ صوابه : ولم أدر والشـك "ينفى" اليقين الى أيّ شـقَّيْ طريق أصـيرُ

الأصل : يملأون الحُبَا جلوسا فإن ثا روا ملأتَ "الفضَل" بيضًا وشُمرا
٤٠٩ ١٢ صوابه : يملأون الحُبَا جلوسا فإن ثا روا ملأتَ "الفضاءَ" بيضًا وشُمرا

امثـــلة

من أبياتٍ سقطَ بعضُ ألفاظها

الأصل : حرامٌ وإن أمحضتَ ... ... مطعمٍ علىّ ، اذا أذاه أخبثُ مكسبِ
١٦ ١١ صوابه : حرامٌ وإن أمحضتَ [أطيبُ] مطعمٍ علىّ ، اذا أذاه أخبثُ مكسبِ

الأصل : بك آنتصر المـلوك ... ... فيما دعَوك لنصـره نِعم النصـيرُ
٣٥٩ ٥ صوابه : بك آنتصر المـلوك [وأنت] فيما دعَوك لنصـره نِعم النصـيرُ

الأصل : وأشارك النُّـوَّاحَ فيـك بأنني ... ... فالتأبين نوح الشاعرِ
٣٤٧ ١٢ صوابه : وأشارك النُّـوَّاحَ فيـك بأنني [أرثيك] فالتأبين نوح الشاعرِ

صحيفة سطر

الأصل : عِريت من ظبائها الأنس ... ... وآعتاضت الظبـاءَ العُفْرا

٤٠٧ ٤ صوابه : عِريت من ظبائها [الآنساتِ الـ ـبيض] وآعتاضت الظبـاءَ العُفْرا

الأصل : طاعنا فى السنين تطوى عليه نَّ ... ... السنين عصرا فعصرا

٤١١ ١٢ صوابه : طاعنا فى السنين تطوى عليه نَّ [طوالَ] السنين عصرا فعصرا

وما الى ذلك كثيرٌ غير الذى تجاوزنا عن ذكره لكثرته بالأصل ممّـا يحتاج الى مجلّدٍ على حدته وسيلمُّ القارئُ ببعض ما نوهنا عنه فى أماكنه من هذا الجزء ٨

"أحمد نسيم"

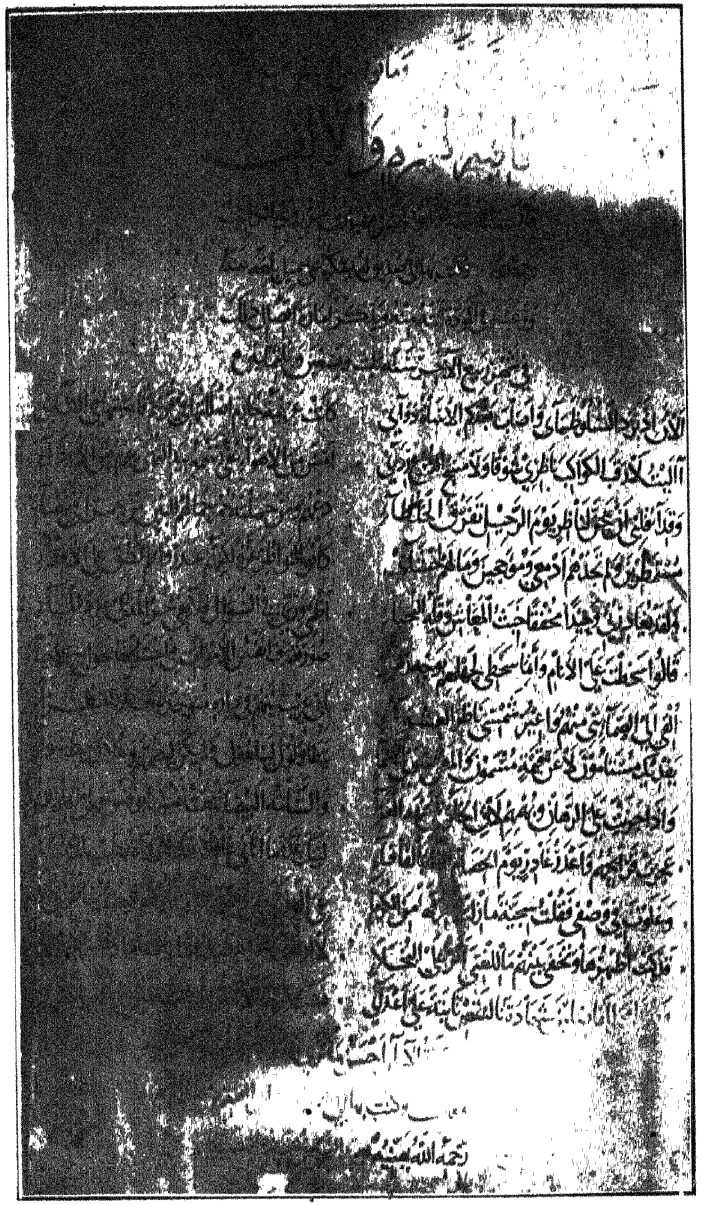

نموذج من صحف الأصل الفوتوغرافي [صفحة (١) يقابلها صفحة (١ — ٣) من هذه الطبعة]

[illegible] مما جا [illegible] الماذها
[illegible] عزيها [illegible] اعيارها
[illegible] السمران انفدا [illegible] منارها
[illegible] العيون [illegible] ابصارها
[illegible] من لذ زاحت على اعشارها
[illegible] الاماني دون ما [illegible] احارها
[illegible] عليه [illegible] اهارها
[illegible] تحرها فوكاوها ونارها
[illegible] لذة نفسي وسنى عارها
[illegible] الى [illegible] عوارها
[illegible] زماعي [illegible] انصارها
[illegible] تقر بها اللدن [illegible] نارها
ومغامرون اذا الكماة تواكلت اعمارها
جال [illegible] منهم وتحارها
[illegible] مجدهم سلس القناة عمارها
ولو العزيمة ان حكى صغر النفوس قرارها
[illegible] على اقرانه افرارها
لا تعجبن فانه امضى النصول طرارها
عرف الرياسة معصما [illegible] سوارها
كرمت [illegible] اقمارها
فادخرها [illegible] ما اصلدت ابشارها
كم من يد لك كالغمام وكالسحاب غزارها
تضعوا اعلى [illegible] نصمي ازرارها

[illegible] تحجز [illegible] الها وعز ارها
نطر الربيع [illegible] لعوله [illegible] ها
ولوانها بضلوعي العوجاء [illegible] كي نارها
وتقوى بيدي [illegible] مغارني اعدارها
وقصبة في الحلم لم تملا على جبارها
بانت وذكري طيبا دون الفراش شعارها
غالى بها الساعون وانتعل البدو بحارها
ما كنت كف [illegible] دارها
ما للرجال نروم اشواطي الطوال قصارها
وحمى [illegible] سبل الرحيم [illegible] وجوارها
الهضبة الملساء تمنع ان يداس جارها
لولا نفي سوالها لا ستهونت اعمارها
عرب الاكف [illegible] منهم من فارس احرازها
طاروا بحدهم وقصر بالنجوم مطارها
لا تنتسباح صلوته وابو المعالي جارها
جمال ابوه السيادة [illegible] صبارها
عجبوا وقد لفتا الجياد الى المدى مضمارها
ليلى الكواكب في المنازل والعيون صغارها
في خير اهل زمانها [illegible] وانت خيارها
بكم [illegible] جودا ونحارها
وحلا بنو ملك الهوى [illegible] سحارها
تروي [illegible] من زمان ثارها
ولطيفة بانت [illegible] خفي الذي اثارها

[illegible] لا بعض [illegible] زارها
[illegible] الكران ما [illegible] ما اختارها
ان [illegible] الخطوب [illegible] اسمارها
فلرب نظرة عشق [illegible] ونضارها
وسفيلة الابنان [illegible] حلوه اسارها
وسلافة [illegible] الغزال [illegible] كافارها
[illegible] باسم المسيح عبارها
لما حلت [illegible] على اوزارها
اخفيت [illegible] جادها [illegible] لوى اعصارها
فاذا ذراهم [illegible] حوله وبحارها
والدوحة الغيناء تخلو [illegible] عارها
حلما والكلم الفوادح مغضب عوارها
سالت انامله وسالت انفس وبحارها
ركب الصعاب من [illegible] معوارها
يقظان [illegible] اذا ذكر العيوب حذارها
سبق الكهول [illegible] ما استنزعت اشبارها
ان الفوارج اخرت وتقدمت امهارها
هي دوحة المجد التي لا تخلف استثمارها
ان السماء اذا سرت معدودة انوارها
وسيت عنطا [illegible] والغداة نفارها
شقت قلوب الحاسدين وما [illegible] غبارها
وحصينة من حسن [illegible] لا ينقض سدارها
اغنت اصابتها وان لم يغني اكثارها

نموذج آخر من الأصل الفتوغرافي [صفحة (١٦٢) يقابلها صفحة (٤٠٠ — ٤٠١) من هذه الطبعة]

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

قافيـــة الهمزة والألف

(١)

قال الأستاذ أبو الحسن مِهْيار بن مَرْزَوَيْه الكاتب رحمه الله تعالى وكتب بها الى صديقٍ له يشكره على جميلٍ بَلَغه عنه، ورغبةٍ فى المودة أثبته منه، ويذكر أَمَارة اتصال ذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة

الآن إذ بَرَدَ(١) السلوُّ ظَماىَ(٢) ... وأصاب بَعدكم الأُساةُ(٣) دوائى
كانت عزيمة حازمٍ أضللتُها ... فى قربكم فأصبتُها فى النائى
آليتُ لا رَقَبَ الكواكبَ ناظرى ... شوقا ولا مَسَحَ الدموعَ ردائى
أمسٌ من الأهواء عَفَّى رسمَه ... بيد النُّهى يومٌ من الآراءِ
وقَذاءُ قلبى، أن يَحِنَّ لناظرٍ ... — يومَ الرحيل — تفرّقَ الخُلَطاءِ
دعهم ومَنْ حَمَلَتْه حُمْرُ جِمالهم ... للبين من حمراءَ فى بيضاءِ
مستمطرين ولم تَجُدهم أدمعى ... ومؤجّجين وما لهم أحشائى

---

(١) يقال: بَرَدَه و بَرَّده: جعله باردا. (٢) الظَّماء: أشدّ العطش. (٣) الأُساة جمع آسٍ وهو الطبيب.

ملاحظة: الأرقام المكتوبة فى مثل هذه العلبة (١) على الهوامش الخارجيّة تدلّ على رقم الصفحة فى النسخة الأصليّة المنقولة بالتصوير الشمسىّ.

كانوا النواظـرَ عِزّةً لكنهم ... غَـدروا فـلم تُطبِق على الأقذاءِ (١)

ولقـد يغـادرنى وحيـدا مخفقا ... خَبَثُ المعـاش وقِـلّةُ النجباءِ

أظمَى ورِيِّى فى السؤال فلا يفى ... حَرُّ المـذلّة لى بـبَرْد المـاءِ

قالوا سخِطتَ على الأنام وإنما ... سخطى لجهلهمُ بوجه رضـائى

صُوَرٌ تَصَرَّفُ أنفسُ الأمواتِ فى ... أجسامها بجـوارح الأحيـاءِ

أُلـقِى الى الصَّـمّاء بَثّى منهُـمُ ... وأُعـير شمسىَ ناظـرَ العَشْـواءِ (٢)

بأبى غريبٌ بينهـم فى داره ... متوحِّـدٌ بتعـدّد النُّظَـراءِ

يَفـديك مستامون لا عن قيـمةٍ (٣) ... مُسْمَوْن والمعنَى سوى الأسمـاءِ

يتطاولون ليبلُغوك ولم يكن ... ليضمَّهـم وعلاك خـطٌّ سـواءِ

واذا جريتَ على الرِّهان وبُهْمَهـم ... لاقَ (٤) الخَـلوقُ (٥) بجبهـة الغـرّاءِ

والشامةُ البيضـاءُ تَنعَت نفْسَهـا ... بوضوحها فى الجلدة السـوداءِ

عَجَـزتْ قرائحُهـم، وأغدرُ غادرٍ ... — يومَ الخصام (٦) — الفاءُ بالفأفـاءِ (٧)

لبّيـك عِـدّةَ ما أتانى غافـلا ... عنـك الرواةُ بطيّب الأنبـاءِ

وغلوتَ فى وصفى، فقلتُ سجيّةٌ ... ما زلتُ أعرفها من الكرماءِ

عمِىَ الورى عن وجهها فرأيتُـه ... — وهو البعيد — بناظرىْ زرقاءِ (٧)

قد كنتُ أُظهرها وتَخـفَى بينهـم ... ما للغِـنى أثَرٌ عـلى البخـلاءِ

لا ارتعتُ إذ أُعطيتُ منك مودّةً ... ماذا أسرّ الناسُ من بَغضائى

---

(١) الأقذاء: جمع القذى وهو ما يقع فى العين وما ترمى به من غَمَص ورَمَص. (٢) العشواء: الناقة لا تبصر أمامها. (٣) يقال: آستام السلعة وعليها: غالى، فقوله: مستامون أى مغالون.
(٤) لاق: عَلَق. (٥) الخَلوقُ: ضرب من الطِّيب. (٦) الخصام: الجَـدَلُ.
(٧) الفأفاء: الذى يردد الفاء فى كلامه. (٨) زرقاء: يريد زرقاء اليمامة وهى آمرأة من جَديس كانت تبصر مسيرة ثلاثة أيام.

وصداقتي للفاضلين شهادةٌ بالنقص ثابتةٌ على أعدائي
نسبٌ، مُزِجنا، لا تميّز بيننا فيه، امتزاجَ الماءِ بالصهباءِ
ومودّة الأبناء أحسنُ ما تُرَى موروثةً عن نِسبة الآباءِ

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبي القاسم بن عبد الرحيم رحمه الله، يهنئه بعيد النحر من هذه السنة

يا عينِ لو أغضيتِ يومَ النوى ما كان يوما حَسَناً أن يُرَى
كلّفتِ أجفانَكِ ما لو جرى برمل يَبْرِينَ(١) شكا أو جرى
جنايةً عرّضتِ قلبي لها فاحتملي، أَولَى بها مَنْ جنى
سَلْ ظبياتٍ بالحِمى رُتَّعاً خُضِّرَ منهنّ بياضُ الحِمى
نَشَدتكنّ اللهَ، ما حيلةٌ صاد بها الأُسْدَ عيونُ المها؟(٢)
إن تك سِحْراً أو لها فعلُه فالسحر يشفي منه طِبُّ الرُّقى(٣)
فيكنّ مَن حشوُ جلابيبه أهيفُ راوي الرِّدف ظامي الحشا
قلبي له مَرْعًى وصدري كَلًا(٤) ليت كلًا ظبيُ الحِمى ما رعى
يا بأبي غضبانَ لو أنه يرضى بغير القتل نال الرضا
أَغَصُّ بالماء حفاظاً لما فارقتُه في فمه من لَعَى(٥)
ما لدماء الحبِّ مطلولةً أهكذا فيهنّ دِين الدُّمى؟(٦)

---

(١) يبرين : بلدة من أصقاع البحرين و بها الرمل الموصوف بالكثرة . (٢) المَها جمع مهاة وهي البقرة الوحشيّة . (٣) الرقى جمع رقية وهي العُوذة يتعوّذ بها الإنسان من السحر . (٤) الكلا : رطب العشب و يابسه ، وحذفت الهمزة للضرورة . (٥) اللعى مثلثة اللام : سمرة في الشفة . (٦) الدمى جمع دُمْية وهي الصورة المنقّشة من الرخام .

إن كانت الأعراضُ مَجزيّةً فعاقَبَ اللهُ الهـوى بالهـوى
لله قلبٌ حَسَنٌ صـبرُه ما سُـئل الـذِّلّة إلا أَبَى
وصاحب كالسيف ما صادفت ضَرْبتُـهُ غَرْبَاهُ[1] إلا مضى
يركب فى الحاجات أخطارَهـا إمّا خَسًا[2] فيهـا وإما زَكَا[3]
يَقِيـل إن هَجَّـر فى ظـلّه ويحسب الليلَ البهيمَ الضُّحى
كأنه فى الخطب بالحـظّ أو بدرِ بنى عبد الرحيم اهتـدى
فداء من يُحْسِن أن يوسع الـ ـإحسانَ قومٌ خُلِقوا للفِـدى
جاد على الأملاك واستظهروا بالمنـع بُخْـلا فى زمان الغنى
تبعث أحشاؤهـم غيظَـه الى حلوقٍ حسبتْه الشَّـجَا[4]
أراهُمُ عجـزَهُمُ ناهـضٌ بالثقل ما استُضوِئ إلا وَرَى
من معشرٍ تَضْمـنُ تيجانُهم صُوعَ[5] المعـالى وعِيابَ[6] النُّهى
تُرفَع منهم عن جبـاهٍ بهـا أبّهـةُ الملْكِ عفـا أو سـطا
للعـزِّ حَشْـدٌ دون أبوابهـم يُشعِرك الخـوفَ ولمّا يُرَى
اذا أحبّـوا غايةً حَرَّمـوا دون مداهـا أن تُحَـلَّ الحُبَى[7]
قـل "للحسين بن على" وما نمـاك أصل الخـير حتى نمـا
أدّيت عنهم، فاحتبت[8] روضةٌ تنبت بالنضرة فضـلَ الحيـا
منـاقبٌ يجمعنـا مجـدهـا جمعَ العُرَى فى عُقَدات الرِّشا[9]

(١) كذا بالأصل ولعلها "حِرْبَاء" وهى مسمار الدرع . (٢) الخسا : الفرد . (٣) الزكا : الشفع من العدد . (٤) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . (٥ و ٦) صوع : جمع صاع وهو مكيال يكال به ، وعياب جمع عيبة وهى زبيل من أدم ، وكلاهما من باب الاستعارة . (٧) الحبى : جمع حبوة وهى أن يضمّ الإنسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليه ، وقد تكون باليدين عوض الثوب . (٨) احتبت : اشتملت . (٩) الرشا، بوزن كسا : الحبل وحذفت الهمزة للضرورة .

لذاك ما ظُلِّل لى واسـعٌ أرتعُ منـه آمنًا فى حِمَى
كأننى فى دُوركم منكمُ فى غـير ما يُحْظَـر أو يُحْتَمى
فى نعمةٍ منكم اذا اسْتُكْثِرَتْ منهـا الفُرادَى، أعقبتها الثُّنَى[1]
يحسـدنى النـاسُ عليهـا ولو قطَّعنى حاسدُهـا ما اعتـدى
نشرتُهـا شكرا ولو أننى طويتُهـا نمَّتْ نمـيمَ الصَّـبا
فلتبـقَ لى أنت، فحقًّا اذا وجدت قولى، لا عدمتُ المنَى
فى نعـمةٍ ليست بعـاريَّةٍ[2] تُضْمَن، أو مقروضةٍ تُقْتَضَى
يَعضُد فيهـا العـامُ ما قبـلَهُ ويفضُـل اليـومَ أخوه غدا
فى كلّ يومٍ لك عيـدٌ، فـا يغرب فى عينيـك عيـدٌ أتى
وخذ من الأضحى بسهميك من حظَّيْن فى آخرة أو دُنَى[3]
أجرك مذخورٌ لِمَـاذَاكَ والـ ـنَّيروزُ موفورٌ على حفـظِ ذا
ما طِيفَ بالأستار فى مثـلِهِ ودامتِ المَـروةُ[4] أختَ الصَّفا

* * *

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين ابن الصاحب، ذا السياستين أبا محمد بن مكْرَم رحمهم الله، ويذكّره بقديم ما بينه و بينه من الخلطة، و يهنئه بعيد النحر من هذه السنة

مالكُمُ لا تغضبون للهـوى وتعـرفون الغـدرَ فيـه والوفا؟
إن كنتُمُ من أهـلِه فانتصروا من ظالمى أو فاخرجوا منـه بُرَا[5]
أما تَرَوْن كيف نام وحَمَى عينى الكرى، فلم ينم ظبيُ الحِمى؟

---

(١) الثنى بالكسر والقصر: الأمر يعاد مرتين. (٢) العارية مشـدّدة وقد تخفف: ماتدوول.
(٣) دنى جمع دنيا. (٤) المروة والصـفا: جبلان بين بطحاء مكة والمسجد. (٥) يريد براء: جمع برىء.

وكيف خـلّانى بطيئا قـدَمى ... عنـه ومرّ سابقا مع الونَى؟(١)

غضبانُ يالَهْفِىَ كم أرضيتُـه ... لو كان يَرضَى المتجنِّى بالرِّضا

ما لدليـلٍ نَصَلَتْ(٢) ركابُهُ ... من الدجى، حاملةً شمسَ الضحى

ضلَّ؟ ولو كان له قلبى اهتـدَى ... بنـاره، أو شام(٣) جفنىَ سَـقى

قالوا الغضـا، ثم تنفّستُ لهم، ... فهـم يدوسون الحصا جَمْرَ الغضا

بين الحُـدوج(٤) مُترَفٌ(٥) يُزعِجُـهُ ... لبنُ مِهادٍ ورفيقـاتُ الخُطَـا

عارضنى يُذكِّرُنى الغصنَ به ... وأين منـه ما استقام وانثنى؟

حىٍّ وقَرِّبْ بالكثيب(٦) طـارقا ... من طيف حسناءَ على الخوف سرى

عاتَبَ عنها واصـفًا مـودّةً ... ما أسأرتْ(٧) إلا عُلالاتِ(٨) الكرى

أضمُّ جفـنىَّ عليـه فَـرَقًا(٩) ... من الصباح، وعلى ذاك أنجـلى

كأننى عُجّبًا به وشَـعَفًا ... محبةُ "العمدةِ" فى حُبِّ العـلا

شَمَّرَ للجـدِ، وما تشـمَّرتْ ... له السنونَ، يافعٌ كهلُ الحجا

وقام بالرأى، فكان أوّلُ ... من رأيه وآخرُ الحـزمِ سَـوَا

سما الى الغـاية حتى بَلَغَتْ ... همّتُـهُ به السـماءَ وسما

فابن الملوك بالملوك يَقتـدى ... وابن البحار بالبحار يُبتَـغَى

سكنتموها فاضحين جُودَها ... مُبخِّليها بالسـماح والنَّـدَى

نشـأتم المُلكَ وقـد تهجَّمتْ ... سـائلةٌ بَلَّغَت المـاءَ الزُّبَى(١٠)

(١) الونى : التعب . (٢) نصلت : خرجت . (٣) شام ، يقال شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر . (٤) الحدوج جمع حدج وهو مركب للنساء . (٥) المترف : المتنعم الذى لا يُمنع من تنعّمه . (٦) الكثيب : التلّ من الرمل . (٧) أسأرت : أبقت . (٨) علالات جمع علالة وهى البقية من كل شىء . (٩) فرقا : فزعا . (١٠) الزبى جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها ماء .

وٱعترضت وجهَ الطريق حَيَّـةٌ ... صَمّاءُ ، لا تُصغى لِحـذْعاتِ الرُّقَى

أنكر فيها المَلْكُ مجـرى تاجِهِ ... وقام عن سريره وقـد نبـا

لَفَّتْ على العـراق شطرًا وٱنثنت ... لفـارسٍ ، فـدبَّ سمٌّ وسرى

لم تـدرِ أنَّ "بُعمانَ" حاويًا ... ما خَـرَزاتُ سحـرِهِ إلا الظُّبا

يتركها ، تَفْحَصُ عن نيوبها ، ... دردا(١) تستافُ(٢) الترابَ باللَّهـا(٣)

سَبْقًا أنتـك ، وحَمْتـك حُسَّرا ... عن هـذه الدولة هاذاك العَشَا

مهلا بنى مُكْرَمَ ، من سماحِكم ... قد أثمـر المصفرُّ وٱخضرّ الثرى

إن كنتم الغيثَ تبـارون به ... فحسبكم ، ما يفعـل الغيثُ كذا

يا نجـمُ ، كانت مقلتى تنظـرُهُ ... حتى ٱستنار بدرَ تمٍّ وٱسـترى

صحبتُـهُ ريحـانةً فـلم يزل ... دُعاىَ ، حتى طـال غصنا ونمـا

أُذْكُرْ ـ ذَكرتَ الخيرَ ـ ما لم تنسَهُ ... من صحبتى ، ذِكرَكَ أيامَ الصِّبا

وحُرمـةً شروطُهـا مكتوبةٌ ... على جبين المجـدِ ، راعوا حقَّ ذا

ما نعـمةٌ تَقسـمُها إلا أنا ... بهـا أحقُّ من جميـع مَنْ تَرى

أىُّ جمـالٍ زِنتنى اليـومَ به ... زانك بين الناس من مدحى غدا

لا تعـدَم الأيامُ أو عبيـدُكم ... نعماءَ منكم تُحْتَـذَى وتُجْتَـدَى

ولا تزل أنتَ مدَى الدهرِ لنـا ... كهفا الى أن لا ترى الدهرَ مَدَى

كلُّ صـباحٍ واجهتْـك شمسُـهُ ... عيـدٌ ، وكلُّ ليلةٍ ليـلُ مِنَى

إن نحروا فَرْضًا ، فثم نافـلة(٤) ... فٱنحر عداك حَسَـدًا بلا مُدَى

وٱبقَ على ما قد أحلَّ مُحـرِمٌ ... وما دعا عنـد الطوافِ وسعى

(١) الدرداء : التى ذهبت أسنانها . (٢) تستاف : تشمّ . (٣) اللها جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم . (٤) النافلة : كل ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

وقال فى اللوح

ما مُكْرَمٌ هِينُ الآباء يكرهه أبناءُ قومٍ ويَرضَى عنـــه آباءُ؟
صِينَ لدى الله بآسمٍ واحدٍ وغَدَا مُشَهَّرًا فيه بين النـاس أسماءُ
تَلْقَى به شِقَّةً عيناك، وهو غدًا فيـه شـقاءٌ لأقوامٍ ونَعْـماءُ
اذا وسمتَ علاماتٍ به فبدت تلوح، فهى له سِـتْرٌ وإخفاءُ
فإن كسته ثيـابَ العزِّ ناسجةٌ يدُ صَناعٍ[1]، نَفَتْهـا عنـه حَرقاءُ

وقال فى النيلوفر

ساهرةُ الليلِ نؤومُ الضُّحَى ريَّانةٌ، والأرضُ تشكو الظَّمَا
رائحةٌ فى السِّربِ لم تُقْتَنَصْ ظبـاؤه إلا بأمرِ الدُّجَى
مُلتثِمٌ فوها، وإن لم يكن فى شفتيهـا ما لهـا من لَمَى
حَيَّـةُ ماءٍ، ناقـعٌ سَمُّها وناقـعٌ سمٌّ أفاعى الصَّـفا
تعطيـك منهـا أَلْسُـنًا عِدَّةً مجتمعاتٍ كلُّهـا فى لَهَـا

قافيـــة البـاء

وقال وهى من أول قوله فى غرضٍ له

أيهـا العـاتبُ ما ذا لـك وما أعرِفُ ذنبى؟
أتظُنُّ الدمعَ دَيْنًـا نتقـاضـاه بعَتْـبى؟

(١) صناع : حاذقة .

إن تكن أنكرتَ حِفظى لك وٱرتبتَ بُحبّى
فبعينِ الله، يا ظا لمُ، عينا ى وقلبى

✦
✦ ✦

وقال وكتب بها الى أبى الحسين هليل بن المحسِّن بن إبراهيم الصابئ الكاتب، وقد عتب عليه فى مودة بينهما عتابا فى غير مكانه، ونسبه الى هجرٍ كان أبو الحسين جانيَهُ، وذلك فى ذى القَعدة من هذه السنة (١)

عَذيرِىَ مِنْ باغٍ علىّ أُحبُّهُ ولم أَرَ بغيًا قبلَه جرّه الحبُّ
يعاتبنى فى الهجرِ، والهجرُ دِينُه وقد كان حُلوًا لو حلا ودُّه العَتْبُ
وأسلك طُرقَ الوصلِ وهو محبَّبٌ فإن ضلَّ حقٌّ بيننا فله الذنبُ
بعثتَ نُدوبًا (٢) من تجنّيك يا "أبا الـ حسين" سهامًا لا يقوم لها قلبُ
أذكّرًا بما سرّ الوشاةَ، وتُهمةً لعهدى، وقولًا فىَّ أسهلُهُ صعبُ
وذَمًّا، ولو ما جاء غيرُك خاطبًا جزاءً به منى، لقد سَهُلَ الخطبُ
وكم جُرِّعتْ منى رجالٌ، بحورُها كئوسُ ٱنتقامٍ، مُرّها فى فمى عَذْبُ
بأىّ وفاءٍ خلتنى حُلتُ عن هوًى ومثلى لا يسلو، وفى الأرض مَن يصبو
تصفَّحْ صحابَ الخير والشرّ وٱنتقد بقلبك، تَحُزْنى اذا نُبِّذَ الصَّحْبُ
ولا تُمكّنْ من يقينك رِيبةٌ (٣) فتنبو، فإنّ الصارمَ العضبَ لا ينبو
سلمتُ من الحسّادِ فيك فإنهم اذا مُكِّنوا من نارِ فتنتهم شَبُّوا
ولا أطفأتْ منك الليالى بجَوْرها على العبد، رأيًا كان يقدحُهُ القلبُ

(١) كذا بالأصل وفى آبن خلّكان وشذرات الذهب "هلال".
(٢) ندوب جمع نَدْبة وهى أثر الجرح.
(٣) العضب: القاطع.

* * *

وقال وكتب بها الى أبى القاسم سعد بن أحمد بن الوزير الكافى مع قصيدة أنفذها الى أبيه الوزير الكافى أبى العباس الضبّىّ وأنفذهما معًا فى هذا التاريخ

حَمامَ اللِّوَى رفقًا به، فهو لُبُّهُ ... جوادًا رِهانٍ نوحُكنّ ونَحْبُهُ

قَرَاكُنّ (١) من لا يَقَعُ الطيرَ ماؤه ... ولا يُشبعُ النُّوقَ السواغبَ (٢) عُشْبُهُ

وطِرتنَّ حيث القانصُ امتدّ حَبلُهُ ... وطالت، فلم تعدُ القوادمَ (٣)، قَضْبُهُ (٤)

أعمدًا تُهيِّجن امرأً بانَ (٥) أنسُه ... وأسلَمَهُ حتى أخوه وصَحْبُهُ؟

أمرّ ومُهرى مُغرَمَيْنِ على اللِّوى ... فأسأله أو (٦) كاد ينطق تُربُهُ

من الحىّ تستَقُّ العِرَضْنَةَ (٧) عِيسُهُ (٨) ... إزاءك، حتى امتدّ كالسطر رَكبُهُ

وفى الظُّعْنِ (٩) محسودُ الحواضر مُترَفٌ ... تُلاث (١٠) على خدّ الغزالة نُقبُهُ (١١)

تطولُ على الصَّوّاغ حين يمدّها ... خَلاخيلُهُ المَلْأَى، وتقصُرُ حِقبُهُ (١٢)

جَهِدنا، فلم نُدرِك، على أنّ خيلَنا ... سواءٌ عليها سهلُ سيرٍ وصَعْبُهُ

وقد فَطِنتْ للشوق، فهى تسرّعا ... تكاد تعدّ السير يومَ تغِبُّهُ

أكلَّ ظَمائى، غائضٌ ما يَبُلُّه؟ ... وكلّ سَقامى، مُعوِزٌ مَنْ يَطُبُّهُ؟

تلاعبتَ بى يادهرُ حتى تركتنى ... وسيّانِ عندى جِدّ خطبٍ ولَعْبُهُ

وأبعدتَ مَنْ أهوَى فإن كنتَ مزمعا ... لتسلبنى عنهم "فسعدٌ" وقربُهُ

(١) قراكنّ : ضافكنّ . (٢) السواغب : الجياع . (٣) القوادم : ريشات فى مقدّم الجناح، الواحدة قادمة . (٤) القضب : جمع قضيب وهو الدقيق من السهام . (٥) بان : غاب . (٦) أو : بمعنى حتى . (٧) العرضنة : الاعتراض فى السير من النشاط ، أو العدو فى اشتقاق . (٨) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . (٩) الظعن جمع ظعينة وهى الهودج . (١٠) تلاث : تلفّ . (١١) نقب جمع نِقاب وهو معلوم . (١٢) حقب جمع حِقاب وهو شيء تعلّق به المرأة الحلىَ وتشدّه فى وسطها .

بودّى، وهل يغنى عن المرء ودُّه ... وأشياعُهُ فيما يحاول حِزبُهُ؟
سلكتُ مجازَ العزّ بينى وبينه ... تُحَطُّ روابيه وتُهتَكُ حُجْبُهُ
ولو أنّ أرضا مَهلكا، هان قطعُها ... ولو أنّ ماءً من دمٍ، ساغ شربُهُ
الى قمرٍ، طرفى تعلّلَ دونه ... وكم قمرٍ غطّته دونِىَ سُحْبُهُ
"أبا القاسم": المَرْعَى مَريرٌ نباتُهُ ... يَبِيسٌ، وحلوُ العيش عندك رَطْبُهُ
أقول، وما داجتك زُورًا محبّتى ... وقد يُفرط الإنسانُ فيمن يُحبّهُ:
زكا غُصُنٌ من "آل ضبّةَ" أصلُهُ ... أبوك له فرعٌ، وإنك عَقْبُهُ
علاءٌ، تملّتْ منه بالودّ عُجْمُهُ ... لصحبتها، واستبقتِ العزَّ عُرْبُهُ
رأى بك ما أنسى ابنَ غيلٍ شُبولَهُ ... فخيرا بخيرٍ أو فشرّا يذبُّهُ
قليلا، على حكم النجابة، شِبْهُهُ ... كثيرا، على ما توجب السنُّ، تِرْبُهُ[1]
لئن أخّرتْنى عن فِنائكما التى ... عتبتُ لها دهرى، فلم يُجْدِ عَتْبُهُ
وسوّفنى رؤياكما فألطّ[2] بى ... فعادتُهُ فى أخذ حقّى غصبُهُ
فيالِيتَه أدنَى مَزارِىَ منكما ... وأهلىَ مَرعاه ودارِىَ نَهبُهُ
وما أنا من تُصبيه أوطانُ بيته ... لعاجلِ أمرٍ سَرَّ، والعارُ غِبُّهُ
اذا أنا أبغضتُ الهوانَ ودارَه ... فأهوَنُ ما فارقتُه مَن أُحبّهُ
صِلونا، فإنا مُجدِبون بمنزلٍ ... يضيق على الأيام بالحُرّ رَحبُهُ
سواءٌ به يا "آل ضبّة" ليثُهُ ... اذا سار يبغى الرزق فيه، وضَبُّهُ
وكانوا عِيارًا[3]، ربما جاد بعضهم ... فأعدَى صحاحَ السَّرْحِ يا "سعدُ" جُربُهُ

(١) التِّرب: من ولد معك وأكثر ما يستعمل فى المؤنث، يقال: هذه تِرب فلانة. (٢) ألطّ بى أى منعنى حقى. (٣) عيار جمع عَير وهو الحمار أيّا كان أهليّا أو وحشيّا وغلب على الوحشىّ.

يعـزّ عليكم، كيف يَرجِعُ مُرمِلا (١) غلامٌ من الآداب والمجـد كسبُهُ؟
تقـدّمنى قـومٌ، وما ذاك ضائرى لديكم، اذا ما أخلص الزُّبدَ وَطْبُهُ (٢)
أبانهُـمُ تلفيقُ جهـلٍ يَرُبُّهـم وأنحلنى تحقيـقُ فضـلٍ أُرُبُّهُ
تحلَّ بهـا يا "سعدُ" فهى قلادةٌ يُزَيِّنُ فيهـا فاخرَ الدرّ ثَقْبُـهُ
هـديّةُ خِلٍّ، إن جعلتَ ودادك الـ صَّداقَ لهـا مع فقره، فهو حسبُهُ
يرفِّعـهُ عن بذلة البعـد عتبُـهُ وهمّتـه العليـا الى النـاس ذنبُـهُ
ولى أختُهـا عنـد الوزير تلوح فى دجى الليل، أو تبدو فتخجَلُ شُهبُهُ
يلذُّ لهـا مَـدُّ النشـيد ولينُـه ويُزهَى بهـا رفعُ الكلامِ ونصبُهُ
لهـا حُسْـنُهَا، لكن أريدك شافعًا وخيرُ شـفيعٍ لى الى الجسم قلبُـهُ

* * *

وقال وقد أنعم الله تعـالى عليه بالإسلام، ووفقه لمـا كان يتردّد فى نفسـه من الاستنصار بلطفه وفضـله، وذلك فى سـنة أربع وتسـعين وثلاثمـائة، يذكر ذلك ويُهجِّن قومَه بسـفَهِ ما هم عليـه ومعايبه، وكتب بهـا الى الكافى الأوحد يبشّره ويمدحه

دواعى الهوى لك أن لا تجيبا هَجَـرْنا تُقًى ما وَصَلْنا ذُنوبا
قَفَوْنا (٣) غرورَك حتى انجلتْ أمـورٌ أَرَيْنَ العيونَ العيوبا
نَصِبْنَا لهـا أو بلَغنـا بهـا نُهًى لم تدعْ لك فينا نصيبا
وهبنا الزمانَ لهـا مقْبلا وغصنَ الشبيبة غضًّا قشيبا
فقـل لمخوّفنـا أن يحـول صِبًا هَرَمًا وشـبابٌ مَشيبا:

(١) المرمل : الذى نفد زاده . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) قفونا : تبعنا .

وددْنا لعقّتنا أننا ... وُلدنا اذا كُرِهَ الشَّيْبُ شِيبا
وبلِّغ أخا صحبتى عن أخيك ... عشيرته نائيا أو قريبا
تبدّلتُ من ناركم رَبَّها ... وخُبثِ مواقدها الخُلدَ طِيبا
حَبستُ عنانِيَ مستبصرا ... بأيّةِ يستبقون الذُّنوبا
نصحتكُمُ لو وجدتُ المُصيخ(١) ... وناديتكم لو دعوتُ المجيبا
أفيئوا فقد وعد الله فى ... ضلالةِ مثلكُمُ أن يتوبا
وإلا هلمّوا أباهيكُمُ ... فمن قامَ والفَخْرَ، قام المصيبا
أمثل محمدٍ المصطفَى ... اذا الحكم وُلِّيتُموه لبيبا
بعدلٍ مكانَ يكون القسيمَ ... وفصلٍ مكانَ يكون الخطيبا
وثَبْتٍ(٢) اذا الأصلُ خان الفروعَ ... وفضلٍ اذا النقصُ عاب الحسيبا
وصَدْقٍ بإقرار أعدائه ... اذا نافق الأولياءُ الكذوبا
أبان لنا اللهُ نَهْجَ السبيلِ ... ببعثته وأرانا الغيوبا
لئن كنتُ منكم فإنّ الهجيـ ... ـن(٣) يُخرِجُ فى الفَلَتاتِ النجيبا
أَلِكْنِي(٤) الى مَلِكٍ بالجبا ... ل يدفعُ دفعَ الجبالِ الخطوبا
فتًى يطرُقُ المدحُ من بابه ... قِرًى كافيا وجنابًا رحيبا
قوافيَّ تلك وَرَدْنَ النمي ... رَ من جوده ورَعَيْنَ الخصيبا
عوارىَ تُكسَى ابتساماته ... وفى القول ما يستحقُّ القُطوبا
ومن "آل ضبَّةَ" غصنٌ يُهَزُّ ... جَنِيًّا، ويُعْمَزُ عُودًا صَليبا(٥)
وكانوا اذا فتنةٌ أظلمتْ ... وأعوزهم مَنْ يُحلِّى الكروبا

(١) المصيخ : المصغى . (٢) الثبت : الثابت . (٣) الهجين : الذى ولد من أمة وأبوه عربى أو من أبوه خير من أمه . (٤) ألكنى : أرسلنى . (٥) صليبا : شديدا .

تداعوه : يا أوحـدًا كافيًـا لنـا مستخَصًّا الينـا حبيبا
فكان لنـا قمرا ما دجتْ وماءً اذا هى شُبَّتْ لهيبـا
أرى مُلْكَ "آلِ بُوَيْه" آرتدَى عَواراً بأن راح منـه سليبـا
فإن يُمسِ مَوضعُه خاليـا فمـا تُعْرَفُ الشمسُ حتى تغيبا
لك الخير مَوْلًى، رَمَيتُ المنى رِشاءً اليـه، فروَّى قَليبـا (١)
لحظِّىَ فى حبس سَـيْرِى اليـ لك رَأْىٌ سأنظُرُهُ أن يؤوبا
اذا قلت : ذا العامُ شافٍ بدت قوارفُ منعٍ تُجِـدُّ النُّـدوبا (٢)
ولى عزمةٌ فى ضمـانِ القبولِ سَتُدْرِكُ، إن ساعدتنى هُبوبا
وإلا فتحمِلُ شكرا اليـك يشُوقُ الخلىَّ ويُغرِى الطروبا
وعذراءَ تُذْكِرُ نُعـماك بى وإن كنتُ لستُ بها مستريبا
ستُنكِرُ فجـأةَ عُنوانهـا اذا هو أعطاك وَسْمًـا غريبا
فوفِّ، فقـد جَعَلَ الدِّينُ ما تنفَّلتَ فى الجودِ فرضا وُجوبا
وقد كنتُ عبدا قصيًا وجُدتَ فكيف وقد صرتُ خِلًّا نسيبا !

* * *

وقال وكتب بهـا الى أبى الحسين علىّ بن محمد البُندارىّ الكاتب خليفة الكافى الأوحد ، يشكره على كثرة وصفه إيّاه وإطرائه له ، وبلغه ذلك عنـه بلاغة يُرغَبُ مع مثلها فى المودَّة

أخى فى الودّ فوق أخى النسيبِ وخِلّى دون كلِّ هـوًى حبيبى
ومـولاى البعيـدُ يقـول خيرا قريبٌ قبـل مولاى القـريبِ

(١) القليب : البئر . (٢) قوارف : قواشر، من قولهم : قرف القرحة أى قشرها بعد يبسها .

وما دحَى المصرِّحُ شاهدًا لى فـداءٌ للمعـرِّض فى مَغيبى
فـلا تتطلَّبى غَلَطـاتِ شـوقى فما إن زلتُ ذا شوقٍ مصيبِ
أَرَدْتِيـنِى ليملكنى نفـاقا سليمُ الوجه ذو ظَهرٍ مريبِ
وألسـنةٌ تظاهرنى صحـاحًا وأعلمهـا بطـائنَ للعيـوب
قد آعتـذر الزمانُ بوتد خِلٍّ محـا ما كان أسلفَ من ذُنوبِ
أنثنى — طاب ما أتتِ آبتـداءً بلا حقٍّ عليه ولا وُجوبِ —
يدٌ منـه وَقَتْ بيـد الغمام الـ مصيب، هَمَتْ على العام الجديبِ
فمثَّـله التصـوُّرُ لى بقلبٍ يَرَى بالظنّ من خَلَلِ الغيوبِ
"أبا حسنٍ" بدأتَ بهـا فتمِّم وإن لم تعطنى إلا نصيبى
صفاتُك وهى تكشف عن قريضى يبينُ القَيْنُ يشحذ عن قضيبِ
بنـا ظمأٌ وعنـدكُمُ قَلِيبٌ وأنت رِشـاءُ هاذاك القَلِيبِ
"أبو العباس" موئلنا و"سعدٌ" فقل فى الطود، أو قل فى الكثيبِ
رضيتـك ثَمَّ لى ذخرا لنشر الـ سـليم الطىّ أو نشر المَعيبِ
وغيرك مَنْ سَكَنتُ اليه كُرهًـا كما سكَن العِـذارُ الى المشيبِ
متى سالمتنى سلِمتْ صَـفاتى على ما دسَّ قـومٌ من ذنوبى
اذا نَظَـر الحبيبُ بعينِ عَطفٍ فأهونُ ناظرٍ عينُ الرقيب

* * *

وقال بعـد عوده من حضرة الكافى الأوحد، وقد تأخّر كتابه ورسومٌ له، لغلبة الأشغال عليه، وكتبَ اليه يعاتبه بهذه القصيدة وأنفذها اليه

شـفى الله نفسا لا تَذِلُّ لمَطْلَبِ وصبرا متى يسمعْ به الدهرُ يَعجبِ
وصدرًا، اذا ضاقت صدورٌ رحيبةٌ لخطبٍ، تلقَّـاه بأهلٍ ومَرحبِ

بعيـدا من الأفكار ماكُنَّ حطَّةً ... فإن تك فى كسب المكارمِ تَقـرُب
تمرَّنْ بأخلاقى، فتى الحىّ، إن تكن ... رفيقـا، فإمّا عاذرى أو مؤنبى
تبغَّضْ اذا كنتَ الفقيرَ وإن تكن ... غنيًّا فطامِنْ للغنَى وتحبَّبِ
اذا لم تَجِدْ ما يُعظمونك رغبـةً (١) ... وأردت النَّصْف منهـم فأرهبِ
فإنك ما لم تُرْجَ أو تُخْشَ فيهـمُ ... وتقعدْ مع الوُسطَى تُدْسَكَ فتَعطَبِ
أفق يا زمانى، ربما أنا صـائر ... الى سهلِ ما أرجو بفـرطِ تصعُّبِ
أغرَّك فى ثوب العفافِ تزمُّـلى ... وأخـذى مكانَ الآمل المترقّبِ؟
اذا أنا طـالت وقفـتى فتـوقَّنى ... فإنّ لهـا لا بدّ وثبـةَ مُنجِبِ
ويا صاحبى، والذلّ للرزق موردٌ ... أضَنُّ بنفسى عنـه وهى تجودُ بى
خذ النفسَ عنى والمطامعَ إنهـا ... قد استوطأتْ من ظهرها غيرَ مركبِ
حرامٌ وإن (٢) أمحضتَ مطـعم ... عـلىّ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ
أأنت على هجـر اللئـام معنِّفى؟ ... نعم أنا ثَمَّ، فارض عنّى أوِ اغضبِ
أألقَى البخيـلَ أجتـديه بمدحةٍ ... خصيمان فيهـا شاهـدى ومغيَّبى
وأكذِبُ عنـه فى عبـارةِ صادقٍ ... كثيرٌ إذًا، فى حيث أصدقُ، مُكذِبى
تعـوّدته خُلْقًـا، ثنـائى لمحسنٍ ... أقول بمـا فيـه، وذمّى لمذنبِ

---

(١) هكذا بالأصل وهو مختل الوزن وقد ورد فى بعض النسخ المطبوعة هكذا :

إذا لم تجد ما يعظمونك رغبة * ورمتَهُمُ أن ينصفوك فرهِّبِ

وهو مختلف عن الأصل فى لفظه ، ومع المحافظة على ألفاظ الأصل لعله يكون هكذا :

اذا لم تجد ما يُعظمونك رغبـةً * به وأردت النَّصْف منهم فأرهبِ

بزيادة "به" فى أول الشطر الثانى .

(٢) كذا بالأصل ولعله * حرامٌ — وإن أمحضتَ — أطيبُ مطعمِ *

فما سرّنى فى الحقّ أنّى مع العدا ... ولا عابَ أنّى فى المحال على أبى
وحاجةِ نفسٍ دبّر الحزمُ صدرَها ... فأُبتُ بها محمودةً فى المُعَقَّبِ
أريدُ بها "الكافى" بقلبٍ معذَّبٍ ... مُرادَ "ابن حُجرٍ" قبلها "أمَّ جُندَبِ" (١)
وليلِ تمامٍ (٢) قد قليتُ نجومَه ... اليه، يُردنَ الشرقَ، يَذهَبن مَذهبى
وما لأنفرادى مالها من تجمُّع ... ولكن بقلبى ما بها من تلهُّبِ
وطودٍ تخال الراسياتِ وِهادَه ... متى يَبْغِ ظنُّ العينِ أُخراهُ يُكذَبِ
تراه — ولم تظفر محلِّقةٌ به — الـ ... ـعُقابُ بعينْ عاجزٍ فى تهيُّبِ
سَلكتُ فأدّانى بقلبٍ ملفَّحٍ ... عظائمَ ما ألقَى، وجسمٍ مجرَّبِ
إرادةُ حظٍّ أتعبَتْنى، ومن تكن ... له حاجةٌ فى ذمّةِ الشمسِ يتعَبِ
فِدًى الأوحد "الكافى" جبانٌ، لسانُهُ ... شجاعٌ، بحيث القولُ غير مصوَّبِ
بخيلٌ، لو أنّ البحرَ بين بنانه ... وفرقَها عن قَطرِه لم تَسَرّبِ
يساميه تغريرا برأيٍ مُشعَّثٍ (٣) ... يكدُّ ولا يُجدى، وعِرضٍ مشعَّبِ (٤)
ومنتسبٌ يومَ التفاخر مُسفِرٌ، ... اذا انتسب "الضبّىُّ" قيلَ: تنقَّبِ
أيا ساريا، إمّا ركبتَ فلا تُنخْ ... مُريحا، وإمّا ماشيا كنتَ فاركبِ
لعلك تأتى شِرعةَ الجودِ سابقا ... بهاذاك، مع فرط التزاحم تَشرَبِ
وقل: يا "أبا العباس" بل يا أبا الورى ... فكلُّهُمُ فيما مَلكتَ بنو أبِ
أنا ذاك، لم تكفِ اشتياقى زَورةٌ، ... بَلَى، زادنى بالبعدِ شَجْوًا تقرُّبى
اذا كنتَ تهوى الشيءَ إمّا رأيتَه ... وأحببتَ أن تَشقَى، فزرْ ثمّ جَنِّبِ

---

(١) يشير الشاعر هنا الى قول امرئ القيس بن حجر

خليلىَّ مرّا بى على أمّ جُندَبِ ... لنقضى لُبانات الفؤاد المعذَّبِ

(٢) ليل التمام بكسر التاء: أطول ليالى الشتاء. (٣) مشعّث: مفرّق. (٤) مشعّب: مصدّع.

أحنّ اذا الوفدُ آستقلّوا لقصدكم ... حنينَ الفتى العُذرىِّ مَرَّ بربرب
ووالله لم أهجركم العامَ عن قِلًى ... ولا أنّ سيرًا نحوكم كان مُنْصِبى
وما صاحبي قلبٌ بظنٍّ مُرَجَّم ... الى غيركم فى العالمين مُقلِّبى
اذا أَطربَ الإبْلَ الحُداءُ فإننى ... اليكم متى غنّيتُ فالجودُ مُطربى
ونفسى لكم، تلك التى لودادها ... ولو أُغْضبتْ فى واجبٍ ألفُ مُوجِبِ
أأمدحُ منهـا ما آختبرتم! وإنما ... يُظَنُّ بعتق السيف ما لم يُجرَّبِ
هجرتُ لك الأقوامَ حبًّا فوفِّنى ... يَبِنْ بِى الى جدوى يديك تحزُّبى
وأشتمُّهم ذا العامَ أنّك جُرتَ بى ... ومَذهَبُك العدلُ الصحيحُ ومَذهبى
لئن عَتَبوا أنى تفرّدتُ دونهم ... بمدحك، فاشهدْ أننى غيرُ مُعتِبِ
فإن خَبُثَتْ أيديهُم لِى وأَسْهَكَتْ[1] ... فربَّ نوالٍ طاهرٍ لك طيّبِ

* * *

وقال وأنشدها الأميرَ سندَ الدولة أبا الحسَن بن مَزْيَد فى داره بالنيل، وقد لقيَهُ بها فى شهر ربيع الأول سنة ثمانى وتسعين وثلاثمائة

هَبْ من زمانِكَ بعضَ الجِدّ للّعِبِ ... وآهجرْ الى راحةٍ شيئًا من التعبِ
ما كلُّ ما فات من حظٍّ بليّتُهُ ... عجزٌ، ولا كلُّ ما يأتى بمُجتلَبِ
لا تحسَبِ الهمّةَ العَلياءَ مُوجِبةً ... رزقًا على قِسمة الأقدارِ لم يجبِ[2]
لو كان أفضلُ مَنْ فى الناس أَسْعَدَهم ... ما آنحطّتِ الشمسُ عن عالٍ من الشُّهُبِ[3]
أو كان أَسْيَرُ ما فى الأُفق أَسْلَمَهم ... دام الهلالُ فلم يُخْسَفْ ولم يَغِبِ
يا سائقَ الرَّكْبِ غَرْبيًّا وراءك لى ... قلبٌ الى غير نجدٍ غيرُ مُنقلِبِ

(١) أسهكت: أتت فى عَرَقها بريح خبيثة. (٢) فى الأصل: لم تجب. (٣) فى الأصل: مِنْ.

تلفُّتًا، بخلال الضَّيق مُتَّسعٌ ... وربَّ منجذبٍ فى زىّ مجتنبِ

قِفْ نادِ يا "آل بكر" فى بيوتكمُ ... بيضاءُ يُطربها فى حُسنها حَرَبى

لما رأت أُدمةً(١) نُكرًا وغائرةً ... شهباءَ(٢) راكضةً فى الدُّهم(٣) من قُضُبى(٤)

لوتْ ـ وقد أضحكتْ رأسى الخطوبُ لها ـ ... وجهًا الى الصدّ يُبكينى ويَضحَك بى

لا تعجبى اليومَ من بيضائها نظرًا ... الى سِنِيّ، فمن سوداتها عجبى

ما زلتُ ـ علمًا بأنّ الهمّ مخترمٌ ... عُمرَ الشبيبة ـ أبكيها ولم أَشِبِ

وُسُومُ شَيْبٍ، فإن حقّقتِ ناظرةً ... فإنهنّ وُسُومٌ فىّ للنُّوَبِ

تُرَى نداماىَ ما بين الرُّصافة فال ... بَيْضاءِ(٥) راوِين من خمرٍ ومن طربِ؟

أو عالمين ـ وقد بُدِّلتُ بعدَهُمُ ـ ... ما دارُ أنسى وما كأسى وما نشبى؟

فارقتهم، فكأنى ـ ذاكرًا لهمُ ـ ... نضوٌ تلاقت عليه عضّتا قتبِ

سقَى رضاىَ عن الأيام بينهمُ ... غيثٌ، وبان عليها بَعدَهم غضبى

إذ نَسكُب الماءَ بُغضًا لِمزاج به ... ونطعمُ الشُّهدَ إبقاءً على العنبِ

يمشى السّقاة علينا بين منتظرٍ ... بلوغَ كأسٍ ووثّابٍ فمستلبِ

كأنما قولنا للبابلىّ : أدر ... حلاوةً، قولنا للزَّيدىّ : هَبِ

فِدًى علىّ جبانُ الكفّ مقتصرٌ ... من الفخار على الموروث بالنسبِ

يُرَى أبوه ولا تُرْضَى مكارمُه ... الأرضُ صحّت وأودى الداءُ بالعُشُبِ

ومُشبَعون من الدنيا وجارُهمُ ... بادى الطَّوَى ضامرُ الجنبين بالسَّغَبِ

(١) الأدمة : السمرة فى الإنسان، ولون مشرَبٌ سوادا فى الإبل . (٢) الشهباء : البيضاء يصدعها سواد . (٣) الدهم جمع أدهم وهو الأسود . (٤) القضبُ جمع قضيب وهى الناقة التى لم تُرَضْ، وكلّ ألفاظ البيت من بابِ الاستعارة يصف بها ما أصاب وجهه من التلويح وما أصاب رأسه من الشيب كما يتضح من الأبيات التالية . (٥) الرصافة والبيضاء : اسما بلدتين .

قـــل للأمير، ولو قلت : السماءُ به ... مفضوحةُ الجَـودِ[1]، لم تَظلِمْ ولم تَجُبِ[2]:

أعطيتَ مالَك، حـتى رُبَّ حادثةٍ ... أردتَ فيهـا الذى تُعطِى فلم تُصِبِ

لو سُمتَ نفسَـك أن ترتاضَ تجربةً ... بحفـظ ذاتِ يدٍ يومين لم تَطِبِ

كأنّ مالَكَ داءٌ أنت ضامنُـه ... فـا يُصِحُّك إلا عـلّةُ النشبِ

لو كان يُنصفك العـافون لاحتشموا ... بعضَ السؤالِ ، فكفُّوا أيسرَ الطلبِ

يا بدرَ عَوْفٍ، وعوفُ الشمسُ فى أَسَدٍ ... وأَسَـدٌ[3] شامةٌ بيضاءُ فى العـرب

أنـتُمُ أولو البأسِ والنعماءِ، طارفـةً[4] ... أخبارُكم، وعُلًى تـلْدٌ[5] من الحِقَبِ

أحـلَى القـديم حديثًا جاهليَّتُـكُمْ ... وقُصَّ أسلافِكم من رتبـة الكتُبِ

ما كنتُمُ مذ جلا الإسـلامُ صفحتَهُ ... إلا سـيوفَ نبيٍّ أو وصيِّ نَبِى

بكم "بِصفِّينَ" سـدَّ الدِّينُ مَسكنَهُ ... و "آلُ حَرْبٍ" له تحتال فى الحُرَبِ

وقام "بالبَصْرة" الإيمـانُ منتصـباً ... والكفرُ فى "ضَبَّةٍ" جاثٍ على الرُّكَبِ

حـتى تقيَّلتَهـا إرثاً، وأفضـلُ ما ... نقلتَ دينَك شَرْعًا عن أبٍ فأبِ

اذا رأيتَ نجيباً صحَّ مـذهبُـهُ ... فاقطع بخـيرٍ على أبنـائه النُّجُبِ

لا ضاع، بل لم يضعْ يومَ انتصرتَ به ... وأنت كالوِرْدِ[6]، والأعداءُ كالقَـرَبِ

وقـد أتَوكَ برايات مكـرّرةٍ ... لم تدر قبلك ما آسمُ الفرّ والهـربِ

تمشِى بهـم ضُمَّـرٌ، أدْمَى روادفَها ... غرورُ فـرسانهـا بالفـارسِ الذَّرِبِ

لمـا دعوتَ "عليًّا" بينهـم، ضَمِنتْ ... لك الولايةَ فيهـم ساعدُ العطبِ

حكت رءوسَ القنا فيـه رءوسُهُمُ ... حـتى تمَوْهتِ الأعناقُ بالعَـذَبِ[7]

---

(١) الجود: المطر. (٢) لم تحب: لم تأثم، وفى الأصل "لم تخب" وهو تحريف. (٣) كلمة "وأسد" فى هذا الشطر يدخلها "الخَبْلُ" وهو ما حُذِفَ ثانيه و رابعه الساكنان. (٤) الطارفة: الحديثة. (٥) التلد جمع تليد وهو القديم. (٦) القَرَبُ: سير الليل لورد الغد. (٧) العَذَبُ جمع عَذَبةٍ وهى خرقة تشدّ على رأس الرمح، وهى أيضا ما سدل بين الكتفين من العمامة.

وطامعٌ فى معاليـــك ٱرتقَى فهوى ... وهل يَصِحُّ مكانُ الرأسِ للذنَبِ؟
ما كان أحوجَ فضـلا تمّ فيك الى ... عيبٍ يعـــوِّذُه من أعينِ النُّوَبِ
أحببتكم ، وبعيـــدٌ بين دَوْحتنا[1] ... فكنتُ بالحبِّ منكم أىَّ مقترَبِ!
ووُدُّ "سَلْمانَ" أعطاه قرابتَـــهُ ... يوما ، ولم تُغنِ قُربَى عن أبى لَهَبِ
ورفَّـــعَ الصونُ إلا عن مناقبكم ... أسبابَ مدحِىَ فى شِعرى وفى خُطَبِى
فـا ترانِىَ أبوابُ الملوك مـــع الـ ... ـزِّحام فيهـا على الأمـــوال والرُّتبِ
قَناعـــةٌ رَغِبتْ بى عن زيارة مس ... ـدولِ الســـتورِ وعن تأميلِ محتجبِ
ولى عوائدُ جُودٍ منـك لو طَرَقت ... تَســتامُ مُلكَكَ لم تُحـــرَمْ ولم تخِبِ
ملأتُ بالشكرِ قلبَ الحافظِ الغزِلِ الـ ... ـفؤادِ منهـا وأُذنَ السامعِ الطَّـــرِبِ
فـــرأىُ جُودِك فى أمثالهـا لفـــتٌ ... أتاك بالحرمتين الدِّينِ والأدبِ
ومَنْ توسَّلَ فى أمرٍ فمـا سـببٌ ... اليـك أوكدُ فى الأمرين من سببى

* * *

وقال وكَتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم ، وقد ورد من فارس يهنّئه بخَلْع أُفيضت عليه بها ، وتكرِمةٍ لحقَتْه فيها ، وبسلامته وبالمِهْرجان[2] ، ويقتضيه حاجةً كانت له

رعى اللهُ فى الحاجاتِ كلَّ نجيبِ ... سميع عـــلى بُعـــدِ الدعاءِ مُجيبِ
وطهَّـــرَ فِتيانا من الذمِّ طهَّـــروا ... غيوبَهـــمُ[3] أن تُنتَحى بعيـــوبِ
ســـواءٌ على عُسرى ويُسرى وفاؤهم ... وألســـنُهم فى مَشـــهَدى ومَغيبى
أحبُّوا المعـالى وهى مُنصِبةٌ لهـم ... فـا قَنعوا من وصـــلها بنصيبِ

(١) الدوحة : الشجرة العظيمة الباسـقة . من "مِهْر" و"جان" ومعناها : مَحَبَّةُ الروح .
(٢) المِهْرجانُ : عيـد الفرس ، وهى كلمة مركّبة
(٣) فى الأصل : عيوبهم .

لجارِهُم من دارهم مثـلُ ما لَهم ... على راحـةٍ من عيشهم ولُغـوبِ (١)
اذا جئتَهـم مستصرِخا ثارَ مجدُهم ... بكلِّ مُجيبٍ فى الخطـوب مَهيبِ
وكرَّم عيشى عنـدهم وأعاده ... بما فاض من حُسْنٍ عليـه وطِيبِ
تعـيّرنى "لَيْـلَى" الوفاءَ بعهـدِهم ... عـلى بُعـدِهم، أنّبْتِ غيرَ مُنيبِ!
خُلِقْتُ رقيق القلب، صـعباً تقلُّبى ... أَرَى لبعيـدٍ ما أَرَى لقـريبِ
وما زلتُ أهـوَى كلَّ شىء ألفتُـه ... وصاحبْتُهُ حـتى ألفتُ مَشـيبى
(١٠) وتُنكِر أضـفارى (٢)، كأنْ لم تَرَ الصِّبا ... سـقَى وَرَقى يوماً وهزَّ قضـيبى
ولم ألقَ أشراكا فأَثنِى حبالَهـا ... على ما اشـتهتْ من أعينٍ وقلوبِ
فـما زال مُمسِىَّ الزمانُ ومُصْبِحى ... بأسمـاله (٣) حتى اسـتردَّ قشـيبى
فداءُ بنى "عبـد الرحيم" وودِّهم ... هوى كلِّ ممذوق الوداد مُريبِ
ولا بَرِحتْ، تسقِى "الحسينَ" وعَرْضَهُ ... بملآنَ من فَيض الثناء سَكوبِ
مجلجـلةُ الأرجاءِ، صادقُ برقِهـا ... حَلوبٌ لماء الشِّـعرِ غيرُ خَلوبِ
مَرَتْها (٤) رياحُ الشـكر حتى تلاحمتْ ... بمـا نسـجَتْها من صَبا وجَنوبِ (٥)
فصابت، فعمَّت ماسقته، فأخصبتْ، ... عـلى أنها لم تُسْـقِ غيرَ خَصيبِ
وجازاه ملكا فى الجـزاء فضـيلةً ... وأدَّى ثوابَ الشكر حـقَّ مُثيبِ
أخى، وأخى الموروثُ غـيرُ موافِقٍ ... ومولاى (٦)، وآبنُ العمِّ غيرُ نسيبِ
ضميرٌ على حكم اللسان، وبعضُهم ... أخـو مَلَقٍ يُبـلَى أخـوه بذيبِ
وعن حفظ غَيبِ المُلكِ نُصحا اذا طغى ... به غَلَّ (٧) أسرارٍ وعينُ غيـوبِ

(١) اللغوب : التعب . (٢) أضفار : جمع ضَفْر وهى كلّ خصلة على حدتها كالضفيرة .
(٣) الأسمال جمع سَمَل وهو الثوب الخَلَق . (٤) مرتها : آستخرجتها . (٥) الصَّبا : الريح الشرقية ، والجنوب : ريح تقابل الشَّمال . (٦) المولى : ابن العم . (٧) الغَلّ : الماء جرى بين الأشجار .

فكم غمّـة عَمياء أعضـلَ داؤها ... رماها برأيٍ من نُهاهُ طبيبِ
وشاهـدةٍ[1] بالفخر أوفتْ صـفاتُها ... على كلّ معـنًى فى الجمال عجيبِ
أتت شَرَفًا من سـيّدٍ، وكأنها ... أتت من محبٍّ تُحفـةً لحبيبِ
صَفَتْ وَضَفَت حتى آستطالت جُنوبها ... بوافٍ، ومـدَّتْ باعَها برحيبِ
ونيطتْ بأخرَى مثلِها فتظاهـرا ... على ظهـر طَودٍ فى قميصٍ قضيبِ
ومنحولةٍ[2] جسمَ الهـواءِ نحيـلةٍ ... كأنّ الهوى فيها رَمَى بمصيبِ
من الريح، لولا أن "يَذْبُلَ" تحتها ... وقارُك، مرَّتْ عنـك مرَّ هُبوبِ
اذا دقَّ مسًّـا وقْعُـها جلَّ رفعُـها ... الى منصبٍ[3] فى القَـريتين حسيبِ
وذى شيبتين آستَوْقف الصبحَ والدجى ... على ناصـلٍ[4] من لونه وخضيبِ
كأنّ السحابَ جَوْنَها و بياضَها ... تفـرّعَ من صـافٍ به ومَشوبِ[5]
تشبَّثَتِ الأبصـارُ حـتى تمكَّنتْ ... وقـد كرّ من هادٍ[6] له وسَيبِ[7]
توقَّى الأذى من عُرْفه بخميـلةٍ ... وحَكَّ الحصى من ذيله بعَسيبِ[8]
وأعجبَـه فى رِدفـه ووشـاحـه ... ملابسُ تكسو منـه كلَّ سليبِ
نصيبٌ من الدنيا أتاك ففُـزْ به ... ولا تنسَ من فضـلِ العطاء نصيبي
كفى المِهرَجان مُـذْكِرا وذريعـةً ... الى مُحسـنٍ فى المكرُماتِ مُطيبِ
بقـاؤك ألّفـا مثـلَه فى كفالتى ... دعوتُ، ومَنَّ اللهُ فيـك مُجيبي
فـا زال فيـكم كلُّ خيرٍ طلبتُـه ... قُضِى لِيَ فى إدراكه وعُـنِي بى

(١) يقصد بقوله "وشاهدة" خلعة ضافية . (٢) منحولة : معطاة . (٣) القريتين : اسم بلد . (٤) يصف جوادا . (٥) فى الأصل "شُبوب" وهو خطأ . (٦) الهادى : العنق . (٧) السيب : شعر الذنب والعرف والناصية من الفرس . (٨) العسيب : عظم الذنب أو منبت الشعر منه .

وقال وكتب بها الى الرئيس أبي الحسَن الهُمَانيّ في عيد النحر، وقد حصل ببغداد يهنّئه ويُعرِّض بذكر عدوّ له توثّب على ولايته بالعناية دون الكفاية

أَستنجِدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ ... وأسألُ النومَ عنكم وهو مسلوبُ
وأبتغي عندكم قلبًا سمحتُ به، ... وكيف يرجعُ شيءٌ وهو موهوبُ؟
ما كنتُ أعرفُ مامقدارُ وصلكُمُ ... حتى هجرتم، وبعضُ الهجر تأديبُ
أستودع اللهَ في أبياتكم قمرًا ... تراه بالشوق عيني وهو محجوبُ
أَرضَى وأسخطُ أو أرضَى تلوُّنَه ... وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ
أمَّا وواشيه مردودٌ بلا ظَفَرٍ ... وهل يُجابُ وبذلُ النفس مطلوبُ؟
لو كان يُنصِفُ ماقال: أنتظرْ صِلَةً ... تأتي غدًا، وأنتظارُ الشيء تعذيبُ
وكان في الحبِّ إسعادٌ ومُنعطَفٌ ... منه، كما فيه تعنيفٌ وتأنيبُ
يا للّواتي بَغضنَ الشَّيْبَ وهو الى ... خدودهنَّ من الألوانِ منسوبُ
تأبَى البياضَ وتأبَى أن أسوِّده ... بصبغةٍ وكلا اللونَيْنِ غِربيبُ(١)
ما أنكرتْ أمسِ منه ناصلًا يققًا(٢) ... ما تُنكر اليومَ منه وهو مخضوبُ
ليتَ الهوى صان قلبي عن مَطامعه ... فلم يكن قطّ يستدنيه مرغوبُ
إني لأسغَبُ(٣) زهدًا والثرى عَمِمٌ(٤) ... نبتًا، وأظمأ وغَرْبُ(٥) الغيث مسكوبُ
ولا أَرِقُّ لحِرصٍ خابَ صاحبُه ... سعيًا، ويعلم أنّ الرزقَ مكسوبُ

(١) الغربيب: الشديد السواد، يريد أن كلا اللونين في الشعر وهما الأبيض الناصل والمخضوب، أسود في لونه لأن كليهما لا ترضاه العين، وقد قال المتنبي

ابعدْ بعدت بياضًا لا بياضَ له ... لأنتَ أسودُ في عيني من الظُّلَمِ

(٢) اليقق: الأبيض. (٣) أسغب: أجوع. (٤) العمم: اسم لكل ما اجتمع وكثر.
(٥) الغرب: الدلو العظيمة.

عُقبَى الطاعـــة فى مالٍ يُمَنُّ به ... عُصـارةٌ لا يُغطّى خُبثَها الطِّيبُ
طَهِّـرْ خلالَك من خِل تعابُ به ... وآسلم وحيدًا فما فى الناس مصحوبُ
إنى بُليت بمضْـطَرٍّ رفيقُهُـــمُ ... والمـاءُ يملُحُ وقتًا وهـو مشروبُ
كم يوعد الدهرُ آمالى، ويُخلِفُها (١) ... أخًا أُسَرُّ به، والدهرُ عُرقوبُ (٢)
أسعَى لمثل سَجايَا فى "أبى حَسَنٍ" ... وهـــل يُبلِّغنِى الجوزاءَ تقريبُ! (٣)
فِـــدًى محمـــدٌ المنسىّ نائـــلُهُ ... مُراجِـعٌ، نيلُهُ المتزورُ محسوبُ
حالٌ تحـــدّثه الأحلامَ جاهـلةً ... لحاقَهُ، وأخو الأحلامِ مكذوبُ
إن قدَّم الحـظُّ قومًا غالطًا بِهِـمُ ... أو بَيَّتتهـــمْ عِنايـاتٌ وتقـريبُ
فالسـيف يُخْـبَرُ قَطْعًا وهو مدَّخَرٌ ... والطَّرْفُ يكرَمُ طبعًا وهو مجنـوبُ (٤)
حذارِ من حَدَثِ النَّعماء مؤتنَفٍ (٥)، ... علاؤه بشـفيع الوجـــه مجلوبُ
تسوءه سائلا : مِن أين سؤددُه؟ ... إنّ اللئـيم بمـا قد ساد مسبوبُ
أأنت أنت وفى الدنيا "أبو حَسَنٍ"؟ ... صدقتَ إن لفى الدنيا أعاجيبُ
اذا رأيتَ ذيولَ السَّرْح آمنـــةً ... لم يَحْمِها، فلأمرٍ يحـلُمُ الذيبُ
يا مُلبِسى الشيمةَ الغـــرّاءَ ضافيةً ... علىَّ، إن قَلَصتْ عنّى الجلابيبُ
عَلِقْتُ منـك بعهدٍ لا مَواثِقُـــهُ ... تُنسَى، ولا حبلُه بالغدر مقضوبُ
وأحمَدْتك آختباراتى وقد سَبَرتْ ... غَوْرَ الرجال وكَدَّتهـا التجاريبُ
فلتجزِيَنَّـك عنّى كـلُّ غاديةٍ ... لهـا من الكَلِم الفيَّاضِ شُؤبوبُ (٦)
اذا وسَمتُ حَيَاها باسمك آنحدرتْ ... له الزُّبَى وأطاعتـــه المصاعيبُ

(١) فى الأصل "بعد". (٢) عرقوب : اسم رجل كان أكذب أهل زمانه و يضرب به المثل فى الخلف . (٣) التقريب : ضربٌ من العدو . (٤) فى الأصل "محبوب" وهو خطأ والمجنوب من الخيل الذى تقوده الى جنبك . (٥) حدث النعماء مؤتنف : حديث النعمة جديد العهد بها . (٦) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

فاسلم لهنّ ولى ، ما طاف مستلمٌ سَبْعا ، وعَلَّقَ بالأســـتارِ مكروبُ
تُرجَى وتُخشَى فَسيحَ الباب ممتنعًا إن الكريمَ لمرجُوٌّ ومرهوبُ

* * *

وقال وقد أُنفِذَ الصاحبُ أبو القاسم بن عبد الرحيم الى حضرته بفارس فى رسالة ، عقيب موت الملك بهاء الدولة رحمه الله ، فأحسن البلاغَ وأحسن السّفارةَ واستقلَّ بقضاء الحاجة ، فأفيض عليه خِلَعٌ جميلةٌ وكرمٌ ، فكتب اليه وقد عاد الى العراق يهنّئه ويستوحشُ لسابق بُعده ويذكُرُ المسرَّة بقُربِه

أَفلحَ قومٌ اذا دُعوا وَثَبُـــوا لا يرهبون الأخطارَ إن ركبوا
تَسبِقُ نَهْضاتُهُـــم عزائمَهُـــمْ أن تُستشارَ العاداتُ والعُقُب[1][2]
سارُون لا يسألون : ما حَبَسَ الـ ـفجرَ ولا كيف مالت الشُّهُبُ
عوّدهم هجرُهـم مُطالبَـــةَ الـ ـراحةِ أن يظفَروا بما طلبوا
وخاب راضٍ بالعجز يَصبِر للـ ـأوزار مستسلمـا ويَحتسِبُ
إن فاته حظُّ غـــيرِه فله منه اغتيابٌ يشفيه أو عجبُ
لا تستريح العلى الى سكنٍ إلا غـلامًا يريحـــه التعبُ
تَضمَّنَ السيرُ صدرَ حاجتِـه والثِّقتان التقـريبُ والخَبَبُ[3]
من مبلغُ البينَ يومَ دمَّنى : آبَ ، بمـا سرَّ بعدَك ، الغَيَبُ[4]
رُدَّ شبابى من "الحسينِ" كما كان ، وعادت أيامِيَ القُشُبُ[5]
يا قادما أُتهِـمُ البشـيرَ به من فرحٍ ، أنَّ صِـدْقَه كَذِبُ
سِرتَ ، ونفسى تودُّ فى وطنى بَعْـــدَك أنّ المقـيمَ مغترِبُ

(١) يريد : مخافة أن تستشار . (٢) العقب جمع العاقبة وهى آخر كلّ شىء . (٣) الخبب : ضربٌ من العدو . (٤) الغَيَبُ : جمع غائب . (٥) القشب جمع قشيب وهو الجديد .

(١٢)

أحتشم البدرَ أن أراه فأل ... حاظِيَ عنه بالدمع تحتجبُ
وكم تصدَّى عمداً ليخدَعَني ... يَسفِر عن غيهبٍ ويَنتقبُ
فلم أزده على مسارقة الـ ... ـجفن ولحظٍ بالكره يُستلبُ
وعَبْرةٍ رِيُّه[1] وحليتُه، ... يُشرَبُ من مائها ويُختضَبُ
ويومِ بينٍ صَبَرْتُ قبلَك، أن ... يفوتَني الحزمُ فيه والأربُ
حَمَلتُهُ ثابتَ الحشا ذَكَرَ الـ ... ـقلبِ، وموجُ الحُمولِ مضطرِبُ
سلوانَ أَجزِي بالصدّ جانيَه ... بملْك رأسي إن أظلم الغضبُ
ونظرةٍ حُلوةٍ رَدَدْتُ عن الـ ... ـبيتِ وفيه الجمالُ والحسبُ
بسُنَّةٍ غير ما اقتضى أدبُ الـ ... ـحبِّ حفاظًا، وللهوى أدبُ
وانقدتُ طوعا في حبل[2] ظالعة[3] ... تَجْنُبُني أو يقالَ: مُجتَنَبُ
بيضاءَ تُقلَى بُغضًا وأعهدُها ... سوداءَ تُرضَى حبًّا وتُنتخبُ
صاحتْ وراءَ المزاجِ واعظةً: ... لا يَلتقي الأربعونَ واللعبُ
أَعدَى بها الشَّيبُ وهي واحدةٌ ... ألفًا، ويُعدِي الصحائحَ الجُرُبُ[4]
يا ساكنًا ثائرَ العزيمة مـ ... ـسَّ الصِّلِّ من تحت لينه يثبُ
قد عَلِمَ الملكُ اذ دعاك وحبـ ... ـلُ الرأيِ واهٍ والشملُ منشعبُ
أن قلوبًا غِشًا، تميل مع الـ ... ـدولةِ أهواؤُها وتنقلبُ
وأن سِرًّا متى أصطفاك له ... أخلصَ ما في إنائِه الذهَبُ
لما تجلَّى وجهُ الحِذارِ وليـ ... ـمَ آبنٌ على غدره وخيفَ أبُ

---

(١) في الأصل: زيّه. (٢) الحبل: الرسن. (٣) يريد بقوله "ظالعة": شعرة في رأسه شائبة تجنبه مجالس أنسه وطوه وقد شبهها بالناقة الظالعة وهي التي تغمز في مشيها. (٤) الجرب جمع أجرب وهو غير الصحيح.

رَمَى بك القصدُ سهمَ مُنجِحةٍ ... يسبِقُ حِرصا حديدَه العَقِبُ
لم يَثنِ فأل الشهورِ عزمتَـــه ... لا صَـــفَرٌ عائـقٌ ولا رجبُ
جَرَتْ عليه أو مرّت الريح تلقـ ... ـاها بوجه أديمُـــه كَرِبُ (١)
فَلَيْـــلَةُ الجَرْيِ وهى جامدةٌ ... له كيوم الجـوزاءِ يلتهِبُ
سفرتَ فيها سَـفارةَ الليثِ لا ... يرجعُ إلا فى كفِّه الطلبُ
لســـعيه ما أهمَّه الدمُ والـ ... ـلحم ولكن لغـيرِه السَّلَبُ
حتى آستقامت على تأوّدها (٢) ... وآنتظمتْ فى رءوسها العَذَبُ
جزاك حسنَى ما آستطاع إن وَزَنَتْ ... فعـلَك تلك الأقدامُ والرتبُ
أعطاك ما لم تنل يدانِ ولا آمـ ... ـتدّ الى مَطـرَحِ المُنَى سـببُ
وضافياتٍ تطول فى مذهب الـ ... ـملك اذا شُمِّرتْ وتَنسَـــحبُ
أُهْدِىَ، من مُزنة السماء لهـا ... ماءٌ، ومن نور شمسها لهبُ
اذا علتْ مَنكِباً عَلاَ، فعيـــو ... نُ الدهرِ زُورٌ (٣) عن أفقه نُكُبُ (٤)
أوكيتَ (٥) رأسًا منها مُوافِيـهُ (٦) ... فكلُّ رأسٍ لجـــده ذَنَبُ
وصافناتٍ (٧) بين المواكب كُثـ ... ـبانٌ (٨) وفى الروع صُعَّرٌ قُضُبُ
ضاقت مكانَ الحصور وآتسعتْ ... أضـالعًا لا تُقِلُّها الأُهَبُ (٩)

---

(١) قد ورد هذا البيت فى نسخة مطبوعة هكذا :

عليه إن مرّت الرياح تلقّـ ... ـاها بوجه أديمـه كرِبُ

والكَرِبُ أصول السعف الغلاظ .

(٢) التأود : الأعوجاج . (٣) زور : جمع أزور وهو المـائل . (٤) نكب جمع أنكب وهو المـائل أيضا . (٥) أوكى : يقال أوكى القربة أى شدّ رأسها بالوكاء وهو الرباط . (٦) فى الأصل : يوافيه . (٧) الصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . (٨) الكثبان جمع كثيب وهو التلّ من الرمل . (٩) الاهب جمع أُهْبة وهى العدّة .

تَغيبُ فى جريها قوائمُها ... فما تُرَى أذرعٌ ولا رُكَبُ
من كلِّ دهماءَ أنسُها الليلُ تعـ ... ـزوه الى لونها وتنتسبُ
ثارت فطارت فخاضت الأُفُقَ الـ ... ـعُلوىَّ تجتاحه وتنتقبُ
فمِنْ ثُرياه أو مجـرّته ... لجامُها العسجدىُّ واللَّبَبُ(١)
مواهبٌ لا يَرُبْنَ أبَّ ... إلا شفيقٌ على العلا حَدِبُ(٢)
من معشرٍ لا يُجارُ مَنْ طَرَدوا ... ولا يَطيبُ البقاءُ إن غضبوا
مُثْرينَ مجدًا ومُقْترينَ لُهًى(٣) ... والمجدُ طَبْعٌ والمالُ مكتسَبُ
فُرسان يومِ الطعانِ إن طَعَنوا ... بالألسن المشكلاتِ أو ضَرَبوا
لا يَرجِعُونَ الكلام كَرًّا من الـ ... ـعِىِّ ولا يعرفون ما كَتبوا
دعا فؤادِى شوقٌ اليك على الـ ... ـبعد، فلبّيكَ والمَدَى كَثِبُ(٤)
جواب من لا يُرام جانبُهُ ... منذُ غَدَا وهو جارُك الجُنُبُ(٥)
ولا يُبالى اذا سلمتَ له ... ما حَصَدتْ من نباتها الحِقَبُ
حَمَلْتَ دُنياىَ فاسترحتُ، وقد ... طال عناءُ الآمالِ والتعبُ
وقُمتُ مذ قادنى هُداك على ... مَحَجَّةٍ لا تدوسها النُّوَبُ
فليحمدنّى فى كلّ قافيةٍ ... تزيدُ حسنا فى دُرّها الثُّقَبُ
أمسحُها(٦) فيك أو تَقِرَّ وقد ... أوغل(٧) فى أمّ رأسها الشغبُ(٨)
حُلًى من المعدن الصريح، اذا ... غشَّ تِجارُ الأسعارِ ما جَلَبوا

(١) اللبب : ما يشد من سيور السرج فى اللبة من صدر الدابة ليمنع استنخار الرحل. (٢) الحدِب : المتعطف. (٣) لهى جمع لهوة وهى أعظم العطايا وأجزلها. (٤) كثبٌ : قريبٌ. (٥) الجارُ الجنب : جارك من غير قومك. (٦) أمسحها : أحسّنها. (٧) أوغل : يقال أوغل فى الشىء : اذا ذهب فيه وأبعد (٨) الشغب : الكلام يؤدّى الى الشر.

تَشكُرُها الفُرْسُ فى مديحك للـ ـمَعنَى، وترضَى لسانَها العَرَبُ
يُظهِرُ منها السرورَ حاسِدُها ضرورةَ الحقِّ وهو مكتئبُ
يُطرِبه البيتُ وهو يُحزِنُهُ ومن أنينِ الحمامةِ الطَّرَبُ
يا آل "عبد الرحيم" لا تزل الـ ـدنيا رحًى، أنتُمُ لها قُطُبُ
إن تفضُلوا الناسَ والحسينُ لكم ومِنكُمُ، فافضلوا، فلا عَجَبُ!
فـدَاكُمُ خاملون لو كَاثَرُوا الـ ـرملَ بأعدادهم لما حُسِبوا
لا يَخلُقُ العَدلُ فى خلائقهم لينًا، ولا يُكرَمُونَ إن شربوا
أخَّرَ أقدامَهم وقدّمكم أنّهُمُ يحسبون ما كَتَبوا

✦ ✦ ✦

وقال وكَتَب بها الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب رحمه الله تعالى

قالوا رَضيتَ قلتُ ما أجدَى الغَضَبْ ما غالبَ الدهرُ فتًى إلا غَلَبْ
كيف أبالى قُبْحَ ما خيَّبنى؟ اذا علمتُمْ كيفَ أجملتُ الطلَبْ
اذا اجتهدتُ لم يَعِبْنى فعلُهُ ما لم يَجِبْ، وما قَضَيتُ ما وَجَبْ
يلومنى على الهُزال راتعٌ يحسَبُ ما أسمنَهُ مما اكتسبْ
ومن يَرَأْ[1] من بِلّة الخِصْبِ دَرَى أنّ الحظوظَ منحةٌ بلا سَبَبْ
لله ما أبصرَنى بزَمَنِى! لو سَلِمَ المَجلومُ[2] من عَيْبِ الأزَبّ[3]
جَنباىَ للحَمْلِ، وجاء لائما أملسُ لم يَقمِص[4] لعضّات القَتَبْ
جرِّبْ كما جرَّبتُ فى الناس تجِدْ أصدقَ ظنٍّ الذى فيهم كذبْ
تستحفل الضَّرعَ فإن لامستَه عاد بَكِيئًا[5] جلدُه بلا حلَبْ

(١) يَرَأْ: يمتلئ من الطعام، وفى الأصل: يرا. (٢) المجلوم: المحلوق. (٣) الأزبّ: كثير شعر الوجه والعثنون. (٤) يقمص: يثب. (٥) البكيء: الناقة قل لبنها وفى الأصل "بكيًا".

إنك ما استعففتَ أنتَ المُجتبَى ... وما تطفتَ[1] فأنتَ المُجتنَبْ
نذيرةٌ فلو قبلتَ نُصحَها ... تَوقَّ مَن تأمنُ واهجرْ مَن تُحِبّْ
كم من أخٍ ملأتُ كفّيَّ به ... أحسبُ في الوفاء غيرَ ما حسبْ
حَمَلتُه أطوى حياءً عيبَهُ ... كما حملتَ[2] جلديك الجربْ
وحالياتٍ من جَمالٍ ونَسَبْ ... نفَّرهُنّ عَطَلى من النشبْ[3]
بكَرْنَ إشفاقاً يعبنَ مَقعَدى ... على الخمول : ما لهذا لا يثبْ؟
نراه تحتًا ونرى مَنْ تحتَه ... في الفضل فوقًا، يا لهَذا من عَجَبْ!
أمَا جَنَى خيرا له آدابُهُ، ... أعاذكُنَّ اللهُ من شرِّ الأدبْ
هو الذى أخّرنى مَشارفَ[4] ال ... سبق، فأظمَا شفتى على القَرَبْ
لا تغترِرنَ بابن أيّوبَ اذا ... أُعجِبَ منه بالصفايا[5] والنُّخَبْ
فإنه ممّن ترينَ واحدٌ ... وليس كلُّ معدنٍ عرقَ الذهبْ
يطلبه قومٌ، وما اجتهادهم ... في حلبةٍ مُدركُ رأسٍ بذَنَبْ
أكلُّ من تشجّرتْ نسبَتُهُ ... صحَّ له البطنانِ من خالٍ وأبْ!
وساعدَتْهُ يدُهُ ونفسُهُ ... بالفضل والبذل فسادَ ووَهَبْ
تزحزحوا -- فليس من أوطانكم ... للأسَد الوَرْدِ[6] عن الغاب الأشَبْ[7]
ولا يروقَنّكُمُ تشادُقٌ ... فتحسبون كلَّ مَن قالَ خَطَبْ

(١) كذا بالأصل ولعلها : تطفّلتَ . (٢) كذا بالأصل وهو مكسور وفى بعض النسخ ورد هكذا ولعله الصواب

* حزما كما حَمَلتَ جلديك الجَرَبْ *

(٣) النشب : المال والعقار . (٤) المشارف : الأعالى من الأرض وقد استعاره هنا للسبق .
(٥) الصفايا والنخب جمع صفىّ ونخبة وهما ما يُصطفى ويُنتخَب . (٦) الورد : الأحمر الضارب الى الصفرة . (٧) الأشب : الملتف من الشجر.

دَعُوا قنا الأقـلامِ إن نكصتُمُ ... لحاذقِ الطعنِ اذا شاء كَتَبْ

من تاركى السـيوفِ وهْى زُبَرٌ(١) ... شـدائدٌ أسرَى لجـزّارِ القَصَبْ

قومٌ اذا نار الوغى شَبَّتْ لهـم ... كتائبا فَلُّوا شَـباها بالكُتُبْ

إن شوورِوا لم يَعجلوا أو سُئلوا ... لم يَقِـفوا تلفُّتًا الى العُـقُبْ

لا ظَهرُهـمْ لِغيبَةٍ إن ذُكروا ... يوما، ولا ماحِهُـمُ عـلى الرُّكَبْ(٢)

وقَصَّ(٣) آثارَهُـمُ محمـدٌ ... شهادةٌ، إنَّ النجيبَ ٱبنُ النُّجُبْ

فلا تَزَلْ نوافـذٌ صـوائبٌ ... يُصمَى بها الحاسدُ أو يَرضَى المحبْ

ما شُكِرتْ صنيعةٌ أو ظَهَرتْ ... مودّةٌ خالصـةٌ من الرِّيَبْ

١٤ وٱختلف النيروزُ والعيـدُ، وما ... توافقا فى بُعْـدٍ ولا قُـرُبْ

تأخـذ ما تشاء من حظَّيهما ... مقـترحًا محتكما وتَنْتَصِـبْ

وزائراتٍ(٤) طَيَّبَتْ أعطافَهـا ... منـك بذكرٍ لو عَدَاك لم تَطِبْ

جَـواريًا مـع الرياح بالذى ... أوليتَ، أو سَواريًا مع السُّحُبْ

كلُّ فتـاةٍ قـرّ لى شِمَاسُها(٥) ... وذَلَّ فى فودىَّ منها ما صَعُبْ

تلقاك نفسا حرّةً من فارسٍ ... بنتَ الملوكِ، وفمًا من العَـرَبْ

تُروَى، فلو أطربَ شيءٌ نفْسَـهُ ... لقـد سمعتَ من قوافيها الطرَبْ

أَضحَى وراحَ حاسدى إن قلتُهـا ... وحاسـدوك إن علوتَ فى تَعَبْ

---

(١) الزبر جمع زُبْرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٢) يقال : ملحه على ركبتيه أى لا وفاء له وفى الأساس : "فلان ملحه موضوع على ركبتيه" أى هو كثير الخصومات كأن طول مجاثاته ومصاكّته للركب قرّح ركبتيه فهو يضـع الملحَ عليهما يداويهما به . (٣) قَصَّ : ٱقتفى . (٤) يريد بقوله "وزائرات" قصائده . (٥) الشماس : الٱمتناع والإباء .

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبي طالب بن أيّوب أيضا

أَصَبتُ لو أَحْمَدْتُ أن أُصيبا ... وفزتُ لو كان الجحا المطلوبا
وراضَ منّى الدهرُ ظَهْرا لم يكن ... ـلو أَنْصَفَ الحظُّ له ـ مَرْكوبا
أقسَمَ لا ازددتُ به فضيلةً ... دهرِىَ إلا زادنى تعذيبا
فكلّما آنستُ منه بأذًى ... بَقّاهُ واستأنف لى غريبا
رَميتُ حظّى بوجوهٍ حِيَلى ... فلم أُصِبْ ولم أقَع قريبا
تنزّهٌ يُعابُ أو محاسنٌ ... محسودةٌ محسوبةٌ ذُنوبا
أُنظر الى الأقسام(١) ما تأتى به ... متى أردتَ أن ترى عجيبا
تَجْمَعُ بين الماءِ والنارِ يدٌ ... وما جَمَعْتَ الرزقَ والأديبا(٢)
ليتَ كفانى الدهرُ مَعْ تخلُّصى ... مكروهَهُ كما كَفَى المحبوبا
أو ليتَ أعدّى خُلُقِى جنونُهُ ... فكنتُ لا سَمْحًا ولا لبيبا
يا صاحبَ الزمانِ مغترًّا به ... أنتَ دَمٌ فاحذرْ عليك الذيبا
تبعثُ ألحاظُك من وفائه ... بارقةً صَيفيّةً خَلوبا(٣)
سَلْنِي به وقِسْ علىّ معَهُ ... فقد قتلتُ أهلَه تجريبا
بَعدَ عنائى واجتهادى كلِّه ... بالأرض حتى وَلَدَتْ نجيبا
جاءت به بعد التراخى غَلَطًا ... ثم نَوتْ من بعدُ أن تتوبا

(١) الأقسام : الحظوظ . (٢) يقول : أن تجمع اليد بين الضدّين الماء والنار أصعب من الجمع بين الحظ فى الرزق والفهم ، ولعله من قول المتنبي

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى ... بأصعبَ من أن أجمع الجدَّ والفهما

(٣) فى الأصل " حلوبا " وهو تحريف .

أبلجَ بسّـامَ العشيّ واضحـا ... ريّانَ مخضرّ الثرى رطيبا
تصفو المدامُ وتروقُ ما آنتمتْ ... حُسْـنًا الى أخلاقه وطيبا
للمجد قومٌ وقليـلٌ ما هُـمُ ... وفى القليـل تجِـدُ المطلوبا
كالنجم للباغِ المديد بُعْـدُه ... وللعيون أن يُرَى قريبـا
لا تشكُرنَّ من قِنًى فضيلةً ... وليس فيهـا مُعْـرِقا نسـيبا
فإنما أعطَى "آبنَ أيّوبَ" المَدَى ... فى الشرف آقتفـاؤه "أيّوبا"
يا لابسَ الكمال غيرَ مُعْجَبِ ... تركتَ كلَّ لابسٍ سليبـا
إن غادر الشكرُ لسـانًا ناكلا[1] ... وكان سيفا قبله مذروبا[2]
فقد عَقَـدتَ لَسَنِي[3] وقُدتنى ... بالطَّـوْلِ فى حبـاله جنيبا[4]
حَسبتُ أعداد الحصى ولم أُطِقْ ... عدَّ الذى أوليتنى محسـوبا
فى كلّ يومٍ شارقٍ معـونةٌ ... تَبْرُدُ حرَّ جَوْرِه المشـبوبا
ونعمةٌ تسـير فى نُضوحها ... خَرْقَ[5] الجديب فيُرَى خصيبـا
يُخجلنى آستقبالُها فتحسَب الـ ... ـعينُ آبتسامى نحوَها قُطوبا
لو شئتُ لآسترحتُ من أثقالها ... إن كنتُ من مَكرُمةٍ متعوبا
كنتُ أخًا، فلم تزل تَسبُغنى ... باللّطفِ حـتى خِلتُنى حبيبا
فإن قَضَى الثناءُ حقَّ نعمةٍ ... أو كاد أن يَقضِيَها تقريبا
وأقنعَ الميسـورُ فاحبسْ شُرَّدًا ... تَسألُ عنهـا الشمألُ الجَنوبا
يَعلَقُ بالعِـرضِ الكريمِ نَشرُها ... وهى به طائرةٌ هُبـوبا

(١) ناكلا: ناكصا. (٢) المذروب: المحدود. (٣) اللدن: الفصاحة. (٤) الجنيب: يقال جنبه أى قاده الى جنبه فهو جنيب. (٥) الخرق: القفر.

اذا بنيتُ البيتَ منها ودّتِ الـ ـأسماعُ لو كانت له طُنُوبا (١)
يَخْلُدُ مسموعا ويُغنِي كلَّما عَوَّضتَ مُهْدًى عنه أو موهوبا
عُدَّ السنينَ صومَها وفِطرَها تُخْفُ مَقروءا به مكتوبا

وقال وكتب بها الى مؤيَّد السلطان أبى القاسم بن الأوحد ذى السياستين أبى محمد ابن مُكْرَم ، يشكره على ملاطفةٍ جميلةٍ لاطفه بها، ودنانيرَ حملها اليه سنيّةٍ، وجوابٍ أجاب به عن كتبه، يشكر منالَه ويصف فيها السفينةَ، وقبيحَ وساطةِ غلامٍ أُنفِذت الهديّةُ على يده، وتعرُّضَه لها واستبدادَه ببعضها، ويذمُّ الغلامَ ويسأل الغرامة، وأنفذها فى صفر سنة تسع وأربعمائة

سَلَا دارَ البخيلةِ "بالجناب" (٢) متى عَرِيَتْ رُباكِ من القِبابِ ؟
وكيفَ تشعَّبَ الأظعانُ صبحا بدائدَ (٣) بين وُهْدِكِ (٤) والشِّعابِ ؟
بطالعةِ (٥) الهلال على "ضُمَيرٍ" (٦) وغاربةٍ كمنقَضِّ الشِّهابِ
حَمَلْنَ رشائقًا ومبدَّناتٍ رماحَ الخَطِّ تَنبُتُ فى الرَّوابى
وأين رضاكِ عن سُقيَا دموعى ربوعَكِ من رضاكِ عن السحابِ
بكيتُكِ للفراقِ ونحنُ سَفْرٌ (٧) وعُدْتُ اليومَ أبكى للإيابِ
وأمسحُ فيكِ أحشائى بكفٍّ قريبٍ عهدُها بحشا "الرَّبابِ"
لها أَرَجٌ بما أبقاه فيها تصافُحُ بعدُ من ريحِ الخضابِ
أمفصِحةٌ فأطمعَ فى جوابٍ ؟ وكيف يُجيبُ رَسْمٌ فى كتابِ ؟

(١) الطنوب جمع طنب بضم الطاء، والنون وهو الحبل يشدّ به سرادق البيت . (٢) الجناب : اسم وادٍ .
(٣) بدائد : متفرقة . (٤) الوُهْد جمع وَهْدٍ وهو ما انخفض من الأرض . (٥) فى الأصل : "بطالعه" وهو تحريف . (٦) ضمير : اسم بلدة . (٧) السفر : جماعة المسافرين .

نَحَلتِ ففى ترابِكِ منكِ رَسْمٌ ... كما أنى خَيالٌ فى ثيابِى
وفى الأحداج مُتعبةُ المَطَايَا ... تُلينُ عرائكَ الإبلِ الصِّعابِ
بَعيدَةُ مَسقِطِ القُرْطَيْنِ تُقْرَا ... خُطوطُ ذؤابَتَيْها فى التراب
تَجَمَّع فى الأساورِ معصَماها ... ويَقلَقُ خصرُها لكَ فى الحِقَاب
تَعيبُ على الوفاءِ نحولَ جسمى، ... ألا بالغـــدر أجدرُ أن تُعابِى !

وما بِكِ أن نَحَلتُ سوى نُصولٍ ... من السنواتِ أسرعَ فى خِضابى
جزِعت له كأنَّ الشَّيبَ منـه ... يَسُلُّ عليكِ نَصْلًا من قِرابِ
فما ذنبى اذا وقَعتْ عُقابٌ ... من الأيّام طار لها غرابى ؟
وقد كنتُ الحبيبَ وذا نحولى ... وهـــذا فى العريكة حدُّ نابى
ليالىَ لِى من الحاجاتِ حُكْمِى ... وليس وسيلةٌ بسوى شبابى

* * *

ألا لله قلبُـــكَ من حَمولٍ ... على علّاتِ وَصْـلٍ وٱجتنابِ
وحُبُّكَ من وَفِىِّ العهدِ باقٍ ... على بُعْـــدٍ يُحيـلُ أو ٱقترابِ
هوًى لكَ فى جبالِ "أبانَ" ثاوٍ ... وأنتَ على جبالِ "عُمانَ"(١) صابى
وكان المجدُ أعودَ حين يَهوى ... عليـكَ من المَهَفهَفة الكَعابِ
وإن وراء بحرِ "عُمانَ" مُلْكًا ... رطيبَ الظلِّ فَضفاضَ الرِّحابِ
رقيـقُ عيشُـــهُ عَطِرٌ ثراهُ ... بِطُرَّاقِ الفضائلِ غـيرُ نابى
متى تنزِلْ به تنزِلْ بوادٍ ... من المعروفِ مَرعىِّ الجنابِ
يدبّره من الأمراء خِرْقٌ(٢) ... يَذِلُّ لعـــزِّه غُلْبُ(٣) الرِّقابِ

(١) كلمتا "جبال" الواردتان فى هذا البيت وردتا فى الأصل "حبال"، وأبان : اسم جبل، وعمان : بلد باليمن . (٢) الخِرْقُ : السخىّ والفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) الغلب جمع أغلب وهو الذى غاظت عنقه .

وَفَى ذُو المجدِ سَبَّاقًا فوافَى ... يحلِّق عُرْفُه والنجمُ كابِ
وقامَ بنفسِه يسعَى ففاقَتْ ... غريزةُ نفسِه شَرَفَ النِّصابِ (١)
وبانَ به لعينِ أبيهِ بَوْنٌ ... أراه الشِّبلَ أغلبَ ليثَ غابِ
على زَمَنِ الحَداثةِ لم يُفتْهُ ... تقدُّمُ شِيبهم قَدَمَ الشَّبابِ
سَمَا لمكانهم وهُمُ شموسٌ ... فطال الطودُ أعناقَ الهضابِ
وسيِّدُ قومِهِ من سوّدوه ... بلا عَصَبيّةٍ وبلا مُحابِ (١٦)
وقُدّم بالفراسةِ وهو طِفْلٌ ... تُحلَّلُ عنه أُنْشِطةُ (٢) السِّخابِ (٣)
وما تَرَكُ الشريفِ على بنيه ... وهم منه، تَجاوُزَهُ بعابِ
وإن كان الفتى لأبيه فَرْعًا ... فإن الغيثَ فَرْعٌ للسحابِ
بَلَوْهُ وجرَّبوا يوميه نُعمَى ... وبأسًا فى السكينةِ والوِثابِ
فما ظَهَروا مُخاطَبةً بوانٍ ... وما ظَفِروا مُضارَبةً بنابِ
ولا عدِموا به لَسَنًا (٤) وقَطْعًا ... عمائقَ فى الإصابةِ والصوابِ
لذلك جاوروا بالبحرِ بحرًا ... كِلَا كرميْهما طاغى العُبابِ
يقول لِيَ الغنَى ورأى قُعودى ... عن السعى المموِّلِ والطِّلَابِ
وعفةَ مذهبى ظَلَفًا (٥) ومَيْلى ... الى العيش المُرَمَّق (٦) وانتصابى :
أرى لك فى لو خاطرتَ مَرْعًى ... يبدِّلُ صحّةً أُهَبَ (٧) الجرابِ
أما لكَ فى بحارِ "عمانَ" مالٌ ... يسُدُّ مَفاقِرَ الحاجِ الصِّعابِ ؟
ومَولًى يوسعُ الحُرُماتِ رَعْيًا ... ويَعمُرُ دارسَ الأملِ الخرابِ

(١) النصاب : الأصل . (٢) أنشطة : يريد بها جمع أنشوطة وهى عقدة يسهل حلّها مثل عقدة التكة .
(٣) السخاب بوزن كتاب : قلادة من سُكّ وقرنفل ومحاب بلا جوهر ، والسُّكّ : طيب يعجن و يقرص و يترك يومين ثم يثقب بمسلة و ينظم فى خيط قُنّب وكلما عَتُقَ طابت رائحته . (٤) اللَّسَنُ : البيان .
(٥) الظَّلَفُ : الزُّهْدُ (٦) المرمَّق : الذى يُتَبلَّغ به (٧) أهب جمع إهاب والجراب جمع أجرب .

لعلَّ "مؤيَّدَ السلطانِ" تحنو عواطفُ فضله بعدَ اجتنابِ
قفلتُ ودونه متـــلاطماتٌ زَواخرهنَّ كالأُسْـدِ الغِضابِ
صَواعدُ كالجبال اذا أحسَّتْ نسـيمًا، أو نوازلُ كالجَوابي (١)
وأخضرُ لا يروق العينَ يُطْوَى عـــلى بيضاءَ سوداءِ الإهابِ (٢)
تجـاذبه الأزمَّةُ من حديدٍ فَيَقمِصُ أو يُقطِّر في الجذابِ (٣)
اذا خُوصُ(٤) الرِّكاب شكون ظمْأً شكى رُكبانُها شَرَقَ الرِّكابِ
يروعُ حُـداءُ أحبُشِها النَّواتي(٥) اذا شاقتـــك حاديةُ العِرابِ (٦)
اذا عثَرتْ فليس تُقالُ ذنبـا وإن صدَعتْ فليست لانشعابِ
ولستُ بسابحٍ فأقولُ : أنجـو عسى إن ظهـــرُها يوما كَآبى
اذا حَلمَتْ بها في النوم عيني طفقتُ أجُسُّ هل رَطِبتْ ثيابي ؟
ومالي والخطارَ وقـــد سَقَتْني سماءُ يديهِ من غـير آغـترابِ
وجاءتني مَواهبُـــهُ بعيـــدا بأفضـلِ ما يجيءُ مع آقترابِ
رغائبُ من يديه فاجأتني وَفَيْنَ رِضًا بآمالي الرِّغابِ
وزِدنَ على حساب مُنايَ لكن "وِشاحٌ"(٧) لم يكُنْ لي في حِسابي
ندًى وَصَلَ السماحَ به ولكن تولَّى عنـــه حاجبُه حجابي
أمرتَ بها(٨) كعرضك لم يُدنَّسْ بلا غِشٍّ يشوبُ ولا آرتيابِ
من الذهب الصريح فصار ممّا يُبَـــدَّلُ في يديه الى الذَّهابِ

(١) الجوابي جمع جابية وهي الحوض الضخم . (٢) يصف بقوله "وأخضر" البحر و بقوله "بيضاء سوداء الإهاب" سفينة معلّية الجرْم بالحبر والقار . (٣) يقطّر : يُلقَ على قُطره أي جانبه .
(٤) خوص جمع خوصاء وهي التي غارت عينها . (٥) النواتي : جمع نوتيّ وهو ملّاح السفينة .
(٦) العراب : الإبل المنسوبة للعرب ، وفي الأصل "الغراب" . (٧) وشاح : اسم غلام الأمير الذي ناوأ الشاعر على جوائزه . (٨) يريد بقوله "أمرت بها" الصلة أو الجائزة .

وقاسَمَنى مُناصَفةً عليه وجاحَدَنى ليحبسه كتّابى (١)

وقال ولم يهبكَ ولم يَصُنِّى : كذلكَ فيكَ منذُ سنينَ دابى

اذا حُمِّلتُ رِفْدا أو كتابًا اليكَ لواه نَهْبِي وٱغتصابى

مَكارمُ سقتهنّ الى محبٍّ ففاز بها مُغيرٌ لم يُحابِ

بعثتَ بها الخشون، فضاع سِرْبٌ أمنتَ عليه غائرةَ الذئابِ

ولولا أنّ خدمته وَقَتْهُ وحُرمةَ عزِّ بابك والجنابِ

لَمَا سَلِمَ البعوضُ على عُقاب ولا عُضَّ الهزبرُ بشرِّ نابِ

أَدَلَّ بكم فأخمَنى، وكانت نواحيه ما كلَّ للسِّبابِ

فجَلَّ عن الهجاء بذاك عندى وقَلَّ بما أتاه عن العتابِ

سُلِبْتُ نداك فى ناديك ظلما بغارةِ صاحبٍ لك فى الصحابِ

ثلاثَ سنينَ حَوْلا بعدَ حَوْلٍ بكفِّ "وِشاحَ" مُقتَسَمٌ نِهابى

وأنتَ خفيرُ مالكَ أو يؤدّى الىَّ ولو بمنقطع التراب

اذا أنصفتنى فعليك دَيْنًا غَرامةُ ما تجمَّع فى الحسابِ

أعدْ نظرًا فكم أغنيتَ فقرًا به وجَبرتَ كَسْرًا من مُصابِ

وكم نوديتَ يا بحرَ العطايا فجاء البحرُ بالعجبِ العُجابِ

وَفَتْ فيك المنى وقضتْ نُذُورى فَوَفِّ عُلاكَ حقّ تُرضِها بى

وفى يدك الغنى فابعث أمينا الىّ به وصيِّرهُ جوابى (١٧)

ولا تُحوِجْ ظِماىَ الى قَليبٍ سواك على مُقامى وٱنقلابى

أُذكِّرك الذى ما كنتَ تنسَى سُفورى تحت ظلّك وٱنتقابى

وإنى إن بلغتُ النجمَ يومًا لكان الى صنيعتك ٱنتسابى

(١) يريد وجاحدنى كتابى ليحبس عنى الذهب.

✣

وقال فى معنًى عَرَضَ له

مَنْ بِسَلْمٍ مُطْلِعٌ لى قمـرا طال مَغيبُـهْ ؟
وأصـيلا بالحِمَى نُغِّـ ـصَ بالعاذل طِيبُـهْ
كلُّ شىءٍ حَسَنٍ حا شاك(١) فالعين تُصيبُهْ
عنَّفوا القلبَ على قَا تِلِهِ وهو حبيبُـهْ
كلُّ جُرْمٍ لك إلا الـ ـغَدْرُ(٢) فالقلب وَهُو بُهْ
وأقلُّ الناس ذَنْبًـا قادرٌ عُدَّتْ ذنوبُهْ

✣

وقال وقد أوجب عليه بعض الرؤساء المشهورين وهو أبو الحسين أحمد بن عبدالله الكاتب رحمه الله حقًّا أكّده بقصده إيّاه فى علّةٍ نالته، عائدا عِدّةَ دفعاتٍ من غير أن يكون سَبَق اليه بمعرفةٍ، ولاجرى بينهما لقاءٌ إلا بالذِّكر والصفة من الأستاذ أبى الحسَن المختار بن عبد الله الذهبىّ، وواصَلَ تفقُّدَه تبرُّعا وابتـداءً ما يوجب الشكر ويُعرَفُ مثلُه من أمثاله فى هـذا الوقت، وكتب بها اليه يشكره ويعتمد بفعله، وأنفـذها فى رجب سنة اثنتى عشرة وأربعمائة

هَوًى لى، وأهواءُ النفوسِ ضُروبُ تَجَانُبُ "قُوسى"(٣) أن تُهبَّ جَنوبُ
يدُلُّ عليهـا الريفُ أين مكانُهُ ويُخبِرها بالمُـزْنِ كيف يصوبُ

(١) ورد هذا البيت كما هو فى النسخة المطبوعة، وورد فى الأصل هكذا

كلّ شىء حسن فى العين تصيبه

وهو مختل وزنا ومعنى، ولو حافظنا على الأصل لعله يكون هكذا

كل شىء حسن فى الـ ـعين فالعين تصيبه

(٢) فى الأصل : "العزر" . (٣) قوسى : اسم بلدة، ومعنى البيت : أن هواه على اختلاف أهواء النفوس فى أن يجانب "قوسى" وهى البلدة التى بها محبوبه مخافة أن تهبّ عليها ريح الجنوب وهى ريح حارة تخالف الشمال، وقد كنى بها عن زفراته فى حرّها .

وتَمشِي على روضِ الحِمَى ثم نلتقي ... فيبلُغني منها الغداةَ هبوبُ
أمانِي بعيدٍ لو رآها لسرَّها ... مكانَ الحيا من مقلتيه غُروبُ
ودَمْع إذا غالطتُ عنه تشاهدَتْ ... قَوارفُ فى خدّى له ونُدُوبُ
عَلَى أنّ ذِكْرا لا تزال سهامُهُ ... تَرَى مَقْتَلا من مهجتى فتُصيبُ
إذا قيل "مَىٌّ" لم يَرُعْنى بحلمه ... حياءٌ، ولم يحبِسْ بكاىَ رقيبُ
أُعِير المنادى باسمها السمعَ كلّه ... على علمه أنى بذاك مريبُ
وكم لِىَ فى ليل الحِمَى من إصاخةٍ ... الى خَبَر الأحلامِ وهو كذوبُ
توقَّرُ منها ثم تسفَهُ أضلعى ... ويجُدُ فيها الدمعُ ثم يذوبُ
وما حبُّ "مىٍّ" غيرُ بُرْدٍ طويتُهُ ... على الكُرْهِ طىَّ الرِّثِّ(١) وهو قشيبُ(٢)
رأتْ شَعَراتٍ غيَّرَ البينُ لونَها ... فامست بما تُطريه أمسِ تَعيبُ
أساءكِ أن قالوا: أخٌ لكِ شائبٌ؟ ... فأسوأُ منه أن يُقالَ: خَضيبُ
ومن عجبٍ أنّ البياضَ ولونَه ... اليكِ بغيضٌ وهو منكِ حبيبُ!
أحِينَ عسا(٣) غُصْنى طرحت حبائلى ... الىّ، فهلّا ذاك وهو رطيبُ؟
تُظنِّنُهُ من كِبْرةٍ فرطَ ما انحنَى ... كأنْ ليس فى هذا الزمان خُطوبُ!
فعُدّى(٤) سِنِيه، إنما العهدُ بالصِّبا ... وإن خانه صِبغُ العِذارِ قريبُ
وفى خَطَلِ(٥) الرمح انحناءٌ، وإنما ... تُعَدُّ أنابيبٌ له وكعوبُ
همومىَ من قبل اكتهالى تكهَّلُ ... وغدرُكِ من قبل المَشيبِ مَشيبُ
وما كان وجهٌ يوقِدُ الهمَّ تحتَه ... لتُنكَرَ فيه شَيْبةٌ وشُحوبُ(٦)
لوانّ دَمِى حالتْ صَبِيغةُ لونِهِ ... مُبيِّضةً ما قلتُ: ذاكَ عجيبُ! (١٨)

(١) الرث: البالى. (٢) القشيب: الجديد. (٣) عسا: كبر. (٤) فى الأصل: "تعدّي" وهو تحريف. (٥) الخطل: الاضطراب. (٦) الشحوب: تغيّر اللون.

ألم تعلمى أنَّ الليـالى جحافلٌ ... وأنَّ مُداراةَ الزمانِ حروبُ ؟
وأنَّ النفوسَ العـارفاتِ بليّـةٌ ... وحمـلَ السجايا العالياتِ لُغوبُ[1]
يُسـيغ الفتى أيّامَهُ وهو جاهلٌ ... ويغتصُّ بالساعاتِ وهو لبيبُ
وبعضُ مَوَدّاتِ الرجالِ عقاربٌ ... لهـا تحت ظلماء العُقوقِ دبيبُ
تواصَوا على حبِّ النفاقِ، ودِينُهُ ... بأنْ يتنـافَ مَشْهـدٌ ومَغيبُ
فمـا أكثرَ الإخوانَ بل ما أقلَّهم ... على نائباتِ الدهرِ حين تنوبُ !
وقبلَ ٱبنِ عبـدِ الله ماخلتُ أنه ... يُرَى فى بنى الدنيا الوَلودِ نجيبُ
ألا إن بانى المجـدِ يَخلُصُ طِينُهُ ... وكلّ الذى فوق التراب مَشوبُ
سقى الله نفسا مذ رعت قُلَّةَ العُلا ... فكلُّ مَراعيهـا أعمُّ خصيبُ
وحَيًّا على رغم الغـــزالةِ غُرّةً ... إذا طلعتْ لم تَدْجُ حـين تغيبُ
وحصَّنَ صدرا قلبُ "أحمدَ" تحته ... يضيق ذراعُ الدهرِ وهو رحيبُ
من القوم بسّامون والجوُّ عابسٌ ... وراضون واليومُ الأصمّ[2] غضوبُ
رأوا بابنهم ليثَ الشرى وهو سارِبٌ ... لحاجتـــه ، والبحرَ وهو وهوبُ
فتًى سوّدته نفسُـهُ قبـل خَطِّه[3] ... وشابت عُلاه وهو بَعْـدُ ربيبُ
وقدّمه ـ أن يعلَقَ الناسُ عَقْبَهُ ـ ... سماحٌ مع الريح العَصوفِ ذَهوبُ
ورأىٌ على ظَهر العواقبِ طالعٌ ... إذا أخطأ المقـدارُ فهو مصيبُ
إذا ظنَّ أمرًا فاليقـينُ وراءه ... ويصدُق ظنٌّ تارةً ويخوبُ[4]
وخُلُقٌ كريمٌ لم يَرُضْـهُ مؤدِّبٌ ... تمطَّقَ[5] فُوه الثَّـدْىَ وهو أديبُ

(١) فى الاصل : "الغالبات" . (٢) اليوم الأصمّ : العصيب الشديد . (٣) قوله : "قبل خطّه" أى قبل نبت عذاره من قولهم : خَطَّ الغلامُ إذا نبت عذاره . (٤) يخوب : يأثم . (٥) تمطّق : تذوّق .

تحمّـــل أعباءَ الرياســةِ ناهضا ... بهـا قاعدا والحـادثاتُ وُثوبُ
وصاحتْ به الجُلّى لسدّ فُروجها ... فأقدَمَ فيها والزمانُ هَيوبُ
وكم عَجَمتْهُ النائبـاتُ فردّهـا ... رِدادًا وعاد النُّبْعُ[1] وهو صليبُ
هناك اتفاقُ النـاسِ أنك واحدٌ ... إذا كان للبـدر المنـير ضريبُ
وأعجبُ ما فى الجودِ أنك سالبٌ ... به كلَّ ذى فضل وأنتَ سَليبُ !
أأنسَى لك النُّعمى التى تركَتْ فى ... يُصَـعِّدُ يبغِى شُكرَها ويَصوبُ ؟
ملكتَ فؤادى عنـد أوّل نظرةٍ ... كما صـاد عُذريًّا[2] أغنُّ ربيبُ
وكنتُ أخاف البـابليَّ وسِحـرَهُ ... ولم أدر أن الواسطيَّ[3] خَلوبُ
وغَنّـاك أقوامٌ بوصـفِ مَناقبى ... فَرُنِّحَ نَشـوانٌ وحَنَّ طروبُ
رفعتَ مَنـارَ الفخرِ لى بزيارةٍ ... وسَمْتَ بها مَغْنايَ وهو جديبُ
وكنتَ لداءٍ جئتنى منـه عائدا ... شفاءً، وبعضُ العائدين طبيبُ
وأنهلتَنى من خُلْقك العذبِ شَربةً ... حَلَتْ لى، وما كلُّ الدواء يطيبُ
ولـما جلا لى حُسنَ وجهك بِشْرُهُ ... تبـيَّنَ فى وجه السَّـقام قُطوبُ
أجبتَ وقد ناديتُ غيرَك شاكيا ... وذو المجـد يُدعَى غيرُهُ فيُجيبُ
فَطِنتَ لهـا أُكْرومةٌ[4] نام غَفْلةً ... من النـاس عنها مائقٌ وأريبُ
ذهبتَ بها فى الفضل ذكرًا بصوته ... سبقتَ، فلم يقدر عليك طَلوبُ
لئن كان فى قسْم المكارم شَطرُها ... فللدِّين فيهـا والولاءِ نصيبُ
وإنأكمن "كِسْرَى" وأنت لغيره ... فإنىَ فى حبّ "الوصىّ" نسيبُ
سـتَعلَمُ أنَّ الصُّنع ليس بضائعٍ ... علىّ، ولا الغَرسَ الزكىَّ يخيبُ

(١) النبع : شجر تعمل منه القسىّ والسهام . (٢) عذريًّا : رجلا من بنى عُذرة وهم قوم مشهورون بالعشق . (٣) البابلىّ والواسطىّ نسبة الى بابل وواسط . (٤) الأكرومة : فعل الكرم .

وتحمَـدُ منّى ما سـعيتَ لكسبِه ... وما كلّ ساعٍ فى العَلاء كسوبُ
ومهما يُثِبْك الشـعرُ شكرا مخلّدا ... عليها، فإنّ اللهَ قبلُ يُثيبُ
وتَسمعُ فى نادى النَّدى أىَّ فِقْرةٍ (١) ... يقوم بهـا فى الوافدين خطيبُ
متى آمتدّ بى عُمرٌ وطالت مودّةٌ ... فربعك حُسنٌ من ثَنائى وطِيبُ
ودونك منى ضَيغمٌ، فُوهُ فاغرٌ (٢) ... متى ما دنا من سَرْح عِرضك ذيبُ
محاسنُ قومٍ وَسمةٌ فى جباههـم ... ولى حسـناتٌ سِرُّهن غُيوبُ
وما الحُسنُ ما تُثنِى به العينُ وحدَها ... ولكنّ ما تُثنِى عليـه قلوبُ
لقد عَقَلَتْ دنياك مذ قيَّضتْك لى ... وراح عليها الحِـلمُ وهو غريبُ
أظنُّ زمانى إن زجرتَ صروفَه ... سـيرجع عمّـا ساءنى ويتوبُ
تخاتلنى الأخبارُ ـ أخلبَ برقُها ـ ... بأنك يا بـدرَ الـكمال تغيبُ
فأمسِكْ قبلَ البين أحشاءَ مُوجَع ... لهـا بين أثناء الحـذار وجيبُ
بأىّ فؤادٍ أحمل البعدَ، والهوى ... جديدٌ، وذا وجدى وأنتَ قريبُ
فلا تصـدَع الأيّامُ شملَ محاسنٍ ... تُسـافر مصحوبا بهـا وتؤوبُ
ولا تعـدَم الدنيا بقاءَك وحدَه ... فإنك فى هذا الزمان غريبُ

* * *

وقال يمدح سيّد الوزراء مؤيّدَ الملك أبا علىٍّ الرُّخْجىَّ، ويشكر إنعامَه فى تقديمه وإكرامه، وتطوّلَه فى تحسين وصفه وتقريظه، ويعتذ لإحسانه بعاداتٍ مُواصلة فى القول والفعل، عَقيبَ تقلّدِه الوزارةَ بعد آمتناعه من الدخول فيها، ومدافعتِه بالتلبّس بها، وذكر ذلك فى القصيدة وماظهر من آثاره فى النظر، بعد نكول من سبقَ من الوزراء، وأنشدها بحضرته فى الدار بباب الشعير .

(١) الفقرة : أجود بيت فى القصيدة . (٢) فاغر : مفتوح .

إذا عمّ "صحراءَ الغُمَيرِ" جُدوبُها ... كفى دارَ "هندٍ" أنّ جفني يصوبُها

وقفتُ بها والطَّرفُ ـ مما توحّشتْ ـ ... طريدُ رباها، والفؤادُ جَذيبُها

وقد دَرَسَتْ، إلا نشايا[1] عواصفٌ ... من الريح لم يَفطُنْ لهنّ هُبوبُها

خليليَّ، هذى دار أنسى، وربما ... يَبينُ بمشهودِ الأمور غُيوبُها

قِفا نتطوّعْ للوفاء بوقفةٍ ... لعلّ المُجازِى بالوفاء يُثيبُها

فلا دارَ إلا أدمعٌ ووكيفُها ... ولا "هندَ" إلا أضلعٌ ووَجيبُها

وعَيَّرتُماني زفرةً خَفَّ وَقدُها ... مَليًّا، وعيناً أمسِ جفَّتْ غُروبُها

فإن تك نفسى أمسِ فى سلوةٍ جَنَتْ ... فقد رجع اليومَ الهوى يَستتيبُها

وإن يُفْنِ يومُ البين جُمَّةَ أدمعى ... فعندَ جُفونى للديار نصيبُها

تكلّفنى "هندٌ" ـ إذا ألتحتُ[2] ظامئا ـ ... أمانىَّ لم تُنهَزْ لِرىٍّ ذَنُوبُها[3]

وأطلبُ أقصَى ودّها أن أنالَهُ ... غلاباً، وقد أعيى الرجالَ غَلوبُها

بمنعطف الجزعَين لَمياءُ لو دَعَتْ ... "بمدينَ" رُهباناً صَبَتْ وصليبُها

إذا نهض الجاراتُ أبطأَ دِعْصُها[4] ... بنهضتها، حتى يخفَّ قَضيبُها

تَبسَّمُ عن بِيضٍ صوادعَ فى الدجى ... رِقاقٍ ثناياها، عِذابٍ غُروبُها

إذا عادتِ المسواكَ كان تحيَّةً[5] ... كأنّ الذى مسّ المساويكَ طِيبُها

وكم دونَ "هندٍ" رُضْتُ من ظَهرِ ليلةٍ ... أشدَّ من الأخطارِ فيها ركوبُها

فنادمتُها والخوفَ، تُرْوِى عِظامَها الـ ... ـمدامُ، ويَرْوَى بالبكاء شَريبُها

---

(١) نشايا جمع نشيّة وهى الرانحة . (٢) ألتحتُ : عطشتُ . (٣) الذَّنوب : الدلو .

(٤) الدعص : قطعة من الرمل مستديرة . (٥) يشير الشاعر هنا الى عادة من عادات العرب فى أعيادهم وهى أنهم كانوا اذا حيّوا يقدّمون الريحان تحيّةً وكان ذلك فى يوم من أيامهم اسمه "يوم السباسب" وفيه يقول النابغة :

رقاقُ النعال طيّب حجراتهم ... يحيّون بالريحان يومَ السباسبِ

فيكون معنى بيت مهيار : أنها اذا آستاكت فسواكها يكون ريحانة يحيّى بها لما ناله من نكهتها .

إذا شربتْ كأسا سَـقَتْنى بمثلها ... من الدمع، حتى غاض دمعى وكُوبُها (١)

حَمَى اللهُ بالوادى وجوها كواسيا ... إذا أوجهٌ لم يُكْسَ حُسْنا سَليبُها

بَوادىَ وَدَّ الحاضرون لو أنها ... مَواقعُ ما أَلقتْ عليه طُنوبُها

إذا وصَفَ الحُسْنَ البياضُ تطلَّعَتْ ... سَواهِمُ (٢) يُفْدَى بالبياض شُحوبُها

ولله نفسٌ، مِن نُهاها عذولُها ... ومِن صَونِها - يومَ العُذَيْبِ - رقيبُها

لكلِّ محبٍّ يومَ يظفَرُ رِيبةٌ، ... فَسَلْ خَلَواتى: هل رأت ما يريبُها؟

إذا اختلطت لذَّاتُ حُبٍّ بعاره ... فأنعَمُها عنـدى الذى لا أُصيبُها

وساء الغوانى اليومَ إخلاقُ لِمَّتى (٣) ... فهـل كان ممّا سَرَّهنّ قشيبُها؟

سواءٌ عليها كَثَّها (٤) ونَسيلها (٥) ... وناصلها (٦) من عِفَّتى وخضيبُها

وتعجَبُ أن حُصَّتْ (٧) قوادمُ مَفرِق (٨) ... وأكثرُ أفعالِ الزمانِ عجيبُها!

ومن لم تغيّره الليالى بعـدّه ... طِوالَ سِنيها غَيَّرته خُطوبُها

إذا سُلَّ سيفُ الدهر والمرءُ حاسرٌ (٩) ... فأهون ما يَلقى (١٠) الرءوسَ مَشيبُها

يعـدِّد أقـوامٌ ذُنوبَ زمانهم ... فمن لى بأيّامٍ تُعَـدُّ ذُنوبُها

يقولون: دارِ الناسَ تَرْطُبْ أكفُّهم ... ومَنْ ذا يدارى صخـرةً ويُذيبُها؟ (٢٠)

وما أطمَعَتْنى أوجهٌ بابتسامها ... فيُؤْيِسَنى ممّا لديها قُطوبُها

وفى الأرض أوراقُ الغنى لو جَذبتُها ... لَرَفَّ على أيدى النوال رطيبُها

إذا إبِلى أمستْ تُماطَلُ رَعْيَها ... فهـل يَنفعَنّى من بلادٍ خَصيبُها؟

---

(١) الكوبُ: كوز لا عروة له. (٢) سواهم: متغيرات. (٣) اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن. (٤) الكث: كثرة شعر اللحية. (٥) النسيل: ما يسقط من الشعر والريش. (٦) الناصل: الخارج من الخضاب. (٧) فى الأصل "خصّت" وهو تحريف، وحُصَّتْ من قولهم: رجلٌ أحصّ أى قليل شعر الرأس. (٨) المفرق: وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر. (٩) الحاسر: من لا مغفر له ولا درع أو لا جُنَّة له. (١٠) فى الأصل "تاق".

عَذيريَ من باغٍ يودّ لنفسه ... نزاهةَ أخلاقي، ويُمسي يَعيبُها
إذا قَصّرتْ عنّي خُطاه أدَبَّ لي ... عقاربَ كيدٍ غيرُ جِلدي نسيبُها
ومِن أمَلي في سيّد الوزراء لي ... مطاعمُ يُغْنَى عن سواها كَسوبُها
إذا ما حَمى مؤيَّدُ المُلْكِ حوزةً ... من الضُّمِّ لم يقدِرْ عليها طَلوبُها
علىَّ ضَوافٍ من سوالفِ طَوْلِهِ ... يجرِّرُ أذيالَ السحاب سَحوبُها (١)
وعَذراءَ عندي من نداهُ وثيِّبٍ ... إذا جُليَتْ زانَ العُقودَ تَريبُها (٢)
عوارفُ تأتي هذه إثْرَ هذه ... كما رافدَتْ أعلَى القناةِ كُعوبُها
إذا عُدّدَ المجدُ أنبرَيْنَ فوائتا ... عُقودَ البنانِ، أن يَعُدَّ حسيبُها
حلفتُ بمُسْتَنِّ البطاحِ وما حَوَتْ ... أسابيعُها (٣) من مَنْسَكٍ وحَصيبُها
وبالبُدْنِ (٤) مُهداةً، تُقادُ رقابُها ... مُوَقَّفةً (٥)، أو واجباتٍ (٦) جُنوبُها
لقام الى الدنيا، فقام بأمرها ... — على فترة — جَلْدُ الحصا وصليبُها
وغَيْرانُ لا يُرضيه إصلاحُ جسمه ... بدارٍ إذا كان الفسادُ يشوبُها
وقَاها من الأطماع حتى لو أنه ... جرى الدَّمُ فوق الأرض ما شَمَّ ذيبُها
ومدّ عليها حامياً يَدَ مُشْبِلٍ (٧) ... له عصبةٌ بعدَ النذير وُثوبُها
يَدٌ كلُّ ريحٍ تَمترِي ماءَ مُزْنِها ... فما ضرّها ألّا تهُبَّ جَنُوبُها
أرى شِبهَهُ الأيّامَ عادتْ بصيرةً ... ومُذنِبَها قد جاءَ وهو مُنيبُها
وذلّتْ فأعطاها يَدَ الصفح ماجدٌ ... إذا سِيلَ (٨) تَرّاكُ الذُّحولِ (٩) وَهُوبُها

(١) في الأصل "تُحُوبها" وهو تحريف . (٢) يريد بالتريب : الترائب وهي عظام الصدر .
(٣) الأسابيع : يريد أسابيع أشهر الحج . (٤) البدن جمع بَدَنة وهي من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تُهدَى الى مكة . (٥) في الأصل : "موفقة" وهو تحريف . (٦) واجبات : سافطات ، وفي القرآن الكريم : (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا) . (٧) في الاصل : "مسيل" وهو تحريف ، والمشبل : ذو الأشبال وهي أجراء الأسد . (٨) سيل : سُئِلَ . (٩) الذحول جمع ذَحْل وهو الثأر أو العداوة والحقد .

لكَ اللهُ راعى دولةٍ رِيعَ سَرْحُها ... وراح أمام الطاردين عَزِيبُها (١)

طوتْ حُسنَها والماءُ تحت شفاهها ... غِراثًا، وأدنى الأرض منها عَشِيبُها

إذا ما تراغت (٢) تقتضى نصرَ ربِّها ... فليس سوى أصدائها ما يُجيبُها

وقد غَلَب الطَّالِينَ عَرٌّ (٣) جلودها ... وفاتت أكفَّ المُلحمينَ ثُقُوبُها (٤)

لها كلَّ يومٍ ناشدٌ غير واجدٍ ... تَقَفَّى المُنَى آثارَها فيُخيبُها

ومُطَّلِعٌ (٥) يَفْلِى طريقَ خلاصِها ... فيعمَى عليه سهلُها وحَزِيبُها (٦)

نفضتَ وفاضَ الرأى حتى انتقدتَها (٧) ... وما كُلُّ آراءِ الرجالِ مُصيبُها

مُحَمَّلةً من ثِقْلِ مَنِّكَ أَوْسُقًا ... ينوء بها مركوبُها وجَنيبُها

فعطفًا عليها الآنَ تَصْفُ حِياضُها ... وتُبْقِلْ مَراعيها وتُدْمَلْ نُدوبُها

فما رَأَمَتْ أَبْواءَها (٨) عند مالكٍ ... سواك ولا حنَّتْ لغيرك نِيبُها (٩)

تَسربلْ بأثوابِ الوزارة إنها ... لك انتُصِحتْ (١٠) أردانُها وجيوبُها

وقد طالما منَّيْتَها الوصلَ مُعرِضًا ... وباعدتَها من حيث أنتَ قريبُها

ومَن يك مولاها الغريبَ وجارَها ... فأنت أخوها دِنْيَةً (١١) ونسيبُها

بلطفِك فى التدبير شابَ غلامُها ... على السيرة المُثلَى وشَبَّ رَبيبُها

وقد ضامها قبلُ الولاةُ وقصَّرتْ ... قبائلُها عن نصرِها وشُعوبُها

فداك — وقد كانوا فداءك — منهُمُ ... جبانُ يدِ التدبير فينا غَريبُها

---

(١) العزيب : من الإبل والشاء التى تعزب عن أهلها فى المرعى ، وفى الأصل : "غريبها" .

(٢) تراغت : صوّتت فضجّت . (٣) العرّ : الجرب . (٤) ثقوب جمع ثَقْب وهو قرحة تخرج بالجنب . (٥) يفلى : يتدبّر . (٦) الحزيب : الأمر الشديد ، وفى الأصل "وحَزوبها" .

(٧) فى الأصل "انتقدتها" وهو تحريف . (٨) أبواء جمع بَوْ وهو جلد الحوار يُحشى تبنا ويقرّب من أمّ الفصيل فترأمه وتعطف عليه فتدرّ . (٩) النِّيب جمع ناب وهى الناقة المسنة . (١٠) انتُصحتْ : خِيطَتْ . (١١) الدنية : يقال : هو ابن عمى دنية بمعنى هو ابن عمى لحًّا أى لاصق النسب .

رَمَى بكَ فى صدر الأمور ولم يخُف فُلولَ نيوبِ الليثِ مَن يستنيبُها
حَملتَ له الأثقالَ والأرضُ تحتَه وراعيتَه لما عَلَتْه[1] جُنوبُها
وآخرُ أرخَى للنعيم عِنانَهُ أخو الهزلِ مِمراحُ العشايا لُعوبُها

* * *

تزخرفتِ الدنيا له فصَبَا لها مُقارَضَةً يَخشَى غدًا ما ينوبها
وكان فتى أيامِهِ وابنَ لينها وأنت أبوها المتَّقَى ومَهيبُها
وقاسٍ كأنَّ الجمرَ فلذةُ كبدِه يَرَى بالدماءِ نَحْلَةً[2] يستذيبُها
مَخُوفُ نواحى الخُلقِ، عُجْمٌ طباعُهُ إذا عولجت، مُرُّ اللحاظِ مُريبُها
إذا هَمَّ فى أمرٍ بعاجلِ فتكةٍ على غَرَرٍ[3] لم يلتفتْ ما عَقيبُها

* * *

وذو لُوثةٍ[4]، مَنَّاهُ سلطانُ رأيه مُنًى غَرَّهُ محداجُها[5] وكَذوبُها
ولم يك ذا خيرٍ فشاورَ شرَّهُ وما الشرُّ إلا أرضُ تيهٍ يجوبُها (٢١)
يواثب من ظَهْرِ الوزارة رَيِّضًا[6] زلوقًا[7] رقد أعيَا الرجالَ رُكوبُها
ومدّ بكفِّ العنفِ فَضلَ عِنانها فعادتْ له أفعَى حِدادًا نُيوبُها
رَمَى الناسَ عن قَوسٍ وأعجبُ مَنْ رمَى يدٌ أرسلتْ سهما فعادَ يُصيبُها
تَوَقَّ خُطًا لم تدرِ أينَ عِثارُها فكم قَدَمٍ تسعَى الى ما يَعيبُها
ولا تحسَبَنْ كلَّ السحابِ مَطيرةً فخاصبُها من حيث يُرجَى صَيِّبُها

---

(١) فى الأصل "عليه" . (٢) يستذيبها : يطلب ذوبها وهو العسل ، وفى الأصل "يستديبها" . (٣) الغرر : الخطر . (٤) اللُّوثة : الحُمْق . (٥) المحداج : الصَيْفة قلّ مطرها . (٦) يقال : ناقة رَيِّضٌ : أوّل ما ريضت وهى صعبة بعدُ . (٧) الزلوق : الناقة السريعة ، وفى الأصل : "زليقا" ومعناها : الولد السقط للناقة اذا أسقطت وهذا لا يتفق ومعنى البيت .

وكم أَصْرَمتْ[1] تحت العصائبِ لِقحةً[2] ودرَّتْ لغـير العاصبين[3] حُلوبُهـا
أَبَى اللهُ أن يُشـقِي بك اللهُ أمَّةً أردتَ بهـا سُـقْما وأنت طبيبُهـا

* * *

تَطَأْطَأْ لِمَنْ لو قمتَ نالك جالسًـا فمـا كلُّ أولادِ الظنون نجيبُهـا[4]
فقـد دانت الدنيـا لربِّ محاسنٍ مَحاسنُ قومٍ آخرين عُيوبُهـا
فيا ناظمًا عِقـدَ الكلام تمـلَّه[5] ويا ناشر النعماءِ حيَّاكَ طِيبُهـا
إذا الأنفس اختُصَّتْ بحبِّ فضيلةٍ سموتَ بنفسٍ كلُّ فضلٍ حبيبُهـا
توافَقَ فيك الناسُ حُبًّا وأَمطرتْ بشكرك سُحبُ القولِ حتى خَلوبُها
ملكتَ مكانَ الودّ من كلّ مهجةٍ كأنك لُطفًا فى النفوس قلوبُهـا
إذا الشمس لم تطلُعْ علينا، وأمرُنا بكفّك معقودٌ، فدامَ مَغيبُهـا
أنا العبـدُ أعطتـك الكرامةُ رِقَّهُ وجاءت به عفوا اليك ضُروبُهـا
رفعتَ بأوصـافى طريقًا وتالدًا كواكبَ لى عمَّ البـلادَ ثُقُوبُهـا[6]
وميّزتَنى حتَّى ملكتُ بوَحْـدَتى نواصىَ هذا القولِ يضفو سبيبُهـا[7]
وكم أملٍ أسـلفتُ نفسى ودعوةٍ قنِطتُ لهـا، واللهُ فيك مجيبُهـا
بلغتُ الأمانى فيك، فابلغ بِىَ التى تُنَفِّسُ نَفْسًا، ملءُ صدرى كُروبُها
وللدهرِ فى حالِى جُروحٌ وإنه بلحظك إن لاحظتَ يُوسَى رغيبُها[8]
ومهما تُعِرْ من نِعمةٍ فجزاؤها على الله، ثُمَّ الشـعرُ عنى يُثيبُهـا
بكلّ شَرودٍ يَقطعُ الريحَ شَوطُها ويَسرى أمامَ الغاسـقات دُبوبُها
تَزِمُّ[9] لِىَ الأصـواتُ يومَ بلاغِها إذا ما علا أعوادَ شِعرٍ خطيبُهـا

(١) أصرمت: انقطع لبنها. (٢) اللقحة: الناقة الغزيرة اللبن. (٣) العاصب: الذى يشدّ بالعصابة لخذى الناقة لتدرّ. (٤) فى الأصل: "يخيبها". (٥) كذا بالاصل وفى النسخة المطبوعة "الكمال". (٦) ثقوبها: ضوءها. (٧) السبيب: شعر الناصية. (٨) رغيبها: واسعها. (٩) تزمّ: تصوّت.

يروقُكَ منها جَزلُها وحَميسُها ... إذا راقَ من أبياتِ أُخرَى نسيبُها
ترى الناسَ خَلفَى يلقُطونَ(١) بَديدَها ... ويُعجِبُهم من غيرِكدٍّ غُصُوبُها
جواهرُ، لى تصديفُها من بحورها ... صِحاحًا، وللعادِى المُغيرِ ثُقُوبُها
يَمُرُّ بها لا بائعًا يستحلُّها ... بِملْكٍ ولا مستوهبا يستطيبُها
بَقِيتَ لها مستخدِما حِبَراتِها ... ومنتقِدًا ما حُرُّها وجَليبُها
موسَّعةً أيّامُ مُلكِكَ، مُعوِزًا ... على الحادثاتِ أن يَضيقَ رَحيبُها
وأعداكَ من شمسِ النهار خُلُوُّها ... وإشراقُها، لكن عَداكَ غُروبُها

* * *

وقال يمدح الوزير تاجَ المُلْك أبا غالب الحسن بن منصور ويهنّئه بالوزارة، وأنفذها اليه وهو بواسط، بعد ظَفره بأبى محمد بن سَهْلانَ، وعرَّضَ بذكر الحرب التى جرت بينهما، وحصولِه فى رِبْقَته، وذلك فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

قضى دَينَ "سُعدَى" طيفُها المتأوِّبُ(٢) ... ونَوَّل إلا ما أَبَى المتحوِّبُ(٣)
سَرَى فأراناها على عهدِ ساعةٍ ... ومن دونها عَرضُ "الغُوَيرِ" "فغُرَّبُ"(٤)
فمثلُها لا عِطْفُها متشمِّسٌ ... ولا مشْيُها تحت الكرى متصعِّبُ
تحيِّى نَشاوَى من سُرى الليل ألصقوا ... جُنوبا بجِلدِ الأرضِ ما تتقلَّبُ
إذا أَنِسوا بالليلِ جاذَبَ هامَهُم ... حوافرُ قَطْعِ الليلِ، والنومُ أطيبُ
وفى التُّرب مما آستصحبَ الطيفُ فَعْمَةٌ(٥) ... يرواح قلبى نَشْرُها(٦) المتغرِّبُ
فَعَرِّفنى(٧) بين الركاب كأنما ... حقيبةُ رَحلى باقِىَ الليلِ مَسْحَبُ

(١) فى الأصل: يطلقون . (٢) المتأوِّب: الطارق أوّل الليل . (٣) المتحوّب: المتعبد الذى يلقى الحوب عن نفسه . (٤) الغوير كزُبير، وغُرَّب كسكّر: اسما موضعين . (٥) فعمة: نَفْحة . (٦) فى الأصل "بشرها" وهو تحريف . (٧) فعرّفنى: فطيبنى بعَرْفِهِ .

ألا ربما أعطتك صادقةَ المُنَى ... مصادَفةُ الأحلامِ من حيثُ تكذِبُ

ويومٍ كظلِّ السيفِ طال قصيرُهُ ... على حاجةٍ من جانبِ "الرَّمِلِ" تُطلَبُ

بعثتُ لها الوَجناءَ(١) تَقفو طريقَها ... أمامَ المطايا تستقيمُ وتَنكُبُ

فمالت على حكمِ الصَّبا "لمحجَّرٍ"(٢) ... وللسيرِ فى أُخرَى مَظَنٌّ ومَحسَبُ

أعِدْ نَظَرًا وٱستأنِ يا طرفُ ربّما ... تكونُ التى تهوَى التى تتجنَّبُ

فما كلُّ دارٍ أقفرتْ "دارةُ الحِمَى" ... ولا كلّ بيضاءِ الترائبِ "زَينبُ"

عجبتُ لقلبى كيف يستقبل الهوى ... ويرجو شبابَ الحىّ والرأسُ أشيبُ

تَضُمُّ حِبالَ الوصل من "أمِّ سالمٍ" ... وحبلُكَ بعدَ الأربعينَ مُقَضَّبُ(٣)

وليس لسوداءِ اللحاظِ ـ ولو دنا ... بها سببٌ ـ فى أبيض الرأس مَطْرَبُ

ولاءمةٍ فى الحظّ تحسَبُ أنّه ... بفضلِ ٱحتيالِ المرءِ والسعيِ يُجْلَبُ

رأت شَعثًا غطَّى عليه تَصَوُّنى ... وعيشًا بغيضًا وهو عندى محبَّبُ

وقد كنتُ ذا مالٍ مع الليل سارحٍ ... علىّ، لو ٱنّ المالَ بالفضلِ يُكسَبُ

ولكنه بالعِرضِ يُشرَى خِيارُه ... ويُنمِى على قَدرِ السؤالِ ويَخصِبُ

وما ماءُ وجهى لى إذا ما تركتُهُ ... يُراقُ على ذلِّ الطِّلابِ ويَنضُبُ

وإنك لا تدرين، واليومُ حاضرٌ ... بحالٍ ٱختلالى، ما غدًا لِى مُغَيَّبُ

لعلّ بعيدًا ماطَلَتْ دونه المُنَى ... سيحكُمُ "تاجُ المُلْكِ" فيه فيقرُبُ

فما فوقه مَرمًى لظنٍّ موسَّعٍ ... ولا عنه للحقّ المضيَّعِ مَذْهَبُ

وإن فاتنى من جودِهِ وٱصطفائِهِ ... الى اليوم ما تُسْنِى(٤) يداه ويوهَبُ

وأيبَسَ رَبعى وحدَه من سَحابةٍ ... تبيتُ لمثلى من عَطاياه تَسْكُبُ

فرِجْلَى كانت دون ذاك قصيرةً ... وحظِّى فيما جازنى منه مُذْنِبُ(٥)

(١) الوجناء: الناقة المسرعة . (٢) محجَّر: كمعظَّم ومُحَدَّث ٱسم لجملة مواضع . (٣) المقضَّب: المقطَّع . (٤) تسنى: ترفع . (٥) فى الأصل "حازنى" .

ولا لومَ أن لم يأتني البحرُ، إنما ... على قدر ما أسعى الى البحرِ أشربُ

حَمى بَيْضةَ الإسلامِ ليثٌ تناذرتْ ... ذئابُ الأعادي الطُّلْسُ(١) عما يُذَبِّبُ(٢)

وزانت جبينَ المُلكِ دُرَّةُ تاجِهِ ... فما ضرَّه أيُّ العمائم يُسْلَبُ

وَفَى بالمعالى مستقلًّا بحملها ... متينٌ إذا خارت قُوَى العزمِ صُلَّبُ

تريه خَفِيَّاتِ الشُّواكلِ فكرةٌ ... بصيرٌ بها من خَطْفةِ النجم أثقبُ

إذا آستقبل الأمرَ البطيءَ برأيه ... تبيَّنَ من أولاهُ ما يَتَعَقَّبُ

ومُزلِقةِ المتنين تَمنعُ سرجَها ... وتُسأَلُ قُوسُ(٣) اللُّجمِ: من أين تُصحَبُ

أَبَتْ أن يُطيف الرائضون بجنبها ... فقوَّدتَها مملوكةَ الظَّهرِ تُركَبُ

ويومٍ بلون المشرفيَّةِ أبيضٍ ... ولكنه مما يُفَجَّرُ أصهبُ(٤)

إذا أسفرتْ ساعاتُهُ تحت نَقْعِه ... عن الموتِ ظلَّت شمسُه تَتنقَّبُ

صبرتَ له نَفْسًا حبيبًا بقاؤها ... الى المجدِ حتّى جئتَ بالنصرِ يُجنَبُ

كواسِطَ، والأنبارُ أمسِ كواسطٍ ... ومن إيمًا يومَيْك لا أتعجَّبُ

وكم دولةٍ شاخَتْ وأنتَ لها أخٌ ... وأُخرى تُربِّيها وأنتَ لها أبُ

بنام عزيزا كهلُها وغلامُها ... وأنت عليها المُشْبِلُ المتحدِّبُ

أَرَى الوزراءَ الدارجين تطلَّبوا ... على فضلهم مانلتَهُ فتخيَّبوا

تباطَؤا عن الأمر الذى قمت آخذا ... بأعجازه وآستبعدوا ما تُقرِّبُ

فلو لحقَتْ أيامُهم بك خلتَهم ... بهَدْيك ساروا أو عليك تأدّبوا

نَهيتُ الذى جاراك راكبَ بَغيِه ... الى حَيْنِه، والبغيُ للحَيْنِ مَرْكَبُ

وقلتُ: تَفلَّلْ(٥)، إنما أنت حابلٌ(٦) ... على جنبك الواهى تَحُشُّ وتَحطُبُ

---

(١) الطلس جمع أطلس وهو الأمعط من الذئاب. (٢) يذبّب: يدافع. (٣) قُوس جمع أقوس وهو المحنّ. (٤) أصهب: أحمر. (٥) تفلّل: انهزم. (٦) الحابل: الذى معه حبله.

دعِ الرأسَ وآقنع بالوسيطةِ ناجيًا ... بنفسك، إن الرأسَ بالتّاج أنسبُ
وإن ولىّ الأمر دونك ناهضُ الـ ... ـبصيرةِ طَبٌّ[1] بالخطوب مدرَّبُ
وأهيبُ فينا من قُطوبك بِشْرُهُ ... وما كلّ وجهٍ كالح يُتَهيَّبُ
بفعلك سُدْ، إن الأسامِي[2] مُعارةٌ ... وبالنفس فاخرْ لا بمن قمتَ تَنْسُبُ
تمنَّوْكَ "تاجَ الملكِ" أن يتعلَّقوا ... غُبارَك، وآبْنُ الريح فى السَّبق أنجبُ
فظنّوا تكاليفَ الوزارة سهلةً ... ومنكبُ "رَضوى"[3] فى العريكة يَصعُبُ
فلا زالَ تلقَى النصرَ حيث طلبتَه ... بجَدّك يعلو أو بسيفك يَضرِبُ
تُمَدُّ لك الدنيا مَطَاها[4] ذليلةً ... فتركَبُ منها ما تشاءُ وتُركِبُ
الى أن ترى ظهرَ البسيطةِ قبضةً ... بكفّيك يَلْقَى مَشرِقًا منه مَغرِبُ
وقُيِّضَ لى من حُسنِ رأيك ساعةٌ ... يُساعف فيها حظِّىَ المتجنِّبُ
فتُمطِرنى من عدْلِ جودك دِيمةً ... تَبُلُّ ثرى حالى بما أنا مُجدِبُ
لعلّ خَفِيًّا كامنًا من محاسنى ... تبوحُ به نُعماك عنّى وتُعرِبُ
ومَن لِىَ لو أنّى على العجز ماثلٌ ... بناديك يُصغِى المُفحَمون وأخطُبُ؟
فتشهد أنى ما عدمتُ فضيلةً ... الى مثلكم مثلى بها يَتقرَّبُ
وتَعلم منّى كيفَ أمدحُ ناظمًا ... فإنك تدرِى ناثرًا كيف أكتُبُ

* * *

وقال وقد تُوُفِّىَ أبو الحسين أحمد بن عبد الله، وكان من معادن الفتوّة الغريبة، ومظانّ الكرم العجيبة، وجامعا للدين والمروءة والفضل والرياسة، واتفَقَ قبل موته بسنين قلائل آنتساجُ مودّةٍ بينه وبينه سبقَ خبرُها، بدأ أبوالحسين بخطْبتها، وقصدَهُ

(١) الطبّ: البصير بالأمر والحاذق الماهر. (٢) الأسامى: الأسماء. (٣) رضوى: اسم جبل. (٤) المطا: الظهر.

راغبا فيها، وتبرّع بضروب من التفقّد وأصناف من الرّعاية، تبعُدُ على كثيرٍ من أبناء الزمانِ الفطنةُ لها، فعمل هذه القصيدةَ يرثيه، وتُوُفِّيَ بواسطٍ فى شوّال سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

نعم! هـذه يا دهرُ أمُّ المصائبِ ... فلا تُوعِدَنِّى بعـدَها بالنـوائبِ
هتكتَ بهـا سِـتر التجامُلِ بيننـا ... ولم تلتفت فينـا لِبُقْيَا(١) المُـراقِبِ
وما زلت ترمى صفحتى بين عاصدٍ(٢) ... ومنحـرفٍ حتى رَمَيْتَ بصـائبِ
فرأيكَ فى قَوْدى، فقد ذلَّ مِسْحَلى(٣) ... وشأنَكَ فى غمزى، فقد لان جانبى
ولا تحسَـبنِّى باسـطا يدَ دافعٍ ... ولا فاتحا من بعـدها فَمَ عاتبِ
ولا مُسـبِغا فَضفاضـةً(٤) أبتغى بها ... شَـبَا(٥) طاعنٍ من حادثاتك ضاربِ
لهـا كنتُ أستبقى الحياةَ وأحتمى ... وأجمعُ بُرْدِى من أكفِّ الجواذبِ
وَلَجَتَ رُواقَ العـزّ حتى اقتحمتَهُ ... بلا وازعٍ عنـه ولا ردِّ حاجبِ
وأنشبتَ فى صمَّاءَ عهـدى بمثلها ... صفيقَ المَطَـا زَلِيقـة بالمخـالبِ
سددتَ طريقَ الفضلِ من كلِّ وجهةٍ ... وملتَ على العليـاء من كلِّ جانبِ
فـلا سَنَنٌ(٦) إلا محجَّـةُ تائهٍ ... ولا أمـلٌ إلا مطيَّـةُ خائبِ
أبعدَ ابنِ "عبدِ الله" أحظَى براجعٍ ... من العيش، أو آسَى على إثْرِ ذاهبِ؟
وأرسِـلُ طَـرفى رائدا فى خميـلةٍ ... من النـاسِ أبغى نُجعـةً لمَطـالبى؟
وأقدحُ زَندا واريًا من هَوَى أخٍ ... وأكشفُ عن ودٍّ خبيئةَ صاحبِ؟
وأدفعُ فى صـدرِ الليـالى بمثـلِهِ ... فتَرجِعَ عنّى داميـاتِ المنـاكبِ؟

(١) فى الأصل: "كُبْقَيَا" • (٢) العاصد: السهم الملتوى. (٣) المسحل كمنبر: اللجام.
(٤) الفضفاضة: الدرع. (٥) شبا جمع شباة وهى حدّ كلّ شىء. (٦) السنن: الطريق.

أَبَى ذاكَ قلبٌ عنه غيرُ مُغالِطٍ ... برجمٍ(١)، وحلمٌ بعدَهُ غيرُ عازبِ

وأنَّ خُروقَ المجدِ ليستْ لراقعٍ ... سواه، وصدعَ الجودِ ليس لشاعبِ

طَوَى الموتُ منه بُردةً فى دُروجها ... بقيَّةُ أيامِ الكرامِ الأطايبِ

مُحَبَّرةً، سَدَّى(٢) وألحمَ وَشْيَها ... صَناعٌ بحَوْكِ المكرماتِ الرغائبِ

كسا اللهُ عِطفَ الدهرِ حِينًا جمالَها ... فلما طغى قِيضَتْ لها يَدُ سالبِ

لئن دَرَسَتْ منها الخُطوطُ(٣) فإنه ... لَيَبْقَى طويلا عَرفُها فى المَساحبِ

وجوهرةٌ فى الناس كانت يتيمةً ... وهل من أخٍ للبدرِ بين الكواكبِ

أَبَى الحسْنُ أن يحيَى بها عِقدُ ناظِمٍ ... فتُسلَكَ، أو يسمو لها تاجُ عاصبِ

فمُدَّتْ اليها بالردى يَدُ كاسرٍ ... وكان يقيها المجدُ من يد ثاقبِ

سل الموتَ: هل أودعتُه من ضغينةٍ ... تَنَقَّمَ منها فهو بالوِتْرِ(٤) طالبى؟

له كلَّ يومٍ حولَ سَرحِيَ غارةٌ ... يشرِّد فيها بالصفايا النجائبِ

سُلافةُ إخوانى وصفوةُ إخوتى ... ونُخبةُ أحبابى وجُلُّ قرائبى

فلَيتَ عفا عن "أحمدٍ" فاديًا له ... بمُصرمةٍ(٥) مما أقتنيتُ وحالبِ

أألآن لما اشتدَّ متنِي بودِّه ... وردَّتْ مِلاءً من نَداه حَقائبى!

وجَمَّتْ لآمالى العطاشِ حِياضُهُ ... وكانت تُخَلَّى عن نِطافِ(٦) المَشاربِ!

جُفِعتُ به غَضَّ الهوى حاضرَ الجَدَى ... جديدَ قميصِ الودِّ سَهْلَ المَجاذبِ

كأنى على العهدِ القريبِ اعتلقتُهُ ... بطُولِ اختبارى أو قديمِ تَجاربى

سَدَدتُ فَمَ الناعى بكفِّى تطيُّرًا ... ولَوَّيتُ وجهى عنه لَىَّ مُغاضِبِ

---

(١) الرجم: الظن. (٢) سَدَّى وألحم أى أقام سَدَاها ولُحمَتَها. (٣) فى الأصل: "الخطوظ" وهو تحريف ويريد بها خطوط البردة التى كسا الله بها عطف الدهر. (٤) الوتر: الثأر أو الحقد. (٥) المصرمة: الناقة التى كُوِىَ ضَرعها فانقطع لبنها. (٦) النطاف جمع نُطفة وهى الماء الصافى أو البقية منه.

وقلتُ : تبيَّنْ ما تقولُ لعلَّها ... تكون كتلك الطائراتِ الكواذبِ !

فكم غامَ من أخباره ثم أقشعتْ ... سحابتُه عن صالحِ الحالِ ثائبِ

فلمّا بدا لِي الشرُّ فى كَرِّ قوله ... ربطتُ نَوازِى أضلعِى بالرواجِبِ (١)

وملتُ الى ظِلٍّ من الصبر قالصٍ ... قصيرٍ ، وظَنٍّ بالتجمُّلِ كاذبِ

ونفْسٍ شَعاعٍ (٢) قد أخلَّ وقارُها ... بعادتِه فى النازلاتِ الصعائبِ

وعينٍ هَفَا الحزنُ الغريبُ بجفنها ... فطاحَ ضياعا فى الدموعِ الغرائبِ

أُسائلُ عنه المجدَ وهو معطَّلٌ ... سؤالَ الأجبِّ (٣) عن سَنامٍ (٤) وغارب (٥)

وأستروحُ الأخبارَ وهى تسوءنى ... علائقَ منها فى ذيولِ الجنائبِ (٦)

فيُفصِحُ لى ما كان عنه بُجَمْجِماً ... ويصدُقُنى ما كان عنه مُوارِبى

فَقِيدٌ "بميْسانَ" (٧) آستوت فى آفتقاده ... مَشارقُ آفاقِ العُلا بالمغاربِ

وقِيدَ الحياءُ والسماحُ فأرْجِلا ... عَقيرَيْنِ فى تُرْبٍ له مُتراكبِ

تُنافِثُ عن جمرِ الغضا نادِباتُهُ ... كأنّ فؤادى فى حُلوقِ النَّوادبِ

بكتْ أدمعا بيضًا ودمَّتْ جِباهَها ... فتحسَبُها تَبكِى دَمًا بالحواجبِ

هوتْ هَضْبةُ المجدِ التليدِ وعُطِّلتْ ... رسومُ الندَى وآنقضَّ نجمُ الكواكبِ

ورُدَّتْ رِكابُ المُخمسين (٨) بظِمئِها ... تكدّ الدلاءَ (٩) فى رَكايا (١٠) نواضبِ (١١)

(١) الرواجب جمع راجبة وهى المفاصل التى تلى الأنامل . (٢) شعاع : متفرقة .
(٣) الأجبّ : مقطوع السنام . (٤) السنام : الحدبة فى ظهر البعير . (٥) الغارب : الكاهل .
(٦) الجنائب : جمع جنوب وهى ريح تخالف الشمال . (٧) ميسان : اسم كورة واسعة بين البصرة وواسط . (٨) المخمسين : الذين ترد إبلهم خمسا ، والخمس بكسر الخاء : من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٩) الدلاء جمع دلو وهو معروف . (١٠) الركايا جمع ركيّة وهى حفرة يجتمع فيها الماء . (١١) نواضب : غوائر .

ومَنْ يستبلُّ المُستنونَ[1] بسيبِهِ[2] فيَرجِعَ خُضْرًا بالسنين الأشاهبِ[3] ؟
ومولًى كشفتَ الضيمَ عنه وقد هَوى به الذلُّ فى عَمياءَ ذاتِ غَياهبِ
فلما رآك آستشعرَ النَّصْفَ وآستوتْ به رِجلُه فى واضحٍ مُتلاحبِ[4]
وفيمن يُصاغُ الشعرُ بَعدَك ناظما عقودَ الثناءِ حاظيًا بالمَناقبِ !
وأين أخوك الجودُ من كف راغبٍ إذا لم تكن قَسَّامَ تلك الرغائبِ ؟
ومن ذا يعى صوتى ويعتدّ نُصرتى جهادا، وودّى من وشيجِ[5] المَناسبِ[6] ؟
برغمىَ أنْ هبَّ النيامُ وأننى دعوتُكَ وجهَ الصبح غيرَ مُجاوبِ
وأن لا تُرَى مُستعرِضا حاجَ رُفقةٍ ولا سائلًا : من أين مقْدَمُ راكبِ ؟
وكنتُ إذا ما الدهرُ شلَّ مَعاطِفى دعوتُك فاستنقذتَ منه سَلائبى
ذخيرةُ أنسى يومَ يوحشنى أخى و بابى اذا سُدّتْ علىَّ مَذاهبى
وكم من أخٍ بَرٍّ وإن أنا لم أجِدْ كَأَنْتَ أخًا فى أُسرتى والأجانبِ
سَرَى الموتُ من أوطانه فى مآلفى ونقَّبَ من أخلافِه[7] عن حبائبى
عجبتُ لهذى الأرضِ كيف تُلمُّنا لتَصدَعنا ، والأرضُ أمُّ العجائبِ
نطارِدُ عن أرواحنا برماحنا ونَطربُ من أيامنا للحرائبِ
وتَسحَرنا الدنيا بشَبعةِ طاعمٍ هى السَّقَمُ المُرْدِى، ونَهلةِ شاربِ
أُحدّثُ نفسى خاليا[8] بخلودها فأين أبى الأدنَى وأين أقاربى ؟
ولا كنتُ إلا واحدا من عشيرةٍ ولا باقيا فى الناس إلا آبن ذاهب

---

(١) المستنون : المجدبون . (٢) السيب : العطاء والعرف . (٣) الأشاهب : يقال سنة شهباء، أى لا خضرة فيها أو لا مطر . (٤) يريد بقوله متلاحب : واضح وهو من باب التوكيد لقوله "واضح" قبلها . (٥) الوشيج : اشتباك القرابة. (٦) المناسب : القرابات. (٧) الأخلاف جمع خَلَف وهو البقية من الناس، وفى الأصل "أخلاقه" . (٨) فى الاصل : "حاليا" .

فهل أنا أَجْبَى من مَقاوِلِ "حِمْيَرَ"(١) وأمنعُ ظَهرا من مُشيِّدِ "مَأْرِبِ"(٢)؟
وهل أخذتْ عهدَ "السموءلِ" لى يدٌ من الموت أو عندى حَنيَّةُ "حاجبِ"(٣)؟
أردّ شِفارا عن نحورِ صَحابةٍ كأنىَ دَفَّاعٌ لهـا عن ترائبى
ولا عِلمَ لى من أىّ شِقَّىَّ مَصرَعى وفى أيِّما أرضٍ يُخَطُّ لجانبى
إذا كان سهمُ الموتِ لابدّ واقعا فياليتنى المرمىُّ من قَبلِ صاحبى
وياليتَ مقبورا "بكوفان" شاهدٌ جوائى، وإن كانت شهادةَ غائبِ
وليتَ بِساطَ الأرض بينى وبينه طوتْه على الأعضادِ أيدى الركائبِ
فَعُجْتُ عليه واقفًا فسلَّما وإن هُوَ لم يَفقهْ حديثَ المُخاطِبِ (٢٥)
وليتَ طريفَ الودّ بينى وبينه ـ وإن طابَ يومًا ـ لم يكن من مَكاسبى
سلامٌ على الأفراح بعدَك إنها ـ وإن عشتُ ـ ليست إربةً من مآربى
إذا دنَّس الحزنَ السلوُّ غسلتُهُ فعاد جديدا بالدموعِ السواكبِ
وإن أحدثَتْ عندى يدُ الدهرِ نعمةً ذكرتُك فيها فاغتدتْ من مَصائبى
أُدارِى عيونَ الشامتين تجلُّدا وأبسِمُ منهم فى الوجوهِ القواطبِ
أُرِيهم بأنى ثابتُ الريش ناهضٌ وتحت جَناحى جانفاتُ المخالبِ
سَقَتكَ بمعتادِ الدموعِ مُرِشَّةً أفاويقُ(٤) لم تُخدِجْ(٥) بلمَعةِ خالبِ
يلوث خطافُ البرقِ فى جَنباتها بهامِ الهضابِ السودِ حُمرَ العصائبِ
لها فوق متنِ الأرض ـ وهى رفيقةٌ بما صافحت ـ وَخْدُ القرومِ المصاعب

---

(١) المقاول جمع مِقول وهو الملك من حِميَر. (٢) مأرب: يريد "مأرب" كمنزل: موضع باليمن، وقيل اسم قصر بها. (٣) يريد حاجب بن زرارة حين وفد على كسرى وأرهنه قوسه ضمانا له بوفاء العرب. (٤) الأفاويق: ما اجتمع فى السحاب من ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة. (٥) لم تخدج أى لم يقلّ مطرها.

تَرَى كلَّ تُربٍ كان يَعتاضُ لِينًا لها ، وغلامًا كلَّ أشمطَ شائبِ (١)
إذا عُمِّمتْ جَلْحاءُ (٢) أرضٍ بوبلها غدتْ روضةً وفراءَ ذات ذوائبِ
وإن كان بحرٌ فى ضريحك غانيا بجُمَّاتِهِ عن قاطراتِ السحائبِ

* * *

قال وكتب بها إلى الصّاحبِ أبى القاسِم بنِ عبدِ الرّحيم رحمهُ الله ، يهنئه بمقدَمِهِ من واسطٍ ، ويَستبشِرُ به ، ويذكُر خلاصَه من النَّبْوَةِ التى لحقتْه بها ، وذلك فى صفر سنة أربع عشرة وأربعمائة

تزِلُّ الليالى مرَّةً وتصيبُ ويعزُبُ حِلمُ الدهرِ ثمَّ يثوبُ
وتَستلقِحُ الآمالُ بَعدَ حِيالها (٣) أوانًا ويَنأَى الحظُّ ثم يؤوبُ
ولولا قُفولُ الشمس بعد أُفولِها هوتْ مَعَها الأرواحُ حين تغيبُ
تَنَظَّرْ وإن ضاقت بصدرٍ رِحابُهُ فُروج صَلاحٍ ذَرعُهنّ رحيبُ
فما كلُّ عينٍ خالجَتْك مريضةٌ وخطفةِ برقٍ خالستْك خَلوبُ
قَضَتْ ظُلُماتُ البُعدِ فيك قَضاءَها فُصبحا (٤) ، فهذا الفجرُ منك قريبُ
بدَتْ أوجُه الأيّام غُرًّا ضواحكا وكنَّ وفى آستبشارِهنّ قُطوبُ
وطارحْنى عُذرَ البرىءِ وربما سَبقنَ وفى أعذارهنّ ذُنوبُ
أرى كَبِدى قد أثلجتْ فى ضلوعها وكانت على جمرِ الفراقِ تذوبُ
وراحت إليها بعدَ طُول آلتياحِها صَباً قَرَّةٌ تَندَى لها وتطيبُ
سَرَى الفضلُ من مَيسانَ يُشرِقُ بعدما أطال دُجَى "الزَّوراءِ" منه غروبُ

(١) يريد بقوله "وغلاما كل أشمط شائب" أن الأرض ترعرعت وآخضرت وعاد اليها لينها بعد يبسها وأن كل شائب عاد غلاما مترعرعا مما حلّ به من الخصب الذى أعاد للا رض لينها وللشائب نضرته بما عاد عليه من ترف العيش ورفاهته . (٢) الجلحاء : الأرض التى لا نبات فيها . (٣) الحيال : عدم حمل الناقة . (٤) يريد فانتظر صبحا .

وهبّت رياح الجودِ بُشرَى بقربِهِ ... لها سالفٌ[1] من نشرِها وجنيبُ
وما خِلتُ أن البدرَ يطلُعُ مُصعِدا ... ولا أنَّ ريحَ المكرماتِ جَنوبُ
تزاحمتِ الأيّامُ قبـــلَ لقـائه ... بجنبيَّ من ذَنب الفـراقِ تتوبُ
وتُقسِمُ لى أَيْمـانَ صدقٍ بأنْ غدًا ... تراه، وبعضُ المُقسِـمين كذوبُ
وقد زادنى شكرا — لحُسْنِ وفائها ... بمـا وَعَدَتْ — أنَّ الوفاءَ غريبُ
كفَى البين، أنى لِنْتُ تحتَ عِراكِهِ ... وخُرتُ وعُودى فى الخطوبِ صليبُ
وقاربتُ من خَطوى رِضًا بقضائِهِ ... ولى بين أحداثِ الزمانِ وُثوبُ
حَملتُ وُسوقَ البُعـدِ فوق أضالع ... من الثِّقْلِ عَضَّاتٌ بهـا ونُدوبُ
أَخُبُّ حِـذارَ الشـامتينَ تجـلُّدا ... بهنّ وما تحتَ الخَبـالِ[2] نَجيبُ
فإن تُعقِبِ الأيّامُ حُسْنَى تسوءُها ... فللصـبرِ أُخرَى حُـلوةٌ وعَقِيبُ
سَمَتْ أعينٌ مغضوضةٌ، وتراجَعتْ ... الى أُنسِهـا بعـــد النفور قُلوبُ
وعادت تسرّ الرائدين خميـلةٌ ... تعاورَها بَعدَ "الحسَين" جُدُوبُ
فماءُ الندَى عَذبُ اللِّصابِ[3] مُرَقْرَقٌ ... وغصنُ المُنَى وَحْفُ[4] النباتِ رطيبُ
سـيُلقِي عصاهُ وادعًا كلُّ خابطٍ ... على الرزقِ يطوِى أرضَـه ويجوبُ
وهل ينفُضُ الجوَّ العريضَ لنُجعةٍ ... أريبٌ، واوديه أعمُّ خصـيبُ؟
أقـــولُ لآمالى وهنّ رواقدٌ : ... خذى أُهبةَ اليقظانِ، حانَ هُبوبُ
إذا الصاحبُ استقبلتِ غرَّةَ وجهِهِ ... بدا قمـــرٌ وافٍ وماسَ قضيبُ
ولم تَفتحِى الأجفانَ عن طَرْفِ لافتٍ ... الى نائبـاتِ الدهرِ حين تَنوبُ
سلامٌ! وحيًّا اللهُ والمجـدُ سُـنَّةً ... لهـا فى دُجُنَّاتِ الظـلامِ ثُقوبُ

(١) السالف : السابق . (٢) الخبال : الكَلّ . (٣) اللصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى . (٤) الوحف : الكثير الملتفّ .

وزادَت عَلاءً فى الزمان وبَسْطَةً ... يَدٌ تُصْرِمُ الأنواءُ[1] وهى حَـلُوب

لآثارِهـا فى كلِّ شهباءَ[2] روضـةٌ ... وفى كلِّ عَمياءِ[3] المَياهِ قليبُ

حمى مجـدَهُ وافى الحمـائل سيفُهُ ... غيورٌ اذا ما المجـدُ ضِيمَ غَضوبُ

له كلَّ يَومٍ نهضةٌ دون عِرضـه ... اذا نام حُبـا للبقاءِ حَسيبُ

قليلةُ أُنسِ الجفنِ بالغُمْضِ عينُـهُ ... وللعـارِ مَسرًى نحـوه ودبيبُ

إذا سال وادى اللُّؤمِ حَلَّتْ بيوتُهُ ... بأرعنَ[4] لا ترقَى إليـه عُيـوبُ

وقامَ بأمرِ المُلك يَحسِـمُ داءَهُ ... بصـيرٌ بأدواءِ الزمانِ طبيبُ

له مَـدَدٌ من سـيفِه ولسانِه ... قؤولٌ إذا ضاقَ المَجـالُ ضَروبُ

إذا بَيستْ أقلامُـهُ أو تصامتتْ ... فصارمُهُ رَطْبُ اللسانِ خَطيبُ

يُرَى كلَّ يومٍ لابسًا دَمَ قارنٍ[5] ... له جَسَـدٌ فـوق التُرابِ سَليبُ

ولم أَرَ مثلَ السيف عُريانَ كاسيًا ... ولا أمردَ الخـدَّين وهْو خضيبُ

وقد جرّبوه عاطـلًا ومقـلَّدا ... وقادوه يَعْصِى حبـلَهُ ويُجيبُ

فـا وَجَدُوا مَعْ طُولِ ما اجتهدوا له ... فتًى عنـه فى جُلِّ تنوبُ ينوبُ

فعادوا فعـاذوا ناهضين بعـاجزٍ[6] ... حضورُهُـمُ ما أخَّروه مَغيبُ

أمينٌ على ما ضـيَّعوا من حقوقه ... سليمٌ، ووِدّ الغـادرين مَشوبُ

من البيضِ، إلا أن يُحلِّى وجوهَهُم ... ـإذا هُجِروا خَلْفَ التُرابِ ـ شُحوبُ

صِباحٌ، نجومُ العزِّ فوق جِباههم ... طوالعُ غُـرٌّ، والنجـومُ تغيبُ

---

(١) الأنواء جمع نوء وهو المطر . (٢) يريد بالشهباء : السنة المجدبة . (٣) يريد بعمياء المياه : المفازة التى لا ماء فيها . (٤) الأرعن : الجبل . (٥) القارن : الذى معه سيف ونبل أو رمح وجَعبة . (٦) العاجز : السابق ، مأخوذ من قولهم : عاجزه فعَجَزَه فهو عاجزٌ بمعنى سابقه فسبقه فهو سابق .

عصائبُ تيجان الملوك سِماتُهم ... ويومُهُمُ تحتَ الرِّماح عَصيبُ
إذا حِيزَ بيتُ الفخرِ حَلَّقَ منهُمُ ... عليه شَبابٌ طيِّبونَ وشِيبُ
لهم كلُّ مقرورٍ عن الحِلم، ظَنُّهُ ... يقينٌ، وهَافِي(١) عزمتيه لبيبُ
تَغيضُ أكف الواجدين وكَفُّهُ ... على العُدْمِ تَهمِي مرّةً وتصوبُ
تكادُ من الإشراق(٢) جِلدةُ خدِّهِ ... تَغَصُّ بماءِ البِشر وهْو مَهيبُ
يقيكَ الرَّدى غَمْرٌ(٣) يُحاريك فى النَّدَى ... فيعقِلُ عِيٌّ رُسْغَهُ ولُغُوبُ
إذا قمتَ فى النادى بريئًا من الخنا ... تلفَّتَ من جنبيه وهْو مريبُ
تَتبَّعَ يقفو الخيرَ منك بشرِّهِ ... خِداعًا، كما قَصَّ المَشَمَّةَ ذِيبُ
تنبَّهَ مشروفًا بغلطةِ دهرِهِ ... وبِنتَ بمجدٍ أنتَ فيه نسيبُ
وقد يُنهِضُ الحظُّ الفتى وهْو عاجزٌ ... لحاجاتِهِ حتى يقالَ : نجيبُ
أنا الحافظُ الذوّادُ عنك وبيننا ... وَشائعُ(٤) من بُسْطِ الفلا وسُهوبُ(٥)
شَهَرْتُ لساناً فى ودادك، جُرْحُهُ ... — إذا حَزَ فى جِلد النفاقِ — رَغيبُ
لك الجُمَّةُ الوطفاءُ(٦) من ماءِ غَربِهِ ... وعند العِدَا حرٌّ له ولهيبُ
يَسرُّك مكتوبا وشخصُك نازِحٌ ... ويرضيك مسموعًا وأنتَ قريبُ
وكيف تَرُوْنى قاعدا عن فريضةٍ ... قيامى بها حقٌّ لكم ووُجوبُ
وفيكم نما غُصنِي وطالت أراكتِي ... وغودرَ عيشى الرثُّ وهو قشيبُ
شَوًى(٧) كلُّ سهمٍ طاحَ لى فى سوائكُمْ ... ولى شُعبةٌ من رأيكم ونصيبُ
ولى بَعْدُ فيكم ذَروةٌ ستنالُها ... يدى ، ومُنًى فى قولها ستُصيبُ

(١) الهافى : الزَّالُّ . (٢) فى الأصل : "الأشواق" . (٣) الغمر : الجاهل .
(٤) الوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى البُرْد . (٥) سهوب جمع سهب وهو ناحية الفلاة التى لا مسلك فيها . (٦) الوطفاء : السحابة الدائمة السَّحّ . (٧) الشوى : الأطراف ، ويقال شواه فأشواه أى أصاب شواه ولم يصب مقتله ثم استُعمِلَ فى كلّ من أخطأ غرضًا .

متى تذكروا حـقِّ أَبِتْ بوفائكم وظَهْرُ العـلى العاصى علىَّ رَكوبُ
طَربتُ وقد جاء البشـيرُ بقربكم وذوالشوق عندآسم الحبيبِ طَروبُ
وقمتُ إليـه راشـقًا من ترابِهِ ثرًى لك يحـلو رشـفُهُ ويطيبُ
فـلا كانَ يا شمسَ الزمانِ وبَدْرَهُ لسعدِك من بعـدِ الطلوعِ مَغيبُ
ولا زلتَ مطلوبًا تفوتُ، ومُدرِكًا أواخرَ ما تَبـغِى وأنتَ طَلوبُ
كأنك من حَبِّ القلوبِ مصوَّرٌ فأنتَ إلى كلِّ النفوسِ حبيبُ

(٢٧) وقال يفخَر

أُعْجِبَتْ بى بين نادى قَومِهـا "أمُّ سعدٍ" فمضَتْ تسألُ بى
سَرَّهـا ما عَلِمتْ من خُلُقى فأرادتْ عِلمَهـا ما حَسَـبى
لا تخـالى نَسَـبا يخفضُنى أنا مَن يُرضيكِ عنـد النسبِ
قَوْمِىَ ٱستولَوْا على الدهرِ فَتًى ومَشَـوْا فوق رءوسِ الحِقَبِ
عمَّموا بالشـمسِ هاماتِهُـمُ وبنَـوْا أبياتَهـمْ بالشهُبِ
وأَبِى "كِسرَى" على إيوانِهِ، أين فى النـاس أبٌ مثلُ أبى ؟
سَـوْرةُ الملكِ القُـدامَى وعَلَى شَرَفِ الإسـلامِ لِى والأدبِ
قد قبَستُ المجدَ من خيرِ أبٍ وقبَستُ الدينَ من خـيرِ نبى
وضَممتُ الفخرَ من أطـرافِهِ سوددَ الفرسِ ودينَ العـرب

وقال يمدح مؤيَّد الملك سيِّدَ الوزراء أبا علىٍّ، وأنشدها فى المِهرَجان الواقع فى رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة

أَجِدَّكَ[1] بعدَ أن ضَمَّ "الكثيبُ"[2] هـل الأطلالُ إن سُئلتْ تُجيبُ ؟
وهل عَهدُ "اللِّوى" "بزرودَ"[3] "يُطفِي أُوامَكَ[4] ؟ إنه عهـدٌ قـريبُ !
أعِـدْ نظـرًا فـلا خنساءَ جارٌ ولا "ذوالأَثْلِ"[5] "منكولا "الجَنوبُ"
إذا وطَنٌ عن الأحبابِ عَزَّى فلا دارٌ "بنجـدَ" ولا حبيب
يمـانيـةٌ، تلوذُ "بذى رُعَينٍ"[6] قبائلُهـا المنيعـةُ والشـعوب
حمتهـا أن أزورَ[7] نوًى شَطُونٌ[8] براكبها، ورامحةٌ شَبوبُ
مُلَمْلَمَـةٌ تضيـقُ العينُ عنهـا إذا شرِقتْ بُجَّتُها السُّـهوبُ
ومُعجَـلةٌ عن الإلجـام قُبٌّ[9] أعنَّتُهـا الى الفـزع السبيبُ
وإنك "بالعـراقِ" وذكرَ حيٍّ على "صَنعاءَ" لَلْحُـلُمُ الكذوبُ
لعـلّ البانَ مطلولاً "بنجـد" ووجهَ البدرِ عن "هندٍ" ينوبُ
ألا يا صاحـبيَّ تطلَّعـا لى "أُثَيٍّ"[10] هل آكتسى الأيكُ السليبُ ؟
وهل فى "الشَّربِ" من سُقْيا فإنى أرى فى "الشِّعبِ"[11] أفئدةً تَلوبُ
أكفكفُ بالحمى نزَواتِ عينى وقد غَصَّتْ بأدمعهـا الغُـروبُ[12]
وأحـلُمُ والمطـايا يقتضيهـا دُوَينَ حنينها الحـادِى الطَّروبُ
فَمَنْ يَجهـلْ به أو يَطْغَ شـوقٌ فشـوقى لا أبا لكما لبيبُ
وبيـضٍ راعهنّ بيـاضُ رأسى فكلُّ محبَّبٍ مـنّى مَعيبُ

(١) أجِدَّك معناه : أجِدًّا منك، أو أبجِدَّ هذا منك . (٢) الكثيب : اسم موضع بالبحرين .
(٣) اللوى وزرود : موضعان . (٤) الأوام : حَرُّ العطش . (٥) ذو الأثل والجنوب : موضعان . (٦) ذو رعين : ملك من ملوك اليمن . (٧) فى الأصل : "أز" فرجحنا كلمة "أزور" . (٨) الشطون : البعيدة . (٩) القُب : جمع قَبَّاء، وهى الفرس الدقيقة الخصر .
(١٠) أثيّ : اسم واد . (١١) الشِّربُ والشِّعب : موضعان، وتلوب : تحوم على الماء .
(١٢) الغروب جمع غَرْب وهو مُقدِمُ العين ومُؤخِرُها .

عَددتُ ـ مذ ٱلتثمتُ به ـ ذُنوبى ... وقبـلَ الشَّيبِ أُحْيطتِ الذنوبُ
يُجِـدُّ المـرءُ لِبْسَـتَهُ ويُبْـلِى ... وآخرُ لِبْسَـةِ الرأسِ المَشيبُ
وكنتُ إذا عتبتُ على الليـالى ... وفى وجهى لهـا لونٌ نسيبُ
أطـاعَ شبابُهـا حِفظًـا شَبَابى ... فجـاءت من إساءتهـا تُتيبُ
فـما بالى أرى الأيّامَ تُنحِى ... عـلىَّ مع المشيبِ وهنّ شِيبُ
عَذيرِى من سَحيـلِ(١) الودّ، تحوِى ... حقيبـةَ رحـلهِ مَرَسٌ(٢) تُحيبُ(٣)
وَفَى لِى وهو مَحصُوصٌ(٤) وأضحى ... غداةَ ٱرتاش وهـو علىَّ ذِيبُ
ومحسودٍ علىَّ تضـيقُ عـنّى ... خلائقُـهُ وجانبُـهُ رَحيبُ
لَطِيتُ(٥) له فغُـرَّ بلينِ مسّى ... وربَّ كمينـةٍ ولهـا دبيبُ
تَوَقَّ عِضاضَ مختـمرٍ(٦) أُخيفَتْ ... جوانبُـهُ وفى فيـه نُيـوبُ
فإن الصِّلَّ يُحـذَرُ مستميتًا ... وتحتَ قُبوعِـهِ أبدًا وُثوبُ
ولا تُثـلِمْ ودادَك لى بغَـدرٍ ... فقـد يتثـلَّمُ النسبُ القـريبُ
أتلفنى بعضَ ما يُرضى فـلو ما ... غضبتُ حَمانِىَ الأنفُ الغَضوبُ
ومَنْ هـذا يردّ عِنـانَ طِـرْفِى ... اليك، إن أستمِرّ بِىَ الرُّكوبُ؟
سـتَرمِى عنـكَ بى إبلى بعيـدا ... وتنتظـرُ الإيابَ فـلا أؤوبُ
ورُبَّمـا أتاكَ بنشرِ صـيتى ... وواسـعِ حالِىَ النبأُ العجيبُ
أُخـوَّفُ بالحيـانةِ من زمانى ... وقد مَرَنَتْ على القَتَبِ النُّدوبُ
وما وادعتُـهُ منـذ ٱحتربنـا ... على سـلْمٍ، فتوحشَنى الحـروبُ!

(١) السحيل : الخيط غير المفتول ويراد به الضعيف . (٢) المرس : الحبال واحدها مَرَسةٌ .
(٣) أى تخيب من يتعلق بها . (٤) المحصوص : الذى لا ريش له . (٥) لطيت له : من لَطِىَ بالارض : لصق بها، كناية عن الخضوع . (٦) المختمر : لابس الخمار .

وكيف يُريبنى منه بيوم ... زمانٌ كلُّه يومٌ مريبُ؟
وإنى مذ غدت همى سيوفا ... لَأَعلَمُ أنّنى أبدا ضَريبُ
وما جنتِ الذى يجنيه قلبى ... على جسمى العُداةُ ولا الخُطوبُ
لئن أبصرتَنى رَثَّا مَعاشى ... أُطوِّفُ حولَ حظّى أو أجوبُ
فَتَحْتَ خَصاصتى نفسٌ عَزوفٌ(١) ... وحَشوَ مَعاوِزى(٢) كَرَمٌ قَشيبُ
سلى بيدى الطُّروسَ وعن لسانى ... فَوارِكَ(٣) لا يلامسها خَطيبُ
لها وطنُ المقيم بكلِّ سمعٍ ... تمرّ به، وسائرُها غريبُ
بوالغُ فى مَدَى العلياءِ لو ما ... أعانَ رُكودَها يوما هُبوبُ
لئن خَفَّتْ على قومٍ ودقَّتْ ... فما يُدعَى بها منهم مُجيبُ
ونَفَّرها رِجالٌ لم يُروِّحْ ... على أفهامِهم منها عَزيبُ(٤)
فعند "مؤيِّدِ المُلكِ" اطمأنَّتْ ... وضمّ شَعاعَها المرعَى الخصيبُ
فكم حقٍّ به وَجَدَ انتصافًا ... وظَنٍّ فى نداهُ لا يخيبُ
وواسعةِ الذراعِ(٥)، يَغُرُّ فيها ... عيونَ العيسِ رَقّاصٌ(٦) خَلوبُ
اذا آستافَ(٧) الدليلُ بنا ثراها ... أرابَ شميمَه التُّربُ الغريبُ
تُخفِّضُنا وترفَعُنا ضَلالًا ... كما خَبَّتْ براكِبِها الجَنُوبُ
اذا غَنَّتْ لنا الأرواحُ فيها ... تطاربتِ العمائمُ والجيوبُ
عمائمُ زانها الإخلاقُ لِيتًا ... على سُنَنٍ وَضاءَتُها الشُّحوبُ
قطعناها اليك على يقينٍ ... بأنَّ الحظَّ رائدُه الأُغوبُ

(١) عزوف : زاهدة . (٢) معاوز جمع مِعْوز وهو الثوب الخلق الذى يُتذلل لأنه لباس المعوزين . (٣) الفوارك : النواشز من أزواجهن ، ويشير الشاعر بذلك الى استعصاء قصائده على كلّ خطيب . (٤) فى الأصل : "غريب" وهو تحريف وقد مر تفسير العزيب . (٥) يريد "بواسعة الذراع" : الصحراء . (٦) يريد "بالرقّاص الخلوب" : السراب . (٧) استاف : شمّ .

تَرَى[1] ما لا تَرَى الأبصارُ منها ... كأنَّ عيونَها فيها قلوبُ
الى ملكٍ مخضَّـــرةٍ رُباهُ ... جَمادُ الرزقِ من يدهِ يذوبُ
يَغيضُ بنا ويملُحُ كلُّ ماءٍ ... وماءُ بنانهِ عِـــدٌّ[2] شَـــروبُ
تناهتْ عنه أقدامُ الأعادى ... كأنّ رُواقَه الغابُ الأشيبُ[3]
اذا ركب السريرَ عَـــلا فأوْفَى ... عـــلى مَرْباتِهِ[4] أَقْنَى[5] رَقـوبُ
يعـولُ الأرضَ ما كسبَتْ يَداهُ ... وما كلُّ ٱبنِ مَرْقَبَةٍ كسوبُ
متينُ قُـوَى العزيمـةِ أَلمعيٌّ ... اذا ما ٱرتابَ بالفـكرِ الأريبُ
يريه أمسِ ما فى اليـــومِ رأىٌ ... تُمِـــلُّ على شهادته الغيوبُ
بِذِبِّكَ مِن وراء المـلكِ قامت ... دعائم منـــه وٱلتأمتْ شُعوبُ
حملتَ له بقلبـك ما تركتَ الـ ... ـجبالَ به تُفاخِرها القلوبُ
تَضَرَّمُ فِتْنَـــةٌ وتضـــيقُ حالٌ ... وصـدرك فيهـما ثَلِجٌ رحيبُ
وكم أَشـــفَى[6] به داءٌ عُضالٌ ... وصـنعُ اللهِ فيـــك له طبيبُ
طلعتَ على البـلاد، وكلُّ شمس ... تضىء قد ٱستبدَّ بها الغـروبُ
وقد قَنِط الثرى وخوتْ أصولُ الـ ... ـعِضاهِ وصَوَّحَ العُشبُ الرطيبُ
ونارُ الجَـــورِ عاليـــةٌ تَلَظَّى ... وداءُ العجـــزِ منتشِرٌ دَبوبُ
فكنتَ الروضَ تُجلِبُـه[7] النُّعـامَى[8] ... وماءَ المزنِ منهـمرا يصـوبُ

---

(١) فاعل "ترى" ضمير يعود الى العيس فى قوله السابق
* عيونَ العيس رقّاص خلوبُ *

(٢) العدّ : الماء الجارى الذى لا ينقطع . (٣) الأشيب : الشجر الملتفّ . (٤) المرباة : المرقبة وسُهّلت الهمزة للضرورة . (٥) الأقنى : الذى ٱرتفع وسط قصبة أنفه مع ضيق المنخرين وهو من صفات المدح فى البازى والصقر . (٦) أشفى به : أودى به . (٧) تجلبه : تجعله ذا جلبة . (٨) النعامى : ريح الجنوب .

كأنك غُرّةُ الإقبالِ لاحت ... بعقبِ اليأسِ، والفرجُ القريبُ
هنا[1] أُمُّ الوزارةِ أَن أتاها ... على الإعقامِ منك ٱبنٌ نجيبُ
وأنك سيّد الوزراءِ معنًى ... به سُمِّيتَ، والألقابُ حُوبُ
ولو أتتِ السماءُ بمثلك ٱبنًا ... لَمَا كانت طوالعها تغيبُ
بك ٱجتمعتْ بدائدُها، ولانت ... مَعاطفُها، ومَعْجَمُها صليبُ
فلا تتجاذب الحسّادُ منها ... عُرًى يَعيا بِمِرَّتها[2] الجذيبُ
ولا يستروحوا نفحاتِ عَرفٍ ... لها، بثيابِ غيرك لا تَطيبُ
نصحتُ لهم لو ٱنّ النصحَ أجدَى ... ولم يكن المشاورُ يستريبُ
وقلتُ: دعوا لمالكها المعالى ... فنى أيديكُمُ منها غُصوبُ
خذوا جُمّاتِه[3] الأُولَى وخَلُّوا ... أقاصِيَ لا يخابطها ذَنوبُ[4]
فكم من شرقةٍ بالماء تُردِى ... وإن كانت به تُشنَى الكروبُ
لك اليومانِ تَكتُبُ أو تَشُبُّ الـ ... ـوغى، وكلاهما يومٌ عصيبُ
فيومُك جالسا قلمٌ خطيبٌ ... ويومُك راكبا سيفٌ خضيبُ
جمعتَ كفايةً بهما وفتكا ... وتجمعُ ذينِ فى رجلٍ عجيبُ
وضيقةِ المجالِ[5] لها وميضٌ ... قِطارُ سمائه العَلَقُ الصبيبُ
وقفتَ له، حسامُك مستبيحٌ ... مَحارمَها، وعفوُك مستثيبُ
ومسودِّ اللّثاتِ[6] له لُعابٌ ... يَجِدُّ الخَطبُ وهو به لَعوبُ
يُحال على الطروس شُجاعَ رملٍ[7] ... اذا ما عضَّ لم يُرْقَ اللسيبُ[8]

(١) هنا: أصلها هنأ وسهّلت الهمزة. (٢) المرّة: القوّة. (٣) جُمّات جمع جُمّة وهى مجتمع ماء البئر. (٤) الذنوب؟ الدلو. (٥) يريد بضيقة المجال: الوغى. (٦) يريد بمسودّ اللثات: القلم. (٧) الشجاع: الحيّة أو الذكر منها. (٨) اللسيب: المدوغ.

تَغلغـلُ منـــه فى مهج الأعادى جَوائفُ[1] جُرحُها أبدا رغيبُ[2]
اذا مَـلَكَ الرقابَ به آمترينـا مضى قـلمٌ بكفّك أم قضيبُ؟
ومضْطَهَدٍ طردتَ الدهرَ عنـه وقد فَغـرتْ لتفرِسَه شَـعوبُ[3]
اذا عُصرت من الظـمأ الأَداوى[4] على الإعيـاء أو رُكب الجنيبُ
فنِـعم مُنـاخَ ظالعـةٍ[5] وسَـقْيًا ذَراك الرحبُ أو يدُك الحلوبُ[6]
عُلًا "رُنْجيّـةُ"[7] الأبياتِ خُطّتْ على شمـاءَ ينصفها "عسيبُ"[8]
لهـا عَمَـدٌ على صـدر الليالى وفوق أوائل الدنيـا طُنـوبُ
صفا حَلَبُ الزمان لهـا، وقامت لدعوتهـا الممـالكُ تستجيبُ
وما مِن دولةٍ قَدُمت وعزت وإلّا ذكرُهـا بكُـمُ يطيبُ
ومنـــكم فى سـياستهـا رجالٌ فُـحولٌ أو لكم فيهـا نصيبُ
كرامٌ تُسـنَد الحسـناتُ عنهم وتَزلَقُ عن صَفاتِهـــم العيوبُ
مضَـوا طَلَقًا بأعـداد المساعى وجئتَ ففتَّ ما يُحصِى الحسيبُ
قنـاةٌ، أنت عاملُهـا شروعا الى نحـــر السما وهم الكعوبُ
وخـيرُ قبيـلةٍ شرفًا مـــلوكٌ لمجـــدك منهُمُ عِرقٌ ضَروبُ
فلا وضَحَ النهـارُ ولستَ شمسا ولا أَزرَى بمَطلِعـك المغيبُ
ولا برحتْ بك الدنيـا فتـاةً تُرَبُّ[9] كما آكتسى الورقَ القضيبُ

(١) جوائف جمع جائفة وهى طعنة تبلغ الجوف ، وفى الأصـل "خوائف" وهو تحريف .
(٢) الرغيب : الواسع . (٣) شعوب : اسم المنية . (٤) الأداوى جمع إداوة وهى إناء صغير من جلد . (٥) فى الأصل : "طالعة" . (٦) فى الأصل : "الجلوب" وهو تحريف .
(٧) رُنْجيّة : وردت هذه النسبة فى صحيفة (٤٤) سطر (١٥) عند قوله "وقال يمدح سيّد الوزراء أبا علىّ الرُّنْجىّ" وقد أثبتناها كما وردت بالأصل وبالبحث عنها لم نجد غير "رُنَّج" والوزن هنا يقتضى أن تكون كما وردت بالأصل . (٨) عسيب : اسم جبل . (٩) تُرَبُّ : تُرَبَّى وتُنَمَّى .

اذا ما حزتها انتفضت عطارا[1] ... سوالفُها بعدلك والتريبُ
ومات الدهرُ وانطوتِ الليالى ... وملكُك لا يموتُ ولا يشيبُ
وقام المِهرَجانُ فقال مثلَ الـ ... ـذى قلنا وآبَ كما تؤوبُ
وعادك زائرا ما كرَّ ليلٌ ... لسعدك بين أنجمه ثُقوبُ
بك استظلتْ من أيامِ دهرى ... ومن رَمضائها فوقى لهيبُ
كفيتنِىَ السؤالَ فما أبالى ... سواك مَن المنوعُ أو الوهوبُ
وغِرتَ على الكمال فصنتَ وجهى ... فليس لمائه الطامى نُضوبُ
مكارمُ خضَّرتْ عُودى وروَّتْ ... ثراه وقد تعاوَره الجُدوبُ
تُواصلنى مَثانِىَ أو وحادا ... كما يتناصر القَطْرُ السَّكوبُ
فما أشكو سوى أنّى بعيدٌ ... وغيرى يومَ ناديكم قريبُ
أفوِّقُ عزمتى شوقا اليكم ... ويَقبِضُنى الحياءُ فلا أصيبُ
أصدُّ وضِمنَ دَستِك لى حبيبٌ ... عليه من جلالته رقيبُ
اذا امتلأتْ لحاظى منك نورا ... نزَا قلبى فطارَ به الوجيبُ[2]
يُميلُ اليك بِشرُك لحظَ عينى ... ويَحبِسُ عنك مَجلسُك المَهيبُ
ولو أنى بُسِطتُ لكان سعىٌ ... وبَلَّ بِلالَه الشوقُ الغَلوبُ
أبيتُ فما أُجيبُ سواك داعٍ ... ولكنّى دعاءَكُمُ أجيبُ
فإن يكن انقباضى أمسِ ذَنْبا ... فمنذ اليومِ أُقلِعُ أو أتوبُ
وتحضُرُ نابياتٌ[3] عن لسانى ... فواقرُ[4] ربُّها عبدٌ منيبُ

---

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة وفى الأصل * اذا ما أخلتنا انتقضت عطارا *
وهو غير متزن ومحرّف . (٢) الوجيب : الخفقان . (٣) نابيات : شاردات . (٤) فواقر
جمع فاقرة وهى التى تنقب الخرز أو الدر للنظم ويريد أن قصائده ستأتى الممدوح ثاقبة درّ مديحه .

أوانسُ فى فمى متيسِّراتٌ ... اذا ذُعِرتْ من الكلِم الشُّروبُ
اذا أعيتْ على الشعراء قِيدتْ ... الىَّ وظهرُ ريِّضها رَكوبُ
بقِيتُ وليس لى فيها ضريبٌ ... ولا لك فى الجزاءِ بها ضريبُ(١)
تُصاغ لها الحماسةُ من معانى ... علاك، ومن محاسنِك النسيبُ
رعَيتُ بهنّ من أمَلِى سمينا ... لديك، وحاسدى غيظا يذوبُ
وهل أظمَا، وهذا الشِّعرُ سَجْلٌ(٢) ... أمُدُّ به، وراحتك القَليبُ؟

* * *

وقال يعزِّى أبا الحسين بن رَوْح النَّهَروانىّ عن ابنتين له تُوُفِّيتَا فى مدّةٍ قريبةٍ، ويتوجّع له لحرمةِ الصداقةِ بينهما

على أىّ أخلاق الزمان أعاتبُهْ ... وما هو إلا صَرفه ونوائبُهْ
تَفرَّى أديمى وهو بُتْرٌ(٣) شِفارُهُ ... وجافت(٤) جروحى وهو صُمٌّ(٥) مخالبُهْ
نُدوبٌ تُقفِّى هذهِ عَقْبَ هذهِ ... وداءٌ اذا ما باخ(٦) أوقدَ صاحبُهْ
شغَلتُ يدى حينا بعدّ ذنوبِهِ ... وزِدن فقد تاركتُه لا أحاسبُهْ
طرحتُ سلاحى وٱنتزعتُ تمائمى ... وضاربُه يُنحِى علىَّ وسالبُهْ
بِبِيضٍ من الأيام هنّ سيوفُهُ ... وسودٍ من الليلاتِ هنّ عقاربُهْ
أُدامِجُه(٧) حتّى يرانِى راضيا ... مِرارا، وأعصِى مرَّة فأغاضبُهْ
فلا هو إن أطريتُه قابضٌ يدًا ... ولا خائفٌ عارا بما أنا عائبُهْ
نصحتُك لا تُخدَعْ بسنَّةِ وجهِهِ ... فشاهده حُسْنٌ تَشوَّهَ غائبُهْ

(١) الضريب : المثيل . (٢) السجل : الدلو . (٣) تفرَّى أديمى : انشق جلدى .
(٤) جافت : بَلَغَت الجوف . (٥) صُمّ جمع أصمّ وهو الصلبُ المتين . (٦) باخ : نمد .
(٧) أدامجه : أوافقه .

ولا تتمهّدْ قعدة فوقَ ظهرِه ... فما هو إلا ضيغمٌ أنت راكبُهْ
تَرَدَّى رجالٌ قبلنا وتقطّرت[1] ... بِهِمْ شُهبهُ دون المَدِىّ[2] وشاهبُهْ[3]
وصَرَّحَ عمّا ساءهم طولُ مَحضِه ... خبائثَ جرّتها عليهم أطايبُهْ
حبائلُ مكتوبٌ لها نصرُ كيدها ... من الله، لا يُحْمَى الذى هو كاتبُهْ
فمن مغلَقٍ مستعجِلٍ أو مؤخَّرٍ ... مُراخِيهِ يوما لا مَحالةَ جاذبُهْ
تصامتُ عن داعى المنونِ مغالطا ... وإنّى على طول السكوت مُجاوبُهْ
وقدّمتُ غيرى جُنَّةً أتّقِى بها ... ومن يوقَ من راميه لا بدّ صائبُهْ
أخلّاى، أيمُ الله أطلب ثأركم ... من الدهر، لو قد أدرك الثأرَ طالبُهْ
أفى كلّ يومٍ لى قضيبٌ مُخالِسٌ[4] ... وذخرٌ نفيسٌ منكم الموتُ غاصبُهْ؟
وكاسٍ من العلياء والحسنِ، يعتدى ... — سليما على سيفى وسَوطِىَ — سالِبُهْ
تَطيحُ به زَندِى، وجَهدُ تحفُّظى ... بميثاقِه فى الغيب أنّى نادبُهْ
وكم منكمُ كالنجم رُعتُ به الدُّجَى ... زمانا، خبا بعد الإضاءةِ ثاقبُهْ
وآخرُ لمّا ساعَدَتْنى بأصله الـ ... ـمنايا ذَوَتْ أغصانُهُ وشعائبُهْ
وأضحى بنوه غِبطةً وبناتُهُ ... تُسَلُّ بهم أنيابُهُ ورواجِبُهْ
فيزو بلبّى شجوُهُ، وتُصيبنى ... بموضعه من سِرّ قلبى مَصائبُهْ
ألا يا أخى للودّ دنيًا[5]، وكم أخٍ ... لأمّى بعيداتٍ علىّ قرائبُهْ
لحا الله خَطبا، شَلّ[6] سرحَك طاردُهُ ... وجمّعَ فى إلهابِ قلبك حاطِبُهْ
رمَتْك يدُ الأيّام عن قوسِ قارِنٍ ... اذا هو والى لم تخنه صوائبُهْ
سقتك بكفٍّ أدهقَتْ لك ثانيا ... ولمّا يُفِق من أوّلٍ بعدُ شاربُهْ

(١) تقطّرت بهم: ألقت بهم. (٢) المدىّ: الحوض لانتصب حوله حجارة. (٣) الشاهب: من الخيل الذى غلب بياضه على سوادِه. (٤) مخالِسٌ: مُعْجِلٌ. (٥) يقال: هو ابن أخى أو ابن عمّى دِنيا أى لحًّا (٦) شلّ: أذهبَ.

فَقْرٌ وقَرْحٌ لم تَـــلَاحَمْ نُدُوبُهُ ودمعٌ ودمعٌ ما تعـــلَّق سارِبُهْ
ويا ليتـــه لمّا تثـــنَّى تعلَّقتْ مقاديرهُ ، أو آستوين مَراتِبُهْ
ولكنّها كفٌّ هوتْ إثر إصبِـع (١) وحارِكُ ظهـرٍ بعـدَهُ جُبَّ غارِبُهْ
حَصاتان من درٍّ حَصاناَنِ (٢) لم تَطِرْ يدٌ بهـما ، مادنَّس الدُّرَّ ثاقبُـهْ
هما بيضـتا كِنٍّ (٣) بجـانبِ مُلبِسٍ (٤) حمـاه الطروقَ تيهُـهُ وسَباسِـبُهْ (٥)
حرامٌ على السارى تضيعَ على القطا أفاحيصُـــهُ (٦) فى جـوّه ومَسارِبُهْ
يحوطهما ما آسطاعَ وحفُّ جَناحِه شِعارُهما دون التراب ترائبُـــهْ
تراه يُصادى حاجبَ الشمسِ عنهما لو آنّ الردَى ما أحرز الشيءَ هائبُهْ
رزِئتَهما شمسيْنِ أقسمَ فيهـما ظلامُ الأسَى ألّا تَجَـلَّ غياهبُـهْ
يعـدّون حُرْقا بالفـتى فى بنـاتِه اذا ما بكَى أو ذلَّ للحزنِ جانبُهْ
وكم من كريم عَزَّهُ نجباؤه فعـزَّ بما ساقت اليـه نجائبُـهْ
وبعضُ البناتِ مَن بهـا يُنتَج العُلا وبعضُ بنى الإنسان فى الحىّ عائبُهْ
فإلّا تكونا صارمين فجـذْوتا (٧) حُسامٍ عتيقٍ لا تُفَـلُّ مَضارِبُهْ
أخى الحلم لم يَمْلِك عليـه حياؤه ولا كذَّبتْـهُ فى الزمان تجـاربُهْ
اذا وَلَدَ آستَذكرنَ حزمًا إناثُهُ (٨) كما ذُكِّرتْ أخـلاقُهُ وضرائبُـهْ
تعزَّ آبنَ "رَوحٍ" إنما الموتُ مُدلجٌ الى أمـدٍ فيـه النفوسُ مَراكبُهْ
ومن أخّرتْه شمسُ يومٍ فـلم يمت يمتْ حـــولَه أحبـابُهُ وحبائبُهْ

(١) الحارك : أعلى الكاهل وعظم مشرف من جانبيه . (٢) حصانان : عفيفتان .
(٣) فى الأصل "وما" وهو تحريف . (٤) مُلبِس : مُغطًّى ويراد به : المكان المحجوب .
(٥) سباسب جمع سبسب وهى المفازة . (٦) أفاحيص جمع أفحوص وهو الموضع تفحص عنه القطا ليبضها . (٧) فى الأصل : "بجـدوتا" وهو تحريف والجذوة : القطعة . (٨) فى الأصل : "أنَاثُهُ" وهو تحريف .

وأعجبُ من ذى خُبرةٍ بزمانه تنكّر منه أن توالَى عجائبُهْ
خُلِقنا لأمرٍ أرهقتنا صدورُهُ فياليت شعرى ما تجرّ عواقبُهْ؟
غريمٌ مُلِطٌّ(١) لا يَمَلُّ وطالبٌ بغير تِراتٍ(٢) لا تنامُ مَطالبُهْ
وقد جربْتك الحادثاتُ فلا تكن ضعيفَ القُوَى رِخوًا لهنّ مَجاذِبُهْ
وغيرُك مغلوبٌ على حُسنِ صبرِه ولا خَطبَ إلا أنتَ بالصبرِ غالبُهْ
برغمَى أن يَسرِى غزِىٌّ(٣) من الأسَى اليك ولم تُفلَلْ بنصرى كتائبُهْ
وإن كان خصما لا لسانى ينوشه ولا كلماتى الغاسقاتُ تواقبُهْ
ويا لِدفاعى عنك إن كان صارما أصافحه أو كان لينا أواثبُهْ
ومَن لى لو آنَ الحزنَ يرعَى جوانحى فدًى لك لو يرضَى بقلبِىَ ناصبُهْ
فما هى إلا مهجةٌ لك شطرُها وموهوبُ عيشٍ أنت ماعشتَ واهبُهْ
وإن كان يُطفِى حَرَّ لوعتِك البكا على أنّه جاريه لا بدّ ناضبُهْ
فدونك دمعى سائلا ومعلّقا فجامدُهُ باقٍ عليك وذائبُهْ
عتبتُ على دهرى فسهّلَ عذرُهُ بأنّك باقٍ كلَّ ما هو جالبُهْ
اذا سلِم البدرُ التمامُ فهيِّنٌ على الليلِ أن تَهوِى صِغارا كواكبُهْ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ رحمه الله عند تقلّده الوزارةَ، ويهنّئه بالنيروز، وأنشدها فى داره بباب الشعير فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

هل عند عينيك على "غُرّب" غرامةٌ بالعارض الخُلَّبِ(٤)؟
نَعَمْ! دموعٌ يكتسِى تربُهُ منها قميصَ البلدِ المعشِبِ

(١) الملطّ: جاحد الحق. (٢) التِرات جمع تِرَة: وهى الذَّحْل. (٣) الغزىّ: الغازى وفى الأصل "عزىّ" وهو تحريف. (٤) العارض: السحاب، والخلّب: الذى يُرعد و يُبرق ولا مطر فيه، وفى الأصل "المخلب" يقال: ماءٌ خُلْبٌ أى ذو خُلْب وهو الطين، وهذا لا يتفق والمعنى.

سباريةٌ[1]، تَركبُ أردافَها ... معلَّقاتٌ بعـــدُ لم تَسرُبِ
ترضَى بهنّ الدارُ سَقْيًا وإن ... قال لها نوءُ السِّماكِ : آغضبى
علامـــة أنّى لم أَنتكِثْ ... مَرائرَ[2] العهـــدِ ولم أَقضبِ
يا سائقَ الأظعانِ لا صاغرا ... عُجْ عَوجَةً ثمّ آستقم وآذهبِ
دعِ المطـايا تلتفِتْ، إنها ... تلوبُ من جفنى على مَشرِبِ
لا والذى إن شاء لم أعتذرْ ... فى حبّـه من حيث لم أُذنبِ
ما حدَرتْ ريحُ الصَّبا بعـدَه ... لثامَهـا عن نَفَسٍ طيّبِ
ولا حلا البـذلُ ولا المنعُ لى ... مذ هُـوَ لم يَرضَ ولم يَغضبِ
كم لى على "البيضاء" من دعوةٍ ... لولا آصطخابُ الحَلْىِ لم تُحجَبِ
وحاجـــةٍ لـــولا بُقَيّاتُهـا ... فى النفس لم أطرَبْ ولم أرغَبِ
يا ماطلى بالدَّين ما ساءنى ... اليـــك ترديدُ المواعيـــدِ بى
إن كنتَ تقضِى ثمّ لا نلتـقِى ... فدمْ على المطـلِ وعِد وآكذبِ
سال دمى يومَ الحِمَى من يدٍ ... لولا دمُ العشـاقِ لم تُخضَبِ
نبـــلُ رماةِ الحىّ مطـرورةً[3] ... أَرفَقُ بى من أعينِ الربربِ
يا عاذلى قد جاءك الحزمُ بى ... أقادُ فاركبنِى أو فاجنُبِ
قد سدّ شيبى ثُغَـرِى فى الهوى ... فكيف قَصِّى أثَرَ المَهْـربِ
أَفـــلحَ إلا قانـــصٌ غادةً ... مـــدّ بحبـلِ الشَّـعَرِ الأشيبِ
ما لبنـاتِ العَشْرِ والعَشْرِ فى ... جِـــدّ بنى الخمسين من مَلعبِ
شِـيَاتُ أفراسِ الهـوى كلُّهـا ... تُحمـــدُ فيهنّ سوى الأشهبِ

(١) سارية : جارية وفى الأصـــل "سارية" وهو تحريف ويتعين ذلك لقوله : لم تسرب .
(٢) مرائر جمع مريرة وهى طاقة الحبل . (٣) مطرورة : محدودة .

أمَا تَرَيْنى ضاوياً عارياً ... من وَرَقِ الملتحِفِ المُخصِبِ ؟
مُحتجِزا أندبُ مِن أمسِيَ الـ ... ـماضى أخًا ماتَ ولم يُعقِبِ
فلم يُثَلِّمْ ظُبَتَىْ عاملى(١) ... ما حَطَمَ الساحبُ من أكعبى
يوعِدُنى الدهرُ بغَدراته ... قعقعةَ لغير الليثِ أو هَبهِبِ
قد غَمزتْ كفُّك فى مَروَتى(٢) ... فتحتَ أىِّ الغمزِ لم أصلُبِ
أمُفزِعى أنتَ بفَوت الغنَى؟ ... تلك يدُ الطالى على الأجربِ
دعْ ماءَ وجهى مالئًا حوضَه ... وكُلْ سمينا نَشَبى واشرِبِ
إن أُغلَبِ الحظَّ فلى عِزْفَةٌ(٣) ... بالنفس لم تُقمَرْ ولم تُغلَبِ
ذمَّ الأحاظِى(٤) طالبٌ لم يَجِدْ ... فكيف وِجدانى ولم أَطلُبِ ؟
آه على المالِ وما يُجتَنَى ... منهُ لو انّ المالَ لم يُوهَبِ
راخِ(٥) على الدينا اذا عاسرتْ ... وإن أتَتْ مُسمِحةً فاجذِبِ
ولا تَعَسَّفْ كَدَّ أخلافِها(٦) ... فربَّما درَّت ولم تُعصَبِ
هذا أوانُ استقبلَتْ رشدَها ... بوقفةِ المعتذِرِ المعتِبِ
وارتجعتْ ما ضلَّ من حلمها ... من بين سَرحِ الذائدِ المعزَبِ
وربّما طالَعَ وجهُ المنَى ... من شرفِ اليأسِ ولم يُحسَبِ
قل لذوى الحاجاتِ مطرودةً ... وابنِ السبيل الضيِّقِ المَذهبِ :
وقاعدٍ يأكلُ(٧) من لحمِه ... تنزُّهًا عن خَبَثِ المَكسَبِ :
قد رُفعت فى "بابلٍ" رايةٌ ... للمجدِ من يَلْقَ بها يَغلِبِ

(١) العامل : الرمح . (٢) المروة : حجر أبيض برّاق يورى النار . (٣) العزفة : الانصراف عن الشيء والزهد فيه . (٤) الأحاظى : الحظوظ . (٥) راخ : أى ارخ . (٦) فى الأصل "أخلاقها" وهو تحريف ، والأخلاف جمع خِلْف وهو ضرع الناقة . (٧) فى الأصل : "نأكل" .

يصيحُ داعى النصرِ من تحتها : يا خيلَ مُحيى الحسَناتِ اركبى
جاء بها اللهُ عـلى فَـترةٍ بآيـةٍ من يَرَهـا يعْجَبِ
هاجمـةِ الإقبـالِ لم تُنْتَظـرْ بواسـع الظنِّ ولم تُرقَبِ
لم تألف الأبصارُ من قبلهـا أن تطلُعَ الشمسُ من المَغرِبِ
ردوا فقـد زاركم البحـرُ لم يُخَض له الهـولُ ولم يُركَبِ
يشِفُّ للأعين عن دُرِّه الـ ـثمينِ صـافى مائه الأعذبِ
فارتبعوا بعـدَ مِطالِ الحَيـا وروِّضوا بعـدَ الثرى المُجدبِ
قد عادَ فى "طىءٍ" ندَى "حاتمٍ"(١) وقامَ "كَعْبٌ" سيّد الأكعبِ
وعاش فى "غالبَ" "عَمرُو العُلا"(٢) يَهشِمُ فى عامهـم المُـلزِبِ(٣)
وارتجعتْ "قَحطانُ" ما بَزَّها من ذى الكَلاعِ(٤) الدهرُ أوحوشَبِ
وردَّ بيتٌ فى بنى "دارِمٍ"(٥) "زُرارةٌ"(٦) من حـولِهِ مُحتبِى
كلُّ كريمٍ أو فتًى كاملٍ وفاعـلٍ أو قائـلٍ مُعـرِبِ
فاليومَ شَكَّ السمعِ قد زال فى أخبـاره بالمنظَـر الأقـربِ
الى الوزير اعـترَقَتْ نيَّها(٧) كلُّ أمـونٍ(٨) وَعرةِ المَجـذبِ
تُعطِى الخِشاشاتِ(٩) لَيـانا على أنفٍ لها غضـبانَ مستصعَبِ
مجنـونةُ الحـلم وما سُفِّهتْ بالسَّـوط ، خَرقاءُ ولم تُجنَبِ

---

(١) حاتم وكعب من أجواد العرب . (٢) عمرو العلا : هاشم بن عبد مناف أبو عبد المطلب وهو أوّل من هشم الثريد لقومه . (٣) الملزب : الشديد القحط . (٤) ذو الكلاع : أحد أذواء اليمن . وسُمِّى بذلك لأن حِميَر تكلّعوا على يده أى تجمّعوا وحوشب من مخاليف اليمن .
(٥) هو دارم بن مالك بن حنظلة أبو حىّ من تميم . (٦) هو زرارة بن أوفى أبو حىّ فى اليمن .
(٧) اعترقت نيَّها : أكلت شحمها ، كناية عن هزالها . (٨) الأمون : الناقة الوثيقة الخَلْق .
(٩) الخِشاشات جمع خِشاش وهو ما يدخل فى أنف الناقة أو البعير من خشب ونحوه .

بيأسُ فحلُ الشّولِ من ضربها (١) لعزّةِ النفسِ ولم تُكتَبِ (٢)
لو وَطِئتْ شَوكَ القنا نابتاً فى طُرُقِ العلياءِ لم تُنقبِ (٣)
يَخطُّ فى الأرض لها مَنسِمٌ دامٍ متى يُمـلِ السُّرَى يَكتُبِ
كأنّ حاذَيها (٤) على قاردٍ (٥) أحمشِ (٦) مسنونِ القَرا (٧) أحقبِ (٨)
طامَنَ فى الرمل له قانصٌ أعجفُ (٩) لم يُمحِض (١٠) ولم يُرطِبِ (١١)
ذو وَفضةٍ (١٢) يَشهدُ إخلاقُها بأنها عامينِ لم تُنكَبِ
مهما تَحَلَّلْهُ بُنيّاتُها (١٣) من "وَدَجٍ" أو "وَرَكٍ" (١٤) يُعطَبِ
فمرَّ لم يَعطِف على "عانةٍ" (١٥) ذُعْرًا ولم يَرأَمْ على "تَولَبِ" (١٦)
به خُدوشٌ يتعجَّلْنهُ قدائمٌ من (١٧) لاحقِ الأكلبِ
بأىّ حِسٍّ ريعَ خِيلتْ له رنّةُ قوسٍ أو شبا مِخلبِ
يَذرعُ أدراجَ الفيافى بها كلُّ غريبِ الهمِّ والمطلبِ
يرمى بها ليلُ جُمادَى الى يومٍ من الجوزاءِ معصوصِبِ (١٨)
فى عَرْضِ غبراءَ رِياحيّةٍ عجماءَ لم تُسمَرَ ولم تُنسَبِ

(١) الضرب : السِّفاد . (٢) لم تُكتب : لم تقيّد ولم يُختَمَ حياؤها حتى لا يُزَى عليها .
(٣) لم تنقب : لم تصب بالنُّقَب وهى القُرَح . (٤) الحاذان : ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين .
(٥) القارد : المتجعّد الشعر . (٦) الأحمش : دقيق الساقين . (٧) القرا : الظهر .
(٨) الأحقب : الحمار الوحشىّ . (٩) الأعجف : النحيل المهزول . (١٠) لم يمحض : لم يصادف حَمَضا . (١١) لم يرطب : لم يصادف رطبا . (١٢) الوفضة : خريطة الراعى لزاده وأدواته . (١٣) بُنيّات الطريق : الطرق الصغار تتشعب من الجادّة . (١٤) ودج وورك : اسما موضعين . (١٥) العانة : اسم موضع ولغةً القطيع من حُمُر الوحش . (١٦) التولب : اسم موضع ولغةً ولد الأتان من الوحش . (١٧) الأكلب جمع كلب . (١٨) معصوصب : عصيب .

(٣٣)

يُشكِلُ مشهورُ الركايا[1] بها ... على مصانيف القَطَا اللُّغَّبِ[2]
حتى أُنيخَتْ وصدوعُ السُّرَى ... بالنومِ فى الأجفانِ لم تُشعَبِ
وشَمْلَةُ[3] الظلماءِ مكفورةٌ[4] ... تحت رِداء القَمَرِ المُذْهَبِ
الى ظليلِ البيت رَطْبِ الثرى ... عالى الأثافى حافلِ المَحْلَبِ
مختضب الجفنةِ ضخمِ القِرى ... اذا يُدُ الجازرِ لم تُخْضَبِ
تُرفَعُ بالمِنْدَلِ نيرانُهُ ... اذا إماءُ الحىِّ لم تحطِبِ
له مجاويفُ عِماقٌ اذا ... ما القِدر لم تُوسع ولم تُرحَبِ
كلّ رَبوضٍ[5] عُنْقُها بارزٌ ... مثلُ سَنامِ الجَمَلِ الأنصبِ
تُعجِلها زمعةُ ضيفانه ... أن تتأنّى[6] حطبَ المُلهِبِ
أبلج فى كلّ دجى شُبهةٍ ... لو سار فيها النجمُ لم تُثقَبِ
مُوقَّرِ النادى ضحوك الندَى ... يلقاك بالمُرغِبِ والمُرهِبِ
تَلحظُهُ الأبصارُ شَزْرا وإن ... أكثرَ من أهلٍ ومن مَرحَبِ
مُرٌّ، وإن أجدَتْك أخلاقُهُ ... شمائلَ الصهباءِ لم تَقطِبِ
يحطُّ عنه الناسُ من فضلهم ... منحدرَ الرِّدفِ عن المنكِبِ
أتعبَهُ تغليسُهُ[7] فى العلا، ... مَن طَلَبَ الراحةَ فليتعَبِ
من معشرٍ لم يُهتبَلْ[8] عزُّهم ... بغلَطِ الحظِّ ولم يُجلَبِ
ولا علا ابنٌ منهُمُ طالعا ... من شَرَفٍ إلا وراءَ الأبِ

---

(١) الركايا جمع ركيّة وهى الحفرة يجتمع فيها الماء . (٢) اللغب جمع لاغب وهو المعيى، وفى الأصل "اللعب" . (٣) الشملة الكساء دون القطيفة . (٤) مكفورة : مستورة . (٥) الربوض : الضخمة، والأنصب : المرتفع الصدر . (٦) تتأنى : تنتظر، وفى الأصل "تنأبى" وهو تحريف . (٧) التغليس : السير فى الغلس . (٨) يهتبل : يغتنم .

تسلّقوا المجدَ وداسوا العلا وطُرْقُها يهماءُ(١) لم تُلحَبِ(٢)
ووافقوا الأيّام فاستنزلوا أبطالَها فى مِقنَبٍ مِقنبِ(٣)
قومٌ إذا أخلَف عامُ الحيا لم تخترِلهم حَيْرة المَسْغبِ
أو بسَطَ اللهُ ربيعا لهم لم يَبطَروا فى سَعةِ المَخْصَبِ
سَمَوْا وأصبحتَ سماءً لهم يطلُعُ منها شَرَف المَنْسَبِ
زدتَ وما انحطّوا ولكنّها إضاءةُ البدرِ على الكوكبِ
خُلِقتَ فى الدينا بلا مُشبِهٍ أغربَ من عَنقائها المُغْرِبِ
لا يَجلِسُ الحلمُ ولا يركَبُ الـ ـخوفُ ولم تجلِس ولم تَركَبِ
إن جَنَحَ الأعداء للسِّلم أو تلاوذوا منك الى مَهرَبِ
كتبتَ لو قلتَ ، فقال العدا : أعزلُ لم يَطعَنْ ولم يضرِبِ
أو ركبوا البغىَ الى غارةٍ طعنتَ ، حتى قيل : لم يَكتُبِ
فأنت ملءُ العين والقلب ما تشاءُ فى الدَّستِ وفى المَوكِبِ
وربَّ طاوٍ غُلَّةً بائتٍ من جانب الشرّ على مَرقَبِ
ينظرُ من أيامه دولةً بقلم الأقدارِ لم تُكتَبِ
راعته من كيدك تحت الدجى دبَّابةٌ أدهَى من العقربِ
فقام عنها باذلا بُسْلَةَ(٤) الـ ـرَّاقى ولم يُرْقَ ولم يُلسَبِ
بك اشتفى الفضلُ وأبناؤه بعد عُموم السَّقَمِ المُنصِبِ
والتقم الملكُ هُدَى نهجِه وكان يمشى مِشية الأنكبِ
وزارةٌ قلّبها شوقُها منك الى حُوَّلِها(٥) القُلَّبِ

(١) اليهماء : الفلاة لا يُهتدَى فيها . (٢) لم تلحب : لم تسلك . (٣) المقنب : زهاء ثلاثمائة من الخيل . (٤) البسلة . أجرة الراقى . (٥) الحوّل القلّب : البصير بالامور .

جاءتك لم تُوسِع لها مُرغِبا ... وليَّها المَهـرَ ولم تَخطُبِ
كم أجهضتْ قبلَك مِن عَدْهم ... لها شهورَ الحاملِ المُقـرِبِ (١)
وولدتْ وهى كأنْ لم تلِد ... أمٌّ اذا ما هى لم تُنجِبِ
قُمتَ بمعناها وكم جالِسٍ ... تكفيه منها سِمَةُ المَنصِبِ
وهى التى إن لم يُقَدْ رأسُها ... بمحصداتِ الصبر لم تُصحِبِ (٢)
مَزلَقَةٌ، راكبُ سِيسائِها (٣) ... راكبُ ظهرِ الأسَدِ الأغلبِ
راحتْ على عِطفِك أثوابُها ... طاهرةَ المَرفَقِ والمَسحَبِ
فَتحتَ فى مُبهَمِ تدبيرها ... تَنفُّسَ البُلْجَةِ فى الغيهبِ
وٱرتجعتْ منك رِجالاتها ... كلَّ مطيلٍ فى الندى مُرغِبِ
رُدَّ بنو "يحيى" و"سهلٍ" لها ... "والطاهريُّون" بنو "مُصعبِ"
فٱضرب عليها بيتَ ثاوٍ بها ... قبلك لم يُعمَدْ ولم يُطْنَبِ (٤) (٣٤)
وٱستخدم الأقدارَ فى ضبطها ... وٱستشر الإقبالَ وٱستصحِبِ
وٱمدُدْ على الدنيا وجَهْلاتِها ... ظِلالَ حِلمٍ لك لم يَعزُبِ
وٱطلُع على النَّيروزِ شمسا اذا ... ساقَ الغروبُ الشمسَ لم تغرُبِ
تفضُلُ ماكرَّ سِنِى عُمرِهِ ... بملء كفِّ الحاسبِ المطنِبِ
يومٌ من الفُرسِ أتى وافدا ... فقالت العُرْبُ له : قُرِّبِ
بات من الإحسان فى داركم ... — وهو غريبٌ — غيرَ مستغرَبِ
لو شاء من ينسِب لم يَعزُهُ ... لغيركم عِدا ولم يَنسِبِ
وٱسمع لمغلوب على حظِّه ... لو أنك الناصرُ لم يُغلَبِ

(١) المقربُ التى قَرُبَ ولادها . (٢) لم تُنقد ولم تذلّ (٣) السيساء : منتظم فقار الظهر . (٤) لم يعمد ولم يطنب : لم يكن له عمد ولا أطناب .

مُوَحِّدٍ لم يشكُ من دهره ... وأهلِهِ إلا الى مُذنِبِ
أقصاه عند الناس إدلاؤه ... من فضله بالنسب الأقرب
لو قيض إنصافُك قِدما له ... عَزَّ فلم يُقْصَ ولم يُقْصَبِ (١)
عندك من برقِيَ لَمّاعةٌ ... سابقةٌ تَشهدُ للغُيَّبِ
منثورُها ذاك ، ومنظومُها ... هذا، كلا الدرّين لم يُثقَبِ
ما زلتُ أرجوك ومن آيتي ... أنّ رجائي فيك لم يَكذِبِ
لم يبقَ لي بعدَك عتبٌ على ... حظٍّ ولا فقرٌ الى مَطلَبِ
فاغرِسْ ونوِّهْ منعما واصطنع ... ترضَ مضاءَ الصارمِ المُقضِبِ
وغرِّ على رِقّيَ من خاملٍ ... لِملكِ مثلي غيرِ مستوجِبِ
كم أحمدتْ قبلَك عُنقي يدٌ ... لكنّها سامتْ ولم تَضرِبِ
ولَدنةِ الأعطافِ لم تُعتَسَفْ ... بالكَلِمِ المرِّ ولم تُتعَبِ
من الحِلالِ (٢) العفوِ لم تُستَلَبْ ... بغارةِ الشعرِ ولم تُنهَبِ
دمُ الكرى المهراقِ فيها على ... سامعِها إن هو لم يطرَبِ
جاءك معناها وألفاظُها ... في الحسنِ بالأسهلِ والأصعبِ
أفصحُ ما قيلَ ولكنّها ... فصاحةٌ تُهدَى الى "يَعرُبِ"

وقال في بعض الأغراض وقد سُئِلَهُ

ضمانةٌ يَصدُق وعدُ الضنا ... فيها، جناها الطَمَعُ الكاذبُ
عاد بها اليومُ جديدَ الهوى ... وقد تولّى أمسُها الذاهبُ
أيّة نارٍ قَدَحتْ في الحشا ... عينُ مَهاةٍ زَندُها ثاقبُ؟

(١) لم يقصب : لم يُقطع . (٢) في الأصل "الجلال" وهو تحريف .

وأىُّ ثغـرٍ ولَمًى صادنى؟ نابـلُ قلبى بهـما الصائبُ
حُبًّا له من بَرَدِ جامـدٍ يقطُـرُ منـه ضَرَبٌ[1] ذائبُ
اللهَ يا "خنساء" فى مهجةٍ أنتِ بهـا الثـائرُ والطالبُ
إن كنتِ حرَّمتِ وصالى فمن أين دمى مِلٌّ لكم واجب
سلى سهامَ الشوقِ عن أضلعى إن صدَقتْ عينُك والحاجبُ
مَنْ مُوقِدُ النـارِ وقد أُخمِدتْ على فـؤادى ومَن الحـاطبُ ؟

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى المعالى هِبَة الله بن عبد الرحيم فى النيروز الواقع فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

يا دارُ لا أنهَـجَ[2] القشيبُ منـك ولا صَوَّحَ الرطيبُ
ولا أخلَّتْ بكِ الغـوادى تَشْعَبُ ما يَصدعُ الجُدوبُ
من كلِّ مخـروقة العَـزَالِى[3] تغلِبُ أخياطَها الثُّقـوبُ
تعجَبُ منهـا رباكِ حتَّى يضحكَ فيها الوجهُ القَطوبُ
وكان عِطْرا كما عهـدنا مَشْىُ الصَّـبا فيـكِ والهبوبُ
فـربَّ ليلٍ ثراكِ فيـه — بين نُحور العشاق — طِيبُ
عُجْنا وليـلُ المطىِّ ليـلٌ بَعْـدُ وصوتُ الحادى صليبُ (٣٥)
وما نَقضناهُ من طريقٍ مِن حيثُ رحنا عنـه قريبُ
فقـال صَحْبى : أضـلَّ هادٍ أم خُدِعَ الحـازمُ الأريبُ ؟
ليس أوانُ التعريسِ هذا قلتُ : هو الشوق لا اللُّغوبُ

(١) الضرب : الشهد . (٢) أنهج : بَلِىَ . (٣) العزالى جمع عزلاء وهى مصبّ الماء من الراوية ونحوها .

يا من رأى "باللِّوَى" بُرَيقًا ... تقدَحُ نيرانَهُ الجَنوبُ
كَلَا وَلَا[1]، بينما تراهُ ... يطلُعُ أبصرتَهُ يغيبُ
كأنّ ما لاح منه وَهْنًا ... على شبابِ الدجى مَشيبُ
حدَّثنى "بالغضا" حديثا ... سَرَّ، على أنّه خَلوبُ
يقول : هيفاءُ لم يُحِلْها ... عن عهدك الناقِلُ الكذوبُ
جفونُها بَعدَكم حُنُوًّا ... ماءً وأحشاؤها لهيبُ
فارض، فمِن قلبها خُفوق ... أُعدَى ومن طرفها أصوبُ
لا وليالٍ على "المُصَلَّى"[2] ... تُسرَق فى نُسكها الذنوبُ
وما رأى "الخَيْفُ"[3] من هَناتٍ ... يغفرها المالكُ الوهوبُ
وخَلَواتٍ "بأمّ سعدٍ" ... ما بعدها لذّةٌ تطيبُ
لولا لماها لما شفانى ... "بزمزمٍ" ما سقَى القليبُ
ما ذا على مُحرِمٍ "بجَمْعٍ"[4] ... وسهمُهُ من دمى خضيبُ
وكيف والصَّيدُ ثَمَّ بَسْلٌ[5] ... تصادُ بالأعين القلوبُ ؟
يا فتكَها نظرةً خِلاسا ... سبَّبَ أدواءَها الطبيبُ
ذابت عليها حصاةُ قلبى ... يا من رأى جمرةً تذوبُ ؟[6]
قُلْ لزمانى : ما شئت فاضغط ... قد دبِرَ الجابرُ الجليبُ[7]

(١) كَلَا ولا أى كقولك "لا لا" ويراد بها أن هذا البُرَيق فى سرعته يطلع ويغيب كمقدار قول "لا لا" وهى لا تستعمل عادة إلا فى كلّ ما يتمّ على السرعة كقول مهيار فى غير هذا المكان .

كيف رأيت الإبِلَا * خواطفًا كَلَا وَلَا

(٢) المصلَّى : اسم موضع . (٣) الخَيْف : اسم موضع . (٤) جَمْع : اسم موضع من مناسك الحج . (٥) بسل* : حرام . (٦) كذا بالأصل وفى منتخبات الباروودى "صخرة" .
(٧) دبِرَ : أصابته الدبرة وهى قرحة فى ظهر البعير .

أصبتَنى بالخطـوبِ حـتَّى ... لم تُبـقِ لى مَقتَـلا تُصيبُ
فى كل يومٍ جورٌ غريبٌ ... عنـدى عليه صبرٌ غريبُ
حتى لقـد صار لا عجيبا ... منـك الذى كلُّه عجيبُ
ولائمٍ فى عُروفِ نفسى ... قلتُ له : أنتَ والخطـوبُ ؟
عساك — خُبْرا بالناس — مثلى ... إن رُدَّ من حِلمك العـزيبُ
فَفِى قِـلَى مَنْ تُراكَ تَلْحَى ... منهـم؟ وفى تَرْكِ مَنْ تَعيبُ ؟
اللهُ لى — إن طَرَحْتُ عِرضى ... أُكلةَ آمالهـم — حسيبُ
قد كنتُ أبكى وهـم فُروقٌ ... شَتَّى وأشكو وهـم ضُروبُ
فاليـوم سوّتهـم المَساوى ... عنـدى وعمَّتهم العيـوبُ
فما أرى منهُـمُ بريئا ... يَحْشَى آقتضاحا به المُـريبُ
بلى ! قد آستثنتِ المعالى ... بيتًا لها نخـرُهُ نسيبُ
بيتًا ، شموسُ الضحَى عمادٌ ... له ، وشهبُ الدجَى طُنـوبُ
الحَسَبُ (١) العِـدُّ (٢) من بنيـه ... كلُّ نجيبٍ نَمَى نجيبُ
من آل "عبـدِ الرحيم" مُرْدٌ ... حولَ رواقِ العُـلا وشِيبُ
تشـابهوا سُـودَدًا فأعطَى ... شاهدُهم فضـلَ مَن يغيبُ
كلُّ مُحَيَّا الجبينِ طَلْقٍ ... لم يَعتسِفْ بِشرَه القُطـوبُ
راضون أن يُشبِعوا ويَضْوُوا (٣) ... والعـامُ مسحنفِزٌ (٤) غَضـوبُ
تَرْوَى عِطاشُ الآمالِ فيهـم ... وهْىَ عـلَى غـيرهم تَلوبُ
لهـم أفاويقُـها إذا ما ... أصرَمَ ثَدْىُ الحَيَا الحَـلوبُ

(١) فى الأصل : أيحسب . (٢) العِدّ : القديم . (٣) يضووا : يُهزَلوا ، وفى الأصل : "يضروا" . (٤) مسحنفز : ماض مسرعا .

دوحةُ مجدٍ، أبو المعالى غصنُ جناها الغضُّ الرطيبُ
كان فَتاها والرأىُ كهلٌ وطفلَها والمجا لبيبُ
ليثُ حِماها والدارُ حربٌ وفى السلامِ الظبىُ الربيبُ
لا فَرحةٌ تستقلُّ منه حِلْما ولا نَوبةٌ تنوبُ
تغمِزُ فيه أيدى الليالى والنَّبْعُ مستعصمٌ صَليبُ
إذا كساه الغِنَى قميصا فهو بأيدى الندَى سليبُ
وكلُّ سعىٍ له كَسوبٍ تَغرَمُه كفُّه الوهوبُ (٣٦)
يحمى حِماه بنافذاتٍ خُدوشُها فى العِدا نُدوبُ
لا يَبلُغُ السَّبرُ(١)، ما يُفَرِّى(٢) ــ مُعمِّقا ــ جُرحُها الرغيبُ
يبعثُها مفصِحا لسانٌ ماضٍ إذا لجلَجَ الخطيبُ
إذا فُروجُ الكلامِ ضاقتْ تَمَّ بها باعُهُ الرحيبُ
لا مَحقتْ بدرَك الدآدِى(٣) ولا محا شمسَك الغروبُ
ورَجَع الدهرُ مستقيلا اليكَ من ذنبِه يتوبُ
يُقسِمُ لا شِيمَ وهو سيفٌ بعدُ ولا شَمَّ وهو ذيبُ
وعاد ظلُّ الدنيا عليكم يُورِقُ أو يُثمِرُ القضيبُ
حظُّكمُ صفوُها وحظُّ الـ ـأعداءِ منها المُرُّ المشوبُ
ما كرَّ عَودًا شبابُ ليلٍ يَرُدُّهُ من ضُحًى مَشيبُ

(١) السبر : امتحان غَوْر الجرح ومعرفة مقداره . (٢) ما يفرّى : ما يُشَقّ .
(٣) الدآدئُ : ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالى المحاق أو هنّ ثلاث ليال فى آخر الشهر يُدأدِئُ القمر فيها الى الغروب أى يسرعُ وقد سُهِّلت همزتها ، كقول الراجز

أبدى لنا غرّة وجه بادى * كزُهْرَة النجوم فى الدآدى

وواحدتها : دَأْداء، وفى الحديث "أنه نهى عن صوم الدأداء" وهى يوم الشك .

وزار يومُ النـــيروز عامَ الـ ... يخصبِ كما زارك الحبيبُ
تُهدَى لكم من ثَنايَ عُونٌ[1] ... كلُّ ابنِ سمعٍ لها طروبُ
قواطنٌ فيـــكُمُ وتُمسِى ... تجولُ فى الأرض أو تجـوبُ
فى كلِّ يومٍ تغشـاك منهـا ... حبيبـــةٌ ما لهـا رقيبُ
كذاك لا غائبٌ خبيثٌ ... لكم ولا شاهـــدى مريبُ
قـــلبى صحيـــحٌ لكم وودّى ... ما مرِضَ الودُّ والقـــلوبُ
أجبتكم قبـــلَ أن دعـوتم ... فكيف أُدعَى فلا أُجيبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس سعد الملك أبى الحسين بن حاجب النُّعمان فى شوّال من ســنة سبع عشرة وأربعمائة ، ويذكُرُ قديمَ الرياســةِ فى بيته ، وٱجتذابَه إيّاه ، وٱقتراحَه مديحَهُ ، وَتواصَلَ الخطابُ على ذلك

لعلَّها — واليأسُ منها أغلبُ — ... إن نأتِ اليـــومَ غدًا تستقربُ
حاجةُ صـــدرٍ لك لا ملفوظةٌ ... ولا تَســوغُ حُلوةٌ فتُشـــرَبُ
أَمْحَكُ من مواعِدِ الدهرِ بها ... ممّا يجيءُ باطـــلا ويذهبُ
ودونها — أن ينتهِى لِحَاجُها — ... ذو صِبغتَيْنِ دِينُـــه التقلُّبُ
فى كلّ يومٍ مُرسَـــلٌ مغـالِطٌ ... لى عنـــده ، وشافِعٌ محبَّبُ
وحَلفـــةٌ كاذبةٌ وفى فمى ... شكيمةٌ[2] من أن أقولَ : تكذبُ
مُلَّ فلا الحصـاةُ من فـــؤاده ... تلينُ لى ولا اللسانُ يَرطُبُ
اللهَ ياهيـــفاءُ لى فى زمنٍ ... نعيمُهُ بعـدَكُمُ معـــذَّبُ

---

(١) العُونُ جمع عَوانٍ وهى النَّصَفُ فى سنِّها من كل شىء ويريد بها قصائده . (٢) الشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

وكيدٍ يصدَعُها كلُّ أسًى ... بها الكبودُ القرِحاتُ تُشعَبُ
لا سلوةُ البعدِ المُريحِ عِصمةٌ ... منكِ ولا الهمُّ المُراحُ يعزُبُ(١)
وكلَّما أطمعَ فيكِ سببٌ ... آمُلُهُ أيأسَ منكِ سببُ
يعيشُ قلبي وهو عيشٌ مؤلمٌ ... ثم يموتُ وهو موتٌ طيِّبُ
نَفْسَكَ يا مُعطى الهوى قِيادَه ، ... إنك في خَيطِ الهوانِ تُجنَبُ
وإن هَوِيتَ فانتصِرْ بغَدرةٍ ... عن ثقةٍ أنَّ الوفاءَ العطبُ
قالت على "البيضاء" أختُ عامرٍ: ... أسفرَ في فَوديكَ ذاكَ الغيهبُ
ومن بلاياكِ وإن عبتِ به ... شبابُ حُبِّي وعِذاري الأشيبُ
غدرُكِ والخمسونَ ، أيّ روضةٍ ... قشيبةٍ بينهما لا تُجدِبُ؟(٢)
وما الذي أنكرتِهِ من ليلةٍ ... يطلُعُ فيها قمرٌ أو كوكبُ؟
ما نَصَلَتْ إلا بماءِ مقلتي ... فليتها بماءِ قلبي تُخضَبُ
وعاذلٍ لا سُقِيَتْ غُلَّتُهُ ... "بالغَور" ما يُروى ولا ما يَعذُبُ
يزعمُ أن كلَّ دارٍ "رامةٌ" ... وأنّ كلَّ ذاتِ حِجلٍ(٣) "زينبُ"
حلفتُ يومَ ينحرُ الناسُ بها ... ساجدةً أذقانُها والركبُ
يُعطَى المُنَى منها الذي يَستامُهُ ... طُلًى(٤) تَطيحُ وجُنوبٌ(٥) تُجبُ
مثلَ التلاعِ(٦) بازِلًا(٧) وحِقَّةً(٨) ... قامَ عليهنّ الربيعُ المخصِبُ
والمُشرِفاتِ من "مِنًى" كأنّها ... على ظُهورِ الهَضَباتِ حَدَبُ
وباللبِّينَ سعَوا فنفَضُوا ... ذنوبَهم وجمَّروا وحصَبوا

(١) في الأصل "المزاح يغرب" وهو تحريف . (٢) في الأصل "تجذب" وهو تحريف .
(٣) الحجل : الخلخال . (٤) الطلى : الأعناق . (٥) تجب : تسقط . (٦) التلاع جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض . (٧) البازل : الجمل المسن . (٨) الحِقّة : الناقة الداخلة في الرابعة من عمرها .

وماحَوَى ـ وأىُّ فضلٍ ماحوى ـ ذاك العتيـقُ البـارزُ المحجَّبُ
لو نُسبَ المجـدُ لَمَـا كان الى غير بنى "عبدِ العزيزِ" يُنسَبُ
مِن أرضِهم طينتُـهُ وفيهِـمُ رواقُـهُ و بيتُـهُ المطنَّبُ
أقسمَ : لا فارقَهم، وأقسـموا ما دام خُلْدًا مِن "أبانَ" مَنكِبُ
حىٍّ على رغم البـدورِ غُرَرًا تَقـدحُ فى فحم الدجى فَتثقُبُ
وردْ نفـوسا حُرّةً وأيديا تُحيلُ فى المحلِ عليهـا السُّحُبُ
تبادروا الجودَ فلاطوا(١) حوضَهُ، لهم ليـالى وِردِه والقَـرَبُ
وآنتظموا سودَدَهم نظْـمَ القنا لكن صدورٌ ليس فيها أكعبُ
داسُوا بأعقابِهمُ هامَ العـلا وآقتعَـدوا ظهورَهـا وآعتقبوا
شُمّ الأنوفِ والسيوفِ، قَصُرَتْ دروعُهم، وهى سِباغٌ تُسحَبُ
يَمشُونَ رَجْلَى(٢) فيُخالُ أنهـم من شَـارةٍ(٣) ومن شَطَاطٍ(٤) رَكِبوا
توارثوا الملكَ فـلا خلافـةٌ إلا لهـم سريرُها والمـوكبُ
ومنهُـمُ فى حربهـا وسلمها رمحٌ يَخُطُّ ولسانٌ يخطبُ
حُلِّىُّ كلِّ دولةٍ عاطلةٍ وبِشْرُ كلِّ نعـمةٍ تُقَطِّبُ
إذا الخطوبُ حُسِمتْ بخَـدعةٍ أو رَدعةٍ لانوا لهـا وصَـعُبوا
إن كتبوا، قلتَ: آصطلاما(٥) طعنوا أو طعنوا، قلتَ : بلاغًا كتبوا
ترى الجبالَ فى الحُبَى إن جَلَسوا والأسدَ هِيجَ شَرُّها إن وَثبـوا
لهـم قُدامَى الفخرِ، ما تنقُـلُه لك الرواةُ وتريك الكتبُ
وخيرُ ما آستطرفْتَـهُ حديثُهـم إذا الكرامُ زانهـم ما أعقبـوا

(١) لاطوا : طيَّنوا . (٢) رَجْلَى : على أرجلهم . (٣) من شارة : من حسن وزينة .
(٤) ومن شطاط : من طول وحسن قوام . (٥) آصطلاما : آستئصالا .

وَلَدوا "أبا الحسين" فرأى الـ ـمجدُ به كيف نَمْوا وأنجبوا
برزتَ فى عِقْدِهِمُ واسطةً لها من الأبصار ما يُستلَبُ
بيضاءَ مما أَبغضَ الغوّاصُ فى الـ ـفحص عليها أنفُسًا تُحبَّبُ
ومَطلَتهم دونها أُمنيّةٌ رَوّاغةٌ وحِقبٌ وحِقبُ
حتى قضى الصبرُ لهم قَضاءَهُ وٱستحيتِ الأيّام مما نصَبوا
فاستخرجوها تملأ الراحةَ والـ ـعينَ، فقالوا : دُرّةٌ أم كوكبُ ؟
وشَرُفَتْ فلُقِّبتْ فخرَ العلا لو لم يقَعْ دون سناها اللقبُ
وكيف لا تطلُع بدرا فيهمُ ؟ والشمسُ جدٌّ لك والنجمُ أبُ
ألقَى الكمالُ طائعا عِنانَهُ اليك يُرخى تارة ويَجذِبُ
وأقعَصَ الأقرانَ عنك قَلَمٌ[1] ممرَّنٌ وخاطرٌ مدرَّبُ
وقمتَ قُرحانا[2] فتيًّا بالعلا قُيِّدَ عنك القارحُ[3] المجرَّبُ
ورثتَ فضلا لو قنِعتَ لكفَى لكن أَبيتَ غيرَ ما تكتسِبُ
كالليثِ لا تحلو له فريسةٌ لا ينتقِي[4] فيها ولا يُخَلِّبُ[5]
وكم سواك لم يجُزْ حِسابُهُ أعدادَ ما تُملى عليه الحُسَّبُ
حَويتَ إعظاما وقد مثّلتَ لى رائدَ عينىَّ وقلتَ : تَكذِبُ
أَدُميّةٌ صيغتْ أم البدرُ هَوَى وبَشَرٌ أم مَلَكٌ مُقَرَّبُ ؟
معجِزةٌ جاء الزمانُ غلطا بها وآىٌ كلُّهنّ عَجَبُ
وكرمٌ على اللسان حاضرٌ يشِفُّ منه الكرمُ المُغيَّبُ

(١) أقعص : أمات . (٢) القُرحان فى الإبل : مالم يجرَبْ قطّ ، وفى الأصل "فرحانا" وهو تحريف . (٣) القارح المجرَّب : المسنّ الذى أصابه الجرب . (٤) ينتق : يطلب النِّقْىَ وهو مخّ العظام . (٥) يخلّب : يُعمِلُ مخالبَه .

وراحةٌ مُطلَقـةٌ طارحَهـا الـ ـعِرضُ المصونُ أن يهون النشبُ
سحرتَنى ودارُ عِزّى "بابل" وقُـدتنى وأمُّ رأسى (1) تصعُبُ
ومَلّكتنى لك نَسوانَ الهـوى خلائقٌ غِناؤهنّ مُطـرِبُ
ملأتَ بالبِشـرِ وطابَ (2) أمَلى وبعضُهـم بكيئةٌ (3) لا تُحلَبُ
حتى رَقَى الحاوِى فأصغيتُ له وكدتُ مع شدّةِ زُهدى أرغبُ
وقلت عاش "لزهيرٍ" (4) "هَرِمٌ" (5) وقام فى أهل "الزُّبَيرِ" "مُصْعَبُ" (6)
أرضيتنى عن الزمان بعـد ما حرَّقَ أضلاعى عليه الغضبُ
وعاد بَرْدًا وسـلاما بك لى ما توقِد الدنيا وما تَحتطِبُ
أغنيتنى قبـلَ اللُّهـا مودّةً والودّ عنـدى خيرُ رِفدٍ يوهَبُ
وقرَّبتنى منـك أُولَى نظـرةٍ حتى كأنّا لم نزل نصـطحبُ
فِراسـةٌ أيقظك المجـدُ لهـا وفطنـةٌ على سواك تعـزبُ
وهمّـةٌ إذا ركبتَ ظهـرَها أدركتَ من أخرَى العلا ما تطلُبُ
فاسمع أُقرِّطْك شُـنوفا دُرُّهـا لغـير آذانكُم لا يُثقَبُ
من المصـوناتِ التى تَعنَّستْ (7) خلف الخدورِ وهى بِكرٌ تُخطَبُ
تنـافسَ الملوكُ فى مُهـورها واقترَعوا فى حُبِّـها واحتربوا (8)
عنـدهُم الرغبـةُ والودّ لهـا وعنـدها المـلالُ والتجنُّبُ

(١) أمّ الرأس : الدماغ أو الجلدة الرقيقة التى عليه . (٢) الوطاب جمع وطْب وهو السِّقاءُ .
(٣) البكيئة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها . (٤) زهير بن أبى سلمى الشاعر . (٥) هرم بن سنان من أجواد العرب وقد اختصه زهير بمداحه . (٦) الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ومصعب ابنه . (٧) تعنّست : صارت عانسا وهى التى طال مكثها بعد إدراكها ولم تتزوج قط حتى خرجت من عداد الأبكار . (٨) احتربوا : أوقدوا نار الحرب .

وزادها نزاهةً وورَعًا منّى أبٌ على البناتِ حَدِبُ
ليس عليه للتمنّى طاعةٌ ولا له فى الشهواتِ أربُ
لا يمدح الناسَ ولكن مدحُكم يَلزَمُ فى دِينِ العلا ويجبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس الأجلّ عميد الكفاة أبى سعد بن عبد الرحيم، يبتذله ببعض المعاتبة، ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى السنة المذكورة

نأتْ والأمانى بها تقرُبُ وملّتْ وأحسبها تعتِبُ
ومال بها الغدرُ غدرُ الطبا عِ عنّى والكاشحُ المُجابُ
وغيرانُ يُذعِره آسمى بكم ويؤنسه حولَه المِقنبُ
يكون لغيرى جَناحَ البعو ضِ لينا ولى قَرْمُه[1] المصعَبُ
ومنتحِلٌ فى الهوى يدّعِى مقامى وشاهدُه يكذِبُ
تبدّل بى — ساء ذاك البديلُ — كما بِيعَ فى الأخبثِ الأطيبُ
فيا عَجَبى من مُريقِ دمى عنادا وقلبى به معجَبُ
ومستهزئٌ ضاحكٌ من بكاى يجدُّ بقلبى كما يلعبُ
أهيفاء، أىُّ هوى قد علمـ ـت يُقصى وأىّ أخٍ يُقصَبُ[2] ؟
ولما آنطوَى العامُ نفسى تَرُدُّ عنك وحافزُها يَطلُبُ
صددتِ كما آنصرفَتْ[3] بالصدى غرائبُ[4] أوجهها تُضرَبُ
أقول : غدًا ، نظرا للوفاء وغدركُمُ من غدٍ أقربُ
وكيف اللقاءُ وقد سُدّتِ الـ ـمطالعُ يا ذلك الكوكبُ ؟
وأين النجاءُ وما الحظُّ فيه، ومنكِ — وأنتِ المنَى — المهربُ ؟

(١) القرم المصعب : الفحل الذى ترك فلم يُركب حتى صار صعبا . (٢) يُقصب : يُقطَعُ .
(٣) الصدى : الظمأ . (٤) الغرائب : الإبل الغريبة التى تضرب لصرفها عن الماء .

* * *

سلِ الهاجعين على "ذى الطُّلوح"[1] وطَـرفى لهـم حارسٌ يرقُبُ
أشمتُم يمينا سنا بارقٍ يشوقُ على أنه خُلَّبُ ؟
تألَّق مستشرفا لا يُسَلُّ حتى يُرَى سيفُه يُقْرَبُ[2]
يُبينُ ويُخفِي رءوسَ الهضابِ فتنصُلُ منه كما تُخضَبُ
يَمُرُّ فيُرغِب[3] فى أضلُعِى صُدوعا برَجعتِه تُشْعَبُ
وهل عنده خبرٌ إن سألـ ـتُ: ما "البانتان" وما "زينبُ" ؟
وهل ربعُ "غُرَّبَ" فى الباليا تِ أم هل على عهدنا "غُرَّبُ" ؟
سقَى بالحمى الأعينَ النابلا تِ من دم أحشاىَ ما تشربُ
وحيَّا الحيا أوجها لا تَغُشُّ، لُجينُ الجمالِ بها مُذهَبُ
وفى السانحاتِ بذاك "الرُّمَيـ ـل" عفراءُ تاهَ بها الربربُ
من الذاهباتِ بحَبِّ القلو بِ لا تُقتَضَى رَدَّ ما تَسلُبُ
وما نُطفةٌ حصَّنتها السماءُ بأرعنَ مَرقاهُ مستصعَبُ
مصفَّقةٌ[4] حَلَبَتْ عَفوَها[5] بها المزنُ أوّلَ ما تُحلَبُ
الى أن تبقَّت لُباناتُها وكادت بما لُطفتْ تَنضُبُ
تراوِحُها وتغادى الشَّمالُ تُرقرقُ فيها وتُستعذَبُ
ولا نحلةٌ بات يَعسوبُها[6] على الحسْنِ من حَذَرٍ يلسبُ
يَغارُ فيمنعها أن تُشا رَ[7]، ما منعَ الشائرَ المِشغَبُ[8]

(١) ذى الطلوح : اسم موضع . (٢) يقرب : يدخل فى القراب وهو غمد السيف .
(٣) يرغب : يوسع . (٤) مصفّقة : مصفّاة . (٥) العفو : أوّل ما يحلب .
(٦) اليعسوب : ذكر النحل . (٧) أن تُشار : أن يستخرج عسلها . (٨) المشغب : المهيِّج .

تُجاذبُ فيها أكفُّ الجُنا ... ةِ غِنًى[1] مثلها مثلُه تَكسِبُ
ولا مِسكةٌ طاف عطّارُها ... "بدارِينَ"[2] يخلُ ما يَجلبُ
يبقِّرُ عنها بطونَ الظِّباءِ ... من الألف واحدةٌ تُنجِبُ
فجاءت لضوعتها سَورةٌ ... تكاد العِيابُ بها تُثقبُ
بأطيبَ من فم ذات الوشاح ... سُحورا، بلى! فمُها أطيبُ
تقول العواذلُ: دعْ ذِكرها ... ففي الذِّكر قادحةٌ تُلهِبُ
وهَبْها كعاريةٍ تُستَرَدُّ ... لا بدَّ أو ثَلّةٍ[3] تعزُبُ
فقلتُ: إذن كبِدى فلذةٌ ... من الصخر أو كبِدى أصلبُ
تُزَمُّ الحمولُ فلا أستكينُ ... وتشدو الحمامُ فلا أَطرَبُ
عَذيرَى من زمنٍ لا يَسُرُّ ... بنعماءَ إلا بها يَنكُبُ
إذا قَسَمَ الحظَّ بين الرجال ... فحظّى من شرّ ما يُنصِبُ
تَعاوَى عليّ تصاريفُه ... تُذأبُ حولى وتَستكلبُ
فأدفعهنّ بصبرى الجميلِ ... اذا ظَلَع المتنُ والمنكبُ
سأركبُ عزمِى، حتى يطيرَ ... عن الضيم عنقاءُ بِى مُغرِبُ[4]
وإلا فعندَ عميدِ "الكفا ... ةِ" حِمًى مانعٌ وذَرًى مُعشِبُ
وراتعةٌ من أمانى العُفا ... ةِ لا هىَ تَظمَى ولا تَسغَبُ
لها ما يُوَسِّعُ من ذَرعها ... بساطَ الرجاء وما يُرحِبُ
كريمٌ، وشائجُ[5] أعراقِه ... إلى العِيصِ[6] من مجده تَضرِبُ

(١) فى الأصل "عنى" وهو تحريف. (٢) دارين: بلدة مشهورة بالطيب. (٣) الثلة: جماعة الغنم أو الكثيرة منها. (٤) يقال: عَنقاءُ مُغرِبٌ وعنقاء مُغربةٌ والعنقاءُ المغربُ وعنقاءُ مُغرِب وهو طائر معروف الأسم لا الجسم وفى المثل "حَلَّقتْ به عَنقاءُ مغربٌ". (٥) الوشائج جمع واشجة وهى الرحم المشتبكة. (٦) العيص: هو من أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر.

توسَّعَ فى نسبٍ، كالهـلال ... إلى الشمس، أعرقَ ما يُنسَبُ
بُناةُ العـلا آلُ "عبـدِ الرحيـ ... ـم" يُعـرَفُ بابنِهِمُ ما الأبُ
ميامينُ، أندِيةُ المكرماتِ ... لهـم تُجتَبى (١) وبهـم تُعصَبُ
إذا ذَكَروا العـارَ لم يأمنوا ... وإن ركبوا السيفَ لم يَرهَبوا
وجـوهٌ ميسَّـرةٌ للنـجا ... ـحِ باسمـةٌ والـثرى يَقطُبُ
وأيـدٍ تخفُّ إلى الأعطياتِ ... إذا حُسِبَ الفقـرُ لا تُحسَبُ
تراحُ عِشارُهُمُ (٢) للشـفارِ ... فتُعبَطُ (٣) من قبـلِ تُستحلَبُ
ولولا القرَى ورشادُ الضـيو ... فِ (٤) لم يغدُ عبدٌ لهـم يَحطِبُ
مضَوا تضمنُ المجـدَ أحداثُهم ... وذكرهُـمُ خالدٌ طيِّبُ
وقام "أبو سـعدهم" (٥) ذائدا ... بمـيراثه وبمـا يكسِبُ
فتـاهم بما عُدّ من سِـنِّه ... وشـيخٌ وأحلامهم تعـزُبُ
كفته بديهـةُ حِـدْثانه ... قـديمَ الرجالِ وما جَرّبوا
وغَلَّس حـتى آنتهى واحـدا، ... له المجلسُ : الصـدرُ والموكبُ
كثيرِ الغَنـاءِ قليـلِ العنـاءِ ... فما يستـريح وما يتعَبُ
وما يَغـمِزُ الخطبُ فى عُوده ... إذا آنقلب الزمنُ القُلَّبُ
أبىٌّ جوادٌ، فيـومَ الخصـام ... يَجُجُّ، ويومَ النـدى يَغلبُ
يَرى النفسَ تلك الـتى لا تُذَ ... لُّ والمـالَ ذاك الذى يُوهَبُ
أصـاخ بكم لِىَ حـظِّى الأصـ ... ـمُّ وآعتذر الزمنُ المذنبُ

(١) تجتبى : تصطفى ، وفى الأصـل "تجنى" وهو تحريف . (٢) العشار : النوق .
(٣) فتعبط : فتُنحر . (٤) يريد : لولا ما يوقدونه للقرى من النار التى يُرشَد بها الضيوفُ الى أحيائهم ما آحتطب لهم عبد . (٥) فى الأصل : "زايدا" وهو تحريف .

وذلّلتُمُ لِي ظهورَ الرجا ... ءِ ما شئتُ أركبُ أو أجنُبُ
وكنتم مآلى ومالى نلسـ ... ـتُ أرهبُ شيئا ولا أرغبُ
وردَّ الودادُ اليكم قِيا ... دَ قلبى فما عنكمُ مَذهبُ
وحلّأتُ[1] عن حوض شعرى الملو ... كَ وهو لكم مُغدِقٌ مُعذَبُ
صوارمُه دونكم تُنتضَى ... وأذيالُه حولكم تُسحَبُ
أَحنُّ لكم حَنَّةَ العاشقين ... فأمدحكم مثلَ ما أنسِبُ
على مللٍ فيكُمُ لا تزال ... بجنبى قوارفُهُ تَنْدُبُ
متى آتِ لم أكُ مستكرَها ... وأنأَى فما أنا مستقرَبُ
وكم ماطرٍ فيهِمُ بالوفاءِ ... إذا رمتُ أنصافَهُ[2] يحلِبُ
يُدير كئوسَ الهوى بيننا ... فيسقِى الغرامَ ولا يشرَبُ
ومن حاسدٍ لِيَ، أرسانُهُ ... بما ساءنى عندكم تُجذَبُ
إذا خافنى دبَّ فى دوركم ... بعيبى كما دبَّت العقربُ
فلا وشَقاوتِهِ ما يَشُقّ ... على البدر أن تَنبَحَ الأكلُبُ
ولو كنتُ أُغلى عليكم رضاىَ ... لما سرّكم أننى أغضبُ
ولكن فؤادٌ لكم رقَّهُ ... فما يستتيع ولا يَهرُبُ
يُريه الهوى أنَّ إمساكه ... بكم من تنقّلِهِ أصوبُ
وأنَّ الحِفاظَ وحبَّ الوفاءِ ... على طينِ طابعِهِ أغلبُ
فلا تنتزعكم يدٌ تستمـ ... ـيحُ منّى ولا قاهرٌ يَغصِبُ[3]

(١) حلّأت : منعتُ، ومعذَب : منزوع ما فيه من قذًى . (٢) أنصافه : أى نصف ما يحلبه فى قَربه، ومنه : قربة نَصفَى أى بلغ فيها الماءُ أو غيرُه نصفَهُ . (٣) فى الأصل " يغضب " ولا يتفق والمعنى .

ولا أَعدَمَنْ منكُمُ أُســرةً بأيســر عُتبَى لهـا تعــتِبُ
وغُــرٌّ مفــوَّفةٍ كالبرو دِ أو هى من حَوكها أقشبُ
تجـارِى بروجَ العلا أو تعود وشرقُ النجوم لهـا مَغــرِبُ
يُذِلُّ النــوالُ لكم صعــبَها فكلُّ شــوامسها[1] تُركَبُ
بكم هـامَ ريقُها[2] فى الشــبابِ وهــذا لكم عمرُهـا الأشيبُ
على كلِّ يومٍ جديدِ الســعو دِ ومن حُسنِها سِمةٌ تغرُبُ
فإن جاءكم أعجمىُّ اللسـا ن فهْى لسانٌ له مُعــرِبُ
فتبقونَ وهى بواقٍ قعــودٌ ما[3] آختلَف الصــبحُ والغيهبُ

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحملات شيبب بن حمّاد بن مَزْيَد، وقد كرّر الرغبةَ اليه فى ذلك، وثقّل بجماعةٍ من الأصدقاء سامهم تنجُّزَ مديحه، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

طَرقتْ على خطَر السُّرَى المركوبِ والليــلُ بين شَبيبةٍ ومَشيبِ
وعلى الرحائل ساجدون دَحا[4] بهم سُكْرانِ : سُكْرُ هوًى وسُكْرُ لُغوبِ
دعَموا الخــدودَ بأذرعٍ مضعوفةٍ وتواقعــوا لمناكبٍ وجُنوبِ
وتعــلَّوا طرَبا إلى أوطانهــم بحنينِ كلِّ منــدَّبٍ[5] مجلوبِ
فكأنَّ صَحْبى ناختهم قَرقَفٌ[6] أو فزٌّ بينهــمُ عِيابُ الطِّيبِ
فعجبتُ للزَّورِ القــريبِ دنا به قــدرٌ وليس مَزارُه بقــريبِ

---

(١) الشوامس جمع شامس وهو الفرس يمنع ظهره. (٢) الريق: أول العمر. (٣) هذا الشطر دخل على أوله "الخرم" وهو ذهاب "الفاء" من "فعولن". (٤) دَحا بهم: رمَى بهم. (٥) المندَّب: الذى به آثار الجروح. (٦) قرقف: من أسماء الخمر، وفزّ: سال ونِدِىَ.

يَسرِى وحيدا "بالعراق" وأهلُه ... ما بين قُنَّةِ "لَعلَعٍ" و"عَسيبِ"
وأبى سَلامةَ إنما جَلبَ الكرى ... منها عـدوًّا فى ثيـابِ حبيبِ
لو حُكِّمتْ يقظَى لمـا زارت بلا ... عِدَةٍ ولا وصلتْ بغـيرِ رقيب
يا أخت "فِهرٍ" والمحبة بيننـا ... نسبٌ، وإن ناداكِ غيرُ نسيبِ
لولاكِ لم أشِمِ الخلابَ ولاصبتْ ... نفسى لأحلامِ الكرى المكذوبِ
ولكان لى مندوحةٌ "بالحَزْنِ"(١) فى ... أخويك من رشأٍ له وقضيبِ
ناهضتُ حبَّك والنحولُ يخونني ... وكتمتُ سرّك والدموعُ تَشِى بى
وحَملتُ حتى قيلَ : مات إباؤه ... وجزعتُ حتى قيلَ : غير لبيبِ
فاذا وذلك(٢) ليس عنـدكِ نافعـا ... لمـا مالِتِ وقـلَّ منـك نصيبى
تتجرّمين الذنب تجـزينى به ... والشيبُ والإقلالُ كلُّ ذنوبى
ثِنتان لو خُيِّرتُ فى كلتيهما ... عُمَـرَ الربا مالى وعَمْـرَ مَشيبى(٣)
ولقد حَبستُ عن اللئامِ مَطامعى ... وأطلتُ فى دار الهـوان مَغيبى
وعزفتُ والأرزاقُ مطمحُ ناظرى ... أَنِفًـا من المتمنِّنِ الموهوبِ
مالى أذلُّ وسيف نصرى فى فمى ... والصونُ بين مآزرى وجيوبى
وعلىّ دون الحاسدين ونَبْـلِهم ... دِرعان من فِطَنى ومن تجـريبى

(١) الحزن : اسم موضع .
(٢) يريد "فإذا هـذا وذلك" كقول عبـد الرحمن بن عبد الله أو عبد الله بن عبـد الرحمن بن أبى عمّار المشهور بالقَسّ وهو صاحب سلّامة المغنية

باتت تعلّلنا وتحسب أننا ✲ فى ذاك أيقاظ ونحن نيامُ
حتى اذا سطع الضياء لناظر ✲ فاذا وذلك بيننا أحلامُ

وكقول أبى كبير الهذلىّ

فاذا وذلك ليس إلا ذكرُهُ ✲ وإذا مضَى شىءٌ كأنْ لم يُفعَلِ

(٣) كذا بالأصل رسما وشكلا ولعله :

ثِنتان لو خُيِّرتُ فى كلتيهما ✲ عُمَرَ الرُّبَا مالى وعَزَّ مشيبى

وحمـايةُ الأحرارِ تحفظُ جانبي والفضلُ يمنع سارحى وعزيبى

(٤١) وإذا فزعتُ لحاتُ من أَسدٍ إلى أَسدٍ تأشَّبَ فى القنا المخضوبِ

ونزلتُ فى غُرَفِ العـلا متظلّلا بالعـزّ تحت رواقها المضروبِ

وعلِقتُ منهـا ذمَّـةً ومـودّةً أن فات "حمّادٌ" بجبلِ "شبيبِ"

الماجد آبن الماجدين وربما تجدُ النجيبَ وليس بآبن نجيبِ

وآبن القِرى وآبن الصوارم والقنا والخيـلُ تخـلِط أرجلا بسبيبِ

والواهبِي ما لا يُجـاد بمثـلِه والسـالبى ما ليس بالمسـلوبِ

والراكبين الى ذوى حاجاتهم ظَهرا من الأخطار غير رَكوبِ

جادوا فقال المالُ: سُحْبُ مَواهبٍ وسطَوْا فقال الموتُ: أُسدُ حروبِ

وتتابعوا فى المجـد ينتظمونه، والرمحُ أُنبـوبٌ على أنبـوبِ

كانوا الأسنةَ فى "مَعَـدٍّ" كلِّها والناسُ بين مَعاقِدٍ وكُعوبِ

إن فوخروا شهِدت لهم أيّامهم فيـها بكلِّ معـلَّم مكتوبِ

يتوارثون مَكارما مُضَريَّةً إرثَ النبوّةِ فى بنى "يعقوبِ"

دَرَجوا عليها آخذين بحكمها لم يُفسـدوا حسناتها بعيوبِ

وجرى أبو الحملاتِ يطلبُ شأوَهم أكرِمْ به من لاحقٍ وطلوبِ

قالوا: الهمامُ، فأفرجَتْ أبطالُهم لك عن طريق الضيغمِ المرهوبِ

لقبٌ يصدّق فيـك معناه آسمَه ومن الرجالِ مُموَّهُ التلقيبِ

لك يا "شبيبُ" صباحَها ورواحَها عَقـرُ الكماةِ بها وعَقـرُ النيبِ

وعلى سلاحك أوسماحك أُركِزتْ راياتُهـا بفِـنائها المطـلوبِ

أصبحتَ غرَّةَ مجـدها فبياضُه مستخرَجٌ من لونك الغـربيبِ

وعلامةُ العـربىّ دُهمـةُ وجهه ومن الوجوه البيضِ غيرُ حسيبِ

• والبدرُ أشرفُ طالعٍ فى أفقه ... وبياضُه المرموقُ فوق شُحوبِ
لله بيتُك أمنُه وجِفانُهُ ... والحق بين مَخافةٍ وجُدوبِ
ومكرَّماتُ النسلِ تُهوِن(١) فى القِرى ... بالمصطفى منها وبالمجنوبِ
وإذا الوَقودُ خَبَا جعلتَ لحومَها ... حطباً لنارِ الطارق المجلوبِ
من كلِّ مُشرِفةٍ تحدّث هامةً(٢) ... ورديفةٍ عن "صخرةٍ"(٣) و"عسيبِ"(٤)
الكُور(٥) فى وضح الصباحِ لظهرِها ... والسيفُ فى الظلماء للعُرقوبِ
حُدّثتُ والخبرُ الجلىُّ مصدَّقٌ ... عن سيبك المتدفِّقِ المسكوبِ
وشمائلٍ لك فى الندَى مطبوعةٍ ... كالتبر ليس صفاؤه بمشوبِ
وبما عَرفتَ فضائلى ووصفْتَها ... ورغبتَ فى ودّى وفى تقريبى
فاستاق منك غريبَ أشعارى الى ... متوحِّدٍ فى المكرماتِ غريبِ
فبعثتُها لك فاتحا ما بيننا ... بابَ الوصال ونُهزةَ الترغيبِ
من كلِّ ساريةٍ بذكرك، صيتُها ... فى الأرض بين فدافدٍ وسُهوبِ
تزدادُ صبرا فى الزمان وقوّةً ... أبدا على الإدلاج(٦) والتأويبِ(٧)
وهى التى شَجَبَتِ الملوكَ وخودِعوا ... منها عن المنفوس والمرغوبِ
فاستقربوها مغرَمينَ بها وما ... تزدادُ غير تمنُّعٍ ونُكوبِ
وتفردتْ فى ذا الزمانِ بمعجزٍ ... لم تُؤتَ من ردٍّ ومن تكذيبِ
فاعرف لها حقَّ الزياره بغتةً ... وتلقَّها بالأهلِ والترحيبِ

---

(١) تهون : تهين . (٢) يريد : من كلّ مشرفةٍ هامةٌ ورديفةٍ أى تابعة لها تحدّث عن صخرةٍ وعسيبٍ كنايةً عما لهذه النوق من الضخامة والارتفاع حتى صارت تحكى الجبال . (٣) صخرة : جبل .
(٤) عسيب : جبل باليمن وقد تقدّم . (٥) الكور : الرحل . (٦) الإدلاج : السير بالليل .
(٧) التأويب : السير جميع النهار .

وآكرِمْ عليها تجتلبْ أخواتِها إن الصلاةَ تتمُّ بالتعقيبِ *
طلبتك تأملُ أن تنالَ بك الغنى فلئن وفَيْتَ لها فغيرُ عجيبِ

* * *

قال وكتب بها الى الصاحب عميد الحضرة ذى الرتبتين أبى طاهر بن حمّاد ، وقد بلّغه جميلُ ذكرِه به ، وتشوّقُه اليه ، وآستحسانُه لشعرِه ، وكان قد واصلَه بهدايا يريدُ بها مفاتحتَهُ ، وسفَرَ فى ذلك أبو الحسَن المختار بن عُبَيد الله الذهبيّ لأجل ما كان بينهما من المودّة والصحبة بمكاتبةٍ جامعاً بين الحقَّين

(٤٢) نظرةٌ منك ويومٌ "بالحَرِيبِ"(١) حَسْبُ نفسى من زمانٍ وحبيبِ
فمَنِ الواقفُ بى بينكما جمعَ الفُوقَ(٢) على سهمٍ مُصيبِ ؟
وقفةً لا أشتكى من بعدِها غُلَّةَ الصدرِ ولا ذلَّ الغريبِ
يا آبنةَ "الجمرةِ"(٣) من "ذى يَزَنٍ" فى الصميمِ العِدِّ والبيتِ الرحيبِ
ما لكم — لا أجدبَ اللهُ بكم — يرتعى جارُكُمُ غيرَ الخصيبِ ؟
الجدَى يمُّه ذو جِدَةٍ(٤) والجنابُ الرحبُ ينبو بالجُنوبِ
ورماحٌ دون أضيافِكُمُ تأخذُ السالمَ فيكم بالمريبِ
أتّقيكم والهوى يقدمُ بى وأغضُّ الصوت والدمعُ يَشِى بى
ومن الشّقوةِ فى زورتِكم أنّ عينَ الرمح من عينِ الرقيبِ
لا يكن آخرَ عهدى بِكُمُ — يا وُلاةَ القلبِ — ليلاتُ القليبِ(٥)
يا لمَن ينكُص عن غِزلانكم وهو وثّابٌ على الليثِ الغضوبِ

---

(١) الحريب : اسم واد . (٢) الفوق : موضع الوتر من السهم . (٣) يريد بالجمرة : إحدى جمرات العرب وهى القبيلة لا تنضمّ الى أحد . (٤) الجدة : اليسار والسعة . (٥) القليب : اسم ماء بنجد .

ومتى العـزُّ؟ وفى أبياتكم أعينٌ تقهرُ سلطانَ القلوبِ
يا صَبا "نجدٍ" ويا بانَ "الغضا" أُرفُقا بى بالثنىِّ والهبوبِ
وآسلما، لا مثلَ ما طاحَ دمى منكما بين نسيمٍ وقضيبِ
قَسمَ البينُ فما عدّل بى غدرةَ الوافى وتبعيدَ القريبِ
وقضى الدهرُ فخالتْ صِبغةً عُدَّ ذنبُ الدهرِ فيها من ذنوبى
وفؤادى يشتكى جَورَ النوى وعِذارِى يشتكى جَورَ المشيبِ
كم أُدارِى عَنَتَ الأيّام فى غَبْنِ حظّى وأُطاطِى للخطوبِ؟
وأردّ الحزمَ فى أُخوصه وهو هافٍ يتنزَّى للوثوبِ
قاعدا والجَدُّ قد رحَّلَ بى والمعالى يتقاضَيْن ركوبى
جِلسةَ الأعزلِ يلوى يَدَهُ وسلاحى بين كُورِى وجَنبِى
أمدحُ المثرِين ظنًّا بهِمُ ربّما يُقمَر بالظنّ الكذوبِ
كلُّ وغدِ الكفِّ منبوذِ الحيا طيِّبِ المحضرِ مسبوبِ المغيبِ
يمنع الرِّفدَ وتَلقَى وفدَه خَجَةُ البخلِ بإدلالِ الوهوبِ
يطلبُ المدحَ لِأن يفضحَهُ وهو قبلَ المدحِ مستورُ العيوبِ
قلتُ للآمال فيه — كَذَبَتْ أُمُّهُ — : إن كنتِ آمالى نخيبى
جَلَبُ الأرضِ عريضٌ دونه وسُرَى العيسِ وإدمانُ اللّغوبِ
وغلامٌ آخذٌ ما طلبتْ نفسُه أو فائتٌ كلَّ طلوبِ
يقمحُ(١) الضيمَ ولو أبصرهُ ليلةَ العِشرِ على الماءِ الشَّروبِ
ما أذلَّ الخصبَ فى دارِ الأذى وألذَّ العزَّ فى دارِ الجُدوبِ
يا بنى كلِّ نعيمٍ ضاحكٍ فى حِمى وجهٍ من اللؤمِ قَطوبِ

(١) يقال : قمح البعيرُ اذا رفع رأسه عن الشرب كارها له .

قـــد مِلناكم على شـارِتكم (١) ويضيقُ الصدرُ فى البيتِ الرحيبِ
وعسى الدنيـا التى أدَّتـكُمُ تصـــطفينا من بنيها بنجيبِ
ماجدِ الشيمةِ ســـهلٍ، ليـلُه للقِرَى، صبٌّ إلى الحمدِ طَروبِ
يكسِبُ المـالَ لأن يُتلفـهُ والعلا فى يدِ متلافٍ كَسوبِ
تَخبُث الأيدى وفى راحتِـــهِ من نداه أرجُ المَشـتَا المَطيبِ
كابْنِ "حمّـادٍ" ولا مِثـلَ له هل تَرى للبدر فرداً من ضَريبِ
جاذبَ الرُّوَّاضَ عن مِقـــودِهِ (٢) مِرِسٍّ تُنكِرُهُ كفُّ الجَذيبِ
ودعا النـاسَ الى تســويدِهِ واسعُ الجمـرةِ وهّاجُ الثُّقـوبِ
أين يا سائقَها؟ أين بها؟ (٣) جعجعِ الآمال فى غيرِ عزيبِ
جَمَعَ "الصاحبُ" من أطرافها (٤) وفى حَيْرَى الطُّرقِ عَمياءِ النُّكوبِ
ضمَّـــها بالرأى حـــتى ٱلتأمتْ (٥) شُلَّتاها من شُـذوذٍ وشـذوبِ
ويدٍ — لا تربتْ تلك يدًا — (٦) رِبقـــةِ الجانى وفكِّ المستنيبِ (٧)
ســـلَّتِ الدولةُ منـــه صارما شرِقَ الصفحةِ ظمآنَ الغُروبِ
طَبعَ الأقبـالُ من جوهرِهِ زُبْرةً تقدحُ نيرانَ الحروبِ
لو أطاعتـــه يدٌ حامـــلةٌ لم تُكذِّبْ ظبتاهُ عن ضَـــريبِ
جرَّبوه ماضـــيا حيثُ مضى صادعَ الوحيِ ومحتـــومَ الغيوبِ
قَلَّقا، يَنفِى الكرى عن وجهـهِ علمُه أنَّ المعالى فى الهبوبِ
أَلمعِـــيًّا ســـوّدته نفسُـــهُ والمساعى قبلَ تسويدِ الشعوبِ

(١) الشارة : الحسن والزينـة ، وفى الأصل : "شاربكم" وهو تحريف . (٢) المرس : ذو المراس والشدّة . (٣) جعجع : أنِخ . (٤) الوفى : ما تشرف من الأرض . (٥) الشلة : البعيد تطلبه . (٦) الربقة : العروة فى الحبل يشـدّ به البَهْم . (٧) فى الأصل المستثيب .

قدَّمتْـــهُ صـاعدا عن قومِهِ مَصْعَدَ اللَّهـــذمِ[1] قُدَّامَ الكعوبِ
هَبَهَبـوا منـــه بليثٍ فى الوغى قرِمِ[2] الأظفارِ مشـتاقِ النّيوبِ
خيرِ من خَبَّتْ[3] له أو وَخَـدتْ للجـدَى ذاتُ سَـنامٍ وسَبيبِ
يأخذُ الحاجاتِ من حيثُ غلتْ غيرَ معذولٍ على حبِّ الغُصوبِ
تحسَبُ الغـابةَ مما آجـترَّهُ حومـةً بين عَقـيرٍ وتريبِ
ماضـيًا لم يثنِـهِ عن قصـدِهِ هجمةُ الليلِ ولا طولُ الدؤوبِ
جَمَعَ الجـودَ الى البأسِ كما شعشعَتْ نارٌ بمـاءٍ فى قضيبِ
راحةٌ لم يَعـلَقِ البخـلُ بها وفـؤادٌ لم يُسـفَّهْ بالوجيبِ
ولسانٌ يخصِمُ السـيفَ به يترك الفـارسَ عبـدا للخطيبِ
مَنْ رسولٌ سَـعِدتْ رحلتُـهُ — يومَ أدعوهُ بلبَّيْكَ — مجيبى ؟
ناصحُ الجيبِ بما حمَّلتُـهُ حيثُ يَخشَى مُرسِلٌ غِشَّ الجيوبِ
لم أكلِّفْهُ سُرى البيـدِ ولم أتعسَّـفْه بأخطارِ السُّهوبِ
عيسُـه[4]، ملمومةٌ[5] يركب منها مطمئنا ظهرَ مِذلالٍ رَكوبِ
تقسِـمُ الماءَ بباعٍ مطـلَقٍ وفقارٍ[6] مُرسَـلِ الحبلِ[7] سَروبِ
صـعبةُ الخلقـةِ سهلٌ أرضها فهو بين اللينِ منها والصَّليبِ
سار يا ليستْ عليـه خيفـةٌ ما وقاه الله سَـوْراتِ الجَنوبِ
قـل لنوتيِّـك : شَرِّعْ آمنـا حَدَثَ التَّيارِ والمـوجِ العصيبِ
رِد بها "ميسانَ" وآحبسها على الـ مَعقلِ الممنوعِ والوادى العشيبِ

(١) اللهذم : القاطع من الاسنة . (٢) القرِمُ . ذو الشوق وأصله من القَرَم وهو شدّة الشهوة الى الطعام وكثر حتى قيل فى الشوق . (٣) فى الأصل "حنت" . (٤) ملمومة : مستديرة ويريد بها السفينة . (٥) كذا بالأصل ولعلّه قد ردّ هذا الشطر من "فاعان" الى "فاعلاتن" وفى النسخة المطبوعة "يركبها" . (٦) الفقار : ما آنتضد من عظام الظهر . (٧) فى الاصل "الخيل" وهو تحريف .

فاذا ضـاقت فعـلّقها "أبا" طاهـرٍ" تعلّق بفتراج الـكروبِ
والى ذى الرتبتيْن آبتـدرتْ فُرُص المجـدِ وحاجاتُ الأريبِ
قل له عَنّى : حيّتـك العُـلا بوكيفٍ من حَيَا الشكرِ صَبيبِ
وسَقَى عِرضَك ـ ما آستسقيتَه ـ بارقٌ من مِدَحِى غـيرُ خَلوبِ
ترفُلُ الأحسـابُ فى روضـتِه مَرفَلَ الغـادةِ فى البُرْدِ القشيبِ
خيرُ ما آستثمرَ من غَرس الندَى وآجتنَى من غُصُنِ الجودِ الرطيبِ
وبذلتَ الوفْـرَ حتى آبتعتَـهُ هَمُّ آدابك من حُسنٍ وطِيبِ
جاءنى أنّـك مشـعوفٌ به شَعَفَ العذرىّ[1] بالخشفِ الربيبِ
راغبًا أن تصْطَفَى من جِدّه والفكاهاتِ بمـدحٍ أو نسيبِ
وتُحَلّى منـه عِقـدا ، باقيـا نخـرُهُ فى كلِّ جِيـدٍ وتريبِ
قلتُ : فضلٌ عَجَبٌ من دهرنا وهـو من فاعله غيرُ عجيبِ
ما تبالى حين تَستامُ العلا أخطيبُ الشمسِ أم أنتَ خطيبِ
أنَا من يُعطيـك مجـدا حاضرا ويُبَقّى لك مجـدا فى العَقيبِ
لا كقولٍ يطرد "الساقى"[2] به جذوةً تخمـدُ من قبـلِ اللهيبِ
كم يُمنّينى عـلى سلطانِها نفْسَ مَرجُوٍّ ومَخشِىٍّ مَهيبِ
وآبتغَى بالمـالِ أن يشرِيَنى فترفّعْتُ فطارتْ عفّـتى بى
لكن آشتقتُ وقـد سُمّيتَ لى بسماتِ الفضلِ والجودِ الغريبِ
فافـترعْ خيرَ هَـدِىٍّ[3] وأَثِبْ خيرَ ما جادت به نفسُ مُثيبِ
واذا صرتَ نصـيبى منهُـمُ فقد آستوفيتُ من دهرى نصيبى

(١) الخشف مثلثة : ولد الظبى . (٢) لعله آسم شخص يعنيه . (٣) الهدىّ : العروس .

* * *

وقال وقد اتفق بُعدُ وزير الوزراء عميد الدولة أبى سعد ونزوله "أوانا"[١]، مستوحشا من سبب خافه ببغداد، وظهور التأسُّف ممّن فيها على بُعده، وتلوُّح قُرب عَوده، فكتب اليه يبشِّره بذلك؛ ويذكُر صحَّةَ تفاؤله بالسلامة فى مثله، وأنفذها الى "أوانا" فى النَّيروز

٤٤ نرقُّ، وتقسو "بالغوير" قلوبُ ... ونَسألُ سكَّانَ "الغضا"[٢] ونُجيبُ
وتهفو على "ذات النقا" بحلومنا ... وجوهٌ تُريحُ الوجدَ[٣] وهو عزيبُ
وقفنا ومنّا رابطٌ جأشَ قلبِه ... برىءٌ ومحمولُ العزاءِ مريبُ
تجاذَبْنا أيدى الحميَّةِ والهوى ... ونأبى على الأشواقِ ثمّ نُجيبُ
نغالطُ ألحاظَ المها عن قلوبنا ... و"بالرمل"[٤] قارىُّ السهامِ مُصيبُ
اذا أخفقَ القنّاصُ راح بكل ما ... يَرَى مُطعِمٌ للصيد منه كسوبُ
قَضَى من دماءٍ ما استحلَّ وحلّقتْ ... به نيَّةٌ[٥] ـ عما أشاط ـ شَعوبُ[٦]
فما هو بعد "النَّعفِ"[٧] إلا عُلالةٌ ... أحاديثُ نفسٍ تفترى وتحوبُ
تَسرَّكُ منها ـ والدجَى فى قميصه ـ ... زخارفُ يحلو زُورُها ويطيبُ
فتطرَبُ والشادِى بها سامرُ المنى ... وتشربُ ما يَسقِى وجفنُك كُوبُ
حمى الله عينا من قذاها على الحِمى ... تجِفُّ[٨] ضروعُ المزنِ وهى حَلوبُ

---

(١) أوانا : اسم بليدة . (٢) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا رسما وشكلا :
"ترقُّ وتقسو بالغُوير قلوبُ ✻ ويُسألُ سكان الغضا ويُجيبُ"
ولمّا لم نوفّق الى معنى نطمئنّ اليه أضطررنا الى تصحيفه . (٣) فى الأصل "غريب" وهو تحريف .
(٤) القارىّ : نسبة الى قبيلة اسمها "القارة" وهم رماة ومنه المثل "أنصف القارةَ من راماها" .
(٥) عما أشاط : عما عرّضه للقتل . (٦) شعوب : متشعبة . (٧) النعف : اسم بلدة .
(٨) فى الأصل "تخفّ" وهو تحريف .

اذا قلتُ : أفنى البرق جَمَّـةَ مائهـا ... مراها مرورُ البرقِ وهى جَنوبُ
بكت وغديرُ الحىّ طامٍ فأصبحت ... عليـــه المطايا الحائماتُ تلوبُ (١)
وما خلتُ قبـلى أنّ عينا ركيّةٌ ... ولا أنّ مِلح الماقِيَيْنِ (٢) شَروبُ !
وليلةَ "ذاتِ البانِ" ساهرتُ طالعا ... من النجم لم يُكتَبْ عليـه غروبُ
أسائلُ عن نومى وضـوءِ صباحها ... وأعيا ، فأىّ الغائبين يؤوبُ ؟
سَرتْ تخبط الوادى الىّ وصُحبتى : ... طريحٌ عـــلى أقتابِهِ وكئيبُ
أناخوا الى تعريسةٍ (٣) قلّ عُمرُها ... فما هى إلا خَفقةٌ وهبـــوبُ
فللريحِ منهـــم أعينٌ ومسامعٌ ... وللـترب منهـــم أذرعٌ وجُنوبُ
فزارت فحيّت ممسكا بفـــؤادِهِ ... له نازعٌ من شوقه وجَـــذيبُ
فيا لك باقى ليـــلةٍ لو تخلّصتْ ... من الغِشّ يُقذى صفوها ويشوبُ
ولكن نهانى الخوفُ : قم أنت مدركٌ ، ... وصاحَ الظلامُ : الصبحُ منك قريبُ
ولم أدرِ أنّ القربَ عينٌ حفيظةٌ ... علىّ ولا أن الوصـالَ رقيبُ
يخوّفنى عضّ الزمان ، ومنكبى ... رَديدٌ على حملِ الزمانِ جليبُ
تعـــودتُهُ لا خاضـــعا لخطوبه ... وكيف وكلُّ العيش فيـه خطوبُ ؟
وكم غمـزةٍ فى جانبى لم أقل لهـا : ... أَلِمتِ ، وجُرحى ـ لو شكوتُ ـ رغيبُ
تعـمّق فيهـا مُخلِبا ومُنيبا (٤) ... وأقلعَ والنبـــعُ (٥) الأصمُّ صليبُ
وهل أتغطّى منـــه خوفا وموئلى ... جنـابٌ منيعٌ للوزير رحيبُ ؟
ودونِىَ منه إن مشى نحوِىَ الأذى ... طِـرابٌ تدمّى النـاعلاتِ ولُوبُ

(١) تلوب : تحوم حول الماء من العطش ، ومنه : إبل لُوَّب . (٢) الماق : مجرى الدمع من العين أو طرفها من جهة الأنف . (٣) التعريسة : الاستراحة فى آخر الليل . (٤) أى باحثا بمخلبه وناب . (٥) النبع : شجر تعمل منه الرماح .

وحصداءُ[1] من نُعماه، كلُّ مسدَّدٍ ... له حَيَدٌ عن سَردها ونُكوبُ
حمانى من الأيّام أروعُ لو حمى ... شبابِيَ لم يُقدِمْ عليه مَشيبُ
رعَى "شرفُ الدين" العلا برعايتى ... فما شَمَّ ريحا حول سرحِيَ ذيبُ
أثرْ بُزْلَها[2] يا طالبَ المجدِ والغنى ... وخاطِرْ بها فابنُ الخطارِ نجيبُ
وطرِّقْ هواديها الجبالَ وخلِّها ... تجوبُ مع الظلماءِ حيث تجوبُ
تقدَّمْ بها فالسعدُ بالمرءِ مقبِلٌ ... ولا تتهيَّبْ فالشقاءُ هَيوبُ
أقِمْ بنى "عبد الرحيم" صدورَها ... اذا حطَّ منها أو أمالَ لُغوبُ
وغنِّ بهم أسماعَها إن حدوتَها ... تحِنّ اذا حنَّت لتطرَبَ نِيبُ
ففى العيس قلبٌ مثلُ قلبك ماجدٌ ... وسمعٌ الى ذكرِ الكرام طروبُ
تيمَّمْ أعالى "دجلةٍ" فأنِخْ "شامةً"[3] ... بحيثُ تَبُلُّ العيشَ وهو جديبُ
وناصِ بها[4] فرعَ "الدُّجَيلِ" فعندَه ... مَرادٌ يعمُّ الرائدين عَشيبُ
وقلْ "لعميد الدولة" : اسمعْ فإنها ... مَلاحمُ إن فتَّشتها وخُطوبُ
لحظتَ ذَرا أعجازها من صدورها ... وبعضُ ظنونِ الألمعيِّ غيوبُ
وداويتَها بالرأى حتى كفيتَها ... وما كلُّ آراءِ الرجالِ طبيبُ
عجِلتَ لها مستأنيا ما وراءها ... وللأمرِ بادٍ ظاهرٌ وعَقيبُ
خلَصتَ خلوص التبرِ منها مسلَّماً، ... عليك وميضٌ صادعٌ ولهيبُ
وقالوا خِطاءً : مسرعا متعجلا، ... وقد يتأنَّى فى الأمور طَلوبُ
وأهونَ بالتغريرِ فيها كأنه ... بجِدّ الخطوبِ المثقلاتِ لَعوبُ
وما علموا أنَّ السهامَ مَوارقٌ ... ولا أنّ خَطْواتِ الأسودِ وُثوبُ

(١) الحصداء : الدرع المحكمة . . (٢) البزل جمع بازل وهو الجمل المسنّ . (٣) دجلة وشامة : اسما نهر وجبل . (٤) يقال : ناصاه : أخذ كل منهما بناصية صاحبه والدجيل : شِعب فى بغداد .

سهرتَ ونامَ الغمر عما رأيتَـــهُ ففـزتَ، وطرفُ الألمعيِّ رَقوبُ
كأنَّ لك اليـومَ المنعَّمَ صبحةً(١) ويومُ الحريصِ المستغرِ عصيبُ
وقالوا : طَوَى "بغدادَ" بغضا وسلوةً و"بغـــدادُ" مغنًى للحياة خصيبُ
وظنُّوك إذ فارقتها أنَّ قلبَهـا ـ على قلة الإعراض عنك ـ يَطيبُ
وقد تظعنُ الأشخاصُ والحبُّ قاطنٌ ويكثر هجـــرُ البيتِ وهو حبيبُ
وما الملكُ إلا جَنَّـــةٌ عمّ نورها ومـذ غبتَ عنهـا سُهمةٌ وشحوبُ
فكيف غدت شلاء(٢)! لا بدمِ العدا ولا بعطارِ الغـانياتِ خضيبُ !
بكى وحشـةً وهو المغيضُ دموعَهُ وأنَّ لَخَرِّ الجُـــرحِ وهو ضريبُ
وكنتَ له وجها ضحوكا فبشرُهُ عُبوسٌ — وقد فارقته — وقُطوبُ
يُوَرِّى(٣) حياءً والنـــدامةُ غُصـــةٌ لهـا خَدشةٌ فى صـــدره ونُدوبُ
الى ماجدٍ فى صـــدره قمرُ الدجى اذا تمَّ، راضٍ والهزبرُ غَضوبُ
تُقَبِّلُ منـــه راحةٌ تقتلُ الصدَى تَعـلَّمَ منها المزنُ كيف يصوبُ
رَسَتْ فى الندَى حتى آستقرَّت عروقُها من البحرِ، والعرقُ الكريمُ لَصوبُ(٤)
يدٌ، تعجبُ الأقلام من أُنسِ سيفه بهـا ، وهـو فيما بينهنَّ غريبُ
اذا آختصموا، قالت: تأخَّرْ، فإنمـا لنا السـبقُ، فآتبعنا وأنت جنيبُ
فيأبَى له الحـــدُّ المصمِّم أنه يؤخَّرُ والأقـــلامُ عنـــه تنوبُ
وتجـــرِى هَناتٌ بينهنّ وبينـــه يُحكِّمُ فيهـا فارسٌ وخطيبُ
فيجعـــلُ للأقلام فيهـا نصيبَهـا بحقٍّ، وللسـيفِ الحسـامِ نصيبُ
وقد زعموا أنَّ الجحـا متكهِّلٌ وأنّ رجالاتِ السيادةِ شِيبُ

(١) الصبحة : نوم الغداة . (٢) شلاء : متعطِّلة الكفّ . (٣) يورِّى : يتقـد .
(٤) اللصوب : الناشب اللاصق .

فلله منـــك المنتهى فى اقتبـالِهِ ومَنْ ربَّ أمرَ النـاس وهو ربيبُ
ومَنْ بسقَتْ أغصانُه فتفرَّعتْ على الشـــجرِ العادى[1] وهو قضيبُ
ولا تُبِلِ أثوابَ الوزارةِ بعـــد ما كستك بهـا الأيّام وهى سليبُ
تقمَّصَها قومٌ وما خُلِقتْ لهـــم فهانوا، ومن بعضِ الجَمالِ عيوبُ
أنتك فصـار الرقُّ فى يدِ مالكٍ وقـــد دنَّســـتها بذلةٌ وغُصوبُ
وسـالَمَ معناها بســـوددِك اسمَها وبينهـــما فى آخرين حروبُ
تَنـافَى بيوتُ معشـرٍ وبيوتُهـا وأنت لهـا فى جانبيك نسـيبُ
فمـا بيت "إسماعيلَ" عنها بنازحٍ ولا أنْ بهـا "عبدُ الرحيم" غريبُ
فلو هبَّ مَيْتٌ من كراه فقام أو تطلَّعَ مرموسُ[2] الجبينِ تريبُ[3]
لَقرّتْ عيونٌ أو لسُرَّتْ مَضـاجِعٌ بأنّـــك مـــيراثٌ لهـا وعقيبُ
إذنْ لرأت منك الذى الشمسُ لا تَرَى بأنجمها فى الأفق حين تغيبُ
نَشرتَ لهـــم فخرا يعيشُ حديثُـهُ ويخلُقُ[4] عمرُ الدهرِ وهو قشـــيبُ
لئن عَمَّ شرٌّ أو أُسِرَّتْ ضَـــغائنٌ ببـغيٍ، فإنّ الله عنك حسيبُ
وقـــد علمتْ نجوَى رُقاك عقاربٌ لهـا نحـــوكم تحت الظلام دبيبُ
ولم تك إلا هفـوةً واستقالهـا الـ ـزمانُ وذَنبا وهو منـــه يتوبُ
ولا بدَّ للإقبال من يومِ عَودةٍ تدافعُ عنـــه العينُ حين تصيبُ
وكم رافعٍ لى بالعـــداوةِ صـــوتَهُ يُهِبُ فى إيعـــادِهِ ويُهيبُ!
قويًّا على ظلمى بسيفِ عدوِّكم وعهـــدى به بالأمس وهو يخيبُ
يظُنّ ـ وحاشاكم ـ عُراى تقطَّعتْ وأنّى أخيـــذٌ[5] والزمان طليبُ

(١) العادىّ : القديم . (٢) المرموس : المدفون فى الرمس . (٣) التريب : المعفّر بالتراب . (٤) يخلق : يبلى . (٥) الأخيذ : الأسير .

وأنَّ قناتى بعدكم ستلينُها ضُروسٌ له مـذروبةٌ ونُيـوبُ
ولم يدرِ أنّ "الشامَ" او حالَ دونكم وزيّلتُـهُ(١) عنكم لكنتُ أصـيبُ
فقلتُ: لفيكَ الترب أو فوقك الحصَى تغيبُ أُسـودُ الغابِ ثمّ تؤوبُ
غداً تُطلِـعُ الراياتُ ـ والنصرُ تحتها ـ كتيباً يولّيـهِ النجاحَ كتيبُ(٢)
ترَى المجدَ فى أطرافها خافقَ الحشا سرورا بما ضمّت وأنتَ كئيبُ
و"بغـدادُ" طلقٌ وجهُها متبسّمٌ وللمُلكِ من بعـد الخمودِ شُـبوبُ
بشائرُ، لى فى مثلهنّ مواقفٌ أصدّق فيها والزمانُ كذوبُ
مجـرّبةٌ فيكم كأنّ عيونَهـا لها خلفَ أستارِ الغيوبِ ثُقوبُ
تمـرّ لكم طـيرى يمينا بزجرها على مَشهدٍ منى وحينَ أغيبُ
نشـدتكُم باللهِ كيف رأيتُمُ مَناجحَهـا(٣)، والعـائفاتُ تخيبُ(٤)
فقولوا: نعَمْ وُفّقتَ، وارعوا ذِمامَها غداً، وغـدٌ للناظرين قريبُ
بكم يابنى "عبد الكريم"(٥) انجلَى القذَى وأصـبحَ وعرُ الجودِ وهو لحيبُ(٦)
اذا أجدبتْ أرضى وسُدّتْ مَواردى فعنـدكُمُ لى روضـةٌ وقليبُ
ولما رأيتُ الحبَّ فى الهزلِ(٧) سُـنّةً عشقتكُمُ، والعاشقون ضُروبُ
فمَن يُعطِ منكم طالبا فوق حقّهِ فحـقّ دَينٌ لازمٌ ووُجـوبُ
فـلا قَلصتْ عنى سحائبُ ظلّكم فمنهـا مُرِذٌّ(٨) تارة وسَكوبُ

(١) فى الاصـل: زلّيتُهُ ولم نعثر على هـذه الكلمة فى كتب اللغة ولعلها محرفة عن "زيّلتُـهُ".
(٢) الكتيب: الفرقة من الجيش. (٣) العائفات: الزاجرات للطير. (٤) فى الأصل: "تجيب" ولعله تحريف. (٥) كذا بالأصل ولعله "عبد الرحيم" كما يعيّنه قوله قبل ذلك فى نفس هذه القصيدة * أقم يبنى "عبد الرحيم" صدورها *
وقد ورد ذكره لهـذا الاسم فى عدة قصائد. (٦) اللحيب: الواضح. (٧) الهزل: الأفتقار والضيق. (٨) المرذّ: السحاب الذى يهمى بالرذاذ وهو المطر الضعيف.

ولا عـدِمَتكم نعمةٌ خُلقتْ لكم ودنيـا لكم فيهـا الحياة تطيبُ
يزورُكم النَّـيروز مقتبَـلَ الصِّبا وقد دبَّ فى رأس الزمان مشـيبُ
تصوّح أغصانُ الأعادى وغصنكم من السـعد ريَّانُ النباتِ رطيبُ
دعاءٌ حيالى فيـه ألفُ مؤمِّنٍ[1] تَوافقُ منهـم ألسنٌ وقـلوبُ

* * *

وقال وكتب بهـا الى أبى الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَدَ ، يعاتبه على تأخير رسمه ، وتغافلِه عن مقابلة قصائدَ أنفذها الى حضرته ، وذلك فى شعبان سنة عشرين وأربعمائة

ألا مَن مبلغٌ "أسدا" رسولا متى شهِدَ النـدىَّ فـا أغيبُ
وعوفٌ منهُمُ أربى ، "فعوفٌ" عيونُ "خُزَيمةٍ"[2]، وهم القلوبُ
أفرسانَ الصباح اذا اقشعرّتْ من الفزع السنابك والسبيبُ
وضاق مَخارجُ الأنفاسِ حتّى تُفرَّجَ عن سيوفكم الكروبُ
ويا أيدى الحيا والعامُ جدبٌ ووجهُ الأرض مغبرٌّ قَطوبُ
مَجازرُ تُفهق[3] الجَفناتُ منهـا ونارُ قِـرًى شرارتُهـا لهيبُ
اذا جَمـدَ الضيوفُ تكفّلتهم لهـا فِـلَذٌ وأسنمةٌ تذوبُ
ويا أقمـارَ "عدنانٍ" وجوها يشِفُّ على وَضاءتها الشحوبُ
أصيخوا لى فلى مَعَكم حديثٌ عجيبٌ يوم أَنشـوه[4] غريبُ
متى أنصـفتُمُ فالحقُّ فيـه عليكم واضحٌ لى والوجوبُ
وإن أعرضتُمُ ورضيتموهُ فإنّ المجـدَ ممتعِضٌ غَضوبُ

(١) فى الأصل "مبيّن" . (٢) السنبك : طرف الحافر . (٣) تُفهق : تُملأ .
(٤) أنشوه : أشيعه وأحدّث به .

حديثٌ لو تلوّه على "زهيرٍ" غدا من مدحه "هَرِماً" يتوبُ
بأىّ حكومةٍ وبأىّ عـــدلٍ أُصابُ من القريضِ ولا أُصيبُ ؟
وكم أعراضكم تزكو بمـدحى وتنجحُ والمنى فيكم تخيبُ !
تردُّونَ الغُصـوبَ بكلّ أرضٍ وتوجَـدُ فى بيوتكم الغُصوبُ !
وتحمون البلادَ وفى ذَراكم حريمُ الشّـــعرِ منتهَكٌ سليبُ !
وعنـــدكُمُ لكلِّ طريدِ قومٍ جِوارٌ مانعٌ وقِـــرًى رحيبُ !
وأبكارٌ وعُونٌ من ثنائى عجائفُ، عيشُها فيكم جديبُ !
محبَّـــةٌ اذا رُوِيَتْ فإنّا طلبتُ مهورَهنَّ فلا حبيبُ
اذا أحسنتُ فى قولٍ أُساءُ الـ ـفعـالَ كأنّ إحسانى ذنوبُ
أجرُّ المَطْلَ عاما بعـــد عامٍ مَواعـــدَ برقُها أبدًا خـلوبُ
ويا لَلنَّـاسِ أَسلُبُ كلَّ حَىٍّ كرائمَهُ ويَسلبُنى "شَبيبُ" !
أمدُّ اليـــه أرشيةَ[1] المعـالى فيعطِشُنى وراحتُـــه القَليبُ
وأُلبسُـــه ثيابَ المدحِ فخرا فيُمسِكُ لا يُجيبُ ولا يُهيبُ
ويسمحُ خاطرى فيـه ٱبتداءً ويمنعُ وهـــو بذّالٌ وهوبُ
ولم نَعرِفْ غلاما "مَزْيَدِيًّا" يناديه السماحُ فـــلا يُجيبُ
ولو ناديتُ من كَثَبٍ "عليًّا" تدفّق ذلك الغيثُ السَّكوبُ
وَمنَّ على عوائده القُـــدَامَى مُضِىَّ الريحِ جدَّ به الهُبوبُ
ولو "حمّـادُ"[2] يزقو لى صداه لَأكرِمَ ذلك الجسـدُ التريبُ
أُصـولكُمُ وأجدرُ إذ شهدتم مقـامَ علائهـــم ألّا يغيبوا
فما لك يا "شبيبُ" ـ خَلاك ذمٌّ ـ تَجِفُّ وعندك الضَّرعُ الحلوبُ ؟

(١) فى الأصل "أرسنة" . (٢) يزقو : يصيح .

وما لخـــريدةٍ خفِيتْ لديكم ... تكادُ عـــلى طُفولتها تشيبُ
محلَّلة النكاحِ بلا صَـــدَاقٍ ... وذلك عنـــدكم إثمٌ وحُوبُ
يَطيبُ الشيءُ مرتخَصا مباحا ... ومُرتخَصُ المدائح لا يطيبُ
فأين حياءُ وجهِك يوم تُحدَى ... بها فى وصفك الإبلُ اللُّغوبُ ؟
وأين حياء وجهك فى البوادى ... اذا غنَّى بها الشادى الطروبُ ؟
وكيف تَقول: هذا وصفُ مجدِى ... فلا أُجدِى عليـــه ولا أُثيبُ ؟
وكم نَشَزتْ[1] على قومٍ سواكم ... فلم يعلَقْ بهـا الرجلُ الطَّلوبُ
وراودنى ملوكُ النـاس عنها ... وكلٌّ باذلٌ فيهـا خطيبُ
فلم يُكشَفْ لهـا وجهٌ مباحٌ ... ولم يُعرَفْ لهـا ظهرٌ رَكوبُ
فلا يَغرُرْك منهـا مَسُّ صِـلٍّ ... يلين وتحت هَـدْأته وُثوبُ
أخافُ بأن يعاجِلَنى فيطغَى ... فتُصـــبح[2] بالذى تُثنِى تَعيبُ
وتَشرُدَ عنكُمُ متظلِّماتٍ ... وتبغون الإياب فلا تؤوبُ

* * *

وقال وكتب بها الى عميد الرؤساء أبى طالب بن أيّوب، وقد ٱستقرت له وزارةُ الإمام القادر بالله رضوان الله عليه مكانَ أبى الحسن بن حاجب النعمان، يذكر ذلك ويهنّئه بالنَّيروز الواقع فى شهر ربيع الاوّل سنة ٱثنتين وعشرين وأربعمائة

جاء بهـا — والخيرُ مجلوبُ — ... طيفٌ على الوَحـــدةِ مصحوبُ
طوى الفـــلا يركب أشواقَه ... والشـوقُ فى الأخطار مركوبُ
سـاعةَ لا مَسرَى عـــلى شقّةٍ ... تَعيا بهـا الـــبُزْلُ المصـاعيبُ
يرغبُ فى الظلمـاءِ مهـــتأنسا ... وجانبُ الظلمـاءِ مرهـــوبُ

(١) نشزت : امتنعت، وفى الأصل "نشرت" وهو تحريف (٢) أى فتصبح قصائده .

أحسنَ بى حـتى تخيّلتُـه أصـدقَ شيءٍ وهو مكذوبُ
أنّى تسدَّيتَ لنـا "باللّوى" "وصـارةَ" دارك "فاللُّوبُ"(١)
وبيننا عَمياءُ من أرضكم دليلُها أبـلَهُ مسـلوبُ
لا يهتـدى الذئبُ الى رزقِه فيها ولو شَـمَّ بها الذيبُ
فزرتَ شُعثًا طاف ساقى الكرى عليهـمُ والطاسُ والكـوبُ
فـا تدلّى النجمُ حتى ٱلتـوى مماكسٌ(٢) منهـم وشِـرّيبُ
بِتُّ ورحـلى بِكِ رَيحـانةٌ نمَّ عليها الحسنُ والطيبُ
كأنما ذيلُ الصَّـبا فـوقها بالقَطرِ أو ذيلُكِ مسـحوبُ
يا ٱبنـةَ قومٍ وجَدوا ثأرَهـم عنـدى بها والثأرُ مطلوبُ
لولاكِ — والأيّام دوّالةٌ — ما ٱستعبَدَ الفُـرسَ الأعاريبُ
أراجـعٌ لى بضمانِ المـنَى "ملحوبُ" أو ما ضمّ "ملحوبُ"(٣)؟
وصـالحاتٍ من ليـالى الحِمى ما شـابَها إثم ولا حُوبُ
لهوىَ نُسـك ووجوهُ الدمى تحت دجاها لى محـاريبُ
وذاهـلٍ عابَ حنينى لهـا ولم يعِبْ أنْ حنّتِ النيبُ
قال : سَفاهٌ ذكرُ ما قد مضى وظَنَّ أنَّ اللـومَ تأديبُ
ما لكَ ؟ لا أحببتَ إلا ومِن فوقك سوطُ العذلِ مصـبوبُ
إنْ أَبْكِ أمرا بعـد ما فاتنى فقـد بكى قبـلِىَ "يعقوبُ" ٤٨
وأنكرَ الصـبوةَ من شـائبٍ حتى كأنْ ما صبتِ الشّـيبُ !
وهـل عَدَتنى شيبةٌ فى الحشـا إذ مَفـرِقى أسـودُ غِربيبُ

(١) اللوب وما قبلها : أسماء مواضع . (٢) الماكس : المشاكس . (٣) ملحوب : اسم موضع .

لا لاقطٌ فيها ولا خاضبٌ والشَّيبُ ملقوطٌ ومخضوبُ
يَغلبُ فيها الحبُّ أمرَ النُّهَى والحزمُ بالأهواءِ مغلوبُ
أَمَا تقنَّعتَ بها رِئَّةً لابسُها عُريانُ مسلوبُ؟
تلاقتِ الأوجهُ مَقتاً لها عنِّى فمُزورٌّ[1] ومقطوبُ
ناصعةٌ فى العين لكنّها تُبغَضُ، والناصعُ محبوبُ
فقد أراها وضيا وجهِها لى شَرَكٌ فى البيضِ منصوبُ
أيّامَ فى قوسِ الصِّبا مَنزَعٌ ونَبلُهُ المكنونُ مَنكوبُ
وقد أزورُ الحيَّ مُستَقبَلاً، لى منهُ تأهيلٌ وترحيبُ
وأَغشِمُ[2] البيتَ بلا آذنٍ وهو على الأقمارِ مضروبُ
وأَشهَدُ النادى، فمستعبَدُ الـ ـسمعِ بآياتى ومخلوب
ومُوصَدُ الأبوابِ ناديتُهُ حتى بدا لِى وهو محجوبُ
خادعتُ من سلطانه صخرةً فانبجَستْ[3] لى وهْى شُؤبوبُ
ورحتُ عنه والذى يَملكُ الـ ـمملوكُ والغاصبُ مغصوبُ
فاليومَ إنْ صرتُ الى ما ترَى فهْى الليالِى والأعاجيبُ
آنسنى بالعُدمِ توفيرُه عِرضِى وأنَّ المالَ موهوبُ

(١) المزورّ: المائل بجنبه، والمقطوب الذى به عبوس. (٢) أغشم البيت: أدخله غصبا، وفى الأصل "أعشم" وهو تحريف، وقد شككنا فى صحة هذه الكلمة حتى أكدها قوله فى هذه القصيدة

ما هجمَتْ غَشْمًا ولا ضره تدرُّجٌ فيها وترتيبُ

وقوله فى قصيدة أخرى

تعلّقُ بالآذانِ موصولةً غَشْما بلا إذنٍ ولا حاجبِ

(٣) انبجست: تفجّرت.

جرّبتُ قـوما فتجنّبتُهـم ورُسُـلُ العـقلِ التجاريبُ
وزادنى خُـبراً بمن أتّـقِ أنّى بمـن آمنُ منكوبُ
قل لأخى الحِرص : آسترحْ إنما حَظُّـكَ إدلاجٌ وتأويبُ
اذا الحظوظ آنصرفتْ جانبا لم يُغنِ تصـعيدٌ وتصـويبُ
مالكَ تحتَ الهُونِ مسترزِقا؟ وإنما رزقُـك مكتوبُ
لا تذهبنّ اليـومَ فى ذِلةٍ فاليومُ من عُمـرك محسـوبُ
وإن جهدتَ النفسَ فى مكسَبٍ فالمجدَ، إنّ المجدَ مكسوبُ
جَدَّ آبنُ "أيّوبَ" ولو قد ونى كفَاهُ ما شَـيَّدَ "أيّوبُ"
رأى رُوَيدَ السير عجـزا به فسـيرُهُ حُضْرٌ وتقـريبُ
سما الى المجد، فقال العـدا : له طـريقٌ فيـه ملحوبُ
ساد طـريرَ الماءِ (١) حتى آنتهى والشّـيبُ فى فوديه أُلهـوبُ
والرمحُ لا يُذْرَعُ (٢) إلا إذا تكامَلَتْ فيـه الأنابيبُ
أضحى وزيرُ الدِّين ذا مَغرَمٍ: وزارةُ الدنيا وتعـذيبُ
رتبـةُ عِزٍّ، فخـرُها عاجـلٌ وأجرُها ذُخـرٌ وتعـقيبُ
ما هجمتْ غَشْماً ولا ضـرّه تـدرّجٌ فيهـا وتـرتيبُ
وزارةٌ ما زال من قومـه مُعـرِّقٌ (٣) فيها ومنسـوبُ
أبناءُ "عبّاسٍ" و"أيوبَ" مـذ تفـرّعوا رَبٌّ ومربوبُ
خـلائفُ الله وأنصـارُهـم فصاحبٌ طِابَ ومصـحوبُ

(١) طرير الماء : غضّا فتيّا . (٢) يذرع : يقاس بالذراع . (٣) المعرّق : العريق .

لا ودُّهم غِلٌّ ولا حبلُهم ... يوما بغدرِ الكفِّ مقضوبُ
جارهُمُ يؤكل فى جَورِهم ... ومالُهُمْ بالإفكِ منهوبُ
وما على مُقْصٍ سواكُمْ اذا ... أدناكمُ فى الرأى تثريبُ
لا تلكم العاداتُ منكم ولا ... أُسلوبكم تلك الأساليبُ
باسم عميدِ الرؤساءِ الذى ... ما زاد فى معناه تلقيبُ
رُدَّ عليها بعدَ ما أُيِّمتْ ... أبناؤها الغُرُّ المَناجيبُ
اكفِ الذى(١) آستكفَوْك وآحملْ لهم ... ما تحمِلُ الصُّمُّ الأهاضيبُ
مُلملمَ الجنبِ أمينَ القُوى ... وكلُّهم أدبرُ(٢) مجلوبُ
وقُدْ أعاديك بأرسانهم(٣) ... قَسْرًا فركوبٌ ومجنوبُ
وآرتعْ من الدولة فى ظُلةٍ ... رواقها بالعزِّ مطنوبُ
محيَّة الروضةِ مرقيّة ... والروضُ بالرُّعيانِ(٤) مسلوبُ
أفياؤها(٥) فيحٌ(٦) وماءُ الحيا ... فى ظلِّها السابغِ مسكوبُ
وآصحبْ من النَّيروزِ يومًا يفى ... بالعزّ إن خان الأصاحيبُ
يكُرُّ بالإقبال ما خولفتْ ... صدورُ دهرٍ وأعاقيبُ

(١) الذى بمعنى الذين وهو فى الجمع كالواحد .
(٢) الأدبر : البعير تصيبه القرحة .
(٣) الأرسان : الحبال .
(٤) الرعيان جمع راع وهو معروف .
(٥) الأفياء جمع فىء وهو الظلّ .
(٦) فيحٌ : فسيحٌ .

يغشاكُمُ يخـــدِمُ إقبالَكم ما حنَّ للفُـــرجَةِ مكروبُ
لا تستجيرون "بعمرو"[١] ولا واعدَكُم بالعُمرِ "عُرقوبُ"[٢]

* * *

وقال وكتب بهـا الى بعض أصـدقائه من الكتّاب، وهو المهذب أبو المنصور الحسن بن علىّ بن المزرع، وكان غائبا فقدم يغبط له بالورود، ويحثّـه على التزام حاجةٍ له كان ابتداء الشروع فيها بعد عتابه إياه على تفريطه فيها

من ناظرٌ لى بين "سَاجٍ"[٣] و"قُبَا" كيف أضاء البرقُ أم كيف خَبَا ؟
نبِّهنى وميضُـــه ولم تَـــنَمْ عيـــنى ولكن ردَّ عقلا عَزَبا
قرّتْ له بنـاتُ قلبى[٤] خافقـا وآستبردتْه أضلعى ملتهبـا

---

(١) يريد الإشارة الى عمرو الملقّب "جسّاس" وقصته أنه طعن "كُلَيباً" أخا "المهلهل" التغلبىّ صاحب حرب البسوس فألقـاه على الأرض فقال له "كُلَيب" : يا "عمـرو" أغثنى بشربة ماء فأجهز عليه وفى ذلك يقول الشاعر

المستجير بعمرو عنـد كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وفى مجمع الأمثال للميدانى

المستغيث بعمرو عند كربتـه كالمستغيث من الرمضاء بالنار

والمشهور "المستجير" الخ

وقد سار هـذا البيت مثلا يضرب لمن يستجير فيزيده المستجار بليّة على بليّته . (٢) عُرقوب رجل من العمالیق وقصته أن أخًا له أتاه يسأله فقال له عرقوب : اذا أطلعت هـذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه للعِدَة فقال : دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير زهوا، فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطبا، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا، فلما أتمرت عمد اليها عرقوب فى الليل فجذّها ولم يعط أخاه شيئا فصار مثلا فى الخلف . وقال الاشجعىّ

وعَدتَ وكان الخلفُ منك سجيةً مواعيـدَ عرقوب أخاه بيَثْرَبَ

و"يَثْرَب" بالثاء والراء المفتوحة موضع باليمامة و بعضهم يقولها "يثرب" بالثاء وكسر الراء وهو خطأ .

(٣) ساج وقباء و يقصر موضعان . (٤) بنات قلبى : خواطرى وهواجسى .

كأنه يحلو ثنايا "بالغضا" رُوقًا[1] وينهلُّ لَمًى أو شَنَبا
يا لبَعيدٍ من "مِنًى"، دَنَا به ـ يوهمنى الصدقَ ـ بُرَيْقٌ كَذَبا
ولنَسيمٍ سَحَرٍ "بجاجرٍ" رَدَّتْ به عهدَ الصِّبَا ريحُ الصَّبا
أليلةَ، ما فتح العطَّارُ عن أعبقَ منه نَفَسًا وأطيبا
سل مَن يدُلُّ الناشدين "بالغضا" على الطريد ويردّ السَّلَبا؟
أراجعٌ لى؟ والمُنَى هَلْهَلَةٌ[2] فطالعٌ نجمُ زمانٍ غَرَبا
وطوفةٌ بين القِبابِ "بمِنًى" لا خائفا عينا ولا مرتقَبا
مستقبلًا بهَا هُنَا وهَاهُنا مقترَعا علىّ أو مجتَذَبا
ألقَى الوصالَ مسفرًا لى وجهُهُ والغدرَ لى مع قبحِهِ منتقِبا
هناك مَنْ باعَ الغوانى حِلمُهُ بالحُرقِ[3] عُدَّ الحازمَ المجرِّبا
ولائمٍ ملتفتٍ عن صبوتى يُنكرها، ولو أحبَّ لَصَبا
اذا نَسبتُ بهواى ساءه مُصَرَّحًا ولو كنَيْتُ غَضِبا

---

(١) روق جمع أروق وهو الذى تطول ثناياه العُلَا السُّفَلَ. (٢) فى النسخة المطبوعة "تعلّة" وفى الأصل "هلهلة" ولم نوفّق الى معنًى لها يتّفق والسياق إلا على وجه بعيد، فمن معانيها "التأنى والانتظار" و"تخفيف الثوب وسخف نسجه" و"ترقيق الشَّعر"؛ واذا صحّ ظنّنا فلعل الشاعر يريد الإشارة الى تكرار المتمنّى لكلمة "هَلْ" الاستفهامية فى كلامه كلّما خطر بباله هاتفٌ من خواطر التمنّى بالتساؤل طلبًا لما يحسبه عزيزا عليه أو حنينا الى ما هو حبيبٌ الى نفسه كقول من يقول متمنيا

* هل مشرقٌ نجمُ سعدى بعدما أفلا *
* هل بالغ عزمى أوجَ العلا *
* هل راجعٌ عهدُ الصِّبا *
* هل أرى ليلَ وليلَى بالغضا *

وما إلى ذلك وهو كثير، و"الهَلْهَلَةُ" فى هذا المقام أشبهُ بقولهم "العنعنة" وهى تكرارُ كلمة "عَنْ" عند ما يُراد بها التكثير من أسماء الثقاتِ على صحّة الإسناد. والله أعلم. (٣) الحُرْق: الحُمق.

وما عليه أن غَرِمتُ "بابلا" "بحاجرٍ" و"فاطما" "بزينبا"
يلومنى لا مات إلا لأنما أو عاش عاش بالهوى معـذَّبا
قال : عشقتَ أشيباً، يعدُّها منقصةً، نعم! عشقتُ أشيبا
هل شَـعَرٌ بُدِّلْتُهُ بِشَـعَرِ مُبَـدِّلِى من أربٍ لى أربا ؟
أَبَى الوفاءُ والهـوى ، وبالغُ مَعـذرةً من سِيمَ غدرا فأبى
ما أنا من صِبغةِ أيّامكُمُ ولا الذى إن قَلَبـوه انقلبا
ولا ابنُ وجهين أَلُمُّ حاضِرا من الصـديق وألومُ الغُيَّبا
قلبىَ للإخوانِ شطُّوا أو دنَوا وللهوى ساعفَ دهرٌ أو نبا
مَن عاذرى من مُتلاشٍ كلّما أذنَبَ يوما وعَـذَرتُ أذنبا
يَضحكُ فى وجهىَ ملء فِيهِ وإن أغبْ وذُكِرَ اسمِى قَطَّبا
يطيرُ لى حَمامةً فإن رأى خَصاصةً دبَّ ورائى عقـربا
ما أكثرَ النـاسَ وما أقلَّهم وما أقلَّ فى القليـل النُّجَبا
ليتهُمُ — إذ لم يكونوا خُلِقوا مهذَّبين — صَحِبوا "المهـذَّبا"
فعلَّمتْهم نفسُـهُ كيف العـلا ووُدُّه كيف الصـديقُ المجتبَى
ووَرَدوا من خُلْقِـه ويدِهِ أبردَ ما بلَّ الصـدَى وأعذبا
مثل "أبى منصورَ" فَلْتَلَذَّ لى الـ ـدنيا ولا سَرَّ سـواه ابنٌ أبا
أُتركُهُ لى غنيمةً باردةً يا دهرُ واذهبْ ببنيك سَلَبا
اللهُ جارٌ لفـتًى أجارنى على زمانٍ لم أُفُتْـهُ هَرَبا
وفرَّجتْ عـنّى يَدَا إسـعادِهِ حـوادثا ضغطْنَنِى ونُوَبا
لما رأى الأيّام فى صروفِها نارا تَشُبُّ ورآنى حطَبا
قام لها يَصْـلَى بها وناشِنِى فلم أذق حَـدًّا لها ولا شَـبا

وصان وجهى لاقيا بوجهه ... ذلَّ السؤالِ وكفانى الطلَبا
عِفتُ فلم أشربْ سوى أخلاقه ... اذا كئوسُ الشَّرب دارتْ نخبا
وصحَّ لى جوهرةٌ من معدنٍ ... أملسَ لا يُنبتُ إلا الذهبا
من معشرٍ تُنمَى العلا اليهمُ ... هم أهلُها والناسُ منها (١) غُرَبا
كما اقترحتَ، حربُهم وسلمُهم ... شدُّوا (٢) رباطَ الخيلِ أوشدُّوا الحُبا
ساسوا يعدّون الملوكَ واحتبوا ... وسْطَ النَّدِيِّ يصفون العَرَبا
يرضيك من حديثهم شاهدُهم ... وفى القديم ما سألتَ الكُتُبا
اذا رجال طأطأَ اللؤمُ بهم ... قَعْصًا (٣) فشمُّوا بالأنوف الرُّكبا
طالوا ينالون تعالبَ (٤) القنا ... تحسَبُ ماشيهم بُسُوقًا ركبا
وحدّثتْ فروعُهم عن أصلهم ... تحدُّث الناجِم عما غَرَبا
لبَّيك مشكورا كما لبيَّتنى ... وقد دعوتُ قُدُمًا لا كَثَبا
وكنتَ لى بابا الى مطالبى ... ـ لولا قعودُ الحظّ بى ـ وسببا
تعجَّبَ الناسُ وقد وَلِيتَها ... أكرومةً، فقلتُ : لا لا عجبا
عينِىَ منِّى و يدى فهل تُرَى ... يفوتنى ـ ما سَلِما ـ ما طَلَبا ؟
وكيف لا تحفِزُه لأرَبى ... مودّةٌ تمَّت فعادت نسبا ؟
ومِقةٌ لو خلَصتْ لابنِ أَبِى ... منِّىَ هزَّ عِطفَه وطربا
و إن يكن همَّ فيها ناسيا ... وعاجَ عن طريقها وجَنَّبا

(١) فى الأصل ''منهم'' . (٢) فى الأصل ''سلُّوا'' ولعلّها محرّفةٌ عن ''شلُّوا'' بمعنى : أرسلوا من قولهم : ''شلَّت العين دمعَها'' بمعنى أرسلته ودفعته ، أو عن ''حلُّوا'' اذا كان المراد ''بالرِّباط'' ما تُربط به الدابّة ، أو عن ''شدُّوا'' اذا كان يراد ''بشدّ الرِّباط'' إعدادُ الخيل وارتباطُها لجهاد العدوّ فى الحرب وهو ما رجّحناه ؛ وفى القرآن الكريم (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) .
(٣) القعص : داء فى الصدر كأنه يكسر العنق . (٤) الثعالب جمع ثعلب وهو طرف الريح الداخل فى جُبِّ السنان ، وفى الأصل ''تعالب'' وهو تحريف .

وقَـدَحتْ فى أملى عنـدهُمُ ... قادحـــةٌ لم يك فيهـا مذنبـا
فقد قبِلتُ العــذرَ أو قتلتُــه ... علمـا وقــد عاتبتُــه فأعتبَا
وٱستقبل الرأىَ وأعطَى ذمّةً ... تصفحُ للآنف عمّـا ذَهبـا
فاشكر لهـا وكالةً منّى على ... نفسِىَ وٱقض دَيْنهـا إذ وجبا
من لك مثــلى بأخٍ مسـامح ... ترضيه بالعــذرِ اذا ما غضبا ؟
وٱحذر على مجدِك أُخرَى تنتقِى(١) ... عَظــم الوفاءِ وتجــرُّ الرِّيبَـا
شَمِّرْ عن الساقين فى ٱستداركها ... وٱمحُ بَوَادى شرِّها معتقِبـا
ولا يزالُ أمَــلى يَقنَعُ لى ... بدون ما سدّ خَصاصى(٢) نَشَـبا
ذاك ودعنى شاكيا وسائلا ... وخذْ حــديثى غَزَلا منسَّــبا
كان جناحُ الشوق أمسِ طائرى ... منسِّرا(٣) فى كبِدى مخلِّبـا
وأَكَلَ البينُ سمينَ جلدِى ... حتى غدا سَنَامُ صدرى ذَنَبـا
بانَ بك العيشُ الذى يسرُّنى ... وعاد لمـا عدتَ لى مقــترِبا
قال البشير: قادمًا، فقلتُ: مَنْ؟ ... قال: "أبو منصور"، قلتُ: مرحبا
وقمتُ لا أملِكُ ما يَسَــعُهُ ... غــير نعمْتَ من جَزاءٍ وجبـا
أرشفُ من فيه مكانَ ٱسمك، لا ... أحســبنى أرشفُ إلا الضَّربا(٤)
عَطْفٌ من الأيّام لى ونظَــرٌ ... جاء وما كنتُ له محتســبا
لكنّنى بالبعــد فى أثنـائه(٥) ... أُصبحُ أو أُمسِى مَروعا مُتعَبا
اذا ٱطمأنَّتْ أضلُعى تذكَّرتْ ... نواك فاهتزَّتْ جوًى لا طرَبا
فادفعْ به صدرَك ـ ما ٱستطعتَهُ ـ ... يوما تردّ شمـلَ أُنسى شُــعَبا

(١) تنتق : تُخرج النِّقَى وهو مخ العظم . (٢) الخصاص : الفقر . (٣) منسرًا : باحثا بمسره وهو منقاره . (٤) الضرب : الشهد . (٥) فى الأصل "أبياته" .

راخِ يديكَ فى آمتدادِ حبلِهِ وطاوِلِ الوقتَ به أن يُحذَبا
وخَفْ على قلبى غدًا من وقفةٍ يكون لى فيها الوداعُ العطَبا
ولا تدَعْنى أسأل الرُّكبانَ عن قلبٍ دوٍ[1] وأستطِبُّ الكتُبا
لا أقفرتْ منكَ ربوعٌ عَمُرَتْ أُنسا ولا أيبسَ عيشٌ رَطُبا
ولا برحتَ مالكا مقتسِرا نواصِيَ الإقبالِ أو مغتصِبا
حتّى تكونَ باديا وحاضرا بين النجوم بانيًا مطنِّبا

وقال يمدح عميدَ الرؤساء أبا طالب بن أيوبَ فى النّيروز

أَبلِغْ بها أُمنيَّةَ الطالبِ فالرزقُ بين الرِّدفِ والغاربِ (٥١)
ولا تُذِمَّ[2] لوجاها[3] فما الـ ـراحةُ يومًا فى مَطَا[4] اللاغبِ
ليلتُها فى الدائبِ المنتقِ بُغامُها[5] فى السارحِ العازبِ
حُداؤها فى الرَّكبِ أحظَى لها من نَعقةِ الراعى أو الراكبِ
فاوتَ بين الطيرِ حالاتُها من باطشٍ أو فَرِقٍ هائبِ
فالحسفُ للجاشمِ فى وكرِهِ والخصبُ للقاطعِ والكاسبِ
أفلحَ من داوسَ طُرْقَ العلا موفَّقا للسَّنَنِ اللاحبِ
تُعجِبُه الفضلةُ فى ماله ما لم تَشُبْها منّةُ الواهبِ
ذلك فى المولَى، غدًا فى العدا مَثلبةٌ، فاسدُدْ فمَ الثالبِ
خوفى من العائب لى نجوةٌ من الأذى تُشكَرُ للعائبِ
والناسُ أصحابِيَ ما لم تَمِلْ وُسوقُ أثقالى على صاحبِ

(١) دوٍ : مريض . (٢) تذمّم : تَلُم . (٣) الوجى : الحفا . (٤) المطا : الظهر .
(٥) البغام : الصياح بأرخم ما يكون فى صوت الناقة .

أكون ما آستغنيتُ عن رفدهم ... جِلدةَ بينِ العينِ والحاجب
فإن عَرَتْ أو حدَثتْ حاجةٌ ... فالحبـــلُ مَلْقِيٌّ على الغـاربِ
وكم أخٍ غَـــيَّرَهُ يومُه الـ ... ـمُقبـلُ عن أمسٍ به الذاهبِ
كنتُ وإيّاه زمانَ الصـــدَى ... كالماء والقهوةِ (١) للشـاربِ
ومَـــدّ باعيْه (٢) فخـــلَّى يدى ... نهباً لكفّ القابضِ الجاذبِ
مرّ فلم يعطف لحُبِّ الصِّبا الـ ... ـجانى ولا حقِّ العلا الواجبِ
كأنّ ما أحكمتُ من ودّه ... أبرمتُـــهُ (٣) للمســـحِلِ (٤) القاضبِ
اللهَ للغصـــوبِ فيكم عـــلى ... ديونه يا شِيعة الغـاصبِ
قد قلتُ (٥) للخابط خلفَ المُنَى ... مباعـدا : قاربْ بهـا قاربِ
إحبس مطاياك فمـا فى السرى ... إلا جنونُ الطمعِ الكاذبِ
لا تطلبنَّ الرزقَ من معـــدنٍ ... ينبوعه غـــيرُ "أبى طالبِ"
فالبحرُ مَن خلَّفَـــهُ خَلْفَـــهُ ... لم يقتنع بالوشـــلِ النـاضبِ
خاطَرَ فى المجـــد فغـــالَى فتًى ... لم يخشَ منه قَمْـــرةَ الغـالبِ
وكاثَرَ النـاسَ بإحسانِهِ ... فلم يحـــزْهُ عـــددُ الحاسبِ
اذا آحتـــبى (٦) ينسبُ عليـاءه ... دار عليـــه قُطْبُ النـاسبِ
ضمّ الى ما كسـبتْ نفسُـــهُ ... سالفـــةً فى عرقِـــهِ الضاربِ
فظلَّ لا يَشْرُفُ من جانبٍ ... إلا دَعاهُ الفخـــرُ من جانبِ
من معشَرٍ تضحكُ أيمـانُهـم ... إن آدَ (٧) عامُ السنةِ (٨) الشـاحبِ

(١) القهوة : الخمرة . (٢) فى الأصل "باعاه" . (٣) المسحل : المنحت .
(٤) القاضب : القاطع . (٥) الخابط : الذى يسير على غير هدى . (٦) فى الأصـل "اجتبى" وهو تحريف . (٧) فى الأصل "آ" فرجحنا كلمـة "آد" بمعنى : آشتدّ .
(٨) السنة : الجدب .

تُحلَبُ أموالُهُمُ ثَـرَّةً[1] والضرعُ مبسوسٌ[2] على الحالبِ
لهـم نَدِيٌّ شَرِقٌ[3] منهُمُ بكلِّ مخطـوبٍ له خاطبِ
لانائمُ السامرِ فى الليـلةِ الـ ـطُّولَى ولا منتقِـرُ[4] الآدبِ
هم وَزَرُوا الدولاتِ وآستنصحوا رَعْياً على العاطفِ والسـاربِ
وهـم سـيوفُ الخلفاءِ التى تُعـلِّمُ الضربَ يدَ الضـاربِ
غاروا نجومًا ووفَتْ بابنهـم[5] شـهادةُ الطالعِ للغـاربِ
حَـذَا وزادته قُوَى نفسِـهِ، والمجـدُ للموروثِ والكاسبِ
زيادةَ البـدرِ بشَعشاعـهِ على ضـياءِ الكوكبِ الثاقبِ
ليتَ عيونا لهـمُ فى الثرى مغضوضةً[6] بالقـدَرِ اللازبِ
تراك فى رتبتِهـم جالسـا تأمُرُ فى العـارضِ والراتبِ
حتى يُقِـرَّ اللهُ منها الذى أُقـذِىَ بالرامسِ والتـاربِ
قد عَرَفَ "القائمُ بالأمرِ" مذ سَلَّكَ أنَّ القطعَ[7] للقاضبِ
ظَهَـرتْ[8] بالعـفَّةِ سلطانَهُ، هـذا وما الزاهـدُ كالراغبِ
وصـنتَ ما حَسَّنَ من ذكرِهِ عن دنَسِ القـادحِ والقاصبِ[9]
فلا تَزَلْ عندك من طَوْلِهِ ما عنـده من رأيك الصائبِ
ولا خَلَا دَسـتُك من مركبٍ غاشٍ ومن راجٍ ومن هائبِ
ودام لى منـك ربيعى الذى يُرضِى رياضِى بالحَيَا الساكبِ

(١) ثرة : غزيرة . (٢) المبسوس : الذى لا يدرّ . (٣) فى الأصل "شرف" وهو تحريف . (٤) المنتقر : الداعى بعضا دون بعض، وفى الأصل "مستنفر" . (٥) فى الأصل "باتهم" وهو تحريف . (٦) اللازب : اللازم . (٧) القاضب : السيف القاطع .
(٨) ظهرت : أعنت . (٩) القاصب : الجزّار، وقد كنى به عمن يقطع لحوم الناس ذما .

٥٢ وجُنّتي الحصداءُ (١) إن صاحَ بى دهرِىَ : لاسَلِمَ ! فقم حاربِ
مالىَ فى فقــرى الى ناصرٍ ســواك مَنْ أحمِى به جانبى
فى ودّك آستبليتُ ثوبَ الصِّبا وفيــه أنضــو بُردةَ الشــائبِ
قلــبى لك المأمونُ تقليبُــهُ ما قام "رِيّانُ" (٢) على "مارِبِ"
أبيضُ ثوبِ الودّ صافٍ على لونَيْــهِ من راضٍ ومن عائبِ
وكُلّمــا أُنسيتُمُ صُحبــتى ذكّرَنيكُمْ زمنُ (٣) "الصاحبِ" (٤)
وخُــرّدًا أرســلتُها شُرّدًا من حابلٍ منكم ومن حائبِ
كلّ فتــاةٍ مَــعَ تعنيسها تفضَحُ حُسنَ الغادةِ الكاعبِ
ضوافيًا من فوقِ أعراضِكم للمُســدِلِ المُرخِى وللساحبِ
سارتْ مع الشمس وعمّت مع الـ (٥) ـغيث فمن ذالكِ ومن هاضبِ (٦)
تعلّقُ بالآذان موصولةً غَشْما بلا إذنٍ ولا حاجبِ
تنصُبُ أعلامًا لكم ، سَيرُها فى الأرضِ ، فلتُشْكَرْ يَدُ الناصبِ
كرّرتِ الأعيادُ أعدادَها (٧) والمهــرجاناتُ على الحاسبِ
حتى لقد خافت بمــا أكثرتْ ملالةَ القــارئ والكاتبِ

* * *

وقال يمدح كمال الملك و يهنّئه بالنيروز

لكِ الغــرامُ وللواشى بكِ التعبُ وكلُّ عذلٍ اذا جَــدَّ الهوى لَعِبُ
أما كفاه آنصرافُ العين مُعرِضــةً عنــه ، وسمعٌ بوقْرِ الشوق محتجِبُ

(١) الحصــداء : الدرع المحكمة الضــيقة الحلق . (٢) رِيّان ومأرب : جبــل و بلد .
(٣) الحابل : الصائد ، لنصبه الحبالة . (٤) الحائب : القاتل ، و يريد بهذا البيت أنه ينشد قصائده فى كل واد خوفا من حابل يقيّدها أو حائب يقتلها . (٥) الدّاكى : المتقد . (٦) هاضب : ماطر وفى الأصل : هاصب . (٧) الضمير فى أعدادها يعود الى القصائد .

وأنّ قلبا وأحشاء مُدغدَغةً ... اذا استقامتْ حُول الحيّ تضطربُ

لاموا عليكِ فما حلُّوا وما عقَدوا ... عندى، وعابوا فما شقُّوا ولا شعَبوا

فكلُّ نارِ هوًى فى الصدر كامنةٍ ... فاللّوم يُسعرها والعذلُ يحتطبُ

آهًا لوحشة ما بينى وبينكُمُ ... اذا خلَتْ من دِلاءِ الجيرةِ القُلُبُ

وعطّت(١) القُورُ(٢) والأجراعُ(٣) نوقُكُمُ ... طُروحَ عينى وحالت بيننا الكثُبُ

مَن أشتكى الشوقَ إذ هزّت وسادتَهُ ... مدامعٌ تنتحى أو أضلعٌ تجبُ

فما أسفتُ لشىءٍ فائتٍ أسفى ... من أن أعيشَ وجيرانٌ "الغضا" غيَبُ

قد كنتُ أسرِقُ دمعى فى محاجره ... تطيرًا بالبكى فاليومَ أنتحبُ

لا يُبعدِ اللهُ قلبًا ظلَّ عندكُمُ ... لم يُغنِه عنه نِشدانٌ ولا طلبُ

سلبتموهُ فلم تُفتُوا برجعتِه ... وربّما رُدَّ بعدَ الغارة السلَبُ

فأين إذمامُكم(٤) قبلَ الفراق له ... ألّا يضامَ ولا تمشى له الرِّيَبُ؟

أسيرةٌ لكُمُ فى الغدرِ حادثةٌ ... تخُصُّ، أم رجَعتْ عن دينها العرَبُ؟

يا أهلَ ودِّى، وما أهلًا دعوتُكُمُ ... بالحقِّ لكنها العاداتُ والدُّرَبُ

كُنّا بها نتسمّى قبلَ غدركُمُ ... فاليومَ كلُّ اسمٍ ودَّ ببننا لقبُ

أشبهتم الدهرَ فى تلوين صبغتِه ... فكلُّكم حائلُ الألوانِ منقلبُ

كنتم علىّ مع الأيّام إخوتَها ... وليس إلا عُقوق بينكم نسبُ

صبرًا وإن كان ملبوسا على جزَعٍ ... ظُلمتُ، والصابرُ المظلومُ محتسِبُ

لعلّ عازبَ هذا الحظّ يرجعُ لى ... يوما وقاعدَ هذا الجدّ بى يثبُ

(١) عطّت : شقّت . (٢) القور جمع قارة وهى الجبيل المنقطع عن الجبال أو الأرض ذات الصخور. (٣) الأجراع جمع جَرَع ودوّ الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل وقيل هى الرملة السهلة .
(٤) الإذمام : أخذ الذمة .

ولَيتَ أنَّ "كمالَ المُلكِ" خالصةٌ ... آراؤه لى ورأىُ النـاسِ مؤتَشِبُ[1]

بل ليتَ أنَّ قضاياه مواهبُـهُ ... فكان إنصافُه فى عَرضِ ما يَهَبُ

فتًى قَنِعتُ به من بين مَنْ حَمَلَتْ ... خُوصُ الركابِ[2] فسارت تُنقَلُ الرُّكُبُ[3]

أحببتُه حُبَّ عينى أختَهـا ويدى ... يدى، ولى فى مَزيدٍ منهـما أربُ

وكان لى حيثُ لاجفنٌ لناظرِه ... حفظًا وصَوناً ولا تحمى الظُّبا القُرُبُ[4]

عَطفًا لحـقٍّ وإسبالًا على ذمى ... كأنّه وهو مولًى فى الحنـوّ أبُ

يرعَى شـواردَ فيـه لم تَسِرْ معَها ... ريحٌ ولا طمعتْ فى شأوها السحُبُ

فغالبتنى على ذاك المكان يدٌ ... للدهر، كان لها ـ مذ ملّنى ـ الغلَبُ

مَـلالةٌ لم تَطِـرْ فيها مُطاوَلةٌ ... وبِغضـةٌ كالتجنّى ما لهـا سببُ

قَسَا فأصبَح للواشـين بى أُذُناً ... تَليـقُ ما اختلقوا عنّى وما اجتلبوا

لو قيل: إنّى سرقتُ السمعَ أو صرفوا ... الىَّ تبـديلَ دينِ اللهِ أو نَسَبوا

لَمَا امترَى أنَّ رُسْلَ الله بى جُبِهوا ... بالردِّ أو حُرِّفَتْ عن أمرِىَ الكتُبُ

فقـل له ـ طيَّب اللهُ الوفاءَ له ... والحقُّ يَسـفِرُ والبهتانُ يَنتقِبُ ـ :

يا ناقدَ الناس كشْفا عن جواهرهم ... متى تَغيَّرَ عن أعراقِه الذهبُ؟

وكيف أفسدَ سوءُ الحظِّ خُبرَك بى ... حتّى بدا لك أنّ الدرّ مَخشَلَبُ[5]!

أغَيْرَ أنَّ فَراشًا طار ينأم بى[6]؟ ... لو شئتَ كان بنـار الردِّ يلتهبُ

أبعد أن رضتنى عشرينَ أو صَعدتْ ... لا الجـرىُ تُنكره منّى ولا الجَنَبُ[7]

يُروَى لك الخُرْقُ[8] عن حزمى فتقبلُه ... صفحًا ويَحـذِبُك الواشى فتنجذبُ!

---

(١) مؤتشب: غير صريح. (٢) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها. (٣) الركب جمع ركاب. (٤) القرب جمع قراب وهو غمد السيف. (٥) المخشلب: الخرز لا قيمة له. (٦) ينأم بى: يهمس بى. (٧) الجَنَبُ: شبه الظَّلَع. (٨) الخُرقُ: الخُقُ.

حاشاكُم أن تكونوا عَونَ حادثةٍ ... أو ترتمينى على أيديكم النُّوَبُ
أذنبَ الحبُّ والإخلاصُ عندكُمُ؟ ... فإنّ ذنبى الى أيّامِىَ الأدبُ
أَمَا وقَومِكَ ، والمجدُ التليدُ لهم ... ـ اذا حلفتُ بهم ـ والدينُ والحسبُ
ما خلتُ ـ والدهر لا تَفنَى عجائبُهُ ـ ... أنّ العلا نافقٌ فى سُوقها الكذبُ
ولا عجبت لدهرى كيف يظلمنى ... وإنما ظلمكم أنتم هو العجبُ!
يامَن به صحَّ سُقمُ العيشِ وآجتمعتْ ... على توحدهِ الأحزابُ والشُّعَبُ
ومَن كَفَى المُلكَ ما لم يَكفِ صارمُهُ ... ورَدَّه عنه الذى ما ردَّه اليَلَبُ (١)
ومَن توسَّط أفقَ المجد فآعتدلتْ ... به البدورُ ولبَّت أمرَهُ الشهُبُ
على بساطِكَ تُقضَى كلُّ مُبْهِمةٍ ... يعنو بها الخطْبُ أو تعيا بها الخطَبُ
وهالةُ البدرِ دَستٌ أنت راكبه ... وتارةً هو غابُ الضيغم الأشبُ
بِشْرٌ وَقورٌ، وجَدٌّ ضاحكٌ، ورِضًا ... لولا الطلاقةُ خِلْنا أنه غضبُ
جَرَى بك الخُلُقُ الفضفاضُ وآنقبضتْ ... بك المهابةُ فالسَّلسالُ واللهبُ
وأفقرتك العطايا ، والثناءُ غنًى ... وأنصبتك العلا ، والراحةُ النَّصَبُ
مَن عندَهُ نَشَبٌ لا مجدَ يعضُدُهُ ... فإنّ عندك مجدا ما له نشبُ
حَلَلْتُ باسمك عَقْدَ الرزق فآندفعتْ ... عُراه تُقصَمُ لى عفوا وتَنقضبُ
وكنتَ واسطةَ العِقد الذى آنتظمتْ ... عنه السلوكُ ولم تُخدَشْ به الثُّقَبُ
أنتم رفادةُ ظهرِى إن وَهَى جَلَدِى ... ودَرَّةُ العيشِ لى والضَّرعُ معتصَبُ
ومشربى العِدُّ والغدرانُ غائرةٌ ... منكم لِىَ الحوضُ أو منكم لِىَ القَرَبُ
قدَّمتمونى فلى رهنُ السباقِ، ومَنْ ... يلزَنِى (٢) بعدُ : مجنوبٌ ومعتقبُ

(١) اليلب : الدروع أو جلود تلبس مثل الدروع . (٢) يلزنى : يلزمنى ويلصق بى .

عِزّى بنفسِى ولكن زادنى شرفا ... أنى اليكم ـ اذا باهلتُ(١) ـ أنتسبُ
والنـاسُ غيرُكُمُ مَن لا يجاوزنى ، ... أبيـاته عَمَـدٌ تُبنَى ولا طُنُبُ
اذا صفوتم فلا وِرْدى ولا صَدَرى ... منهم وإن أملَحوا يوما وإن عذُبوا
لى منكم الجبهةُ الغـرّاء والعُنُقُ الـ ... ـلْعاءُ والناس بعـدُ الرُّسغُ والذنَبُ
فلا تَنـلنى الليـالى فيكُمُ بيـدٍ ... إلا التَّـبابُ(٢) لها والشـلُّ والعطبُ
ولا تُصبكم عيـونُ الدهر إنّ لها ... الى الكمال لحاظًا سهمُـها غَرَبُ(٣)
وإن أتَى رائدُ النيروزِ مجتـديًا ... أيمـانَكم فالروابى الخُضرُ والعُشُبُ
فمن جبـاهكُمُ نورُ الربيع لنـا ... ومن أكفّكُمُ الأنواءُ تنسكبُ
يومٌ يكُرُّ به إقبـالُ جَـدّكُمُ ... غدًا على ملككم ما كرّت الحِقَبُ
تَجلُونَ من حسنه حظَّ العيـونِ فلل ... ـأشعار فيكم حظوظُ السمعِ والطربُ
فمـا بقيـتم فأيّامى بعـزّكُمُ ... كما أُحبُّ وأحـوالى كما تجبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير زعيم الدين فى المهرجان

اذا فاتهـا روض الحمى وجَنـوبُهُ ... كفاها النسيمُ البابليُّ وطِيبُـهُ
وكم حُبَّ من وادٍ الى العيش مجدِبٍ ... وأبغـضَ مَثْرًى(٤) آخَـر وخصيبُهُ
وما الجـانبُ المسكونُ إلا وفاقُـهُ ... هَوَى النفسِ، لا خضراؤه وعَشيبُهُ
فدعهـا تَلُسُّ(٥) العيشَ طوعَ قلوبها ... فأمرعُ ما تـرعاه ما تستطيبُهُ

(١) باهلت : حاججت مفتخرا . (٢) التباب : الهلاك . (٣) يقال : سهمٌ غَرَبٌ : لا يُدرَى رامیه . (٤) المثرى : محل الثراء . (٥) تلسّ : تتنف الكلأ بمقدّم فمها .

وإن الثَّمادَ البَرْضَ(١) فى عزِّ قومها ... لأَنقعُ من جَمٍّ(٢) يُذَلُّ غريبُهُ

وأشبَعها ألّا تكون طرائدا ... اذا شُلَّ(٣) من سَرحِ المسيمِ(٤) عزيبُهُ

وأن كان حيًّا بالحمَى ـ إن توفَّرتْ ... من الوجد ـ مُبرِى(٥) دائها وطبيبُهُ

وكلُّ هلالٍ "ذو الأراك" حجابُهُ ... يسرُّ البدورَ الطالعاتِ مَغيبُهُ

تحولُ الرماحُ "العامريَّةُ" دونه ... فيقنطُ راجيه ويعيا طَلِيبُهُ

وأتعبُ من حاولتَ يا قلبُ وصلَهُ ... حبيبٌ سِنانُ السمهرىِّ رقيبُهُ

يُصيبُ بعيدا سهمُهُ كلَّ من رمَى ... وترميه أبدٍ حوله لا تصيبُهُ

يلوم على "نجدٍ" ضنينٌ بدمعه ... اذا فارق الأحبابَ جفَّتْ غروبُهُ

وهل طائلٌ فى أن يُكثِّر عذلَهُ ... اذا قلَّ من إصغاءِ سمعى نصيبُهُ؟

وما النـاسُ إلا مَنْ فؤادى فؤادُهُ ... لأهلِ "الغضا" أو مَن حبيبى حبيبُهُ

سأرعَى الذى بينى وبينَ ملوَّنٍ ... شربتُ على صفوى له ما يشوبُهُ

خذينى بغيرِ الغدرِ خُلْقًا وإن جنى ... علىّ الوفاءُ : قَرْفُهُ ونُدوبُهُ

فذلك طينُ الأرضِ لم تُبْنَ فطرتى ... عليها وما ماءٌ سقانى قليبُهُ

خُلقتُ يدًا دون الصديقِ وجُنَّةً ... يَرُدُّ بها عن صدره ما ينوبُهُ

ركودى الى الجوّ العريض ركودُهُ ... اذا رام أمرا أو هبوبى هبوبُهُ

وأصفحُ عنه عاذرا متأولا ... وإن كثُرتْ زَلّاتُهُ وذنوبُهُ

ويُقنعنى منه ظِهارةُ وجهِهِ ... فلا أسأل التفتيشَ كيفَ مَغيبُهُ

ومن طال عن خُبرِ الأخلَّاء بحثُهُ ... ليبلُوَهم لم يخلُ مما يريبُهُ

دعينى يكن خصمى زمانىَ وحدَهُ ... وتكفيكِ لى أحداثُهُ وخطوبُهُ

(١) الثماد البرض : الماء القليل النزر . (٢) الجم : الماء الكثير . (٣) شل : طرد .
(٤) المسيم : الذى يُرعى السوام وهى الإبل من قولهم : أسامها أى أرعاها . (٥) مبرى : مبريّ .

هو الطِّرْفُ غرَّتْ رِحلتى خطواتُهُ (١) وزُمَّتْ (٢) فكان الليتَ صعباً ركوبُهُ
أصالخ من كفَّيه صِلَّ خديعةٍ لغـير التحايا أهـلُهُ ورحيبُـهُ
ولولا رجالٌ هم أساةُ جروحِـهِ جَـرَتْ بدمى أظفارُهُ ونُيـوبُهُ
لتسقِ بنى "عبـد الرحيم" أكفُّهم فأَروَى الحيـا وكَّافُـهُ وصبيبُهُ
وما السيلُ ذو الدَّفَّاعِ (٣) يرغُو (٤) جُفاؤه بأمرعَ من وادٍ نداهم يَصـوبُهُ
هم القاتلونَ الأزْمَ (٥) والعـامُ مسنتٌّ (٦) يقطِّبُ فى وجهِ المُسيم جـدوبُهُ
وهم إن شكا الفضلُ الغريبُ انفرادَه قبائلُه دون الورى وشُعوبُهُ
ملوكٌ على الأيَّام بيتُ عـلائهم تُناط بأعناق النجوم طُنـوبُهُ
رَبَا الملكُ طفلًا ناشئا فى حجورهم وأشيبُ هـذا الدهر بعـدُ ربيبُهُ
لهم تاجُهُ المعصـوبُ أيَّامَ تاجِـهِ وفيهـم أخيرا سيـفُهُ وقضيبُهُ
مواريثُ فيهـم نصُّها إن مضى أبٌ يَسُـدُّ الذى سدَّ ابنُـهُ وينوبُهُ
وأمواتُهـم فيهم كأحياءِ غـيرهم اذا ظلَعَ (٧) المركوبُ جاء جَنيبُـهُ
اذا ما "زعيم الدين" حدَّثَ عنهُمُ توارَدَ شُبّانُ الفخارِ وشيبُـهُ
هو البُلجةُ البيضاءُ فى وجـه عزِّهم اذا شان عِزَّ القـوم بابنٍ شحوبُهُ
يَرَى نصرَهم ماسار من حسن ذكرهم فتنشرُهُ أفعـالُهُ وتُطيبُـهُ
فتًى كُملتْ فيـه أداةُ اكتهالِهِ وغصنُ الصِّبا لم يَعْسُ بعـدُ رطيبُهُ
تحمَّـل أعباءَ الرياسـة ناهضا فما لان من عرض الرجال صليبُهُ
ومن عجبٍ أن البِكارَ (٨) جليـدةٌ وقد عُقِـرَتْ بُزْلُ الطريق ونِيبُـهُ (٩)

(١) يقال: رَحَل البعير رحلةً أى وَضع عليه أداة رَحْلِه. (٢) زمّت: شُدّت. (٣) الدفّاع: الموج.
(٤) الجفاء: الزَّبَد. (٥) الأزم: الضيق. (٦) مسنّت: مجدب. (٧) فى الأصل: "نجيبه" وهو خطأ. (٨) البكار: الفتيّات من الإبل. (٩) النيب: جمع ناب وهى الناقة المسنة.

وكم سابقٍ فيهم ولم يَخْفَ رُسْغُهُ ... ولا آبتلَّ فى شَوطِ الرِّهانِ سبيبُهُ
ومِن منجبٍ فيه أبوه وأمُّهُ ... وما وَلَدُ الإنسانِ إلا نَجيبُهُ
لهم يومَ يحتدُّ الجلادُ كميُّهُ ... ويومَ الترامى بالكلام خطيبُهُ
فلا محفلٌ إلا وفيهم صدورُه ... ولا جحفلٌ إلا وفيهم قلوبُهُ
"أبا حسنٍ" باهِلْ بهنَّ فضائلا ... لحاسدها حَرُّ الجوى ولهيبُهُ
يَعيبُك مَثْنٌ على الغيظ صدرُهُ ... خوافِقُهُ تَزْوِى (١) به ووجيبُهُ
وكيف يَنالُ العيبُ أطرافَ ماجدٍ ... محاسنُ أبناءِ الزمانِ عيوبُهُ
وقال: وهلْ فى الناس من هو فوقه؟ ... فقلتُ: نعم! إن كان فيهم ضريبُهُ
كريمٌ اذا ما ظلَّ يَقسِم مالَهُ ... فأنزرُهُ مستقسَما ما يُصيبُهُ
يحبُّ ثراءَ المالِ حبًّا لبذله ... وليس كَسوبَ المالِ إلا وَهوبُهُ
أطلتَ يدى بالنصر فى نَيلِ مطلبى ... فأصبح لى أقصاه وهو قريبُهُ
وأمكنتنى من ظَهر حظِّى وعُرفِهِ ... فأسمحَ لى بعد الشِّماسِ ركوبُهُ
وأغنيتنى عن كلِّ مرعًى أرودُه ... وفَجٍّ على تيهِ الطريق أجوبُهُ
وكم جَمَدَ الرزقُ البطيءُ على يدى ... فسلسلتَ من كفَّيْك ماءً يُذيبُهُ
ولا خلفَ (٢) إلا من عِصابِكَ (٣) دَرُّهُ ... ولا جَفْرَ (٤) إلا من ندالك ذَنوبُهُ
اذا روَّعتْ سَرحِى من الدهرِ رَوْعَةٌ ... زأرتَ فلم يعسِلْ (٥) من الخوف ذيبُهُ
فقد صار يحبونى الذى ما سألتُهُ ... ويخطبُ منّى المدحَ مَن لا أجيبُهُ
فلا يَخْبُ من نُعماك بدرٌ أضاءَ لى ... زمانى ولا نجمٌ هدانى ثُقوبُهُ

(١) تزوى به: تذهب به. (٢) الخلف: الضرع. (٣) العِصابُ: شدُّ فخذى الناقة بحبل لتدرّ، ومنه: "مثلى لا يدرّ على العِصاب". (٤) الجفر: البئر لم تُطوَ وهو مذكّر. (٥) فلم يعسل: فلم يضطرب فى عَدْوه.

ولا تتغـيَّرْ من وفائـك عادةٌ ... يَرَى المجـدُ فى أثنائها ما يعيبُهُ
ولا برِحتْ[1] تطرو اليـك شـواردٌ ... يَلِـين لها وعرُ الفـلا وسُهوبُهُ
مُطبَّقةٌ ما طبَّـق الأفقُ ، سـيرُها ... بوصـفك مسرى ليـلِها ودؤوبُهُ
من الـكَلِم السهـلِ المنيعِ مرامُهُ ... على النـاس والنَّزرِ الكثيرِ عجيبُـهُ
تَرقرَقَ حُسنا فامـتَرَى كلُّ سامع ... به وهو مخـلوبُ الفؤاد طـروبُهُ
أُسربِلُ منه المهرجانَ مُفاضـةً ... يُصان بها عُريانُه وسـليبُهُ
ينـوبان من ناديك أمنـعَ جانبٍ ... وأنضرَ رَبعٍ : غضُّـهُ وقشيبُـهُ[2]
مدى الدهرِ ما هبَّ النسيمُ لناشقٍ ... ودبَّ على وجـه الصعيدِ دبيبُـهُ
على شَرْطِ[3] عزٍّ لا تحـولُ رسومُهُ ... وسَرحِ نعـيمٍ لا تُراعُ سُـروبُهُ

* * *

وقال يمدح الوزيرَ عميدَ الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم ، وأنفذها اليه وهو معتزلُ النظرِ لهفوةٍ جرَتْ بينه وبين الأتراك اقتضت تغيُّبَهُ ، ويُعرِّضُ بذكر الساعى به عند شاهانشاه جلالِ الدولة رحمه الله ، وذلك فى المهرجان الواقع فى شوّال من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

يا قلب من أين على فَـترةٍ ... رُدَّ عليـك الولَهُ العـازبُ ؟
أبعـدَ أن مات شبابُ الهوى ... شاورَك المحتنِـكُ الشائبُ
وبعدَ خمسين قضَتْ ماقضتْ ... وفضـلةٍ أغفلها الحاسبُ
هبَّتْ بأشواقك "نجـديةٌ" ... مطمِـعةٌ ، أنت لها واجبُ ؟
ما أنت يا قلب وأهـلَ الحمى ... وإنما هم أمسُـكَ الذاهبُ

(١) تطرو : تأتى من مكان بعيد ، وفى الأصل " تطر " . (٢) غض وقشيب مرفوعان على أنهما بدل مقطوع والقطع فى البدل جائز كما فى النعت . (٣) كذا بالأصل ولعله "صَرْح" .

لم تذكر الغائبَ من عهدهم إلا لأنْ يأكلَك الغائبُ
قد وعظَتْ واعظةٌ من حجا بوعظها ما زَهَدَ الراغبُ
فاردُدْ على الريح أحاديثَها ففى صِباها ناقلٌ كاذبُ
جاءت وقد أفرقَ(١) تهدى الصِّبا لا سَلِمَ المجلوبُ والجالبُ
ودون "نجدٍ" وظباءِ الحمى أن يُقرَعَ المَنسِمُ والغاربُ
والفيلقُ الشهباءُ من "عامرٍ" والطاعنُ الغيرانُ والضاربُ
والشمسُ أدنى من "تميميَّةٍ" طالعُها من "رامةٍ" غاربُ
لو سَبَقَتْ بالغدرِ فى قومها لَمَا وَفَى فى قوسه "حاجبُ"(٢)
مكنونةٌ بيضاءُ لم يُعدِها فى البدو لونُ العرَبِ الشاحبُ
إن وُصفت تيَّمها وصفُها أو نُسبتْ أعجبها الناسبُ
فلا تَغُرَّنَّك نفَّاحةٌ منها ولا بارقةٌ خالبُ
يا راكبَ الأخطارِ تهوِى به انزلْ، كُفيتَ السيرَ يا راكبُ
مالَك ـ والراحةُ قد أمكنَتْ ـ تشقَى بما أنتَ له طالبُ!
قد آن أن يُعفَى الكليلُ المطَا وأن يُراحَ النَّصِبُ اللاغبُ
إنّ المقيم اليومَ فى غِبطةٍ يحسدها السارحُ والسارِبُ
قد أربَعَ الوادى "ببغداد" وآبَ تلّ الثرى واتّسع الجانبُ
أظلَّها من سُحْبِ أيدى بنى "عبدالرحيم" الهاطلُ الهاضبُ(٣)
ورجَعَتْ طالعةً شمسُهم فيها وعاد الكوكبُ الثاقبُ
الى "عميد الدولة" استرجع الـ ـنافرُ أنسا وأوَى الهاربُ

(١) أفرقت : بان الشيب فى مفارقك . (٢) حاجب : هو حاجب آبن زرارة وقد تقدّمت الإشارة اليه فى صحيفة (٥٩) . (٣) الهاضب : الماطر ، وفى الأصل "القاضب" .

عَمَّ وسَوَّى عادلا جُـــودهُ حتى آستوى المحرومُ والكاسبُ
طَبَّقَ فى التـــدبير أغراضَـــهُ سهما فسهـــما رأيُه الصائب
وأدّب الأيّامَ بالحـلم، والـ ـجهـلُ على أخلاقها غالبُ
والمُلكُ سَرحٌ نام رُعيانُه وهبَّ يطغَى ذئبُـــهُ السارب
كانت جحيما ترتمى بالأذى، فى جانبيهـا الشررُ اللاهبُ
فأخمـــدَتْ هيبتُهُ كلَّ ما هبَّ عليها المُوقِـــدُ الحاطبُ
صَبَّ عليهـا الدَّمَ لمّـا غدتْ بالمـاءِ لا يُطفئُها الساكبُ
فهامـــةٌ ساقطـــةٌ فوقهـــا حَصْدًا وجنبٌ حولها واجبُ
عشواءُ خطبٍ لم يكن ينجـلى حتى يؤوبَ القـــمرُ الغـائبُ
يا "شَرَفَ الدين" تمدَّحْ بها فالعُجبُ فى أمثالهـا واجبُ
ما زال تنـــكيلُك بالمجـرِم الـ ـمُصِرِّ حتى خافـــك التـائبُ
صَـــدْعٌ من الدنيـا تداركتَهُ لولاك ما كان له شاعبُ
جاذبه النـــاسُ يرومـــونَهُ دهرا فـلم يعـــلَقْ به جاذبُ
لا العاجـــز الوانى تأنَّى له منهـــم ولا المجتهـــدُ الدائبُ
سَلَمتَ بالعـادة فى جســـمه رأيًا هو الصَّمصامةُ القاضبُ
قـــد ظهَرتْ رايةُ أيّامكم وطبَّـق الأرضَ بهـا الجائبُ
وجَمَـعَ الألسنَ تفضـــيلُكم فآصـــطلحَ المـادحُ والثالبُ
لا يَصلحُ الأمرُ على غـــيركم لا عارض منـــه ولا راتبُ
ولا تـــدرُّ المـالَ أخـــلافُهُ وغـــيرُ أيديكم له حالبُ
وزارة مجلسُـــها مَنصِبٌ له آصـــطفاك الله والنـاصبُ
أنتَ لهـا ـ فاشدد يمينا بها ـ الأخُ وآبنُ العمِّ والصاحبُ

فإن تعزّلتَ وفارقتَها أو نابَ فى تدبيرها نائبُ
كان فراقًا لك تسديدُهُ وللا عادى سهمُهُ الحائبُ
بَعُدتَ فانحصَّ الذى رِشْتَهُ وانقبضَ السائمُ والسارِبُ
فاعطِفْ على الدنيا وما قد جَرَى به عليه القدرُ اللازِبُ
فالليثُ لا يغمز فى زأره وإن ألحّ النابحُ الواثبُ
فى جِلده ذمّى وفى عظمه مُظَفَّرٌ(١) فى عزّكم خالبُ(٢)
مَشَى بها الماشى الى حتفه يا بؤسَ ما أعقبَهُ العاقبُ
يا باسطا من كفّه مُزنةً يَسمُ منها البلدُ القاطبُ
ومَن حَمَى الأرضَ فما فوقَها للخوف مسلوبٌ ولا سالبُ
والمصطفى المحبوب من ماله يَخبِطُ فيه العائثُ الناهب
أغنيتنى عن كلّ غرّارةٍ سحابُها المصعِقُ والحاصبُ
وكلّ مبذولِ الحمى بابُهُ واللؤمُ عن أمواله حاجبُ
لا يخلُقُ الخَجْلَةَ فى وجهه لا مادحٌ أثنَى ولا عائبُ
وصُنتَ وجهى بعد ما شفّنى من مائه المتزَفُ والناضبُ
وخَلَطتنى منك نُعمى بها شَجّرنى(٣) فى بيتك الناسبُ
وحُطتَنى أمنًا وقد ثارَ لى بالشرّ صِلُّ الرملةِ الواقبُ
كلبٌ أتى الليثَ فأغراه بى وقال وهو الفاجرُ الكاذبُ
وغُدَّ دعىّ ليس من شكله ما هو كاسٍ باسمه كاسبُ
أعداه من مِهنةِ آبائِهِ عِرْقٌ الى اللؤم به ضاربُ

(١) مظفّر: غارزٌ أظافره . (٢) الخالب : الجارح بمخلبه . (٣) شجرنى : جعلنى من شجرتكم أى من ذوى قربا كم .

ولم يكن لو أنه كاتبٌ يُراعُ منـــه الشاعرُ الكاتبُ
وعند شعرى — لو هجا مثلَهُ — لعرضِـه القـاصمُ(١) والقـاصبُ(٢)
فابقَ لأن تُرغِمَ لى أنفَـهُ أنفٌ لعـمرى أجدعٌ تاربُ
(٥٧) وألبس من الدولة فَضفاضـةً يَسحَبُ من أذيالها الساحبُ
وأقسِمْ ليـــوم المهرجان الحيا وَفْـدًا، فنـعمَ الوافـدُ الآئبُ
يومٌ لآبائـك فى حفظـــه عهـــدٌ يُراعَى حقُّـهُ الواجبُ
وأصبـحْ بفخرٍ طـــيرُه أيْمن(٣) وفى عداك البـــارح الناعبُ
ما غَرَّدتْ ورقاءُ أو دافعتْ فتخاءُ(٤) عن أفراخها خاضبُ(٥)
واسمعْ اذا شُدَّت لهـا حَبوتى أفصـحَ ما فاهَ به خاطبُ
مرصوعةً بأسمـك من خيرِ ما عنـدك منهـا غَرِدٌ مطربُ لاثَ على مَفـرِقه عاصبُ
من معـدِن الجِدّ ولكن تُرى رقَّتُهـا أنّى بهـا لاعبُ وعند من عاديتَـه نادبُ
لا رَبَّ "غُمْدانَ"(٦) وعَى مثلَها سمعًا ولا مَن دارُه "مارِبُ"(٧)
وامضِ مع العـادةِ فى مَهرها على طـريقِ نهجُهُ لاحبُ
فمـا تَطيبُ الأرضُ موهوبةً عنـــدىَ لولا أنك الواهبُ

---

(١) القاصم : الكاسر . (٢) القاصب : القاطع . (٣) البارح من الطير : ما يمر الى الياسر وهو الذى يتشاءم به . (٤) الفتخاء : العقاب الليّنة الجناح . (٥) خاضب : محمرّة الأظفار . (٦) غُمْدان : قصر باليمن بناه "يَشْرُحُ" بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر . (٧) يشير الى سبأ بن يشجب بن يعرب الذى بنى قصر مأرب .

✦ ✦ ✦

وقال يمدحه ويهنّئه بالمهرجان، وكتب بها اليه وهو مقيم بعُكْبَراء وقد شارف العَوْدَ الى النظر بالو زارة بعد آعتزاله منها مُدَيْدةً، وتقرر ذلك له، يتشوقّه ويذكر الحالَ، وذلك فى سنة ستّ وعشرين وأربعمائة

عرفتُ فما أدري الفتَى كيف يرغبُ ... وعفتُ فما أشكو القذَى كيف يُشربُ
وروّضنى لليأسِ هجرُ مَطامعى ... فبُغض عندى الوفر وهو محبَّبُ
رأيتُ الغنى ما نَدَّ عنّى ففاتنى ... فكيف يَخافُ الفَوْتَ من ليس يَطلُبُ
وأرضَى عن الأقدارِ كيف تصرَّفَت ... وغيرِى بالأقدارِ يَرضَى ويغضَبُ
أأشرِى بعرضى رِفدَ قومٍ معوضةً ... وأُشعِرُ نفسى أنّ ذلك مكسَبُ؟
فلا جرَّ رزقٌ غِبطةً وهو يُجتَدَى (١) ... ولا سَدَّ مالٌ خَلّةً (٢) وهو يُوهبُ
هنيئا لربِّ الرائحاتِ خلاصُهُ ... إذا ضافنى مما يعُقُّ (٣) ويَحلبُ
ومِن قَودِها لى فى الصِّلاب (٤) ثنيّةً ... وبزلاءَ (٥) تعصِى فى القيادِ وتُصحِبُ (٦)
تركتُ لمعطى النائلِ الغمرِ نيلَهُ ... وإنى الى تَرْك البخيلِ لأقربُ
فلا المدحُ فى المُسنِى الجوادِ أكُدُّه ... ولا اللَّحزُ (٧) المَنّاعُ ذَمّى يَرهَبُ
ويظلمنى المولَى وفى فىَّ ناصرٌ ... وكفّى، فلا أشكو ولا أتعتَّبُ
اذا ذهبتْ بى رغبةٌ عن تلاده ... طريقًا فما لى عنه بالودّ مذهبُ
له خِصبُهُ دونى ولى نَوْطةٌ (٨) به ... وعَوْنٌ على أيّامه وهو مُجدِبُ

(١) فى الأصل "رزقا". (٢) الخلة: الفقر. (٣) مما يعقّ: مما يذبحه.
(٤) الثنية: الناقة الطاعنة فى السادسة. (٥) البزلاء: الناقة الطاعنة فى التاسعة وليس بعد ذلك آسم لسن. (٦) تُصحِبُ: تنقاد غايلة بعد صعوبة. (٧) المسنى الذى يجعل الجائزة سنية والمحز: البخيل الضيق الخلق. (٨) نوطة: تعلّق.

وللحبِّ منِّى — ما أمنتُ خيانةً — مَحَـلَّةُ قلبٍ قلَّما يتقلَّبُ
أجِرَّ الهوى — ما لان — فَضْلَةَ مِقودى ويَعِسـفُنى حينا فآبَى وأجذبُ
وما كلَّما فارقتُ أشربُ دمعتى ولا كلّما غنَّى الحَمَامُ أُطَرَّبُ
وكم أَلِفتْنى ظبيـةٌ وهى قَـدَّةٌ فملتُ ولم أعطِفْ وقد عنّ ربرب
أحبُّ الوفاءَ مُجسا ومغـزّلا وأصحَبُـهُ فيما أجِـدُّ وألعبُ
وأعطى يدى ما خِلتُنى متفضـلا وأمنعها ما خلت أنّى أرغبُ
فلو لقيتْ أيّامُ دهرى خلائقى لكانت عـلى جَهْلاتِهـا تتأدَّبُ
ولو أنهـا للسِّـلم جانحـةٌ معى لكانتْ على الشـحناء بى تَتَحَبَّبُ
وكنتُ لهـا عُذرا الى كلِّ ماجدٍ يَرَى أنهـا فى حرب مثـلى تُذنِبُ
ولكنّها عَجْراءُ، سِيّانِ عندها شدَا جاملٌ[1] أو قال هُجْـرا مؤنِّبُ
تَشُطُّ بأحبـابى الذين أودُّهم وتدنو بجـارٍ لا أُحبُّ فتَقصِبُ
ولو أنهـا تأوِى لصونى لقرَّبتْ بعيـدا وشطَّت بالذين تُقرِّبُ
كواكبُ آمالى وأقمـارُ مَطلبى نأتنى، وفى الأحبابِ بدرٌ وكوكب
تَطَلَّعُ حينا من بُروج سُـعودِها علىَّ ويطويهـا البعادُ فتغـرُبُ
اذا قلتُ: هذا العامُ حسبُ، وبعده الـ ـثَّواءُ، أتى فى الأمر ما ليس يُحسَبُ
فكم يَحمِلُ الثقلَ الضعيفُ وكم تَرَى يُقِلُّ وُسوقَ[2] البعـد جنبٌ مندَّبُ[3] !
وكم تَكتسِى فى ظلِّ قـومٍ أعزةٍ قوادمُ ريشِى ثم تَعـرَى فتُسلَبُ !
ويأخذُ منّى الحاضرون بجهلهم فواضـلَ ما يُعطى السماحُ المغيَّبُ !
أيدرى الوزيرُ مَن كُنِى عنه أو عُنِى؟ نعم هـو يدرى ما أُعَمِّى وأُعرِبُ

(١) الجامل: ذو الجَمَل ويريد به "الحادى". (٢) وسُوق جمع وسق وهو الحمل، وفى الأصل "وشوق". (٣) منـدّب: مفزّع.

وإنى بحبـــلٍ غيرِ أطنابِ بيتـه ... على بيتِ شِـــعرٍ ناصحٍ لا أطنِّبُ
سِماتُ بنى "عبد الرحيم" سَلائطٌ(١) ... على وجهِ أشـعارى تُنـيرُ وتَثقُبُ
لهم جُمَّتَـا فكرِى مُطيـلا ومقصرا ... وصـفوتُهُ صِرفًا وبالمـاء تُقطَبُ(٢)
فلو قلتُ : إنى فى مديح ســواهُمُ ... صدقتُ، لقال الشعرُ فى السرِّ: تكذبُ
هُمُ أمكنونى من ظهورِ مآربى ... فأركبُ منهـا ما أشاء وأجنُبُ
أَلَمَّ بهـــم ما لا يُـلَمُّ بشـاعبٍ ... وأرأبُ فيهم صدعَ ما ليس يُرأبُ
وأستعتب الأيَّامَ وهى مُصِـرَّةٌ(٣) ... بهيبتهـم حـــتى تـــفىءَ فتُعتِبُ
هُـمُ رحِمِى والأقربون معقَّةٌ(٤) ... وفيهـــم أبِى البَرُّ الرؤوفُ ولا أبُ
ودولتهم — لا عُطِّلتْ — لِى مَواسِمٌ ... وأيّامهـــم سُـوقٌ بفضـلِى تُجلِبُ
ذُخِرتُ لهم كنزا مواريثَ قومهـم ... فمن رامنى من غيرهم فهـو يَغصِبُ
فلا أسمعَتْ "ذُبيانُ" بعدى وبعدَهم ... بنى "منذرٍ" عذرا به العفوُ يُوجَبُ
ولا فرِحتْ أقيالُ آلِ "أميَّـــةٍ" ... بمـا سَيَّرتْ فيها "تميمٌ" "وتَغلِبُ"
أيا راكبَ العشواءِ يطرَحُ صـدرَها ... خِطارا على الشِّقِّ الذى هو أتعبُ
تَرى ظلَّها فى الشمس تحسَبُ أنّه ... لأُخرَى سواها لاحقًا أو ســتقرُبُ
تغارُ اذا ما أبصرتْ ظلَّ سُنبُكٍ ... على الأرض جَلَّى سابقا وهى تَعقُبُ
كأن بفاج الأرض نَقْدٌ(٥) لركضِها ... تُغـــير عليـه كيفَ شاءت وتَنهبُ
تَنُصّ مقاضاتين(٦) للسير(٧) تلفظُ الـ ... ـمُحالَ وتُوعِى الحقَّ نصحًا فتوعبُ
وكالئـةٍ ترعَى الشخوصَ كأنّهـا ... أخو ليلةٍ(٨) — بات الربيئةَ — يرقُبُ

(١) سلائط جمع سليطة وهى الزيت أو الدهن يناربه . (٢) تقطب : تمزج . (٣) يقال : أصرّ الفرس بأذنه أى سوّاها ونصبها للاستماع . (٤) معقة : عقوق . (٥) فى الأصل "نقلٌ" ولعله تحريف . (٦) فى الأصل : "مفاضاتين" . (٧) فى الأصل "للسر" . (٨) الربيئة : المتطلع يرقب العدو .

اذا اقتضيتَ فى ذمّة النجم حاجةً ... فتلك لديها دعوةٌ لا تخيَّبُ
تحمَّلْ سلامى واحتقبْ لىَ حاجةً ... تُضيءُ لك المسرَى وطُرْقُك غَيْهَبُ
الى "شرف الدين" انتزعْها إهابَها ... ودعْها على نارِ السِّياط تَلَهَّبُ
الى مَلِكٍ لا يسلُكُ النومُ جفنَهُ ... وفى المُلْكِ صدعٌ بالسهاد يُشَعَّبُ
ولا تبلُغ الأثقالُ غايةَ جَهدِه ... اذا ظلَّت البُزْلُ المصاعيبُ تشغَبُ
تفحَّصَ فى الآراءِ حتى أرينَهُ ... ـعلى غير فحصٍ ـ أىّ أمريْه أصوبُ
وأتعبَه التدبيرُ حتى أراحه ... وقد تستريح النفسُ من حيث تتعبُ
فكن مُبلِغًا عنّى، وحظُّك عندَه ... اذا أنت باسمى فُهتَ أهلٌ ومرحبُ
وقل يا عميد الدولة اعطفْ وإن جَنتْ ... فما زَلَّةٌ إلا وعفوُك أرحبُ
تَلافَ عصاها أن تُشَقَّ فإنها ... بسوء القضايا تُلتَحَى وتُشذَّبُ
ودارِكْ ذَماها(١) وهو بعدُ، فربّما ... تخور القُوَى أنْ ينفعَ المتطبِّبُ
يقرِّبك الإقبالُ حينا فتؤنس الـ ... ـحياة ويُقصيك الشقاءُ فتُعطبُ
ومن أعجب الأشياء تعليلُها بمَنْ ... تَرَى عجزَه من حظِّه يتعجّبُ
فإن يبلغوا بالداء لا يحسمونه ... وعندهُمُ منك الدواءُ المجرَّبُ
اذا طُلِّقتْ منك الوزارةُ أصبحتْ ... مُجذَّذةً(٢) من حُسنها تُتسلَّبُ
تغوِّثُ(٣) بالأسحار تدعُو صَباحَها ... وتبكى زمانَ الوصل منك وتندُبُ
تَخالُ بها ربعا مُحيلًا تساقطتْ ... تحاجلُ فيه الشاحجاتُ(٤) وتنعَبُ
بنيتَ بها بِكرَ الصِّبا فمَن الذى ... يُصفِّى هواها وهى شمطاءُ ثَيِّبُ
وأبرحُ من تعنيسها وهى أيِّمٌ(٥) ... ـاذا غبتَ ـ من يُسمَى لها وهى تُخطَبُ

(١) يريد ذماءها وهو بقيّة النفس . (٢) مجذّذة : مقطّعة . (٣) تغوّث : تستغيث .
(٤) الشاحجات : الأغربة التى فى صوتها غلظ . (٥) الأيّم : التى ليس لها زوج .

وهذا أوانُ الشدِّ فانهضْ بحملِها ... وثِبْ واثقاً، إنَّ العلاءَ تَوثُّبُ
فما كلُّ ما آستوضحتَ فيها هدايةٌ ... وليس ضلالا كلُّ ما تتنكَّبُ
قد آشتاقك المُلْكُ الذى أنت أنسهُ ... وأُوحِشَ صدرٌ منه وآرتاعَ موكبُ
وقد أعجفَ(١) الرُّوَّادُ وآعتصروا الحيا ... من الصخر اذ أمست سماؤك تُحجَبُ
وقُصَّ جَناحُ الشِّعرِ لا الطبعُ جاريا ... يَرِقُّ ولا مستولَدُ الفكرِ يُنْجِبُ
فنحن كأنَّا لم نِصفْ مَلِكا ولم ... نقم قطّ ما بين السِّماطين(٢) نخطُبُ
وكائنْ لنا من موقفٍ متشهِّرٍ ... لديك يطيبُ القولُ فيه ويعذُبُ
تميزُ به عُتُقُ(٣) القوافى وهُجْنُها(٤) ... وتعلمُ ما ذا يُجتبَى ويحبَّبُ
ووجهك بسَّامٌ الى المدح مقبِلٌ ... عليه ووجهُ الدهر(٥) جهمٌ مقطَّبُ
وكم ثَمَّ من مسترزِقٍ حلَفتْ له ... لُهاك — وبَرَّتْ — أنه لا يُخيَّبُ
وعيشٍ يبيسٍ بالسماح بللتَهُ ... ووجهُك فيه من بنانك أرطَبُ
رعَى اللهُ منك البحرَ لم أرَ بعده ... بَلَى ربّما أفعمتَ والبحرُ ينضُبُ
ومَطرَحَ آمالى الذى كلُّ ضيِّقٍ ... عليه فسيحٌ عنده لِى مَرغَبُ
ومالى اذا أعسرتُ من كلِّ وجهةٍ ... وجاهى الذى من بعضه المالَ أكسِبُ
تأجَّنُ(٦) غُدرانى وماؤك سَلسَلٌ ... وتخبُثُ أوطانى وتُربُك طيِّبُ
وَجُودُك لى سيّان ما كنتَ حاضرا ... قريبا، وما ينأَى وما يتقرَّبُ
فلولا مضيضُ الشوقِ لم أشكُ غُصّةً ... ولا أجحفَ التَّردادُ بى والتقلُّبُ
ولكنّك العينُ التى كلُّ غبطةٍ ... اذا هى لم تُوجَدْ عناءٌ معذِّبُ

(١) يقال : أعجف القوم : هزلت مواشيهم وصارت عجافا . (٢) السماط : الصفّ، يقال : قام القوم حوله سماطين أى صفّين . (٣) العُتُق جمع عتيق وهو النجيب من الخيل . (٤) الهجن جمع هجين وهو غير العتيق أو الذى ولدته برذونة من حصان عربىّ . (٥) الجهم : المكفهرّ الوجه . (٦) تأجن : تصير آجنة متغيرة طعم الماء ولونه .

فـلا حَوَّلتْ عـنى ظِلالَك خُطّـةٌ تَحُـــلُّ ولا محـــذورةٌ تُتَرَقَّبُ
وعشتَ لمثـلى واحدا فى زمانه وللنـاسِ بعـدى يطلبون وتُطلَبُ
أجازى نداك الغَمـرَ نَشرا[1] مخـلَّدا كلانا مطيـلٌ فى معانيـه مُطنِبُ
بكلّ مطـاعٍ أمرُها مستجيبةٍ لدعوتهـا الأسماعُ تُرجَى وتُوهَبُ
تَوَلَّجُ[2] لا تَخشَى تلوُّنَ آذنٍ، لهـا الخلواتُ والرواقُ المحجَّبُ
يُقِرُّ لها بالفضـلِ من لم تُقِلْ[3] له ويُعظِمُها العيَّـابُ والمتعصِّبُ
لهـا كلُّ صوتٍ، كلُّ راويه مُبلِغٌ فصيحٌ، ومَن غنَّى به فهو مُطرِبُ
تَصفَّتْ فقد كادت مع التبر تُقتَنَى ورقَّتْ فقد كادتْ مع المـاء تُشرَبُ
مصدَّقة فى المـدح أسرفَ أو غَلَا ومأمونة ما تســتزيدُ وَتعتِبُ
تزورك، يوما فى نَديِّك تُجتَـلَى ويوما مع السُّفَّار تُقـــرَا وتُكتَبُ
تسوقُ التهـانى خلفَها وأمامَها تُصعِّدُ فى الدنيـا بكم وتُصَـوِّبُ
تذكّركم من حقِّها إن نسيتُمُ بمـا تَقسِم الأعيـادُ حظًّا وتُنصِبُ
تَرَفَّعُ عن تيـه المصيبِ وعُجبِـهِ ولكن بكم فخـرا تتيـهُ وتَعجَبُ

* * *

وقال يمدحه و يهنّئه بالمهرجان الواقع فى سنة سبع وعشرين وأربعمائة

سَل الركبَ إن أعطاك حاجتَك الرَّكبُ مَنِ الكاعبُ الحسناءُ تمنعها "كعبُ"[4]؟
قضى أنهـا مغـلوبةٌ لِينُ عطفها وحصَّنها ـ أن تُملَك ـ الأُسُدُ الغُلْبُ
حموها وذبُّوا أن تُرَامَ وما حَمَوا قلوبَ الهـوى من مقلتيها ولا ذَبُّوا
وهزّوا القنا الخطّار والبيضَ دونها، فمَن طالبٌ؟ والمانع الطعنُ والضربُ

(١) فى الأصل : بشرًا .
(٢) تَولَّجُ : تدخل .
(٣) فى الأصل "يقل" .
(٤) كعب : اسم قبيلة .

يخافون صوتَ العار أن يُصبحوا بها ... حديثا وأفواه المواسم تَستَبُّ
وما العارُ إلا أنّ بين بيوتهم ... قلوبُ المحبين السلائبُ(١) والنُّهبُ
لئن أشحطوها أن تُزارَ فبيننا ... مواثيقُ، بُعدُ الدار إن رُعيتْ(٢) قربُ
وإن حُجبتْ والريح تَسفِرُ(٣) بيننا ... بنجوَى فؤادَيْنا فما ضَرَّت الحُجْبُ
وفى دارها "بالروضتين"(٤) لناظرٍ ... شفائفُ(٥) ضوءِ البدرِ تكفُره(٦) السحب
ومنها ومن أترابها فى ثرى الحمى ... عبائقُ تَهديها الصَّبا لِيَ والتربُ
وقفتُ وصحبى فى "اللِّوى" فأملَّهم ... وقوفِيَ حتّى قد وقفتُ ولا صحبُ
أُذاكرُهُ مَرآةَ يَومِى بأهله ... فيشكو الذى أشكو ويصبو كما أصبو
ولم أحسَب الأطلالَ تُخضعها النّوى ... ولا أنّ جسم الربع يُنحِلُه الحبُّ
تحدَّثْ بما أبصرتَ يا بارقَ الحمى ... فإنك راوٍ لا يُظَنُّ بك الكذبُ
وقلْ عن حشًى من حَرّها وخفوقها ... تعلَّمتَ ما تنزو خِطارا وتشتبُّ
وعن بدَنٍ لم يبرح الشوقُ مُعرِيًا ... وَشائظُهُ(٧) حتى ألتقى الجنبُ والجنبُ
فلو أنه فى جفنِ ظبيةِ حابلٍ ... مكانَ القذَى ما كان يَلفِظُه الهُدبُ
وهذا ضنا جسمى وقلبىَ عندها ... فكيف به لو كان فى جسدى قلبُ
فُطرتُ على طينِ الوفاء وديني ... فنفسى اليه بالغريزة تنصبُّ
فكم نائمٍ عنّى وثيرٍ مِهادُهُ ... وجنبى له عن لين مَضجَعه ينبو
أصابرُ فيه الليلَ حتى أغيظَهُ ... فتحسُدَ أجفانى على السهر الشهبُ
وأعجبُ ما حدِّثتُهُ أنّ ذِمّةً ... وفَتْ فارسٌ فيها وخاسَت بها العُربُ(٨)

(١) السلائب : كل ما أخذ قهرا . (٢) فى الأصل : دعيت . (٣) تسفر : تكون سفيرا . (٤) الروضتين : اسم موضع . (٥) الشفائف : السنائر يُستَشَفُّ ما وراءها . (٦) تكفره : تحجبه . (٧) وشائظ جمع وشيظة وهى قطعة عظم تكون فى العظم الصميم . (٨) يقال : خاس بالعهد أى أخلفه .

عذيرى من الأيّام أونحن مرتعى ... ورنّقنَ لى من حيثُ يُستعذبُ الشُّربُ

تُشاوبُ قومًا غَصَّها وهشيمَها ... وكلُّ نصيبى من معيشتها الجدبُ

أُخلِّى عليهم عفوَها (١) ودُرورَها ... فأرضَى بلا ذلٍّ بما كدَّه العصبُ (٢)

وأتركُها تَرْكَ المسالِم قادرا ... لأسلمَ منها وهى لى أبدا حربُ

وكم قد شكوتُ الدهرَ لو كان مُشْتِكيا ... وعاتبتُ جَورَ الحظّ لو نفع العتبُ

بلى فى يدى ـ لا أكفُرُ اللهَ ـ جانبٌ ... من العزِّ لى فيه الوسيعةُ والرَّحبُ

ومنبعُ جُود لو قنَعتُ كفى الغنى ... وبلَّ غليلى ماؤه العَلَلُ (٣) السَّكْبُ

تعوّد جوِّى غيمَهُ ونسيمَهُ ... وأرضِىَ أن تزكو عليه وأن تربو

أقِلْنى من التغرير يا طالبَ العلا ... ومن كدِّىَ الآمالَ تنهضُ أو تكبو

فلولا الندَى العِذُّ "الرحيمىُّ" ما جرى ... الى أيكتى ماءٌ ولا اخضرَّ لى تربُ

هم الناس ناسى والزمانُ زمانُهم ... ربيعى وكسبى من رضاهم هو الكسبُ

تملَّحْتُ (٤) فيهم وٱلتحفتُ بريشهم ... فوكرى بهم حيث ٱستوى الماءُ والعشبُ

وحسْبى غنًى أو سُودَدا أنَّ بحرَهم ... وسيِّدهم عند الملمات لى حَسْبُ

الى "شرَف الدين" ٱنتشطنا حبالَها ... تُعانِقُ (٥) فى نفض الطريق وتختبُ (٦)

سلائلُ ماصفَّى "الغضينُ وداحسٌ" (٧) ... وحازت كلابٌ رهنَها وٱعتلت كلبُ

بناتُ الفلا والريحِ كل حسيرة ... اليها الرياحُ المستقيماتُ والنُّكْبُ

---

(١) العفو : اللبن أوّل مايحلب . (٢) العصب : أن تُعصب فخذا الناقة لتدرّ، وفى الأصل "العضب" . (٣) العلل : المتتابع، وأصله الشرب بعد الشرب تباعا . (٤) تملّحتُ : سمنتُ وفى الأصل : تلمّحتُ . (٥) تعانق : تسير العنَق وهو ضرب من السير . (٦) تختبّ : تسير الخبب . (٧) الغضين وداحس : اسما فرسين، يضرب بأحدهما المثل يقال : "هو أشأم من داحس" .

كَسيرِ العصا المقدودِ لو سُلكتْ بها (١) ثُقوبُ الخروت (٢) لم يضق دونها ثَقْبُ
تُخالُ عِناناً فى العنان من الطَّوَى وإن شُطِبتْ (٣) بالسوط قلتَ هى الشَّطبُ
تُحَطُّ اليه وهى قُلْبٌ (٤) من الطَّوَى وتُركَبُ عنه وهى مُجفَرةٌ (٥) قُبُّ
الى مَلِكٍ لا يملكُ الخوفُ صدرَه خُفوقا ولا يغشَى على رأيه الخطبُ
ولا يطَّبيه (٦) التيهُ فى معجزاته اذا هامةُ المفتون أسكرها العُجبُ
مهيبِ الرضا مستصفَحِ السخطِ بالغ به القولُ ما لا يبلغ البأسُ العضبُ
مُحيطٍ بآفاق الإصابة رأيُهُ بديهاً ، ورأىُ الناسِ مختمرٌ (٧) غِبُّ
اذا رَفَعتْ للإذن (٨) سَجْفا رواقُهُ فللأعين الإشراقُ والآنُفِ (٩) التربُ
مَقامٌ تُلاقِى عنده النِّعمُ السُّطَا (١٠) ويجتمع الرُّغْبُ المحبَّبُ والرُّهْبُ
اذا أَمَرتهُ مُرَّة من حفيظةٍ تسوءُ ، نهاه خُلْقه البارِدُ العذبُ
تصوَّرَ من حُسنٍ وحِلمٍ ونائلٍ ففى الدَّستِ منه البدرُ والبحرُ والعضبُ (١١)
من القوم لم تُضرَبْ عليهم إتاوةٌ ولم يَعتبِدْهم غيرَ خالقِهم ربُّ
صدورُ قلوبٍ فى المجالسِ والوغَى اذا رشَّحوا فاضوا وإن قدَحوا شبُّوا
ومدَّ "عميدُ الدولة" العرضَ راسخا فحدَّثَ عن ضَربِ العلا الرجلُ الضَّربُ (١٢)
وما علمتْ أمُّ الكواكبِ قبلَه (١٣) وقبلهُمُ أن الهلالَ لها عَقْبُ

---

(١) السير : القِدَّة من الجلد ، و يقال فى مثل مولَّد : "ليس فى عصاه سير" يضرب لمن لا يقدر على ما يريده . (٢) الخروت جمع خُرت وهو ثقب الإبرة و يريد بها هنا الإبر نفسها . (٣) شطبت : خط فيها السوط بما يخلفه عليها من الأثر . (٤) قلب جمع قلباء : مقلوبة الشفاه . (٥) مجفرة : عظيمة الجنبين . (٦) لا يطبه : لا يستميله . (٧) غبّ : متأنّى فيه . (٨) السجف : كل ستر ين مقرونين بينهما فرجة . (٩) الآنف جمع أنف وهو معلوم . (١٠) السطا جمع سطوة . (١١) العضب : السيف . (١٢) الضرب : الماضى النَّدْبُ الخفيفُ اللحم . (١٣) أم الكواكب : الشمس .

وأنَّ شروقَ الشمس عنهم سيتنحِي ... إلى مَلِكٍ فى صدره الشرقُ والغربُ
أرى المُلك بعـد الميْل قامت قناتُه ... ولُوحِمَ منه بعد ما آنصدعَ الشَّعبُ
لك البُلجة البيضـاءُ إن مات فجرُهُ ... وفى يدك التفريجُ إن غَشِيَ الكربُ
وقد علمتْ أمّ الوزارة أنهـا ... اذا غبتَ تَبكِى (١) قَصْرُها الدمعُ والندبُ
وتُطمِعُ مخـدوعَ المنى فى نكاحِها ... مَطامع كدَّتهـا وأنت لهـا خِطْبُ (٢)
ودبُّوا لهـا تحت الظلام عقاربا ... ولو حسبوا وطء الأخامِص ما دبُّوا
ولمّـا رأَوا عنهـا آلتفاتَك عاجلوا ... وُثوباً، وقِدْمًا طاح بالقَدَمِ الوثْبُ
رَقَيْتَ بفضـل الحلم شَوكَةَ لَسْبِهم ... فقـد ماتت الأفعَى وقد برأَ ٱلسّبُ
هُمُ عقـروها إذ تعاطَوا فعُـذِّبوا ... ورأيُك فيهم "صالحٌ" (٣) وهُم السَّقبُ (٤) ﴿٦١﴾
وراموا التى يَرضَى بها الخُرقُ وحدَهُ ... خِداعا وتأباها الحـزامةُ واللُّبُّ
ومن دونها أن يخطبَ الليثُ هُدنةً ... من الذئب أو يبكى من العطش الضبُّ
تُحدِّثُهم أحلامُهم أنَّ ظهـرَها ... رَكوبٌ ولكن يُكْذَبون اذا هَبُّوا
صِلُوها فمـا يشقَى من اليوم سعدُها ... عليكم ولا تَذْوَى (٥) وأنتم لهـا قطبُ
ولا برحتْ فيكم تَجُـرُّ عزيزةً ... سرابيـلَ لا يُخفِى ذلاذِلَها (٦) السَّحْبُ
ضَمِمتَ عزيبَ الملك بعد آنتشارِه ... وأفرشـتَه أمناً وقد ذُعِرَ الشِّربُ
وما زلتَ بالتـدبير تَركبُ صـعبَه ... الى سهله حتى آستوى السهلُ والصعبُ
أَحَبَّك ودًّا مَن يخافُك طاعةً ... وأعجبُ شىءٍ خِيفـةٌ معَها حُبُّ
ولو نشَزَتْ عنك القـلوبُ لردَّها ... لسانُك هذا الحلوُ أو وجهُك الرَّطْبُ

(١) قصرها : غايتها . (٢) خطب : خاطب . (٣) صالح : اسم نبيّ من أنبياء الله صلوات الله عليهم . (٤) السقب : ولد الناقة . (٥) تذوى : تذبل . (٦) الذلاذل : أسافل القميص الطويل واحدتها : ذُلْذُل، وقيل : أثواب تلبس فوق بعضها كل واحد منها أقصر مما تحته لتظهر كلها للناظرين .

فما مُقلةٌ إلا وأنتَ سوادُها ... ولا كبِدٌ إلا وأنت لها خابُ[1]

وأما القوافى فهى منذ رعيتَها ... بطائنُ وادٍ كلُّ أعوامه خِصبُ

يكانفها نبتا ويعذُب مَشرَبا ... فلسّاتُها[2] خَضْمٌ ورشفاتُها عَبُّ

صحائحَ مُلْسًا كالدِّهانِ وعهدُنا ... بها عند قومٍ وهى مُجفلةٌ جُرْبُ

وكم بَكْرةٍ منها لمدحك قُدتُها ... فقرّت ومن أخلاقها الغَشْمُ والشَّغْبُ

تغاديك أيام التهانى بوفدها ... مكرَّرةً لُبسًا وهنّ بها قُشْبُ

بشائرُ ملكٍ صدقُه فيكَ، لا يهى ... له رُكُنٌ ولا يقصِّرْ له طُنْبُ[3]

وأنّ يَدَ الله البسيطةَ جُنّةٌ ... تقيكم وأحزاب السعودِ لكم حزبُ

يزورُكُمُ قلبى بها مثلَ منطق ... فلا الغِشُّ مَخشِىٌّ عليها ولا الحُبُّ[4]

وأمدحُ مَن أعطاكُمُ مِن لسانِه ... وأرضاكُمُ مَن قلبُه بِكُمُ صبُّ

فلا تعدَموا منها عرائسَ عُطَّلًا ... لها من أياديكم قلائدُ أو قُلْبُ[5]

اذا مشتِ الأقران حولَ خريدةٍ ... فوَحدتُها فى الحسنِ ليس لها تِربُ

أجُدُّ بها والطبعُ يُجرِى خلالَها ... طُلاوةَ رَقراقٍ تُرِى أنها لِعْبُ

وغيرُكُمُ يرتاب بى إن مدحتُه ... لعرفانه ألّا يحِلَّ لها الغصبُ

فأرفعُه بالفعلِ لو كان فاعلا ... وقد خَفَضَتْهُ من نقيصتِه رُبُّ[6]

يُساءُ كأنّى بالثناء أسبُّه ... لعمرُ أبى إنّ النفاقَ هو السبُّ

(١) الخِلب : حجاب الكبد . (٢) اللسّة : أخذ الدابّة النباتَ بجحفلتها . (٣) كذا بالأصل وفى النسخة المطبوعة :

* له ركنُ عزّ أو تقصّر له طنبُ *

(٤) الخبّ بفتح الخاء وكسرها : الخداع ، وفى الأصل "الحب" وهو تحريف . (٥) القُلْبُ : السوار . (٦) ربُّ لغةٌ فى ربَّ ، والبيت مكتظٌّ بكثير من التورية النحويّة .

وقال فى سمكة

وكالرقمِ يحسَـــبه من قـــرا ... ويُعرَفُ ممَّنْ إذا مَن كُتِبْ
من البَهْمِ لو طَلَب النطقَ ضلَّ ... وفى الأنبيـاء إذا ما طُلِبْ(١)
يبادر خيـلَ الوغى الدُّهمَ والـ ... ـوِرادَ(٢) بشهبـاءَ(٣) تُجـلِى الشهبْ
بحيث تُرَى مخطفاتُ(٤) الحـديـ ... ـدِ يضعفن عن مرهَفات القَصَبْ(٥)
إذا ما تَرَدَّى(٦) نجـا سالمـا ... ويُقعِص(٧) إن قام أو إن وثبْ
يكون بدرعٍ فيَلقَى وإنْ ... تسربلَ درعين لاقَى العطبْ(٨)

وقال فى سُمَارِيَّة(٩)

وجاريةٍ فى مَجَـارى الحيـاةِ ... خلعت(١٠) عليهـا رداء الشـبابِ
وحَلَّيتْها حِليـــةَ المشـــرفـ ... ـيّ فوق حمـائلِهِ والقـــراب

(١) يريد بالبَهْـم البهائم ، وسمّيت بذلك لما فى صوتها من الإبهام ، ويستوى فيها كلّ ذات أربع قوائم من دوابّ البر والماء . ويريد بقوله "وفى الأنبياء" سورة "الأنبياء" فى القرآن الكريم وما تضمّنته حكاية عن سيدنا "يونس" عليه السلام من قوله تعالى : (وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً) الآية .
(٢) الدهم : السود ، والوراد : الحمر . (٣) "بشهباء" أى "بدرع بيضاء" وهى كناية عن إهاب النون لبياضه وللمعان ما عليه من قشور تظهر كالنجوم لناظرها . (٤) مخطفات الحديد : لعله يريد بمخطفات الحديد الشصوص جمع شِصّ وهى حديدة عقفاء يصاد بها السمك | صِنارة | .
(٥) القصب : عروق الجناح وعظامها ، ويريد بها "الزعانف" وهى أجنحة السمك ونحوها مما يدافع بها عن نفسه . (٦) اذا ماتردّى : اذا ما سقط فى اللجّة واتخذ سبيله فى البحر سربا . (٧) يقعص : يقتل رغم أنفه . (٨) يريد أن هذا الحوت يلقى كل ما ينتابه بدرعه أى بإهابه لمتانته حتى اذا لبس درعين — كناية عن إهابه وعن الشبكة التى يحيطه الصيّاد بها — فانه يلاقى الموت والهلاك .
(٩) سُمَارِيَّة : نوع من السفن الصغيرة تركب فى الأنهر . (١٠) بالأصل "جَعَلتُ" .

إذا غادةٌ منعَتْ وطأَهـا تبطَّنتُ منهـا ذلولَ الركابِ
وخرَّقَ ما تحتـــه ظهـــرُها كما تخرقُ الشمسُ ثوبَ السحابِ
وأحمـــدُ من جسـمها أنه كريمُ العظام لئـــيمُ الإهابِ (١)

وقال فى الدفاتر

وصفحةِ وجه من وجوهٍ عَلِقتُها أراعِى خدوشـا فوقها ونُدوبا
تَعرَّضُ لى والغانياتُ صوادفٌ فأذكُرُ أصـداغا لهـا وتَرِيبا
أكونُ حليما تارةً ما اجتليتُهـا وقُوراً وأحيانا أكون طَروبا
ويُعجِبـنى منهنّ أنِّى لا أرى حبيبـا لقلبى أو أراه قـريبا
سَبَتنى بألفاظِ الرجال وطابَ لى جَناها ولم تنطقْ ولم أَرَ طيبـا
فأودعتُها ما أودع اللهُ مهجـتى جلا بيبَ خيطت لأثقلُ جيوبا
تُقصِّر عن أقدامِها ورءوسِهـا وتملأ أصلابا لهـا وجُنـوبا
إذا عُرِّيتْ منها وَقَتْها عيوبَها وإن أُلبِسَـتها لم توارِ عيـوبا

قافيـــة التـــاء

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يمدحُه ويذكُر ظفرَه بعدوٍّ كان يناوئه ويهنّئه بمهرجان سنة إحدى عشرة وأربعمائة

ما أنكرتْ إلا البياضَ فصـدتِ وهى التى جَنَتِ المشيبَ هى التى
غَرّاءُ يَشْـعَفُ قلبَها فى نحـرِها وجَبينِهـا ما سـاءنى فى لِمَّتى
لولا الخـلافُ وأخذُهنّ بِدينـه لم تكلَف البيضـاءُ بالمُسودَّةِ

(١) إشارة الى بياضها وسواد جرمها .

أأنستِ حين سَريتِ فى ظَلمائها ونفرتِ أن طلعتْ عليـك أهلّتى ؟
ولقدعلمتِ ـ وعهدُ "رامةَ" عهدُنا فَتيِيْن ـ أنّى لم أشبْ من كَبرة
وإذا عددتِ سنِيَّ لم أك صاعدا عَددَ الأنابيب التى فى صَـــعدتى (١)
أَجَنيتُهـا من خَـلّةٍ (٢) فى مَفـرِق فتكونَ عنـدك قادحا فى خُلّتى (٣) ؟
نَكِروا ـ فلا عَرَفوا ـ "برامةَ" وقفةً مَيـــلاءَ نادتهـا الديارُ فلبّتِ
وألام فيك وفيك شِبتُ على الصِّبا يا جَورَ لائمتى عليـــك ولِمّتى
وحننتُ نحـوك حَنَّةً عربيّـةً عِيبت، وتُعذرُ نافةٌ إن حنّتِ
ماذا على الغضبانِ ؟ ما آسترفدتُه دمعا ولا آســتوقفتُهُ من وقفـتى
أبنى الشـفاءَ بذكره مِن مُسقِمى عجبـا لمن هـــو علّتى وتعلّتى !
يا هلْ لليلاتٍ "بجَـمْع" عودةٌ ؟ أم هل الى وادى "مِنًى" من نظرة ؟
والحاصبات، وكلُّ مَوقع جمـرةٍ يَنبـذْنَها فى القلبِ مَوقِدُ جمـرةِ
ومِن المحـرَّم صـــيدُهنّ خليعةً طابت لهـا تلك الدماءُ وحَلَّتِ
حكمتْ عليـك بقلبِ ليثٍ مُخدِرٍ ورنتْ اليـك بعـين ظبيٍ مُفلِتِ
ورأيتُ أمَّ الخشف تَنشُـد بيتها أفأنتِ تلك سرقتِ عينَ الظبيـةِ !
نشَطُوا عن الركب الحبالَ فنفَّروا سكّانِ أضـلاعى بأوّلِ نفـرةِ
رفعوا القبابَ، وكلُّ طالبِ فتنةٍ يرنو اليـك وأنتِ وحدكِ فتنتى
لا آســتوطأتْ منّى مكانَكِ خُلّةٌ (٤) كلُّ الفـؤاد نصيبُ ذاتِ الكِلّةِ (٥)

(١) الصعدة : القناة . (٢) الخَلّة : الحاجة . (٣) الخُلّة : الصداقة . (٤) الخُلّة : الخلبلة . (٥) الكِلّة : الستر الرقيق أو غشاء يُتوقّى به من البعوض [ناموسيّة] .

* * *

يامن يلوم على اجتماعى قاعدا ... والأرضُ واسعة الفُروج لنهضتى
ويَرى الرجالَ وكلُّهم متكثِّر ... بصحابةٍ فيلومنى فى وَحدتى
أعذُرْ أخاك فما تهجَّر مُشمِسا ... حتى تقلَّص عنه ظلُّ الدَّوحةِ
كيف اعترافى بالصديق وكيف لى ... بالفرق بين محبتى من بِغضتى ؟
وقلوبُ أعدائى الذين أخافُهم ... مغلولةٌ لِىَ فى جسوم أحبَّتى
رقَص السرابُ فراقنى من راقصٍ ... كَشَرتْ مودّتُه وراءَ الضَّحكةِ
ورأيتُ فاغرةً ظننتُ كُشورَها ... طلبًا لتقبيلى فكان لنهستى (١)
وَلَدَ الزمانُ الغادرين فما أرى ... أمَّ الوفاء سوى المقِلِّ المُقلِتِ (٢)
وهُزِلتُ أن سَمِنَ اللئامُ وإنما ... ذلُّ المطامع حزَّ عزَّةَ جَوْعتى
ولكلِّ جسمٍ فى النحول بليَّةٌ ... وبلاءُ جسمى من تفاوتِ همّتى
أمَّا على كذبِ الظنون فإنها ... صدَقتْ أمانٍ فى "الحسين" وبرَّتِ
المجدُ ألقحَ فى السماء سحابةً ... نَتَجَتْ به مطرَ البلاد فعمَّتِ
أروَى على يَبَس الشفاهِ وبيَّضتْ ... كفّاه باردةً سوادَ الحِرَّة (٣)
متهلِّلا أعدَى بُخضرة جودِه ... جدبَ الرُّبَى من أرضها المغبَرَّةِ
"بالصاحب" انفتقتْ لنا ريحُ الصَّبا ... خصبا وغنى الساقُ (٤) فوقَ الأيكةِ
كُفِلَتْ بأُولَى مجدِه أيامُهُ الـ ... ـأخرَى فأحيَا كلَّ فضلٍ ميِّتِ
شَرفًا بنى "عبد الرحيم" فإنما ... تُجنَى الثمارُ بقدرِ طِيبِ المنبِتِ
لكُمُ قُدامَى المجدِ لكن زادكم ... هذا الجَناحُ تحلُّقا فى الذّروةِ
غدتِ الرياسةُ منكُمُ فى واحدٍ ... كَثُرتْ به الأعدادُ لمّا قلَّتِ

(١) النهس : النهش . (٢) المقلت : المرأة لا يعيش لها ولد . (٣) الحِرّة : الحجارة السود . (٤) الساق : الحمام .

عَطَفتْ لكم يدُهُ وزَمَّتْ أنفُـا ... شُمًّا لغـــير خِشاشِـــه ماذلَّتِ

لما تقـــلَّدها وكانت ناشزًا ... ألقتْ عَصاها للقـام وقَـرَّتِ

موسومة بكُمُ فمَن تعـلَقْ بهـا ... دعواهُ يَفضـحُهُ عِلاطُ(١) الوسمـةِ

نِيطتْ عُراها منـه بابنِ نجيبـةٍ ... سهلِ الخُطَا تحتَ الخطوبِ الصعبةِ

يقظانَ يلتقِطُ الكرى من جفنِـه ... نظـرُ العواقبِ وٱتقـاءُ العِـذرةِ(٢)

لا يطمئنُّ على التـواكُلِ قلبُـهُ ... فيما رعى إن نامَ راعى الثَّـلَّةِ

تدجُو(٣) الأمور وعنـده من رأيه ... شمس إذا ما جَنَّ خطبٌ جلَّتِ

ويُصيبُ مرتجـلًا بأوّل خَطْـرةٍ ... أغراضَ كلِّ مخـــرٍ ومُبيِّتِ

تَدمَى بنـانُ النـادمين وســنُّهُ ... ملســاءُ إثرَ ندامةٍ لم تُنكَتِ

ما ضمَّ شمـــلَ المُلكِ إلا رأيُهُ ... بعـد ٱنتشار شَـعاعِه المتشتِّتِ

حَسَر القذَى عن حوضِه وسقَى على ... طولِ الصدَى فشفَى بأوّلِ شربةِ

من بعد ما غمَز العـــدا فى عُودِه ... وٱســتضعفوا قَـدَمًا له لم تثبُتِ

ولربَّ بادئةٍ وكانت جـــذوةً ... كُلمتْ ضراما "بالحسيْن" وتمَّتِ

حاميتَ عنه بصـولةِ المتخمِّطِ(٤) الـ ... ـعادى وهَـدْيِ المستكينِ المُخبِتِ(٥)

وإذا عُرَى الحزمِ ٱلتقتْ عَلِقَ الفتى ... بمَدَى السريعِ على خُطَا المتثبِّتِ

إن الذينَ على مكانك أجلبـــوا ... ضربوا الطُّلى(٦) بصـوارم ماسُلَّتِ

طلبوا السماءَ فلا هم ٱرتفعوا لهـا ... شُلَّ(٧) الأكفِّ ولا السماءُ ٱنحطَّتِ

وبودّ ذى القَدَمِ القطيعةِ ماشـيا ... لو أنّهـا سلمتْ عليـــه وزَلَّتِ

---

(١) العلاط : سمة فى عرض عنق البعير، ومنه : لأعلُطَنَّك عَلْطَ البعير . (٢) العِذرةُ : اسم بمعنى المعذرة . (٣) تدجو : تُظلِمُ . (٤) المتخمِّط : الشديد الغضب . (٥) المخبت : الخاشع المتواضع وفى القرآن الكريم (وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ) . (٦) الطُّلى : الأعناق أو أصولها . (٧) شُلّ جمع أشل .

خانَ السُّرى رَكْبَ القِلاصِ(١) وسُلِّمتْ ... بُسُطَ الفلاةِ الى القُروم(٢) الجِلّةِ(٣)

يَفديك مُرتابٌ بغلطَةِ حظِّه ... سَرَقَ السيادةَ من خِلالِ الفَلتةِ

ما رُدَّ يوما عازبٌ من عقله ... إلا رأى الدنيا به قد جُنَّتِ

قُبِضتْ يداه وما يبالى سائلٌ ... بخِلتْ عليه يدُ امرئٍ أو سَلَّتِ

وأرى الوزارةَ لا يُعاصِلُ(٤) نابَها ... حاوٍ سواك على اختلاف الرُّقيةِ

يرجوك ريِّضُها لمتنٍ مُزلِقٍ ... قد قُطِّرتْ(٥) فُرسانُهُ فتردَّتِ

يشتاق ظهرُك صدرَ مجلسها وكم ... شكَت الصدورُ من الظهورِ وضَجّتِ

وإذا التفتَّ الى الأمور رأيتُها ... مذخورةً لك من خِلالِ تلفُّتى

فأُلُّ متى يامنت سانحَ طيرِه ... صدقَتْ عِيافتُها بأوّلِ زجرةِ

فهناك فاذكُرْ لى طريفَ بِشارتى ... بعلاك واحفَظْ تالدًا من صحبتى

لو شافَهَ الصُّمَّ الجلادَ محدِّثٌ ... عنكم بنى "عبد الرحيم" لأصغتِ

أو عُوِّضتْ بكم السماءُ وقد هوتْ ... أنوارها بَدَلَ النجومِ تسلَّتِ

الباذلون فلو تُصافحُ راحَكم ... ريحُ الصَّبا وهى الحيا لاستحيتِ

والقائلون بلاغةً فلو احتبَتْ ... أمُّ الفصاحة بينكم لأذَمَّتِ(٦)

أَنِستْ بفاتحة الكتاب شِفاهُكم ... ورزقتُمُ ظَفَرَ الكتابِ المُسكِتِ

(١) القلاص جمع قَلوص وهى الشابّة من الإبل . (٢) القروم جمع قَرْم وهو الفحل من الإبل وقيل : السيد العظيم على التشبيه بالفحل وقد اجتمع كلاهما فى قول المتنبي :

ولكنّا نداعب منك قَرْمًا ✻ تراجعت القرومُ له حقاقا

أى نمازح منك سيدا عظيما صارت فحول الرجال بالنسبة اليه كالنياق بالنسبة الى فحول الجمال، وحقاق جمع حِقّ وهى الناقة التى سقطت أسنانها هى ما . (٣) الجلّة جمع جليل . (٤) يعاصل : يعوِّج .
(٥) قُطِّرتْ : ألقيت على قُطرها . (٦) لأذمّت : لأعيت وتخلفت .

لكُمُ أنحنى صَيَدى[١] وأعسلَ حنظلى ... للجتـــنى وتولّدتْ حُوشـــيتى[٢]

وسجـــرتمونى منصـــفين مودّةً[٣] ... ورِفادةً يومَىْ رَخاىَ وشـــدّتى

أعشـــبتُمُ فبطِنْتُ[٤] فى مَرعاكُمُ ... والدهرُ يقنَعُ لى بفضـــلِ الجِرّةِ[٥]

أدعو وغابَ أبى وقلَّ عشـــيرتى ... فيكون نصرُكُمُ إجابةَ دعـــوتى

ومتى تقيِّـــدُنى الليـــالى عن مدًى ... قـــتم فأوســـعتم اليهـــا خطـــوتى

عجِبَ المـــديحُ وقـــد عَمَمتكُمُ به ... من رَجعـــتى فيـــه عَقيبَ أَلِيَّتى

حرَّمتُـــه زمنـــا فكنتم وحدكم ... من بينِ مَنْ حَـــلَ الترابُ تحلّتى

هو جوهرٌ، ما كلُّ غائصـــةٍ له ... بالفكر تَعـــلمُ ما مكانُ الدُّرّةِ

ويَصـــحُّ معناه ويســـلَمُ لفظُـــهُ ... ونظامُه، وهنـــاك باقى العـــلّةِ

كم خاطبٍ بأعزِّ ما تحوِى يدٌ ... عذراءَ منـــه وعِرضُـــهُ دونَ ابنتى

ولقـــد زففتُ لكم كنائنَ خِـــدرِه ... فـــكرمتُمُ صِهرًا ووالِىَ عُـــذْرَةِ

من كلِّ راكبـــةٍ بفضـــلِ عَفافِها ... والحُسنِ عُنْـــقَ العائبِ المتعنِّتِ

عزَّتْ فمـــا عَثرتْ بغـــير معـــوِّذٍ ... بِلَعًا[٦] ولا عَطَستْ بغـــير مُشمِّتِ

أَمَـــةٌ لكم بجـــزيل ما أوليتُمُ ... وتُصـــانُ عنـــدكُمُ صِيانَ الحُرّةِ

سلِمتْ على غَرَرِ الخلاف، ولادُها ... فى أُمَّـــةٍ ووِدادُهـــا فى أُمَّـــةِ

مَدّتْ الى "ساسانَ"[٧] ناشرَ عِرقِها ... وقضت لهـــا "غدنانُ" بالعربيَّةِ

يُصغى الحسودُ لهـــا فيشـــكرُ أُذنَهُ ... طـــربا وودَّ لغيظـــه لو صَمَّتِ

---

(١) الصَّيَدُ : رفع الرأس كبرا . (٢) الحوشية : وحشىّ الكلام وغريبه ويريد أنه صار مولّدا بعد حوشيته . (٣) سجرتمونى : ملأتمونى، وفى الاصل "سحرتمونى" ولعله تحريف . (٤) بطنت : عظم بطنى من الشبع . (٥) الجرّة : مايفيض به البعير فيأكله ثانية . (٦) لعا : كلمة تقال عند العثرة دعاء بالانتعاش . (٧) ساسان : جدّ ملوك الأكاسرة الساسانية .

تَسرِى رفيقـةَ كلِّ يومٍ مُؤذِنٍ بسـعادةٍ فاذا ألمَّ ألمَّتِ
تَروِى لكم عن "ذى القرون"(١) حديثَهُ قِدْماً ويُحيى نشرُها "ذا الرُّمَّةِ"(٢)
أحمـدتُمُ ماضىً فى أمثالها ولئن بقيتُ لتحمَدُنَّ بقيَّتى

* * *

وقال فى غرض له

رعى الله يوم البين ظبيا أذمَّ(٣) لى بما أثَّر التـوديعُ فى وجَناتِهِ
تعاطيتُ إلا النـومَ بعـد فِراقِهِ كأنِّى عليـه مُسقَمٌ بحياتِهِ
وصرتُ أذمُّ الدهرَ فى الليل ما دجَا وعهدى به والليلُ من حسناتِهِ

* * *

وقال يرثى الصاحب بن عبد الرحيم و يتفجّع له

قِفَا نِضوَىْ(٤) كما "بالغَـمْرِ" نسألْ حَفِيًّا(٥) أينَ مثوَى المكرماتِ ؟
وأىُّ ثرًى كريم العـرقِ سِيطَتْ(٦) به رِمَمُ المعـالى الدارسـات ؟
وأينَ لذكرها تحتَ الغوادى مَطـارحُ أعظـمٍ فيهـا رُفات ؟
وكيف تكوّرتْ بيَـدِ المنايا الـ ـغـزالةُ مَـدْرَجًا(٧) للسـافيات ؟
وإن أَصـفَى(٨) مَزادُكما فَمُـدَّا بأذنبـةٍ(٩) هُنـالكَ مُـترَعات
أنامِلُ "للحسـين" غَبرنَ حينا ضرائرَ للغيـوث المُـرزِمات(١٠)
ولُوذَا مُسـنَدَيْنِ بجنب طَودٍ من المعروف عالى الهضبِ عاتى

(١) ذى القـرون : الإسكندر . (٢) ذا الرمة : اسم شاعر . (٣) أذمّ لى : أخذ لى عليه الذمّة . (٤) النضو : المهزول من الإبل وغيرها . (٥) الحفىّ : العالم يتعلم الشىء بآستقصاء وفى القرآن الكريم (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) . (٦) سيطت : خُلطت . (٧) الغزالة : الشمس ، والسافيات : الرياح تحمل تربها . (٨) أصفى : خَلَا . (٩) أذنبـة جمع ذنوب وهو الدلو . (١٠) المرزمات : المجلجلات بالرعد .

فـثَمَّ الجمارُ محىُّ النَّـواجِى وثَمَّ الرِّعىُ مكتهلُ النباتِ
وثَمَّ الوجـهُ أبلجُ والمساعى الـ ـكرامُ وثَمَّ حاجاتُ العُـفاةِ
قِفَا فتنادَيا فلعـلَّ صـوتًا سـيزقو (١) أو يُصيخ الى الدُّعاةِ
وقولا : كيف يا حَنَشَ الرمالِ آخـ ـتُدِعتَ ولستَ من قَنَص الرُّقاةِ ؟
مَن الحاوى الذى آنتزعتْ يداهُ نيوبَ العـزِّ من تلك اللَّهاةِ ؟
لعمرُ العاطفين اليـك ليـلًا لنعمَ أخو العشايا الصالحـاتِ
ونِعمَ عدو مالِكَ كنت فيهـم وخصبُ الجالبـاتِ الرابحـاتِ
ومأوَى كلِّ مُطَّـردٍ تُرامِى به الأخطـارَ أيدى النائبـاتِ
لِمَنْ خيـلٌ تُضـمَّر (٢) للسرايا وفُرسانٌ تُخَمَّـر للبَيـاتِ ؟
وأنـديةٌ وأروقـةٌ رِحابٌ تَضُمُّ بدائدَ الفضـلِ الشتـاتِ ؟
ومَنْ للمحكَماتِ من القـوافى تطـيرُ بهنَّ أجنحةُ الرُّواةِ ؟
ومَنْ لى يَزحَمُ الأيّامَ عـنّى وقـد هجمتْ علىّ مصمِّماتِ ؟
ويجـذِبُ من يد الزمن المُعاصى بأضـباعِى (٣) الى الزمن المُواتِى ؟
ومَن ذا قائـلٌ : خذْ أو تحكَّمْ ؟ إذا أنا قلتُ : هَبْ ، أو قلتُ : هاتِ
وما أنا والعـزاء وقد تقضَّتْ حيـاةٌ تُسـتَمَدُّ بها حيـاتى
يُعنِّفُ فيك ـ أنْ صُدِعتْ ضلوعى ـ خَلِىُّ القلبِ من تلك الهَنـاتِ
كأنّى فيـك أبعَثُ بالتأسِّى على جزعى وأُغـرَى بالعظاتِ
رزئتُـك أطولَ الرجلين باعا وأمضَى الصارمين على العُـداةِ
وأوفَى من سِراج الأفق نوراً إذا الأيّام كانت داجيـاتِ

(١) سيزقو : سيصيح . (٢) السرايا جمع سَرِيَّة وهى قطعة من الجيش . (٣) أضباع : جمع ضبع وهو العضد .

كأنّى قبـلَ يومِك لم أُفـزَّعْ بصائحـةِ العشيِّ ولا الغَـداةِ
ولم تُطـرَفْ بفاجعـةٍ لحـاظى ولم تُقـرَعْ بمَـرْزِئةٍ(١) صَـفاتى
بكيتك فى العُنـاةِ لحين قالوا : قُتِلتَ، وددْتُ أنّك فى العُناةِ(٢)
أصاب السيفُ منك غِرارَ(٣) سيفٍ وحُطَّ بك الفُـراتُ الى الفُراتِ
فلا زالت هى البُـتُرُ(٤) النَّواتِى(٥) سـيوفٌ أسلمتك الى النَّـواتى(٦)
ذوائبِ أسرتى وكرامِ صَحْـبى وإخوةِ شِـدَّتى وبنى ثِقـاتى
هوت "بالصاحب" القِرطاتُ(٧) منّى فـرُحْتُ بعاطلاتٍ مُصْلَمـاتِ(٨)
لقد خُولستُ وُسطَى العِقدِ منكم به وخُدِعتُ عن أُخرى القناةِ
فيا مطلولُ ، بـلَّ ثراك صبحاً صـلاةُ الله تَتبعُها صـلاتى
لقـد واسيتنى فى العيش دهرا فمالى لم أُواسِـك فى الممـاتِ
عَسَى وبَـلَى لنـا لا بدّ يـومٌ سـيَقضِى فيـك ممطولَ التِّراتِ
فإن أَجزعْ فمـاضٍ كلُّ ماضٍ وإن أصـبِرْ فآتٍ كلُّ آتِ

* * *

وقال وكتب بهـا الى الأستاذ أبى الحسن المختار بن عبـد الله الذهبىّ الكاتب ، يذكُرُ سرورَه بمودّتِه من بين الإخوان، وقد سأله ذلك

دعْها تكنْ كالسَّلَفِ(٩) من أخَواتِها تَجرِى بها الدنيـا على عاداتِهـا
ما هـذه يا قلبُ أوّلُ عـثرةٍ قذَفتْ بك الأطماعُ فى لَهَواتِها
هى ما علمتَ، وإن أَلِمتَ لفضلةٍ من ثِقلِ وطأتِها وحدّ شَـباتِها

(١) المرزِئة : المصيبة . (٢) العناة جمع عانٍ وهو الأسير . (٣) الغرار : الحدّ .
(٤) البُتْر : المقطوعة . (٥) النواتى : الملايلة ضعفا . (٦) النّواتى : الملاحون .
(٧) القِرطات : القُرط ما يُعلّق بالأذن وجمعه قِرَطَة والقرطات جمع الجمع وفى الأصل "القرطات" .
(٨) مصلمات : مقطوعة الآذان . (٩) السَّلَفُ : المتقدم، وسكّنت لامه للضرورة .

كم خطوةٍ لك فى المُنى إزليقةٍ (١) لم تنتصرْ بِلَعًّا على عثَراتِها
وذخيرةٍ طفِقتْ يداك تضمُّها والدهرُ خلفَك مولَعٌ بشَتاتِها
ووثيقةٍ ألجأتَ ظهرَك مُسنَدًا بغرورِها فسقطتَ فى مَهواتِها
لو كنتَ عند نصيحتى لم ترتَقِ (٢) بمشُورةِ الآمالِ فى حَلَقاتِها
وهَوًى أطعتَ أميرَهُ فى لذّةٍ متبوعةٍ لم تَنجُ من تَبِعاتِها
يبنى السفينَ اللامعاتِ سرابُها ويُعَدّ مخدوعا ترابُ فلاتِها
وفتاةِ قومٍ لا ينامُ مُغيرُهم رُمتَ اقتسارَهُمُ على خلَواتِها
شحذوا المُدَى لك دونها فركِبتَها تغترُّ حتّى طِرتَ فى شَفَراتِها
ويَمينِ جاريةٍ * سَلَكْتَ فى مِسباحِها وَذَهَبْتَ فى آناتِها (٣)
ما كانَ قبلَكَ لِلحفاظِ شريعةٌ فى دِينِها أبدًا ودِينِ لِداتِها
نظرَتْ فكنتَ ضريبةً لحسامِها ومشَتْ فكنتَ دَريئةً (٤) لقَناتِها
ومضيتَ تتبعُ وصلَها ولسانُها (٥) والرشدُ عند صدودِها ووشاتِها
نَمْ، قد سهرتَ فدونَ يومِ وفائِها ـ وهى التى جرَّبتَ ـ يومُ وفاتِها
واشكر لها كَشْفَ القِناعِ فإنها غَدرتْ فكانَ الغدرُ من حسناتِها
واذكر مآربَ غيرِها واعجبْ لها غصبتك آفتُها على لذّاتِها !

* * *

ومُلثَّمينَ على النِّفاقِ بأوجهٍ صُمٍّ يصيحُ اللؤمُ من قَسَماتِها (٦)

---

(١) إزليقة : لم نعثر على هذه الكلمة ولعله يريد بها " زلّاقة " . (٢) لم ترتبق : لم تُدخِل رأسك فى الربقة وهى عروة فى الحبل الذى يشدّ به البهم وقد تقدّم . (٣) هكذا ورد بالأصل رسما وشكلا ولم نوفق الى صحة وزنه ولا الى اكتناه ألفاظه ومعناه . (٤) الدريئة : الحلقة يُتعلَّم الطعن عليها . (٥) لسانها أى المتكلم عنها ويريد به الواشى . (٦) القَسمات جمع قَسمة بفتح السين وكسرها : الوجه ، أو ما بين الوجنتين والأنف .

صبغوا الوفاءَ بياضَه بسوادِه ... والمكرماتِ هبوبَها بسُباتِها
متراهنين على الدنيَّةِ أحرزوا ... غاياتِها وتناهبوا حَلَباتِها
ورِثتْ نفوسُهمُ خبائثَ أصلِها ... لؤمًا وزادت دِقَّةً من ذاتِها
أيدٍ تجفُّ على الربيع وألسنٌ ... سَرَقَ السرابُ الإفكَ من كلماتِها
يَصِفُ المودّةَ بِشرُها ووراءه ... بِشرُ الزجاج يشِفُّ عن نيّاتِها
دَسُّوا المَكايدَ فى مواعدَ حُلوةٍ ... كانت عقاربَ والكذابُ حُماتِها (١)
خَلْقٌ إذا حَدّثت عن أخلاقِها ... فكأنما كشَّفت عن سَوْآتِها
لله آمالٌ أَرَقتُ دماءَها ... فيهم فلم يتعلَّقوا بذِيَاتِها
وكرائمٌ وليتُ فَضَّةَ عُذرِها (٢) ... منهم سوى أكفائِها وكُفاتِها
غُرٌّ أهنتُ على اللئام كرامَها ... وأبحتُ أبناءَ العُقوقِ بناتِها
أهملتُها فيهم سُدًى مظلومةً ... تبكى أراجزُها على أبياتِها
يتناكرون حقوقَها من بعد ما ... عُلِطوا (٣) على أعراضهم بِسماتِها
من كلّ مفتوحٍ اليها سمعُهُ ... مضمومةٍ كفّاه دون صِلاتِها
يَهوَى العُلا فاذا ارتقى ليُنالها ... ردّاه (٤) حبُّ الوفرِ من شُرُفاتِها
حيرانَ يتبعُ من أخيه ونجلِهِ ... ما يتبعُ الأصداءَ من أصواتِها
مَن عاذرى منهم ومَن لحرارةٍ ... أشرجتُ (٥) أضلاعى على جمراتِها ؟
ولُحُفَّةٍ خَسْفٍ عصبتُ بِعارِها ... رأسَ العلا وحططتُ من درجاتِها ؟
أنا ذاك جانيها فهل أنا آخذٌ ... غيرى بها وهو الذى لم ياتِها (٦) ؟

(١) حُمات جمع حُمَة وهى إبرة العقرب تضربُ بها . (٢) العُذر : البكارة . (٣) عُلطوا : وُسِمُوا . (٤) ردّاه : أسقطه . (٥) أشرجت : جمعت أشراجها والأشراج : العُرى . (٦) ياتها : يأتها وقد سهّلت الهمزة .

يا حظَّ ما لك ؟ لا أقالك عثرةً ... جارى الحظوظِ وغافرَ زلّاتِها

كم أشتكيك وأنت صِلُّ حَمَاطَةٍ[1] ... لا يطمعُ الحاوونَ فى حيّاتِها ؟

عيشٌ كَلَا عيشٍ ونفسٌ ما لها ... من مُتعةِ الدنيا سوى حسَراتِها

وتودّ حين تودّ لو ما بُدِّلتْ ... أحبابَهَا من جَورها بعُداتِها

ويزيدها جَلَدا وفـرطَ تجـلُّدٍ ... بين العدا الإشفاقُ من إشماتِها

إن كان عندك يا زمانُ بقيّـةٌ ... ممّـا يضامُ بها الكرام فهاتِهـا

صبرا على العوجاءِ من أقدارِها ... لا بدّ أن تجرى الى ميقاتِها

ولعلَّها بالسخط منك و بالرضا ... أن تستقيمَ طريقُها بحُداتِهـا

كم مثلها ضاقتْ فجلّ[2] ضِيقُها ... يومٌ ولم يُحسبْ جَلَا غَمَراتِها

ولقد كنزتُ فهل علمتَ مكانهُ ... من صـفوِ أيّامى ومن خيراتِها ؟

خِلًّا تخيَّلَه ٱرتيادى واحـــدا ... صحَّتْ به الدنيا عـلى عِلّاتِهـا

غلِطتْ به أمُّ الزمان فأنجبتْ[3] ... فيـه وخابت فى بنى عَلّاتِهـا

لى منه كالئةُ العيون وبسطةُ الـ ... ـأيدى الثقاتِ اذا عدمتُ ثِقاتِها

وقـرابةُ الأخ، غيرَ أنّ مسافةً ... فى الودّ لم يبلغ أخى غاياتِهـا

مِن ما نعى حَرَمِ الإخاءِ ونافضى ... طُرُقِ الوفاءِ فمُحرِزى قصَباتِها

والسالمين على تلوّنِ دهرهم ... وتحوّلِ الأشياء عن حالاتِهـا

واذا الأكارعُ والزعانفُ عوّروا ... من خلَّةٍ كانوا مكانَ سَراتِهـا

نبّهتُـهُ ومن العيون غضيضةٌ ... حولى وأخرَى كنتُ أختَ قَذاتِها

---

(١) الحماطة شجرة التين أو الجمّيز وعشبة خشنة المسّ . (٢) جلّ : فرج . (٣) بنو العَلّات : بنو أمّهاتٍ شتّى من رجل واحد ، واحدتها "عَلّة" وهى الضَّرّة .

فأثرتُ منه أبا الشبول فمالت الـ (١) (٢) ـأرماحُ تدعَسُه (٣) على غاباتها

ملآن من شرف السجيّة، نفسُه تحوى الفضائلَ عن جميع جهاتها

منقادة للمكرمات، وأنفسٌ تدَعُ العلا وتُقادُ فى شهواتها

ما اختارت المختارَ لى إلا يدٌ وثِقتْ لمُغرسها بطيبِ جَناتها

لله خائلةٌ رأيتُ ودادَها بدلالة التوفيقِ فى مرآتها

ردَّ الزمانُ به شبيبةَ عيشتى بعد اشتعال الشَّيبِ فى شَعَراتها

وتسوّمت غُرًّا محجَّلةً به أيامُ دهرٍ قد نكرتُ شياتها

كم خَلَّةٍ داويتُها بدوائها منه ونعمَى كان من أدَواتها

وملمّةٍ وَلِىَ الزمانُ فُتوقَها منّى رقعتُ به وسيعَ هَناتها

من حاملِ صُحُف الثناء أمانةً لا يستطيعُ النَّكثُ (٤) قرعَ صَفاتها

شكرا كما ضحكتْ اليه مجودةٌ (٥) "بالحَزْن" باقى الطلِّ فى حَنَواتها (٦)

يغدو فينقُلُ ثِقلَها بسكينةٍ فى سَمْتِها (٧) هَدْىٌ وفى إخباتها (٨)

طَبٌّ بعلم فُروضها وقُروضها حتى يؤدِّيها على أوقاتها

أبلغ "أبا الحسَن" التى ما بعدها مرمًى لغالبة المنى ورُماتها

عنّى: مُغلغَلةً تُسِرُّ حديثَها أمَّ الكواكبِ (٩) أو أعيرَ صِفاتها

من منبع الحُلو الحلالِ اذا غدا ملحُ القرائح ذاهبا بفُراتها

لو نازل الرُّهْنانَ (١٠) حطَّ قِنانَها (١١) فصبت اليه وحلَّ من عَزَماتها

(١) الشبول جمع شبل وهو ابن الأسد. (٢) بالأصل "تمالت" وهو تحريف. (٣) تدعسه: تدفعه. (٤) فى الأصل: "النَّكْتُ". (٥) مجودة: ممطورة. (٦) الحنوات جمع حنوة وهى العطفة. (٧) السمت: السير على الطريق بالظن. (٨) الإخبات: خروج القوم للجبت وهو المطمئن من الأرض. (٩) أمّ الكواكب: الشمس. (١٠) الرُّهنان: اسم موضع ولعله مشهور بقنان جباله. (١١) قِنان جمع قُنّة وهى قلّة الجبل.

(١٧)

يَحزيك عن كسبِ العلاء وحبِّه ... ما تَنطقُ الخرساءُ بعدَ صُماتِها (١)

وتردُّ أعراضَ الكرام كأنّها ... يمنيّـــةٌ تختالُ فى حِبَراتِها (٢)

ثَمَنا لودِّك، إن يكن ثَمنٌ له ... بذلُ القوافى فيك مكنوناتِها

تسخو به لك من نَخيلةِ سرها ... نفسٌ تَرى بك ما تَرى بحياتِها

* * *

وقال وكتب بها الى أبى قَوام ثابتِ بنِ علىّ بن مزيدٍ يتنجّزه وعدا وذلك فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

خصمىَ من "ظمياءَ" واشٍ وشامتُ ... وحظّاى مظنونٌ لديها وفائتُ

وقلبى لها وحشيَّةٌ ضلّ خشفُها ... تُطاولُ تَبغيه الرُّبا وتُلافتُ

مضت ليلةٌ تقتصّه بعـــدَ ليلةٍ ... ويومٌ تداجيه الشخوصُ الثوابتُ

تناشِدُ عنه النجمَ: أين طريقُهُ؟ (٣) ... تحارفُه طَورا وطَورا تسامتُ

ولا هو منها حيث يُجمَـــعُ شاردٌ ... ولا يُرتَجَى للعَـــودِ إن عاد فالتُ

سوى أنها مرّت بماء سُوَيقةٍ (٤) ... سُحَيرا، (٥) ورامٍ بالشريعـــةِ بائتُ

عـــلى يده للـــرزق أذلغُ أحرسٌ (٦) (٧) ... وضَلعاء فوها ساعةَ النزع صـــائتُ (٨)

يقوت شِـــعاثاً (٩) مقـــترين بفضلها ... أطابت له أو جانبتـــه المَقاوتُ (١٠)

فما رابها إلا دمٌ ونُـــويرةٌ (١١) ... ومنتقياتٌ (١٢) ـ من عظامٍ ـ رَفائتُ

---

(١) الصُّمات: لغة فى الصُّموت وهو السكوت. (٢) حبراتها بكسر الحاء وفتحها جمع حِبَرة: ضرب من برود اليمن. (٣) تسامت: تقابل وتوازى. (٤) سويقة تصغير ساقية.
(٥) سحير تصغير سحر. (٦) الأذلغ: منشقق الشفتين ويريد به السهم، وفى الأصل "أذلع".
(٧) الأحرس: القديم العادىّ الذى أتى عليه الحَرَسُ أى الدهر. (٨) الضلعاء: القوس المعوجّة.
(٩) شعاثا: غُبْر الرءوس. (١٠) مقترين: معسرين. (١١) نويرة تصغير نار.
(١٢) منتقيات: أكلَ نقيُها وهو مخّها.

فعادت تُماشي اليأسَ موضعَ ظلِّه ... ولحَيْن ـ لو أغنى الحِذارُ ـ مَواقتُ
وخبّرني السُّفّارُ أن قد تبدّلتْ ... فقلت: حديثٌ مضحكٌ وهو كابتُ (١)
أسدَّ مكاني في الهوى مَنْ تعوّضتْ؟ ... مدًى وأبيها بيننا متفاوتُ!
أمِنْها خيالٌ والجُنوبُ خوافقٌ ... بجانب "خَبْتٍ" (٢) والجفونُ خوافتُ؟
طوى الليلَ نجًا وهو يستقلُ الخُطا ... بساهلةِ الأردافِ ثم يعانتُ (٣)
فبتنا به في ضَوعةٍ وإنارةٍ ... وبانُ "اللّوى" خزيان والبدرُ باهتُ
نرى أن فأرَ (٤) المسك تحتَ رحالنا ... فتائقُ من أردانه وفتائتُ
سل الخِيمَ (٥) بالبيضاء من جانب الحمى: ... أتُجمَعُ أوطاري بكنّ الشتائتُ؟
وهل لطريدٍ سلّه الدهرُ مُدرَكٌ ... فتُعقَلَ لي ليلاتكنّ الفَلائتُ؟
اذ العيشُ حيٌّ والزمانُ مراهق ... فتيٌّ وريحانُ البطالةِ نابتُ
تَلوَّنَ رأسي صِبغتين فميّتٌ ... وذو نبّةٍ أو لاحقٌ متماوتُ
وأمست على أيدي الغواني حبائلي ... وهنّ بأطرافِ البنان بتائتُ (٦)
وما الدهرُ إلا داءُ همٍّ مماطل ... مدى العيشِ أو خطبٌ هَجومٌ مُباغتُ
عذيري من الإخوان لا أستشفُّ من ... قلوبهمُ مَنْ وامقٌ لي وماقتُ
خِفافا الى ما ساءني فصالتٌ (٧) ... به أو مُداجٍ، كيف لي لو يصالتُ؟
جعلتُ الجفاءَ عُوذةً لي منهمُ ... وفي الناس أجساما قلوبٌ عَفارتُ
وعلّمني نَبذي لهم وتوحُّدي ... بنفسيَ أنّي في التكثّر غالتُ (٨)

(١) كابت: محزن. (٢) خَبْت: من قُرى "زبيد" باليمن. (٣) يعانت: يشقُّ عليه.
(٤) الفأر: النابغة وهو وعاء المسك. (٥) الخيم: اسم جبل. (٦) بتائت: مقطوعة.
(٧) المصالت: المضارب بالسيف. (٨) الغالت: الذي يغلط في الحساب وقيل: الغَلَتُ في الحساب، والغلط في القول.

سل السارحَ المخدوعَ أعجف مالَه جَفاءُ السُّمِيّ[1] والسنونَ السوانتُ[2] ،
توغّل يرجوها وتُخلفُ ظنَّـه مَنابعُ أكدَى ماؤها ومَنابتُ :
الى أين ؟ وآبن الغاضريّة[3] شاهدٌ يغـرُّك نجـمٌ أو يدلُّك خارتُ[4]
تلقّ الحيا من جَوِّه وآرعَ روضَـهُ تدرّ العجافُ أو تعيش المَوَائتُ
ألا إنما بدرُ السماءِ آبنُ شمسها وبدرُ بنى "عوفٍ" على الأرض ثابتُ[5]
فتًى ، لا على الأعذارِ بالعهد ناكثٌ ولا مَعَ فرط الجود للسنِّ ناكتُ[6]
بيتُ خميصا جنبُـهُ و وسادُه وطارقُهُ خِصـبا كما شاء بائتُ
اذا الليلةُ الطُّولَى أمرّتْ وأيبستْ فللضيف منه مُتمِرُ الليـلِ رابتُ[7]
تَرَى مالَهُ ما سـلَّه الجودُ لا التى تناعرُ[8] حوليها الحـداةُ المَصاوتُ
رخىُّ البنانِ[9] فى النوائب كلّمـا أضبَّ[10] على المـال الحسيبُ[11] المباكتُ
تَهادَى نساءُ الحىِّ وصـفَ حنانه وتأباه فى الروع الرجال المَصالتُ[12]
ترى الحلمَ مشـحونا وراء ردائه اذا مرَّ يغزو الطائشُ المتهـافتُ
فهل مبلغٌ عنى "خُزَيمةَ" ما وعى حصاها البديدُ أو رباها الثوابتُ ؟ :
وَفَى لكِ مجدا ما تَعُدِّين فى "أبى قَوامٍ" اذا خان الفـروعُ النوابتُ
ولدتِ وأولدتِ الكبيرَ، ومثـلُه قليـلٌ وأُمّاتُ الصقور مقالتُ[13]
سبقتَ فـلم يعلَقْ غبارَك جامحٌ وفتَّ فـلم يملكْ صِفاتِك ناعتُ

(١) السمىّ جمع سماء وهو المطر . (٢) السوانت : المجدبة . (٣) الغاضريّة نسبة الى "غاضرة" : قبيلة من أسد . (٤) الخارت : الدليل الحاذق الذى يهتدى الى أَخْراتِ المفاوز وهى مضايقها وطرقها الخفيّة . (٥) ثابت : اسم ممدوحه . (٦) ناكث : قارع . (٧) الرابت الذى يضرب على جنب الصبىّ يده لينام . (٨) تناعر : تصوّت . (٩) أضبَّ على المال : أخفاه وأمسكه . (١٠) الحسيب : الحاسب . (١١) المباكت : المستقبل غيره بما يكره . (١٢) المَصالت جمع مِصلت وهو الشجاع . (١٣) مقالت جمع مِقلات وهى التى تلد واحدا ثم لا تلد .

وجرَّبك الأعداءُ غمـــزا وهمزةً ... فما خدشتْ فى مَروتَيْك النواحتُ
فداك صـديقٌ وجهُـهُ، وفؤاده ... مُعادٍ على دين المعالى مُعانتُ
يريك الرضا والغـلُّ حشو جفونِه ... وقـد تنطقُ العينان والفمُ ساكتُ
طَوى بِغضةً فى جفنـه فهو باسمٌ ... وفى فيــه ليثٌ كاشرٌ لك هارتُ(١)
أهبتُ بشِعرى فانبرت لك عيسُهُ ... بما حملتْ وهى الخُضوعُ الخَواتُ
فعـادت بمـا أرعيتَها، ولِبانُهـا(٢) ... طَواعٍ(٣) على لىّ الحبـالِ ضواغتُ(٤)
ونادتك لُغواتُ(٥) السؤال فأفصحت(٦) ... يداك وأيدى المـانعـين صوامتُ
وأوســعتنى مالًا أتى لم تُخَضْ له الـ ... ـديباجى ولم تُنفَضْ عليه السَّبارتُ(٧)
وخُلْقًا كما شعشعتهـا ذهبيَّـــةً ... وخُلْقًا كما شعشعتها ذهبيَّـــةً
ولم تك ـ حاشا مجدِ نفسك ـ كامرئٍ ... تَصـامَمَ عنّى وهو للمدح ناصتُ
وقومٍ كأن الشِّـعر فيهـــم بليّـةٌ ... أعرّتْ(٨) وعاقتها الأكُفُّ الزوافتُ
فكن سامعا ما آمتدّ باعُك فى العلا ... وسُرَّ محبٌّ أو تخيَّبَ شـامتُ
ثناءً، فمُ الراوى عليـك مسـلَّمٌ ... به ومصـلِّى الشكر باسمك قانتُ
تزورك منه فى أوانٍ فروضها ... قوافٍ لهـا عنـد الكرام مَواقتُ
يُفِدْن الغنى أضـعافَ ما يستفدنَهُ ... وهنّ بقايا والعطايا فـوائتُ
أقول لأيّامى : دعى لىَ أو خذى ... فما أنتِ إلا المقبـلاتُ اللوافتُ
فلست أبالى مَن تزيَّل ركبُهُ ... "وثابت" لى على المودة ثابتُ

---

(١) الهارت : واسع الشدق . (٢) لِبان جمع لَبون وهى الغزيرة اللبن . (٣) طواع جمع طاعية وهى الطائعة . (٤) ضواغت جمع ضاغتة وهى التى تلوك بأسنانها ونواجذها ، وفى الأصل "طواعت" . (٥) لُغوات جمع لُغوة كغُرفة وهى اللغة . (٦) فى الأصل "فأصبحت" ولا معنى لها . (٧) السبارت جمع سُبروت وهو القفر لا نبات فيه . (٨) أعرّت أى حاءت بالعرّ وهو الجرب .

وقال وكتب بها الى تاج الدولة أبى المكارم بن مُكرَم بعـد آنقطاعه عن مدحه وأنشده إياها فى عيد النحر

حماها بأطـراف الرماحِ حُماتُها ... فـلا حَفلُها منًّا ولا خَلواتُها

وذبّ[1] عنها من "عُقَيلِ بن عامرٍ" ... أراقمُ لا تَحـوى شَـباها رُقاتُها

عشـيرةُ مكلوءِ البيوتِ محصَّنٍ ... يَعِـزُّ بنـوها أن ترام بَناتُها

معودة طـردَ العيـوب غيوبُها ... اذا حفظتْ عوراتِها أسَـلاتُها[2]

وحـرَّم واليها الوُلوعَ بذكرها ... وإن عَتبت أخرى عليها سِماتُها

فهـل مغـمَزٌ فى جانبٍ من ورائه ... "سلامةُ" يا قلبى وهذى حَصاتُها؟[3]

فكم فى بيوت "العامريّات" من هوًى ... يُنـاط كما نيطت بها خالفاتُها

ومثلُكَ أَسرَى لا يُسام فـداؤها ... هـوانا وقتلى[4] لا تُساق دياتُها

بلى لكَ منها فى الكرى إنْ وفَى الكرى ... وفى الريح حظٌّ إن جرت نفحاتُها

وليلٍ "بذى ضالٍ" قصـيرٍ طويلُه ... على البُـدْن، تَطوى دَرجَه ناجياتُها

ترى العيسُ فى أجوازه بقـلوبها ... الى قصـده ما لا ترى لحظاتُها

بها من حنينٍ تحتـه ما بركبها ... وإن نطقوا الشكوى وطال صُماتُها

اذا الريح قَرّت[5] فاستهزّت ضلوعَهم ... تصـلّوا[6] بما تُذكى لهـم زفراتُها

سَرتْ بنشاوَى من مُعاقرة السُّرى ... وسائدُهـم فـوق الثرى رُكَباتُها

نضَوا ما نضَوا من ليلهـم ثم هَوَّموا ... غِرارا[7] وقد خاط العيونَ سِناتُها[8]

---

(١) ذبّ: دافع. (٢) أسلات جمع أسلة وهى مستدقّ اللسان. (٣) الحصاة: العشيرة القوية الكثيرة العدد. (٤) فى الأصل: "قلبى" وهو تحريف. (٥) قرت: بردت. (٦) تصلّوا: استدفأوا. (٧) الغرار: القليل من النوم. (٨) سنات جمع سِنَة وهى فتور يتقدم النوم.

عـلى ساعةٍ جِنُّ الفـلاةِ ووحشُها ... تريها الشـخوصَ الزُّورَ عنا فلاتُها
تخطَّت الينا "الغَورَ فالعرضَ فالحمى"(١) ... وما ذاك تمشاها ولا خُطواتُها
فبتنا لها فى نعمةٍ شُكرتْ لها ... وما هى جَـدواها ولا أعطياتُها
عواطفُ دُنيا فى الكرى لو أردتُها ... عـلى مثلها يقظانَ عَزَّ التفاتُها
فـلم أرها وعنـد قومٍ أداتُها ... من العيش إلا وهْىَ عنـدى أداتُها
سـقى الله شرًّا دوحةً لى سَيالُها(٢) ... وللناس مُلْقَى ظلِّها وجَناتُها(٣)
ولودا، ولِى من حظِّها بطنُ حائلٍ ... معنَّسَـةٍ(٤) شابت وشابَ لِداتُها
أغامز منها صخرةً "إرميّـةً"(٥) ... تفُـلُّ النيوبَ وهى جَلْدٌ صَفاتُها
وكيف تسـامُ النَّصْـفَ أمٌّ تلوَّنتْ ... مَعارِفُها إن حُوشيتْ مُنكَراتُها
تُرِى الوكَلَ المغـمورَ كُحْلَ لحاظها ... وكُلُّ أخى الهـمِّ البعيـدِ قَذاتُها
هوت برءوس الناسِ سُفْلًا وحلَّقتْ ... بأذنابها مجنـوبةً طائراتُها
فعنـدك منها أن ترى ببُغاثِها(٦) ... كواسبَ جوَّحُصٍّ(٧) فيه بُزاتُها(٨)
ركبتُ من الأيّامِ ظهـرَ ملوِّنٍ ... صبائغُـهُ(٩)، والخيـلُ شتَّى شِياتُها
وقلَّبتها يوما فيـوما مجـرِّبا ... فـلا سوءُها يَبـقَى ولا حسناتُها
سأحملها حـتَّى تخفَّ وُسُـوقُها ... وأحلُم حـتى ترعوِى جَهَـلاتُها
لعـلَّ مميتَ الحـظِّ يُحييه آنفًا ... فإنَّ الحظوظَ موتُها وحياتُها
فلا يؤيِسَنْكَ صـدُّها من وصالها ... ولا مَطلُها من أن تَصحَّ عِداتُها
ألم تر مُلك "المكرَمِيّين" نارُه ... خبت غَلَطا ثم ٱعتلتْ وَقَـداتُها

(١) الحمى وماقبله أسماء مواضع . (٢) السيال : نباتٌ له شوك . (٣) الجناة : كل ما يجنى كالجنى . (٤) الحائل : العقيم ، والمعنّسة : التى طال مكثها ولم تتزوج . (٥) إرميّة نسبة الى إرم . (٦) البغاث جمع بغاثة : شرار الطير . (٧) حصّ : قصّ . (٨) بزاة جمع باز . (٩) فى الأصل "صبائمه" .

هفا الدهرُ فيهـــم مستغرًّا بغـــيره ... فخاضـوا وشاكَتْ رِجلَه عَثراتُها
بَغَى نقلَ ما أُعطُوا سـفاهًا ولم تكن ... هضابُ "شَرَوْرَى"[1] زائلا راسياتُها
هم السحبُ ملء الأفقِ والدهرُ تحتها ... جُفاءٌ اذا سالتْ به سائلاتُها
علا السيلُ حتى "الصينُ" يُفعَمُ بَحرُها ... فيطغَى وفى "بغدادَ" يجرى فُراتُها
حمى "ناصرُ الدين" العلا بعد من مضى ... فضُمَّتْ قَواصـيها ولُمَّ شَـتاتُها
وأضحى "بتاج الدولة" العـزُّ مفـرِقا ... لهـا، تتلظَّى فوقـه خَرَزاتُها
وإن فروجا سدَّها مثـلُ سعيه ... لضيِّقةٌ أن تُرتَجَى خَطَفاتُها
رعاها أبو الأشـبالِ حتى دنا بهـا ... لها من شميمِ سَرحِها حسراتُها
أخـو عزماتٍ لا يُراع صـديقُها ... — كما لم ينم — ولا تنـام عُداتُها
كريمُ المحيَّا رطبـةٌ قَسَماتُهُ ... اذا ما الليوثُ آستجهمتْ عابساتُها
على الصدرِ منـه هيبةٌ تملأ الحشا ... ممـرَّرةٌ، أخـلاقـه مُحلياتُها
ومن رأيه فى الحربِ عَضبٌ وذابلٌ ... وما الحـرب إلا سـيفُها وقَناتُها
كريمٌ فما الأحسابُ إلا آقتناؤها ... لديه ولا الأموالُ إلا هِباتُها
اذا آعترضَتْهُ هِزَّة الجـود ساكنا ... نزت بالنـدَى فى كفّه نَزَواتُها
أفاد النـدَى فـلم تزل برياضـه ... رياحُ العـلا أو صَوَّحت شَجراتُها
من القوم فضُّوا عُذرة الأرض سادةً ... وشابت وهـم أربابُها وولاتُها
فمن حلمهـم أركانُها وجبالُها ... ومن جودهـم أمواهُها ونباتُها
وليسوا كمن جُنَّ الزمانُ برفعـه ... وجاءت به من دولةٍ فَلَتاتُها
ولا كذبا طارت به الريح طـيرةً ... فأقعصه أن طأطأتْ عاصفاتُها
تقيَّلتُهـم والنفس يَكرُمُ أصلُها ... على عِرقِها السـارِى فتكرُمُ ذاتُها

(١) شرورى : اسم جبل .

بك اهتزّ فرعاها وأينعَ ظلُّها ... وطاب جَناها واهتنت بَرَكاتُها
جمعتَ لها شُذّانَ[1] كلِّ فضيلة ... تعزّ على من رامها مفرداتُها
فمن كان من قومٍ سَفًا[2] فى أديمهم ... وزِعنفةٌ[3] تُزرَى فأنتَ سَراتُها[4]
لئن عَرِكتْ فى جنب طودِك نبوةٌ ... من الدهر لا تُمحَى بعذرٍ هَناتُها
وهزُّ العِدا من حسنِ صبرك صعدةً ... فقد عَلِموا بالهزِّ كيفَ ثباتُها
وما كنتَ إلا الشمسَ، لِيثَتْ جَهامةٌ ... على خدِّها ثم انجلت غاشياتُها
تنصّل منها الملكُ لمّا تبيَّنتْ ... لعينيه أخراها ومعتقباتُها
وأبصرها شنعاءَ يبقى حديثُها ... ذميما ولا تبقى له عائداتُها
فردّك ردَّ السيفِ فى الغِمدِ لم تُعب ... مَضارِبُهُ إن ثُلِّمتْ شَفراتُها
فكيف يَليقُ الحسنُ أوجُهَ دولةٍ ... اذا عدِمتْ تيجانَها خرزاتُها
رعى الله نفسا لا الغنى زادها عُلًا ... ولا فقرُها حُطَّتْ له درجاتُها
معظَّمةً فى حدِّها وسنانِها ... وسلطانِها لا ما حوت مَلَكاتُها
اذا قزعتْ[5] يوما من الدهرِ نكبةٌ ... اليها، عَسَتْ[6] فلم تُسغْها لَهاتُها
وأنت الذى تُعطى ـ وعافُك أشهبٌ ـ ... عطاءَ رجالٍ خُضِّرتْ سنواتُها
مع الجود أنّى مِلتَ غيرَ مصرِّفٍ ... يمينَك إلا حيثُ شاءت عُفاتُها
أقلنى أقلنى جفوةً ما اعتمدتُها ... وهجرةَ أعوامٍ خَلَتْ ما ابتدأتُها[7]
وسعياً بطيئا عن مقامى من العلا ... لديك إذا الأقدام فازت سُعاتُها
فما كان إلا الحظُّ منكم حُرِمتُهُ ... ودنيا كثيرٌ بالغنى فلتاتُها
تريد بنفسى كلَّ ما لا تريده ... وتمنعها ما تقتضى شهواتُها

(١) الشذّان : ما تفرّق . (٢) السفا : الشعر الخفيف على الأديم وفى الأصل "شغى" .
(٣) الزعنفة : طرف الأديم كاليدين والرجلين . (٤) السراة : الظهر . (٥) قزعت : أسرعت .
(٦) عست : اشتدّت وصلبت . (٧) يريد ما ابتدأتها .

وإنّى لكم ذاك الذى لا حبالُه ... تَرِثُّ ولا يُخشَى عليه آنبتاتُها[1]
مقيمٌ على نعمائكم حافظٌ لها ... مُضِبٌّ[2] على ما أوجبت حُرُماتُها
يُنقِّلُ قوما قربُهم وبعادُهم ... ونفسىَ لا تهفو بها مُبْدِلاتُها
تحنُّ الى أيّامكم فى ذراكُمُ ... وتحفزها من عهدكم مُذكِراتُها
وعندى لكم ـ إن أسخطتكم سوالفى ـ ... عوائدُ ، تُرضِى مجدَكم آنفاتُها
تسيرُ على عاداتها بصفاتِكم ... طوالعَ تمشى بالعلا مُتقلاتُها
نوازلَ فى عرض الفلا وصواعدًا ... تُرَدُّ على رَوْحاتها غُدُواتُها
تُخالُ هواديها بنشرِ علائكم ... بُرودَ "زُبَيدٍ"[3] نُشِّرتْ حِبَراتُها
يَقُصُّ بها تحت الظلام سميرُها ... وتَرجُرُكم وجهَ النهارِ حُداتُها
تَطرَّبُها الأسماعُ فيكم كأنما ... عزيفُ الملاهى ما تقولُ رواتُها
كأنّ الأولى دارتْ عليهم بيوتُها ... بنو نشوةٍ دارت عليهم سُقاتُها
مبشِّرة أيامَكم باتصالها ... تُرِى الحسنَ قبلَ أن تُرَى أخرياتُها
خوالد ما لبَّى الحجيجُ وطوَّفوا ... وعَجَّتْ بسفحَىْ مَكّةٍ عَرفاتُها
وما عقروها واجباتٍ جُنوبُها ... تَفَجَّر من لَبَّاتها فاجراتُها
تزوركم الأعياد مجلوَّةً بها ... تحلّى بما صاغت لكم عاطلاتُها
اذا لَعَنَتْ قوما لئاما فإنما ... على ذكركم تسليمُها وصَلاتُها

* * *

وقال يمدح الوزير زعيم الدين الحسن فى المهرجان

أهفو لعُلوىِّ الرياح اذا جرَتْ ... وأظنُّ "رامةَ" كلَّ دارٍ أقفرتْ
ويشوقُنى روضُ الحمى متنفِّسا ... يَصِفُ البترائبَ والبروقَ اذا جرَتْ

(١) الآنبتات : الآنقطاع . (٢) المضبّ : الحريص . (٣) زبيد : اسم موضع .

متعلِّلاتٍ بعـدَ طارقـةِ النـوَى ... أو أبرأت داءَ الجـوى أو علَّلتْ

يا دِينَ(١) قلبٍ من ليالى "حاجرٍ" ... مَكرَتْ به فقضتْ عليـه وٱنقضَتْ

ومَضـاجعٍ "بالنَّعْفِ" بات يعـدُّها ... غُنما وأصـبح ودُّه لـو لم يبِتْ

ومليحةٍ لو أنصفتْ عينُ المها ... فى الحسن ماثَنَتِ الصليفَ(٢) ولا رنتْ

بيضاءَ من كَلَلِ الخـدور وربّما ... ذُكرتِ بداوةُ قـومِها فتسهَّمتْ

أخذَتْ وأعطتْ من ضياء الشمس ما آحـ ... ـتكمت بجمَّعتِ الجمالَ ووفَّـرَتْ

وكأنما وَلِيَتْ خَطائـطَ وجهِها ... يدُها فجاءتْ فى الكمالِ كما ٱشتهَتْ

ملكت على باناتِ "جوٍّ"(٣) أمرَها ... فلها الإمارةُ ما ٱسـتقامتْ وٱنثنَتْ

فاذا أرادتْ بالقضـيبِ مَسَـاءَةً ... وتنقَّـمَتْ جُرما عليـه تأوَّدتْ

سنحتْ لنـا دون الغـدير فـما سَقَى ... صفوُ الغـدير وعذبُه مَنْ أعطشَتْ

ورَمتْ فـلولا أنهـا ثُعَليَّـةٌ(٤) ... قُلنـا : رأت ثُعَـلًا رَمى فتعلَّمتْ

غَدَرتْ فـلولا أنَّهـا نَذرتْ دمى ... لم تعرِف النَّـذر الذى فيـه وفَتْ

وعلى "النقا" والعيسُ تَحْفِـرُ فى النقا ... أخفافُها من ثِقـلِ ما قد حُمِّلتْ

حلَفتْ على قتـلى فلمَّـا أن رأت ... بذَمايَ باقيـةَ الرِّماقِ تأوَّلتْ

أبشر فانـك فى الحيـاةِ مخـلَّدٌ ... يا من رأى يومَ "القليبِ" ولم يَمُتْ

وتشرَّفتْ(٥) لتشبَّ جمـرةَ صـدرِهِ ... بنتُ الأراكِ(٦)، وهل تُشَبُّ وما ٱنطفتْ؟

وُرقاء ذكَّرها الحـداةُ هوًى لهـا ... طـارت ألائفُها(٧) به فتذكَّرتْ

هتفتْ على خضراءَ، كيف ترنَّمتْ ... من فوقِها مالت بهـا فترنَّحتْ

---

(١) الدين الداء، ومنه * يادينَ قلبكَ من سلمى وقد دينا * (٢) الصليف : عرض العنق .

(٣) جو : اسم لناحية اليمامة . (٤) ثعلية نسبة الى ثعل وهو أبو قبيلة مشهورة بالرمى .

(٥) ٱرتفعت فوق الشرف وهو الجبل . (٦) يريد بنت الأراك "الحمامة" . (٧) الالائف : الألّاف .

لو كان ينجو من علاقاتِ الهـوى ... شيءٌ لضُـعْفٍ أو لمَرحمـةٍ نَجتْ
ولقـد طربتُ كما حزنتُ لصوتِهـا ... فشككتُ هل غنَّت بشجوٍ أو بكتْ
قف يا أخا الملهوف وقفةَ مُرسَـلٍ ... حمـــل الأمانةَ هَضـبةً أو أُدِّيَتْ
وآجهَـرْ بصـوتك للتي لو خاطبتْ ... فى السرّ أوعالَ القِنـانِ لأسمعتْ
(٧١) وقـل التحيـةَ والســلامَ وحاجةً ... من بعدِ أن خابت وإن هى أُنجِحتْ
يا أختَ "سـعدٍ" فيم بات معـذَّبا ... قلبي عليكِ كأنمـا عيـنِي جَنَتْ؟
رُدِّى الفـؤادَ علىَّ فهـو وديعـةٌ ... مضـمونةٌ مغرومةٌ إن ضُيِّعتْ
إن كان ظنُّكِ بالخيـانةِ والقِلَى ... أن يشمتَ اللاحى عليك فقد شَمِتْ
وعميّـةِ الأوضاحِ خرساءِ الصـدَى (١) ... عَشِيَتْ على ضوءِ الصباحِ وأظلمتْ
مَرَدَتْ على عينِ الدليـلِ ورأيِهِ ... فتخالُه فيهـا أضـلَّ بما خَرَتْ (٢)
تتغـايرُ البَـوْغاءُ (٣) تحتَ شميمِـهِ ... فيهـا ويُنكَرُ صَـوتُهُ والمُلتفَتْ
مركوبةٍ، جَوْبُ المهـارى جـوَّها ... غَرَرُ المقامرِ فيـه أخْسَتْ أوزكَتْ (٤)
واذا الركابُ آستيأستْ فى جَهلها ... كيف النجاءُ توكَّلتْ وآستسلمتْ
داوسـتُها أبغى العَـلاءَ بهمّةٍ ... لو شاورت أمَّ الشـقيق لَمَـا سَمتْ
تفلى على الكرماء تنفضُ منهُـمُ ... طرقَ المَطالبِ أسهلتْ أو أحزنَتْ
ووراءها ـ لولا المطامعُ منهُـمُ ـ ... قُرَباءُ لو قنعتْ بهـم ما أبعـدتْ
نبِّهْ بنى "عبـدِ الرحيم" ولا تُبَـلْ ... معهم عيونَ الدهرِ كيف آستيقَظتْ
وآسـتفتهم فى المجـدِ تسألْ أنفسا ... لَقِنتْ على جهـلِ الورى وتفهَّمتْ
خَبُثَ الترابُ وما عليـه، وماؤها ... شرفٌ فطابت وحـدَها وتطهَّـرتْ

---

(١) يريد بهذا الوصف "الصحراء" .
(٢) يقال : خرت الأرض أى عرفها ولم تخف عليه طرقها .
(٣) البوغاء : ما يثور من الغبار .
(٤) أخست أو زكت : لعبت بالفرد أو بالزوج .

فكأن زاكى عِرقِها لم يُسقَ من ... ماءِ الزمانِ وفى ثراه ما نبتْ
قومٌ اذا حدَرَ التناكرُ لُثَّمُهُمْ(١) ... وجلا الصِّفاحُ أكفَّهم فتحسَّرتْ(٢)
كفرتْ وجوهُهُم البدورَ وآمنتْ ... لأكفِّهم أيدى السحابِ فكَفَّرتْ
شفعوا العلاء تليدَه بطريفه ... فتقدّمت عليا ؤهم وتأخَّرتْ
ولدتهم الأرضُ التى قد أجمعتْ ... فى الأكثرين فأكيستْ(٣) وتحبّبتْ
جاءت بهم وهى الوَلودُ كأنّهم ... غُرباءُ جاءوا فى العقامِ أو القَلَتْ
متواردين على العَلاء كأنّهم ... ضربوا له ميقاتَ يومٍ لم يفُتْ
راضوا الأمورَ، فتيُّهم كمسنِّهم ... سَوْمَ الكعوبِ تلاحقَتْ فتنظَّمتْ
شَرَعوا الى ثُغَرِ الخطوب ذوابلا ... لولا صنيعةُ نفسها ما فُضِّلَتْ
جُوفًا(٤) ترى الصمَّ الصعابَ وراءها ... فى الحرب تقفُو ما حذَتْ أو مَثَّلتْ
كتبوا على شهب الطروس لنا كما ... طَعنوا على الخيلِ الوِرادِ أو الكُمَتْ(٥)
والجالسُ القوّالُ منهم آخذٌ ... منها بأنفاس الشجاع المنصلتْ
خذ من حديثِهِمُ حديثَ قديمهم ... وٱعجب لأطراف العلا كيف ٱلتقتْ
وٱسأل "زعيم الدين" عما خلفه ... من مجدهم فهو الشهادة والثَّبَتْ(٦)
قمرٌ هو المرآة عن أحسابهم ... مهما رأت مما يقابلها حكتْ
أدّى فروضَهمُ وسَنَّ نوافلا ... فى المجد تممت الفروضَ وكمّلتْ
فضحَ السوابقَ مالكٌ أشواطَه ... جارَى الرياحَ فخُلِّ عنه وقُيِّدتْ
وتقرّطت أيامُه بيتيمةٍ ... منه صفَتْ للناظرين وأشرقتْ

(١) لثم جمع لثام . (٢) تحسرت : عرّت . (٣) أكيست : ولدت أولادا كَيْسَى أى طرفاء فطنين جمع "كيِّس" . (٤) جوفا جمع جوفاء . (٥) الكمت جمع كُمَيت وهو الفرس فى لونه كُمْتة أى حمرةٌ مشوبة بسواد . (٦) الثَّبَتُ : الحُجّة .

لم يدرِ جهـدُ الغائصين وكيـدُهم ... من أىّ أصداف البحار ٱستُخرِجتْ
قـد جوَّلوا فيهـا الظنونَ وأكثروا ... بالخوض لمـا ٱستُغرِبتْ وٱستُعظِمتْ
قالوا : من البحر المحيطِ تصعَّدتْ ... لا ! بـل من الفلَكِ المحيطِ تـنزّلتْ
بيضاء ملء يد المـنى ملمـومة، ... مَلَكَ المنَى وحوَى الغنى مَن أُعطِيتْ
يا جامعَ الحسناتِ بعـد شـذوذها ... مِزَقًا(١) وموجدَها أوانَ تعـذّرتْ
ومقطِّـر الأقران عن صَهَواتِ ما ... رُبطتْ من الرأى الأصيل وضُمِّرتْ
كم واثقٍ منهـم بعصـمةِ رأيه ... وحسـابِهِ من هفـوةٍ أو من غَلَتْ
ضايقتَـه حـتى أقـرَّ بعجـزه ... لمـا وضعتَ له يديك على النُّكَتْ(٢)
ومُنطِّقٍ ظنَّ البـلاغةَ آيـةً ... نُصبتْ له علَمـا وشخصا صُوِّرتْ
قال الكثيرَ موسِّـعا لَهَـواتِهِ ... عُجْبـا فلمّـا قلتَ واحدةً سكتْ !
حَسِب الفصاحةَ فى النشادقِ وحدَه ... ما كلُّ ما وُصِف الأُسودُ به الهَرِتْ(٣)
وأرى الوزارةَ مـذ حَملتَ لواءَها ... نُصِرت على فشـل الولاة وظُفِّرتْ
ساندت فيهـا ما عليك صـلاحُهُ ... وفسادُه إن أصلحتْ أو أُفسِـدتْ
نَنَّى أخـوك أخاك فيهـا مُسهِما ... وبُعثتَ ثالثَهـا الذى بك عُزِّزتْ (٧٢)
أنـتم فوارسُها المَـذَاودُ دونهـا ... إن حوربت وملوكُها إن سـولمتْ
وظهـوركم لصـدورها مخلوقةٌ، ... مظلومةٌ إن ضويقت أو زوحمتْ
نُصبتْ لكم وتمهّـدتْ فـتى طـرا ... من غيركم ظارٍ(٤) نَبَتْ وٱستوحشتْ
هى مِلكُكم فـتى ٱستُعيرت منكُمُ ... لتجمّلٍ وأردتمـوها ٱسـتُرجِعتْ

(١) مزق جمع مِزْقة وهى القطعة من الثوب . (٢) النكت جمع نُكتة وهى المسئلة الدقيقة اخرجتْ بدقة نظر و إمعان فكر . (٣) الهرت : ٱتساع الشدقين . (٤) طارٍ : يريد "طاريًا" .

أبناء نِسبتِها وأبعَلُ[1] عُذْرِها[2] واذا عَدَتكم أعزبت وتأيَّمتْ
تَفدى "أبا الحسنِ" الترابَ وطئته قِمَمٌ هوت من تحتِ رِجلك إذ علت
ومحدِّثٍ بك فى الوساوس نفسَه، نفسٌ لعمرك ضَلَّةٌ ما سَوَّلتْ
لو ثاقلوك به وأُلقِيَ "يَذبُلُ"[3] معه لكانت قِسمةً ما عُدِلتْ
أغنيتنى بك عن سواك فلم أُبَلْ فُتِحت أنامِلُ معشرٍ أو أُقفِلتْ
وسُقيتُ أعذبَ شربتيك فما أرى بأسا ببارقةٍ همَتْ أو أخلبتْ
وصفوتَ لى بالودّ، والصهباءُ لم تَشُبِ العقولَ بطعمها حتى صفتْ
أنكرتُ ودَّ أخى وعهدَ أحبّتى وكريمُ عهدك طينةٌ ما أخلقتْ
فمتى طَلبتُ من الزمان سواك أو شَرْواك[4] فاشهدْ أنَّ ذاك من العَنَتْ
ولتُرضِيَنَّك ما سمعتَ نواهضٌ بالشكر لم تَخَفِ اللُّغوبَ ولا ونَتْ
يقضين ما أُسلفن من أيدى غِنًى وَسِعتْ حقوقَ المقرضين وأفضلتْ
يَغنَى بها العرضُ الفقيرُ وإن رأت عِرضا غنيًّا زيَّدته وأثَّلتْ
ريحانة ما آستُنشِقت أرواحُها وسلافة تُصحى اذا ما أُسكرتْ
تقضى على الألباب أين خلاصها من شَوبها ما آستُحظيت أو أُلغيتْ
ضجَّتْ منابرُها بدعوتها لكم فلو آدعت بكم النبوَّةَ صُدِّقَتْ
إن صاحبتْ يوما اليكم عاطلا حلَّتْه أو تَفَلَ[5] النواحى عَطَّرتْ
والمهرجان وكلّ يومٍ عادكم فى لطفه مما كستْ أو زَخرفتْ
فتملَّها وتملَّه متلوّةً ومُقابلًا ما كرّ أو ما أُنشِدتْ
حتى ترى الأجداثَ تنفضُ أهلَها والشمسَ فى خضرائها قد كُوِّرتْ

(١) أبعل جمع بَعْل وهو الزوج. (٢) عُذْر جمع عَذراء، وهى البكر. (٣) يذبل: اسم جبل.
(٤) الشروى: المِثل. (٥) التَّفِلُ: المنتن الريح، وفى الأصل "نقل" وهو تحريف.

* * *

قافيـــة الجـــيم

بعـــد خلو حـــرف الثـاء

وقال وكتب بها الى الأســتاذ أبي منصور بن ماسرجيس ، وقد ورد من سفرةٍ كان أبعدَ وأطال أمدَها وآتفق إنفاذُه إيّاها اليه فى المهرجان الواقع فى جمادى الأولى من سنة تسع وأربعمائة

لِمن الحُمولُ سلكن "فَلْجا"(١) يَطْلُعنـــهُ فجًّا ففـــجّا ؟
يخبطنَ بالأيدى الطريـ ـقَ فما يكدن يجدن نَهجا
ســـودٌ بما صبغ الهجـ ـيرُ جلودَهن الحمـرَ وَهْجا
من كلّ حاملةِ الهـلا لِ بنَى عليها البينُ بُرجا(٢)
بيتا يســير وفيـــه قلبـ ـك فهو جسمك خِيل حِدْجا(٣)
لك من وراء سجـوفه ـ ما أوسعَتْها الريحُ فَرْجا ـ
رِخٌ ونصـــــلٌ لا كما سَمَّـــوهما هَيَـــفا وغُنْجا(٤)(٥)
كالبَيْض لم تلُج السما ئمُ كِنَّهنَّ فلُحنَ بُلْـجا
لما أيِسنَ من الظلا م رَفعنَ لى فنظـرنَ سُرْجا
وعلى الطليعـــة فاردٌ(٦) كالرئم خافَ فـــرام مَلْجا
خالستُ قُبلتَـــه الوشا ةَ كما آدغمت الحرفَ دَمْجا
ففتحتُ عن غُرٍّ(٧) تمجّ المســـكَ والصهباءَ مجّا

---

(١) فلج : اسم بلد . (٢) الهلال : ما آستقوس من البعير عند ضمره . (٣) الحدج : مركب من مراكب النساء كالهودج . (٤) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة . (٥) الغنج : الدلال . (٦) الفارد : المتمرّد . (٧) غرّ : بيض .

(٧٣)

لو لم تكن مخلوقةً للرشف لم يُخلقن فُلْجا
ومؤاخذٍ أن حرت يو م وداعه والبينُ يَفجا[1]
لو كان خاصمني بعيـ ـشي وحده كان الأمجّا
وبسيطةٍ دون العلا ءِ نفضتها نشرا ودَرْجا
كبَّفتُ حاجاتي بها مَرِحا يرى التغرير أحجى
وأخٍ صفوتُ كما صفا ومزجتُ لمّا شاء مزجا
رمتُ التمام لوده وأراد إجهاضا وخَدْجا[2]
أمعي هزيلا ثم أن ـت عليَّ إن أُعطيتَ نَفْجا؟[3]
ومفارقٍ لي "كابن عيسى" غَمَّ أيّامي وأدجى
راودتُ قلبي عن نوا ه فكلّما لاطفتُ لجّا
وحَملتُها كالداء أشـ ـرُجُ فوقه الأضلاعَ شَرْحا
متنظّرا هذا الإيا بَ لعُذرها كيّاً ونُضْجا
فإن انتصرتُ بقبره فلقد صبرتُ وكنتُ مُلْجا[4]
أو عُدنَ أيّامي الحسا نُ به فقد أسلفن سُمْجا[5]
يابن الوزارة أشبتْ في بيته وتدا أشجّا[6]
أبلى وأخلق قومُه أثوابها فوُرِثنَ نُهْجا[7]
يتنقلون على مرا كبها فما يضعون سَرْجا
ومشت أمورٌ بعدهم بمعاشرٍ فمشينَ عُرجا

(١) يريد "يفجأ" أي يباغت. (٢) الخدج: إلقاء ولد الدابة قبل أيام تمامه.
(٣) النفج: فخر الإنسان بما ليس عنده. (٤) يريد "مُلجأً". (٥) سمجا: قباحا.
(٦) الأشج: المشجوج الرأس. (٧) نُهجا: بالية.

من آل "ما سرجيس" محـ ـسودُ العـلا يُخشَى ويُرجَى
متقيِّلٌ فى المجـد سُنَّـ ـةَ مغرمين به أَلَجّا[1]
جارِين سـدَّ الجوَّ شَـو طُهُمُ وشـقَّ الأرض رَجّا
فصـلُ الخطابةِ ناطقٌ ما قال إلا كان فَلْجا[2]
مستردفا يـدَه وأخـ ـرسَ عجٌّ فى القرطاس عجّا
كالرمح أُرهِفَ صـدرُهُ وكعوبُهُ نَصْلا وزُجّا[3]
هـذا يمـجُّ بما يَخُـ ـطُّ دَمًا وذاك يَخُـدُّ دَرْجا[4]
مَلَكَ السماحُ يديـه، يَمـ ـرُحُ[5] فيهما العافين مَرْجا
مغـرًى بأثقال النـوا ل يخالها دَيْنًا وخَرْجا
سـوغتنى ودًّا غـبر تُ بَرْنقِهِ[6] غَصَّانَ أَشْجى[7]
وسحـرتنى بخـلائقٍ كنَّ العيون فكنّ دُعْجا
فلتطرقنّـك ما بكر ن غواديا وسرين دُلْجا
زُهرٌ كتابتـه النجو م سوائرٌ يهدِجن هَدْجا[8]
موسـومةٌ بك أنك الـ ـمقصود فيهنّ المُرجّى
ما أُنشـدتْ خِلتَ البرو دَ عُرِضن تَفـويفا ونَسجا
وسـواك يسمعها فيحـ ـزن سمعُهُ من حيث يُشجَى[9]
يـرتاب منهـا بالثنـا ء كأنه بالمـدح يُهجَى

---

(١) أَلَجّ : ركب اللجّة . (٢) الفلج : الاستظهار على الخصم ومنه المثـل « من بأت الحَكَم وحده يفلُج » . (٣) الزجّ : الحديدة التى فى أسفل الرمح . (٤) الدرج : التزام المحجّة فى الكلام . (٥) يقال : مرج الدابّة : أرسلها ترعى فى المرج ومرج بمعنى خلط أيضا . (٦) الرنق : غير الصافى . (٧) أشجى : أغصّ . (٨) يهدجن : يمشين فى ارتعاش . (٩) يشجى : يطرب .

خادعتُــه فأضــرَّ بى غِشى، وكان الصدقُ أنجَى
فتملَّها ما راح ســر رُّ أو رأيتَ البيتَ حُجَّا

* * *

قافيـــة الحـاء

وقال يهنّئ أبا منصور يَزْدَانْفادار[1] بالنيروز

أشوقا ومَن تهوَى خلىُّ الجوانح ؟ لك اللهُ مِن وافى الأمانةِ ناصح!
فما كلّ عهــدٍ بالسليم على النوى ولا كلّ ثاوٍ حافظٌ عهــدَ نازح
حبيبُك من خلَّفتَ بين ضلوعه — وسرتَ — فؤادا لا يلين لكاشح (٧٤)
لمَن منزلٌ أنكرتَه فعرفتَــه وقــد راح أهــلوه بطيبِ الروائح
خليلىَ — والواشون حولى عصابةٌ فمن مُسرفٍ فى لومــه ومُسامح —
أَجِلْ فى جناب الركب طرفَك هل ترى أسِى بارحا أو طائرا غيرَ بارح؟
وخلفَ الستور الرُّقمِ[2] من كان بينُــهُ — على طولِ ما ستّرتُ حبّى — فاضحى
وهبتُ له عينى وقلبى وإنما لعــزّته هانت علىَّ جوارحى
أفى كل دارٍ صاحبٌ أصلَحتْ له الر عايةُ قلبى وهــو لى غير صالح؟
وخاطبُ شكرٍ يُرخص البخلُ مهرَهُ عليــه فيُمسى وهــو ألأمُ ناكح
أهزُّ بعتبى منــه طودا كأننى أريد لأكسو العَيرَ[3] جلدةَ سابح[4]
اذا ما عليــل البخل لم يُبرِ داءَه مخافــةُ هاجٍ لم يُثِبْ قــولَ مادح
بلى! فى فتًى من أسرتى إن شكرتها منــائحُ تُعطيــه حلالا مــدائحى

(١) كلمة فارسية معناها : القاصد وجه الله . (٢) الرقم : التى بها خطوط من قولهم : رقم الثوب أى خططه ومنــه الأرقم وهو الثعبان لخطوط فيــه سوداء و بيضاء . (٣) العير : الحمار . (٤) السابح : الفرس .

هنيئا لكم يا طالبى سيبِ كفِّه أبيحت قَليبا فليفـــز دلوُ ماتح
يُخـــيِّمُ غادٍ للســـؤال ورائحٌ بساحـــةِ غادٍ للسماحـــةِ رائح
صباحُك ــ والنيروز يحلوه فانعمن ــ رأى خيرَ مصبوحٍ، رأى خيرَ صابح
هو الجَذَع(١) فاستقبل به بَكرَ(٢) عامه وإن كان مما كرَّ فى سنِّ قارح(٣)
اذا وجه يومٍ غيره كان عابسا تبسّم عن ساعاتِ أبلجَ واضح
وعش بين جَدٍّ للخطوب محاربٍ حرىٍّ وجدٍّ للســـعود مُصالح
سليما على الأيام طـــرًّا، طِوالُها رقاقُ العشـايا صالحاتُ المفـاتح

* * *

وكان بينه وبين أبى الحسين أحمد بن عمر النَّهْرَوانىّ ــ وهو من الآحاد المعروفين المعدودين فى البغداديّين ــ مودةٌ ترتفع عن حدّ القرابة، ومجانسةٌ ترفع المنافسة، وتسقط المحاسدة، وفضائلُ تستوفيه الأفراح؛ وكان أبو الحسين أخلَّ بعادَته فى مكاتبته، ورأى كتبه عند جماعةٍ من إخوانه، فشقَّ ذلك عليه، واتفق أنه عَقَد لنفسه عَقدَ نكاحٍ بالنَّهروان، فكتب اليه يعاتبه فى الجفاء ويهنئه بالعَقد

لهـا بعد خطوٍ لات حين مَراحِ قضاءٌ بوصـــلٍ غـــدوةً برواحِ
وهل هى إلا رقـــدةٌ فاسمحا بهـا وحســـبكما أن توقظا لسماحِ
وإلا فســـيرُ الريح أسرعُ طِيّـــةً وكم هبَّ لى شـوقٌ هبوبَ رياحِ
أقولُ لهـا ــ والنَّهروانُ طريقُها ــ : هُنـاكَ آسنحى لا زلتِ طيرَ نجاحِ
ألمِّى بهـا فى السّحب ثم تَحفَّـــلى(٤) فسُـــحِى تحيّاتى بأنضرِ ساحِ

(١) الجَذَع : الجديد وهو من البهائم : ما قبل الثنىّ وسكنت الذال للضرورة . (٢) البكر : الفتىّ من الإبل . (٣) القارح من البهائم : الذى آنتهى سنه . (٤) تحفّلى : تجمّعى .

وقولى : سلامٌ "يابن رَوح" تظنُّه صبيبةَ طلٍّ فى صُبابةِ(١) راح
شكوتُ فيالَلشوقِ أين تصبُّرى ونمتُ فيا لَليلِ أين صباحى!
وغرَّك إمساحى فسرّك أن ترى اذا عنَّف المقتادُ كيف جماحى
رعى الله ظبيا سارحا لِىَ رعتَه بنفْرةِ قلبٍ للعُقوقِ مُباح
وتوهَبُ للعذر الصُّراح مودّتى لديك وبعض العُذر غير صُراح
رسائلُ تعدونى وكُتْبٌ تجوزنى ، صداى على ماءٍ يُذادُ قَراح(٢)!
تلوح لعينى كلّما مرّ خاطف بناحيةٍ منها بكت بنواحى
بمن ـ ليتَ شعرى وهى ليتُ تعجُّبٍ ـ يُرَدُّ شبابى إن حملتُ سلاحى
أبِن لِىَ هل جاذبتنى فى مودّةٍ فعيّرتنى يا صاحِ عَيرة صاح
وهل رمتَ أسبابَ السماء لِبغيةٍ فخلّقتَ إلا طائرا بجَناحى
سقى الله نفسى كيف يَكرُمُ عهدُها على نفرٍ ممن أحبّ شحاح
أروم انتصارا منك ثم يردُّنى هوًى لم تدنّسه ملامةُ لاحى
فأغمِدُ فى الودّ الحدادِ(٣) صوارمى وأكسِرُ فى الحبّ السَّداد رماحى (٧٥)
فلا تنكرنْ هذى العوائدَ إنما لسانِىَ سكرانٌ وقلبِىَ صاحى
ولا تُلزمنّى فى العتاب بقيّةً فسادُك فيها فاتكٌ بصلاحى
ولما أتانى ما أقرَّ جوارحى(٤) وأبرأَ من تلك الهَنات جِراحى
خلطتُ التهانى بالتشاكى مُرجّيًا بموضعِ جِدّى أن يكون مزاحى
وبعدُ ! فيا لله أيّة فَرحةٍ تخبّرنى عن أىّ فوزٍ قِداح(٥)!

(١) الصبابة : البقيّة . (٢) القراح : العذب الصافى . (٣) الحداد : ذو الحدّة .
(٤) جوارح جمع جارحة وهى العضو . (٥) القداح جمع قِدْح وهو سهم الميسر .

اذا كانت الجوزاءُ للمشـــترى حُلّى ... وكان قِباحٌ غيرُها لقباحِ
فما آتفق السعدان حتى تكافآ ... أعزُّ بطونٍ(١) فى أعزِّ بِطاحِ(٢)
ولو قيل : غيرُ الشمس سيقت هديّةً ... الى البـــدر لم أفـــرح له بنكاحِ
فأنتم بنـــو مالٍ على الدهر هالكٍ ... وقاءٌ لأعراضٍ عليـــه صِحاحِ
شـــبابٌ مراجيحٌ(٣) تفرّعتِ النُّهى(٤) ... بهم عن شيوخٍ فى النـــدىّ مِلاحِ
تعقّبْ غدًا يُمنا وســـعدا بها " أبا ال ... حسين " وســـعيا مؤذنا بنجاحِ
كأنك بالأشـــبال حولك ربْضا(٥) ... ليـــومٍ رُواء(٦) أو ليـــومٍ كفاحِ
صَـباحا صَباحا ! كُلّ يومٍ بشـارةٌ ... الى سبعةٍ مثـــلِ البـــدورِ صِباحِ

* * *

وقال وأنشدها أبا القاسم بن ممّا فى يوم المهرجان

ما كان ســـهما غار بل ظبيٌ سنحْ ... إن لم يكن قتلَ الفؤادَ فقـــد جرحْ
جلبَ الجمـــالَ يريد أنفسَـــنا به ... ثمنـــا فتاجرناه فيـــه كما آقـــترحْ
أرِجتْ جِنانَ "السفح" فيه بنافضٍ ... رُدنيْـــه عن عَرف الجِنان اذا نفحْ
عَرَقُ المجاســـدِ(٧) فاض ماءُ شـــبابه ... والوردُ أطيب منـــه ريحا ما رشحْ
فى جيـــده الكافورِ سبحةُ عنـــبرٍ ... ما كان أغفلنى وليس عن السُّبَحْ
وأَمَا ومِشـــيتِه — توقّـــرَ تارة ... صلَفا وأحيانا يُجنّ من المَـــرَحْ —
ومَواعـــدٍ لىَ فى خلال وعيـــده ... مَزجتْ بدمع صبابتى دمعَ القدَحْ،
لأشاطرنّ هواه جســـمى إن وفَى ... ولأبخلنّ على العواذل إن سمحْ

---

(١) بطون جمع بطن وهو دون القبيلة . (٢) بطاح جمع بطحاء وهى المسيل الواسع فيه دقاق الحصباء . (٣) المراجيح : الحكماء . (٤) النهى جمع نُهية وهى العقل . (٥) ربْضا : جثمًا . (٦) الرواء : حسن المنظر . (٧) المجاسد جمع مِجْسد وهو القميص يلى البدن .

راحت تعنّف فى الصِّبا : ما آن أن ... يثنيك عن أَشَرِ(١) الثَّنى نَهىُ القَرَحْ(٢)
والخمسُ والعشرون تعذرُ فاسدا ... لو ناهزتْه الأربعون وما صلحْ
منّاك ظنُّك بى غرورا أننى ... أصحو، وفى الظنّ المحالُ المطّرَحْ
كالليث والغمرُ آستغرَّ بثغره ... فدنا اليه فاسئلى عمّا كلَحْ(٣)
"والصاحبِ" آلتمس الغمامُ تشبّها ... بيديه، لا جَرَم آنظرى كيف آقتضحْ
جاراهما ويكاد يغرق فيهما ... بالجود إلا أنه فيه سَبحْ
للعزّ ما منعَ "الحسينُ" فلم تنَل ... كفُّ الزمان، وللمكارم ما منحْ
إن هَمَّ أبصر غايتيه بحزمه ... كالطَّرف يُدرِك نورُه أنّى طَرَحْ
أو جَدَّ فى خطبٍ كفاه ووجهُه ... متبسِّمٌ، فيقول حاسدُه : مَزِحْ(٤)
كم نعمةٍ لم تُلهِه عن عصمةٍ ... وجمادِ عامٍ لم يُعقهُ أن آنفسحْ(٥)
ومدامةٍ عذراءَ بات نديمَها ... وبغارةٍ شعواءَ يومئذٍ صبحْ
رفقا بجرِّبْهُ وقل فى ناره ... إن أُضرِمتْ وقد آشتواك بما لفحْ
وآهتزَّ كلكلُه فكنت سحيقةً ... بددا(٦) فأين يكون ركنك إن نَطحْ(٧) :
بى أنت، ضجَّ السيفُ حتى إنه ... لو كان يومَ يُسَلُّ ذا صوتٍ لَبَحّْ
وشكا جوادُك فى الضوامرِ بثَّه ... لمّا آستراحت وهو تحتك لم يُرَحْ
طِرفٌ تعوّد أنه لو طارد الـ ... ـريحَ الشَّمالَ عليه فارمُه بَطحْ(٨)
وأغرُّ يُسرِجُ(٩) ـ يومَ يُسرَجُ ـ وجهُهُ ... زُهْرَ الكواكبِ قام فيها أو سرحْ

(١) الاشر : البطر . (٢) يريد بالثنى شرخ شبابه وبالقرح كبره . (٣) كلح، يقال : كلح وجهه : تكشر فى عبوس . (٤) فى الأصل : "مرح" وهو تحريف و يعينها قوله فى أوّل البيت "جدّ" . (٥) فى الأصل "إن انسفح" وهو تحريف . (٦) بددا : متفرقة . (٧) هذه الكلمة فى الأصل غير موجودة وقد رجّحناها ليستقيم المعنى و يتّزن الشطر . (٨) يريد بقوله "بطح" : ألق الريح على وجهها وتقدّمها . (٩) يسرج : يضىء .

ومؤدَّبِ الأعضـاءِ لا يهفـــو به جنباه، ما حسَّ[1] الغـلامُ وما مسحْ
فســـواه ما خلع اللجامَ ومدَّ طغـ ـيانا وما منـع الركـابَ وما برحْ
ولك المقـامُ زأرتَ فيـه، والقنـا أجَمٌ[2]، فهان على عرينـك من نبحْ
والرأىُ أعجـــزه الصوابُ فلم يُشِرْ فيـــه سواك ولو أشار لما نصحْ
أمؤاخذى كرما عـــلىَّ قضيتُهُ إن ضاق عنه لسانُ شكرى أو رزحْ[3]
غَفْـرًا متى قصَّرتُ عنـــك فإننى بالمـدح أولَى لو بلغتُـــك بالمِدَحْ
هـــذا ولم تَخفُـرك[4] قدرةُ خاطرى ما جاءه عفـــوا وما فيـــه كدحْ
كم نومةٍ للعاشقين وهبتُهـا ليـلا أراقب ديكَه حتى صـــدحْ
والليـــلة البهـماءُ تُولِد فكرتى غرّاءَ يحســـدها الصباحُ اذا وضحْ
ولأنتَ باستحسانهـا أنطقتـــنى وشرحتَ بالإكرام صدرى فانشرحْ
ونســـيتَ ما أعطيتَنيه وفيهـــمُ ـ حاشا سماحك ـ مَنْ اذا أعطى لَمَحْ
فلغـــيرك المتسهِّلُ المبذولُ فى آســـ ـترخاصـه ولك الغـــرائبُ والمُلَحْ

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى عيد الأضحى

لمَن الحُمول بجوّ "ضاحى"[5] من باكرٍ غَلَسًا[6] وضـاحى
مِثـــل الأَداحِى[7] تحتهـا أمثـالُ أُمَّاتِ[8] الأداحى
يحملن أفـارا حَمَـ ـلن السـقمَ فى مُقَلٍ صحاحِ
من دون أطراف الحـديـ ـث لهنّ أطـرافُ الرماحِ

(١) يقال : حسَّ الدابة : نفض التراب عنها بالمِحسَّة وهى آلة ينفض بها الغبار . (٢) الأجم جمع أجمة وهى الشـجر الكثير الملتفّ . (٣) رزح : أعيا . (٤) لم تخفرك : لم تُوفِك . (٥) ضاحى : اسم موضع . (٦) الغلس : ظلمة آخر الليـل . (٧) الأداحى جمع أدحيّة وهى بيض النعام فى الرمل . (٨) أمّات جمع أمّ .

مَن مخبرى عن رائحـ ـين نكرتُ بعدهُمُ مراحى ؟
هيهات لو صدق الدلي ـلُ سألتُ ليلِي عن صباحى
والنجمُ يحمل كأسها منها الحبابُ بغير راح
حَظَرَ الكرى مَنْ لا يُطا ع سواه فى حَظْر المباح
راضٍ اذا سفك الدما ءَ بما تقلَّد من جُناح
كَثُرَ الملاحُ وما له مِثْلٌ بإقرار الملاح
بأبى ثناياه لقد غولطتُ عنها بالأقاحى
غَلَطَ المُقايِس بابن "أيـ ـوبَ" السحابةَ فى السماح
"ومحمدٌ" أزكى نسيـ ـمَ ثرًى وأندَى بطنَ راح
وأعمّ حين يخصّ جو دُ الغيث ساحا بعد ساح
طالت به عينٌ الى الـ ـعلياء واسعةُ الطاح
ويدٌ تقلِّبُ أنملا تٍ مكارمٍ سُبُطٍ(١) سِجاح(٢)
لم تدرِ أنّ اللهَ خا لقُ هذه الأيدى الشحاح
من معشرٍ يتذمّمو ن المال ليس بمستباح
لا يُطعَمون مع العشـ ـيّ حلاوةَ النَّعمِ المُراح
فاذا تزاحمت الوفـ ـود على بيوتهم الفِساح
يَسَروا(٣) فكان لمن يفو ز بضيفه فوزُ القِداح
فى عِرضهم سَرَفُ القِصا صِ(٤) وما لهم هَدرُ الجراح

---

(١) سبط : من قولهم فلان سبط البنان أى كريم وهو من باب الكناية نقيض قولهم : جعد الكف كناية عن البخل . (٢) سجاح : لينة سهله . (٣) يسروا : لعبوا بالقداح .
(٤) السرف : الإفراط ومجاوزة الحدّ فى القصاص ، وفى الأصل هكذا رسما وشكلا "شَوْفُ العصاصِ".

فاذا ٱنتضَـوا زُبَرَ الصحا ... ئف ثلَّموا زُبَرَ الصِّـــفاح
واذا قِيامـــةُ ســـؤدُدٍ ... كذَبتك فى الصُّوَر القباح
بلَجوا عـــلى ضوء الصَّبا ... ح ببهجة الغُـــرر الصِّباح
لبّيك عـدةَ ما ٱكتسبـ ... ـتُ وقد دعوتُك من صلاح
وضممتنى والدهـــرُ مجـ ... ـتمعُ الصروف على ٱطراحى
واذا شهرتُ عليـــه سيـ ... ـفا عاد يُدمينى جِـــراحى
قد كنتُ مقترِحا لفـا ... ء بك الزمانُ عـلى ٱقتراحى
لا توسـعنِّى من نوا ... لك فوق ما يَسَعُ ٱمتداحى
دعـــنى أطيرُ بشكره ... ما دام يحملنى جَناحى
فى كلّ شـاردةٍ مبا ... عِـدةِ الغـدوِّ مع الرواح
بِكرٍ وَلودٍ من بنا ... تِ الناتجات بلا لقاح
أحبُـوك منها كلَّ عيـ ... ـد بالخـريدةِ (١) والرَّداح (٢)
تصـف اللطائمُ (٣) طيبَهـا ... من طيبك الشرف الصُّراح
ما كُسِّرت رُجُمُ الحِمـا ... رِ وسُوِّقت بُدُنُ الأضاحى

* * *

وقال يرثى الرئيس أبا الحسن بن محمد بن الحسن الهُمَانىّ الكاتب، وكان بقيّة الأعيان فى صنوف الفضـل، وواحد الزمان فى كمال الأدب، وممن أوجب عليه حقوقا فى المودة، وٱتخذ عنده حرمات من التفقّد والمراعاة، وتوفّى فى رجب سنة ثمان وأربعمائة، ودفن فى مدينة المنصور

(١) الخريدة: العذراء. (٢) الرداح: المرأة الثقيلة الأوراك، وثقل الأوراك من صفات الحسن فى النساء. (٣) اللطائم جمع لطيمة وهى: الجفة المسك أو المسك نفسه أو العير التى تحمل الطيب.

أُغَشُّ بآمالى كأنّى أُنصحُ ... وأبقَى لأشقَى بالبقاء وأفرحُ
وأصبو الى وجهٍ من الدهر مسفرٍ ... ضحوكٍ، ووجهى فى الخمار مكلّحُ
ويعجبنى إملاء يومٍ وليلةٍ ... وما الموتُ إلا غايةٌ أو مصبّحُ
مَطلتُ بدَينى والغريمُ مصمِّمٌ ... وأحسنتُ ظنّى والمسيءُ مصرِّحُ
تُدَمِّى المنايا الناسَ حولى وإنما ... دمى ذاك فى أثوابهم يتنضّحُ
وأسلو اذا أبصرتُ جِلدىَ أملسا ... وما صحّةٌ فى الجلدِ والقلبُ يُجرَحُ!
اذا مرَّ يسنقرى مَن الهالكُ الردَى ... يميِّلُ فى أبنائه ويرجِّحُ
تطامنتُ أرجو ان أفوتَ لحاظه ... فأخفَى وعينُ الموت "زرقاءُ" تلمحُ
وقد غرّنى ليلُ الشباب فأين بى ... أضلَّ وفجرُ الشيب عُريانُ مصبِحُ؟
وأقرب شىء من قضيبٍ جُفوفُهُ[1] ... اذا الورقاتُ الخُضرُ ظلّتْ تصوَّحُ
تتيَّمَ بالعُمرِ الجذاعُ[2] وخانهم ... فما لىَ أرجو ودّه حين أنزحُ
وقد كان قدّامى مدًى منه يُرتجَى ... هو اليومَ مُلقًى من ورائى يُطرَحُ
حسوتُ بمُرِّ الدهر حبّا لحلوه ... فطورا يُصفّى لى وطورا يُصبِّحُ
اذا برَّنى فى صاحبٍ بزَّ صاحبا، ... أغنّى بشعرى تارةً وأنوِّحُ
أبيحُ الترابَ أوجها كان مُسخطى ... على الشمس منها الساهمُ[3] المتلوحُ[4]
وأحثو بكفّى أو أشقُّ حفيرةً ... يُهال على قلبى ثراها ويُضرَحُ
ترى الحق مطروفا وتعشى لواحظٌ ... يراقصها هذا السرابُ الملوِّحُ
يودُّ الفتى أن البسيطةَ دارُهُ ... وما فوقها مالٌ عليه يروَّحُ
وسيعةُ بطنٍ جلَّ ما هو مُحرِزٌ ... ومطرحُ جنبٍ جَهدَ ما يتفسّحُ

(١) الجفوف : اليبس . (٢) الجذاع جمع جَذَع وهو الشاب الحدث . (٣) الساهم : الذى تغيّر لونه وبدنه مع هزال . (٤) المتلوح : الذى تغيّر لون وجهه .

تبايعنا الدنيا مُنًى بنفوسنا ... فتوكسُ غَبنا والمُبايع مُصلِحُ
فلا نحن من فرط الخسارة نرعوى ... ولا هى ترضى فرطَ ما هى تَربَحُ
فما لكِ يا دنيا وأنتِ بطينةٌ ... ونحن نِماصٌ تبخلين ونسمحُ!
ألا طرقتْ لا يملأ الليلُ صدرَها ... ولا تتحاشى صارخا حين تَصْبِحُ
مغلغلةً لا طودَ يعصمُ ما ٱرتقت ... ولا موئلٌ من حيث تهبِطُ أبطحُ(١)
وَصولًا الى البيت الذى تستضيفه ... ولا مُوقِدٌ يُورِى ولا كلبَ ينبحُ
لها من قِرًى ما ٱستصلحتْ وتخيَّرتْ ... حشايا(٢) تُوَطَّى أو صفايا(٣) تُذَبَّحُ
أصابت صريحَ المجد من حيث ينتمى ... وغضّت لحاظَ الفضل من حيث تطمحُ
وحلّت فحكّت بَرْكَها(٤) من "محمدٍ" ... بجانب ركنٍ لم يكن قبلُ يُنطَحُ
قويمٌ على عرك الخطوب، فما له ... وقد زحمته زحمةٌ يتطوَّحُ!
سلا مُقعصَ الأقران: من أىِّ طعنةٍ ... تَقَطَّر عن ظَهر الكفاية يُطرَحُ؟
وقاطِعَ مَتْناةِ الحبال حرانُهُ: ... بأىّ زمامٍ قِيدَ يعنو ويُسمِحُ؟
ومَن هُزَّ من بين الوسائد طودُه ... وفى دسته "ثهلانُ"(٥) لا يتزحزحُ!
وقولا وإن لم يخرق التربَ صائحٌ ... اليه ولم يفهم صدَى الأرضِ موضِحُ:
"أبا حسنٍ" أمّا الرجاءُ فخائب ... وأما الرجا فيما نعاك فمنجَحُ
حملتُ الرزايا جازعا ثمّ صابرا، ... على ذاك حسنُ الصبر بعدك يقبُحُ
وواصلتُ من أحببتُ ثم فقدتُه ... فما نازلٌ إلا وفقدُك أبرحُ
ذكرتُك إذ غَصّ الندىُّ فلم يُشرْ ... نَصيحٌ ولم ينطق لسانٌ مُفَصِّحُ

---

(١) الأبطح: المسيل الواسع فيه دقاق الحصى كالبطحاء. (٢) حشايا جمع حشيّة وهى الفراش المحشو. (٣) الصفايا جمع صفيّة وهى الناقة الغزيرة اللبن المصطفاة. (٤) البَرْك: الصدر. (٥) ثهلان: اسم جبل.

ولا أضمرتْ صدقا مَعاقدُ حبوةٍ جثا بفخارٍ ربُّها يتبجَّحُ
وقد غاض بحرٌ كان فكرك مدَّه وأرتجَ بابٌ كان فى فيك يُفتَحُ
وقد جاء نجمٌ من جُمادَى بليلةٍ بليلٍ يرى الطولُ أن ليس تُصبحُ (٧٨)
يسائلُ عن اطناب بيتك ضيفُها ردائدَ خطفِ البرقِ فيا تُلوِّحُ
تعيَّفَ(١) طيرا بارحاتٍ يسرنَه(٢) بفقدك قد كانت ميامينَ تَسنحُ
فبات صعيدُ الأرضِ والريحُ زادُهُ شقيًّا بما يَسافُ أو يتنفَّحُ
بليلةِ بؤسٍ فات مُعتامَها القِرَى كما فاتها منك المصلِّ المسبَّحُ
وللأمرِ كنتَ الليثَ إما حفظتَهُ تعاوَتْ تعاطاه ثعالبُ تَضبحُ(٣)
رُعى بعدك الشِّقُّ الذى كنت حامياً له وعتا الخَرقُ الذى كنت تَصبحُ(٤)
وخُلِّىَ للعجزِ التنافسُ وٱستوى على الجهلِ سَرحٌ سائمٌ ومُسَرَّحُ
وقام رجالٌ كان فضلُك مقعِدا لهم فتراءوا للعلا وترشَّحوا
بلا عائبٍ تُزرى على سيئاتهم محاسنُه، والنقصُ بالفضلِ يُفضَحُ
إن حَرَصوا فيما عَمرت تعافُه فربَّتَ ساعٍ للدنيّة يكدحُ
تمالَوا على ما كنتَ تأباه أوحدًا ومَنُّوا بما ٱستضعفتَه وتمدَّحوا
وما ٱزدحموا أن القذى بعدك ٱنجلَى عن الماء لكن يشربون وتقمحُ(٥)
فداكَ ـ وهل حىٌّ فداءٌ لميّتٍ ـ ؟ قصيرُ الخطا يكبو بما كنتَ تجمحُ
تعجَّبَ لمّا ساد من حظِّ نفسه، وقد يُدرِك الجَدُّ الدنىَّ فيُفلِحُ
ولمّا رأيتَ الدهرَ ضاقت ضلوعُه بحملك وهى للئام تَفسَّحُ
أنفتَ من الدنيا الذليلةِ عارفا اذا عيشةٌ ضامتك فالموت أروحُ

(١) تعيّف : زجر . (٢) يسرنه : جئن من جهة اليسار . (٣) تضبح : تصوّت .
(٤) تنصح : تخيط . (٥) تقمح : ترفع رأسك كرها للماء .

وذكّرنيـــك الودُّ أحليتَ طعمه ... وأصفيتَ فهو الآن يَقذَى ويَملَحُ
ضَربتُ عن الإخوان صفحا مؤملا ... بأن الردى لى عنـــك وحْدَك يصفحُ
وأغنيتنى ودًّا ورفـــدا بحاجـــةٍ ... من اليـــوم ما أرتادُ أو أتمنَّحُ
أعلّل نفسى عنـــك لو أن مُسقَما ... يُفيق بنوعٍ من جوًى أو يُصـــبَّحُ (١)
وأرقَعُ أيّامى أروم صـــلاحَها ... وقد فسد العيشُ الذى كنت تُصلِحُ
سألتُ بك الأيّام أرجـــو مســـرّةً ... فلما أَبت إلا الـــتى هى أتـــرحُ
ضحكتُ الى ناعيـــك أحسب أنه ... ـ وقد جَدَّ ـ إكبارا ليومك يمـــزحُ
عفا ربعُ أنسى منك ضيقا، وما عفا ... بساحـــةِ قلبى مـــنزلٌ لك أفيحُ
به ساكنٌ من طيبِ عهـــدك عامرٌ ... يُريح عَزيبَ الحُزن من حيث يَسرحُ
اذا ذبَلَت فيـــه على الصـــبر جمرةٌ ... نمودا وَرَى زندٌ من الذِّكر يَقـــدَحُ
وذاك اللسانُ الرَّطبُ لا زال فى فمى ... هو اليومَ يرثِى، مثـــلَه أمسِ يَمدحُ
يقول وإن لم يُغنِ عنك وإنما ... مـــلأتَ إناءً نعمـــةً فهـــو يرشَحُ
ولو رُدَّ قبلى الموتُ بالشِّـــعر أو مضى ... شَبا لَسِنٍ أو عاش فى الدهر مُفصِحُ
نجا لائذا بالعـــزّ فى غـــير قومـــه ... ـ وقد سبق الناسَ ـ الغريبُ المقرَّحُ (٢)
ومســـتنزلُ "النعمان" (٣) عن سطواته ... بما يَنتـــقِى من عِذرةٍ (٤) ويتقّحُ
و"عُروةُ" (٥) لم يُصغِ الردى لنسيبه ... ولم يُعطَ فى "قيسٍ" (٦) مناه "الملوّحُ" (٧)
وغيرُ "غيلانَ" (٨) المهارى بعَنسـِـه (٩) ... فلم تُنجه من عَدوة الموتِ "صيدحُ" (١٠)

(١) يصبَّح : يُسقَى الصبوح . (٢) يشـير الى امرئ القيس وكان يقال له : ذو القروح لأن قيصر ألبسه قيصا مسموما فتقرّح جسمه ومات غريبا "بأنقرة" وفى ذلك يقول

أجارتنا إنا غريبان ههنا ... وكلّ غريب للغريب نسيب

(٣) يشير الى النابغة الذبيانىّ حين هجا النعمان بن المنذر ثم عاد اليه معتذرا . (٤) العِذرة : المعذرة .
(٥) عروة بن حزام هو أحد العشاق الذين قتلهم العشق . (٦) اسم مجنون ليلى . (٧) اسم أبى مجنون ليلى . (٨) غيـــلان : اسم ذى الرمّة الشاعر . (٩) العنس : النـــاقة القوية .
(١٠) صيدح : اسم لناقة ذى الرمّة .

ولكنه شَـرطُ الوفاء وغُمّـةٌ على الصـدر بٱستخراجها أتروَّحُ
ذممتُ فؤادى فيك والحـزنُ محرقٌ وعاتبتُ جفنَ العـين والدمعُ مُقرِحُ
وما عجبٌ للدمع أن ذَلَّ عـزُّه فما جَـمّ إلا أنه لك يُـنزحُ
وأقسمُ ما جازاك قلبٌ بما طوَى غليـلا ولا قـولٌ يطولُ فنشرحُ
ولا كان فى حكم الوثيقة أن أرى عليـك الثرى كَلًّا وجسمِىَ رَيِّحُ
وما أنا إلا قاعدٌ عن فضـيلةٍ اذا قمتُ فيها مائـلا أتـرنّحُ
سقاك — وإن كان الثرى بك غانيا عن السـحب — غادٍ بالحيا متروِّحُ
حَمولٌ[1] لماء المزن تطفو لصوبه فـواغرُ أفواهِ الحـواءِ فتطفَحُ
اذا خار ضعفا أو تراخَى حَـدتْ به مَواقرُ[2] من نوءِ السماكين دُلَّحُ[3]
يُخفِّـلُ طـردُ الريح فيها كأنها سـفينٌ جَوارٍ أو مَراسـيلُ[4] جُنَّحُ
شجاعٌ كأنتَ أو جـوادٌ بمائه فإن عاقه ضنٌّ فعينىَ تَسـفَحُ
ليعـلمَ قـبرٌ بالمـدينـة أننى من الغيثِ أَوْفَى أو من الغيثِ أَسمَحُ

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى المهرجان يهنّئه به (٧٩)

أمرتُكمُ أمرى "بنَعمانَ" ناصحـا وقلتُ : ٱحبسوها تلحقِ الحىَّ رائحا
فـاريتمونى تخبُرون ٱجتهـادَها فأُبتم بلا حاجٍ وأُبنَ[5] طلائحا
وقد صدَقتنى فى الصَّبا عن مكانهـم أخابـيرُ[6] أرواحٍ سبتنى نـوافحا
كأنّ الثرى من طيبها فَتَّ فوقه مجيزون من "دارِينَ"[7] فأرا فوائحا

(١) فى الأصل "حموك" . (٢) مواقر : مثقلات . (٣) دلّح جمع دالح وهو السحاب الكثير الماء . (٤) مراسيل جمع مرسال وهى الناقة السهلة السير . (٥) الطلائح جمع طليحة وهى الناقة التى أعياها السير . (٦) خبر جمعه أخبار وجمع الجمع "أخابير" . (٧) دارين : فُرضة بالبحرين يُجلب اليها المسكُ من الهند .

لقاءٌ على "نَعمانَ" كان غنيمةً ... وهيهات يدنو بعـد أن فات نازحا
حَمَى دونه حَرُّ "السماوة" ظَهـرَها ... وعبَّس وجها ناجرٌ(١) فيـه كالحا
الى الحول حتى يشربَ القيظُ ماءهم ... "بنجدٍ"(٢) وإما يسلخون البوارحا
لعلّك فى إرسالِيَ الدمـعَ لائمٌ ... وقد عطَف النـاسُ المطيَّ جوانحا
نعم ، قد تجزّعتُ الدموعَ عليهـمُ ... عِذابا وأقرحتُ الجفونَ الصحائحا
وما قلتُ : غاضت بالبكاء ركِيَّةٌ(٣) ... من العين إلا أَرسلَ الشـوقُ ماتحا
فهل ظبيةٌ "بالغور" يَجزِى وفاؤها ... هوًى لم يُطِعْ فيها على النأى كاشحا؟
اذا اعترضتْه من سلوٍّ معوضةٌ ... مَحاسنُ فى أخرى رآها مَقابحا
ومن أين يَنسَى من يَرَى الغصنَ مائلا ... مثالَكِ والظبيَ المـروَّعَ سانحـا!
أرى عينه عينيك و"الغـورُ" بيننا ... فأَدمَى، لقد أبعـدتَ يا سهمُ جارحا!
يعنِّفُ فى حُبِّ البـداوة فارغٌ ... من الوجد لم يَقْرِ الغـرامَ الجوانحا
فياليتَ لى من دار قومى وأسرتى ... جـوارَكِ رَوّاحًا عليكِ وصابحـا
ومن تُرَّهاتِ(٤) الريف أرضا قطنتُها ... من الجـدب فيها يأكلون النواضحا(٥)
اذا ما شربتُ الوصـلَ عَذبا مرقرَقا ... بها لم أعَفْ أن أشرب الماء مالحـا
دعُونى "ونعمانَ الأراك" أروده ... يجاوبُ صـوتى طيرَه المتنـاوحا
عسى سارحٌ من دار "ميَّةَ" يامنٌ ... يُقيِّضُ لى عن شائمٍ طار بارحا
سقَى ما سقَتْ خدّى الدموعُ الحيا الغضا ... بواكرَ من جمّاته وروائحـا
فكم ليـلةٍ فيه نضوتُ حميـدةٍ ... وألبستُ يوما بُرقُعَ العيشِ صالحـا

(١) يقال "لصفر" ناجر: وهو الشهر الواقع فى صميم الحرّ، وفى الاصل "ناجز" (٢) البوارح جمع بارح وهى الريح الشديدة الباردة . (٣) الماتح : الذى يستق وهو على رأس البئر . (٤) التّرّهات : الطرق الصغار تتشعب عن الجادّة واحدتها تُرَّهة . (٥) النواضح : الإبل التى يُستقَى عليها ، واحدها ناضح .

وهمٍّ ترى القلبَ الرحيبَ وراءه ... من الضيقِ لهفا يستعيبُ المَراوحا (١)

تلطَّفتُـــه (٢) حتى وجدتُ مَفـارجا ... لصـدرِيَ من غُمّاته ومَسارحا

وبحرٍ من الآل الغَـــرور محرَّمٍ ... ركبتُ له من سير "لاحقَ" (٣) سابحا

الى حاجةٍ فى طُرْقها الجِـــدُّ كلُّه ... فأدركتُها جذلانَ أُحسَبُ مازحا

ومضطغِنٍ (٤) أن قدَّمتنى زوائدٌ ... من الفضل أخفَتْه وقد كان واضحا

يعـــيّرنى الحِدْثانَ وهو أعزُّ لى ... كفى جَذَعا أن فاتَكَ الشـوطَ قارحا

وهل ضائرى شيئا ـ اذا مجئتُ آخرا ـ ... تأخُّرُ مِيـــلادى وقـــد جئتُ فاصحا

وهَرٍّ فلم يُطـــرَدْ فعضَّ سفاهـةً ... وعقـــرُك لى أنى حقَـــرتُك نابحا

وزَنتُ بحلمى جهـــلَه لا أجيبـــه ... فلله منَّا مَن تمكَّن راجحا

وعجماءَ من وحش القوافى خدَعتُها ... ولم تُعطِ قبـــلى جِلدَها قطُّ ماسحا

خطبتُ اليها عُـــذرَها فتحلّلتْ ... وكانت حـــراما لا تلامس ناكحا

وعادتُها فى المـــدح ألا أذبلها ... ولكنَّ قوما يكرمون المـــدائحا

تمنّى بنى "عبد الرحيم" ومجـــدَهم ... رجالُ أمانٍ لم يقعن نجائحا

وريمـــوا، فما حَطَّ الثريّا لباعه ... فتًى ظنَّها كفًّا فمـــدَّ مُصافحا

كرام مضـــوا بالجود إلا صُبابةً ... أعاروا نداها الهاطلاتِ السوافحا

لهم من تليـــد العزّ ما يدّعونه ... اذا خِفْتَ فى دعوى الحسيبِ القوادحا

اذا نشَروا الأغصانَ من شجراتهم ... على ناسبٍ عُـــدُّوا الملوك الجحاجحا

تواصَـــوا فطابوا فى الحيـاة وأُكرِموا ... نفوسا وطابوا ميّتين ضرائحا

---

(١) المراوح : المفاوز تخـــترقها الرياح واحدتها مَروحة . (٢) تلطفته : ترفقت فيه .

(٣) لاحق : اسم فرس معروف عند العرب . (٤) المضطغن : الحاقد .

وأخفى "الحسينُ" خطفَهم[1] بشُعاعِه ... كما أخفت الشمُس النجوم اللوائحا
فتًى لا يريد المجـــدَ إلا لنفســه ... ولا المـالَ إلا قسمةً ومَنائحا
ينـازع أزْماتِ السنين بأنمِلٍ ... جوابرَ للأحوال تُســمَى جوارحا
أنامل من يُسِر اذا ما أدارها ... على مغلَقاتِ الرزق كنَّ مَفاتحا
أقام على وجه الطـــريق بوجهـــه ... مجيرَ النهـار عاقرَ الليـــل ذابحا
بحيث الســـماح لا يخيِّبُ سائلا ... وحدُّ الصفاح لا يخيِّنَ صائحا
اذا عجـــزتْ يوما مواعظُ صفحه ... عن الأمر ولّاه القنـا والصفائحا[2]
ويأبى فيأتى مَشـــرعَ[3] الدمِ واردا ... حريصا ويأتى مشرعَ المـاء قامحا[4]
يصيب بأطراف العـــوالى مُحـاربا ... عِداه، وأطـــرافِ الكلام مُصالحا
اذا هزَّ رمحا طاعنا خِيـــلَ كاتبـا ... سَدادا، وطِرسًا كاتبـا خِيلَ رامحا[5]
أقـــول لأيّامى وهن عواثر ... بحظّى: لَعًّا، قد أدرك الذنبُ صالحا
اذا "الصاحبَ" آستبقيته لى ورهطَهُ ... فمِّرى بقـــومٍ طائراتٍ طوائحا
أذقوا على الآمال لى وتعاقـــدوا ... على رَقْع خَلَّاتى أكفًّا نواصحا
عَبرتُ زمانا أمنع النـاسَ مِقـــوَدى ... حَرونا الى غير المطـامع طامحا
أَعِزُّ فلا ألقى آبنَ مالٍ مؤمِّـــلا ... لمـالٍ ولا يلقـانِى الدهرَ مادحا
مع النـاس حُرًّا خاطرى، غير أنهـم ... بأخلاقهـــم يستعبدون القرائحا
وما كنتُ فى طرد الخطوب يُمنهـم ... بأوّلِ داجٍ يستضىء المصابحا
بك آعتدلتْ حُوشيّةٌ من تصعّبى ... وراخيتَ من أنسى فأصبحَ سارحا[6]
صَحِبتُك لم يَمسحْ عِذارى ســـوادُه ... وها أنا قد غطّى ســـوادى المسائحا

(١) يريد خطفهم الأبصار بضوئهم . (٢) الصفائح جمع صفيحة وهى السيف العريض .
(٣) المشرع: المورد . (٤) القامح الذى يرفع رأسه عن الماء كرها له وقد تقدّم . (٥) الرامح : ذو الرمح . (٦) المسائح جمع مسيحة وهى شعر جانبى الرأس .

وسدّيتُ[1] عندى نعمةً ليس ناهضا ... ثنائى بها ما لم أجدك مُسامحا
فكن سامعا فى كلّ نادى مسرّةٍ ... شواردَ فى الدنيا ولسن بوارحا
حواملَ أعباءِ الثناء خفائفا ... صعدن الهضابَ أو هبَطن الأباطحا
يَرَى المفصِحُ المفتونُ عُجْبا بشِعرِه ... لها ناقصا ما سَرّه منه رازحا
اذا قمتُ أتلوها ٱقشعرَّ كأننى ... تلوتُ مَزامِيرا بها ومَسابحا
تزورك ، لا زالت تزور بشائرا ... يسوق التهانى وفدُها والمَفارحا
يضُمُّ الزمانُ شملَ عزِّك نظمَها ... ويطرحُ مَن عادَى علاك المَطارحا

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ الرئيس أبى منصور بن ماسرجيس يهنّئه بالمهرجان الواقع فى سنة إحدى عشرة وأربعمائة، ويعتذر له ويعرِّض بذكر قومٍ يحسدونه على الشعر ويغتابونه

أيا ليلَ "جوٍّ" مَنْ بشيرُك بالصبح؟ ... وهل من مَقيلٍ بعدُ فى ظُلَل الطَّلح[1]؟
وماؤكم ٱستشفيتُ "زمزمَ" بعده ... فما بَرَدَتْ لُوحى[2] ولا رفَدتْ جُرحى
سَرقتُ على سؤرِ[3] البخيلة نهلةً ... بها لم أكن أدرى أأُسكر أم أُصحى؟
قضت ساعةً "بالجوّ" أن ليس عائدا ... بها الدهرُ فى يومٍ بخيلٍ ولا سمحِ
فما لكَ منها غيرُ لفتةِ ذاكرٍ ... اذا قلتُ: بَلَّتْ، أوقدتْ لوعةَ البَرْحِ[4]
أيا صاحِ، — والماشى بخيرٍ موفَّقٌ — ... ترنَّمْ "بلَيلَ" إن مررتَ على "السفحِ"
وقامرْ بعينى فى الخليط مخاطرا ... عست نظرةٌ منها يفوز بها قِدحى
وسلْ ظبيةَ الوادى : أأنتِ أم التى ... حكتكِ على قلبى بلحظتها تُنحى؟

(١) سدّيت بمعنى أسديت . (١) الطلح : شجر عظام من العضاه واحدتها طلحة .
(٢) اللُّوح : العطش . (٣) السؤر : الحوض . (٤) البرح : شدة الأذى والمشقة .

رَمتْ بفنَت وٱستصفحتْ، هى عامدٌ ألا أين جُرم العامدين من الصفح!
وليـلٍ لبسناه بقـربك ناعمٍ بطائنَ ما بين القلائد والوُشح (١)
ويُضحى ويُمسى ضوءُ وجهك بيننا سراجا، وضوءُ البدر يُمسى ولا يُضحى
ولما ٱستوى قسمُ الملاحة فيكما تكلّمتِ حتى بان فضلُك بالمِلْح (٢)
تذمُّ ٱطراحى وُدَّ قـومٍ ومدحَهم وما مسَّها حملى الهـوانَ ولا طرحى
تعاوت على سَرح القريض تقصُّـهُ ذئابٌ لها من عجزها نَقْـدُ السَّرح (٣)
تَجانَفُ عن حُاوِ الكلام وصفوِه اذا ولِعت جهـلا وتكرعُ فى المِلح (٤)
اذا كان للتقبيل والشمِّ أصبحت تماضغه ما بين أنيابها القُلْح (٥)
ترى كلَّ علج يحسبُ المجـدَ جَفنةً تُراوحُ أو قَعْبا يخمِّـرُ للصَّبح (٦) (٧) (٨)
اذا رشَحت من بَهْـرِه وٱنتفاخه أياطـلُه ظنَّ الفصاحةَ فى الرشح (٩) (١٠)
اذا معجزاتُ الشـعر عارضن فهمَه حَلبنَ بكيئا لا تدرُّ على المسح (١١)
لكلِّ غريبٍ نادرٍ فى فـؤاده وأحقادِه فعـلُ النكاية فى القَـرْح
اذا الغيظُ أو جهـلُ الفضـيلة عاقه عن المـدح فى شىء تجمّـلَ بالقَدح
وكم دون حُرّ القولِ من جِنح ليلةٍ اذا أظلمتْ لم يورِ فيها سوى قَدحى
وقافيـةٍ باتت تحارب ربَّها فنازلتُها شيئا فألقت يدَ الصـلح
وصلتُ اليها والأنابيبُ حولها تَكسَّرُ لمّـا كنتُ عاليـةَ الرمح
اذا شئتَ أن تبلو ٱمرأً أين فضـلُهُ من النقصِ فاسمع منه إطرائى أو جَرحى

(١) الوشح جمع وشاح وهو معروف . (٢) الملح : الحُسْن . (٣) النَّقد : صغار الغنم .
(٤) الملح نير العـذب . (٥) القُلح : جمـع قلحاء، وهى السنّ التى يعلوها صفرة أو خضرة .
(٦) العلج : الرجل الضخم من كفّار العجم . (٧) الجفنة : أوسع القصاع . (٨) القعب : القدح الضخم، والصبح : شرب الصبوح . (٩) البهر : انقطاع النَّفَس من الإعياء . (١٠) الأياطل جمع أيطل وهو الخاصرة . (١١) البكىء : الناقة أو الشاة التى قلّ لبنها .

وكم ملكٍ لو قد سمحتُ أريتُـــه بوجهٍ قريضي طلعـــةَ النصر والفتح
اذا ما ترامت عاليـاتُ المنى به بعيـــدا تمنّى موضعَ النجم أو مدحى
وخِلٍّ أتى من جانب اللين عاطفا فياسره عُودي ولانَ له كَشحي
وفَـــرتُ له قِسما كفَاه وزادَه فمـالَ به الإسـفافُ في طلب الرِّبحِ
وساومَ غيري المدحَ يُرخص عرضَهُ فلم يُغنني بخلي عليـــه ولا شُحّي
فأصبحتُ كالبيضاء ضرّت فغاظها بســوداءَ والعجزاءِ غارت من الرُّسْحِ (١)
ولكنّ "ما سرجيسَ" من لا تردُّه عن الجِدِّ حنّاتُ الطبـاعِ الى المزحِ
ولا تُقتضَى ممطولةُ الحقّ عنـــده ولا يُكسَبُ الإنصاف بالكدّ والكدحِ
اذا نال بيضـاتِ الأنوقِ ميسّرا له وَكرُها لم تَسبِه بَيضةُ الأُدحي
كريمُ الوفاء أملسُ العـرض طاهرٌ اذا دَنَسُ الأعراضِ عـولج بالرَّضحِ (٢)
تضيقُ صـدورٌ بالحطوب وصـدرُهُ الى فُرُجاتٍ من خلائقـه فُسْحِ
يُشـــير بصغرَى قولتيه فيُكتفَى بها، وذُبابُ (٣) السيفِ يَقطعُ بالنفحِ (٤)
غزير اذا آستملى البـــلاغةَ فكرُهُ ســق بقليبٍ لا يُغـــوَّرُ بالـــترحِ
تدبَّرَ من بيت الوزارة باحةً له السبق فيها، والجِـذاعَ من القُرْحِ
اذا زلِقتْ يوما بأقـــدامِ معشرٍ فمالت مشَى فيها قويما على الصَّرحِ
أُخذتم بأحقادٍ قـــديمٍ وَقُـــودُها عليكم ونارُ الضِّغنِ تُحرِق باللفحِ
وغاظت علاكم حاسـديكم فنفَّرتْ (٥) فُـــوقَ كُبودٍ لا تُعالجَ بالنَّضحِ
وجوهٌ اليكم ضاحكاتٌ وتحتهـا دخائلُ نيّـاتٍ معبَّسةٍ كُلْحِ
ودِدتُكَ لم أذخر هـــواكَ نصيحةً أروح بهـا ملء الفـــؤادِ كما أُضحي

(١) الرسح جمع رسحاء، وهي القليلة لحم العَجُز . (٢) الرضح : القليل من العطيّة . (٣) ذباب السيف : طرفه . (٤) النفح : الضرب الخفيف . (٥) في الأصل "وغاضت" .

حببتُكَ من سَلمى وأغدو بشفرةٍ ... على عُنْقِ مَن أبغضتُ مِن مَنطق أُنحى
وكم من فتاةٍ قـــد منحتُك رقَّها ... على العزِّ لم أمننْ عليك بها مَنحى
لها بين يوم المهـــرجان مواقفٌ ... لديك وبين الصوم عنـدك والفِصْحِ
أدلَّت بحسنٍ فهى تـــبرُزُ سافرا ... اذا آختمرتْ أخرى حياءً من القُبحِ
اذا المنشدُ الراوى بهـا قام خِلتـــهُ ... يُناوبُ ترجيعَ الحَمامة بالسَّجحِ (١)
و إن أبطأتْ عاما عليك سماؤها ... فعندك سَلْفٌ من مَرازمها (٢) الدُّلحِ (٣)
ولا ذنبَ لى إن أعقمتنى عوائقٌ ... من الدهر يوما أن يُقصِّر بى لَقحى

* * *

وقال وكتب بها الى ربيب النعمة أبى المعمّر بن الموفّق على بن إسماعيل فى النيروز الواقع فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

مَن عَذيرِى يـــومَ شرقّ الحمى ... من هـــوًى جَـــدَّ بقلبٍ مَزَحا ؟
نظـــرةٌ عادت فعـادت حسرةً ... قَتـــلَ الرامى بهـا مَن جَرَحا
قلن ـ يستطردن بى عينَ "النقا" ـ : ... رجلٌ جُنَّ وقـــد كان صحا
لا تعدْ ـ إن عُدتَ حيًّا بعدها ـ ... طارحا عينيك فينـا مَطـــرَحا
قد تذوَّقتُ الهـــوى من قبلها ... وأرى مُعـــذَبَهُ قـــد أملحا
سل طريق العيس من "وادى الغضا" ... كيف أغسقتَ (٤) لنـا رَأْدَ الضحى ؟
ألشيءٍ غـــير ما جـــيراننـا ... نفضوا "نجدا" وحلّوا "الأبطحا" ؟
يا نسيم الصبح من "كاظمةٍ" ... شـــدّ ما هِجت الجـــوى والبُرَحا (٥)
الصَّبا ـ إن كان لا بدّ الصَّبا ـ ... إنهـا كانت لقلـــبى أروَحا

(١) السجح : السجع . (٢) مرازم جمع مُرزمة وهى السحابة الشـديدة صوت الرعد .
(٣) الدلح جمع دالح وهو : السحاب الكثير الماء . (٤) أغسقت : اشتدت ظلمتك وفى الأصل "أعسفت" . (٥) البُرَحاء : شدة الأذى والمشقة ومنه "برحاء الشوق" .

يا نداماى "بسلْع" هل أرى ذلك المَغْبَقَ والمصطَبَحا؟
أذكرونا ذكرَنا عهدَكُم[1] ربَّ ذكرَى قرَّبتْ مَن نَزَحا (٨٣)
وٱذكروا صبًّا اذا غنَّى بكم شرِبَ الدمعَ وعاف القَدَحا
رجَع العاذلُ عنى آيسا من فؤادى فيكُم أن يُفلِحا
لو درَى — لا حَمَلتْ ناجيةٌ رحلَهُ — فيمن لحانى ما لَحَا
قد شربتُ الصبرَ عنكم مُكرَها وتبعتُ السقم فيكم مُسمِحا
وعرفتُ الهمَّ من بعدكُم فكأنّى ما عرفتُ الفرحا
ما لسارى اللهوِ فى ليل الصِّبا ضَلَّ فى بحرٍ برأسى وضَحا؟
ما سمعنا بالسُّرى مِن قبله بابن ليلٍ ساءه أن يُصبِحا
طارقٌ زارَ وما أنذرنا مُرغِيا بَكرا ولا مُستنبِحا
صَوَّحتْ ريحانةُ العيشِ به فمَن الراعى نباتا صَوَّحا[2]
أنكرتْ تبديلَ أحوالى، ومَن صحِب الدنيا على ما ٱقترَحا؟
شدَّ ما مَنَّى غرورا نفسَه تاجرُ الآداب فى أن يَربَحا
أبدا تُبصِرُ حظًّا ناقصا حيثما تُبصِرُ فضلا رجَحا
والمنَى والظنُّ بابٌ أبدا تُغلَق الأيدى اذا ما فُتِحا
قد خَبَرتُ الناسَ خُبرِى شِيَمِى بخلاء وتَسمَّوا سُمَحا
وتولَّجتُ على أخلاقهم داخلا بين عَصاها واللِّحا
وبعثتُ الماءَ من صُمِّ الصَّفا قبلَ أن أبعثَ ظنّا مُنجِحا
يشتهون المالَ أن يبقَى لهم فلماذا يشتهون المِدَحا؟

(١) هكذا بالأصل والرواية المشهورة * أُذكرونا مثل ذكرانا لكم * (٢) صَوَّحَ النبتُ كتصوّح : يَبِس .

يُفصِح اللَّحَّانُ بالجـــودِ وهُمْ ... فرطَ بخـــلٍ يُعجِمون الفُصَحا
جَرَّتِ الحسنى غلاما ماجـــدا ... لم يطِع فى الجـــود إلا النُّصَـــحا
طَوَّلوا فى حَلبـــةِ المجـــدِ له ... فمضى يَتبـــعُ رأسا جَمَحا
مُنجَبًا من "آل إسماعيل" لم ... يَرِو فى الأخـــلاقِ إلا المُلَحا
كيفما طارتْ عِيافاتُ النـــدَى ... حَوْلَه طِرنَ يمينا سُنُحا
لا يبـــالى أىَّ زندٍ أَصـــلدتْ ... مَن أتى راحتَـــه مقتـــدِحا
كلّما ضاقت يـــدُ الغيثِ بما ... ملَكتْ جاودها مُنفَـــسِحا
لربيب النعمـــةِ آجتابَ الدجَى ... خابطٌ يُنضِى قِـــلاصا طُلَّحا
حَمَّـــلَ الهمَّ وقـــد أثقـــلَه ... جَـــلْدَةَ العظمِ أَمُـــونا سُرُحا (١) (٢)
تُوسِعُ البيـــداءَ ظهـــرا خاشعا ... فى يدِ السـير ورأسا مَرِحا
لا تبـــالى ما قضت حاجتَهـــا ... ما دَمِى من خُفِّها أو قَرِحا
حَمَلَتْ أوعيـــةَ الشكرِ له ... وآنثنت تحمِـــلُ منـــه المِنَحا
أحرز الفضـــلَ طريفـــا تالدا ... والمعـــالى خاتِمـــا مُفتتِـــحا
وجرى يقتصُّ مِن آياته ... أثَرَ المجـــدِ طـــريقا وَضَحا
نسبٌ كيف ترامت نحـــوه ... أعينُ الفخر أصابت مَسرحا
أملسُ الصفحةِ لم تَعـــلَق به ... غمـــزةٌ من قادحٍ ما قـــدَحا
عَـــوَّد البـــدرَ وقـــد قابله ... غُرّةً بات بهـــا مســـتصبِحا
ورآه البحـــرُ أَوفَى جمَّـــةً ... منـــه بالنـــائل لمّـــا طفَحا
وتسامت أعينُ الشِّـــعر الى ... أن يكونَ السامعَ الممتـــدَحا
لم تجِـــد أبكارُهُ أو عُـــونُهُ ... عنك فى خُطّابِهـــا مُنتـــدَحا

(١) الأمون : الناقة القوية . (٢) السرح : السريعة المشى السهلة السير .

غير حُرّاتٍ أراها مُهمَلا حقُّها(١) عندكُمُ مُطّرَحا
كم ترى أن يصبرِ الشعرُ على أن تُهينوا مثلَها أو يَصفَحا ؟
أنتم آستنزلتُمُ عنها يدى بعد ما عزَّ بها أن أَسمَحا
ورغبتم فى علا أنسابها وكرامٍ من ذويها صُلَحا
وأرى مطلكُمُ فى مهرها دام، والمهرُ على مَن نَكَحا
وثِقَ الشعرُ بكم وآتصلتْ غفلةٌ تُحجلُه فافتضحا
فآعذروه إن أتى مُقتضيا فلقد أنظَركم ما صَلَحا
ومضى حَولٌ على حَولٍ ولم يُنتِج الوعدِ الذى قد أُلقِحا
أُذكروه مثلَ ما يذكركم مُحسِنا وآستقبِحوا ما آستَقبَحا
وآعلموا أنّ قَلِيبَ الشكرِ إن هو لم يُمدَدْ برفدٍ نَزَحا (٨٣)
وآصحبوا أيّامكم وآستخدموا فى المعالى هُجُنَها والصُّرَحا
بين نيروزٍ وعيدٍ أمسيا رائدَىْ إقبالكم أو اصبحا
تَكمُهُ(٢) الأحداثُ عنكم إن رأى طرفُها غيرَكُم أو لَمَحا

* * *

وقال وكتب بها الى أبى القاسم بن ماكولا، وقد آجتمع معه ببغداد فأنس به، ثم شخص الى البطيحة(٣) متقلدا إيّاها يتشوّقه ويمدحه ويصف السفينة

مَن الغادى تَحُطُّ به وتعلو نجائبُ من أزمّتِها الرياحُ ؟
جوافلُ، تَحسَب الظّلمانُ(٤) منها أضاء لوجهِ قانصِها الصَّباحُ

---

(١) فى الأصل "حقا" وهو تحريف . (٢) تكمه : تعمى . (٣) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة . (٤) الظلمان جمع ظليم وهو الذكر من النعام .

فمـــرَّتْ كأنَّ (١) شائلةٍ زَفوفٍ (٢) لها من غيرها اليـــدُ والجَناحُ
ملمْلَمَـــةٍ لها ظَهـــرٌ مصونٌ وبطنٌ تحت راكبها مُتـاحُ
ترى ســـوطَ الشَّمال يَشُلّ (٣) منها طـــرائدَ لا يُكَفُّ لها جِماحُ
تُراوح رِجلُ سائقهـــا يديه ولا التعريس منـــه ولا البَراحُ
تعبُّ الماءَ بين قِذٍ وصافٍ اذا ما عافت الإبلُ القِراحُ
لعلّك ترتمى بك أو سيقضِى الى المجـــد الغـــدوُّ أو الرواحُ
فصُلْ ـ وخلوتَ من ولهى ووجدى ـ وقل ـ ولك السلامة والفلاحُ ـ
لمقتدحين فى كبدى ـ وساروا ـ لـــواعجَ ما لقاطنهـــا بَراحُ :
أَظنَّـــا أنكم بتم وأبقَى ؟ لَبعضُ الظنِّ إثمٌ أو جُناحُ
ويَحسَبُ بدرُ "عِجلٍ" (٤) أنَّ ليلى له من بعـــدِ غيبته صباحُ !
وأنّى بعـــده بُمنًى ولحـــظٍ ، ينازعـنى الى جـــذلٍ طِماحُ !
إذن ففركتُ بعلَ المجـدِ منـــه وبنتُ من العـــلاء ولا نِكاحُ
بمَن ولِمَن أريدُ القلبَ عنكم ليذهلَ وهو عنـــدكُمُ يُراحُ ؟
ومَن بدلٌ وهل عِوضٌ وظهرِى بكم يَعـــرَى وعزّى يُستباحُ ؟
حَملتُ فراقكم أو قيلَ : جَـــلْدٌ وخلفَ حشاى أسنمةٌ طِـــلاحُ
وكيف تغيضُ لى نزواتُ دمعى وتحت الدمع أجفانٌ قِراحُ !
فهل فيكم على العُـدَواء (٥) آسٍ؟ فإنّ البينَ فى كبدى جِراحُ
ألا عَطفا عـــلى عيشٍ فسادٍ يكون له بقربكُمُ صـــلاحُ
وحُرٍّ قيَّـــدَته لكم طليقا من النـــاس المكارمُ والسماحُ

(١) الشائلة التى ترفع ذنبها . (٢) الزفوف : السريعة العدو . (٣) يشلّ : يطرد
(٤) عجل : اسم قبيلة . (٥) العدواء : البعد .

وقادته لكم خِلًّا صريحا حبائلُ مدَّها المجدُ الصُّراحُ
وأخلاقٌ سقته فأسكرتْهُ، وبعض خلائقِ الكرماءِ راحُ
نَكصتُ وقد أحالَ علىَّ قِرنٌ له سيفانِ : شوقٌ وٱرتياحُ
كأنّ دمِى الحرامَ على يديه بُعيدَ البينِ مالُكُم المباحُ
فَمن يكُ فى النوى بطلا فإنّى أنا المقتولُ والبينُ السلاحُ
جُمِعتُ بقربكم والعهدُ طِفلٌ وساعةُ وصلنا بِكرٌ رَداحُ
وما شبِعت برؤيتكم لحاظٌ سواغبُ لى ولا بَرَدَ ٱلتياحُ
وحتى بعدَ أملسَ لم تَعَلَّقْ له بذيول طِيبِ الوصلِ راحُ
فراقٌ سابقَ اللقيا وعطفٌ من الأيّام زاحمه ٱطراحُ
ونُهزةُ نهلةٍ لم تَحْلُ حتّى تأجّن ماؤها الشّبِمُ(١) القَراحُ
كأنّ الدهرَ قامرنى عليها معالجَةً نفانتنى القِداحُ
لئن قَصُرت مساعيها وضاقت ففى الأشواقِ طولٌ وٱنفساحُ
فإن كَسرتْ عصا جَلَدِى عصاها فآمالى برجعتها صِحاحُ
وقد يلد السرورُ على عقامٍ ويحيا بعد ما مات المِراحُ
لعلّك – يابنَ أكرمهم يمينا وأقدمِهم اذا كُرِهَ الكفاحُ
وأوسعِهم قِرًى وأعمَّ قدرا اذا ما الكلبُ أعجزه النُّباحُ –
بقربك أن ستُخبِرُ أو سيُقضَى لهذا الخَرقِ رَقعٌ وٱنتصاحُ
فترجِعَ لى ليالٍ صالحاتٌ بكم فاتت وأيّامٌ مِلاحُ
وينبُتُ تحت ظلّكُمُ لحالى جَناحٌ حَضَّه القدَرُ المتاحُ
عَلِقتكُمُ هوًى ومُنًى فبا لى على الأيّام غيركم ٱقتراحُ

(١) الشبم القراح : البارد الصافى .

وبعتُ بكم بنى دهرى ودهرى ... فعـدت وملء حِضْنَىَّ الرياحُ
أقول — وقد تعـرَّم[1] جُرح حالى ... وسُـدَّ على مَطالِعِىَ السَّـراحُ[2]
وكاشـفنى وكان مجاملا لى ... عَبوسُ الوجه من زمـنى وقَاحُ
وقد مَنعتْ غضارتَهـا وجفَّتْ ... على أخلاقها الأيدى الشِّحاحُ — :
غدًا يا نفس فٱنتظـرى أناسـا ... هُمُ فَـرَجٌ لصـدرك وٱنشراحُ
ستطلُعُ من "بنى عيسَى" عليك الـ ... ـأكفُّ البيضُ والغُرُرُ الصِّباحُ
ثقى بغـنَى ثراك غـدًا براحٍ ... يُطَلُّ بهـا جُـدوبُك أو يُراحُ
ولا تَستسغِّى أسـفا ويأسـا ... فعنـد مَغالـق الأمر ٱنفتاحُ
سُنهِضُ سـقطتى منهـم غلامٌ ... عزائمـه الأزمَّـةُ والصـفاحُ
كريمٌ جاره حـرمٌ منيعٌ ... عـلى الأيّام أو حَىٌّ لَقَاحُ[3]
كأنَّ الفضـلَ فى ناديه صَوتًا ... فتـاةُ الحىّ تمنعهـا الـرماحُ
هو ٱبتـدأ النـدَى لم أحتسـبه ... وأورَى لى ولم يكن ٱقتـداحُ
ودَرَّتْ راحتـاه ولم تُعصَّبْ ... وكم من مُـزنةٍ لا تستـاحُ
وظنّى أن سيشفعُها بأخرى ... يسـابقُ سـعيَه فيهـا النجاحُ
تقُوم بهـا على مَيَـدٍ[4] قنـاتى ... وتُلحَمُ من خصاصتِىَ الجِـراحُ
وتُنتَجُ من كرائم رأيـه لى ... بجـانبِ جاهـه فيهـا لِقَـاحُ[5]
وعنـدى فى الجـزاء مسوَّماتٌ ... لهـا بالشكر مَغـدًى أو مَـراحُ
حُلَى الأعراضِ تَضحك فى تَريبٍ ... لهـا عِقـدٌ وفى صدرٍ وِشـاحُ
لهـا الغرضان من معنًى دقيـقٍ ... تقُـوم بنصـره كِلمٌ فِصـاحُ

(١) نُزِعَ ما عليـه من لحم . (٢) السراح : التسريح . (٣) لقاح : لا يدينون للملوك ولم يصبهم فى الجاهلية سباءٌ . (٤) الميد : الميل . (٥) اللقاح : الإبل واحدتها "لَقُوح" .

أبوها "فارسٌ" وكأنّ قَـومى بها "عدنانُ" أو دارى "البِطاحُ"
وأفضـلُ ما جَزَيت أخًا بـودٍّ وإحسـانٍ ثناءٌ وٱمتـداحُ

* * *

وقال وكتب بها الى المهـذّب أبى منصور بن المزرّع يمتدحه ويهنّئه بإملاكه[1] وإعراسه[2]، ذهابا مع مودّة واحدةٍ بينهما، ترتفع مع حقوقها المنافسـة وتجب المساعفةُ، وكان قد قدِم من سفرةٍ طويلة

قُـلْ للـزمان : صُلْحا قـد عاد ليـلى صُبحا
جادَ فـزار قمـرٌ كان لَـوَى وشَـحّا
يلبَس جِنحا من دجى الـ ـليـل ويَنضـو جِنحا
فَـرَدَّ ريحًا ناشـقا "كاظمةً والسَّـنَمحا"
كأنّ فأرَ[3] تاجـرٍ أنحَى عليها ذبحا
يبعثُ منها بُـرْدُه مـع النسـيم نَفحا
غلّس شـوقا وأصـا ب فُرصـةً فأضحى
طال به الليـلُ نعيـ ـما والنهارُ سَـبْحا
يالَسَـقامِ آمـلٍ بَـرَا[4] بـه وصَحّـا
ورشـفةٍ كانت عـلى نارِ حشـاى نَضْـحا
رشّ الغليـلَ بَرْدُها وبـلَّ ذاك الـبَرْحا
كانت سـبارَ[5] كبِـدى وكان شـوقِى جُـرحا
سـل ظبيـة الوادى تَلُـ ـسُّ بانَـهُ والطَّلْـحا،

(١) الإملاك : التزوج . (٢) بالأصل "تعريسه" وهو تحريف، والإعراس بناء المرء على أهله وهو الذى يريده الشاعر كما تدل على ذلك أبيات القصيدة . (٣) الفأر: نافجة المسك وقد تقدم . (٤) يريد "برأ" وقد سُهّلت همزتها، وفى الأصل "برأيه" . (٥) السبار : ما يسبر به الجرح .

لها "بنعمانَ" طَلًّا[1] تَـاوِى عليـه الكَشْحا :
أأنتِ أم "ظمياءُ" زُر تِ لاغبين طُلْحا ؟
تَوسَّـدوا مَناسِما ورُكُباتٍ قُـرْحا
أم جئتنا بسِحرِها تلفّتـــا ولمحـــا ؟
قاربتِهـا مـلاحة وفَضَحتْكِ مِلْحا
يا ابنـةَ أمّ البـدريا[2] أختَ نجـومِ البَطحا
إساءةً ومَـللا[3] أزدْ أسًى وصـفحا
لَحَا عليـكِ حاسِـدٌ وحيثُ رُدَّ لَحَّـا
حُبُّـكِ خَرْقٌ لا أرى له المـلامَ نَصْـحا
فالعـذلُ غِشٌّ لى ولو مات العـذولُ نُصْحا
أنكَرتِ ابتسامَ أيّـ ـامى وكنَّ كُلْحا
وأبصرتْ جِـدّى غدا فكاهـةً ومَـزحا
وما أحسّتْ أنّ ربـ ـعَ الهـمِّ قـد أمَّحا[4]
وأعذبَ الشّربُ الذى كان الأُجاجَ المِلْحا
أضحت خُطا البين الـ ـى بالقـاء تُمحَى
وعاد "بالمهـذَّبِ" الـ ـدهرُ البخيـلُ سَمْحا
أهلا — وقد مات الحيا حـتى أمات السَّرحا
وكَشَرتْ دُرْدًا سـنو نَ أربَـعٌ وقُلْحا
وعاد ضرعُ النـاب[5] من تحت العصابِ قَرْحا[6]

(١) الطلا : ولد الظبى . (٢) فى الأصل "الغدر" . (٣) يريد "زيدى إساءة ومللا" .
(٤) أمحّ : عفا . (٥) الناب : الناقة المسنّة . (٦) القرح : الجرب الشديد .

بغـرَّةٍ تزيـدُ فى ليـلِ الجـدوب قَدْحا
وبِيَـدٍ يُعـدى ندا ها اللَّحِـزينَ(١) الرَّسْحا
إن قَطَـرَتْ فوابـلا أو هَطَلَتْ فسـحًّا
ميمـونةٍ ما مسـحَتْ بسـاطَ أرضٍ مَسـحا ،
إلّا كستْ غـدائرا هـامَ رباهـا الجُلْحا(٢)
لا تعجبوا إن أصـفرتْ ومُـوِّلَ الأشـحَّا
هـل يَسـمنُ العُود يُشـ(٣)ـظَّى أبـدا ويُلْـحى(٤)
لو أنهـا بحـرٌ لأفـ ـنَتْهـا الحتـوقُ نَزْحا
ومرحبًـا بهنَّ أخـ ـلافا رِطـابا سُمْـحا(٥)
اذا السـجايا فَـتَرتْ عدنَ نشـاوى مرْحا
أبلجُ زكّاه النـدَى فما يخـاف جَـرْحا
جهِـدتَ يا عائبَـهُ فيـل وجـدتَ قَدْحا ؟
تنـحَّ عن مكانه من العـلا! تنحَّـا
يا بن "عـلىٍّ" فُـتَّ الـ ـأشـراطَ جُدْعا قُـرْحا
عـلوتم النـاسَ ترا با والنجـومَ سَـطحا
لم تدَّعـوا رِبابـةً للمجـد تحـوى قَدْحا ،
إلا لكم فـورتُها(٦) منحا بهـا وسـنحا
طينـةُ بيتٍ أرضُـه فـوق السماء تُـدحَى

(١) اللحزين : جمع لحِز وهو البخيل . (٢) الجلح جمع جلحاء وهى التى انحسر شعر رأسها
(٣) يشظّى : يشقّق . (٤) يُلحَى : يُقشر . (٥) سمحا : كريمة . (٦) الفوره : مَراة الجبل ومتنه وهو هنا مجاز .

ودوحـةٌ أفـرط فيـ (١)ـها من أطال السَّـرحا
بثُمْـرِكم (٢) حامـلةٌ ولم تُهجَّنْ لَقْـحا
جُمـلةُ مجـدٍ كنتمُ تفصـيلَها والشَّـرحا
كلُّ غـلامٍ (٣) كافـرٌ تحت اللثـامِ الصُّـبحا
يَفـرَعُ (٤) من شَـطاطِهِ قبـلَ الركوبِ الرُّمحا
يرمى بعينيـه طُمو حا فى العـلا وطرحا
كما تَفـعَّى (٥) أرقـمٌ (٦) بالرمـل يُذكِى اللمحا
اذا أحسَّ نبـأةً (٧) كشَّ (٨) لها وفَّا (٩)
علِقتُـكم (١٠) تحت شنـو فِ الدهرِ بُلجا (١١) قُـرحا
وبعتُ من بعتُ بـكم (١٢) فعَبَّ بحـرى رِبحا
زوّجتُ آمالى بـكم فـوَلَدتْ لى النُّجحا
لـولا هَنـاتٌ كالشَّرا رِ يلتمعن لَفـحا
وغفـلةٌ تُحـرِق فى وجـهِ الجمالِ القُبحا
وحاجـةٌ تَحفِـزنى يُضَرِّبُ عنها صـفحا
وكم غضبتُ ثم عـد تُ أستميح الصُّـلحا
وشـفَعتْ نفسى لـكم فحال عتـبى مـدحا

---

(١) السرح جمع سرحة وهى الشجرة العظيمة ، وفى الأصل "الشرحا" وهو تحريف . (٢) جمع الثَّمَر ثمار وجمع الجمع ثُمُر ككتب وسكّنت الميم للضرورة . (٣) كافر : ساتر وفى الأصل "مكفِر" . (٤) يفرع : يطول و يعـلو ، وفى الأصـل " يقرع " ، والشـطاط : حسن القوام وٱعتـداله . (٥) تفعّى : تنكّر . (٦) الأرقم : الثعبان . (٧) النبأة : الصوت الخفىّ . (٨) كشّ : صات من جلده لا من فيه . (٩) فحّ : صات من فيه . (١٠) بلجا جمع أبلج وهو المشرق الوجه ذو الكرم والمعروف . (١١) قرحا جمع أقرح وهو الأغر . (١٢) فى الأصل "نحرى" .

يا بدرُ، هذى الشمسُ مهـ ـداةٌ اليـكَ نِكاحا
ففـز بهـا وقل لهـا : نصـرا بكم وفتحا
مَلكتَ "بِلقيسَ"(١) بهـا وما نَقلتَ الصَّـرحا
أقـررتَها عَينـا وأعـ ـينُ الأعادى قَـرْحى
وآجتـلِ نجما مشرقا(٢) منهـا وصُـبحا صُـبحا
وآذخـرْ ثنائى لبنيـ ـك كيمياء صَحّا
أنظـم منـه لَهُـمُ قـلائدا ووُشّحـا
يَخطـر فيهـا الحَضَـ ـرِىُّ بـدويًّا قُحّا
يتـلون منـه ما تلَو ن خطبـاء فُصْـحا
ما أرقص الأيكَ الحمـا مُ طـربا وسَجـحا
وما جرى الصـومُ وجا ء الفطرُ يحـدو الأضحى

وقال وكتب بها الى الشريف الأجلّ الذكىّ ذى النباهتين أبى على عمر بن محمد السَّابُسِىّ، وقد كاتبـه دفعات آبتدائيًا، وكتب يخطب فيها ودّه ويمدحه، ويسأله نسج الحال والمودّة بينه، وأنفذها الى الكوفة فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

سَلْ فى الغضا ـ وصَبا الأصائل تنفحُ ـ : هل ريحُ "طيبةَ" فى الذى يُستروَحُ ؟
وهل النوى ـ وقضاؤها متردِّدٌ ـ تركتْ "برامةَ" بانةً تـترنَّحُ ؟
أم شقَّ ليلَ "الغورِ" عن أقمـارِهِ بعـدى يدٌ(٣) تمطو وطرف يطمحُ ؟

(١) بلقيس : اسم الملكة التى تزوّجها سـيدنا سليمان عليه السلام وسيرة نقل عرشها جاء بها القرآن الكريم فى سورة النمل . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل وقد رجّحناها لآتزان الشطر و إتمام معناه .
(٣) تمطو : تمـدُّ .

أهلُ "القباب" — وَمن بهم لمصفَّدِ — بالبعد أتلَع "بالعراق" وأبطحوا —
جعلوا "اللّوى" وعدَ اللقاء فقرَّبوا — ورَمتْ "تهامةُ" دونهم فتنزَّحو
ووراءهم "عينُ الغوير" وهامةٌ (١) رعناءُ من "أجإٍ" (٢) ورحبٌ صَحصح (٣)
وسَيالُ (٤) "طىٍّ" فى رءوس صعادِها — والخيلُ تَزْبُنُ (٥) فى الحديد وترمحُ
فَمَن المطالبُ والغريمُ "ببابلٍ" — والدَّينُ يحجبه "الأراكُ" و"توضِح" (٦) ؟
يا مُوردى "ماءَ النخيل" هَنَاكُمُ — أن تُعذِبوا وشُروبُ "دِجلةَ" تُملحُ
هل فى القضيّةِ عندكم من نَهْلةٍ — تَرْوَى بها هذى القلوبُ اللُّوَّحُ ؟
تَرِدُ الغرائبُ آنساتٍ بينكم — وأسيركم يَجِدُ الفراتَ فيَقمَحُ
لا سكرةُ البلوى "ببابلَ" بعدكم — تصحو ولا ليلُ البلابلِ يُصبِحُ
كم سهمِ رامٍ عندكم أهدفتُه — قلبى ولكن تقتلون ويجرحُ
وتملَّحت لى ظبيةٌ "غوريّةٌ" — سنحتْ وظبيتكم "بنجدٍ" أملحُ
إنا عدَتْ عنكم "بَسيطةُ عامرٍ" — "فطَراةُ (٧) شَيبةَ" بالمَناسم يُرضَحُ (٨)
"والجَرَّتان" وزندُ ناجرَ فيهما — إنا يَشُبُّ لظًى وإما يَقدحُ
فلكَمْ على "الزوراءِ" من متعلِّقٍ — بشكيمتى شعَفا ورأسى يجمحُ
وكريمةِ الأبوين أطرُقُ بيتَها — والليلُ بابن سمائه متوضِّحُ
وعلىّ من ثوبَىْ هواى وعفّتى — شوقٌ يُبَلُّ وخَلوةٌ لا تَقبُحُ
ومحجّب الأبواب فى رَيْعانه — أضحت مَغالقُه لشعرى تُفتحُ
تتراحم الآمالُ حولَ بساطه — عِظَما ولى منه المكانُ الأفيح

(١) رعناء : شاهقة . (٢) أجأ : اسم جبل . (٣) الصحصح : ما استوى من الأرض .
(٤) السيال : شجر ذو شوك ، والصعاد جمع صعدة وهى القناة . (٥) تزبن : تدفع . (٦) توضح وما قبلها أسماء مواضع . (٧) طراة شيبة : اسم جبل . (٨) يقال : رضح الحصى : كسره

رفضَ الكلامَ الوغـدَ يَعلم أنه ... يُهجَى — سوى فِقَرِى — بما هو يُمدَحُ
ومشى يجُـرُّ قـلائدى متخايلا ... فيها يُقـلِّد دُرَّهـا ويُوشِّحُ
وعلى "السَّدِير" و"حيرة النعمان"(١) لى ... من خاطبٍ لو أنّ ودّىَ يُنكَحُ
وفـتًى ، ذؤابةُ "هاشـم" آباؤه ... دينًـا وبيناه "منًى" و"الأبطحُ"
رضَـعَ النبوّةَ وارتَبَى فى حجرها ... جَذَعا على طول الإمامة يَقـرَحُ
ورمَى بطَرفيْـه السماءَ فلم يفت ... طَرفيْه من ذلك "المجرّة" مَطرَحُ
"عَمرُو العُلا" أدّته عن "عَمرِو العلا" ... أمٌّ متمـمـةٌ وفـلٌ مُلقـحُ
شرفٌ الى "الزّهراء" مَسرَى عرقِهِ ... وعلى "الوصىِّ" فروعُـه تترشّحُ
تتهـابطُ الأمـلاكُ بين بيوته ... وتطـير وهى بهـدْيه تَستنجحُ
يا راكبَ الوجناءِ، ينقل رحلَهُ ... عُنُـقٌ لها ذُلُلٌ وذيلٌ مِلوحُ(٢)
تمضى عزوفا لا تُغَـرّ ببـوّها ... يُلقِى السقائطَ(٣) بالفـلاةِ ويَطـرَحُ
وإذا أراهـا الخمسُ ماءَ عشـيّة ... عدَّته قانعـةً لآخرَ يُصـبِحُ
بلِّغ كأنك مُفصحا "غيلانُ" وآنـ ... ـتفض الطريقَ كأن عنسَك "صيدحُ"
"الكوفةَ البيضاءَ" : أنّ "بجوّها" ... قمـرا تُغـاظ به البـدورُ وتُفضَحُ
عَرِّجْ وقُل "لأبى علىٍّ" ما لئـا ... أُذُنَيْـه : حيَّتك الغـوادى الرُّوَّحُ
وسقتك كثُّك فهى أغزرُ ديمـةً ... ما قَلَّصتْ عنـك السحابُ الدُّلَّحُ
وازداد مجـدُك بَسطةً وإنارةً ... وعلوُّ جَدِّك والجـدودُ تُطـوَّحُ
فتّ الصـفاتِ فلجاجَ المثنِى بمـا ... تولِى وأعجـمَ فى علاك المفصـحُ
فالبـدرُ تمّ وأنت أكملُ صـورةً ... والبحرُ عمّ وأنت منـه أسمـحُ

---

(١) بالأصل "جيرة" . (٢) ملوح : كثير الإلاحة . (٣) السقائط جمع سُقاطة وهي ما سقط من الشيء .

والخـادرُ[1] الحـامي حِمى أشبـالِهِ ... لك عن وليجةِ غابِهِ يتزحزحُ
تركتْ سيادتَهـا العشيرةُ رغبـةً ... لك فى اقتبالك وهى بُزْلٌ قُـرَّحُ
ورأتْ زئيرَك دونهـا فتأخَّرت ... وتَعـالبُ الأعداءِ فيهـا تَضـبَحُ
جمَّعتَ أُلفـةَ عزِّها، وعَزيزُهـا ... بقنا العـدا طردا يُشَـلُّ ويُسرحُ
وشفَتْ سيوفُك من بنى أعمامهـا ... داءً تَضيـقُ به الصـدورُ وتَبرحُ
دَينٌ شكوت الى الحسامِ مِطـالَهُ ... فقضاه، والسـيفُ المشاوِرُ أنصحُ
دِمَنٌ على القُـربى تزيدُ عداوةً ... لخروقُهـا ما بينكم لا تُنصَـحُ
حسدوا تقـدُّمَ فضلكم فحقودُهم ... لا تنطفى وفسادُهـم لا يَصلحُ
زحموك أمسِ فعاركوا ملمومةً ... صَمَّاءَ[2] يُوقِصُ ركنُها مَن يَنطَحُ
فسقيتهم كأسا مُجاجتُهـا الردى ... شربوا على كرهٍ لهـا ما[3] يُجـدَحُ
يا جامعَ الحسـناتِ وهى بدائدٌ ... ومُرِبَّ روضِ الفضل وهو مُصوِّحُ
كفٌّ تخفُّ مع الرياح سماحةً ... ومهابةٌ تزن الجبالَ وتَرجَحُ
قد جاءت الغـرر الغرائبُ طُلَّعا ... كالشهب تَثقُبُ فى الدجى وتلوِّحُ
ثَمَـرٌ بغرسِك قد حلتْ نَجْنـاتُهُ ... ونتائجٌ من بحـر فكرك تُلقَحُ
فنطقن والأشعار خُرَّسٌ عنـدنا ... ونجون سبقا والقـوافى طُلَّحُ (٨٧)
فكأنَّ روضَ الحَزْنِ تنشره الصَّبا ... ما ظَلْتُ من قرطاسها أتصفَّحُ
فسوادُها من ناظـرى ما يَمَّحِي ... وسَـدادُها من خاطرى ما يَبرحُ
ألَّفتُهـا من جوهرٍ فى النفس لا ... يَفنَى ومعدنِ فكرةٍ لا يُنزَحُ
نَظمتْ لِىَ الحُسنَ المبرَّز والهـدَى ... فكأننى بنشـيدهنَّ أسـبَّحُ
وأَمَا وذَرعِك فى العـلاء فإنه ... قَسَمٌ لباعِ الصـدقِ فيـه مَسرَحُ،

(١) الخادر: الأسد. (٢) يوقص: يقال أوقص عنقه أى دقها. (٣) يجدح: يُخلَط.

ما خلتُ صدقَ القول شخصا ماثلا ... يُهدَى وأن الرفد سِحرٌ يُمنحُ
جاريتُها متحدِّرا من سبقها ... والبرقُ يكبو عن مداى ويُكبحُ
ومتى أقوم مكافئا بجزائها ... وندالك مفترَعٌ بها مستفتَحُ
كرمٌ تطلَّع من شريف خلائقٍ ... أصفَى من المزن العذابِ وأسمحُ
لم أرمِه بسهام تقديرٍ ولم ... أطرح له الآمالَ فيا أطرحُ
فلترضينَّك — إن قبلتَ — معوضةٌ ... مما أصونُ "بحائلٍ" تتنفَّحُ
سيّارةٌ فى الخافقين فذكرُها ... ذِكرُ الغمائم بأكرٍ متروحُ
تجزى الرجالَ بصدقهم فصديقُها ... فى غِبطةٍ وعدوُّها لا يفرحُ
مجنوبةٌ لك لا تزال جِباهُها ... أبدا على السّبق المبرِّح تُمسَحُ
فامددْ لها رسَنَ الرجاءِ فإنها ... بالودِّ تُشْكَمُ(١) والكرامةِ تُشْبَحُ(٢)
مهما تُعرِّضُ للرجالِ بدِينِها ... فديحُها لك بالغلوّ يُصرَّحُ

* * *

وقال وكتب بها الى زعيم الملك أبى الحسن بن عبد الرحيم يهنّئه بالمهرجان ويشكر مراعاته

أتكتُمُ يومَ "بانةَ" أم تبوحُ ؟ ... وأجدرُ لو تبوحُ فتستريحُ !
حملتَ البينَ جَلْدا والمطايا ... بَوازِلُها بما حَمَلَتْ طُلوحُ
وقمتَ وموقفُ التوديع قلبٌ ... يطير به الجوى وحشًا تَطيحُ
تَلاوذُ(٣) حيثُ لا كبِدٌ تلظَّى ... بمَعتبةٍ ولا جفنٌ قريحُ
فهل لك غير هذا القلبِ تحيا ... به أو غير هذى الروح روحُ ؟
لعمرُ أبى النوى لو كان موتا ... جَنَتْ لك فهو موتٌ لا يريحُ

(١) تشكم : يُشَدُّ فوها بالشكيمة . (٢) تشبح : تُقيَّد . (٣) تلاوذ : تلوذ .

يفـارِقُ عاشـقٌ ويـموتُ حيٌّ ... وخيرُهما الذى ضَمِنَ الضريحُ

وقال العاذلون : البعدُ مُسْلٍ ... فما لجواك ضاعفه النزوحُ !

وفى الأظعانِ طالعـةٌ " أُشَيَّا " ... أبو لونينِ مَنّاعٌ منـوحُ

سـلافةُ ريقـه بَسْـلٌ حرامٌ ... ووردةُ خـدّه مما يُبيـحُ

اذا كتمتْه خالفـةٌ[1] وخـدرٌ ... وثَنَى بمكانه المسـكُ النضيحُ

أسارقه مُسارَقةً ودون الـ ... ـخلاطِ به الأسـنّةُ والصفيحُ

ولم أرَ صادقَ العينين قبـلى ... أضـلَّ فـدلَّه شـمٌّ وريحُ

أيا عجبا يُهَتِّـكُ فى سـلاحى ... ـ وقد حطم القَنَا ـ طرفٌ طموحُ

ويتمنصنى على " إضم " — وقدما ... قنصتُ أسـودَها — رشأٌ سَنيحُ

رمَى كبدى وراح وفى يديه ... نُضوح دمى، فقيل : هو الجريحُ

وأرسـلَ لى مع العُـوّاد طيفا ... يُرِى كرما وصاحبُـهُ شحيـحُ

إذا كَرُبَ[2] الرمِىُّ يُـلُّ[3] شيئا ... ألمَّ فدُمِّيَتْ تلك القُـروحُ

فقال : كم القنوطُ وأنت تحيـا ... وكم تأتى الغنىَّ وتسـتبيحُ ؟

شكوتَ، ومَن أرى رجلٌ صحيحٌ ! ... فقلتُ له : وهل يشكو الصحيحُ ؟

فما لك يا خيالُ — خلاك ذمٌّ — ... أتاحك لى على النأى المتيـحُ !

فكيف وبيننا خيطا " زَرودٍ " ... قَرُبتُ عليـكَ، والبـلد الفسيحُ !

أعزمٌ من " زعيم الملك " تَسرى ... به أم من ندَى يده تَميـحُ ؟

حملتَ اذًا على ملكٍ كريم ... الى رحلى يعـودُ بك " المسيحُ "

وجئتَ بنائلٍ لا البحرُ منـه ... بمنتصـفٍ ولا الغيثُ السَّفوحُ

حَمَى اللهُ ابنَ منجبـةٍ حمانى ... وقد شُـلَّت على الراعى السُّروحُ

---

(١) الخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره. (٢) كرب : قرب . (٣) يُلّ : يشفى .

(٨٨)

وســدَّ بجوده خَــلَّاتِ حالٍ ... وقد ضعفتْ على الخَرْقِ النُّصوحُ
تكفَّلَ من بنى الدنيا بحاجى ... نَتــوجٌ فى عقائمها لَقــوحُ
تفــرّغ لى وقد شُــغِلَ المُواسى ... وخالصنى وقد غُشَّ الصــريحُ
وقام بنصرِ ســؤدُده فسارتْ ... مَطالعُــهُ وأنجمهــم جُنــوحُ
حَلَتْ مِدَحى لقــومٍ لم يَهشّــوا ... وغنّاه فأطــربه المــديحُ
كأنّ الشعرَ لم يُفصــحْ لحىٍّ ... سواه وكأنّهــم لحَنٌ[1] فصيحُ
جــوادٌ فى تقلُّبِ حالتيــه ... فلا سَــعةٌ تَبين ولا رُزوحُ
اذا قامت له فى الجــود ســوقٌ ... فكلُّ مُتــاجرٍ فيهــا رَبيــحُ
تمرَّن فى السيادة منــه ماضٍ ... عــلى غُــلَوائه لا يســتريحُ
جَرَى متــدفقا فى حلبتيْهــا ... كما يتــدفَّق الطِّرفُ السَّــبوحُ
وجمَّــعَ مُلكُ "آل بويه" منه ... على ما شتَّت "الكافى" النصيحُ
يقلِّبُ منــه أنبــوبا ضعــيفا ... تَدينُ[2] له الصــفائح والسريحُ
وكان الفارسَ القلَمىَّ يُبــلى ... بحيث يُعــرِّدُ[3] البطلُ المُشــيحُ
وَرَى بضيائه — والليلُ داجٍ — ... خُفوقَ النورِ، منبلجٌ وَضــوحُ
أضــلَّ الناسَ فى طرق المعــالى ... سبيلًا بين عينيــه يلوحُ
وضمَّ الحبــلَ مُحــلَولًى مَريرًا ... أخو طعمينِ منتقمٌ صفوحُ
فيــوم الأمنِ وَزّادٌ شروبٌ ... ويوم الغَبنِ عيَّــافٌ قَــوحُ
"أبا حسنٍ" عدوّك من تَرامَى ... به الرَّجوانِ[4] والقــدَرُ الجَموحُ
الى متمــرِّد المهوَى عميــقٍ ... فتطــرحه مَهــالِكُهُ الطُّــروحُ

---

(١) اللحن : الفطن . (٢) السريح من الخيل : المُرَى . (٣) يعرّد : يفرّ و يهرب .
(٤) الرجوان مثنّى رجا وهو ناحية البئر و يقال : "رُمِىَ به الرَّجوان" من باب الاستهزاء كأنه رُمِىَ به رجوا بئر .

تفـــرَّسَ فى الغزالةِ[1] وهو أعشى ... ليقـدَحَ فى محاسنهـا القَـدوحُ
ينـاطحُ صخـرةً بأجَـمَّ[2] خاوٍ ... أيا سَرْعانَ ما حُطِمَ النطيحُ
بحقك ما أبحتك من فؤادى ... مضـايقَ لم ينلهـا مسـتميحُ
أصـارك وهى خافيـةٌ اليهـا ... ودادُك لى ونائلُك السـجيحُ[3]
فإن أخرستَ ريبَ الدهر عنّى ... بعونك والنـوائبُ بى تَصيحُ ،
ولم تَبْعَلْك[4] بى مـترادفاتٌ ... من الحاجاتِ تغـدو أو تروحُ ،
وغـيرك حامَ آمالى عِطاشا ... عليـه وما يُبَـلُّ لهنّ لُـوحُ[5] ،
تَزاورَ جانبـا عن وجه فضلى ... فضاع عليـه كَوكَبِيَ الصبيحُ ،
جفانى لا يَعُـدُّ علىَّ ذنبـا ... بأعـذارٍ وليس لهـا وضوحُ ،
أعاتبُـه لأنقـلَه ويعيـا ... بنقلِ "يَلَمْلَمَ" اليومُ المُـريحُ ،
وكم أغضيتَ إبقـاءً على ما ... أتى وسـترتَ لو خَفِيَ القبيحُ ،
فلا تعـدَمك أنتَ مكرراتٌ ... على الآفاق تقطُنُ أو تَسيحُ
لهـا أَرَجٌ بنشرك كلّ يومٍ ... على الأعراض ضَوعتُه تفـوحُ
تَصاعَدُ فى الجبـالِ بلا مَراقٍ ... ويَقـذِفُ فى البحار بهـا السُّبوحُ
تمرُّ عليـكَ أيّامُ التهـانى ... ومنهنّ المبـارَكُ والنجيحُ
بجيـدِ المهرجان وكان عُطْلا ... قلائدُ من حلاها أو وُشـوحُ
بشائرُ أنّ عمركَ فى المعـالى ... يَعُـدُّ مُضاعِفا ما عَدَّ "نوحُ"

---

(١) الغزالة : الشمس . (٢) الأجم : الكبش لا قرن له . (٣) السجيح : الغزير .
(٤) يقال : بعل بأمره : بَرِمَ فلم يدر ما يصنع . (٥) اللوح : العطش .

* * *

وقال وكتب بها الى ناصر الدولة أبى القاسم بن مكرم، وأنفذها الى عمان على يد صاحبه وذلك فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة

لمن صاغياتٌ[1] فى الحبالِ طلائحُ ... تسيلُ على "نعمانَ" منها الأباطحُ
تخابط أيديها الطريقَ كأنها ... مَوائرُ فى بحر الفلاة سوابحُ
دجا ليلُها وهى السهام تقامُصا ... فلم ينصرم إلا وهنَّ طَرائحُ
كأنَّ الوجى[2] سرٌّ تخاف انتشارَه ... فمنها مُرِمٌّ[3] بالتشاكى وبائحُ
حَمَلْنَ شموسا فى الحُدوج غواربا ... وليلُ السُّرَى منهنّ أبلجُ واضحُ
ينوء بها أَن القدودَ خفائفٌ ... ويُظلعها أَن المتونَ رواجحُ
وفيهنّ منصورُ السهام مسلَّطٌ ... لعينيه أن تَدوَى[4] القلوبُ الصحائحُ (٨٩)
يطير جُبارا[5] ما أراقت لحاظُه ... اذا وُفِّيتْ حكمَ القصاصِ الجرائحُ
رمانى ونسكُ الحجّ بينى وبينه ... ولم يدر أنّ الصيد فى الحجّ قادحُ
طرحْتُ "بجَمْع" نظرةً ساء كسبُها ... وتبعتُ شرًّا للعيون المَطارحُ
فإن سترَتْ تلك الثلاثُ على "مِنًى" ... هواى فيومُ النَّفرِ لا شكّ فاضحُ
بكيتُ ولامَ العاذلاتُ فلم تغِضْ ... على رُقيةِ العذلِ الدموعُ السوافحُ
ولم أرَ مثلَ العينِ تُشفَى بدائها ... ولا كالعذول يُحتوَى وهو ناصحُ
أمنكِ آبنةَ الأعراب طيفٌ تبرّعتْ ... به هَبَّةُ التغويرِ والليلُ جانحُ؟
طوى "الرملَ" حتى ضاق بينى وبينه الـ ... ـعناقُ وما بينى وبينكِ فاسحُ
فباتَ على ما ترهبينَ ركوبَه ... هَجوما وفيما تمنعين يسامحُ

(١) الصاغيات : المائلات . • (٢) الوجى : الحفا . (٣) المرم : الساكت .
(٤) تدوَى : تمرض . (٥) جُبارا : هدرا .

رعَى اللهُ قلبـا ما أبرَّ بمن جفا ... وأثبتَ عهـــدًا والعهـــودُ طوائحُ
وأوسـعَ ذَرعا بالوفاء وصـــونِه ... اذا ضاق ما تُطوَى عليـــه الجوانحُ
عذيرَى من دهرى كأنى أريده ... على الودّ سَلمـا وهو قِرنٌ مكافحُ
وصحبـةِ خَوّانينَ، بائعُهم وإن ... تَكثَّر منهـم بالتوحُّـــدِ رابحُ
أخوهم أخـــو الذئب الخبيثِ يَدِلُّه ... على الدمِ ما تُملِى عليـــه الروائحُ
وأيدٍ سِـــباطٍ(١) وهى بالمنع جَعـــدةٌ(٢) ... تلاطمنى منهـا اللواتى أصـافحُ
يضيء على أبصارهم ضوءُ كوكبى ... وموضعُه من مطلِـع الفضـــل لائحُ
قعدتُ مع الحرمانِ بينَ ظهورهم ... وطائرُ حظّى لو تعيَّفتُ سـانحُ
لقد كان لى عن "بابلٍ" وجُدوبها ... مذاهبُ يتـــلوها الغِنى ومَنـادحُ
تركتُ عبابَ البحـــر والبحرُ مُعرِضٌ ... وأمّلتُ ما تَسقى الرَّكايا النـــوازحُ
ولو نهضتْ بى وثبـــةُ الجَدِّ زاحمتْ ... على المـاء هذى الآبيـاتُ القـوائحُ
إذًا لسقاها "ناصرُ الدين" ما آستقتْ ... كُبودٌ حِرارٌ أو شِـفاهٌ مَلاوحُ
وقد كانت "الزوراءُ" دارَ إقامةٍ ... ومَنْعَمَةٍ فيهـا المـنَى والمَفـارحُ
زمانَ العُـــلا محفـــوظةٌ فى عِراصها ... ثِقـالٌ وميزانُ الفضـائلِ راجحُ
فقـد حُوِّلتْ تلك المحاسنُ، وآنتهتْ ... الى غيرها فى الأرض تلك المَنـائحُ
وأضحتْ "عمانُ" للمكارمِ رُحلةً(٣) ... تُراحُ عليهـا المتعبـاتُ الروازحُ
بهـا المُلكُ طَلْقٌ والمغانى غَنيَّـــةُ الـ ... ـرُّبا ومسـاعى الطالبين مَنَـاجحُ
يضوع ثراهـا بالنـــدى فتخالهـا ... رياضـا وكانت قبـــلُ وهى ضرائحُ
يدبّرها سَـبط اليدين، بنـانُه ... لمقفَل أرزاق العبـاد مَفاتحُ

(١) سباط : كريمة لينة . (٢) جعدة : شحيحة جامدة . (٣) الرُّحلة بالضم : المكان يقصده الراحل .

صفا جوُّها بعد الكدور بعدله ... وطابت حسايا(١) الخبأتُ(٢) المَوالحُ
فما غيرها فوق البسيطة للعلا ... مقرٌّ، على أن البلاد فسائحُ
ولا مَلِكٌ إلا وفضلةُ ربّها ... عليه اذا عُدَّ الملوكُ انجحاجُ
بهمّة محيي الأمّة آجتمعت لها الـ ... ـبدائدُ وآنقادت اليها الجوامحُ
بأروعَ، وسمُ الملكِ فوق جبينه ... — اذا آرتابت الأبصارُ — أبلجُ واضحُ
اذا نُسِبَ الأملاكُ لم يَخش نجلةَ الـ ... ـمدعاوى ولم تدخل عليه القوادحُ
من النفر الغرّ الذين ببأسهم ... ونعمائهم تُلقَى الخطوبُ الفوادحُ
اذا ما دجت عشواءُ أمرٍ فأمرُهم ... ونهيُهم شهبٌ لها ومَصابحُ
لهم قصباتُ السبق فى كلّ دولة ... هم السرُّ(٣) منها والعتاقُ الصرائحُ
ينالون أقصَى ما آبتغوه بأذرع ... مخاصرُها(٤) صُمُّ القنا والصفائحُ
أصولٌ علًا منصورةٌ بفروعها ... اذا غاب ممسٍ منهمُ هبَّ صابحُ
ورَبَّ "يمينُ الدولة" المجدَ بعدهم ... كما ربَّت الروضَ الغيوثُ السوافحُ
جرى جريهم ثم آستتمّ بسبقه(٥) ... وكم وقفتْ دون الجذاعِ القوارحُ
همامٌ مع الإصرار مُصطلِمٌ(٦) لمن ... عدَى ومع الإقرار بالذنب صافحُ
تسنَّم أعوادَ السرير محجَّبٌ ... لواحظُه شرقا وغربا طوارحُ
تُراصِدُ جَرْىَ الأرض رجْعاتُ طَرفه ... كما ركبَ المَرباةَ(٧) أزرقُ لامحُ
ألا أيّها الغادى ليحملَ حاجتى ... لعلّك إن بُلِّغتَ بالنُّجح رائحُ
أعد فى مقرّ العزّ عنى تحيّةً ... يُذَكّى النسيمَ طيبُها المتفاوحُ

(١) الحسايا جمع حَسِيَّة وهى كل ما يُحتَسَى وفى الأصل "حشاياها" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "الجنات" وهو تحريف أيضا . (٣) السِّر : اللُّبُّ : (٤) المخاصر جمع مِخْصرة وهى ما يأخذه الملك بيده يشير به اذا خاطب . (٥) فى الأصل "بسيفه" وهو تحريف . (٦) مصطلم : مستأصل . (٧) الأزرق اللامح : البازى .

وقل : عبدُك المشتاقُ لا عهدُه عفا ... ولا وجدُه — إن نُقِّلَ الوجدُ — نازحُ
ومن لم يُخيَّبْ قطّ عالى ظنونه ... لديك ولم تُخْـدِجْ[1] مناه اللواقحُ
وأغنيتَـــه عمّن سواك فلم يُبَلْ ... جفا مانـــعٌ أو بَرّ بالرفـــد مانحُ
قَليبٌ، قريبٌ لى "ببغـــدادَ" ماؤها ... ومنبعُها شحـــطَ النـــوى متنازحُ
لهـا كلّ عامٍ من سماحـك ناهزٌ[2] ... ومن عهدك الوافى رِشاءٌ وماتحُ
اذا ما آستدرَّ الشكرُ سَلسالَ صَوبِهـا ... وجاءك عنى تمـتريهـا المـــدائحُ
أتتنى وبطنُ البحر ظهـــرُ مطيِّهـا ... فـــروَّتْ غليلى والسفينُ النواضحُ
وما زادها التنقيصُ إلا غَـــزارةً ... وإلا صـــفاءً طولَ ما أنا نازحُ
تبُثُّ ثرى أرضى وجســـمِىَ وادعٌ ... وتُمْـــرُ لِآبِنى وهو ساعٍ مُكادحُ
كلانا سُقِى من عفوِها وزُلالهـا ... وإن حبستنى عُقْلتى[3] وهـــو بارحُ
فللهِ مولًى منـــك ما لِىَ عنـــده ... ومَتجَـــرٌ من يُدلِى بجاهِىَ رابحُ
وها هـــو قد كرَّت اليـــك رجاءَهُ ... سوائرُ حاجٍ طـيرُهنَّ ســـوانحُ
فأمرَك — زاد اللهُ أمرَك بسطةً — ... بما عَوَّدَت تلك السجايا السحائحُ
أَعنْ جهدَه وآعرف له خَوض زاخرٍ ... يهـــزُّ الضلوعَ موجُـــه المتناطحُ
ولم أســـترِدْ نُعماك إلا ضرورةً ... وقد تُســـترادُ المزنُ وهى دوالحُ
بما ثَقَّلَتْ ظهرى الخطوبُ وضاعفتْ ... تكاليفَ عيشى وآنتحتنى الجـــوائحُ
وما بُتُّ من زُغبٍ حَوالَىَّ كالقطا ... تَنَزِّى الشِّـــرارِ أعجلتها المَقادحُ
أمسِّح منهـم كلَّ عِطْفٍ أسفتُ إذ ... أتانى وقـــد بُيِّضنَ منّى المَسـائحُ
نجـــوتُ على عصرِ الشبيبةِ منهُـــمُ ... وأرهقـــنى المقـــدارُ إذ أنا قارحُ

---

(١) يقال : أخدجت الدابة : جاءت بولد ناقص الخَلْق . (٢) الناهز : الذى يضرب بالدلو فى البئر لتمتلئ . (٣) العُقلة : ما يُعقَلُ به كالقيد أو العِقال ، وفى الأصل "غَفلتى" .

فدتك ملوكٌ ذكرُ مجدِك بينهم ... مثالبُ فى أعراضهم وجرائحُ
اذا لُعِنوا صَلَّتْ عليك محافلٌ ... صفاتُك قرآنٌ لها ومَسابحُ[1]
حَموا مالهم أن تُنتحَى بنقيصة ... عقائلُه والساريات السرائحُ
ومالُكَ فى الآفاق شتّى موزَّعٌ، ... كرائمُهُ والباقياتُ الصوالحُ
سهرتَ ونام الناسُ عمّا رأيتَه ... كأنك للعلياء وحدَك طامحُ
وجاريتَ سيبَ البحرِ ثم فَضَلْتَه ... وهل يستوى البحرانِ عذبٌ ومالحُ؟
أعرنِىَ سمعا لم تزل مطرباً له ... اذا ما تغنّته القوافى الفصائحُ
وأَصغِ لها عذراءَ لولاك لم تُجب ... خطيبا ولم يظفَر بها الدهرَ ناكحُ
من الباهراتِ لم تُحدَّثْ بمثلها الـ ... ـنفوسُ ولم تُوصَل اليها القرائحُ
ظهرتُ بها وحدى على حين فترةٍ ... من الشِّعر، برهانى بها اليومَ لائحُ
ومِنْ شرفِ الأشعار أنك سامعٌ ... ومن شرف الإحسان أنّىَ مادحُ
ومَنْ لِىَ لو أنّى مَثَلْتُ مُشافِها ... أفاوضُها أسماعَكم وأطارحُ
وأن ينهضَ[2] الجَدُّ العَثورُ بهجرةٍ ... تُعالجُ أشواقى بها والتَّبارِحُ
ويا ليتما ريح الشَّمال تهبُّ لى، ... فتُطلعَنى منها عليك البوارحُ
وكيف مَطارى والخطوب تُحضُّنى ... وأخذِىَ شَوطى والليالى كوابحُ
وقد كان جُبن القلب يُقعِدُ عنكُم ... فقد ساعدَتْه بالنكولِ الجوارحُ
وأقسمتِ السُّتونَ ما خرقوقها ... اذا آنسعتْ فى جِلدة المرءِ[3] ناصحُ
وإنى على أنسى بأهلى وموطنى ... لأَعلمُ أنَّ العيشَ عندك صالحُ

(١) فى الأصل "مسايح" وهو تحريف. (٢) فى الأصل "وإن نهض". (٣) الناصح: الخياط.

قافيـــة الدال

بعـــد خلق حرف الخـاء

وقال يهنئ نقيب النقباء أبا القاسم بن ممّا بخِلَعٍ وحُلانٍ[1] أُخرجَتْ اليه من الحضرة ويصف العُودَ والجامَ والخِلَعَ

٩١ أُرِى طَـرفَها أنّ الخضابين واحـدُ ... ولكنَّه ما بَهـرجَ[2] الشـيبَ ناقدُ

ضَـــلالةُ حُبٍّ غادرتنى مزوِّرا ... عِـذارِى وإنى لو أفقتُ لَراشـــدُ

يقولون: عُمرُ الشيبِ أطولُ بالفتى، ... وما سرَّنى أنى مع الشَّـــيبِ خالدُ

أَماضٍ فغـــدَّارُ زمانٌ أباحـنى ... حريمَ الهـــوى أم حافظٌ لِى فعائدُ؟

ودارَينِ من عالى "الصَّراةِ" سقتهما الـ ... ـبوارقُ رِبعِيَّ[3] الهوى والرواعـــدُ

ألفتُهما والعيشُ أبيضُ ضـاحكٌ ... بربعهـــما والظلُّ أخضرُ باردُ

ونَدمانُ صَبْحِى صاحبٌ متسـمِّحٌ ... معى، وضجيعُ الليـل إلفٌ مُساعدُ

وأخرسُ[4]، ممَّا سنَّت "الفرسُ" ناطقٌ ... يُهِبُّ رياحا رَوحُه وهـــو راكدُ

على صدره بالطُّول سبعٌ ضـعائفٌ ... تدبِّرها بالعَـــرضِ سَبعٌ شـدائدُ

وخمسُ سكونٌ تحت خمسِ حَوارِكٍ ... تَمُـــدُّ ثلاثًا يمتطينَ واحـــدُ

يشرِّدُ من حلم الفـــتى وهو حازمٌ ... فيرجعُ عنـــه فاســـقا وهو عابدُ

وقَوراءُ[5]، ماءُ الكرم أحمـــرُ ذائبٌ ... عليهـا وماء التـبر أصـــفرُ جامدُ

---

(١) الحُلان: ما يُحمَّلُ عليه من الدوابّ فى الهيئة خاصّة. (٢) بهرج: زيَّف.

(٣) الربعىّ: ما نتج فى أيام الربيـع وهو هنا مجاز. (٤) يكنى عن العود ويصفه.

(٥) القوراء: الواسعة، ويريد بها الكأس.

تُمثِّلُ "بَهْرامَ الكواكبِ"[1] قائما ... بها حيثُ "بَهرامُ الأكاسر" قاعدُ
أميرانِ، يُخفِي قائمَ السيفِ قابضٌ ... عليه، ويُبدى دُرّةَ التاج عاقدُ
تَبينُ وحبّاتُ المزاج نوازلٌ ... وتَخفَى وحبّات الحَبابِ صواعدُ
مَصالحُ عيشٍ والفتى من خلالها ... اذا لاحظ الأعقابَ فهى مَفاسدُ
ودنيا، لسانُ الذمّ فيها محكَّمٌ ... ولكنها عند "الحسين" مَحامدُ
اليكم بنى الحاجاتِ إنّى رائدٌ ... لِيُحبَسَ جارٍ أو لِيَبرُكَ واحدُ
أبٌ بكُمُ بَرٌّ وأنتم مَعقّةٌ ... أخٌ لكُمُ دِنيًا وأنتم أباعِدُ
حبيبٌ اليه ما غنمتم كأنه ... اذا جادَ مرفودٌ بما هو رافدُ
أناةٌ[2] ومن تحت القطوبِ تبسُّمٌ ... أوانًا وفى عقب الأناةِ مكايدُ
محاسنُ لا ينفكّ يَنشُرُ حامدٌ ... لها بعضَ ما يَطوِى على الغلِّ حاسدُ
ولما جلاك الملكُ فى ثوب جسمه ... تراءت على قدر العروس المَجاسدُ
أثبتُ بها عذراء ما اقتضَّ مثلَها ... سوى ربِّها، ما كلُّ عذراءَ ناهدُ
"بهائيّة" تُعزَى لأشرفِ نسبةٍ ... لتيأسَ منها كلُّ نفسٍ تُراودُ
لها أرَجٌ للعزِّ باقٍ وإنها ... على عزّ من تُهدَى اليه لَشاهدُ
على منكِب الفخر استقرّت ولم تكن ... تُلاقيك[3] لو لم تدرِ أنّك ماجدُ
أبانَ بها ما عنده لك، إنما ... تُحلَّى لإكرام السيوف المَغامدُ
فزاد "بهاءَ الدولة" اللهُ بسطةً ... على أىّ عِلقٍ[4] منك أضحى يزايدُ
لئن كان سيفا مرهَفَ الحدّ إنه ... لَيَعلمُ علمَ الحقّ أنك ساعدُ
أتانِى ليلا — قرَّ عينا — مبشِّرى ... فأيقظنى وَهْنًا وإنى لَراقدُ

(١) بهرام الكواكب : المرّيخ، قال حبيب بن أوس :
له كبدٌ ياءُ المشترى وسعودُهُ * وسَوْرةُ بَهرامٍ وطَرفُ عُطارد
(٢) فى الأصل "أتاك". (٣) فى الأصل "تلقّيك". (٤) العلق : الشىء النفيس.

وقمتُ، فكفٌّ[1] يشكر الدهرَ كاتبٌ ... ثناك، وخـدٌّ يشكر اللهَ ساجـــدُ
وناديتُ فانثالتْ مَعانٍ كأنّ ما ... تنظّمه منهـا القـوافى فَـرائدُ
وتَنقُدْن لى ما سِرنَ ظهـرَ مدائحى ... اليك وهنَّ عن سواك حوائدُ
وما كنّ مع طول القيام صـواديا ... لِيَسْرَحنَ إلا حيث تصـفو الموارِدُ
ولست كمن يُعطِى الأسـامِى نوالَهُ ... اذا جاد تقليـدا وتُلْغَى القصـائدُ
وما الشِّـعرُ إلا ما أقامت بيوتُه ... وسارت فأضحى[2] قاطنا وهو شـاردُ
وما هو إلا فى رقابٍ — اذا فشـا ... به الحفظُ — أغلالٌ وأخرى قلائدُ

* * *

وقال يمدحه و ينتجّزه وعدا طال مطله به

أقامتْ على قلبى كفيلا من العهدِ ... يذكّرنى بالقـربِ فى دولة البعـدِ
فقولا لواشيها — وإن كان صادقا — : ... وفائى لها أحظَى ولو غدرتْ عندى
خليـلىَّ، ما للرّيح هبّت مريضـةً ... هل اجتدتِ البُخّالَ أم حَمَلتْ وجدى؟
ضمنتُ من الداءين ما لا تُقِـلُّه ... على طرحها الشمُّ الهضابُ من الصَّلدِ
حنينٌ، ولكن مَن لِشملِى بجامعٍ؟ ... ومدُّ يدٍ، لكن مِنِ الرَّجُلُ المُجـدِى؟
فلا حُبَّ بل لاحظَّ نالك حظُّـه[3] ... قد اشترك الأحبابُ والحظ فى الصدِّ
وسَمِّى زمانى طولَ صبرى تجـلُّدا ... عدمتك، ما أبقيتَ بعـدِىَ للجَـلْدِ؟
كما ذَمَّ مَنْ قبـلى ذممتُك عالمـا ... بأنك موقوفٌ على الذمِّ مِن بعـدِى
ولكن تجاوَزْ لى بصَرفك ماجدا ... اليـه اذا جارتْ صروفُك أستعدى
اذا "الصاحبَ" استنجدتُه فوجدتُه ... فَرُغْنِى فيمن غيره شئتَ بالفقدِ

(١) كفّ مؤنّثة وتذكيرها هنا يراد به العضو . (٢) رجّحنا هذه الكلمة لسقوطها فى الأصل .
(٣) الحظ الأولى بمعنى الجد والثانية بمعنى النصيب .

وإن مرّ فى الأحباب عيشٌ بغيره ... فحسبى بعلم الله فى ذاك والحمدِ
وما أعرفُ الممدوحَ لم يجزِنى به ... اذا قلتُ خيرا ، إنّ ذلك بالضدِّ
أحقُّهمُ عندى بما قمتُ مثنيا ... أعدِّده مَنْ فات إحسانُه عَدّى
فإن تكن الأيّام أجدبن مرتعى ... لديه وكدّرن الزلالة من وِردى
أقولُ لآمالى — وأخشى قنوطَها — ... ركوبُك ظهرَ الصبر أدنَى الى الرشدِ
تُطار فلولا وجهُ سعدِك لم يكن ... سِراجُك فى الظلماء نجمَ " بنى سعدِ "
"أبا القاسم" "أمنحنى — سمعتَ — استماعةً ... وقِفْ بى من استبطاء حظّى على حدِّ
سخوتُ بشعرى قبلَ مدحك لاقيا ... بِسَبْطٍ[1] كلامى كلَّ ذى نائلٍ جعدِ
اذا قلتُ : أين الجودُ؟ أنشد بخله : ... محا الدهرُ ربعًا "بالمشقّرِ"[2] من "هِندِ"
تعابُ لديه الشمسُ بالنور حُجّةً ... على منعه ، والماءُ فى القيظ من بَرْدِ
وفاضت — وهم يُنْس — بحارُك بينهم ... فياليت شعرى ما لجودك ما يُعدى !
وقد كان لى فى الشعر عندك دولةٌ ... ولكن قليلٌ مُكثُها دولةُ الوَرْدِ
أظلُّ وما فى عاشقيك محقَّقٌ ... سواى ، أقاسى الهجرَ من بينهم وحدى
فلمْ أنت راضٍ لى وللجد وقفةً ... تزاحَمَ دمع اليأس فيها على خدّى
وما غيرُ تأميلى بدينى قضاؤه ... فكم أتقاضاه وأنحتُ من جِلدى
عسى يقف الإنجاز بى عند غايةٍ ... تريح فلى حولٌ أُجَرُّ على الوعدِ
تساويفُ وفّاها المطالُ حدودَه ... فعجّل لها الإنجازَ أو جَبهةَ الرَّدِّ

---

(١) السبط نقيض الجعد وقد تقدم تفسيره ، وفى الأصل " بسبط " .
(٢) المشقّر : اسم موضع .

* * *

وأنفذ اليه الكافى الأوحد ما جرت به عادته من رسومه ، فكتب اليه يمدحه ، ويذكُر تنزُّهه عن النظر فى الوزارة بالرَّىّ ، وآعتزاله إياها ترفعا عن نزول الحال فيها الى أحد أتباعه ، وما بان من عجز الداخل فيها بعده

اذا صاحَ وفدُ السُّحبِ بالريح أو حَدَا ... وراح بها ملأَى ثقالا أو آغتدى

فكان وما باراه من عَبَراتنا ... نصيبَ مَحـلٍّ "بالجنابِ" تأبَّدا (١)

وما كنتُ لولاه ـ ولو تربت يدى ـ ... لأَحمـلَ فى تُربٍ لماطِرِه يدا

خليلىَّ ، هذى دارُ "لمياء" فاحبسا ... معى وآعجبا إن لم تُميـلا فتُسعدا

نعاتب فيها الدهرَ ، لا ! كيف عتبُهُ؟ ... وأخلاقُه إخلاقُ ما كان جَدَّدا

سلاها ـ سـقاها ما يُعيـد زمانَها ... وعيشا بها ما كان أحلى وأرغدا ـ :

عهِـدْنا لديك الليـلَ يُقطَعُ أبيضا ... فلِمْ صار فيك الفجرُ يَطلُعُ أَسـودا؟

فأين الظباء العامراتك بالظُّبى ... ثنىً وفُـرادى ، غافلاتٍ وشُرَّدا؟

وليـلُ آختلاط لو تغاضَى صباحُهُ ... لما مازت الأيدى القِناعَ من الرِّدا

أبعدَ جلاءِ العينِ فيك من الفدَى ... أرى أثَرا أنَّى تلفتُّ مُرْمِـدا؟

لعمرُ الجـوى فى رُفقتى بك إنه ... يخامر قَرحانَ الحشا ما تعـوَّدا

وقلتُ: صَدًى، قالوا: الفراتُ الذى ترى ... وهيهات! غيرَ الماء، ما نُقِع الصدَى

مضى الناسُ ممّن كان يعتـدُّه الفتى ... وما أكثرَ الباقين إن هو عـدَّدا

وكان بكائى أننى لا أرى الأخَ الـ ... ـودودَ، فمَن لى أن أرى المتـودِّدا!

أمنعطِفٌ قلبُ الزمان بعاطِشٍ ... يرى الأرضَ بحرا لا يرى فيه مَوردا؟

تحمَّل شرقيًّا مع الركب شـوقُهُ ... وقد غار شـوقُ العاشقين وأنجدا

(١) تأبد : أقفر ولزمته الوحوش .

له بين أثناء الجبال وأهلها مَزَارٌ حَبيبٌ دونه طُرُقٌ عِدَا
وما بِيَ إلا أن أرى البدرَ ناطقا "وثهلانَ" شخصا جالسا متوسِّدا
وليتَ الثرى تحت السُّرادق مُلبِدا وبحرَ الندى فوق الأسرَّة مُزبِدا
وأن أدرك العلياءَ شخصا مصوَّرا هناك وألقى العزَّ جسما محدَّدا
ومن بَلَّغَتْهُ "الأوحدَ الكافِيَ" المنَى تَعَزَّلَ مَكْفِيًّا وفاخَر أوحدَا (٩٣)
لذاك آشتياق، ليس أن جازنى (١) له على البعد إحسانٌ ولا فاتنى نَدَى
مواهبُهُ سارت لحالى كثيفةً وشعرىَ مطلوبا وذكرى مشيَّدا
فمن نِعمةٍ خضراءَ تسبق نِعمةً له، ويدٍ بيضاءَ لاحقةٍ يدا
فتى لم أجد لى غيره فأقول: ما أعمّ عطاءً من فلانٍ وأجودا
أنالَ وفى الأيام اينٌ وأيبستْ فلم ينتقص ذاك النوالَ المعوَّدا
اذا بَلَغَ الزُّوَّارُ بابَك أُلقيتْ رحالُ ذليلٍ عَزَّ أو حائرٍ هَدَى
وقَلَّ من الآرابِ (٢) قُلٌّ (٣) ضممتَهُ وقد جاز فى الآفاق نَهبا مطرَّدا
تُغلَّقُ أبوابُ الملوك أمامَهُ ويَرعَى لديها الجهلُ وهى لَقًى سُدَى
تدافعه آدابُها وأكُفُّها مدافعةَ السّرح البعيرَ المعبَّدا (٤)
كما شاءها كانت ببعدك دولةٌ جفوتَ، فقد صارت كما شاءها العِدا
فموكبها بعد السكينة نافرٌ ومركبها صعبٌ وكان ممهَّدا
عَدَا الدهرُ فيها إذ نأيت بصرفه وكان آحتشاما منك يمشى مقيَّدا
فإن يك ضَرَّت (٥) هجرةٌ بعتَ "أحمدٍ" فقد حطَّ هجرٌ "الرَّىَّ" "رتبةَ "أحمدا"
تعزَّلَ عنها والمقاليدُ عنده ووازرها والكَدُّ فيمن تقلَّدا

(١) فى الأصل "حازنى". (٢) الآراب جمع أرب وفى الأصل "الآداب". (٣) القُلّ الذي لا أحد له. (٤) المعبّد: البعير المهنوء بالقطران لجربه. (٥) فى الأصل "ضرب".

أيخشى "ابن إبراهيمَ" فَوتَ وِزارةٍ ... وقـد حازها سقفَ السماء وأبعـدا
ولما بدت للعين وَقصاءُ[1] جهمةً ... وكانت تريك البدرَ والظبيَ أجيدا
معنَّسةً[2] أفنيت عمرَ شبابها ... فلم يبقَ إلا الشيبُ فيها أو الردى
نهضتَ على الإحسان فيها ولم تقم ... وعيشك إلا وهى تُزعِجُ مَقعَدا
تزوجتَها أيّامَ تُنكَحُ لذّةً ... وسرَّحتَ إذ كان النكاحُ تمرُّدا
وخلَّفتَها قاعا يغرُّ سرابُها ... يَدَىْ[3] حافرٍ لم يُسْقَ منها سوى الكُدَا[4]
قليلِ الطلاعِ فى العواقب لو درى ... مشقَّةَ ما فى مَصدرٍ ما تورَّدا
تَلبَّسَها جهلا بأنك لم تكن ... لتنزِعَها لو كنتَ تنزِعُ سؤدُدا
تحدّثنى عنك الأمانى حكايةً ... بما أنا لاقٍ منك كالصوتِ والصدَى
وكم زائرٍ منّا حملتَ أقتراحَه ... مضى ساحبا رِجْلا وآب مقوَّدا
ومثلىَ لو دونى أتاك بنفسه ... ذُنابَى[5] وولَّى عنك رأسا مسوَّدا
عسى عزمةٌ أشوتْ فمثّلتَ كاتبا ... يقرطسُ أحيانا فأمثُلُ منشدا
وقائلةٍ: هل يدركُ الحظُّ قاعدًا؟ ... فقلتُ لها: هل يقطعُ السيفُ مغمَدا!
سيلقَى بها "الكافى" عهودا وثيقةً ... لقد زادها الإسلامُ حقًّا وأكّدا
رضيتُ ـ وإن جدّ[6] الجدوبُ ـ تعفُّفا ... وعيشا مع الوجه المصون مبدَّدا
ومَيلا بنفسى عن لقاء معاشرٍ ... أحثُّهم[7] صخرا وأعصرُ جلمدا
أرادوا بخيلٍ أن يُذَمّوا فيُعرَفوا ... نحولا، كما أعطيتَ أنت لتُحمَدا
أعالج نفسا منهمُ مقشعِرَّةً ... وأنفا اذا ثَمُّوا المذلةَ أصيدا

(١) الوقصاء: قصيرة العنق، وفى الأصل "وقضاء" وهو تحريف. (٢) فى الاصل "معبسة أفيك" وهو تحريف. (٣) فى الأصل "بذى" وهو تحريف. (٤) يقال: أكدى الحافر اذا حفر فبلغ الكدا وهى الصخور فلا يمكنه أن يحفر. (٥) الذُّنابى: الذنَب. (٦) بالأصل "جَرَّ". (٧) حثّ: فرك وقشر.

هو المنقذى من شِرْك قومى و باعثى ... على الرشد أن أُصغى هواى "محمدا"(١)
وتارك بيتِ النار(٢) يبكى شرارُهُ ... علىَّ دَمًا أن صار بيتِىَ مسجدا
عليك بها وَصَّالةً رحِمَ الندى ... اذا اشتمل الشعرُ العقوقَ أو ارتدى
هجرنا لها اللفظَ المقلقَلَ قربُهُ ... الى السمع والمعنى العوانَ المردَّدا
يُخالُ بها الراوى اذا قام منشدا ... بما ملك الإطراب قام مغرِّدا
لكم "آلَ ابراهيم" نُهدى مدائحا ... وذمًّا الى أعدائكم وتهدُّدا
اذا عزَّ مُلكٌ أن يدوم لمالكٍ ... وطال على ذى نعمة أن يُخلَّدا
فلا تعدَم الدنيا الوَساعُ مدبِّرا ... يقوم بها منكم ولا الناسُ سيِّدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم يهنّئه بعيد الفطر

أنت على حالتيك محمودُ ... إن كان بخلٌ لديك أو جودُ
يشقَى ويرضَى بك الفؤادُ كما الـ ... ـطَّرفُ اذا ما رآك مسعودُ
يا غُصنًا دهرُه الربيعُ فما ... يفترقُ الماءُ فيه والعودُ (٩٤)
فات بك الحسنُ أن تُحَدَّ ولا ... يبدر بما انحطّ عنك تحديدُ
قم حدّث الليلَ عن أواخره ... إن مَقامَ الصبوح مشهودُ
يا ظبيُ، لو بتَّ فيه عدتَ وقد ... عَنَّ ظباءٌ "ببابلٍ" غيدُ
أما ترى الفِطرَ صائحا : تَورِزُوا ... حَلَّ حرامٌ وانحلَّ معقودُ
والبدر يدعو بحاجبٍ حاجبٍ ... للعيد : بشرَى هنالك العيدُ
فاسبق بها الشمسَ أختَها لهبا(٣) ... بقاؤها فى الزمان تخليدُ
صان اليهودىُّ خِدرَها أن يُفـ ... ـضَّ الختمُ أو تؤخذَ المقاليدُ

(١) يريد النبى صلى الله عليه وسلم . (٢) بيت النار : معبد المجوس . (٣) يكنى عن الخمر .

عَدَّ رجالا من قومه، لَهُـــمُ في فضلها عنـــده أسانيـــدُ
سنَّ له اللهـــوُ أن يعظّمَها فهى له فى الدنان معبـــودُ
حمـــراءُ، ما فازت الأكُفُّ به من لونها فى الخـــدود مردودُ
من فمِ إبريقها الى شَفة الـ ـكأس عمودُ الصباح ممـــدودُ
دِينٌ من اللهو أنت عن باب إبـ ـليسَ متى حُدتَ عنـه مطرودُ
تغنَّم اليـــومَ من سرورك والـ ـساعةَ، إن الزمان معـــدودُ
ما دام يدعونك الفـتى مَرَحا والغصنُ فينانُ والصِّـــبا رُودُ(١)
غدا بياضٌ، يا قاتـــل الله ما تنشقّ عنـه من بِيضك السودُ
لا تجمعُ الشَّـيبَ والسرورَ يدٌ ولا يـتمُّ الـــثراءُ والجـــودُ
لا أخلَفَ المـالَ غيرُ متلفـــه إن الغـــنىَّ البخيـــلَ مكدودُ
يا راكبا لم تُلْحُهُ هاجـــرةٌ ولا ترامت بشخصـه البيـــدُ،
ولم تَقُـــدْ حظَّـــه مخاطَرةٌ تُنضَى اليها المهـــريَّةُ القُـودُ،
بين منـاه و بينـــه غرضُ الـ ـر امى ســـدادٌ منـــه وتعضيدُ،(٢)
قل لابن "عبدالرحيم": عشتَ فما يعـدَمُ فضـلٌ وأنت موجودُ
مَلَّكك المجـــدَ أنّ بابَك مفـ ـتوحٌ وبابَ الأرزاقِ مســـدودُ
يزدحم الناس فيـــه راجين را ضين، وحوضُ الكريم مورودُ
وأن عافيك — والمكلِّفُ مشـ ـنوءٌ — مُرادٌ لديـــك مودودُ
لا هـو فى الذلّ بالسـؤال ولا بالمنِّ فيما منتَ مكدودُ
يختلفُ النـاس من كرامتـــه عنـدك مَنْ قاصـدٌ ومقصودُ

(١) رود أصلها رؤد وقد سهلت الهمزة وهو الغصن أرطبُ ما يكون وأرخصـــه وهو هنا من المجاز .
(٢) التعضيد : ذهاب السهم شمالا و يمينا .

والبشرُ حتى يقالَ : بارقةٌ ... والحلمُ حتى يقالَ : جلمودُ

يُلبسك المدحُ كلَّ ضافيةٍ ... لها بطول الإخلاق تجديدُ

دُرُّ المعالى فيها بوصفك منـ ... ـظومٌ ووشيُ الألفاظِ منضودُ

تَخْبُرُ منه ما أنت ناقده ... وأكثر الإنتقادِ تقليدُ

والشعرُ ما لم توجدك آيتُهُ ... — إلا القوافى والوزنَ — مفقودُ

يتعبُ فيه الموفّرون له ... وهو مع المُسْهلين موعود

بَقِيتَ منه لزائراتك بالـ ... ـثناءِ غيدا أكفاؤها الصِّيدُ

كلّ فتاةٍ تَحْدُوها يومَ تبـ ... ـنى الحطَّ إمَّا أنتَ مجدودُ

صديقُها أنتَ، والحسود بها ... وبى[1] على القرب منك مفؤودُ

فى وجهه البشر حين يسمعها ... خوفا وفى قلبه الأخاديدُ

يَطرَبُ منها للشىء يُحزِنهُ ... وآسمُ بكاءِ الحَمامِ تغريدُ

لا آجتاز عيدٌ إلا عليك وإن ... أَجزْتَ أن تُمطَلَ المواعيدُ

* * *

وقال وكتب اليه أيضا يهنّئه بعيد الفطر سنة تسع وتسعين وثلثمائة

اذا لم يُرْعَ عندكم الودادُ ... فسيّانِ القرابةُ والبعادُ

عهودٌ يومَ "رامةَ" دارساتٌ ... كما يتناوب الطلَلَ العهادُ

وأيمان تضيعُ بها المعانى ... وتحفظها الأناملُ والعِدادُ[2]

تطيرُ مع الخيانة كلَّ جنبٍ ... وحبّاتُ القلوبِ بها تصادُ

أمعترِضٌ صدودُكِ "أمَّ سعدٍ" ... ببعض الشرِّ، أم خُلُقٌ وعادُ؟[3]

(١) فى الأصل "ولى". (٢) العداد : العدّ. (٣) عاد جمع عادة.

وعـــذلٌ فيـك أوجعَ نازلٌ بى أنا الملسوعُ والعـذلُ العِـــدادُ[1]
وعبتِ وليس غيرُ الشيب شيئا أُذادُ له بعيبٍ أو أُكادُ
وما مـنّى البيـاضُ فتجرمينى به ذَنْبـا ولا منـك الســوادُ
بأيمنِ ملتـقَى المـاءين دارٌ لمـــرتادِ الهـــوى فيهـا مَرادُ
وقفتُ ، ومسعدون معى عليها، ألا يا دارُ ما فَعَلَتْ "سعادُ"؟
أقول لهـم أُعلِّلُ فيك شوقى : وشـــيكا ينقـعُ الظمأَ الثِّمـادُ[2]
خذوا من يومكم لغـــدٍ نصيبا من الأطلالِ، إنّ اليومَ زادُ
توقَّ الحبَّ تأمنْ كلَّ بغضٍ فَـدائك من دوائك مســتفادُ
يخـــوّفنى مَكايدَه زمانى صَـــغارَكَ[3] لا أُحسُّ ولا أكادُ
وقـــدرتُه اذا لم يُعطِ بخـــلٌ وغايتـــه اذا أعطى نَفـادُ
فقـل لبنيه : لستُ إذًا أخاكم، بعـادٌ بيننا أبـــدا بعـادُ
أعان الله مســكينا رجاكم فإن رجاءَ مثلِكُمُ جهـادُ
رضـــينا من قبائلكم ببيتٍ عمـادُ المكرماتِ له عمـادُ
بنى "عبدِ الرحيم" وكلُّ فخـــرٍ يفـــوت فبأسم نسـبتهم يُفـادُ
أعِـــدْ ذكرَ التحيّـــة فى أناسٍ اذا بَدَءُوا[4] اليـــك يدًا أعادوا
وقم واخطب بحمدك فى ربوعٍ وفـــودُ المجـــد عنها لا تُذادُ
ومبتسمين يُورى الملكُ منهـــم جباها، كلُّ واضحـــةٍ زنادُ
رأَوا حفظَ النفوسِ اذا استميحوا — وقد بخل الحيا — بخلا، فجادوا

---

(١) العداد : اهتياج وجع اللديغ ، ويقال عداد اللديغ سبعة أيام ، ويقال له مادام فيها : هو فى عداده . (٢) الثماد : الماء القليل . (٣) صغارك أى هات ضيك ومذلتك فإنى لا أحس . (٤) فى الأصل "أبدوا" .

فِـدًى للحسـنين فـتًى عُلاهم ... وناشرُها وقـد درَسـوا وبادوا (١)

دعيٌّ فى السماح وليس منـه ... متى أعترف الندى بك "يا زِيادُ" ؟ (٢)

دعِ العلياءَ يَسـجَحْها عريقٌ ... بياضُـك يومَ نسبته سـوادُ

يطـولُ ركابَه إن قام فيهـا ... ويقصُر عن مقـلَّده النجادُ (٣)

أيا "ابن علىٍّ" أعتقلتك مـنّى ... يدٌ لم تـدرِ قبلك ما العَتادُ

عركتُ يدَ الخطوبِ وفىَّ ضعفٌ ... فَلِنَّ وهنَّ أعباءٌ شِـدادُ

لذلك تُسـتزاد الشـمسُ نورا ... وحُبِّيـك الذى لا يُسـتزادُ

وحظُّك من جَـنَى فكرى شناءٌ ... يطول، وطُولُه فيـك اقتصادُ

اذا الشيءُ المعـادُ أمَـلَّ سمعا ... تَـكرَّر وهـو طِيباً يُسـتعادُ

فما خُطِبَتْ بأبلـغَ منـه خاءٌ ... ولا نُطِقَتْ بأفصحَ منه ضـادُ (٤)

ألا لا تذكُرُ الدنيا بخـيرٍ ... فـتًى إلا وأنتَ به المـرادُ

اذا حاز امرؤ تأبيـدَ نجـلٍ ... أمدَّك من "أبى سـعد" مِدادُ

شبيهُك، والعلا منهـا اكتساب ... ومنها — وهو أفضلها — وِلادُ

وكنتَ البـدرَ تمَّ فزِيدَ نجـا ... كما أوفَى بغُـرّته الجـوادُ

فعشْ واذخرْه للعافين كهفا ... وخـيرُ ذخيرةِ الجسم الفـؤادُ

* * *

وكتب اليه أيضا يهنّئه بعيد الفطر وينقاضاه حاجةً

أبالغور تشـتاقُ تلك النجودا؟ ... رمَيتَ بقلبـك مَرمًى بعيـدا

وفَيتَ فكيف رأيتَ الوفاءَ ... يُذِلّ العزيزَ ويُضـوِى (٥) الجليـدا

(١) يرى المتمعن أنه انتقل فجأة مع النعمية الى عرض آخر ولعله تهكّم . (٢) يشير الى تهكمه الى زياد بن أبيه لأنه مجهول الأب . (٣) النجاد : حمائل السيف . (٤) فى الأصل "صاد" .
(٥) يضوى : يُضعِف .

أفى كلّ دارٍ تمـرُّ العهـودُ عليك ولم تنس منهـا العهـودا ؟
فـؤادٌ أسـيرٌ ولا يفتـدى وجفنٌ قتيـلُ البكا ليس يُودى (١)
سـهرنا "ببابـلَ" للنـائمي ن عمّـا نقاسى "بنجدٍ" رقـودا
من العربيّـات شمسٌ تعـودُ بأحرارِ "فارسَ" مثلى عبيـدا
اذا قـومُها افتخـروا بالوفا ءِ والجود ظَلَّتْ ترى البخلَ جودا
ولو أنهـم يحفظون الحِوا رَ ردُّوا علىّ فـؤادا طـريدا
نعم جَمـعَ الله يا من هَـويتُ وصَدَّ، عليك الهوى والصـدودا
رنَتْ عينُـه ورأت مَقتَـلى ففـوَّقها ورمانى سـديدا
قـلوبُ الغـوانى حديدٌ يقـالُ وقلبـك نارٌ تذيبُ الحـديدا (٩٦)
سأجرى مع النـاس فى شوطهم فَعـالا بغيضـا وقـولا وديدا
أغَرّ بِبِشْـرِ أخى فى اللقـا ءِ لو تبـعَ الغيثُ تلك الرعـودا
ويُعجبنى المـاء فى وجهـه وفى قلبـه الغـلُّ يُذكى وَقودا
مُريبون أوسـعُهم حجّـةً وعذرا معى مَن يكون الحسـودا
وَحادِ (٢) فلستَ ترى المسـتريـ ـحَ فى الناس من لا تراه الوحيدا
وحازت سجايا آبن "عبد الرحيم" ثنـاءً كسؤدُده لن يَبيـدا
ومدحا اذا مات مجـدُ الرجا ل أعطى الذى سار فيـه الخلودا
تَمهَّدَ من "فارسٍ" ذِروةً تُحَطُّ "المجـرّة" عنهـا صعودا
مكانةَ لا تسـتفزّ العيـو بُ نخـرا ولا يغمِزُ اللؤمُ عودا
تشـابَهَ عِـرْقٌ وأغصـانُهُ كما بدئَ المجـدُ فيهـم أُعيـدا
فعُـدَّ الكواكبَ منهـم بنينَ وعُدَّ الأهاضيبَ منهـم جدودا

(١) يودى : يُدفَع دِيتُه . (٢) وَحادِ : كن وحيدا .

سَعَدتُ بحبّك لو أنني ... لحظّيَ منك رُزِقتُ السعودا
إلامَ توانٍ يُميتُ الوفاءَ ... وعندى ضمانٌ يَحُلُّ العقودا ؟
ونقصُ اهتمامٍ أُرَى مُكْرَهًا ... لجودك من أجله مستزيدا
أَمَا آن للعادة المرتضا ... ةِ من رحبِ صدرِك لى أن تعودا ؟
ولو لم يكن ماءُ وجهى يذوبُ ... بها ثمنا لم يَرُعْنِي جمودا
أمانٍ صدرنَ بطانًا وعدنَ ... خمائصَ ممّا رَعَيْن الوعودا
الى الله محتَسِبًا[1] عنده ... بعثتُ هوًى مات فيكم شهيدا
على ذاك ما قصُرتْ دولة ... فطاولْ زمانَك بيضًا وسُودا
ولا تبرحنَّ بشعرى عليك ... عرائسُ يُجْلَيْنَ هيفًا وغِيدا
تَخالُ اليمانىَّ حاك البرودَ ... اذا أنا قصّدت منها القصيدا
ولى كلَّ عيدٍ بها وقفةٌ ... أناشدُ عَطفَك فيها نشيدا
تهانٍ يغَصُّ التقاضى بها، ... فهل أنا لا أتقاضاك عيدا ؟

* * *

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنّئه بعيد الفطر

أنا اليومَ ممّا تعهدين بعيدُ ... تُريدين منى والعَلاءُ يريدُ
طوَى رَسَنى عن قبضة الحبّ خالعا ... قُواه ، وقِدمًا كنتُ حيث يقودُ
هوًى — ولياليَ اللهو بيضٌ — وهبتُهُ ... اليها ، وأيّام الكريهة سودُ
وهيفٌ رقاقُ موضعِ الهَيْف[2] فُتْنَنِى ... وهنَّ جسومٌ حلوةٌ وقدودُ
دعينى وخُلْقًا من سنىً استفدته ... عزيزا فمعدودُ السنين مفيدُ

(١) فى الأصل "مستحسبا" .
(٢) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة وهو أهيف وهى هيفاء وجمعهما هِيفٌ .

ولا تحسبني صِبْغَ لونين في الهـوى ... أتوبُ وتبـدو فرصـةٌ فأعودُ
ولا كامنا في الحيّ أنظـرُ سِربَهُ ... على خدعة الأشراكِ كيف أصـيدُ
وحَصَّ غرابي يا ابنـة القومِ أجدلٌ(١) ... بميـرٌ بأوكار الشبابِ صَـيودُ
أراكِ تَرَيْنى ناقصا ونقيصـتي ... ليـالٍ وأيامٌ عـلىّ تزيـدُ
لكلِّ جـديدٍ باعترافِكِ لذّةٌ ... فما لكِ عفتِ الشيبَ وهو جـديدُ
تأخَّرتِ بالصمصامِ وهو مصمِّم ... وخالفتِ رأىَ الرمح وهو سـديدُ
متى ضنَّتِ الدنيـا علىّ فأبصرت(٢) ... لسانيَ فيهـا بالسـؤالِ يجـودُ
اذا كنتَ حرّا فاجتنبْ شهواتِهـا ... فإن بنيهـا للزمان عبيـدُ
وبِنْ في عيون النـاس منهـم مباعدا ... اذا اشتبهوا واسـلم وأنت وحيـدُ
وقل بلسان الحـظّ، إن خطيبَهُ ... بليغٌ ومَن أعيا عليـه بليـدُ:
اذا شئت أن تلقَ الأنام معظَّما ... فلا تلقَهم إلا وأنت سـعيدُ
ورُبَّ نجيبٍ "كابن أيّوب" واحدٍ ... تراه مع الحـالاتِ حيث تريدُ
صديق، وما يُغنِي صديقُك لم يُطِقْ ... ثقيـلا ولم يقرُب عليه بعيـدُ؟
أعُدُّ سجـايا الأكرمين وتنقضى ... وأمُّ سجـاياه الكـرامِ ولودُ
اذا قمتُ أتلوهنّ، قالت لِيَ العُلا: ... أعِد، والحديثُ المستحبُّ يعـودُ
وصدِّق وصفى — والمحبُّ بمعـرَضٍ ... من الريْب — آياتٌ عليـه شهودُ (٩٧)
يدٌ في النـدى ماءٌ، وقلب اذا التوتْ ... عليـه حبـالُ المشكلات حـديدُ
ومخضوبة الأطرافِ لم تُصبِ عاشقا ... عميـدا، وكم أودَى بهنّ عميـدُ
قواطع أوصالِ البـلاد سـوائر ... وما ثار عن أخفافهنّ صـعيدُ
اذا نارُ حربٍ أُضرِمتْ أو مكيدةٌ ... فهنّ لهـا وما احـترقن وَقـودُ

(١) الأجدل : الصقر . (٢) في الأصل "مضى" .

وعلّمه أن يصنع المجدَ مَنبتٌ عريقٌ وبيتٌ فى السماء قعيدُ
وحامون بالرأى الجميع حِماهُمُ ووَفْرُهُمُ عند الحقوق شريدُ
مطاعيمُ أرواحِ الشتاء(١)، اذا طغت سواجرُ(٢) فى أبياتهم وركودُ
قيامٌ الى أضيافهم وعليهمُ ولكنّهم عند الملوك قُعودُ
سخا بهمُ أنّ السخاء شجاعةٌ وشجّعهم أنّ الشجاعةَ جودُ
وُقيتُ من الحسّاد فيك فكلّ من يَرَى ودَّك الباقى علىَّ حسودُ
يودّون ما أصفيتنى من مودّةٍ وما أصطفِى من شكرها وأُجيدُ
لبعضهمُ من بعضهم متخلّصٌ وتأبَى غلولٌ بينهم وحقودُ
وعذراء مما آستنجبَ الفكرُ وآرتضَى معقّلة فى الخِدرِ وهى شرودُ
نجومُ سجاياك الصّباحُ اذا سرت قلائدُ فى أعناقها وعقودُ
اذا يومُ عيدٍ زفّها قام ناصبا لتجهيزِ أُخرى مثلها لك عيدُ
لها بعدما يفنَى الزمانُ وأهلُه بقاءٌ على أحسابكم وخلودُ

* * *

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب ذى السياستين أبى محمد بن مكرم ويهنّئه، وقد خلع عليه خلعةً مشرقةَ الجمال والجلال، وأضيف الى ألقابه عزّ الجيوش ويصف الخِلَعَ والحُلان

إمّا تقومونَ كذا أو فآقعدوا ما كلّ من رام السماءَ يَصعدُ
نامَ على الهُونِ الذليلُ ودرَى جفنُ العزيزِ لِمَ بات يَسهَدُ

(١) يشير بذلك الى الدين يقال لهم: مطاعيم الريح فى العرب، زعم آبن الأعرابىّ: أنهم أربعة أحدهم عمّ أبى محجن الثّقفىّ ولم يسمّ الباقين، وقال أبو الندى: هم كنانة بن عبد ياليل الثقفى عمّ أبى محجن، ولبيد ابن ربيعة وأبوه كانوا اذا هبت الصبا أطعموا الناس وخصوا الصبا لأنها لا تهب إلا فى جدب، وفى المثل "أقرَى من مطاعيم الريح". (٢) السواجر السيول تملأ كل شىء.

أخفُّكم سعيا الى سـودَدِه أحقُّكم بأن يقالَ : سـيِّدُ
عن تعبٍ أُورِدَ ساقٌ أوّلا ومَسـحَتْ غرَّةَ سَبَّاقٍ يدُ
لو شُرِّفَ الإنسـان وهو وادعٌ[1] لقطعَ الصمصامُ وهـو مغمَدُ
هيهات أبصرتَ العـلاءَ وعشّوا عنـه فضـلُّوا سُبلَه وتجِـدُ
يا عمـدةَ الملكِ وأىُّ شرفٍ طالَ ولم ترفعـه منكم عَمَـدُ ؟
لله هـذا اليومُ يوما أنجـز الـ ـهـرُ به ما كان فيه يَعِـدُ
لما طَلعتَ البدرَ من ثَنيَّـةٍ تُجـلَى بها عينٌ وعَينٌ تَرمَدُ
من شَفَقِ الشمسِ يُسَدِّى ثوبُها وتُلحِمُ[2] الجـوزاءَ أو تُعَـمِّدُ
دقَّ وجلَّ فهـو إن لامستَهُ سَبْطٌ وإن مارسته مُجَعَّـدُ
متـوَّجا عمامـةً وإنما عمامةُ الفـارس تاجٌ يُعقدُ
ممتطيا أتلـعَ[3] لـو حبستَهُ تحتـك قيل : فَدَنٌ[4] مُشَيَّدُ
مناقـلا بأربع كأنّما يلاطم الجليـدَ منها جَلْمَـدُ
وقَّـرها خوفُك فهـو مطلَقٌ يَنقُلُها كأنه مقيَّـدُ
خَفَّ بطبع عِتقِـه وآده[5] ثِقـلُ الحُـلَى فمشـيُه تأوُّدُ[6]
مقـلَّدا مهنّـدا ما ضمَّـه قبلَك إلا خافـه مقَـلَّدُ
أبيض[7] لا يعطيك عهدا مثـلُه اذا أخـوك حالَ عمّا تَعهَدُ
اذا آدرعتَ فى الدجى فقَبَّسَ وإن توسّـدتَ الثرى فعضُـدُ
ما آعتدتَ كسبَ العزِّ إلا مَعَهُ ، والمـرء مَشَّاءٌ وما يُعَـوَّدُ

(١) الوادع : الساكن المستقر ، وفى الأصـل " دارع " . (٢) فى الأصـل " يحلم " .
(٣) الأتلع : الطويل الجيد ، ويريد به الفرس . (٤) الفدن : القصر العظيم . (٥) آده : أثقله . (٦) التأود : الانحناء والانعطاف . (٧) الأبيض : السيف .

ما زال "فخر المُلك" فى أمثالها ... يرشُدُ فى آرائه ويسعدُ
فكيف لا وأنت من فؤاده ... عزًّا وعينيه المكانُ الأسودُ
ولو ركبتُ أرحلا لكان لى ... فيك بُراقٌ بالمنى مزوَّدُ(١)
أنت الذى جمعتنى من معشرٍ ... شملُ العلاء بينهم مبدَّدُ
كأننى آخذُ ما أُعطيهُمُ ... من مِدَحى اذا نطقتُ أُنشِدُ (٩٨)
أبحتَنِى مجدَك إذ أرحتنى ... ممّن أذمُّ منهُمُ وأحمَدُ

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد الفطر

ليتَك لمّا لم تكن مُسعِدا ... أو مصلحا لم تكن المفسدا
كنتُ كثيرا بك فيما يَرَى ... ظنِّى، فكثَّرتَ عديدَ العدا
وشَى وقد قدَّمتَهُ رائدا، ... لا تبعث الظلمة مسترشدا
يسومنى الغدرَ بعهد "اللِّوى" ... ما حقُّ من يغدِرُ أن يَعهَدا
غيرى أبو الألوانِ فى حبِّه ... يشكو الهوى اليومَ ويسلو غدا
أصبو الى "طَيْبةَ" من "بابلٍ" ... ما أقربَ الشوقَ وما أبعدا
يا فارسَ "الغيداء" يعنى "مِنًى" ... بلِّغْ — بلغتَ الرشأَ الأغيدا — :
يا حبذا الذكرى وإن أسهرتْ ... بعدك والدمعُ وإن أرمَدا
لا تأخذِ النَّفرَ بتفريقنا ... فربّما عاد لنا موعدا
"بالغور" دارٌ و"بنجدٍ" هوًى ... يا لهفَ من غار لمن أنجدا
ما كان سَلمِى يوم فارقتكم ... يا "سَلْمَ" منّى حاملا أجلدا
سجيّةٌ فى الصبر عوَّدتُها ... قلبى والقلبُ وما عُوِّدا

(١) فى الأصل "ومَزيدُ" ولعله تحريف .

لم تُدنِنى الأيامُ من عدلها قـطّ فألقى الجَورَ مستبعَدا
وإنما يُنكِرُ من عَيشِـه أنكدَهُ مَنْ عَرَفَ الأرغـدا
حـوادثٌ أعجبُ من كرِّها أن أتشكّاها وأن أُحسَـدا
ليتَ بنى الدنيـا التى لا تَرَى لى نسـبا منهـا ولا مَـولدا
كفَّتهُمُ عـنّى أو ليتهُـمْ كانوا جميعا "للحسين" الفدى
للقمرِ الفـردِ وهـل مالكٌ فى الأفقِ غيرُ البدرِ أن يُفرَدا
لا يَحسَبُ الطيِّبَ من ماله ما لم يكن معـترضا للجَـدَا
وكان أغنَى حسبا عنـدهُمْ من لم يزل أفقـرَ منهـم يدا
والأبيض الرأى اذا ما شكا خابطُ ليـلٍ رأيَهُ الأسـوَدا
وفارس القَـولةِ لم يَسـتقمْ فى ظهـرها الفارسُ إلا ارتدى (١)
وسالك الخطبِ وقـد أظلمتْ مَحجَّـةٌ بالنجـم لا تُهتَـدَى
ما شِـيمَ منكم صـارمٌ مغمَدٌ إلا وأمضى منـه ما جُـرِّدا (٢)
ولا قَضَى اللهُ عـلى سـيِّد قضـاءَهُ إلا اجتبَى سـيِّدا
إن بدأوا تمّم أو نَقصُـوا أنعمَ أو حطُّوا عُـلًا شـيَّدا
كأنه أُرضِعَ ثـدىَ النُّهى أو شاب من حُنكتِه أمردا
لا عاقَ أنـوارَك يا بدرَهُـمْ ما يَنقُصُ البـدرَ اذا زُيِّدا
ولا أغبَّتكم (٣) عـلى عادِهـا — ما أفطر الصـائمُ أو عيَّدا — ،
بواكرٌ من مِـدَحى تَقتَفِى فى صونهـا آثارَكم فى النـدى

---

(١) ارتدى : تقلّد سيفه ولعل معناه أنه يقضى بقوله ما يقضيه غيره بسيفه ؛ أو لعله محرف عن
وفارس الجولةِ لم يستقمْ فى ظهرها الفارسُ إلا ردَى
ومعنى ردى : سقط . (٢) فى الأصل "فيه" . (٣) أغبتكم : تركتكم .

تجلو على الألباب أحسابكُم بواديًا فى حَلْيِها عُوَّدا
تبقَى على الدهر وِساعَ الخُطَا فى جَوْبِها الأرضَ طِوالَ المدى
يزيدها ترديدُها جِدَّةً ويُخلِقُ القولُ اذا رُدِّدا

* * *

ولما وصلت القصيدة العينيّة الى أبى الحسن محمد بن الحسن الهَمَانىّ، تفقّده بهديّة جميلة زائدة على قدر عمله وتمكّنه، وكتب اليه كتابا منصفا يستوفى معانىَ الاعتذار والتشوّق، فأخّر الجوابَ عنه الى أن ألحقه بهذه القصيدة، وأتفق نفوذُها الى الكوفة فى آخر شهر رمضان يهنّئه بالعيد

لا تَلمَسُ الشمسَ يدُ فما يَرُدُّ الحسَدُ؟
ما لمُريدِ حسنِها إلا الأسى والكمَدُ
يَفْنَى نزولا ولها علاؤها والخُلُدُ
أرى نفوسا ضَلَّةً تَنشُدُ ما لا تَجِدُ (٩٩)
تحسَب بالكسب العلا ءَ والعلاءُ مُولَدُ
أفضَحُها مفنِّدُ لو سدّ غيظا فَنَدُ
وكلّ قلبٍ قُرحة يشِفُّ عنه الجسدُ
أبرُدُه بعَذَلى لو أن نارا تَبْرُدُ
هيهات من دوائها وداؤها "محمّدُ"
فات على أطماعِه حمى العيون الفرقدُ
شَوَّقها لحاقُه جَهلُ الحظوظِ المسعِدُ
ونِعمَ نابتةٌ[1] مع الربيع جُدُدُ

(١) فى الأصل "تانيه".

حـــدَّثَهـا أضغاثُهـا[١] هذا السرابُ المُوقَـدُ
والصبحُ فى تكذيبها إن بلغوه الموعـــدُ
يا حاســدى "محمّدٍ" لا تطلبوه وآحسُـدوا
شريعـةٌ مـــورودةٌ لو أصـدَرتْ مَنْ يَرِدُ
منّكُمُ جـدودُكم أنّ السبيلَ جَدَدُ[٢]
تنكّبوا فإنما على الطريق الأســدُ
أغيـدُ لا يُنجِى الرقا بَ من يديه الجَيِّدُ[٣]
أوفَى عـــلى مَرقَبِـه لكفّه ما يرصُـــدُ
أزبُّ ما مِن قِـرَّةٍ[٥] خِيطت عليـــه اللِّبَدُ[٦]
اذا غـــدا لسفَرٍ أقســـمَ لا يُـــزَوَّدُ
النـاجياتُ عنـــده وذيَّـــةٌ[٧] ونَقَـــدُ
قد قلتُ لمّا أجمعوا وأنت عنهـــم مفردُ
تخبِـــطُ عشواؤُهُم : ما فعـــل المُقَـــوِّدُ[٨] ؟
البـــدرُ فى أمثالها حنادسا يُفتقَـــدُ
ضاع بياضُ نارِكم والليلُ بعـــدُ أَسْوَدُ
أكرمُكم أحقُّكم بأن يقالَ : سيِّدُ
دلَّ عـــلى آياتِه فما لنـا نُقـــلِّدُ

---

(١) الأضغاث جمع ضِغثٍ وهو ما آختلط من الخبر والأمر فلا تعرف حقيقته . (٢) الجَدَد : الأرض الدليظة المستوية . (٣) الجَيِّـد : طول الجيد وحسنه . (٤) الأزبّ : الكثير الشعر على وجهه . (٥) القرّة : البرد . (٦) اللبد جمع لبـدة وهى كل شـعر أو صوف مُلبَّد . (٧) الوذيّة : الحقيرة . (٨) المقوِّد : الذى يقود الدابّة .

وناقصُ الشِّكة (١) مضـ ـعوف الحشا معودُ (٢)
صمّ القنا الصِّلابِ من خَـوَرِهِ تقصّـدُ (٣)
يطـولها شـوارعا وهـو لَقًى موسّـدُ
إذ الكمالُ كلُّه فى جسـد يجـدّدُ
ما تَـلِد الأرضُ كذا والأرضُ بعـدُ تَلِدُ
قل لبـنى الآراب (٤) تُجـ ـنَى والمـنى تُشرّدُ
والحاج يُلـقَى دونه سنّ اللَّجـزُ المُزيّدُ (٥):
الكوفةَ الكوفةَ يا مغـوّرٌ يا منجـدُ
ما النـاس إلا رجـلٌ والأرض إلا بـلدُ
مَن راكبٌ مُربِعـةً (٦) تمّ عليها العُـددُ؟
موضوعةَ الرحـل تُسّ حَكْمها (٧) وتَـرِدُ
يَمُـدُّ قِيـد الرمح ظـ ـلّا قَصـرُها المشـيّدُ
تحمـله مُخِفّـةً ولو علاها "أُحُـدُ"
تَخِـدّ فى الصخر ملا طِمِ (٨) عليها تَخِـدُ
عَجْلَى اذا ما الساق صا دت ما تُثيرُ العَضُـدُ
لم يدر لحـظُ ضابطٍ ما رجلُها وما اليـدُ
بلّغ — بلغتَ راشـدا تسرى، ويحدو مُرشِدُ —:

(١) الشـكة : السلاح . (٢) المعـود : المسن من قولهم عوّد البـعير أى صار عَوْدا .
(٣) تقصد : تتكسر قصَدا أى قطعا . (٤) فى الأصل "الآداب" . (٥) اللجز المزيّد : البخيل الذى يزيّد ماله أى يُنميه . (٦) المربعة : من ذوات الخفّ التى دخلت فى السنة السابعة .
(٧) الحكمْ وضع الحَكَمَة فى فم الدابّة وهى ما أحاط بحكى الدابّة من لجامها وفيها العذاران . (٨) ملاطم ، جمع مَلطم وهو الخد وفى الأصل "ملاطيم" .

شـــوقا يقُضُّ[1] نَبلُهُ الـ ـأَضـــلاعَ وهى زَرَدُ
دام عـــلى حصاة قل ـبي ويذوب الجلمـدُ
أفنى الوَقـودُ كبـدى فهـــل يُحسّ المُوقِـدُ
كم يُسعِد الصبرُ تُرَى ؟ بعـــدك خان المسعدُ
على مَن الفضلُ — وقد فارقتَـــه — يعتمدُ ؟
يا طولَ ذمّى للنوى ، هـــل من لقاءٍ يُحمَـــدُ ؟
متى ؟ فقد طال المدى ، لكلّ شيء أمـــدُ
يا باعثَ النعمى التى آياتُهـا لا تُجحَـــدُ
لو كُتِمتْ تطلّعتْ من حسن حالى تَشهدُ
كانت سَـــدادَ رحْلةٍ أصيب فيها المقصِـدُ
رمَتَ منهـا ثُلَمـاً[2] ما خلتُها تُســـدّدُ
علّك من مطلِّ با ـشكر عليهـا تَجـــدُ
ما كان تقصيرا ، فهـل يقتصـر المجتهـــدُ ؟
لكنّهـا عارفـــةٌ من الثناء أزيـدُ
أفســـدنى إفراطُها ، بعضُ العطاء يُفسـدُ
والجود ما أسرفَ والـ ـإمســاك فيـــه أجودُ
والآن رثّتْ مُسْكةٌ[3] فاسمـع لهـا أجـــدِّدُ
تأتيك بشرى ما تسو د أبـــدا وتســـعَدُ
وما تصوم مُرضِـــيًا بقـاك أو تُعيِّـــدُ

(١) يقضّ : يدقّ ، وفى الأصل "يفضّ" . (٢) الثلم جمع ثُلمة وهى فُرجة المكسور والمهدوم .
(٣) المُسكة : ما يُتمسّك به .

سنينَ لا يضبطهنّ فى الحساب عَدَدُ
إن عاقنى دهرٌ أقو مُ أبدا ويُقعِدُ
عن المثول اليوم ما بين يديك أُنشِدُ
فربّما قمتُ غدًا، إنّ أخا اليومِ غدُ

* * *

(١٠٠) قال وقد رثى الشريف الرضىّ رضوان الله عليه بالقصيدة الميميّة، وشقّت على جماعةٍ ممّن كان يحسدُ الرضىَّ بالفضل فى حياته أن يُرثَى بمثلها فى وفاته، ونسبه قومٌ الى السرف فيما آدعى له ولنفسه من الحاق به وشدّة الأنس معه، حبًّا لأن تضاف بعضُ المحاسن اليهم، وطعنوا فى غرضه من الإقرار بالتوحيد، وتكلّموا فى ذلك، وكان فيهم مَن رثاه بما ظاهرُه التأسّى، وباطنه الشماتة، بشِعرٍ لا يسرُّ سامعا، ولا يملك فَهِما، فأسَف لمكان قصوره عمّا كان يجب أن يقدر على قوله، وعمل هذه القصيدةَ يرثيه، ويلوِّح بذكرهم، ويزيد فى غيظهم

أقريشُ، لا لفمٍ أراك ولا يدٍ فتوا كلى(١)، غاض الندَى وخلا الندِّى
خواستِ، فالتفتى بأوقصَ(٢)، وآسئلى من بزَّ ظهرَك، وانظرى من أرمدِ(٣)
وهبى الذُّحولَ(٤) فلستِ رائدَ حاجةٍ تُقضَى بمطرورٍ(٥) ولا بمهنّدِ
خلّاكِ ذو الحسبين أنقاضًا(٦) متى تُجذَبْ على حبل المذلّة تَنقدِ
قمرُ الدُّنَا أضحت سماؤك بعده أرضا تداسُ بحائرٍ وبمهتدى
فاذا تشادقت الخصومُ فلجلجى واذا تصادمت الكماةُ فعرِّدى

(١) يقال توا كل القوم: آتكل بعضهم على بعض، والندىّ: النادى. (٢) الأوقص: العنق القصير. (٣) الأرمد: الذى به رمد. (٤) الذحول جمع ذحل وهو الثأر أو العداوة والحقد. (٥) المطرور: المحدّد ويريد به سنان الرمح. (٦) الأنقاض جمع نِقْض وهو المهزول من السير ناقة كان أو جملا.

يا ناشـدَ الحسـناتِ طوّف فاليـا[1] عنهـا وعاد كأنه لم يَنشُـدِ
اهبط الى "مُضِر" فسلْ "حمراءَها": مَن صاح "بالبطحاء": يانارُ آنجدى ؟
بَكَرَ النعيُّ فقال : أُردِيَ خـيرُها، إن كان يصدُقُ "فالرضيُّ" هو الرِّدى[2]
غادت أراكةُ "هاشم" من بعده خَـوَرا لفأسِ الحاطبِ المتـوقِّـدِ
جُمِعتْ بمعجـزِ آيةٍ مشـهودةٍ ولربَّ آياتٍ لها لم تُشـهَدِ
كانت اذا هى فى الإمامةِ نوزعتْ ثم آدعت بك حقَّها لم تُجحَـدِ
رَضِيَ المـوافقُ والمخالفُ رغبـةً بك وآقتدى الغاوى برأى المرشِـدِ
ما أحرزت قصـباتِها وتراهنتْ إلا ظهرتَ بفضلةٍ من سؤدُدِ
تَبعتـكَ عاقدةً عليـك أمورَها وعُرَى تميمك[3] بعـدُ لمّا تُعـقَدِ
ورآكَ طفلا شِيبُهـا وكهولُها فترحزحوا لك عن مكان السيِّدِ
أنفقتَ عمـرَك ضائعا فى حفظها وعققت عيشَك فى صلاح المفسِدِ
كالدار للسارى الهدايةُ والقِـرَى من ضوئِها ودخانُها للمُوقِـدِ
مَن راكبٌ يسع الهمومَ فؤادُهُ وتُنـاط منـه بقارحٍ متعوِّدِ ؟
ألف التطوّح[4] فهـو ما هـدته يفرى فيافى البيـدِ غيرَ مهدَّدِ
يطوى المياهَ على الظما وكأنه عنها يَضِـلّ، وإنّه لَلمهتـدى
صُلبُ الحصاة يثورُ[5] غيرَ مودَّع عن أهله ويسـير غير مزوَّدِ
عُدِلتْ جَوِيَّتُه[6] على آبن مفازةٍ مستقرِبٍ أَمَمَ[7] الطريق الأبعـدِ
يجرى عـلى أَثَرِ الدِّرابِ[8] كأنه يمشى على صَرْحٍ بهنّ مُمَـرَّدِ[9]

(١) فاليا : باحثا . (٢) الرَّدِى : الهالك . (٣) التميم : جمع تميمة وهى خرزات تنظم فى السير ثم يعقد فى عنق الصبى آتقاءً من العين . (٤) فى الأصل "التطرح" . (٥) فى الأصل "ينور" . (٦) الجوية : الأرض غير الموافقة . (٧) الأمم : القرب . (٨) الدراب جمع دَرْب وهو المضيق فى الجبل وفى الأصل : "الضراب" . (٩) الممرّد : المطوّل الملسّس .

يغشى الوهادَ بمثلها من مَهبِطٍ ... ورُبَا الهضابِ بمثلها من مَصعَدِ
قَرِّبْ، قُربتَ من التلاع فإنها ... "أمّ المناسك" مثلُها لم يُقصَدِ
دأبا به حتى تُريحَ "بيثربٍ" ... فتنيخَه نِقْضًا(١) بباب المسجدِ
وآحثُّ التراب على شحوبك حاسرا ... وآنزِلْ فعزَّ "محمّدا" "بمحمّدِ"
وقل: آنطوى حتّى كأنك لم تلدْ ... منه الهدى وكأنّه لم يولَدِ
نزلت بأمتك المضاعة فى آبنك الـ ... ـمفقودِ بنتُ العَنقَفيرِ المُؤيِدِ(٢)
طرقَتْه تأخذُ ما آصطفتْه ولا تَرى ... مكرا وتقتُل من نَحَتْه ولا تَدى(٣)
نشكو اليك وَقود جاحمها وإن ... كانت تخصّك بالمُلِظِّ(٤) المكمِدِ
بكت السماءُ له ووددت أنها ... فقدت غزالتَها ولمّا يُفقدِ
والأرضُ وآبن الحاج سُدّتْ سُبْلُهُ ... والمجدُ ضيم فما له من مُنجِدِ
وبَكاك يومُك إذ جرتْ أخبارُهُ ... تَرَحا وسُمِّىَ بالعبوس الأنكدِ
صبغتْ وفاتُك فيه أبيضَ جفره ... يا لَلعيون من الصباح الأسودِ
إن تُمسِ بعد تزاحم الغاشين مهـ ... ـجورا بمَطرحَةِ الغريبِ المُفرَدِ
فالدهرُ ألأمُ ما علمتَ وأهلُه ... من أن تروحَ عشيرَهم أو تغتدى
ولئن غُمِزت من الزمان بليِّنٍ ... عن عَجْمِ مثلكَ أو عُضضت بأدردِ
فالسيفُ يأخذُ حُكمَهُ من مِغفَرٍ(٥) ... وطُلًى(٦) ويأخذُ منه سِنُّ المبرَدِ
لو كان يعقِلُ لم تنلْك له يدٌ ... لكن أصابك منه مجنونُ اليدِ
قد كان لى بطريف مجدِك سلوةٌ ... عن سالفٍ من مجدِ قومك مُتلَدِ

(١) النِّقض: المهزول من السير ناقة كان أو جملا. (٢) العنقفير المؤيد: الداهية الشديدة.
(٣) ولا ترى: ولا تظهر نارها أى أنها تطرق فى الظلام. (٤) الملظّ: الملازم، ويريد به الحزن.
(٥) المغفر: خوذة من الزرد تقى الرأس. (٦) الطلى: الأعناق.

فكأنكم — ومدًى بعيدٌ بينكم — يومَ آفتقدتُكَ زُلتُمُ عن مَوعِـــد
يا مثكلا أمَّ الفضـائِلِ (١) مـورثا يُتمًا (٢) بنـاتِ القاطناتِ الشُّـرَّدِ (٣)
خلّفتَهنَّ بمـا رضينك ناظما ما بين كلّ مُرَجِّزٍ ومُقَصِّـدِ
فُتِحتْ بهنّ — وقد عدمتُكَ ناقدا — أفـواهُ زائفـةِ (٤) اللُّهى لم تُنقَـدِ
ورُثيتَ حتّى لو فَرقتَ ممـيِّزا راثيك من هاجيك لم تَستَبعِدِ
غادرتنى فيهـم بمـا أبنضتُهُ أدعو البيوعَ الى متـاعٍ مُكسَدِ
أشكو آنفـراد الواحدِ السارى بلا أُنسٍ و إن أحرزتُ سَـبقَ الأوحدِ
واذا حفِظتُك باكيا ومؤبِّنـا عابوا عليك تفجُّعى وتـلدُّدى (٥)
أحسنتُ فيك فساءهم تقصـيرُهم، ذَنْبُ المصيبِ الى المغـيرِ المُعضِدِ (٦)
كانوا الصـديقَ رددتَهم لى حُسَّدًا صلَّى الإلهُ على مكثِّرِ حُسَّدى
يغـترُّ فيك الشامتون وإنه يومٌ هُمُ رهنٌ عليـه الى غـدِ
وسيسبرونى كيف قطعُ مُجـرَّدى إن كان حَزَّ ولم يُعمِّقْ مُغمَدى
وتُثـير (٧) عارمـةُ الرياح سحابتى من مُبرِقٍ فى فضلِ وصفك مُرعِدِ
فتقَتْ بذكرِك أرها فتفاوحت نعما تَأَرَّجُ لى بطيب المـولدِ
تزداد طولا ما آسـترحت فإننى أرثيك بعـدُ وحُرقتى لم تَـبرُدِ
ماء الأسى متصبب لى لم يَغِضْ (٨) فى صحن خدٍّ بالبكاء مُخَـدَّدِ
لو قـد رأيتَ مع الدموع جدوبَهُ — فرطَ الزفيرِ — عجبتَ للراوى الصَّدى

(١) أمّ الفضائل : العلم . (٢) يشير الى قصائد المرثىّ التى نظمها . (٣) فى الأصل "التنود" . (٤) فى الأصل "رائثة" . (٥) التلدد : التحيّر . (٦) المغير المعضد : السهم يذهب فى الغور شمالا و يمينا . (٧) فى الأصل "تُسير" وفى القرآن الكريم "هو الذى يُرسل الرياح فتُثير سحابا" . (٨) فى الأصل "متسبب" .

لا غـيَّرتَكَ جَنائبٌ[1] تحت البـلى وكساك طِيبُ البيت طيبَ المَلحدِ
وقَرُبتَ، لا تَبعُـدْ، و إن علالةً للنفس زورا قَوْلتى لا تَبعُـدِ

❖
❖ ❖

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يهنّئه بالنيروز و بعيد الفطر الذى اتفق معه، و بسلامته، وكان ورد قادما، ويذكر رسم خلعة شتويّة أخّرها عنه

حاشاك من عاريَّةٍ تُرَدُّ ابيضَّ ذاك الشَّعَرُ المسودُّ
أشرفَ بازىً على غرابه حتى ذوَى الغصنُ ولان الجَعْدُ
أتعبنى بخاضبٍ مُصـدَّدٍ لو كان من هُجومه يُصَدُّ
وثالمٍ بلقطـه ثَنيَّـةً معروفةً من يومها تُسَدُّ
يصبغ سـوداءَ ودون أخذه بيضاءُ تَخفَى تارة وتَبـدو
أَخلقَ جاهى فى ذوات الخُمْرِ[2] مذ لِيثَ[3] خمارٌ لِىَ مُستَجَدُّ
قلنَ[4] — وقد عتبتُ فى وثائق نقضنها[5] — : ما غادةٌ وعهدُ
نافَى بك الشيبُ بِطالاتِ الصِّبا الليـلُ هزلٌ والنهارُ جِدُّ
فقلتُ : نصلٌ لا يُذَمُّ عِتقُه، قلنَ : فأينَ الماءُ والفِرِندُ؟
كان قناةً فغـدا حنِيَّةً ظهرُك، ما القضيبُ إلا القَدُّ
سائل "بنى سعدٍ"، وأىّ مأثمٍ لم يتقلَّدْ منك ظلمـا "سعدُ"؟
أهندُ قالت : ملَّنى، وحلفتْ؟ تحلَّلى حالفـةً يا "هنـدُ"
أمْنُكِ بين أضلعى جنايةٌ أعجبْ بها نارا خباها[6] زَنْدُ!

(١٠٢)

(١) جنائب جمع جنوب وهى ريح تقابل الشمال . (٢) الخمر جمع خِمار وهو مثل النقاب .
(٣) ليث : لُفَّ . (٤) فى الأصل "قلتْ" . (٥) فى الأصل "نقضتَها" .
(٦) خباها لغةٌ فى خَبأها .

وعدُكِ لِمْ أُخْلِفَ[1] يومَ "بابلِ"؟ بل كان سحرا وآسمُـهُ لِى وعدُ
خصرُكِ ضعفا واللسـانُ مَلَقًا دقًّا عليك أنْ يصحَّ عَقدُ
ضاع الهوى ضياعَ من يحفَظُه ومات مع أهـل الوفاء الودُّ
أُنْجُ ربيحَ العِرض وآقعدْ حَجرةً[2] منفردا، إن الحسامَ فردُ
كم مسـتريحٍ فى ظلالِ نعمةٍ وأنت فى تأميـله تَكُدُّ
طالك بالمـال ولو أريتَـهُ صَـونا رآك مَعَهُ تُعَـدُّ
ملكتُ نفسى مذ هجرتُ طمعى اليأسُ حُرٌّ والرجاءُ عبـدُ
ولو علمتُ رغبـةً تسوق لى نفعا لَخِفتُ أن يَضُرَّ الزهدُ
جرَّبتُ أخـلاقَ الرجال فإذا بسَمحِها مع السؤال نَكْدُ
ورمتُ أيديهـم بكلِّ رُقيـةٍ تلين والأيدى معى تَشْتَدُّ
لم يُعنِنى فضـلُ أداريهم به وإنما أعيا علىّ الجَـدُّ
ما كان مَن شَعْشَعَ لى سرابَهُ غَرَّ فَمِى وقلتُ : ماءٌ عِـدُّ
فى الناس مَنْ معروفُهُ فى عُنُق غُلٌّ ، وفيهـم مَن جَداه عِقدُ
مثلُ "الحسينِ" إن طلبتُ غايةً فاتت، وهل مِثْـلٌ له أو نِدُّ ؟
فات الرجالَ أن ينالوا مجـدَه مشمِّرٌ للمجـدِ مسـتعِدُّ
غَلَّسَ فى إثر العـلا وأشمسوا فجـاء قبـلا والنجومُ بَعَـدُ
ومن بنى "عبد الرحيم" قَمَرٌ كلُّ لياليه تَمامٌ سـعدُ
ما نطفةُ المزنِ صفَت طاهرةً أطيبُ ممّا ضمَّ منـه البُرْدُ
لابِنْهُ لا تُلفِ القضيبَ عاسيًا[3] وآصعُبْ يزاحمْك ثقيلا "أُحُدُ"

(١) فى الأصل "خلف" . (٢) حَجرة : ناحية . (٣) عاسيا : يابسا .

من المحامين على أحسابهم ... بمالهم، فالفقرُ فيهم مجدُ
لا يتمنّون على حظوظهم ... أن يَجِدُوا دنيا اذا لم يُجدُوا
سخوا ولم تَبْنِ عليهم "طيِّئٌ" ... وفصُحوا ولم تلدهم "نَجْدُ"
كانوا الخيارَ وفَرَعْتَ زائدا، ... والنارُ تعلو وأبوها الزَّندُ!
يا مؤنسى بقربه سلْ وحشتى ... بعدَك: ما جرّ علىَّ البُعدُ!
أكلَّ يومٍ للفراق فيكُمُ ... (١)تَعمُّدٌ يسوءنى أو قصدُ؟
ما بين أن (٢)يَحبُرنى لقاؤكم ... حتى النوى فنَعْمَةٌ وجُهدُ
وكيف لا وأنتُمُ فى نُوَبى ... يدٌ وظَهرٌ وفمٌ وعَضْدُ
ريشُ جَناحى بكُمُ مُضاعَفٌ ... وحبلُ باعِى منكُمُ ممتَدُّ
كم تحملون كُلَفِى ثقيلةً ... كأنّ حَملى ليس منه بُدُّ
مبتسمين والثرى معبِّسٌ ... بيضَ الوجوهِ والخطوبُ رُبْدُ
قد فَضَلتْنِى سَرَفا ألطافُكم ... فحسبكم! لكلِّ شىءٍ حَدُّ
أبقُوا علىّ إنما إبقاؤكم ... ذُخرٌ ليومِ حاجتى مُعَدُّ
شِيبُكمُ والنُّصَفاءُ منكُمُ ... والغُرُّ من شبابكم والمُرْدُ
فى نجوةٍ أيدى الخطوب دونها ... (٣)بُتْرٌ وأجفانُ الليالى رُمْدُ
أراك فيها كلَّ يومٍ لابسا ... ثوبا من النَّعماء يستجدُّ
يزورك الشِّعرُ به فى معرَضٍ ... منشِدهُ يُحسِبُ طِيباً يشدو
وربما أذكرُ، ما أنساكَ من ... رسمى آتفاقٌ ساءنى لا عَمْدُ
سيفُكَ فى الأعداء لِمْ خلَّفتَهُ ... مجرَّدًا ليس عليه غِمدُ؟

(١) فى الأصل "تعمّه". (٣) يحبرنى: يسرنى، وفى الأصل "يجبرنى". (٢) بُتْرٌ جمع بتراء أى مقطوعة، وفى الأصل "تروا".

وكيف طِبتَ أن يُرَى فريسةً نفسًا وأيامُ الشتاء أُسْدُ
يَحتشِمُ النيروزُ من إطلاله(١) والمهرجانُ يقتضيكَ بعدُ

* * *

واتفقتْ للأستاذ الجليل أبى طالب محمد بن أيّوب سَفْرةٌ الى سُرَّ مَنْ رَأَى وما يجاورها من البلاد لهفوةٍ لحقت الجَنبةَ(٢) التى يتعلّق بها، ومات أخوه وهو غائبٌ، ولحقته قُصودٌ من الزمان شُغِلَ عن التوجّع له فيها فكتب اليه (١٠٣)

خليلُكَ مَن صفا لك فى البعادِ وجارُك مَن أذمَّ على الودادِ
وحظُّك من صديقك أن تراه عدوًّا فى هواك لمن تعادى
وربَّ أخٍ قَصىَّ العِرق فيه سلوٌّ عن أخيك من الولادِ
فلا تغررْك ألسنةٌ رطابٌ بطائنهنَّ أكبادٌ صوادى
وعِش إمَّا قرين أخٍ وفىّ أمينِ الغيبِ أو عيشَ الوحادِ
فإنى بعدَ تجريبى لأمرٍ أنستُ ـ ولا أغشُّك ـ بانفرادى
تريدُ خلائقُ الأيّام مَكرا لتُغضِبنى(٣) على خُلُقٍ وعادى
وتغمزنى الخطوبُ تظنُّ أنى أنين على عرائكها الشّدادِ
وما "سُهلانُ" تشرف قُنّاه بأحملَ للنوائب من فؤادى
تغرِّبُ فى تقلُّبها الليالى علىّ بكلّ طارقةٍ نآدِ(٤)
اذا قلتُ: اكتفت منى وكفّتْ نزتْ بالداء ثائرة العِدادِ
رعَى سِمنُ الحوادثِ فى هُزالى كأنّ صلاحَهن على فسادى
فيوما فى الذخيرة من صديقٍ ويوما فى الذخيرة من تِلادى

(١) الإطلال: إعدار الدم. (٢) الجنبة: الناحية. (٣) فى الأصل: "لتعصينى".
(٤) النآد: الداهية.

يذمُّ النـــومَ دون الحرص قومٌ وقلتُ لرقدتى عنـه : حَمَـادِ (١)
وما كان الغِنَى إلا يســـيرا لو آن الرزقَ يبعثـــه آجتهادى
وضاحكةٍ الى شَـــعرٍ غريبٍ شُكتُ به فأسلس من قيادى
تَعُـدُّ سِنِيَّ تعجَبُ من بيـاضى وأعجبُ منه ـ لو علمتْ ـ سوادى !
أمانٍ كلَّ يـومٍ فى آنتقاصٍ يساوقُهنَّ هَمٌّ فى آزديادِ
وفُرقـةُ صاحبٍ قَلِقِ المطايا به قَلَقُ المـدامعِ والوسادِ
تُخفِّضُ بعـدَه الأيّامُ صـــوتى على لَسَنِى (٢) وتخفِضُ من عمـادى
وتُخمِدُ عن ضيوف الأنس نارى وكنتُ بقـربه وارى الزنادِ
أقيمُ ولم أقمْ عنـــه لِمُسْلٍ ويرحَـــلُ لم يَسِرْ منّى بزادِ
كأنّا إذ خُلقنـا للتصـافى خُلقنـا للقطيعـــة والبعـادِ
أرى قلبى يطيش اذا المطـايا الى الرابين يأسَرهنَّ حادِى
ولم أحسب "دُجَيلا" (٣) من مياهى ولا أنّ "المَطيرةَ" (٤) من بلادى
ولا أنى أبيت دعاى يحـــدو الى "تكريتَ" (٥) ساريةَ الغوادى
ومن صُـعَداء أنفاسى شِرار تمـــرُّ مع الجَنوب بهـا تنادى :
أأحبـابى أثار البينَ بينى وبينكُمُ مساخَطةُ الأعادى
سقت أخلاقُكم (٦) عهـدى لديكم فهنَّ به أبرُّ من العِهـادِ
ورُدَّ علىَّ عنـــدكُمُ زمانٌ مَجـــودُ الروضِ مشكورُ المَرادِ
أصابت طيبَ عيشى فيـه عينى فقـــد جازيتُها هجـــرَ الرقادِ

---

(١) يقال حَمَاد له كقَطَام بمعنى حمدًا له وشكرًا . (٢) اللَّسَنُ : الفصاحة . (٣) دجيل : اسم نهر . (٤) المطيرة : اسم قرية من نواحى سامراء وكانت من متنزهات بغـداد وسامراء . (٥) تكريت : اسم موضع . (٦) فى الأصل "أخلاقكم" .

فلا تحسب ـ وظنُّك فىّ خيرا ـ بقاىَ ـ وأنت ناءٍ ـ من مُرادى
ولا أنّى يسُرُّ ســوادَ عينى بما عُوِّضتُ من هــذا السوادِ
وكيف وما تَلفُّ المجـدَ دارٌ نأتْك، ولا يَضُمُّ الفضـلَ نادى
فإن أصبرْ ـ ولم أصبر رُجوعا الى جَــلدٍ ولم أحمل بآدِ (١) ـ ،
فقــد تُحنَى الضلوعُ على سَقامٍ وقد تُغضَى الجفونُ على سهادِ
وكنتُ ، وبيننا إن طال ميلٌ و إما عرضُ "دجلة" وهى وادى ،
اذا راوحتُ دارَك لجَّ شــوقى فلم يُقنِعه إلا أن أُغادى
فكيف وبيننا للأرض فَرْجٌ يماطِل طُــولُه عنَق (٢) الجيـادِ !
ومعترَضُ "الجزيرة" والخوافى من "القاطول" (٣) تلمع والبوادى
وُفودٌ من مطايا المـاءِ (٤) سـودٌ ، روادفُها تطول على الهــوادى
اذا كنّ الليـالى مقمــراتٍ فراكبُهنّ يخبــطُ فى الدَّآدى (٥)
لهنَّ من الرياح الهــوجِ حادٍ ومن خُلُجِ (٦) الميـاه العوجِ هادِى
اذا قمصت على الأمواج خِلتْ على الأحشاء تقمِصُ أو فؤادى
فهل لى أن أراك وأن ترانى وهل من عُدَّتى هى أو عَتـادى ؟ (١٠٤)
سأنتظر الزمانَ لهـا ويــوما يطيل يدَ الصديق على المعـادى
ظمئنا بعــدكم أسفا وشــوقا كما جِيــدتْ (٧) بكم يُبْسُ البلادِ
لعل "محمدا" ذكَرتْه نُعمَى ترانى ناسيا فيــه ٱعتقـادى

(١) الآد : القوة ، وفى الأصـل "بآدٍ" . (٢) العنق : ضرب من ضروب السـير .
(٣) القاطول : اسم نهر مقطوع من دجلة حفره هارون الرشيد و بنى على فوهته قصرا وسماه "أبا الجند" لكثرة ما كان يسق من الأرضين وجعله لأرزاق جنـده . (٤) مطايا المـاء : السفن .
(٥) الدآدى جمع دأداة وهى آخر ليال الشهر المظلمة وقد تقـدّمت . (٦) خلج جمـع خليج .
(٧) جيدت : أصابها مطر جَوْدٌ .

وعـــل اللهَ يجبرُ بالتـــدانى كسيرةَ قانطٍ، حَسْبُ التمـادى
وأقربُ ما رجوتُ الأمرَ فيـه على الله آعتمادُك وآعتمادى
فلا تعدَم ـ ولا يعدَمْك ـ خلّا متى ما تعْـدُهُ عنك العـوادى
يُزِرْك كرائما متكفّلاتٍ بجمع الأُنس قيـــل له : بَدادِ[1]
نواحبَ[2] فى التعـازى والتشاكى حبائبَ للتهـانى والتهـادى
طوالعَ فى ســـوادِ الهم بيضًـا طلوعَ المكرماتِ أو الأيادى
اذا جرَّتْ ذلاذلَهـا "بجـــوٍّ" تضوَّع حاضرٌ منـــه وبادى
لهـا فعلُ الدروعِ عليك صونا وفى الأعداء أفعـالُ الصِّعادِ
ربَتْ يا "آلَ أيّوبٍ" وأثَّت[3] رُباىَ بكم على السَّنَةِ الجمـادِ
فهـــل رجلٌ يدُلُّ اذا عَدِمتم على رجلٍ وفىّ أو جـــوادِ
ومَن أخذَ المحاسنَ عن ســواكم كمن أخذَ المناسبَ عن "زيادِ"

* * *

وكتب الى الأستاذ الجليـل أبى سعد محمـد بن الصاحب الأجلّ أبى القاسم آبن عبد الرحيم يهنّئه فى النيروز وهى أوّل ما عمل فيه

سلمتِ ـ وماالديارُ بسالماتٍ ـ على عنَت البـلى يا دارَ "هندِ"
ولا برِحتْ مفوَّقةُ الغـــوادى تُصيب ربـاكِ من خَطَإٍ وعمـدِ
بموقظـــةِ الثرى والتربُ هادٍ[4] ومُجـــديةِ الحيا والعـامُ مُكدى
على أنى متى مطـــرَتْك عينى ففضلٌ كما سقاكِ الغيثُ بعدى
أميـلُ اليكِ يجـذبنى فـؤادى وغيرُكِ ـ ما آستقام السيرُ ـ قصدى

---

(١) بدادِ كقطام بمعنى تبدّد. (٢) فى الأصل "نوائب". (٣) أثّت: كثر نباتها وآلتفّ.
(٤) يريد "هادئ" بمعنى ساكن.

وأُشفق أن تبـدِّلك المطايا بوطأتهـا كأنَّ ثرائك خـدّى
أرى بك ما أراه فمستعيرٌ حشاى وواجدٌ بالبين وجـدى
وليتك إذ نحلتِ نحولَ جسمى بقيتِ على النحول بقاءَ عهـدى
وما أهلوك يومَ خلوتِ منهـم بأوْلِ غَـدرةٍ للدهر عنـدى
سـلى الأيام ما فعلت بأنسى وعيشٍ لى على "البيضاء" رغدِ ،
وفى الأحداج عن رشإٍ حبيبٍ على لونيـه من صِلةٍ وصدِّ
يماطلُ ثم يُنجـزُ كلَّ دَيْنٍ ولم ينجز "بذى العلمين" وعدى
تبسّم "بالبراق" وصاب غيث فلو مُلِكَ الفِـداءُ لكنتُ أفدى ،
شـاياه وفاه ولا أغالى بمـا فى المزن من برقٍ وبَرْدِ
ألَا مَن عائدٌ بيـاض يومٍ لعينى بين "أحناء" و"صمدِ" ؟
وعينٍ "بالطُّويلع" بارزاتٍ على قَسَماتِهنّ حياءُ "نجـدِ" ؟
نظرنَ — فما غزالتُه ؟ — بلحظٍ ومِسْنَ — فما أراكتُه ؟ — بقدِّ
وبلهـاء الصِّبا تبغى سِقاطى اذا حلّتهـا هزَلتْ بجِـدّى
تَعدُّ سنىَّ تعجّبُ من وقارى ولم يجـترْ مراحَ العمـر عَدِّى
فمـا للشَّيْب شـدَّ علىّ ركضا فطوّح بى ولم أبلغ أشُـدِّى !

* * *

يعـيّرنى ولم أره شآنى (١) ، تنبـه حظُّه بخمـولِ جَـدّى
ووِدَّ على غضـارة حُلّتيـه (٢) مكانَ الرقع من أسمـال بُردى
وما ورقُ الغـنى المنفوضُ عنّى بمُعرٍ من حُسام المجـدِ غمـدى
حملتُ — وليس عن جَلَدٍ بقلبى — حُمولَةَ واسع الجنبين جَـلْدِ

(١) شآنى : سبقنى . (٢) الغضارة : النضارة ، وفى الأصل "غضاضة" .

تبادهنى النوائب مستغرّا فأدفعها بعزمة مستعدّ
يزلُّ الخوفُ عن سكنات قلبى زليلَ الماءِ عن صفحاتِ جلدى
دع الدنيا تَرِفَّ على بنيها وتُجلِبْ بالجفاء علىّ وحدى
وفِزْ أمواهَم تنمو وتزكو (١) فليس كنوزُها ثمنا لحمدى
لعل حوائل الآمال فيهم تُطَرَّقُ من " أبى سعدٍ " بسعدِ
فتى عُقدتْ تمائمُه فطيما على أُكرومةٍ ووفاءِ عَقدِ ١٠٥
وربَّته على خُلُق المعالى غرائزُ من أبٍ عالٍ وجَدِّ
فما بجّت له أُذُنٌ سؤالا ولا سمحتْ له شَفَةٌ بردِّ
اذا آخضرّت بنانُ أبٍ كريم فصبغتُها الى الأبناء تُعدى
تطاولَ للكمال فلم يفُتْهُ على قُربِ الولاد مكانُ بُعدِ
وتمَّ فعُلِّق الأبصارَ بدرا ولم يَعلَقْ له شَعَرٌ بخدِّ
رآه أبوه — وآبن الليث شبل — لسَدَّةِ ثُغرةٍ وهو آبن مَهدِ
فقال لحاسديه : شقيتُمُ بى وهذا آبنى به تَشقَوْنَ بعدى
جَرَى ولداتِه فمضى وكُدُّوا لو آنَّ الريحَ مُدرَكَةٌ بكدِّ
اذا سبروه عن عَوصاءَ أدلَى بها فنَجَا على غَرَرِ التحدّى
دَعُوا دَرَجَ الفضائل مزلقاتٍ لماضٍ بالفضائلِ مستبدِّ
وما حسدُ النجومِ على المعالى — ولو ذابَ الحصا حسدا — يُجدى
" أبا سعدٍ " ولو عثروا بعيبٍ مشوا فيه بحقٍّ أو تعدّى
وقد تسرى العيوبُ على التصافى فكيفَ بها على حَنَقٍ وحقدِ
ولكن فتّهم فنجوتَ منهم نَجاءَ اللحن بالخصمِ الألدِّ

(١) فر : صن أو كثّر .

ومَلَّكَكَ الفخارُ فلم تنـازَع ... بقُـلٍّ فى النـدىّ ولا بحَشْـدِ
أبٌ لك يُلحِمُ العليـاءَ طولا ... وخالٌ فى عِراصِ المجـد يُسدِى
ولم يعدِلْ أبا لك "يَعرُبِيًّا" ... زميلٌ مثلُ خالك فى "مَعَـدِّ"
جزيتُك عن وفائك لى ثنـاءً ... يودّ أخى مكانَك فيـه عنـدى
ولولا الودُّ عزّ عليك مدحى ... ولولا الفضـلُ عزّ عليك ودّى
بنى "عبد الرحيم" بكم تعـالت ... يدى وورى على الظلمـاء زَندى
وإن أودَى "بنيسابور"(١) قومى ... فجـدُّكُمُ من الأملاك جدِّى
وأصدقُ ما محضتُ القومَ مدحى ... اذا ما كان مَجـدُ القوم مَجـدى
تُفـاعِينى(٢) لتُردِيَنى الليـالى ... فأذكـرُكم فتنهسُنى بدُرْدِ
وأزحَمُ فيـكُمُ نكباتِ دهرى ... بعصبةِ "غالبٍ" و بنى "الأشدِّ"
لذلك، ماحبوتكُمُ صـفايا ... ذخائرُ خيرُ ما أحبو وأُهـدى
طوالعُ من حجابِ القلب، عفوى ... بهنَّ يبُـدُّ غايةَ كلِّ جُهـدِ
تجوبُ الأرض تقطعُ كلَّ يوم ... مدَى عامين للسارى المُجِدِّ
يَرِينَ(٣) ـ وبعدُ لم يُوَين ـ حسنا ... كأنّ سطورَهن وُشـوعُ بُرْدِ
اذا رَوَّت رجالَكُمُ كُهولا ... سأرنُ(٤) لصبيةٍ منكم ومُرْدِ
ولولاكم لما ظفرت بكفءٍ ... يَسُرُّ ولا سعت قدما لرشـدِ
ولكن زفّها الأحـرارُ منكم ... فما أشقيت حرّتَها بعبـدِ
فَضَلتم سؤددا وفضَلتُ قـولا ... فكلٌّ فى مـداه بغـير نِدِّ
بكم خُتم النـدَى و بِىَ القوافى ... بقيتم وحدكم و بقيتُ وحـدى

---

(١) فى الأصل "بنوسابور" . (٢) تفاعينى : تداهمنى كالأفعى . (٣) يرين : يضمن من ورى الزند يرى . (٤) سأرن : أبقين من السؤر وهو البقية من الماء .

***

وكتب الى أبي الحسين أحمد بن عبد الله ، الكاتب وهو أحد الرؤساء المشهورين ، وقد انحدر الى واسط مستدعًى للنظر ، يتشوق أيامَ اجتماعه ، ويستوحشُ لبعده ، ويذكُر ما يرجوه له من استقامة الأمر ، ويهنّئه بعيد الفطر سنة اثنتى عشرة وأربعمائة

تَظُنُّ لياليَنا عُوَّدا ... على العهد من "بُرَقَيْ ثَهمَدا"؟
وهل خبرُ الطيفِ من بعدهم ... اذا طاب يصدُقُك الموعِدا؟
ويا صاحبي ، أين وجهُ الصباح؟ ... وأين غدٌ؟ صِفْ لعيني غدا
أسدُّوا مَسارحَ ليل "العرا ... ق" أم صبغوا فجرَه أسودا
وخلفَ الضلوعِ زفيرٌ أبَى ... وقد بَرَدَ الليلُ أن يبرُدا (١٠٦)
خليليَّ، لى حاجةٌ ما أخفُّ ... "برامةَ" لو حَمَلتْ مُسعِدا
أريدُ لُثكتَمَ وابنَ الأرا ... كِ يفضحُها كلّما غرَّدا
و"بالرمل" سارقةُ المقلتيـ ... ـن تَكْحُل أجفانُها المِروَدا
اذا هُصِرتْ هُصرتْ بانةً ... وإن سئلتْ سئلتْ جَلمدا
أُحبّ وإن أخصبَ الحاضرون ... ببادية الرمل أن أَخلُدا
وأهوى الظباءَ لأمّ البنينَ ... بما تُشبهُ الرشأَ الأغيدا
وعيناً يردنَ لصابِ(١) "الغوير" ... بأنقعَ من مائه للصدَى
فليت — وشَيْبي بحامِ(٢) العذارِ — ... زمانَ "الغضا" عاد لى أمردا
ويا قلبُ قبلَك ضلَّ القلو ... بُ لو كنت أملك أن تُنشدا

(١) لصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادي ، ويقال : "أعذب من ماء اللصاب" . (٢) حام ابن نوح وهو أبو السودان وذكرُه هنا كناية عن السواد .

أرى كبدى قُسِمتْ شُقَّتين ... مع الشوق غَوَّر أو أنجدا
" فبالنَّعف " ضائعةٌ شُعْبَةٌ ... وأخرى " بميسانَ " ما أبعدا !
وما خاتُ لى " واسطا " عُقْلةً[1] ... تعلِّم نومِىَ أن يَشْرُدا
ولا أنى أستشمّ الجَنو ... بَ أطيبَ ريحِىَ أو بَرَّدا
وأطرحُ منحدِرا ناظرى ... لها أبتغى رفدَها المُصعِدا
وأحمَدُ من نشرها أنه ... اذا هبّ مثَّلَ لى " أحمدا "
ولا كنتُ قبلَكِ فى حاجةٍ ... لتحمِلَ عُنْقى لريح يدا
أسالكَ " دجلةَ " تجرى به ... محايِدةً موجَها المُزبِدا ،
صُهابيَّةُ اللون قاريَّةٌ ... تخالف صبغتُها المولدا
تَحِنّ وما سمعتْ فى الظلا ... م غيرَ غناء النَّواتى[2] حُدا
لها رَسَنٌ فى يمين الشَّمال ... اذا ضل قائفُ[3] أرضٍ هَدَى
تحمَّلْ — سلمتَ على المهلكاتِ ... وساقَ لك اللهُ أن تَرْشُدا — ،
رسائلَ عنّى تُقيم الجُموحَ ... وتستعطف العُنُقَ الأصيدا
أجيرانَنا أمسِ جار الفرا ... قُ بينى وبينكُمُ وٱعتدى
جفا المضجعَ السَّبْطَ جنبى لكم ... مُحافَظةً ونفَى المَرقَدا
وأوحشتُمُ ربعَ أُنسى فعاد ... يُهدِّم بانيهِ ما شَيَّدا
وفاجأنى بِدُكُمْ بغتةً ... ولم أك للبين مستعددا
ففى جَسدى — ليس فى جُبَّتى — ... نوافذُ ما سلَّ أو سَدَّدا
تمنتك عينى وقلبى يَراك ... بشوقِىَ — حاشاك أن تُفقَدا —

---

(١) فى الأصل " عقله " . (٢) النواتىّ جمع نوتىّ وهو الملّاح . (٣) القائف : الذى يعرف الأثر .

كأنّى سُرعةَ ما فُتّنى عدمتُك من قبلِ أن تُوجَدا
لئن نازعتْنى يدُ الملك فيك فلم أستطع بدفاعٍ يدا،
فحظُّ عساه – وإن ساءنى – يكون بما سرّنى أعوَدا
دعوك لتعدِلَ ميْلَ الزمانِ ويُصلحَ رأيُك ما أفسدا
يسومون كفَّك سَبْرَ الجراح وقد أخذَتْ فى العظام المُدَى
سيُبصر مستقربا من دنا ك موضعَ تفريطه مُبعَدا
ويعلم كيف انجفالُ(١) الخطوب اذا سُلَّ منك الذى أُغمِدا
وإن كان منكبُه منجبا درى أىَّ صَمصامةٍ قُلِّدا
وقبلك لو أثلثَ الفرقدي ن خابطُ عشوائهم ما اهتدى
ولما رأوك أمام الرعيـ ـلِ ألقَوا الى عُنقك المِقوَدا
وأدنَوا لحمل المهمّات منـ ـك بَزلاءَ(٢) عِجْلِزةً(٣) جَلْعَدا(٤)
اذا ثُقِّلَ الحملُ قامت به وإن ظَلعتْ نهضَتْ أجلدا
تكون لراكبها – ما استقا م دون خِطار الفيافى – فِدَى
وتُضحى على الخمْس لا تستري ـبُ عَجرفةً أن تَرى المَوردا
تُطيعُ اللسانَ فإن عوسرتْ أثاروا بها الأسَدَ المُلبِدا
اذا ما الفتى لم تَجِدْ نفسُه بهمّتها فى العلا مَصْعَدا،
سوى غلَطِ الحظِّ أو أن يُعَـ ـدَّ فى قومه نَسَبا قُعدُدا(٥)،
فنله أنت ابنُ نفسٍ سمتْ لغايتها قبلَ أن تُولَدا
اذا خُيِّرَ اختار إحدَى اثنتيـ ـن إمّا العَلاء وإما الرَّدى

(١٠٧)

(١) الانجفال : الهروب بسرعة . (٢) البزلاء : الناقة المسنة . (٣) العجلزة : الناقة الشديدة . (٤) الجلعد من الإبل : الصُّلب الشديد . (٥) القعدد : البعيد الآباء من الجد الأعلى .

كأنى أراك وقد زاحموا ... بك الشمسَ إذ عزلوا الفَرقدا
وخاطوا[1] النجومَ قميصا عليك ... ولاثوا السحابَ مكانَ الرِّدا
وصانوك عن خرقٍ فى الحلى ... فلوًّا طلى خيلك العَسجدا
وان أخلَق الدهرُ ألقابَهم ... بما كرّ منها وما ردَّدا ،
رضُوا باختيارى أن أصطفى ... لك اللّقَبَ الصادقَ المفُردَا
فكنّيتُ نفسَك : أمَّ العلاء ... وسمّيتُ كفّك : قطرَ النّدى
وهل سمعوا فى آختلاف اللغات ... بلجّة بحرٍ تُسمَّى يدا !
مُنًى فيك بأتْ يدى مندُ ثمْـ ... ـتُ عارضَها المُبرقَ المُرعِدا
فَتَمَّ فراغُ عهودى فقد ... أمِنتُك من قبلِ أن تَعهَدا
فلا ترمينَّ بحقّ ورا ... ء ظهرِ النسيئة مُلقًى سُدى
ولا يَشغلَنَّكَ عزُّ الوُلا ... ة عن حُرُماتى وبعدُ المَدَى
فليس الوفىُّ المُراعى القريبَ ... ولكنّه من رَعَى الأبعدا
تحلّيتُ طَعمةَ عيشى المري ... ـر يومَ لقيتُك مسترغِدا
وأيقنتُ أن زمانى يصـ ... ـير عبدِىَ مذ صرتَ لى سيِّدا
وأصبح من كان يقوَى علَىَّ ... وغايتُه فىَّ أن يَحسُدا
وقد كنتُ أسمعَ من أن أصا ... دَ رأسا وأعوزَ أن أُوجَدا
اذا آستام ودِّىَ أو مدحتى ... فتًى رام أخنسَ[2] مستطرِدا
يفالتُ قَطْعا حبالَ القنيصِ ... يَرَى كلَّ موطنه مَشرَدا
فآنستنى بمديح الرجال ... وذلّلتَنى لقبول الجَدا

(١) فى الأصل "وحاطرا" . (٢) الأخنس : الأسد ، وفى الأصل "أخبس" .

ولو راض خلقُك لؤمَ الزمان لعلَّمه المجدَ والسؤددا
فما أمكنَ القولُ فاسمع أُزِرْك قوافيَ بادئةً عُوَّدا
قواضيَ حقِّ الندَى والودا دِ مثنًى تؤمك أو مَوْحَدا
اذا أكلَ الدهرُ أعراضَها(١) من المال عمَّرها سَرمدا
لو استطاع سامعُ أبياتها اذا قام راوٍ بها منشدا،
لصيَّر أبياتَها سُبحةً ومثَّلَ قرطاسَها مَسجدا
مهنَّئةً أبدا من علاك بما استأنفَ الحظُّ أو جدَّدا
وبالصوم والعيدِ حتى تكو نَ آخرَ من صام أو عيَّدا
وحتى تُرَى واحدا باقيا كما كنتَ فى دهرنا أوحدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم، وهو مقيم بواسط فى النيروز، يحزيه على عادة الإتحاف ويتشوّقه، وقد اتفق ذلك فى عشر عيد النحر

أخْلقَ الدهرُ لِمَتى وأجدّا شعَراتٍ أرينى الأمرَ جِدَّا
لم يزلْ بى واشى الليالى الى سمـ(٢)ـع معير الشباب حتى استردّا
صِبغةٌ كانت الحياةَ فما أفـ ـرُقُ أودَى دهرى بها أو أردَى
يا بياض المشيب بِعْنِى بأيّا مك ليلا نضوتَه مسوَدّا
يا لها سرحةً تَصاوَحُ تَنْـ(٣)ـمُو وعهدى بها تَفاوَحُ رَندا
لم أقل قبلها لسوداءَ : عطفًا وارتقابا، ولا لبيضاءَ : بُعدا
عدَّتِ الأربعون سنَّ تمامى وهى حلّت عُراىَ عَقدا فعقدا

(١) أعواض جمع عِوَض وهو الخلف والبدل. (٢) فى الأصل "لى". (٣) التئوم واحدته تئومة وهي شجرة يضرب لون ورقها الى السواد.

بَانَ نَقْصِى بأن كَمُلتُ وأحسـ ـت بضُعفى لمّا بلغتُ الأشُـدّا
رجعتْ عـنّى العيون كما تر جعُ عن حاجب الغـزالة رُمْدا
ليت بيتا "بالخَيْف" أمسِ آستضفنا ه قَـرانَا ولو غَـراما ووَجْـدا
(١٠٨) وسـقاةً عـلى القليب آحتسـابا عوّضـونا اللّمى شِـفاءً وبَـرْدا
راح صحبى بفـوزة الحجّ يحـدو ن ، وعَنسى باسم البخيلة تُحْدَى
ولحاظى مقيَّـداتٌ "بسـلع" فكأنّى أضللتُ فيـه المَجْـدَا
ربَّ ليلٍ بين "المُحصَّب" و"الخَيْـ ـف" لبسـناه للخلاعـة بُـرْدا
وخيامٍ بسَـفح "أُحْدٍ" على الأفـ ـمار تُبْنَى، فحبِّ يا رب "أُحْدَا"
لا عـدا الرَّوْحُ فى "تهامةَ" أنفَا سًا اذا آستُروحتْ تمنَّيتُ "نجدا"
وأعان الرقادُ حَـيْرَةَ طَـرفٍ لم يجِـدْ فى الطّلاب يقظانَ رُشْدا
نمتُ أرجو "هنـدا" فكلَّ منالٍ خَيَّلَتْ لى الأحلامُ إلّا "هنـدا"
عَجبا لى ولآبتغائى مَـودّا تِ ليـالٍ طباعُهـا لِىَ أعـدَا[1]
نطَقَتْ فى نفوسـها وتعفَّفـ ـتُ، فمـا وُدُّ من يَرَى بك صدّا
أجلبتْ[2] جِلدتى عريكةُ دهرى فـرمَى بى وقام أملَس جِلْدا
كلّ يـومٍ أقـولُ : ذمًّا لعيشى فاذا فاتنى غـدًا قلتُ : حَمْـدا
زفراتٌ عـلى الزمان اذا آستبـ ـردتُ منها تنفُّسا زدن وَقْـدا
يا لَحَظّى الأعمَى أما يتلـقَّى قائدا يبتـغى الثـوابَ فيُهْـدَى!
يا زمانَ النفاقِ مالك زاد اللهُ بينـى وبين أهلك بُعـدا
مَن عذيرى من صحبة الناس ما أخـ ـفَرَها ذمّـةً وأخبثَ عهـدا
كم أخٍ حائم معى واصـلٍ لى فاذا خَلَّفتْ بـه الحالُ صـدَّا

(١) يريد أعداء . (٢) أجلبت : تركت عليها جُلَبَة وهى القشرة التى تعلو الجرح .

وصديقٍ سَبْطٍ وأيّامه وُسْـ ـطَى فلمّا أنتهتْ تقلّص جَعْدا
ليته غيرَ منصفٍ لِيَ إسعا دا على الدهر منصفٌ لِيَ وُدّا
واذا لم تَجِدْ من الصبر بُدًّا فتعزَّلْ وَجِدْ من الناس بُدّا
يدفع اللهُ لى ويحمى عن "الصا حِبِ" فَردا كما وَفَى لِيَ فردا
أَجِنَّتْ[1] أوجهُ الرجالِ فما أن كَرَتُ من بِشر وجهه العذبِ وِرْدا
كيفما خالَفتْ عِطاشُ أمانيـ ـنا اليه كان النميرَ العِدّا[2]
مَلَكَ الجودُ أمرَه فحديث ال مال عن راحتيه : أعطَى وأجدَى
زد لجاجا اذا سألتَ وإلحا حا عليه يزِدْك صبرا ورِفْدا
لا تَرَى — والمياهُ تُعطى وتُكدِى — حافرًا قطّ فى ثراه أكدَى[3]
كلما عرَّضَتْ له رغبةُ الدنـ ـيا توانى عنها عَفافا وزُهدا
كثَّر الناسُ مالَها، وٱقتناها سِيَرا تَشرف الحديثَ وتَحْمدا
لحقتْه بغاية المجد نفسٌ لم تحدِّد فضلا فتبلغ حدّا
عدَّت الفقر فى المكارم مُلكا وفَناءَ الأيّام فى العزّ خُلدا
وأبٌ حَطَّ فى السماء ولو شا ء تخطّى مكانَها وتعدّى
من بهاليلَ أنبتوا ريشة الأر ضِ وربُّوا عِظامَها والجِلْدا
أرضعتْها أيديهمُ دِرَّة الخِصـ ـب فروَّت تِلاعَها والوُهْدا
بين "جَمٍّ"[4] منهمُ و"سابورَ"[5] أقيا لٌ يعدُّون مَولد الدهر عَدّا[6]
لهمُ حاضرُ الممالك إن فا خر قومٌ منها بقَفرٍ ومَبدَى[7]

(١) أجنت : صارت آجنة أى متكدرة متغيرة . (٢) النمير العد : الزاكى الكثير .
(٣) أكدى من قولهم : أكدى الحافر أى بلغ الكدا وهى الأرض الصلبة وقد تقدم . (٤) جَم : اسم أحد ملوك الطبقة الأولى من الفرس وتاريخه من أعجب التواريخ وفى الأصل "نحم" . (٥) سابور : اسم أحد الأكاسرة . (٦) أقيال جمع قيل وهو الملك من ملوك حمير . (٧) المبدى : البادية .

أخـذوا عُدرةَ الزمان وسـدُّوا فُرَجَ الغيـلِ(١) يقنصون الأُسْدا
سـيرُ العـدلِ فى مآثرهـم تُر وَى وحسنُ التـدبير عنهم يؤدَّى
واذا آغـبرّت السنونَ وأبدَى شَـعثُ الأرض وجهَها المُـربدَّا
طـردوا الأَزْلَ(٢) بالـثراء وقامـوا أثر المحـلِ يخلُفون الأَنْدَا(٣)
تُوِّجوا مُضغةً، وساد كهولَ الـ ـناس أبناؤهـم شـبابا ومُردا
عـدَّد الدهرُ سـيِّدًا سـيِّدًا منـ ـهم وعدَّ "الحسينُ" جَدًّا لجدَّا
حَبَسَ النـاسَ أن يُجاروك فى السـؤ دُدِ تعريضُهم وسَـيْرُك قَصـدا
ووقَى المُلكَ زَلّةَ الرأى أن صر تَ بتـدبير أمرِهِ مستبِدّا
لك يومٌ عنـه مِرَاسٌ مع الحـر بِ يردُّ السـوابقَ الشُّـعرَ(٤) جُرْدا
تركبُ الدهرَ فيـه ظَهْرا الى النصـ ـر وتستصحبُ الليـالِيَ جُنـدا
وجـدالٌ يوما تَرَى منك فيـه فِقَـرُ الوافـدين خَصْما ألدَّا
كلّ عَوصـاءَ يسـبِق الكَلِمُ الهـدَّ ارُ فى شـوطها الجـوادَ النَّهْـدا(٥)
أنا ذاك الحـرُّ الذى صـيَّرتْه لك أخلاقُـك السـواحرُ عبـدا
مُعلِّقٌ من هواك كفّى بحبـلٍ لم يـزده البعادُ إلا عَقْـدا
ملَكَ الشـوقُ أمرَ قلبى عليـه مذ غـدا البينُ بيننا ممتـدَّا
أشتكى البعـدَ وهـو ظلمٌ ولـولا لذّةُ القـربِ ما أَلِمتُ البُعـدا
ليت من يحملُ الضعيفَ على الأخـ ـطارِ ألـقَ رَحلى اليـك وأدَّى
فـترقت عيـنى ولو ساعـةً منـ ـك، فإنى من بعدها لا أَصْـدَى
وعـلى النأى فالقـوافى تحيّـا تُك منّى تسرى مَراحا ومَغْـدَى

(١) الغيل : عرين الاسد . (٢) الأزل : الضيق والقحط . (٣) يريد الأنداء جمع ندى .
(٤) الشُّعر جمع أشعر وهو ضد الأجرد . (٥) النَّهد : الفرس الحسن .

كلّ عذراء تفضَح الشمسَ فى الصبـ ـح وتُـورِى فى فحمة الليـل زَندا
لم تُدنَّس باللمس جسما ولم تَصـ ـبُغْ لها غَضّـةُ اللواحـظِ خدَّا
أَرجاتُ الأعطافِ مُهـدًى جَناها لك يُهـدِى الى الربيع الوَرْدا
فتلقَّ السـلامَ والشوقَ منهـا ذاك يُشْكَى وذا يطيبُ فيُهـدَى
وآحْبُ جيـدَ النيروز منهـا بطوقيـ ـن وفصّـل لليلة العيـدِ عِقْـدا
وتسـلَّم من الحوادث ما كـ ـر على عَقْبـه الزمانُ وردَّا
ما أبالى اذا وجـدتُك مَنْ تَفـ ـقِدُ عينى — لا أبصرتْ لك فَقدَا —

* * *

وكتب الى ربيب النّعمة أبى المعمّر بن الموفّق يهنّئه بعيد الفطر

اذا فُطمتْ قَـرارةُ كلِّ وادى فدَرَّتْ "باللوى" حلَمُ(١) الغوادى
ومرّت تهتـدى بالريح فيـه مطايا الغيثِ مثقـلةَ الهوادى
ففُتّحتِ الرُّبا خـدّا وسُـدَّت بشكر المزن أفـواهُ الوهـادِ
أناديـه وتَنشُـدُه المغـانى ولكن لا حياةَ لمن تُنـادى
وما أرَبِى الى سُقيا ربـوعٍ لهـا من مقلتى سارٍ وغادى
حملتُ يدَ السحاب الجَوْنَ(٢) فيهـا واستُ معوَّدا حمـلَ الأيادى
ولو بكت السماءُ لها وجفـنى تيقَّنتِ البخيلَ من الجـوادِ
ضَممتُ "بمَسْقَطِ العَلَمَيْن" صحبى وقد صاح الكَلالُ بهم : بَدادِ
على أرَجِ الـثرى لما ضَـللنا تضوَّعَ منـه فى الأنفاس هادى

---

(١) حلم جمع حلمة وهى التؤلول فى وسط الثدى يُمتصّ منه الحليب وهى هنا مجاز. (٢) الجون : الأسود .

وقد سـقط السُّرى والنجم هاوٍ عيون الركب فى حـطّ الرقادِ (١)
نَدامَى صـبوةٍ دارتْ عليهـم بأيدى العيس أكوابُ السهادِ
اذا شربوا السُّرى ٱقترحوا عليـه صـفيرَ حمـامةٍ وغِنـاءَ حادِى
ولمـا عزَّ ماءُ الرَّكب فيهـم وقفتُ أُحـلُّ من عينى مَزادى
تحوم وقـد تقلّصتِ الأداوَى (٢) عـلى أجفانِىَ الأبلُ الصوادى
أجدَّك هل ترى بذيول "سلمى" نَضـارةَ حاضرٍ وخِيـامَ بادِى ؟
خرقن لكلّ عينٍ فى سواد الـ ـخدورِ خَصاصـةً (٣) مثـلَ السوادِ
وما أتبعتُ ظَعْنَ الحىِّ طـرفى لأغنمَ نظـرةً فتكونَ زادى
ولكنّى بعثتُ بلحظ عيـنى وراءَ الركب يسألُ عن فـؤادى
وفى نُوّامِ هـذا الليـل شمسٌ وَفَى سهرى لها وجَفَا وسادى
اذا ذُكرتْ نزتْ كبـدى اليهـا هبوبَ الداء نُبِّـهَ بالعِـدادِ
عجبتُ يَضيمنى زمـنى وأرضَى ويحصُـدنى ولم أبلغْ حَصـادى
وتُنفِـقُ مسرفاتٍ من شـبابى لياليه الصـعابُ بلا ٱقتصـادِ
وعهـدى بالتشـابُهِ والتنافى يحرَّان التصـادقَ والتَّعادى
فما بالُ الليـالى وهى سُـودٌ بُزالُ بهـا البياضُ من السـوادِ (٤)
توقَّ النـاس إن الداءَ يُعـدى وإن قـرُبوا فحظُّك فى البِعـادِ

---

(١) هكذا بالأصل ولعله

وقد سَمَطَ السُّرى والنجم هاوٍ عيونَ الركب فى خيط الرقادِ

وسَمَطَ بمعنى علَّقَ ، وهذا يقرب من قوله فى قصيدة أخرى

والحىّ إمّا خالفٌ أو حاضرٌ خيطُ الكرى فى جفنه قد ٱنعقدْ

(٢) الأداوَى جمع إداوة وهى وعاء صغير من جلد يُتّخذ للماء ، وفى الأصل "الأوادى" .

(٣) الخصاصة : كلّ خرق فى باب أو برقع أو نحوه . (٤) يشير بذلك الى الشيب .

ولا يغـــرُرْك ذو مَلَقٍ يغطّى أذاه وجمـــرُهُ تحتَ الرَّمادِ
كِلا أخـويك ذو رَحِـمٍ ولكن أخوك أخوك فى الثَّوبِ الشِّدادِ
عذيرَى من صـديقِ الوجهِ يَحنِى أضالعَـــه عـــلى قَلبٍ مُضادِى (١)
لوى يدَه عـــلى حَبـــلٍ لعُنْقى وقال : آضمُمْ يديك على ودادى
تمنَّى — وهو يَنْقُصُنى — تمامى، وأينَ الزِّبْرِقانُ (٢) من الدآدى ؟ (١١٠)
ومجتمعين يرتفـــدون عيبى فلا يَزِنُ آجتماعُهـــم آنفـرادى
اذا آنتسبوا لفضـــلٍ لم يزيدوا على نسبِ "آبن حرب" من "زِيادِ"
أُلامُ على عُزوف النفسِ ظلمـا وما لومى عـــلى خُلُـقٍ وعادى
ويخـدعنى البخيـلُ يريـد ذمّى وهـل عنـد الهشيمة من مَرادِ
كفانى "آلُ إسماعيلَ" إنى بلغتُ بهـم من الدنيـا مُرادى
وأنّ "محمدا" دارَى نفـارى فلانَ له وأسلسَ من قيـادى
رقَى خُلُقى بأخـــلاقٍ كرامٍ ألانت من عرائكه الشِّـدادِ
وكنتُ أذمُّ شرَّ النـاس قِـدْما وعيبَهُـمُ فصـحّ على آنتقـادى
وكم خابطتُ عشـــواءَ الأمانى وكاذَبنى على الظنّ آرتيـادى
فلمّـا أن سللتُ على الديباجى "ربيبَ النعمة" آستذكَى زِنادى
وأنبضَ من يديه لى غديرا وقـــد أعيـا فمَصَّ الثَّمّـادِ
جلا لى غُرّةً رَوِيتْ جمـالا أُسرُّ بها ووجهُ البـــدرِ صـادى
تفـاديهـا السماءُ بنـــيِّرَيْهـا فتَعـــرِفُ حظَّهـا فيما تُفـادى

(١) فى الأصل "مصاد" . (٢) الزبرقان : القمر ليلة تمامه ، والدآدئ مر تفسيرها .

من الوافين أحلاما وصبرا ... اذا الجُلَّى هفت "بحلوم عادِ"[1]

بنى البيض الخفافِ توارثوها ... مع الأحساب والخيلِ الورادِ

تَضاحَكُ فى أكفّهم العطايا ... وتكلحُ عنهُمُ يوم الجلادِ

مطاعيمٌ اذا النكباءُ قَرَّت ... وجَبَّ القحطُ أسنمةَ البلادِ

لهم أيدٍ اذا سُئلوا سِباطٌ[2] ... موَصَّلةٌ بأسيافٍ جِعادِ

اذا كلَّت من الضَّرب المواضى ... أعانوها بأفئدةٍ حِدادِ

طَوَوا سلَفَ الفخارِ فلم تُوَصَّمْ ... طوارِفُهم بمعروفِ التلادِ

اذا الأحسابُ طأطأتِ استشاطوا ... على متمرّد الشرُفاتِ عادى

يَعُدُّ المجدُ واحدَهم بألفٍ ... من النجباء فى قِيَمِ البلادِ

اذا وَلدوا فتًى سعت المعالى ... تَباشَرُ بينها بالإزديادِ

نموْك أغرَّ من ملكٍ أغرٍّ ... جوادا بالكرائم من جوادِ

أخا طَعميْن : حُلْوُك للموالى ... بلا منٍّ، ومُرُّك للعادى

اذا لم يختضبْ لك غربُ سيفٍ ... دما خضَّبتَ سيفا بالمدادِ

فأنتَ اذا ركبتَ شهابُ حربٍ ... وأنت اذا جلست شهابُ نادى

اذا رجع الحسيبُ الى فخارٍ ... قديم أو حديثٍ مستفادِ

فحسبك "بالموفَّق" من فخارٍ ... وبيتِ "الباهليّةِ" من عَتادِ

ومن يُسنِدْ الى طرفيك مجدا ... يَبِتْ من جانبيه فى مِهادِ

فِداؤك دائرُ الأبيات يأوى ... الى وقصاءَ[3] لاطئةِ العمادِ

---

(١) حلوم عاد : يريد بها "أحلام عاد" والعرب تضرب المثل بها لما تتصوره من عظم خَلْقها وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها .

(٢) تقدّم تفسيرها وفى الأصل "بساط" .

(٣) اللاطئة : اللاصقة بالأرض .

يتـوبُ اذا هفا غَلَطا بجـودٍ ... ولم يتُب اتقـاءً للمَعـادِ
اذا جاراك فى مِضمارِ فضـلٍ ... عَدَتْه عن اللحاق بك العـوادى
اليـك سَرَتْ مطامعُنا فعادت ... مَواقـرَ من ندًى لك مسـتعادِ
يَخِـدْنَ فصائلًا(١) فيـدعنَ وَسْمًا ... لأرجُلهنّ فى الصُّمِّ الصِّـلادِ
يقـادحْنَ الحَصَى شَررا كأنّا ... حذوناها مَناسِمَ من زِنادِ
حَملن اليـك من تحف القـوافى ... غرائبَ من مثـانٍ أو وُحادِ
هـدايا تفخر الأسماعُ فيهـا ... على الأبصـار أيّامَ التهـادى
مخلَّصـةً من الـكلم المعـنَّى ... بطول الكرِّ والمعنى المُعـادِ
نوافثَ فى عقود السـحر تُمنَى ... فصاحتُهـا الى رمـلِ العِقـادِ(٢)
تمنَّى — وهى تُنظَمُ فيك — أن لو ... تكونُ ترائبـا مهجُ الأعادى
تُخالُ العربُ عجـزا عن مـداها ... نبيطَ العُـربِ لم تنطِقْ بضـادِ
لأيّام البشـائر والتهـانى ... بهـا نشرُ الروائح والغـوادى
يجـرِّرُ ذيلَهـا يومٌ شريفٌ ... فيجعلهـا على عيـدٍ مُعـادِ
شواهـدَ أن جدّك فى ارتقاء الـ ... ـسعود وأنّ عمـرَك فى امتـدادِ
كفاها منك عفوُك فى العطاء الـ ... ـجزيل وقد وفَتْ لك باجتهادى (١١١)
فكيف خلَطْتَنى بسـواى فيما ... أنلتَ وأنت تَشـهدُ باتحـادى !
تمـادَى بى جفاؤك ثم جاءت ... مواصَـلةٌ أعقُّ من التمـادى
ألم تك لى من الذَّهَب المصـفَّى ... يدٌ بيضـاءُ تُشرِقُ فى الأيادى

(١) الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه وأتاه فصيلة وجمعها فصائل ، وفى الأصل "فضائل" ومعنى البيت : أن مطامعه تسير الى الممدوح وهى فصائل صغيرة حتى اذا عادت من عنده مثقلات بالندى أثّرت أخفافها فى الجلاميد لشدة وطئها شأن المثقل بالأحمال . (٢) العقاد جمع عَقَد كجبل وجبال وهو الرمل المتعقد المتراكم ويريد به البادية لأنها مهد الفصاحة .

منوِّهـةٌ اذا ٱنتشرتْ بذكرِى ولائقـةٌ بمجـدكِ وٱعتقـادى
رضـائى أن تهـزَّك ريحُ شـوقٍ الى قربِى ويوحشـك ٱفتقادى
اذا ما لم يكن نيـلا شريفـا فحسـبى من صِلاتك بالوداد

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنّئه بالنيروز

نبهتُهُ فقـام مشـبوحَ العَضُـدْ أغلبُ[1] لو سِـيمَ[2] الهوانَ ما رقَـدْ
فى يده مـذروبةٌ مَـزيدةٌ ودِرعُـه سابغـةٌ من اللَّبَـدْ
اذا غـدا لم يَحتشِمْ هاجرةً وإن سرَى لم يخش من ليلٍ بَرَدْ
إن همّ لم يُحبَسْ على مَشْـورةٍ[3] وإن غـدَا لسـفرٍ لم يسـتعِدْ
لكلّ باغى قنَصٍ طـريدةٌ تنفُـر منـه وله كلُّ الطَّـرَدْ
هبَّ بلبّيك وقـد دعـوته مكتفيا بقـوله : الى الأبَدْ
وخيرُ من ساندَ ظهـرى أسَـدٌ أو رجلٌ فى صـدره قلبُ أسـدْ
وقال : فى لَهَـاةِ أىّ خطـرٍ تقـذِفُ بى وعَرِض ما أىِّ بلدْ ؟
وما الذى رابك؟ قلتُ : حاجةٌ فى أفُقِ المجـدِ، فقام فصَـعِدْ
يسـبِقنى سـعيا لمـا أريده حـتى لقـد أدرك بى ما لم أُردْ
فـردينْ إلّا صـارمين ٱعتنقـا وضامرينْ وردَا أين قَـدَدْ[4]
تُضـمِرُ أحشاءُ الديباجى والفـلا منّى ومنـه جسدين بجسـدْ
كأنّ إثرينـا اذا ما أصـبحا على الثرى مسحبُ رمحٍ أو مَسَدْ
حـتى بلغتُ مسرحَ العـزّ به بأوّل الشـوط وأقرب الأمـدْ

(١) الأغلب : الأسد . (٢) فى الأصل " ثم " . (٣) المَشْوَرة والمُشورة : الاسم من أشار عليه بكذا . (٤) قدد : اسم ماء والمشهور ٱستعماله " قُدَيْد " مصغّرا .

وربَّ عزمٍ قبلها ركبتُه ... ففتُّ أن أُظلمَ أو أن أُضطهَدْ
وغارةٍ من الكلامِ شنَّها ... على اللئامِ كلَّ معنًى مطَّرِدْ
شهدتُها مغامرًا وكنت بالـ ... ـحضّ عليها غائبًا كمن شهِدْ
ولذةٍ صرفتُ وجهي كَرَمًا ... عنها وفيها رغبةٌ لمن زهَدْ
لم يعتلقني بأثامٍ[1] حبلُها ... ولم ينلني عارُها ولم يَكَدْ
وحَلَّةٍ طرقتُ من أبياتها ... أمنعَها بابا وأعلاها عَمَدْ
والحيّ إما خالفٌ أو حاضرٌ ... خَيْطُ الكرى بجفنِه قد انعقَدْ
وليس إلا بالنُّباح حَرَسٌ ... لهم وإلا مقلةُ النارِ رَصَدْ
فبتُّ أستقرِي الحديثَ وحدَه ... وغيرُهُ لولا العفافُ لي مُعَدّْ
ودون إرهابيَ حدٌّ صارمٌ ... عانقتُه ومِقوَلٌ منه أحدّْ
وكم "بذاتِ الرمل" من نافرةٍ ... بغير أشراكِ الشبابِ لم تُصَدْ
أحسنُ من بذلِ هواها منعها ... ومن وصالِ الغانياتِ ما تَصُدّْ
نومِيَ محفوظٌ اذا ما زرتُها ... وموضعي إن غبتُ عنه مفتقَدْ
يُعجِبُ قلبي مطلُها لطول ما ... يُكِرُّ بي المطلُ اليها ويَرُدّْ
لله أحبابٌ وفيتُ لهُمُ ... بما استحقُّوا من أسًى ومن كمَدْ
لم يَكفِهم شِقوةُ عيني بعدهم ... حتى استعانوا بالدموعِ والسَّهَدْ
مضوا بجمّات الحياة معَهُم ... وعوَّلوا بشفَتي على الثَّمَدْ
صحبتُ قوما بعدهم، حبالُهم ... سحيلةُ[2] الفتلِ رخيّاتُ العُقَدْ
وما على مَن كَدَّهُ حَرُّ الظما ... اذا رأى الماءَ الأُجاجَ فوَرَدْ!
يضرِبُ قومٌ في وجوهِ إبلي ... وقد كفاهم أنها عنهم حِيَدْ

(١) الأثام: الإثم. (٢) سحيلة الفتل: غير مبرمة الغزل.

لا تُعـجِل الكُوم[1] الى ذيادها ... فهى قِـاحٌ عنكُمُ لو لم تُذَدْ

ما للبخيـــل يتحـامى جانبى ! ... متى رآنى عاكفا على النَّقَـــدْ[2] ؟

يسـتُر عنّى القعبَ دافٌ[3] حنظلا ... فيـه وقد أمرَّ فى فىَّ الشُّـــهُدْ

ما أبصرَ الدهرَ بمـا أريده ... لو كان فى الحكم علىّ يقتصِـــدْ

أنزلنى مـــنزلةً بين الغـــنى ... والفقرِ لم يبخـــلْ بها ولم يَجُـــدْ

وشرُّ أقسـامك حظٌّ وسَـطٌ ... أرعنُ لم تَخُـل به ولم تَسُـــدْ

أغرَى الليـالى بِىَ أنّى عارفٌ ... بالسهل من أخلاقهنَّ والنَّـكُدْ[4]

وأننى أقـــدحُ فى صروفهـا ... بعزمـةٍ تُضىء لى على البُعُـــدْ

تُطلعـنى على اليقين ظنَّـتى ... كأنّ يومى مُخـبِرى بسرِّ غـدْ

يا بائـعى مرتخِصـا بثمـــنى ... سوف يذُمّ مستعيضٌ ماجِـــدْ

مثلى نُضـارا ضنّت الكفُّ به ... لو كان فى النـاس بصـيرٌ ينتقِدْ

قد فطِنتْ لحظِّهـا مَطالـــبى ... وأبصرتْ عينى الضلالَ والرَّشَـدْ

وقـــد علمتُ أىَّ برق أمترى ... مُزنتَـــه وأىَّ بحـــرٍ أستمِدْ

ووسَّعتْ أيدى "بنى أيوبَ" لى ... وبشرُهم ملء المـــنى مالا ووُدْ

فما أبالى — وهُم الباقون لى — ... مَن ذا فَنِى فى الناس أو مَن ذا نفِدْ !

ولا أروم الرزقَ من غـــيرهمُ ... وإنمـا أطلبُ من حيث أجِـــدْ

المـانعون بالجـــوار والحمى ... والناهضون بالعـــديد والعُـدَدْ

والغامرون المَحْـلَ من جودهمُ ... بكلّ كفٍّ ذاب فى عامٍ جَمَـدْ

والضـاربون فى اليفاع والذُّرَى ... اذا بيوتُ الذلِّ عاذتْ بالوُهُـــدْ

---

(١) الكوم : جمع كَوْماء، وهى الناقة الصخمة السنام . (٢) النقد : الأساقل من الناس .

(٣) دأف : خلط . (٤) النكد : الشديد الصعب من نكم عيشه أى اشتدّ وعسر .

تضيء تحت الليل أحسابُهم ... لضيفهم إن حاجبُ النار نمدْ
مدُّوا الى الحاجات من ألسنهم ... ذوابلا منذ آستقامت لم تَمِدْ(١)
لا تتقيها دامةٌ بمغفرٍ ... ولا يداريها عن الجسم الزَّردْ
تبهر فى الأسماع كلَّ جائفٍ(٢) ... اذا آستقامت لُجمة الجُرح فسدْ
تعرَّفوا(٣) بالمجد حتى سافرت ... أخبارُهم بطيبه وهم قُعُدْ
وآختلفوا، لا أخطأتْ بسهمها ... أمنيَّةٌ صوبَ نداهم تعتمدْ
وأفسدوا الدنيا على أبنائها ... فما ترى مثلَهُم فيمن تلدْ
هُمْ ما هُمُ أصلا ! ومن فروعهم ... أبلجُ أَرْبَى طارفًا على التَّلَدْ
وفى بمجدِ قومِه "محمدٌ" ... فبرَّهم وربَّما عَقَّ الولَدْ
وبانَ من بينهم بهمّةٍ ... خَلَّةُ كلّ سؤددٍ منها تُسَدْ
تمَّ وبدرُ التمِّ بعدُ ناقصٌ ... وزاد والبحرُ المحيطُ لم يزِدْ
ودبَّر الدنيا برأيِ واحدٍ ... يأنَفُ أن يَشركه فيها أحدْ
تراه وهو فى الجميع واحدا ... والبدرُ فى حَفْلِ النجوم منفردْ
اذا آستشار لم يزد بصيرةً ... ولا يلوم رأيَه اذا آستبدْ
حتى لقد أصبح باتحاده ... يتيمةَ(٤) الدهر وبَيضةَ(٥) البلدْ
قام فنال المكرماتِ متعَبا، ... وفاز بالراحة مخفوضٌ قعدْ
وخامٌ(٦) عن حمل الحقوق معشرٌ ... فلم يرعْه حملُها ولم يؤدْ

(١) تمد : تمل . (٢) الجائف : الذى ينتهى الى الجوف من قولهم : جافه بالطعنة : أى بلغ بها جوفه ، وفى الأصل "حايف" . (٣) تعرّفوا : تطيّبوا . (٤) يتيمة الدهر : الدرة الثمينة لا نظير لها . (٥) بيضة البلد : هى بيضة النعام وقد تجىء مرة فى موضع المدح وتارة فى موضع الذم ، فاذا مُدح بها الرجل أريد أنه واحد البلد الذى يُجتَمَع اليه و يُقبَلُ قولُه وأنه فردٌ ليس مثله أحد فى شرفه ، واذا ذُمّ بها أريد أنه منفرد لا ناصر له بمنزلةِ بيضةٍ قام عنها الظليمُ وتركها لا خير فيها ولا منفعة .
(٦) خام ؛ نكص وجبن ، وفى الأصل "حام" .

ولو درى النـائمُ أىَّ قَـــدَمٍ يُحرزها الساهر لاشتاق السَّهَدْ
وربّما برَّح بالعين الكرى وكانت الراحـــة داءً للجســـدْ
تسلّمتْ من القذى أخلاقُهُ والماءُ يَقـذَى بالسِّـقاء والزَّبَدْ
وآنتظم القـــلوبَ سِلكُ ودّه فما يَرَى من لا يُحبّ ويَوَدّْ
لا رفَقَ الغيظُ بقلبٍ محفَـظٍ(١) عليك إن لم يقل الشِّـعرَ آعتقدْ
جاراك يرجو أن يكون لاحقا، سومُ السَّحوق(٢) فات أن يُجنَى بيدْ
ينقـاد للذِّلّة طـــوعَ نسبٍ حيرانَ فى الأحساب أعمى لم يُقَدْ
يدين بالبخل اذا سِيلَ فإن أخطأ يوما بنـــوالٍ لم يَعُـــدْ
مـدّ بحبـــلِ شرِّه فانفصمت أســبابُه وأنت بالخـير تَمُـــدّْ
فكلّما جاز مـــدًى جاوزته مقاربا للمجـد من حيث بَعُـــدْ
بك آعتلقتُ ويدِى وحشـــيَّةٌ وضمّ أنسى شمـــلَه وهـو بَدَدْ
وآرتاض منّى لك خُلْقٌ قامصٌ لم يدر قبـلُ ما العطاءُ والصَّفَدْ(٣)
ملكتَ قلبى شـغفا فما وَفَى بقدرِ وجدى بك صبرى والجلَدْ
حـــتّى حـــوانى أولا فأولا وواحدٌ أوّلُ ألفٍ فى العـــددْ
كم أيكةٍ أنبتَهـا جودُك لى تُربُ ثراها طيّبٌ والماءُ عِـــدْ (١١٣)
وكلما صَوَّح منها غُصنٌ عاد بها جودُك غضّاتٍ جُدَدْ
قـد ملأتْ أوعيَـتى ثمارُها فقَدْكَ(٤) إن ردَّ عبابَ(٥) السيلِ قَدْ
لم تبق فىَّ خَـــلّةٌ تســـدُّها وإنما الخَلّةُ بالمـال تُسَـــدّْ

---

(١) محفظ : مغضب . (٢) السحوق : النخلة الطويلة . (٣) الصفد : الوثاق والصفد أيضا بمعنى العطاء . (٤) قدْك : حسبك . (٥) العباب : معظم السيل وآرتفاعه وكثرته ، وفى الأصل "عنان" ، ومعنى البيت : لحسبك إن كانت لفظة حسب (قد) ترد عباب السيل .

لى فيك من كلّ فقيدٍ خلَفٌ فابقَ فما يضرُّنى مَنْ أُفتقدْ
اذا السنانُ سَلِمتْ طريرةً عُلياهُ(١) فلتمضِ الأنابيبُ قِصَدْ(٢)
وٱضرب بسهمٍ فى العلاء فائزٍ من يدِ عُمرٍ فائزٍ لا يُقتَصَدْ
تُنفَضُ عنك الحادثاتُ شُعَبا حيثُ التهانى حافلاتٌ تحتشدْ
كلّ صباحٍ شمسُ إقبالك فى فُتوقهِ مفتنةٌ شمسَ الأبدْ
جذلانَ بين مادحٍ وحاسدٍ فموجباتُ المدح يوجبن الحسدْ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير أبى القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ، وقد غاب عن بغداد أنفًا من النظر، ذاهبا مع الحميَّة يستوحش له، ويذكر مكان الٱستضرار ببعده، ويتفاءلُ له بسرعة العودة، وأنفذها اليه فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

خاطرْ بها إمّا ردًى أو مُرادْ وردْ لها أين وجدتَ المَرادْ
ولا تُماطلْها بجمّاتها معلّلا أظماءَها بالثمادْ
باعدْ عزيزا بين أسفارها فعزّةُ النجم السُّرى والبعادْ
للهِ رامٍ بلُبانَاتِهِ طولَ الليالى وعروضَ البلادْ
يُقدِمُ إما مبلغا نفسَه معذرةً أو بالغا ما أرادْ
يحفزُه الضيمُ فتنبو به مضاجعُ الغيدِ ولينُ المِهادْ
اذا أحسَّ الهُونَ صاحتْ به نخوتُه، أو طارَ، أو قيلَ: كادْ
يَعجُمُ منه الدهرُ إن رابهُ جلْدَ العصا صُلبَ حصاةِ الفؤادْ
سمتْ به الهمّةُ حتى نجا منفردا من بين هذا السوادْ

(١) فى الأصل "غرباه"، ومعنى البيت اذا سلم أعلا السنان محددا فلتتكسر الأنابيب وهو على سبيل المثل للبيت الذى قبله. (٢) قصد جمع قِصْدة وهى الكسرة.

مولِّيا آخـــرَ حاجاتـــهِ خزائمَ العيس ولُجُـــمَ الجيـادْ
أقسمَ مهما اكتحلتْ عينُـــه بمثـــلِهِ لا اكتحلتْ بالرقادْ
وبات مغمورَ العـــلا شاكرا ميســـورَه، يقنَعُ بالإقتصـادْ
يرضَى من الحظّ بمـا جاءه عفوا، وما الحظّ سوى الاجتهادْ
ينـام للضـــيم على ظهـــره مُراوَحَ الخـــدّ وثيرَ الوسـادِ
إن راءه من يومـــه رائعٌ قال : عُدُوًّا[1]، فرَسُ الذلّ عادْ
ما أكثرَ المُنحِى على مجـــده لبُلغـــةٍ تُرجَى ورزقٍ يُفـادْ
ومؤثرَ المـالِ على عرضـــهِ مجتهـــدا ينقُصُ من حيث زادْ
عَـــدِّ عن الدنيـا وأبنائهـا وبـــعْ موداتهـــم بالبعـادْ
ما هـــذه الدهمـاءُ[2] إلا دَبًى[3] ينشُرهُ فى الأرض حُبُّ الفسادْ[4]
إلّا فـــتًى يأنف من عيشـــةٍ لغـــيره فيهـا عليـــه اعتدادْ
ودولةٍ تخطُبُ رايا تُهـا باسم ســـواه فى رءوس الصِّعادْ
مثل "أبى القاسم" غيران يسـ ـتفيد من عزّته ما استفادْ
يجـــود بالنفس كما جاد أو يسود بالواجب من حيث سادْ
هيهات ! قامت معجزاتُ العلا فيـــه وبانت آية الإنفـــرادْ
لا تـلدُ الأرضُ له من أخٍ، أعقَمها من بعـدِ طولِ الولادْ
شـاد به اللهُ بُنَى[5] مجـــدِهِ راسـيةً، واللهُ ما شـاء شـادْ
بانَ من النـاس فمـا عابه شيءٌ سوى تشـبيهه بالعبـادْ
أبلجُ فى كلّ دُجَى فحمةٍ عمياءَ لا يقـــدَحُ فيهـا الزنادْ

(١) العُدوّ : العدوان . (٢) الدهماء : الجماعة من الناس . (٣) الدبى : الجراد الصغير .
(٤) فى الأصل "السفاد" . (٥) بنى جمع بُنية وهى ما بنيته ، وفى الأصل "بنا" .

يصيبُ بالأوّل من ظنّـه فليس يُستثنَى ولا يُستعادْ
تهفو قُوَى الحلم، وغضباتُه تأوِى الى مستحصِفاتٍ[1] شِدادْ
أرهفَ من آرائه ذُبَّلا ترودُ للطعن أمامَ الطرادْ
وقاد للأعداء رقّاصةً[2] تعزِفُ – لولا يدُه – أن تُقادْ
معرِّقاتٍ[3] كان أُمّاتُها ربائطا ما بين أبياتِ "عادْ"
يشكُلُها إن خلعتْ لُجُمَها ما جرَّ من فضلِ نواصى الأعادْ
خضَّبها الطعنُ بماء الطُّلَى فشُهْبُها[4] فى شَعَراتِ الوِرادْ[5]
يحالفُ الصبرَ عليها فتًى ما بدأ الكرَّة إلا أعادْ
يبذُلُ فى حفظ العلا مهجةً تكبُرُ أن تَفديَها نفسُ فادْ
يَرَى طلابَ العزّ أو بَردَهُ فى حرّ ما يَشرَبُ يومَ الجِلادْ
شجاعةٌ سبَّبها جودُه، إن الفتى يشجُع من حيث جادْ
يا راكبَ الدهماء[6] لم يُحفِها سَيرٌ ولا حنَّتْ لتغريدِ حادْ
حدَّدها الطالى فما عابها على بياضِ الجسم لُبْسُ الحِدادْ
لا تلتوى من ظمأ والثرى مُكْدٍ وأكبادُ المطايا صَوادْ
يَحفِزها من مثله سائقٌ يَضِلُّ خِرّيتُ الفلا وهو هادْ
راكبُها وهو على ظهرها موطَّأُ الجنبِ قليلُ السهادْ
يَكرعُ فى صافٍ قليلِ القذى عَذبٍ ويرعَى أبدا بطنَ وادْ
بلِّغ – بلغتَ الخيرَ – خيرَ امرئ شُدَّتْ عليه حَبَوات البوادْ

(١) مستحصفات : مجدولات محكمات . (٢) يريد بقوله رقاصة : الخيل كثيرة الرقص وهو ضرب من الخبب . (٣) معرّقات تمتدّ عروقها أى أصولها ، وفى الأصل "معرفات" . (٤) الشهب : البيض . (٥) الوراد : الحمر . (٦) الدهماء : الناقة الشديدة .

قل للوزير : آعترقتْ[1] بعـدكم عظمى نيوبُ الأزمَاتِ الحِدادْ
وآرتجع البخـلُ وأبنـاؤه ما أَسارتْ عندىَ كفُّ الجوادْ
غاض النـدَى بعـدك يا بحرَهُ و بانَ مذ بِنتَ بفضـلِ السّدادْ
وآغبرّ جوٌّ كنتَ خضَّرتَهُ فشمَطتْ فيـه الرُّبَا والوِهادْ
دِينٌ من العـدل عفا رسمُه شَرَعتَهُ للنـاس بعـدَ آرتدادْ
وسُنّةٌ فى المجـد قد قُوّضتْ أقمتَ من أطنابها والعمادْ
ومهملٌ من كلمٍ نادرٍ نفَّقَهُ[2] مدحُك بعـدَ الكسادْ
عاد يُـوَفَّى أجرَهُ كاملا عندك حيًّا قبـلَ يومِ المَعـادْ
عَرَفْتَهُ والنـاسُ مِن حاسدٍ أو جاهـلٍ بالقولِ والإنتقادْ
أوحشتَ بالبعد فلا أُوحِشتْ منـك مغانى الكرم المستفادْ
وشُلَّ[3] سَرْحُ الأمر من قبضة الـ ـراعى فأمسَى هَجمـةً[4] لا تذادْ
معطَّلَ المجلسِ والمنـبرِ الـ ـمركوبِ عارى السرجِ رِخوَ البِدادْ[5]
تعـلّقَ الممسـكُ أطرافَـه منـه برُسـغَىْ قاطعٍ لا يصـادْ
كأنمـا صـاحَ غرابُ النوى : بدادِ فيـه بعـدَ جمعٍ بدادْ
قد أسـفَ الرأسُ على تاجه وأنكرَ[6] العاتقُ فقْـدَ النّجادْ[7]
ووَجْهُ "بغـدادَ" على حسنه أسفعُ[8] مكسوفٌ عليـه آربدادْ[9]
كانت حريـما بك ممنوعـةَ الـ ـحظ مهر فعـادت وهى دارُ الجهادْ
فى كلّ بيتٍ من أذًى عَوْلةٌ تُبْـدَا ومن خوفٍ أنينٌ يُعـادْ

(١) اعترقت : نزعت ما عليه من لحم . (٢) نفّقه : روّجه . (٣) فى الأصل "سلّ" .
(٤) الهجمة : من الإبل ما بين السبعين الى المائة أو الى دونها . (٥) البداد : بطانة تحشى وتوضع على الدابة وقاية لظهرها . (٦) العاتق : موضع نجاد السيف من الكتف . (٧) النجاد : حمائل السيف . (٨) الأسفع : الشاحب المتغير اللون مما يقاسى من المشاق . (٩) الأربداد : التغير .

وكيف لا يُنكَرُ عهدُ الحمى ... يفوتُه العامُ بصوبِ العِهادْ !
يا مبدئ الإحسان فينا أعدْ ... فالبدر إن مرّ مع الشهر عادْ
قم فأثرها عزمةً لم تنمْ ... ضُعفا ولم تنقُصْ لغير ازديادْ
عاجلْ بها جَدْعَ أنوفٍ طغتْ ... وأرؤسٍ قد أينعتْ للحَصادْ
يحسبها الأعداء قد أُخمِدتْ ... وإنما جمرُك تحتَ الرَّمادْ
لا تأخذِ الدهرَ بزلّاته ... وسَعْهُ بالعفو وبالإعتمادْ
ولا تُكشِّفْ عن صدورٍ خبتْ ... أضغانُها من قاتلٍ أو مُضادْ
فكلّما تُبصره صالحا ... فإنما يصلُح بعد الفسادْ
أنا الذى ردّ زمانى يدى ... من بعد شدّى بكم وٱعتضادْ
وطمِعتْ فىّ ذئابُ العدا ... حتى حلا مضغٌ لها وٱزدرادْ
وفُتّ فى حالى وفى عيشتى ... بطلبى ظِلَّكُم وٱفتقادْ
لا نَسِيَ اللهُ لكم والعلا ... ما زدتُمُ فى عُدّتى أو عَتادْ
ونعمةٍ أثقلتُمُ كاهلى ... بحملها وهى يدٌ من أيادْ (١١٥)
كم ناخسٍ ظهرى على شكركم ... وحاسدٍ فى مدحكم أو مُعادْ
ومنكرٍ حفظى لكم يرتمى ... مَقاتلى من خطإٍ وٱعتمادْ
وليس للخابطِ إلا العَشا ... مِنّى وللخارطِ إلا القَتادْ
وناشطاتٍ أبدا نحوكم ... من عُقَلِ الفكرِ لِيانِ المَقادْ
سوافرٍ عن غُرَرٍ وُضّح ... ينصَعُ منهنّ سوادُ المِدادْ
يَخلِطنَ فرضَ الحقّ فى مدحكم ... بخالص الحبّ وصفوِ الودادْ
حافظةٍ فيكم عهودَ النَّدَى ... حفظَ الرُّبا عهدَ السوارى الغوادْ
وقلّما يرعى أيادِيكُمُ ... فى القرب مَنْ لم يَرْعَها فى البعادْ

* * *

وقال وقد بلغه تشوُّقُ الأمير الأجلّ نور الدولة أبى الأغرّ دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد الى ما يسمعه من شعره، واقتراحه أن يُخصَّ بشىء يَجمعُ فيه بين أن يحفظه وبين أن يكون مديحاله، وتوسّط بعضُ كتّابه فى هذا، فكتب اليه يمدحه، ويذكر بعضَ أعدائه ممّن نجمَ عليه فى جُمادى الأولى من سنة ستّ عشرة وأربعمائة

أمِنْ "أسماءَ" والمسرى بعيدُ ... خيالٌ كلّما بخلَتْ يجودُ ؟

طوَى طىَّ البرود عِراصَ "نجدٍ" ... وزار كما تأرَّجتِ البرودُ

يشقُّ الليلَ والأعداءَ فردا ... شجاعا وهو يذعَرُه الوليدُ

مواقدُ "عامرٍ" وسروحُ "طىٍّ" ... وما قطعت برملتها "زرودُ"

له ما للبدورِ من الدياجى ... فأرَّقَنى وأصحابى هُجودُ

فقمتُ له أطوِّقه عِناقا ... يدا ضعُفتْ وباعُها شديدُ

يدُ القنّاصِ تخفُقُ أين مُدَّتْ ... حِبالتُه فتَضبِطُ ما تصيدُ

فيا لكِ سُحرةً سُرِقتْ لوانّى ... غدًا فيها يتمّ لِىَ الجُحودُ !

وكيف وتُربُ "بابلَ" "سَلْخَ" شهرٍ ... وأردانى (١) برِيَّاها شُهودُ !

أمَا ومشعشعين "بذاتِ عِرقٍ" ... صلًا (٢) يَقْرِى "العراقَ" له عمودُ ،

ورامٍ سهمَ عينيه "بسَلمٍ" ... و"بالزوراء" يقتُلُ مَن يريدُ ،

لَمَا وفَتِ الصوارمُ والعوالى ... بما جنتِ المحاجرُ والقدودُ

وكم يأوِى "المشقَّرَ" من غزالٍ ... تحاذر من كَناسَتِه الأسودُ

تُقلِّمُ حولَه الأظفارَ عَيْنٌ ... ويُهتِمُ دونَه الأنيابَ جيدُ

وأبيضَ من نجوم "بنى هلالٍ" ... وجوهُ العيش بعد نواه سودُ

(١) الأردان جمع رُدنٍ وهو الكمّ . (٢) الصلا : الوَقود .

هويتُ له الذى يهواه حتّى حلا إعراضُه لى والصدودُ
نفضن الحبَّ أسمالا وعندى لهنّ على القلى حُبٌّ جديدُ
ورُحنَ وقد سفكنَ دمًا حراما تصيح به الأنامِلُ والخدودُ
أما تنهاك عن عيدِ التصابى[1] مواضٍ من شبابك لا تعودُ ؟
وقادحةٌ لها فى كلّ يومٍ ذبولٌ من نشاطك أو خمودُ
طوالع فى عذارك لا الأحاظى قَسَمْنَ طلوعَهنّ ولا السعودُ
وقالوا : حلّمتْكَ ، فقلت شوقا : متى مبدى الخلاعةِ لى يعيدُ ؟
يَجُرُّ عَلَىَّ أبيضُها خمولا وكنت بجاهِ أَسْوَدِها أَسودُ
ولم أر كالبياض مذمَّمًا فى مواطنَ وهو فى أخرى حميدُ
فتلحاه العوارضُ والمَقَالى وترضاه الترائبُ والنهودُ
عدمتُ مكارم الأيّام ، مَنْ ذا الـ ـشقىُّ بها ومَنْ فيها السعيدُ ؟
مع الفضل الخصاصةُ والتمنّى وحولَ العجزِ تزدحم الجدودُ
تُقامُ على الفقير وما جناها اذا وجَبتْ على المثرى الحدودُ
وما لك من أخٍ فى الدهر إلا أخوك طريفُ مالِك والتليدُ
مَحَضْتُ الناسَ مختبرا فكلٌّ بكيءٌ[2] دون زُبدته زهيدُ
هُمُ حولى مع النُّعمَى قيامٌ وهم عنّى مع الجُلَّى قعودُ
توقَّ تحيةَ ابن العمِّ يوما فربَّ فمٍ بقُبلته يكيدُ
ولا تخدعْك مسحةُ ظهرِ أفعَى فتحتَ لثاتِه نابٌ حديدُ
وأغلبُ ما أتاك الشرُّ ممّن[3] تذبّ الشرَّ عنه أو تذودُ
وحَولك من قبيلك من تكون الـ ـقليلَ به وإن كثر العديدُ

(١) العيد : ما يعتادك من هم أو مرض أو نحوه .
(٢) البكيء : الناقة لا تدرّ .
(٣) فى الأصل " يكون " .

مُـداجٍ أو مُبادٍ أو حسودُ ... وشرُّهُم على النِّعمِ الحسـودُ
ومولًى عرشُـه بك مشمخرٌّ ... بطول الحفر يَهـدِمُ ما تشيدُ
نصحْتُ لمارقٍ من "آل عوف" ... لو أنّ النصحَ يبلغ ما أريدُ
وقلتُ له : قناتَك لا تدعها ... تُوصَّمْ بالعـقوق ولا تميـدُ
و بيتَـك لا تبدّلْ فيـه غدرا ... فإنّ عليـك ما يَخني النُّـدودُ (١)
ولا تعبَثْ بعـزٍّ "مَزيَدِيٍّ" ... لتنقُصَـه وأنت به تزيدُ
هم النحموك معـروقا (٢) وضمُّوا ... عزيبَـك وهو متحسٌّ طريدُ
ومـدّوا ضَبْعَك المغمورَ حتى ... سما بك بعـد مهبطه صعودُ
الى نادٍ تفـوه به وتغشَى ... وسامرةٍ يُشَبُّ لهـا وَقـودُ
عُنُوا بثراك وآغترسوك حـتّى ... بسقتَ على العِضاهِ وأنت عودُ
وربُّوا نعـمةً لك لا يغطّى ... عليهـا السـترَ غَمطُك والجُحودُ
فما غَـنِيَ المبصَّرُ وهو باغٍ ... بما تُجدِى المَشُورةُ أو تُفيـدُ
وقام يقـودُها سُوقًا (٣) عجـافًا ... أعزُّ من القيام بهـا القـعودُ
يَلوثُ جبينَـه منهـا بعـارٍ ... تبيـد المخـزياتُ ولا يبيـدُ
فكيف وأنت طير البغى فيها ... جرت لك بالتى عنهـا تحيـدُ
نزلتَ لهـا بدار الهُـون جارا ... لأقـوامٍ تُضـامُ وهـم شهودُ
صديقَ العجزِ أسلمك الأدانى ... بجُرمك وآستراب بك البعيدُ
تَقاذَفُـك المهامهُ والفيـافى ... وتُنكرك التهـائمُ والنُّجودُ
فما لك ـ لا وألتَ (٤) ـ وأنتَ حُرٌّ ... يُجيرك من عشيرتك العبيدُ

---

(١) الندود : النفور والشرود . (٢) معروقا : منزوعا ما عليك من لحم . (٣) سوق جمع ساق . (٤) يقال : وأل فلانا : آتخذه موئلا .

وأن الجارَ لا حىّ عزيزٌ بأسرته ولا مَيْتٌ فقيدُ
ولو بأبى الأغرِّ صرختَ فاءتْ عليك فضولُ رأفته تعودُ
إذن لأثرتَ عاطفةً وحلمًا تموتُ له الضغائنُ والحُقودُ
وكان الصفحُ أبردَ فى حشاه اذا ٱلتهبتْ من الحَنَقِ الكُبودُ(١)
وعاد أبرَّ بالأنساب منكم وبالقربَى لو ٱنك تستعيدُ
نتجتَ من المنى بطنا عقيما نَمَى بك والمنى أمٌّ ولودُ
أتنشُدُ ما أضلَّ الحزمُ منها ؟ أطِلْ أسفا فليس لها وجودُ !
وتوعدُه وذلك ذلُّ جارٍ، متى ٱجتمع المذلةُ والوعيدُ ؟
تريدون الرءوسَ وقد خُلِقتم ذُنابَى لا ٱنتفاعَ بأن تريدوا
ويأبى اللهُ إلا "مَزْيَدِيّا" على "أسَدٍ" يؤمِّرُ أو يسودُ
فدعْها للذى جفَلَتْ اليه وسلْه العفوَ فهو به يجودُ
دَعُوا قوما يخاصم فى علاهم رقابَكُم الموائقُ والعهودُ
بأىّ سلاحكم قارعتموهم أبَى الماضى الشبا ونبا الحديدُ
وإنّ سيوفَكم لتكون فيهم مَكاوىَ(٢) لا تَنُشُّ لها الجلودُ
ففخرا يا "خُزَيْمُ" فكلُّ فخرٍ الى أنواركم أعمى بليدُ
لكم نار القِرى وندَى العشايا وفرسانُ الصباح وَعَوْا فَنُودوا(٣)
وأنديةٌ وألسنةٌ هُبوبٌ اذا ٱنتُضيتْ(٤) وأحلامٌ رُكودُ (١١٧)
ومنكم كلُّ وَلّاجٍ خروجٍ وذو حَزْمَيْن صدَّارٌ وَرودُ
موقِّرُ ما أقلَّ السرجُ ثَبْتٌ اذا مالت من الرَّهَجِ اللُّبودُ

(١) الكبود جمع كبد . (٢) تنش : تصوّت . (٣) فى الأصل "فنودوا" .
(٤) فى الأصل "انتضبت" .

اذا "مُضَرٌ" تَطَامَنَ كلُّ بيتٍ ... لها وعلا بربوتها الصعيدُ ،
وكانت جمرةَ الناسِ، آحتبيتم ... وفيكم عزُّ سورتها العتيدُ
بَنَى لَكُمُ "أبو المظفارِ" مجدا ... على موت الزمان له خلودُ
وقدّمكم على الناس آضطرارا ... مقاماتٌ وأيامٌ شُهودُ
إجارةُ "حاتمٍ"[1] "ودمٌ شريقٌ ... به لبّاتُ "حُجْرٍ"[2] والوريدُ
وطعنةُ "حاتم" وطَرٌ قديمٌ ... قضى "مَروانُ" فيها ما يريدُ
وصاحتْ باسم صامتَ نفسُ حرٍّ ... "ربيعُ المقترين"[3] بها يجودُ
و"صخرٌ"[4] ذابَ "صخرٌ" على قناكم ... ولان لكم به الحجر الشديدُ
و يومُ "عُتيبةٍ" عَلَمٌ عريضٌ ... تَبَاشره المواسمُ والوفودُ
كرائمُ من دماء باردات ... لديكم لا دِيَاتٍ ولا مَقيدُ
وإنّ "بابلٍ" منكم لبحرا ... لو آنّ البحرَ جاد كما يجودُ
اذا الوادى جرى مِلحا أُجاجا ... ترقرق ماؤه العذبُ البَرودُ
فتىً السنِّ مكتهلٌ حجاهُ ... طريفُ الملك سؤدده تليدُ
اذا آشتبهتْ كواكبهم طلوعا ... "فنور الدولة" القمرُ الوحيدُ
أناف به وقدّمه عليكم ... أبٌ[5] كَرُمَ أناف به الجدودُ
أغرُّ قسيمُهُ[6] السيفُ المحلَّى ... ومسحبُ ذيله الروضُ المجودُ
يعود اذا تغرَّب فى العطايا ... ويُقلع فى الهَنَاتِ فلا يعودُ

(١) يشير الى حاتم الطائى حيى أجاره عمرو بن أوس . (٢) يشير الى حجر بن عمرو الكندىّ يوم ذبحته بنو أسد . (٣) يشير الى جدّ لبيد بن ربيعة وكانت العرب يسمونه "ربيع المقترين" لسخائه وقد قتلته بنو أسد ، وفى قول : إن قاتله "صامت بن الأقعم" المذكور فى صدر هذا البيت . (٤) يشير الى صخر بن عمرو بن الشريد يوم طعنه ربيعة بن ثور الأسدىّ ؛ ولهذه الإشارات قصص طويلة ولعل وجه الفخار بها أن ممدوح مهيار يمت بالنسب الى بنى أسد الذين منهم كل من مر ذكرهم . (٥) كرم : كريم . (٦) القسم : النظير .

بليلُ الريقِ من كَلِمٍ سديدِ ... يقوم بنصره رمحٌ سديدُ
تراغتْ حول قُبّته بكارٌ ... شفار الجازرين لها قُتودُ
تراه الخيلُ أفرسَ من تمطّتْ ... به والجيشُ أشجعَ من يقودُ
ويغنَى ثم يُفقِرُ راحتيه ... مقالُ المادحين : الفقرُ جودُ
مَن الغادى ينقّلُه حِصانٌ ... مفدّى السبق أو عَنْسٌ وَخُودُ
اذا ركب الطريقَ، وفّى بشرطى ... أخٌ منه على أربى عقيدُ
اذا بلّغتُ عن "إنسانَ"[1] ينزو ... وراء ضلوعه قلبٌ عميدُ
يرى المرعى الخصيبَ يصدّ عنه ... ويظمأُ وهو يمكنه الوُرودُ
فقل لأمير هذا الحيّ عنى : ... أيُجمَعُ لى بك الأملُ البديدُ ؟
أحِنُّ الى لقائك والليالى ... علىّ مع العوائق لى جُنودُ
وتجذبنى نوازعُ موقظاتٌ ... اليك وراءها قَدَرٌ رَقُودُ
وكم وعدتْ بك الآمالُ نفسى ... ويقضى الدهر أن تُلْوَى الوُعودُ
فهل من عطفةٍ بالود؟ إنى ... على شحط النوى خِلّ ودودُ
محبٌّ بالصفاتِ ولم أشاهِدْ ... كأنى من نجيّكُمُ شهيدُ
وكم مَلِكٍ سواكم مدّ نحوى ... يديه فقصّر الباعُ المديدُ
ومعصوبٍ بذكرى أو بشعرى ... أحوِّل عنه شعرى أو أحيدُ
أحاذر أن تَبَدَّلَنى أكفٌّ ... سوائمُ صانتى عنها الغُمودُ
لعلّ علاكُمُ وندى يديكم ... سيُنهِضُنى بمُثقِلةٍ تؤودُ
ومُجتمِعٍ عليها القولُ، أنّى ... بها والقولُ مشترك فريدُ
من الغرّ الغرائبِ لم يَعِبْها ال ... كلامُ الوغدُ والمعنى الرديدُ

(١) إنسان : اسم ماء .

نوادر تلقـط الأسماعُ منهـا عن الأفواه ما نَثَرَ النشـيدُ
تَسـير بوصفكم وتُقـيم فيكم خوالدَ فهي قاطنـةٌ شرودُ
وليس يَضُرُّ راجيكم لِرفـدٍ تَلَوُّمُهُ [اذا](١) قصَـدَ القصـيدُ

* * *

(١٢٨) وقال وكتب بهـا فى النيروز الى أبى الحسن جابر يهنّئه وينتصره على قوم كان يستضرّ بمعاملتهم فى معيشةٍ له

جَـمَّ لهـا الوادى وعزَّ الذائدُ وطاب ما حـدَّثَ عنهـا الرائدُ
فخلّها راتعـةً مجـرورةً وراءهـا الأرسانُ والمَقاودُ
يُخلِفُ ما آستُسلفَ من جِرَّاتهـا كهلٌ(٢) أثيثٌ ومَعينٌ باردُ
حيثُ المغـيرُ لا ينالُ فرصـةً منهـا ولا يطمعُ فيهـا الطاردُ
تذبُّ عنهـا من سِماتِ ربّها صـوارمٌ ليس لهـا مَغـامدُ
اذا بدت فى عُنُـقٍ أو حارِكٍ فهى عليهـا أعينٌ رواصـدُ
ونَمْ فقـد حرَّمَها هـذا الحمى وضمَّها وهى دُخَانٌ شـاردُ
وأعجـزَ النـاسَ جميعا رَعْيُهـا فاليـومَ يرعاها جميعا واحـدُ
أَرْوَعُ لا يغلِبُـه المكرُ ولا تـدِبُّ فى جريمـه المَكايدُ
أعارها عينا فكانت عُـوذَةً لهـا وشيطانُ الزمان ماردُ
أفرشَها "كافى الكفاةِ" أمنَـهُ فالظلُّ سَكْبٌ والنسـيمُ باردُ
دانَ بتاجِ الحضرةِ الدهرُ لهـا وحلَّ حبـلَ الذلِّ عنهـا العاقدُ
وصـدَّقَتْ أن الربيعَ بعـدَهـا بـوارقٌ من يده رواعـدُ
غاصتْ غصونُ المجد تحتَ مائها فأورقَ الذاوى وقام المـائدُ

---

(١) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل . (٢) الكهل : النبت تم طوله وظهر نوره .

وضَحِكَ القاطبُ من وجه الثرى ... وسالَ وادى المكرُماتِ الجامدُ
وبشَّر الفضلُ بقايا أهلِهِ : ... لا تقنطوا ، فى الناسِ بعدُ ماجدُ
نقلَ لأبناء الطِّلاب والمنى ... والحاجِ ضاقتْ بهم المَقاصدُ ،
يتاجرون المجدَ فتخيسُ(١) فى ... أيديهم البضائعُ الكواسدُ :
تضمُّكم حَنوتُه(٢) وأنتمُ ... عِزُونَ(٣) فى الآفاق أو بدائدُ
زَمَّ الأمور فلَوَى أعناقَها ... ساعٍ الى الغايات وهو قاعدُ
ودبَّر الدنيا على علَّاتها ... فصَلَحَتْ والدهرُ دهرٌ فاسدُ
ماضٍ له من عزمه مجرَّدٌ ... يُذِبُّ من جهلِ الزمانِ غامدُ
يَرَى بوجهِ اليوم صدرَ غدِهِ ... تُعطيه ما فى المَصدرِ المواردُ
لا يأخذ التدبيرَ إلا مِن عَلِ ... فالناسُ يخطُّونَ وهو صاعدُ
رأى انتهاءَ مجدِهِ مبتدأً ... لمّا أعانَ الكفَّ منه الساعدُ
أسهرَهُ حبُّ العلا منفرِدا ... وهو على ظنِّ العيونِ راقدُ
جَدَّ وقارا والزمانُ هازلٌ ... وجادَ عفوا والسحابُ جامدُ
ولاحَ فى المُلك شِهابا فوَرَى ... زنادُهُ والمُلكُ نجمٌ خامدُ
منتصرا بنفسه لنفسه ... كالليث يشرَى(٤) ما لَهُ مساعدُ
لا يَملكُ الحفظُ عليه أمرَهُ ... ولا تُفرِّى حِلمَه الشدائدُ
يُنهِضه الكمالُ من أثقالِهِ ... بأوسُقٍ تلفظها الجلامدُ
مدَّ على الدولةِ من جناحه ... ما مدَّ عطفا لبنيه الوالدُ
حتى استقامتْ وهى بَلهاءُ الخُطا ... عمياءُ ما بين يديها قائدُ

(١) تخيس : تكسد . (٢) الحنوة : العطفة . (٣) عزون جمع عِزَةٍ وهى العصبة المجتمعة من الناس ، وفى الأصل "عزين" . (٤) يشرى : يتقدم و يلجّ .

كم قـدَم قبلك قـد زَلّتْ بهـا ضُعفا وكفٌّ لم يُطعها الساعدُ
وضابطٍ لم يُغنِـه ـ لمّـا طغتْ أدواؤُها ـ التجريبُ والعـوائدُ
يَحرُسها وليس من حُماتِها مثـلُ الشَّـغا[1] ينقُص وهو زائدُ
جاءت على الفَـتْرةِ منـه آيةٌ معجِزةٌ قامت بها الشواهـدُ
مَوهبـةٌ فاجئـةٌ لم تُحتَسَبْ ولم تسـوِّفْه بها المَواعـدُ
كنتَ خبيئا ترقُبُ الأيامُ فى إظهـارِه المِيقاتَ أو تراصـدُ
كالنارِ فى الزّند تكون شَرَرا بالأمس وهو اليومَ جمـرٌ واقدُ
فأبرزتْـك للعيونِ كوكبا يَزهَرُ لم تَجـرِ به العـوائدُ
يَفـديك محظوظون وجهُ عجزِهم بِغَلَطِ النّعمة فيهـم شاهـدُ
قـد سَرَق الدهرُ لهـم سـيادةً ليس لهـا من المَساعى عاضدُ
تَنافَرُ الأقلامُ عن أيمانهـم وتَقشـعِرُّ منهـم الوسـائدُ (١١٩)
لم يَنظِموا المجـدَ كما نَظَمتَـهُ ولا حلَتْ عنـدهم المَحامـدُ
ولا أعانَ طارفا من حظّهم مجـدُ أبٍ مثـلِ أبيـك تالدُ
وخيرُ من شاد الفخارَ رافعٌ، أُسـرَتُهُ لِمَـا بَنَى قواعِـدُ
وبعضُ علياءِ الفـتى مَكاسبٌ بنفسـه وبعضُـها مَوالدُ
وليهنِـكَ الأمرُ الذى ذلّ به لك العـزيزُ وأقـرّ الجاحـدُ
ولَانَ فى يديك منـهُ مِرسٌ[2] مُـلاوِذٌ مَن رامَـهُ مُحايدُ
يَنقُص من قـدرك وهو فاضلٌ على وسـيعات الأمانى زائدُ
ومُشرِفاتٌ فُضَّـلٌ لِبستَهـا تَزلُقُ عنها المُقَـلُ الحـدائدُ
كلِبـدةِ الليثِ سَطَا وحسنُهـا كالوشيِ تُكساهُ الدُّمَى الخـرائدُ

(١) الشغا : الزائد من الأسنان . (٢) المرس : الشديد المراس .

لو كانت الأفلاكُ أجسادا لَمَا ... كان لها من مثلها مَجاسِدُ
باطِنة وظاهر جمالُها ... فالحسنُ منها غائبٌ وشاهدُ
تَسحَبها فى الأرض ولفخْرها ... مَعالِقٌ فى الجوّ أو مَعاقدُ
وكالسماء عِمّةٌ صِبْغَتُها ... قد جاءها من الزمان وافدُ
مقدودةٌ منها ، ومن نجومها ... فى طَرَفَيْها سائرٌ وراكدُ
إن لم تكن تاجًا فقد أكسَبَها ... نورُك ما لم يُكسَ تاجًا عاقدُ
وضاربٌ الى "الوجيه"(١) عِرْقُه ... بأربع تَشقَى بها الأوابدُ(٢)
من اللواتى نَصَرَتْ آباءَها ... فى السبق أمّهاتُها الرِدائدُ
وصَبّحَتْها بالصريف(٤) عُلَبا(٥) ... قبلَ عِيالِ ربِّها الولائدُ(٣)
خاضَ الظلامَ فاهتدى بغُرّةٍ ... كوكبُها لمقلتيه قائدُ
يجاذبُ الريحَ على الأرض ومِن ... قلائدِ الأفقِ له قلائدُ
حَلْيٌ من التبرِ اذا خَفَّ بها ... أثقلَ فهو تحتها مُجاهدُ
ينصاعُ "كالمزيخ" فى آلتهابِه ... وأنت فوق ظهره "عُطاردُ"
غرائبٌ من الحِباء(٦)، جُمِعَتْ ... بها لك الفوارِكُ الشوارِدُ
تبرَّعَ المَلْكُ بها مبتدئا ... وكلُّ بادٍ بالجميل عائدُ
قد كنتُ عيَّفتُ لك الطيرَ بها ... مستيقظا والحظُّ بعدُ هاجدُ
وبَرَقَتْ لى فى المنى سيوفُها ... من قبلِ أن تُبرِزها المَغامدُ
علْما بما عندَك من أدَاتِها ... وأنها سيفٌ وأنت ساعدُ

(١) الوجيه : اسم فرس . (٢) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش . (٣) صبحتها : سقتها الصَّبوح وهو اللبن يحلب بالغداة . (٤) الصريف : اللبن ساعةَ يُحلَبُ ، وفى الأصل "الصرير" . (٥) العُلَب جمع عُلبة وهى قَدَح ضخمٌ من جلد أو خشب يُحلب فيه . (٦) الحِباء : العطاء ، وفى الأصل "الحياء" ،

فلم يَخُنِّى فارسُ الظنِّ ولا ... غَرَّتْنِىَ المَخَايِلُ الشواهِدُ
وبعدُ ، لى فيك رجاءٌ ناظرٌ ... الى السماء وحسابٌ زائدُ
حتى يُشَقَّ للزمان رمسُهُ ... وأنت باقٍ والعلاءُ خالدُ
بك ٱستقاد الفضلُ ودماؤه ... مطلولةٌ وعَزٌّ وهو كاسدُ
نصرتَهُ والناسُ إمّا جاهلٌ ... بحقِّه أو عارفٌ مُعاندُ
ورِثْتَ من أبنائه أجنحةً ... طار حَصيصا ريشُهُ البدائدُ
تُعطِى وأنت مُعدِمٌ وإنما ... يُعطِى أخوك البحرُ وهو واجدُ
زرعتَ عندى نعمةً سالفةً ... أنت لهذا الشكر منها حاصدُ
عَطفا على ذكرى ووصفا فخرُهُ ... باقٍ علىّ والزمانُ بائدُ
ونَظَرا بَدأْتَنى برأيه ... لو أن باديه الىّ عائدُ
لكن أردتَ الخيرَ لى ودونه ... حوائلٌ من زمنى حوائدُ
فهل لأرضى لك أن تَبُلَّها ... على الجُدوب سُحْبُك الجوائدُ ؟
غَرَسْتُ منك بالولاء والهوى ... غرْسا فماذا أنا منه حاصدُ
أُنظرْ، فقد قدَرتَ ، فى مَظْلَمةٍ ... كنتَ على إنصافها تعاهدُ
وٱقضِ ديونَ المجد فيها وٱرعَ لى ... ما تقتضى الأواصرُ التوالدُ
ولا تكن — حاشاك — من معاشِرٍ ... تَخذُلُ أقوالَهم العقائدُ
كانوا يدى وريحُهم راكدةٌ ... وأُسرتى والحظُّ عنهم عاصد (١)
فحين هبّت عاصفا رياحُهم ... قلَّ الوفىُّ ونَأَى المساعدُ
غَنّيتُ أنْ أسكَنى جفاؤهم ... وفى غِنائى لَهُمُ عَرابدُ
وبُخلاء لا تُهنّا نعمةٌ ... هُمُ اليها السُّبْلُ والمَقاصدُ

(١) العاصد : الملتوى المنحرف .

إذا كَرُمتَ لؤمـوا سَفارَةً وإن قَرُبتَ فَهُـمُ أباعـدُ
تُغالِقُ الأرزاقَ أيمانُهُـمُ تَضجُّ من مطلِهـم المَواعـدُ
لا يُرتَجى حُكمُ القـريض بينهـم ولا يُخاف اللَّغْـوُ والعَـرابدُ
وكيف أبغي فى النَّبيطِ منهُـمُ والعُجمِ أن تنفعَنى القصـائدُ
تلافَ بالفضـل الوسيع ما جَنَى مُسلِمُهـم عـلىّ والمُعاهـدُ
حاشاك يشـقَ واحدٌ بفضـلِهِ على زمانٍ أنتَ فيـهِ واحـدُ
قد طال صونى سمعَك المشغولَ عن بثِّـك ما ألقى وما أكابدُ
ونَقَبتْ(١) جسـمى وقلبى صابرٌ من زمنى نيـوبُهُ الحـدائدُ
ولم يدعْ تحت الخطوب فَضْـلةً فىّ تدبُّ نحـوها الأوابدُ(٢)
وأعوزَ المُقـامُ أن أَسْطيعَهُ وسُـدِّدَتْ عن سيرىَ المَقاصـدُ
أيقتُـلُ الزمانُ مثـلى هَـدَرا وأنت ثأرى والزمانُ عامدُ؟
أنت بفضـلى شاهدٌ فـلا أمتْ هَزْلًا وتضييعـا وأنت شاهـدُ
أعدْ ــ مع الإثقالِ ــ نحوى نظرةً تَنعشـنى لحـاظُها الردائدُ
لعلّها يا خيرَ مَن يُدعَى لهـا تَصلُحُ شيئا هـذه المفاسـدُ
وآبتعْ بهـا الشكرَ فعنـدى عوَضٌ تَضْمَنُـهُ(٣) القـواطنُ الشـواردُ
كلّ مطـاعٍ أمرُها مسـلَّطٌ فى الشـعر ملقاة لهـا المَقـالدُ
سائرة تنشرها الركبانُ أو عامرة بذكرها المَشـاهدُ
ترَى الكلامَ عَجْـزًا وطَرَفًا وكلُّهـا وسائـطٌ فرائـدُ
اذا رأتْ عِرضَ كريمٍ عاطـلا فهى له العـقودُ والقـلائدُ

(١) نقبت : جعلت به نَقَبًا أى خَرْقا . (٢) الأوابد : غرائب الكلام ويريد بها القصائد .
(٣) فى الأصل " تضمه " .

تجمِـلُ من وصفك ما يجمِـلُهُ ... عن روضة الحَزْنِ النسيمُ البـاردُ
طالعـــة بهـا التهانى أنجمـا ... ما كرَّ نوروزٌ وعيـدٌ عائدُ
يفنى بنـــو الدنيـا وأنت مَعَها ... باقٍ على مرّ الزمان خالدُ
تَبـقَ عليك والذى نأخـــذُه ... من الجـــزاءِ مضمحِلٌّ بائـــدُ
مَحامِدٌ يحسُـدُك النـاسُ لهـا ... والنـاسُ إما حامدُ أو حاســـدُ

* * *

وقال يصف دَواةً

وخرقاءَ مُعـرِقةٍ فى الضـلا ... ل شاقك فى القَصد إرشادُها
اذا سُقيتْ فيما أُطعِمَتْ ... مرنَّقـــة، ماؤها زادُها
وإن رَشَفَتْ ريقَها ألسُنٌ ... وقاءَتْ ففى القِءِ أكبادُها
تقَطَّع منهـا فـلا تَرعوِى ... وتُعـدَى بها وهى عُـوّادُها
ترى زوجَهـا أبدا فوقهـا ... ومن غيرِه جاء أولادُها

* * *

وقال يمدح أهل البيت

بكى النـارَ سَـتْرًا على المَوْقِـدِ ... وغار يغـالطُ فى المُنجِـــدِ
أحبَّ وصان فوَرَّى هوًى ... أضـلَّ، وخاف فلم يَنشُـــد؟
بعيـد الإصاخة عن عاذلٍ ... غنىٌّ التفـــرّدِ عن مُســـعِدِ
حمولٌ على القلب وهو الضعيفُ ... صبورٌ عن الماء وهو الصَّدِى
وقورٌ وما الخُـرقُ من حازمٍ ... مـتى ما يَرُحْ شيبُه يغتـدى
ويا قلبُ إن قادك الغانيـاتُ ... فكم رسَنٍ فيك لم ينقـــدِ
أفِقْ فكأنى بهـا قـد أمرَّ ... بأفواهها العـذْبُ من مَوْردِي

وسُوَّدَ ما ٱبيضَّ من وِدّها بما بيّض الدهرُ من أَسودى
وما الشيبُ أولُ غدرِ الزمان بَلَى من عوائده العوَّدِ
لَحَا اللهُ حظّى كما لا يجودُ بما أَستحقّ وكم أَجتدى
وكم أتعلَّلُ عيشَ السقيم أذمِّمُ يومى وأرجُو غدى (١٢١)
لئن نام دهرِى دون المُنَى وأصبح عن نَيلها مُقعِدى
ولم أك أحمَدُ أفعالَه فلى أُسوةٌ ببنى "أحمدِ"
بخير الورى و بنى خيرِهم اذا وَلَدُ الخيرِ لم يُولَدِ
وأكرمِ حىّ على الأرض قام ومَيْتٍ توسّد فى ملحَدِ
و بيتٍ تقاصَرُ عنه البيوتُ وطال عَلِيًّا على النرقَدِ
تحومُ الملائكُ من حوله ويُصبحُ للوَحْيِ دارَ النَّدِى
ألا سَلْ "قريشا" ولُمْ منهُمُ مَن ٱستوجبَ اللومَ أو فنِّدِ
وقل : ما لكم بعد طول الضلا ل لم تشكروا نعمة المرشِدِ؟
أتاكم على فَترةٍ فٱستقام بكم جائرين عن المَقصِدِ
وولَّى حميدا الى ربّه ومَن سَنَّ ما سنَّهُ يُحمَدِ
وقد جعلَ الأمرَ من بعده "لحيدَرَ" بالخبر المُسنَدِ
وسمَّاه مولَى بإقرارِ مَنْ لو ٱتبَعَ الحقَّ لم يَجْحَدِ
فماتم بها — حسدَ الفضل — عنه ومن يكُ خيرَ الورى يُحسَدِ
وقلتم : بذاك قضى الأجتماعُ ألا إنما الحقُّ للفرَدِ
يعزُّ على "هاشمٍ" و"النبيِّ" تلاعُبُ "تَيْمٍ" بها أو "عَدِى"
وإرثُ "عليٍّ" لأولاده اذا آيةُ الإرثِ لم تُفسَدِ
فمن قاعدٍ منهُمُ خائف ومن ثائرٍ قامَ لم يُسعَدِ

تَســـلَّطُ بغيـا أكفُّ النفا ق منهـم على سـيِّدٍ سـيِّدِ
وما صُرِفوا عن مقام الصـلاةِ ولا عُنِّفوا فى بُنَى(١) المسـجِدِ
أبوهم وأمهُـمُ مَن علمـ ـتَ فانقُصْ مَفـاخِرَهم أو زِدِ
أرى الدِّينَ من بعدِ يومِ "الحسين" عليـلًا له الموتُ بالمَرصـدِ
وما الشِّرك لله من قبـله اذا أنت قستَ بمسـتبعَدِ
وما آل "حربٍ" جَنَوا إنمـا أعادوا الضـلال على من بُدِى
سيعلم مَن "ناطمٌ" خصمُهُ بأىّ نكالٍ غـدًا يرتدى
وَمَنْ ساءَ "أحمدَ" يا سِبطَهُ فبـاءَ بقتلك، ماذا يـدى؟
فـداؤك نفسى ومَنْ لى بذا ك لو أن مولًى بعبدٍ فُـدِى
وليتَ دمى ماسَقَى الأرضَ منك يقوتُ الرَّدَى وأكون الرِّدى
وليتَ سَبقتُ فكنتُ الشهيدَ أمامَك يا صاحبَ المَشهَدِ
عسى الدهرُ يَشفى غدًا من عدا ك قلبَ مَغيظٍ بهـم مُكمَدِ
عسى سطوةُ الحقّ تعلو المُحـالَ عسى يُغلَبُ القصُ بالسـؤدُدِ
وقـد فعَـلَ اللهُ لكننى أرى كيدى بعـدُ لم تبرُدِ
بسـمعى لقائمكم دعوةٌ يُلبِّى لهـا كلُّ مسـتنجِدِ
أنا العبـدُ وَالآئُمُ عَقـدُهُ اذا القـولُ بالقلبِ لم يُعقَدِ
وفيـكم ودادى ودِينى معًـا وإن كان فى "فارس" مولدى
خَصَمْتُ ضلالى بكم فاهتديتُ ولولاكُمُ لم أكن أهتـدى
وجردتمـونى وقـد كنتُ فى يد الشِّرك كالصـارم المغمَـدِ
ولا زال شـعرِىَ من نائحٍ(٢) يُنَقَّـل فيكم الى مُنشِـدِ
وما فاتنى نصرُكم باللسان اذا فاتنى نصرُكم باليـدِ

(١) بُنَى جمع بُنَيَة . (٢) فى الأصل "فى" .

* * *

وقال وكتب بها الى الأجلّ العميد أبى منصور بن المزرّع فى رجب سنة تسع وأربعمائة، وقد أحسن له السِّفارة، ووفَى بكثير من الشرط فى المودّة

حرِّم عليها نُزُهاتِ الوادى ... ووِلّها جوانبَ البلادِ
وغنِّها إنْ طرِبَتْ لصافرٍ ... آذانُها برَهَجِ الجِلادِ
وٱسبِقْ بها الى العلا شوطَ الصِّبا ... لعلّها تُعَدُّ فى الجِيادِ (١٢٢)
قد لفظتْكَ هاجدا وقاعدا ... مَكاسرُ البيتِ وحَجْرُ[1] النادى
كم التمادى تطلب العفوَ به؟ ... قد بلغَ الجهدَ بك التمادى
لا بد إن عفت تخاليطَ القذَى ... أن تُخلَطَ الأرجُلُ بالهوادى
ما العزُّ بين الحُجُراتِ كامنا ... ولا الغنَى فى الطُّنبِ والعِمادِ
تفسَّحى يا نفسُ أو تطوَّحى ... إمّا الردى أو دَرَكُ المُرادِ
إن النفوس فٱعلمى إن حُمِلتْ ... مسجونةٌ فى هذه الأجسادِ
خيرٌ من الزاد الوئيرِ والأذى ... أن أنفُضَ الأرضَ بغير زادِ
قد ملَّنى حتَّى أنحى وأنكرتْ ... كلابُ بيتى فى الدجى سَوادى
كم أحملُ الناسَ على عِلّاتهم، ... قد جُلِّبَ[2] الظهرُ وجُبَّ الهادى
فى كل دارٍ ناعقٌ يخبِطُ فى ... جنبىّ وهو خاطبٌ ودادى
وحالمٌ لى فاذا ٱستسعدتُه ... فى يوم رَوعٍ مال بالرقاد
يُعجبُه قربى لغير حاجةٍ ... فإن عرَتْ طارَ مع البعادِ
اذا عدمتُ عُدَدى ضحكتُ من ... تبجُّحى بكثرةِ الأعدادِ
أُنسا على ما خَيَّلتْ وخَلَبتْ ... بروقُها بوحشةِ ٱنفرادى

(١) حجر جمع حَجْرة وهى الناحية. (٢) جلب: ظهرت به الجلبة وهى القشرة تعلو الجرح.

ما أنا — والحزمُ معى — بآمنٍ شريحتَىْ[1] صـدرى على فؤادى
قد شَمِتَ النُّقصانُ بالفضـلِ وقد تَسلَّط العجـزُ على السَّـدادِ
فاجفُ الوُصولَ وآهجُ من مدحتَهُ فربّما تُصـلِحُ بالفسـادِ
ولا تخـلْ ودَّ "العميد" منحةً سيقتْ بقصـدٍ أو عن اعتمادِ
لكنّها جوهرةٌ يتيمـةٌ تقـذفها البـحارُ فى الآحادِ
جاءت بها — والوالدات عُقُمٌ — مُقْبـلةً غريبـةُ الولادِ
خلِّ له النـاسَ وبعْهـم غانيـا به عـلى كثرتهم وفادِ
وحَكِّم المجـدَ التليـد فيهمُ وفيـه واسأل ألسنَ الرُّوادِ
بالأقربينَ الحاضرين منهُـمُ ما غاب من ذاك البعيدُ النـادى
وحبّذا بين بيوتِ "أَسَـدٍ" بيتٌ اذا ضـلَّ الضيوفُ هادى
أَتلعُ طال كَرما ما حـولَه تَشـرُفَ الرَّبْوِ[2] عـلى الوِهادِ
مُوضَحـةٌ عـلى ثلاثٍ[3] نارُهُ إن سَرفوا[4] النيرانَ فى الرَّمادِ
بيتٌ وسيعُ البـاب مبلولُ الثرى ممهَّـد المجالسِ رَخصُ الزادِ
إنْ قوَّضَ البيوتَ أصلٌ حائرٌ طُنِّبَ بالآباءِ والأجـدادِ
تُرفَعُ عن "محمـدٍ" سُجوفُهُ جـوانبَ الظلماء عن زنادِ
أبلج يُورى فى الدجى جبينُـه على خبـوّ الكوكب الوقّادِ
ساد وما حُلَّتْ عُرَى تميمـه بالأطيبَيْنِ : النفسِ والميـلادِ
وجاد حتى صاحت المزنُ به : أَكْرمتَ يا مُبخِّلَ الأجـوادِ
من غِلمةٍ تحاشـدوا على النـدَى تحاشُـدَ الإبِلِ على الأورادِ

(١) الشريحة : كلّ سمين من اللحم ممتدّ . (٢) الربو : الرابيـة وهى ما ارتفع من الأرض .
(٣) يريد بالثلاث : الأثافىّ جمع أثفيّة وهى الحجر توضع عليه القدر . (٤) سرفوا : أغفلوا .

ودبَّروا المجـدَ فسدُّوا ما وَلُوا ... سـدَّ السيوف ثُغَـرَ الأغمـادِ
مشَوا على الدارس من طُرْق العلا، ... ويَقتفي الرائحُ إثرَ الغـادِى
يعتقبون دَرَجا ذروتَهـا ... تعاقُبَ العـقودِ فى الصّعادِ
مَثنَى ووُحـداناً الى أن أحدقوا ... بهـالةِ البـدرِ عـلى ميعـادِ
للكَلِم المعتـاصِ من سلطانهم ... عليـه ما للمحفل المنقـادِ
فهـم قلوبُ الخيـل مثـلُ ما هُمُ ... إن خَطَبـوا ألسنةُ الأعـوادِ
هل راكبٌ ؟ وضَمِنَتْ حاجتَـهُ ... غضبيَ القِماص سَمحةُ القيـادِ ؟
مُطلَقـةُ البـاعِ، اذا تقيَّـدتْ ... من الكَلالِ السُّـوقُ بالأعضـادِ،
تدرُّ قبـل البوّ أو تَطرَبُ من ... مَراحها قبـل غِناء الحادى،
لا يُتهِمُ الليـلُ عليهـا فجـرَهُ ... ولا يَخـافُ عدوةَ العـوادى،
لها من الخوْ العريضِ ما آشتهتْ، ... همَّك فى السرعةِ والإبعـادِ،
تَصدُقُها — واللَّحظاتُ كُذُبٌ — ... عينـا قُطامِيٍّ[1] عـلى مِرصادِ:
بلِّغ — وفى عتابك الخيرُ — إذَن ... تحيـةً من كَلِفِ الفـؤادِ (١٢٣)
ينفُثُ فيهـا شجـوَه كما آشتفى الـ ... ـمدنَفُ بالشكوى الى العُـوّادِ
قُلْ لعميـدِ الحىّ بين "بابلٍ" ... و"الطَّفِّ" جادت ربعَك الغوادى
ما آعتضتُ أو نمتُ على البين فلا ... بقـلقٍ بتٍّ ولا سهـادى
أشرقَنى الشـوقُ اليك ظامئـا ... بالعـذْب من أحبـابيَ البِرادِ
ما زارنى طيفُ حبيبٍ هاجرٍ ... إلا آعترضتُ فثنَى وسـادى
ولا نَسمتُ البـانَ تفايـه الصَّبا ... إلا تضـوّعتُك من أبرادى

(١) القطامىّ : الصقر أو الحديد البصر الرافع رأسه الى الصيد .

والبـــدرُ يحكيك فيشقَ ناظرى ... حتى كأنّ بِبيضَـــه(١) دآدى
فهـــل عـلى ماء اللقـاءِ بِلَّةٌ ... يُرْوَى بها هـذا النزاعُ الصـادى ؟
مالك لا تسمحُ بالقـربِ كما ... تســمحُ بالمـالِ وبالإرفادِ ؟
أنت جـوادٌ والنـوى مَبخَـلَةٌ ... ما أعجبَ البخلَ من الجـوادِ !
ملّكتَنى بالودّ والرفـدِ معا، ... والرفـــدُ من جوالبِ الودادِ
وقاد عُنْقى لك خُلْقٌ سـاسُ الـ ... ـجبل على صُـــعوبة آنقيـادى
حملتُ منك اليدَ بعـدَ أختِهـا ... بكاهلٍ لا يحمِـــل الأيادى
ولم يكن قبـــلَك من مآربى ... لمسُ يدِ المُجـــدى ولا من عادى
مَواقفا أعطيتَ فيهـا مسرفا ... والبحـرُ يعطينى على آقتصـادِ
فـا أذمُّ الحـظَّ إلا قمتَ لى ... بمِنـــةٍ تكسبه أَحمـادى(٢)
ولا أنادى النـاسَ إلا خِلتُنى ... إياك من بينهـمُ أنادى
ولم تكن نَكَّـلَبِىٌّ برقُـــهُ ... لا للحيـا آعتنَّ(٣) ولا الإرشادِ
يجلِبُ مدحى بلسانٍ ذائبٍ ... مـــع النفـاق ويدٍ جَمـــادِ
ماعرَفَتْ فيه الندى "طىٌّ" ولا ... أغنـاه شـيخُ البيتِ فى "إيادِ"
يدخُلُ فى مجدِ الكرام زائدا ... غبينـــةَ الأنسـابِ فى "زيادِ"
تسلَّطَ البخـــلُ على جَنـابِهِ ... تسلُّطَ الخُلْفِ عـلى الميعـادِ
لَتعلَمَـــنّى شاكرا مجتهـــدا ... إن هو كافا(٤) عفـوك آجتهـادى
بكُلِّ مغبـــوطٍ بهـا سامُعها ... كثيرة الأحبـابِ والحسّـادِ
مصمَّت لهـا النـــدىُّ، واسع ... نصيبَهـا الضـخمَ فمُ الإنشـادِ

(١) بيضه أى لياليه البيض والدآدى. تقدم شرحها . (٢) أحماد جمع حمد . (٣) اعتنّ : ظهر وآعترض . (٤) يريد "كافأ" .

غريبـــة حتى كأنْ ما طُبِعَتْ ... من طِيبِ هذا الكَلِم المُعتادِ
ترفعُها عنايتي عن كُلْفة الـ ... ـلفــظِ ومعنى الغـارة المُعـادِ
تغشـاك إما بالتهـانى بالعــلا ... أو التهـادى بُكرةَ الأعيـادِ

* * *

قال وكتب بهـا الى الأمير أبى الذؤاد المفرّج بن علىّ بن مَزْيَد أخى نور الدولة دُبَيْس ، يمدحه ويصف ملاقاته للأسـد وظفره به ، وقد أطال سؤاله فى ذلك ، وأنفذها فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

بعينيك يومَ البينِ غَبْيى ومَشْهَدى ... وذلُّ مَقـامى فى الخليط ومَقْعَدى
وقَوْلى ـ وقد صاحوا بها يُعجلونها ـ : ... نشَدتكُمُ فى طارقٍ لم يزوَّدِ
أناخ بكم مستسقيا بعضَ ليلةٍ ... ولم يدْرِ أن الموتَ منها ضحى الغد
أتحمون عن عضّ الضراغم جارَكم ... ويقتُلُنى منكم غزالٌ ولا يدى ؟ (١)
ومازلتُ أبكى كيفَ حُلّت "بجاجرٍ" ... قُوَى جَلَدى حتى تداعَى تجلُّدى
وعنّفنى "سعدٌ" على فرط ما رأى ... فقلتُ : أتعنيفٌ ولم تكُ مسعدى ؟
أسفتُ لحلمٍ كان لى يومَ "بارقٍ" ... فأخرجه جهلُ الصبابة من يدى
وما ذاك إلا أن عجِلتُ بنظـرةٍ ... قَتلتُ بها نفسى ولم أتعمّـدِ
تحرَّشْ بأحقاف "اللوى" (٢) عُمرَ ساعةٍ ... ولولا مكانُ الريب ، قلتُ لك : آزدد
وقل صاحبٌ لى ضلَّ "بالرمل" قلبُهُ ... لعلّك أن يلقاك هادٍ فتهتـدى
وسلِّمْ على ماءٍ به بَرْدُ غُلّتى ... وظلِّ أراكٍ كان للوصل مَوعدى
وقل لحَمام "البانتين" مهنّئا : ... تغنَّ خليًّا من غرامى وغَرِّدِ
أعنـدكُمُ يا قاتلينَ بقيَّـةٌ ... على مهجةٍ إن لم تمتْ فكأن قَدِ ؟ (١٢٤)

(١) لايدى : لايدفع الدِّية . (٢) أحقاف جمع حِقْف وهو ما أعوجّ من الرمل وآستطال .

و ياأهل "نجدٍ" كيف بالغور عندكم ... بقـاءُ تهامىٍّ يهـيم بمُنجـد؟
ملكتم عزيزا رقُّـه فتعطَّفوا ... على مُنكرٍ للذلّ لم يتعوَّد
أغدرا وفيكم ذمّـةٌ عربيّـةٌ ... وبخلا ومنكم يستفادُ ندى اليـد ؟
فليت وجوهَ الحىّ أعدتْ قلوبَهُ ... ففجَّرَ لى ماءً بهـا كلُّ جامـد
وليتكُمُ جيرانُ "عوفٍ" تلقَّنوا ... خلالَ الندى والجودِ من "آل مَزيَد"
من الضيّق الأعذارِ والواسعى القِرَى ... اذا ما "جُمادى" قال للّيلة: آبرُدى
ولفَّ على خيشومه الكلبُ مُقعيا ... يرى الموتَ إلا ما استغاث بموقد
وشـدّ يديه حالبُ الضَّرع غامرا ... على مُصفِر(١) قد مسّه الجدبُ ممْمِد(٢)
وباتَ غلامُ الحىّ يُسند ظهرَه ... من النَّضـد(٣) الواهى الى غيرِ مُسند
هنالك يأوى طارقُ الليـل منهُمُ ... الى كلّ رطْبٍ مُثمرِ النبتِ مُزبِد(٤)
كريم القِرى والوجهِ ملءِ جفانِهِ ... رحيبِ الرواقِ مُنعمِ العيش مُرفِد
قليـل على الكُوم الصـفايا حنوُّهُ ... اذا السيف ردَّاهنَّ للساقِ واليـد
كمثـلِ "أبى الذوّادِ" لا متعلِّلٍ ... اذا سُـئل الجـدوَى ولا بمُنكِّد
فتًى، بيتُـهُ للطارقين، وسيفُهُ ... لهـامِ العـدا، والمـالُ للمتـزوِّد
ويوماه إما لاصطباحِ سُـلافةٍ ... تُصـفَّقُ أو داعى صـياحٍ ملدَّدِ
وَفَى بشروطِ المُلك وهو ابن مَهدِهِ ... وسُـوِّدَ فى خيط التميم المعـقَّدِ
وجادَ على العلّات والعـامُ أشهبٌ ... بأحمرَ من خير الرحالِ وأسودِ
ولم تحتبسه عن مساعى شيوخه ... سِـنُوه التى حلَّتـه حِليَـة أمردِ
أناف بجَـدَّيه وأسـندَ ظهرَهُ ... الى جبلين من "عَفيفٍ" و"مَزْيَد"

---

(١) المصفر: المفتقر . (٢) الممد: القليـل المـاء . (٣) النضـد: السرير .
(٤) المزبد: المتوّر، وفى الأصل "مزيد" .

له فى ملوك الشرق والغرب منهمُ ... نجومُ السماءِ من ثريًّا وفرقدِ
أيارا كبَ الوجناءِ يخبط ليلَه ... على الرزق لم يقصد ضلالًا لمَقصدِ،
ترامت به الآفاقُ ينشُدُ حظَّه ... فلم يُعطه التوفيقُ صفحةَ مُرشِدِ،
أنخها تُفرِّجْ همَّها "بمفرِّجٍ" ... وطلِّق شقاءَ العيش من بعدُ وآسعدِ
وَرِدْ جَمّةَ الجودِ التى ما تكدَّرتْ ... بَمَنٍّ وردْ ظلَّ المنى المورِقِ النَّدى
وبِتْ فى أمانٍ أن يسوءَك ظالمٌ ... علَتْ يدُهُ أو أن تُراعَ بمعتدى
حَماك "أبو الذوَّادِ" مالكُ أمرِهِ ... على كلّ حامٍ منهُمُ ومذوِّدِ
أخو الحرب إمّا مُخمِدٌ يومَ أُوقدتْ ... وإمّا شَبوبٌ نارَها غير مُخمِدِ
له الخطوة الأولى اذا السيف قصَّرتْ ... به ظبتاه فهو يوصل باليدِ
اذا آبتدر الغاراتِ كان سهامُها ... له من قتيلٍ أو أسيرٍ مصفَّدِ
خفيف أمام الخيلِ رسغُ جوادِهِ ... اذا الخوفُ أقعَى بالحِصانِ المعرَّدِ
ولما كفى الأقرانَ فى الرَّوع وآرتوتْ ... صوارمُهُ من حاسرٍ ومسرَّدِ(١)،
تعرَّضَ للأُسدِ الغِضابِ فلم يدعْ ... طريقا لذى شِبلين منها ومُفرَدِ
حماها الفريسُ أن تُطيفَ بأرضه ... وشرَّدَها عن غابها كلَّ مَشرَدِ
وهانتْ فصارتْ مُضغةً لسلاحه ... ممزَّقةً فى صَعدةٍ أو مُهنَّدِ
ويومَ لقيتَ الأدرعَ الجهمَ(٢) واحدا ... جرى مُليدٌ يشتدُّ فى إثر مُليدِ
نَصبتَ له لم تستعن بمؤازرٍ ... عليه ولم تُنصَر بكثرةِ مُسعدِ
وقفتَ وقد طاش الرجالُ بموقفٍ ... متى تُمثَّلْه الفرائصُ تُرعَدِ

(١) الحاسر: من لا يغفر له ولا درع، والمسرد: لابس السَّرْدِ وهو الدرع. (٢) الأدرع الجهم: الهجين العابس.

فأوْجَرْتُهُ[1] نجـــلاءَ أبقتْ بجنبِه ... فُتوقا اذا ما رُقِّعتْ لم تُسَـــدَّدِ
تَحـــدَّرُ منها لَبَّتـاه وصـــدرُهُ ... على ساعدٍ رِخوٍ وساقٍ مقيَّـدِ
فلم تُغنِـه إذ خان وثبـةُ غاشمٍ ... ولم ينتقذه منك إقعاءُ مُرصِـدِ
رأى الموتَ فى كفَّيكَ رأْىَ ضرورةٍ ... فأوردَ منـــه نفسَه شرَّ مَوْرِدِ
وأحرزتَهـا ذكرا يخصُّـك نَشْرُهُ ... تَناقَلُه الأفواهُ فى كلِّ مَشْـــهَدِ
جمعتَ الغريبيْن: الشجاعةَ والنَّدَى ... وما كلُّ مُرْدٍ للكُماةِ بمُرفِـــدِ
وقمتَ بإحكام الســـيادةِ ناظما ... عُراها فمـا فانتك حُلَّةُ ســـيِّدِ
أتانى من الأنبـاء أنك مغـرمٌ ... بفضلِ مديحى عارفٌ بتوحُّدى
حبيبٌ اليك أن تُزَفَّ عرائسى ... عليك تَهادَى بين شـادٍ ومُنشِدِ (١٢٥)
متى ما تَجِـدْ لى عنـد غيرك غادةً ... مخـــدَّرةً تَغبِطْ عليهـا وتَحسُـدِ
فقلتُ: كريمٌ هزّه طيبُ أصله ... وواحدُ قومٍ شاقه مـدحُ أوحدِ
وليس عجيبا مثلُها عنـــد مثلِهِ ... اذا هبَّ يقظانا لهـا بين رُقَّدِ
فأرســـلتُها تُلقِى اليـك عنانَهـا ... وغـــيرُك أعيتْـــه فلم تتقـــوَّدِ
لها فارسٌ من وصفِ مجدك دائبٌ ... بأرساغِها ما بين طَودٍ وفدفـدِ
يرى كلَّ شىء فانيـا ورداؤه ... على عُنْقِ باقٍ فى الزمان مخـــلَّدِ
متى تَجزِها الحسنَى بحقِّ ٱبتـدائها ... تَزُرْكَ بعينٍ تملأُ الســـمعَ عُوَّدِ
فوفِّرْ على عجـز البُعول صَـداقَها ... وعرِّسْ بها أمَّ البنين وأولدِ
وصُنْها وكرِّمْ نُزْلَهـا إنّ بيتَهـا ... كبيتك فى أُفْقِ السماء المشـــيَّدِ
وكن "كعلىٍّ" أوفكن لى "كثابتٍ" ... وفاءً وإعطاءً وإنْ شئتَ فازددِ

---

(١) أوجرته: طعنته، وفى الأصل "أرخرته".

✦

وقال وكتب بها الى الأجلّ عميد الرؤساء أبى طالب محمّد بن أيّوب يمدحه ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى شعبان سنة ثمان عشرة وأربعمائة

أمنها — على أنّ المزارَ بعيدُ — خيالٌ سَرَى والساهرون هُجودُ؟
طوى "بارقا" طىَّ الشجاعِ "وبارقٌ" خِطارٌ يفلُّ القلبَ وهو حديدُ
يجوبُ الدجى الوحشىَّ والبيدَ وحدَهُ فكيفَ وكسرُ البيتِ عندك بِيدُ!
نعم! تُحمَلُ الأشواقُ والعيسُ ظُلَّعٌ ويَمشِى الهوى والناقلاتُ قُعودُ
وتَسمع البلوى فيمضِى مصمِّما جبانٌ عن الظلِّ الخَفوقِ يحيدُ
من المبلغى؟ — والصدقُ قصدُ حديثِهِ — وفى القول غاوٍ نقلُهُ ورشيدُ،
عن الرمل "بالبيضاءِ": هل هِيلَ بعدنا وبانِ "الغضا": هل يستوى ويميدُ؟
وهل ظبياتٌ بين "جوّ" "ولعلعٍ" تمرُّ على وادى "الغضا" وتعودُ؟
سوانحُ للرامين، تَصطادُ مثلَها وحوشُ الفلا، وهى الرماةَ تَصيدُ
ويوم "النقا" خالفنَ منّا فعاذلٌ خلىٌّ ومعذولُ الغرامِ عميدُ
سفكنَ دَمًا حُرًّا وأهونُ هالكٍ دمٌ حكمتْ عَيْنٌ عليه وجِيدُ
حملن الهوى منّى على ضُعف كاهلٍ وهَى، وتقولُ الحاملاتُ: جليدُ
تطلعتِ الأشرافَ[1] عينى ريادةً لقلبى سفاها والعيونُ ترودُ
وما علمتْ أنّ البدورَ "برامةٍ" وجوهٌ ولا أنّ الغصونَ قدودُ
وقالوا: غدًا ميقات فُرقةِ بَيننا فقلتُ "لسعدٍ": إنه لوعيدُ
غدًا نعلنُ الشكوى، فهل أنت واقفٌ تسائلُ حادى الركبِ: أين يريدُ؟
وهل تملك الإبقاءَ أو تجحد الهوى ووجهُك قاضٍ والدموعُ شهودُ

(١) الأشراف جمع شَرَف وهو: ما شَرُف وارتفع من الأرض.

وقد كنتُ أبكى والفـــراقُ دَعَا بِهِ (١) دلالٌ أدارِى عطفَـــه وصـــدودُ
فـا أنا من بَينٍ رجاءُ إيابِهِ (٢) وعـــودٌ تُقَضَّى دونه وعهـــودُ
هل السابق الغضبانُ يملكُ أمرَه ؟ فـا كلّ سير اليعملاتِ (٣) وخيدُ !
رويدا بأخفـافِ المطىّ فإنما تداسُ جبـاهٌ تحتهـا وخـــدودُ
عذيرى من الآمال أمًّا ذراعهـا فرحبٌ وأمًّا نَيْلُهـا فزهيـــدُ
يُرينك أنّ النجمَ حيثُ تحطُّـه وأنّ زمامَ الليث حيث تقـودُ
ودون حصاة "الرملِ" إن رُمتها يدٌ دفوعٌ، وسهمٌ للزمان سـديدُ
سقَى الناسَ كأسَ الغدرِ ساقٍ مُعذَّلٌ متى يُبْـدِ قبـلَ السكر فهو معيـــدُ
فمستـــبردٌ يَهـــنَى بأوّلِ شَربةٍ ومستكثِرٌ يثـــنى له ويزيدُ
ونَحّى "ابنَ أيّوبٍ" فأصبح صاحيًا وفاءٌ عريقٌ فى الوفاءِ تليـــدُ
فلو لم يُبرِّزْ يومَ كلِّ فضيـلةٍ كفَى أنه يومَ الحِفـاظِ وحيدُ
حـــوانى وأيّام الزمان أراقمٌ وهَبهَبَ عنّى والخطوبُ أســـودُ
ولبّى دعائى والصـــدَى (٤) لا يُجيبنى بيقظتِـهِ والسامعون رُقـــودُ
وأنهضَنى بالدهر حتى دفعتُـــه وجانبُـــه وعْرٌ علىّ شـــديدُ
وقد قعدتْ بى نُصرةُ اليدِ أختَهـا وقُلِّصَ عنى الظـــلُّ وهو مديدُ
تكفَّلَ لى بالعيشِ حتى رعيتُـهُ على وخَـــمِ الأيّام وهو رغيـــدُ
وأطلقَ من ساقَىَّ حتى أنافَ بى على أَرَبِى والحـادثاتُ قُيـــودُ
فـا راعنى من عقّنى وهو واصـلٌ ولا ضرّنى من غابَ وهو شهيدُ

(١) فى الأصل "دعابةٌ" . (٢) فى الأصل "عهود" . (٣) اليعملات جمع يعملة وهى الناقة النجيبة المطبوعة على العمل . (٤) الصدى : رجوع الصوت وترديده .

من القوم مدلولٌ على المجدِ واصلٌ ... اذا ضلَّ عن طُرقِ العلاء بليدُ
عتيقُ نجارِ الوجهِ أصيدُ صرَّحتْ ... به عن صفاياها غَطارِفُ صِيدُ
كرامٌ تُضيءُ المشكلاتُ برأيهم ... ويُنظَمُ شملُ المجدِ وهو بديدُ
يَسُودُ فتاهم فى خيوطِ تميمِهِ ... ويشأَى(١) كهولَ الناس وهو وليدُ
إذا نزلوا بالأرضِ غبراءَ جعدةً ... أماهُ(٢) حصًّا فيها وطابَ صعيدُ
كأنَّ نصوعَ الروض حين تسحَّبتْ ... مآزرُ منهم فوقَها وبُرودُ
سخا بهِمُ أنَّ السخاءَ شجاعةٌ ... وشجّعهم أنَّ الشجاعةَ جودُ
لهم بابنهم ما للسحابة أقلعتْ ... من الروض يومَ الدَّجْنِ وهو صَخود(٣)
وماغابَ عن دارِ العلا شخصُ هالكٍ ... مضَى وبنوه الصالحون شُهودُ
"أبا طالبٍ" لايُخلف الفخرُ دوحةً ... وأنتَ لها فرعٌ وبيتُك عُودُ
بَغَى الناسُ أدنَى ما بلغتَ فطُيِّرتْ ... رياحُك عَصفًا والبُغاةُ رُكودُ
وشالَ بكَ القِدحُ المعلَّى وحطَّهم ... وليس لهاوٍ بالطباعِ صعودُ
فلوكلَّمتْك الشمسُ، قالتْ: لحِقتَ بى ... علاءً وإشراقا، فأينَ تريدُ؟
أقرّ لك الأعداءُ بالفضلِ عَنوةً، ... ومعترِفٌ من لم يسَعْهُ جُحود
وكيف يُمارِى فى الصباحِ معاندٌ ... وقد فَلَق الخضراءَ منه عمودُ؟
تسمَّعْ من الحسادِ وصفَك واغتبطْ ... فأعجبُ فضلٍ ما رواه نديدُ
وإن نَكَلوا شيئا فإن فصاحتى ... وراءك كَثرٌ فى الكلام عتيدُ
وبين يدَىْ نُعماك منّى حميَّةٌ ... لها مَدَدٌ من نفسها وجُنودُ
اذا رامحتْ حربًا رأيت كماتَها ... تلاوَذُ من أطرافها وتحيدُ

(١) يشأى: يسبق. (٢) أماه: كثر ماؤه. (٣) الصَّخود: الشديد الحر.

أذودُ بها عن سَرح عِرضك كلّما تطلّعَ فيـــه للفريسـةِ سِـيدُ(١)
اذا نَشَطتْ من عُقلةِ الفكرِ أرسلتْ بهـا طَلِقاتٍ وثْبُهنّ شُـــرودُ
مطايا لأبكار الكلام اذا مشى على حِسكِ(٢) السَّعدانِ(٣) منـه رديدُ
نطقتُ بها الإعجازَ فالمؤمنون لى على دِينِهـا بين الجِنـانِ خُلودُ
ويحسـدنى قومٌ عليهـا وحظُّها شـقٌّ وحظّ المقرفاتِ سـعيدُ
تمنَّوا على إخصابهم جدبَ عيشها وأنهُـمُ خُصُّـوا بهـا وأُفيـدوا
ولم أحسبِ البـلوى عليها مُزاحِمٌ ولا أنَّ ضنكَ العيش فيـه حسودُ
لها النسبُ الحرُّ الصريحُ، اذا طغت عليك إماءٌ غـيرها وعبيـدُ
يزورك منها — والنساءُ فوارِكٌ — كواعبُ تُصْـفيك المودّةَ غِيـدُ
لهنّ جـديدٌ من نوالك كلّمـا أتى طالعـا يومٌ بهنّ جـديدُ
فـفى كلّ يومٍ مهـرجانٌ مقـلَّدٌ بهنّ ونـيروزٌ لديك وعيـدُ

وقال يمدحه أيضا وكتب بها اليه فى المهرجان الواقع فى سنة عشرين وأربعمائة وفيها نبذة من المعاتبة

تمنّاها بجهلِ الظنِّ "سعدُ" وما هى من مطايا الظنِّ بعـدُ
وخالَ ظهورَها قُعُـدا ليانا فرحَّلَ وهى مُزلِقـةٌ تكُدُّ
وراواحَها القِعابُ(٤) ليعتشيهـا(٥) فضرعٌ زلَّ أو خِلفٌ يَئِـدُّ

---

(١) السِّيد : الذئب . (٢) الحسك : الشوك . (٣) السّعدان نباتٌ من أفضل مراعى الغنم له شوك ، وفى المثل "مَرعًى ولا كالسّعدان" . (٤) القعاب جمع قَعْب وهو القدَح الضخم يُحلب فيه ، وفى الأصل "العتاب" وهو تحريف . (٥) فى الأصل "لتغتشيها" ولم نعثر لها على تفسير يتفق ومعنى البيت .

براثنُ أَوْسَقَتْهُ دما صبيبا ... وفى قـــومٍ لها أَقِطٌ(١) وزُبدُ
لعلّك "سعدُ" غرَّك أن تراها ... على الجـرَاتِ(٢) تأكلُ أو تَرُدُّ
وأنّ العـام أخلَفها فجاءتْ ... حبـائلَ فى حبائلها تُمَـدُّ
مفلَّلةً(٣) على الأعطانِ فوضَى، ... هببتَ تظنُّ أنّ القَلَّ(٤) طردُ
وما يُدريكَ من يَحمى حماها ... ويحضُرُ(٥) ذائدا عنها ويَبـدو(٦)
وإنّ وراءها لقنًا تَلظَّى ... وأسـيافًا وألسنةً تُحَـدُّ
ومنتقصَ الطبائع إن أخيفت، ... لَشَدُّ الأُسْدِ أهونُ ما يَشُـدُّ
اذا صـاح الإباءُ به تَرَى ... يُطيع الفيظَ أغلبُ مستبِدُّ
ومشحوذا! من الكَلِم المصفَّى ... به الأعراضُ تُفرَى أو تُقَدُّ
اذا عصَبَ اللّهاةَ الريقُ ناضت ... دوافقُ منـــه واديها مُمَدُّ
تحاشَدُ "يَعرُبٌ" إن نال: نصرا ... وتغضَبُ بالطباع له "مَعَدُّ"
فما لك — لا أبا لك — تتّقيها ... وفيهـا السيفُ والخصمُ الألدُّ
طغَى بك أنْ ونَتْ عنك القوافى ... وخلَّف فُتورها دأبٌ ووخْدُ
لئن دَرِدَتْ فلا يَغررْك منهـا ... أراقمُ يزدرِدنَ وهنّ دُرْدُ
وإن نأت البـلادُ برافديهـا ... فقـــومٌ آخرون لهـا ورِفْدُ
ولم يَقعُدْ عن المعروف جُندٌ ... من الكرماء إلا قام جُنـــدُ
وكم من حاضرٍ دانٍ كفانى ... رجالا لَفَّهُمْ سَـــفَرٌ وبُعدُ
ولم أعـــدَمْ نوالَهُمُ ولكن ... وجوهٌ بعـدَها ألمٌ ووجـــدُ

(١) الأقط: الجبن المتّخذ من اللبن الحامض. (٢) الجرة: ما يفيض به البعير فيأكله ثانية. (٣) مفللة: مهزومة. (٤) القلّ: الانهزام. (٥) يحضر: أقام بالحضر. (٦) يبدو: ينزل البادية.

سقى الله "ابنَ أيوبٍ" سماءً ... تروح سحابُهـا ملأى وتغدو
وإلا ماءُ خـــديه حيـاءً ... وإلا خـــلّةٌ منـــه وودُّ
وأىّ خلالِه كرمًا سـقاه ... كَفَى وسقَى نميرٌ منـــه عِدُّ
أخوك فلا تغيّره الليـالى ... اذا لم يُرعَ عند أخيك عهدُ
ومولاك الذى لا الغلُّ[1] يسرى ... به ظَهْرًا[2] ولا الأضغانُ تحـدو
تَضَيَّفْهُ وأنت طريدُ ليـلٍ ... رمى بك فيـه إقتـارٌ وجهدُ،
وقد ألقت بكلكلها "جُمادى"[3] ... نخيط سمائهـا حلٌّ وعَقْـدُ،
وهبَّتْ من رياح "الشامِ"[4] صرٌّ ... عسوفٌ[5] لم تَرضها قطّ "نجدُ"،
وأبوابُ البيوت مقـرّناتٌ[6] ... فـــلا نارٌ ولا زادٌ مُعَـــدُّ،
تجِدْ وجهًا يضىء لك الدياجى ... كأنَّ جبينَه فى الليـــل زَندُ
وكفًّا تهرُبُ الأزماتُ منهـا ... تَرَقرقُ سَـبْطةً والعـامُ جَعدْ
وبيتْ وقِـراك مَيسَرةٌ وبِشرٌ ... وزادُك نُخبَـةٌ وثراك مَهدُ،
تمـامَ الليلِ وآغدُ بصالحات ... من الأخلاق إن تَرَكْتَ تغدو
شمائلُ أصلُها حَسَبٌ وخـيرٌ[7] ... وزهرةُ فعلِها كـرمٌ ومجـدُ
تقلَّبـــها أبًا فأبًا مـــؤدٌّ ... كما أخَذَ الغـــلا إرثا يُرَدُّ
تَتِمُّ به اذا حُسِبَ المساعى ... عن الآباءِ عِـــدَّةُ ما يُعَـــدُّ
تفرَّدَ بالمحاسن فى زمانٍ ... تنكَّرَ أن يقـالَ : البدرُ فردُ

---

(١) فى الأصل "الغيل" . (٢) فى الأصل "الأظعان" ، وقد رجحنا كلمتى "الغل والأضغان" ليستقيم معنى البيت ، ومعناه : أن مولاك من لا يتخذ الحقـد ظهرا يركبه ولا يحدوه الضغن فينساق أمامه لاقتراف الشرّ والأذى . (٣) يقال للشتاء عند العرب : جمادى . (٤) الصرّ : الريح الشديدة الصوت والبرد (٥) العسوف : التى تمر فلا يثنيها شىء . (٦) مقرّنات : مشدودة بالحبال كناية عن إحكام إغلاقها ، وفى الأصل "مقرمات" . (٧) الخير : الشرف والأصل .

وجاراه على غَرَرٍ رجالٌ ... لهم شدٌّ وليس لهم أشُدُّ
فقصَّر كلُّ متنفخٍ هجينٍ ... ومرَّ أقبُّ(١) يطوِى الشوطَ نهدُ(٢)
ثقيلٌ والحلومُ مشعشعاتٌ ... نصيعُ العِرضِ والأعراضُ رُبدُ
ملكتُ به المنى وعلى الليالى ... ديونٌ بعدُ لى فيه ووعدُ
وكان نوالُ أقوامٍ ضمانا ... أسوِّفه وجودُ يديه نَقْدُ
أحدَّ بنصره نابَىَّ حتّى ... فَرَسْتُ به الخطوبَ وهنَّ أُسْدُ
وعاد أشلَّ كفُّ الدهر عنّى ... بأنك لى به سيفٌ(٣) وزندُ
فلا يعدَمْك معتمرٌ(٤) غريبٌ ... له بك أسوة(٥) : صَبرٌ وحَشْدُ
ولا يَفْقِدْك منّى مستضىءٌ ... بهَدْيِك فى الظلام وأنتَ رُشْدُ
وردَّ عليك رائحةً ثنائى ... عزائبَ(٦) مثلُها لك يُستَرَدُّ
خمائصَ أو يَجِدنَ اليك مرعًى ... خوامسَ(٧) أو لهنَّ نداك وِرْدُ
حواملَ من نتاج الجود ملء الـ ... ـجيوب فمالُها شكرٌ وحمدُ
من الكلم الذى إن كان حدٌّ ... لغاياتِ الفصاحة فهو حدُّ
سبقتُ به المَقاوِلَ(٨) مستريحا ... ففتُّهُمُ وقد نَصِبوا وكدُّوا
تكرُّ عليك واحدةً ومَثنَى ... بهنّ وفودُها ما قام "أُحُدُ"
ليوم المهرجان وكان عُطْلًا ... وشاحٌ من فرائدها وعِقْدُ
سلبتُ الناس زينتَها ضنينا ... بها وبرودُها لك تَستجدُّ
وأعتقنى من الحِرص اقتناعى ... بما تُولِى، ومَولى الحرصِ عبدُ

(١٢٨)

(١) الأقبّ : الفرس الدقيق الخصر الضامر البطن . (٢) النهد : الفرس الحسن الجميل .
(٣) فى الأصل "بآية" . (٤) المعتمر : الزائر والقاصد للشىء . (٥) الأسوة : ما يتأسى به الحزين . (٦) العزائب : الإبل تبعد عن المرعى ، وفى الأصل "غرائب" .
(٧) الخوامس : الإبل ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٨) المقاول جمع مِقول وهو الفصيح المبين .

✦✦✦

وقال يهنئ كمالَ الملك أبا المعالى بن أيّوب بالمهرجان ، ويستوحش لبعد غيبته ، وأنفذها اليه

أمكَنَتِ العاذلَ من قِيادِها ... فانتزع الرحمةَ من فؤادِها

ولوَّنت أخلاقَها فقد غدا ... بياضُها يشِفُّ عن سوادِها

والغانياتُ عَطفةً وصدْفَةً[1] ... يُجنَى لك الحنظلُ من شِهادِها[2]

لا يملأُ الراقدُ من أحلامِه ... إلا كما يملك من ودادِها

أعلقُ ما كنت بها طاعةً ... أَنصلُ ما تكونُ من إسعادِها

متى تُكلَّف من وفاء شيمةً ... تعدْ الى شيمتها وعادِها

آهٍ على الرقّةِ فى خدودها ... لو أنها تسرى الى فؤادِها

"بالبان" لى دَيْنٌ على ماطلةٍ ... يميس غصنُ البان فى أَبرادِها

سلّطتِ الوجدَ على جوانحى ... تسلُّطَ الخُلفِ على ميعادِها

يا طَرَباً لنفحةٍ "نجديّةٍ" ... أعدِلُ حرَّ القلبِ باستبرادِها

وما الصَّبا ريحىَ لولا أنها ... اذا جرت هبَّتْ على بلادِها

قل لمُخِيضِ العيسِ أغباسِ[3] السُّرَى[4] ... تأكلُ عَرضَ البيدِ فى إسآدِها[5]

موائرا ترى السَّلامَ[6] رمضًا[7] ... بينَ سُلاماها[8] الى أعضادِها

ذُبالُها تحت الدجى عيونُها ... لا تستشير النجمَ فى رَشادِها

تبغِى الندَى وأين من مُرادِه ... طىُّ الفلا وأين من مُرادِها

(١) الصدفة : الإعراض والصدّ ، وفى الأصل "صرفة" . (٢) الشِّهاد جمع شَهْد وهو عسل النحل . (٣) العيس : الكرام من الإبل . (٤) أغباس جمع غَبَس وهو ظلام الليل ، وفى الأصل "أعناس" . (٥) الإسآد : السير طول الليل . (٦) السلام : شجر . (٧) الرمض : حرّة الحرّ . (٨) السُّلامى : عظم فى فِرْسِن البعير أو عظامٌ صغارٌ طول إصبع أو أقلّ فى اليد والرجل .

عِنـدَكَ روضٌ وسحابٌ مغـدِقٌ إن صدَقَتْ عينُك فى ارتيادِها
أيدى بنى "عبدِ الرحيم" أبحرٌ أعـذبَها اللهُ عـلى وُرّادِها
أيدٍ تَساوَى الجودُ فيها فاكتفَى أن يسألَ المُعْتامُ(١) عن أجوادِها
سـلالةٌ من طينةٍ واحـدةٍ مجموعُها يوجَـدُ فى آحادِها
ارْمِ بهـم على الليالى تَنتصِفْ بهِمْ على ضعفِك من شِدادِها
وشْمُهُـمُ على الخطوب تَنْتضِلْ(٢) بيضَ "السُّرَيْجيّاتِ"(٣) من أغمادِها
أنظرْ اليهـم فى سماواتِ العلا مرفوعـةً منهـم على عِمادِها،
ترَ النجومَ الزُّهرَ من وجوههـم ثابتـةَ السـعودِ فى أوتادِها
لهـم سناها ثمّ ما ضرّهُـمُ نقصانُ ما يَكثُر من أعدادِها
أسرةُ مجـدٍ شـهِدَ الفضلُ لما عُقِّبَ عنها بعـلا أشـهادِها
حسـبُك من آياتها دلالةً أن "كمالَ الملك" من أولادِها
حَيِّ وقـرِّبْ غُرّةً أبيّـةً كان النـوى يألَمُ من بعادِها
ما سكنَتْ أرضٌ الى حضـورِها إلا بكتْ أخرى عـلى افتقادِها
تـودُّ حبّاتُ القـلوب أنها — ما سافَرتْ — تكون من أرفادِها
عاد الى الدولة ظـلُّ عزّهـا وقـرّت الأرواحُ فى أجسـادِها
وامتلأتْ من شُهبِها أفلاكُها وضُمّت الغيـلُ عـلى آسـادِها
يخطبُهـا قومٌ وفى حِبالكم نكاحُها وهـم بنـو سِـفادِها
يا عجـزَ من يطمعُ فى قنيصِها والليثُ جثّامٌ عـلى مِرصادِها
أنت لها بعـدَ أبيـك ثُغـرةٌ غيرُك لا يكون من سِـدادِها

(١) المعتام : المختار . (٢) تنتضل : تجرّد . (٣) السريجيات : السيوف المنسوبة الى قين اسمه سريج .

وجهُـك فى ظلمائها سراجُها ... وكفُّك الذائبُ فى جَمادِها
صدعتَ بالفضـلِ وكنتَ معجزا ... تُطيعُك النفـوسُ باجتهـا ها
وأذعنتْ طـائعـةً مختـارةً ... بميلها إليـك وانقيـادِها
إن ضلَّت الآراءُ باجتماعها ... كفَتْك آراؤك بانفـرادِها
أو عُبِـدَتْ أموالُ قـومٍ، شَرُفَتْ ... نفسُـكَ أن تكون من عُبَّادِها
كفتْكَ كسبَ العـزّ نفسٌ حرةٌ ... أحرزتِ العـزّةَ من ميـلادِها
وقدّمتك — فاجتُبيتَ سيِّدا — ... أرومـةٌ طرفُك من تلادِها (١٢٩)
تُعـدِى معـاليها الى أبنـائها ... على زمان "هودِها" و"عادِها"
لكم قُـدامَى الأرضِ أو سُـلافُها ... كنتم رُبًّا والنـاسُ فى وهادِها
وجمّـةُ الملك تجـمُّ لكُـمُ ... ما طاب وآستَغزَرَ من أورادِها
اذا نطقتم سـكتَ النـاسُ لكم ... على قُوَى الأنفـاسِ وآمتـدادِها
كأنما ألسـنُكم لهـاذمٌ[1] ... على القنـا تُشرَع فى صِعادِها
ميمـونةُ النُّقبـة[2] أين وُجِّهَتْ ... حَلّتِ المزنُ عُرى مزادِها
وإن سُـئلتم لم تَرَوا أموالَكم ... ناميـةً إلا عـلى نفـادِها
هَنَـا المعالى منـك يا خيرَ أبٍ ... يُكنَى بهـا جمعُـك من بدادِها
ذاك، وسلْ مذ غبتَ عن نفسى وعن ... ضراعـةٍ لم تكُ فى آعتيـادِها
وتَبـوَةِ الأعين عـنّى فيكُمُ ... كأننى صُـيِّرتُ من سُهادِها
أخَّرتُ نفسى بل قعدتُ حَجْـرةً[3] ... مزمِّـلا بالذلّ فى بِجـادِها[4]
مخفِّضا قـولى متى قيـل: صَهِ ... خشعتُ بينَ هامُها وصادِها

(١) اللهاذم جمع لَهذَم وهو السنان . (٢) النقبة : الوجه . (٣) حجرة : ناحيـة .
(٤) البجاد : كساء مخطّط من أكسية الأعراب .

بينَ رجال كَمَنتْ فضائلى عنهمْ كُمون النار فى زنادِها
لم أرجُهُم وليتنى لم أخشَهم، قلوبُهم تئنُّ من أحقادِها
تسلُقنى باللوم فيكم ألسنٌ أقوالُها تصغُر فى آعتقادِها
فكيفَ ـ معْ قناعتى ـ ظنُّك بى هل كان إلا المصُّ من ثمادِها
خلَّفتنى جوهرةً ضائعةً بقلّةِ الخبرةِ من نُقَّادِها
لا حظَّ لى أرجوه عند غيركم من عُدَّةِ الدنيا ولا عَتادِها
تسكُنُ أحشائى الى حِفاظكم سكونَ أجفانى الى رقادِها
أنتم لنفسى فى الحياة وبكم أنتظر العَونَ على مَعادِها
فأين كان صبرُكم على النوى من عَركِها الصبرَ ومن جهادِها
وهل — وقد أمرضها بعادكم — كنتم بعَطفِ الذِّكرِ من عُوّادِها؟
بلى! لقد واصلَها ما بلَّها من عَونِ أيديكم ومن إرفادِها
وقمتُمُ على النوى بلفتةٍ من نصرها شيئا ومن إنجادِها
فاغتنموا الآنَ تلافِى نَقصِها فى سَعةِ الأيّام وآزديادِها
وعند نعماك لها إن قُضِيتْ دَينٌ عليه جُملةُ آعتمادِها
مؤجَّلا قبل النوى وبعدَها من طارف الرسوم أو تِلادِها
فوكِّل الجودَ على نفسك فى قضائها ومُرْهُ بانتقادِها
وآعلم بأن الحالَ فى تسويفها تَضيقُ حتى الوعد فى إبعادِها
وآسلم لها وآسع بها سواءً(١) بعفوها منك وباجتهادِها
لك الطويلُ الشوطِ من خيولها فليس ترضَى لك باقتصادِها
لها بطونُ الأرض بل ظهورُها تصوَّبَتْ أو هى فى إصعادِها

(١) هذه الكلمة وردت بالأصل هكذا "سوا".

رَجْلَى ولا يعلقُها ركبُ الفلا ... بإبلِ البيدِ ولا جيادِها
تَسترقِصُ الأسماعَ أو تخالَنى ... أستخلفُ "الغريضَ"(١) فى إنشادِها
كأنّها على الطروس أنجمٌ ... لألأتِ الخضراء(٢) بأتقادِها
يكاد أن يبيضَّ من نُصوعها ... ما سوَّد الكاتبُ من مدادِها
تنفَّسُ الأيّامُ عن صوابِها ... فى وصف نُعماكم وفى رشادِها
ما دمتُمُ حَلْيا لمهرجانِها ... فينا وتيجانا على أعيادِها

وقال وكتب بها الى ناصر الدين بن مُكرَم يشكر ما تقدّم من إنعامه، ويتنجّزه الكريم من عاداته، وأنفذها اليه بعمان

هل تحت ليلك "بالغضا" من رائدِ ... يقتاف آثارَ الصباحِ الشاردِ؟
هيهات تلك نَشيدةٌ ممطولةٌ ... عند الغرام على المحبِّ الناشدِ
وكفاك عجزا من شجىٍّ ساهرٍ ... يرجُو الرِّفادةَ(٣) من خلىٍّ راقدِ
يا إخوةَ الرجلِ الغنىِّ أصابَ ما ... يبغى وأعداءَ المُقلِّ الفاقدِ
صاحبتُ بعدكم النجومَ فكلُّكم ... إلبٌ(٤) علىّ وكلهنّ مساعدى
فاذا ركدن فمن تحيُّرِ أدمعى ... واذا خفقن فمن نُبُوٍّ وسائدى
دُلُّوا علىَّ النومَ، إن طريقَهُ ... مسدودةٌ بعواذلى وعوائدى
وعلى الثنيَّةِ "باللوى" متطلِّعٌ ... طِلْعِى بمَربأة الرقيب الراصدِ
يَقِظٌ اذا خاف الرقيبَ تخطَّأتْ ... عيناه عن قلبٍ مُريدٍ عامدِ

(١) الغريض : هو مغنّ آسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد ولُقّب بالغريض لأنه طرئ الوجه غضّ الشباب، والغريض لغةً الأبيضُ الطريّ من كلّ شئ . (٢) الخضراء : السماء . (٣) الرفادة : المعونة . (٤) الإلب : القوم يجتمعون على عداوة إنسان .

متجاهـلٌ ما حالُ قلبي بعـدَه ... جهـلَ العليـم وغائبٌ كالشاهدِ
والى جَنـوب "البـانِ" كلّ مُضِرَّةٍ ... بالبـان بين موائسٍ ومـوائدِ
يمشين مشى مَهًا "الحواءِ" تخلّلتْ ... عنهنّ غيطانَ النقـا المتقـاودِ (١)
متقـلداتٍ بالعيون صـلائمًا ... وطُلًى ولم يَحملنَ ثِقـلَ قـلائدِ
نافثنهنّ السـحرَ يوم "سويقـةٍ" ... فاذا مَكايدهنّ فـوق مَكايدى
كنتُ القنيصَ بما نصبتُ ولم أخلْ ... أن الحبالة عُقـلةٌ للصـائدِ
أنكرتُ حلمى يومَ "بُرقةِ عاقلٍ" ... وعرفتُـه يوم اللقـاءِ "بغامدِ"
وجعلتُ سمعى من نبال عواذلى ... غرضَ الغـرورِ لكلِّ سهم قاصـدِ
القلبُ قلبُكَ فامضِ حيث مضى الهوى ... بك من مضـلٍّ سعيُهُ أو راشـدِ
ما دام يدعـوك الحسانُ فتًى وما ... دام الذوائبُ فى قِـرابِ الغامـدِ
فوَراء يومك من صِـباك صُحَى غدٍ ... وعدٌ يسوءُك منـه صـدقُ الواعدِ
ولقـد سريتَ بليـلهِ وبصبحه ... فَحَمًا وفى لَهَبِ البياض الواقـدِ
فاذا المشيبُ مع الإضاءة حـيرةٌ ... واذا الشـبابُ أخو المضلّ الواجدِ
ومطيّـةٍ للهـوِ عزَّ فَقارُها ... وصليفُهـا (٢) عن راكبٍ أو قائـدِ
مما احتمى من رحله بقماصـهِ ... ومن الخشـاش بأنفـه المتصايدِ
أعيا على ركب الصَّـبا أن يظفروا ... بمغـالقٍ من غُرْزِها (٣) ومعاقـدِ
قد رُضْتُهـا فـركبتُ منها طَيْعا ... ينصاعُ بين مَراسـنى ومَقاودى
وأخٍ رفعتُ له بحىَّ عـلى السُّـرى ... والنجمُ يسـبحُ فى غـديرٍ راكـدِ
فوعَى فهبَّ يحُـلُّ خيـطَ جفونهِ ... بالكُرهِ من كفِّ النُّعاس العـاقدِ
غيران قام على الخطار مساعدا ... نصرَ الحسـامِ رفـدتهُ بالساعدِ

(١) المتقاود : المستوى . (٢) الصليف : عرض العنق . (٣) الغرز : ركاب الرحل .

حتى رجمتُ الليـلَ منـه بكوكبٍ ... فتقَ الدجَى وأضاء وجهَ مَقاصـدى
فردينِ سَومَ الفـرقدين تمـايلا ... مسـتأمنيْن على طريق واحـدِ
ومحجَّبٍ تدع الفـرائصَ هيبـةً ... أبوابُه من خافـقٍ أو راعـدِ
تتسـابقُ الجَبهاتُ دون سريرِه ... للفوزِ بين معـفِّرٍ أو ساجدِ
لا تطمعُ الأقدارُ فى آستنزاله ... بضـعائف منها ولا بجـلائدِ
أذِنَتْ عليـه وسـائلى وترفَّعتْ ... أستارُه لمَقاصـدى وقصـائدى
وبعثتُ غُرَّ قلائدى ففتحنَ لى ... أبـوابَه فكأنهنّ مَقـالدى
"كمانَ" أو مَلِكٍ "عُمانٌ" دارُهُ ... دانى النوالِ على المَـدى المتباعدِ
رانٍ علىّ عـلى آرتفـاع سمـائه ... بَرٍّ بوفـدِ مـدائحى ومَحامـدى
بعثتْ بصـيرتُه نَفَـاقى(١) عنـدَهُ ... والشـعرُ يُبْضَعُ فى أوانٍ كاسـدِ
وقضَى عـلى أنى الوحيـدُ بعلمـه ... فكفَى بذلك أنه من شـاهدى
سـبق المـلوكَ فبـذَّهم متمهلا ... جاروا ومرَّ على الطـريق القاصـدِ
ومضَى عـلى غُـلَوائه متسـنِّما(٢) ... لم تَرتفِقْ(٣) مَسـعاتُه بمُعـاضـدِ
طيّانَ(٤) لم يقضِ البوازلَ قبـلَه ... جَـذَعٌ ولم يُطِل القيامَ بقـاعـدِ
نَسَبَ السماءَ، يريد أين نخارُها ... منـه، فباهلَها بفخـرٍ زائدِ
وسما يماجـدُ قومَه بنجومها ... فثَـنَى ولم يظفَـرْ بنجمٍ ماجـدِ
غرسَ المعالىَ "مُكرَمٌ" فى تربها ... فجنت حـلاوةَ كلّ عيشٍ باردِ
حَجْرًا عـلى الأقـدارِ فيما نفَّـذَتْ ... أحكامَها من صـادرٍ أو واردِ
لن تعـدَم الآفاقُ نجما طالعـا ... منها ينـوّر إثر نجـمٍ خامـدِ

(١) النفاق : الرواج . (٢) فى الأصل "متبسم" . (٣) ترتفق : تستعن .
(٤) الطيان : الطاوى وهو الجائع .

فالسيفُ منهم فى يمين المنتضى ... كالسيف منهم فى يمين الغامدِ
هم ما هُمُ ! وتفرقت آياتُهم ... فى المجد ثم تجمّعتْ فى واحدِ
أحيت لهم أيامُ محيى الأئمةِ الـ ... ـعافى وهبّتْ بالرّقودِ الهاجدِ (١٣١)
وتسنّمتْ دَرَجَ السماء بذكرهم ... أيامُ آثارٍ لهم ومَشاهدِ
وإلى "يمين الدولة" أفتقرت يدٌ ... فى الملك لم تُعضَدْ سواه بعاضدِ
نظمَ السياسةَ مالكٌ أطرافَها ... لم تستعنْ عَزَماتُه بمُرافدِ
وأقامَ ميلَ الدولتين مؤدِّبٌ ... بثقافه خَطَلَ الزمانِ المائدِ
سبقَ الرجالَ بسعيه وبقومه ... والمجدُ بين مَكاسبٍ ومَوالدِ
جَرت البحارُ فما وفت بيمينه ... فكأنَّ ذائبَها يُمَدُّ بجامدِ
ضنَّتْ بجوهرها وما فى حِرْزِها ... من مُنفساتِ ذخائرٍ وفوائدِ
فاستخرجتْها كفُّه وسيوفُه ... فسخَتْ بها لمؤمِّلٍ ولرافدِ
نامَ الرعاةُ عن البلادِ وأهلِها ... عجزا وعيناه شِهابَا واقدِ
وحَمَى جوانبَ سَرحِه متنصِّفٌ ... للشاء من ذئب الغضا المستاسدِ
واذا الأسودُ شممن ريحَ عرينه ... كانت صوارمُه عِصِىَّ الذائد
ما بين "سَرْبَزَةٍ"(١) الى ما يَستقِى ... "وادى الأُبُلَّةِ" هابطا من صاعدِ
يقظانُ يضرب وهو غيرُ مبارزٍ ... عزما ويطعن وهو غير مُطاردِ
كفٌّ له تحمى وسيفٌ يُنتضَى ... ولحاظُ راعٍ للرعيّةِ راصدِ
واذا بغَى باغٍ فباتَ يرومُه ... باتت صوارمُه بغيرِ مَغامدِ
ومطوِّحٍ ركِبَ الخِطار فردَّه ... أعمى تحيَّر ماله من قائدِ
كفَّ الرَّعاعَ وجاء يطلبُ حاجةً ... عسراءَ فى كفِّ الهمامِ اللابدِ(٢)

(١) سربزة : جزيرة فى أرض الهند يجلب منها الكافور . (٢) فى الأصل "اللائد".

يَرمى الكواكبَ وهى سـعدٌ كلُّها ... بمَناحِسٍ من جَـدّه ومَناكِدِ
جُنَّتْ به الأطماعُ فاستُغوِى بها ... يصـبو الى شيطانها المتـمارِدِ
خُـبِّرتُهُ يبغِى "عُمانَ" وأهلَها ... فعرفت مَصـدَرَه بجهـل الوارِدِ
لم يُنجِـه والمـوتُ فى حَيزومِـهِ (١) ... ما ضمَّ من حَفْـلٍ له ومَحاشِـدِ
جمحَتْ به غرّارةٌ من حَيْنِـه ... قذفتـه فى لَهَواتِ صِـلٍّ زارِدِ (٢)
نُسِفَتْ بأطراف الرماحِ جنـودُهُ ... طَوْحَ السنابِلِ (٣) عن شفارِ الحاصِـدِ
من راكبٍ — وفؤادُه من صخـرةٍ — ... جَـوفاءَ (٤) أمَّ فواقِـرٍ وأوابِدِ؟ (٥)
حدباءَ تسـلك من عثار طريقها ... حُـدْباً ذواتِ نواقِصٍ وزوائِـدِ
فتظـلّ طورا فى عنانِ سمائها ... صُعُدا وطورا فى الحضيض الهامِـدِ
تختبُّ قامصـةً ولم تطأ الـثرى ... وتظـلُّ لا فى سبسبٍ وفدافِـدِ
يظمَا بها الركبانُ وهى سـوابحٌ ... فى غامـرٍ تيّـارُه مـتراكِدِ
شـنعاءَ لو طَرَقَ الخَيـالُ بمثلها ... عينى لمـا أطبقتُ مقـلةَ راقِدِ
بلِّغْ — وليتَ رسائـلى تقتصّها ... شفتى وغائبَ المؤخَّر شاهِـدى —
أو ليت قلبى كان قلبَك أصمَعا (٦) ... فى أضـلـعٍ صُمِّ العظـامِ أجالِدِ
فأخوضَ بحـرا من حميمٍ آجنٍ ... يُفضِى الى البحـرِ الزُّلالِ البـارِدِ
قلْ إن وصلتَ "لناصر الدين" آستمع ... فِقَـرًا تُجَمِّعُ كلَّ أنسٍ شارِدِ
يا خـيرَ من حَملتْ ظهورُ صواهِلٍ ... فى المُلك أو ضمَّتْ صـدور وسائِدِ
وتعصّبَتْ بالنـور فوق جبينـه ... عَـذَبُ (٧) اللواء تَحُفُّ تاجَ العاقِـدِ
أنا عبـدُ نعمتك التى شُكِرَتْ اذا ... ما نعمـةٌ نيطت بآخرَ جاحِـدِ

(١) الحيزوم : وسط الصدر . (٢) زارد : اسم فاعل من زرد الشيء : بلعه . (٣) فى الأصل "السـنابك" . (٤) يريد بالجوفاء السفينة . (٥) الفواقر والأوابد : الدواهى .
(٦) الأصمع : الذكىّ . (٧) العذب جمع عذبة وهى خرقة تلفّ على رأس الرمح .

أغنيتنى عن كلّ مذمومِ الجِدَا ... ألقاه مضْطَرًّا بوجهٍ حامِدِ
ونفضتَ عن ظَهرِى بفضلك ثِقلَ ما ... أوعيتُ من نُوبٍ علىّ شدائدِ
كان الزمانُ يُسِرُّ لى ضِغْنا فقد ... أصلحتَ لى قلبَ الزمان الفاسدِ
وحفظتَ فىّ تكرُّما وتفضُّلا ... ما أذكَرتْكَ قدائمى وتلائدى
ذِمَمٌ لو آعتَصَمَ العُداةُ بمثلها ... عقدوا بهنّ لديك خيرَ مَعاقدِ
ومن الذى يُرعَى سواك لنازح ... عن لحظه نائى المحلّ مُباعدِ
متناقِص الخطواتِ عنك ذكرتُهُ ... فى سَكرةِ المُلكِ العظيم الزائدِ
أوليتَنى فى آبنى ونفسى خيرَ ما ... أوليتَ فى ولدٍ شفاعةَ والدِ
فلذاك كرَّ على مشقّة طُرقِهِ ... وكررتُ أطلبُ من نداك عوائدى
تُعطى المنى ونعود نسألُ ثانيا[1] ... فتعود حبّا للسماح العائدِ (١٣٢)
وتموتُ حاجتنا وينفَدُ فقرُنا ... وسؤالنا ونداك ليس بنافدِ
فاحكم بسنّتك التى شَرَعَ الندى ... لك شرعَها حُكمَ القديرِ الواحدِ
كَفِّلْ علاك بحاجتى واكفف يدى ... عن كلّ جَعد الكف جَعد الساعدِ
فالناسُ غيرَك من تضيق مجالتى ... فيه وتُقتل بالمِطالِ مَواعدى
صنْ عنهُمُ شَفَتى ودعنى واحدا ... فى الدهر أشربُ من قَلِيبٍ واحدِ
حاشا لمجدك أن تُسدَّدَ خَلّتى ... بمُشارِك لك فىّ أو بمساعدِ
وآنصِتْ لها غُرَرًا لمدحك وحده ... يُنظمنَ بين قلائدٍ وفرائدِ
من كلّ مخلوعٍ لصادقِ حسنها ... فيها عذارُ العابدين لعابدِ
عذراءَ مفضوضٍ لديك ختامُها ، ... ما كلُّ عذراءٍ تُزَفُّ بناهدِ
تجلو عليك بيوتُها ما أُنشِدت ... حوراءَ ذات وشائح وقلائدِ

(١) فى الأصل " وتعود سأل " .

كعقيلة الحىّ الحُـلوِ تمشَّت الـ ـخُيَلاءَ بين وصائفٍ وولائـدِ
مما سبقتُ بخاطرى أمَّاتِها وحويتُـهُ برقاىَ أو بمكايدى
خضعَ الكلامُ لمعجـزى فى نظمِها فعنا لها من راكعٍ أو ساجـدِ
قد آمنَ الشـعراءُ بعـد فسوقهم بدلائلى فى فضلها وشـواهدى
وأطاع كلُّ منـافق إن سَـره أو ساءه وأقـرَّ كلُّ معانـدِ
فاعطفْ لمهديها وحامـلِ تربِها وآحمـلْ له حقَّ السفير الرائـدِ
وآردُدْهُ عن عَجَـلٍ كما عوَّدتَه برواجعٍ من نعمتيك ردائـدِ
وآشـددْ يدًا بالخافقين مملـكا عنقيهـما من أتهُـمٍ ونجائـدِ
فى دولةٍ أختِ السـعودِ وعـزّةٍ أمِّ النجـوم وعمـرِ ملكٍ خالدِ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير كمال الملك أبى المعالى

تهوَى — وأنت مُحلَّأٌ(١) مصدودُ — ماءَ "النَّقيب"، و إنه مورودُ
ويُقِرّ عينَك — والوصالُ مصوَّحٌ — غصنٌ يرفُّ على الحمى ويميـدُ
واذا رغبتَ الى السحاب فحـاجةٌ لك مايصوب على "الغضا" ويجودُ
ما ذاك إلا أن عهـدَك لم يحُـلْ أفما لحىٍّ فى "النخيـل" عهودُ ؟
ومن الشقاوة حافظٌ متجنِّبٌ يقضى عليـه غادرٌ مـودودُ
قَسَما — ولم أُقسمْ بسكَّانِ الحمَى عن رِيبـةٍ لكنه تأكيدُ —
لهُمُ — وإن مَنَعوا — مكانُ مَطالبى وهُمُ — وإن كرِهوا — الذين أريدُ
أتنسَّمُ الأرواحَ وهى رواكدٌ منهم وتُجـدِبُ أرضُهم فأرودُ
وأكذِّبُ الواشى الىّ بغـدرهم وعلى الحـديثِ دلائلٌ وشُهودُ

(١) المحلأ : الممنوع عن الماء .

فهم الصديقُ ولا مودةَ عندهم ... وهم الأقاربُ والمزارُ بعيدُ
و" بأيمَنِ العلَمين " من أبياتهم ... ظبيٌ يُصادُ الظبيُ وهو يَصيدُ
لاهٍ اذا جمع الرجالُ حلومَهم ... حل العزائمَ خصرُهُ المعقودُ
يَرمِي القلوبَ وما دمٌ بمطوَّج ... ما لم تُرِقه مقلةٌ أو جيدُ
وعدَ الوفاءَ وليس منه فغرَّني ... ومن السرابِ اذا اغترتَ وعودُ
أعنو له وأنا العزيزُ بنفسه ... وأَلينُ عمدا والفؤادُ جليدُ
واذا عرفتُ فُتبتُ من دِين الهوى ... جذبَ الغرامُ بمقوَدى فأعودُ
ولقد أحنّ الى "زرودَ" وطيبتي ... من غير ما فُطرتْ عليه "زرودُ"
ويشوقُني عَجَفُ(١) "الحجازِ"، وقد ضفا(٢) ... رِيفُ(٣) "العراق" وظلُّه الممدودُ
ويُطَرِّبُ الشادى فلا يهتزُّني ... وينالُ منّى السائقُ الغرّيدُ
ما ذاك إلّا أنّ أقمارَ الحمى ... أفلاكُهنَّ اذا طلعنَ البيدُ
طفِقَ العذولُ ـ وما ارتفدتُ برأيه ... فيهن ـ يُبدِئُ ناصحا ويعيدُ
فأنا الذى صدعَ الهوى فى أضلعى ... ما لا يَلُمُّ العذلُ والتفنيدُ
ياصاحِ، هل لك من خليلٍ مؤثِرٍ ... راضٍ بأن يشقى وأنت سعيدُ؟
متقلقلٍ حتى تقرَّ، وربّما ... بَقِّ رقادَك ساهرٌ مجهودُ
يَلِقَ القواذعَ(٤) أو يقيك لسانُه ال ... مشهورُ فيك وعزمُه المشدودُ (١٣٣)
كذُبالةِ(٥) المصباحِ أنت بضوئها ... فى الليلة الظلماء وهى وَقودُ
من دون عِرضك نَثْلةٌ(٦) منضوضة(٧) ... منه وإن لم يقضها "داودُ"(٨)

(١) العجف : ذهاب السمن وهو هنا كناية عن الجدب . (٢) ضفا : فاض وسبغ .
(٣) الريف : ما أخصب من الأرض وكثر زرعه . (٤) القواذع جمع قاذعة وهى الهجر والشتيمة .
(٥) الذبالة : الفتيلة . (٦) النثلة : الدرع الواسعة وفى الأصل "نَثْلَة" . (٧) فى الأصل مفضوضة . (٨) داود هو داود النبي عليه السلام وكان مشهورا بعمل الدروع و إحكامها .

قـلَّ الثِّقاتُ فإن عَلِقتَ بواحـدٍ ... فاشدد يديك عليه فهو وحيـدُ

لا يُبعِـد اللهُ الألى حفظ العلا ... بيتٌ لهم حولَ النجوم مَشِـيدُ

واذا اقشعرّ[1] العامُ أغدقَ من ندًى ... أيديهـم الوادى ورَفَّ العـودُ

واذا سرى نقصُ القبائل أقبلتْ ... تَنمِى المكارمُ فيهُـمُ وتـزيدُ

لا يعـدَمُ الجودَ الغريبُ ومنهُـمُ ... شخصٌ على وجـه الثرى موجودُ

بيتٌ، بنو عبـدِ الرحيم طُنـوبُهُ ... وأبوهُـمُ سـاقٌ له وعمـودُ

تطغى رياحُ البِرِّ فيـه عواصـفا ... ولها بأثناء[2] البيوت ركودُ

مِن حولِه غُرَرٌ[3] لهم وضَـاحةٌ ... تبيضّ منهنّ الليالى السـودُ

واذا أناخ به الوفـودُ رأيتَهـم ... ـكرما ـ قياما والوفودُ قعـودُ

فاذا أردتَ طُـروقَهُ لملمَّـةٍ ... "فأبو المعالى" بابُهُ المقصـودُ

جاراهُـمُ فأراك غائبَ أسهم ... ـ رؤيا الزيادة ـ يومُهُ المشهودُ

ومضَى يُريدُ النجمَ حـتى جازه ... شوطا، فقال النجمُ: أين تريدُ؟

شرَفٌ "كمالُ المُلك" فى أطرافه ... حامٍ عن الحسب الكريم يذودُ

فصَـحَ[4] البوازلَ وهو قارحُ عامه ... وأجابَ داعى الشَّيبِ وهو وليدُ

يقظانُ يقدَح فى الخطوب بعزمةٍ ... تسرى به وبنـو الطريق هُجـودُ

عَشِقَ العلا وسعَى فأدرك وصلَها ... متروِّحا وحسـودُه مكدودُ

ووفَى بأشراطِ الكفايةِ داخلا ... من بابها ورِتاجُها[5] مسـدودُ

عبِقٌ بأرواح السيادة عِطفُـه ... فكأنه فى حِجـرها مولودُ

لو طاول الغَمْرُ[6] المغفَّلُ خُلقَـه ... شيئا تعلَّم منـه كيفَ يسودُ

---

(١) اقشعرَّ: لم يُصبْ ريًّا. (٢) فى الأصل "بأبيات". (٣) فى الأصل "له".
(٤) فَصَح: من قولهم: فصحه الصبحُ بمعنى بان له وغلبه ضوءُه. (٥) الرتاج: الباب العظيم.
(٦) الغمر: الجاهل الأبله.

هَشٌّ لصدر اليوم إمَّا مالُه ... فيه وإمّا قربُه المنقودُ
لا قبلَ نائله اذا سُئل الندى ... وعدٌ ولا قبل اللقاءِ وعيدُ
واذا الخلالُ الصالحاتُ تكاملتْ ... فهى الشجاعةُ أو أخوها الجودُ
أفنَى الثراءَ على الثناءِ وعلمُه ... أنّ الفَناءَ مع الثناء خُلودُ
ولربّما بُلِي البخيلُ بموقِف ... يُخزيه فيه مالُهُ المعبودُ
لك من خلائقه اذا ما رستَه ... جنبانِ ذا سهلٌ وذاك شديدُ
فمع الحفيظة قسوةٌ وفظاظةٌ ... حتى كأنّ فؤادَه جُلمودُ
ومع المودّة هِزّةٌ وتعطّفٌ ... فتقول : غصنُ البانة الأُملودُ
يا أُسْرةَ المجدِ التى لم تنتبهْ ... عن مثلها الأيامُ وهى رُقودُ
كُفِىَ الزمانُ العَينَ فى أعيانكم، ... إن الزمانَ عليكُمُ محسودُ
لولاكُمُ نُسِىَ الثناءُ ولم يكن ... فى الناس لا رِفدٌ ولا مرفودُ
ولكان قُلُّ الفضلِ أو ميسورُهُ ... يفنَى فَناءَ كثيرِه ويَبيدُ
بكُمُ رددتُ يدَ الزمانِ، وباعُهُ ... متوسِّعٌ بمَساءتى ممدودُ
وحملتُ مضعوفا ثقائلَ خطبه ... وهى التى تُوهِى القُوَى وتؤودُ
وخلطتمونى بالنفوس فمن يقَعْ ... جُنُبًا(١) فإنى منكُمُ معدودُ
واذا تلوَّنَ معشرٌ بتلوُّنِ الـ ... ـدُّنيا فعهدِى فيكم المعهودُ
وعُنيتَ أنت بخَلّتى فسددتَها ... ونظمتَها بالجودِ وهى بديدُ
واذا تقاعدَ صاحبٌ عن نُصرتى ... فالنصرُ حظّى منكَ والتأييدُ
فلأجزينّك خيرَ ما جازَى امرؤٌ ... وجَدَ المقال فقالَ وهو مُجيدُ
مما يُخالُ قوافيا ومعانيا ... بالسمعِ وهو حَبائرٌ وبُرودُ

(١) جُنُبًا : بعيدا غريبا .

ويكون زادَ السَّفرِ[1] فى ليل الطَّوَى ... ويقادُ تتبعـه المهارى القُـودُ
من كلِّ مخـلوعٍ عِذارُ محبِّهـا ... فيهـا ومعـذورٍ بهـا المعمودُ
وكأنهـا بين الشفاهِ قصـائدًا ... فـوق النحـورِ قلائدٌ وعقـودُ
عذراء تحسُدها — اذا أنصفتَهـا ... أوقاتَهـا منك — الكعابُ الرودُ
يحتثُّها شـوقا لك النـيروزُ أو ... يأتى فيُطلِعَها عليـك العيـدُ
لك من بشائرها الخلودُ ودولةٌ ... تمضى بهـا الأيَّامُ ثم تعـودُ
ما أحسبُ الدنيا تطيب وأمرُها ... إلَّا الى تدبيركم مردودُ
فبقيتم والحاسـدون علاكُمُ، ... لا خـيرَ فيما ليس فيـه حسودُ

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد النحر يهنّئه، ويعرِّض بذكر بعض من جهِلَ قضاءَ حقِّه، ولم يُجازِ خدمتَه عند السلاطين

أنشُدُ[2] من عهد "ليلَى" غيرَ موجودِ ... وأقتضيها مُعـارا غـيرَ مردودِ
رِضًا "بليلَى" على ما كان من خُلُقٍ ... جَعْـدٍ ونَيـلٍ كثيرِ المنّ معـدودِ
من العـزيزات[3] أنسـابًا وأخبيةً ... فى صفوةِ البيتِ حلَّتْ صفوةَ البيـدِ
محبُّهـا قـد قضى فى كلِّ معـركةٍ[4] ... قصيّةٍ عن بلاغِ الأينُـقِ القُـودِ
تُقَـلُّ من غيرِ ذُلٍّ عنـد أسرتهـا ... بين القبابِ المنيعاتِ الأباديدِ[5]
كم ليـلةٍ قد أرتنى حشوَها قمـرا ... وجوهُها البيضُ فى أبياتِهـا السُّـودِ

(١) السفر : المسافرون . (٢) دخل على هـذه الكلمة الزحاف المطوىّ وهو حذف الرابع الساكن وقد ورد كثيرا فى الشعر ومنه لمهيار أيضا فى نفس هذه القصيدة قوله

* أملس لا عرضه الوافى بمنتقص *

(٣) فى الأصل "العريرات" . (٤) لعله يريد كلّ معركة من معارك الحب التى لا تخوض غمارها النوق لبعدها عن المعارك الحقيقية . (٥) الأباديد : المتفرقة .

من كلِّ هيفاءَ إلا الرِّدفَ تحسبهُ ... غصنا من البان معقودا بجُلمودِ
ما مستقيماتها للريح مائلةٌ ... لكن براهينُ عِزٍّ لى المواعيدُ
لُثْنَ(١) العناقيدَ فوقَ الخَمْرِ(٢) واختلفت ... شِفاهُهنَّ على ماءِ العناقيدِ(٣)
ورُحن يَرمِين بالألحاظ مقتنصًا ... فما تصيَّدنَ إلا أنفُسَ الصِّيدِ
يا ليلَ(٤)، لو كان داءٌ تقتُلين به ... داويتِه كان داءً غيرَ مقصودِ
اليأسُ أروحُ لى والصبرُ أرفقُ بى ... من نومِ ليلكِ عن همّى وتسهيدى
ما ماء "دِجلةَ" ممزوجا بغدركُم ... وإن شفَى باردًا عندى بمورودِ
ولا صَبَا أرضِكم هبَّت تروحنى ... وفاءَ وعدٍ لكم بالمطلِ مكدودِ
حسبى! سَمحتُ بأخلاقى فما ظفرت ... فى الناس إلا بأخلاقٍ مَناكيدِ
وصاحبٍ لينُ أيّامى وشدّتُها ... فَرقٌ له بين تقريبى وتبعيدى
يمشى ابنَ دأيةَ(٥) فى ظلِّ الرجاءِ معى ... وفى النوائبِ يعدو عدوةَ السِّيدِ(٦)
وواسعِ الدار عالى النارِ يُوهمنى ... خِصبَ القِرَى بين مبثوثٍ ومنضودِ
يهوَى الأناشيدَ أن يَكذِبن سُمعَتَه ... ولا يَهشُّ لأعواضِ الأناشيدِ
أغشاه غشيانَ مجلوبٍ يُغَرُّ بما ... رأَى وأُصرَف عنه صَرفَ مطرودِ
يجودُ مِلءَ يدى بالوعدِ يمطُلُه ... والمطلُ من غيرِ عُسرٍ آفةُ الجودِ
فَدَى الرجالُ ـ وإن ضنّوا وإن سمحوا ـ ... فتًى يهونُ عليه كلُّ موجودِ
لا يحسب المالَ إلا ما أفاد به ... ثناءَ محتسبٍ أو ذِكرَ محمودِ
كم جَرَّبَ المدحُ أملاكا وجرَّبه ... فصبَّ ماءً وحَتَّوا من جلاميدِ
أملسُ لا عِرضُه الوافى بمتنقَصٍ ... يوما ولا مالُه الواقى بمعبودِ

(١) يريد بالعناقيد الغدائر . (٢) الخمر جمع خمار وهو شبه النقاب . (٣) يريد بماء العناقيد الخَمْر . (٤) يريد يا ليلى . (٥) ابن دأية : الغراب . (٦) السيد : الذئب .

مَن سائلٌ بالكرام السابقـين مَضَوا ... وخلَّفـوا الذِّكرَ من إرثٍ وتخليـدِ؟
هذا "الحسينُ" فخذ عينًا ودعْ خبرًا ... من الروايات عنهـم والأسانيـدِ
من ساكنى الأرضِ قبلَ الماءِ من قِدمٍ ... وعامريهـا وما ذَلَّت لتشـييدِ
كم حاملٍ منهُـمُ فضلًا، حمائلُهُ ... تُحَـلُّ عن عاتق بالتـاج معـقودِ
لم يبرحوا أجبُـلَ الدنيا وأبحرَها ... أصلَيْن من شاهقٍ منهـا ومُمـدودِ
وحسَّنوا فى الندى أخلاقَ حلمهمُ، ... إنَّ (١) الندى فى النُّهى كالماء فى العودِ
يا آل "عبدِ الرحيم" آختار صُحبتَكم ... تأنُّـقى فى آختياراتى وتجـويدى
أُحبُّكم وتُحبُّـونى وما لَـكُمُ ... فضـلٌ ورُبَّ ودودٍ غـيرُ مودودِ
قرابةٌ بيننا فى "فارسٍ" وَصـفتْ ... عنّى وعنكم طهاراتِ المواليـدِ
لا زال مـدحِىَ مـيراثا يقابلـكم ... عـنّى اذا الشـعرُ فى آذانكم نُودِى
بكلِّ حسـناء لو أحفَشـتُها (٢) برزتْ ... للخـاطبين بروزَ الغـادةِ الرُّودِ (٣)
من نسج فكرى تردّ العارَ دونكُـمُ ... ردَّ السهام نبتْ عن نسج "داودِ"
ما أنبتتْ لِىَ شَجْـراءُ الرجاء بكـم ... خِصـبا وما كرَّ دهرٌ عـودةَ العيـدِ (٤)
وما تبـاحُ المُـدَى مشـحوذةً أبدا ... صبيحةَ النحـرِ من نحرٍ ومن جيـدِ (١٣٥)

وقال وكتب بها الى الوزير أبى المعالى يهنئه بالنيروز

أنذرَتْنى أمُّ "سعدٍ" أنَّ "سعدا" ... دونهـا ينهَـدُ (٥) لى بالشَّرِّ نَهْـدَا
غَيرةً أن تسمعَ الشَّربَ تُغنِّى ... بآسمها فى الشِّعر والأظعانَ تُحدَى

(١) فى الأصل "اللُّهى" جمع لهوة وهى أجزل العطايا أو لعلها "اللَّها" جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق من سقف الفم، وكلاهما لايتفق ومعنى البيت. (٢) أحفشتها: ألزمتها الخِفَش وهو البيت الصغير من الشَّعر. (٣) الرود: الشابة الحسنة الناعمة، وفى الأصل "الغيد". (٤) يريد بصبيحة النحر عيد الأضحى و بالثانية أعلى الصدر. (٥) ينهد: يسرع.

قلت : يا لَلحبِّ من ظبيٍ رخيم صدتُه فاهتجتُ ذؤبانا (١) وأُسْدا
ما على قومِكِ أن صار لهم أحدُ الأحرار من أجلكِ عبدا !
وعلى ذى نظرةٍ غائرةٍ بعثتْ سُقما الى القلب تَعدَّى !
قَتلتْ حين أصابت خطأً، وقِصاصُ القتلِ للقاتِل عمدا
أتُرانى طائعًا أضرمتُها حُرَقًا تأكلُ أضلاعى ووجدا !
سبّبتْ لى فيكِ أضغانَ العدا نظرةٌ أرسلتُها تطلبُ ودّا
وعلى ما صفحوا أو نقَموا ما أرى لى منكِ يا "ظبيةُ" بُدَّا
أَجتلى البدرَ فلا أنساكِ وجها وأرى الغصنَ فلا أسلاكِ قدّا
فاذا هبَّتْ صَبا أرضكمُ حمَلتْ تُربَ "الغضا" بانا ورَندا
لامَ فى "نجدٍ" وما استنصحتُه بابلىٌّ لا أراه الله "نجدا" !
لو تصدَّى رشأُ "السَّفح" له لم يلُم فيه ولو جارَ وصدّا
يصلُ الحولُ على العهد وما أَنكرَ التَّذكارُ من قلبىَ عهدا
أفيَروَى عندكم ذو غُلّةٍ عدِمَ الظَّلْمَ (٢) فما يشربُ بَرْدا ؟
رُدَّ لى يوما على "كاظمةٍ" إن قضى الله لأمرٍ فات ردّا
وحمانى من زمانٍ خابطٍ أبدا فى عَطَفى شَلًّا وطردا
كلَّما أبصر لى تامكةً (٣) كدَّها أو ردّها عظما وجلدا
يصطفى الأكرمَ فالأكرمَ من نُخَبى أنفسَ ما كنتُ مُعِدّا
كلّما شُدّتْ بظهرى هَجمةٌ (٤) ركب الشرَّ لها ركضا وشدّا
واقعا فى كلّ مَن كثّرنى بيدٍ خرقاءَ أو أصبحتُ فردا

(١) ذؤبان جمع ذئب . (٢) الظلم : ماء الأسنان و بريقها . (٣) التامكة . السافة العظيمة السنام (٤) الهجمة : من الإبل ما بين السبعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى هُنَيْدة .

أُكلَةَ الصُّعلوكِ ، لا أُسـنِدُ ظهرا ... فى الملمّـاتِ ولا أَشتَدُّ عَضْـدا
غاب أنصـارى فمن شاء ٱتقانى ... حذَر الإثمِ ومن شاء تعـدَّى
شَقِيَتْ من بعـدهم نفسى وهم ... أىّ برجٍ نزلوه كان سـعدا
قل لأمـلاكٍ نأَى عنّى بهـم ... ناقلُ الأقمـار قُربا ثُمَّ بُعـدا :
يا سـيوفى يوم لا أملك عزًّا ... وعيـونى يوم لا أُورَد عِـدًّا
وشـبابى إن دنوتم كان غَضًّـا ... واذا رحتم مع البين ٱسـتُرِدَّا
عجبا لى كيف أبقى بعـدكم ... غير أن قد خُلِقَ الإنسـان جَلْدا !
غلبَ الشـوقُ فما أحمِـلُ صبرا ... وجفا الناسُ فما أسألُ رِفـدا
أنا من أغراسـكم فانتصروا لى ... قبـل أن تهشِمَنى الأيامْ حصدا
يا رسـولى، ومتى تَبلُغْ فقـلْ ... خيرَ ما حُمِّـل مأمونٌ فأدَّى :
يا "كمالَ الملكِ" يا أكرمَ مَـن ... يمَّمتْـه ظُعُنُ الآمالِ تُحـدَى
يا شهابا كلّما قال العـدا : ... كاد يخبـو، زاده الرحمنُ وقـدا
يا حساما كلّما ثلّمـه الـ ... ـضربُ راق العـينَ إرهافا وحَـدًّا
ما بـراك اللهُ إلا آيـةً ... فتن النـاسَ بها غيًّا ورُشْـدا
وثَبَاتُ الليثِ إن أُنكِر فى ... شَدَّةٍ كان مع الأخرى أشَـدَّا
كلّما عاند فيها حاسـدٌ ... ظهـرتْ باهرةً مَن يتحدّى
ولَكَمْ أنشرتَ إعجـازا بهـا ... من فِعـالٍ طُوِيتْ لحـدا فلحدا
وبخيـلٍ خامـلٍ أعديتَـه ... كرما نال به الحمـدَ ومجـدا
وزليـقٍ منتهَى شاهقـةٍ ... حيثُ لا يصـعَد إلا مَن تردَّى
طَأْمَنَ[1] الجوُّ لها وٱنحـدرت ... قُلل الأجبال حتى كنّ وُهْـدا

(١) طأمنَ : ٱنخفض .

حَرَصَ الكوكبُ أن يطلُعَها فهوَى عنها وما ستّ مَسَدَّا
واذا الكيدُ مشَى يَسْمُتُها(١) طامعًا عاد وقد خاب وأكدى
خفَّ من خطوك فيها ناهضٌ لم يسرْ فى التيه إلا سار قصدا
يأخذ المجلسَ من ذِروتها مالكا تدبيرَها حَلًّا وعَقْدا
طرتَ فيها والعدا واقعةٌ تأكل الأيدى(٢) لها غيظا وحقدا
يُلعَنُ الناسُ على عجزهمُ وتُحيَّا بالمساعى وتُفَدَّى
فَرَّعَت للمجد منكم دوحةٌ كنتَ من أنضرها عُودا وأندَى
تربةٌ بورك فى صَلصالها أنجبتكم والدا طاب وولْدا
طينةٌ — أعجِبْ بها — مجبولةٌ أخرجتْ سَلْمى وشَهْلانَ وأُحْدا(٣)
يا عيونَ الدهرِ، لا زالتْ بكم قَذِياتٍ أعينُ الحسّاد رُمدا
وتقاضَى الملكُ عنكم بسيوفٍ منذ سُلَّتْ لم تكن تشتاقُ غَمدا
كلَّما سُوِّد منكم بأخيهِ صارمٌ يَمَّمَ أمضَى وأحَدَّا
وبَقِيتم لبقايا كَرَمٍ بكمُ يُلْحَمُ فى الناس ويُسدَى
لم تكن لولاكمُ أرماقُها أثرا يَخفَى ولا عينا تَبدَّى
يا نجومى، لا يَرُعْنِى منكمُ غائرٌ باخٍ(٤) ولا حَيدانُ ندَّا
نوِّروا لى وأسرجوا فى طُرُقى أقطعِ الأرضَ بكم جَمْزًا(٥) ووَخْدا
أجمع الحصباء فى مدحكمُ بلسانى وأعدُّ الرمل عَدّا
وكما أرغمتُ من قبلُ بكم آنُفًا(٦) آبيةً أجدعُ بَعْدا

(١) يسمتها : يقصدها . وفى الأصل "يسمنها" . (٢) قوله "تأكل الأيدى" كناية عن عضهم أيديهم من الغيظ . (٣) أحد وما قبله أسماء جبال . (٤) فى الأصل : "غابر"؛ وباخ : خمد وانطفأ . (٥) الجمز : الإسراع فى العَدْو . (٦) آنُف جمع أنف .

أبـدا أنصُبُ نفسى دونكم ... علَمـا فـرْدا وخَصَّـاما ألدَّا
غـير أنى منـك يا بحـرَ النـدى ... أشتكى حظّى فقد خاب وأكدَى
عادةٌ تُمنَـعُ أو تُقطَع بتّـا ... وحقـوقٌ وَجبتْ تُهمَلُ جِـدًّا
ووعـودٌ يجـحُ المطـلُ بهـا ... أن يرَى ميقاتُهـا عنـدك حدًّا
بعـد أن قد كنتَ أخفاهم(١) وفاءً ... لى وأوفاهم لمـا أسلفتَ عهـدا
حاش للسُّـحبِ التى عُوِّدتُهـا ... منك أن يَروَى بها الناسُ وأصدَى
نفثـةٌ من مذكِرٍ لم يألُ فى الـ ... ـصـبر للحاجـةِ والأوطارِ جهـدا
بعث النـيروزُ يستعجلكم ... سائلا فى الوعد أن يُجعـلَ نقـدا
وهُوَ اليومُ الذى من بعـده ... سـوف تُفْنون مدى الأيام مدّا
فاقبـلوه شافعـا وآرضـوا به ... زائرا عـنِّىَ بالشـعرِ ووفـدا
أنتُمُ أكرمُ من يُهدَى له، ... والقوافى خـيرُ ما يُحبَى(٢) ويُهدَى

* * *

وقال يمدح عميد الرؤساء أبا طالب ويهنّئه بالنيروز

صدَّتْ "بنعمانَ" على طول الصدَى ... دعها فليس كلُّ ماءٍ مَوردا
لحاجـةٍ أمسَّ من حاجاتها ... تخطَّاتْ أرزاقَهـا تعمُّـدا
ترى وفى شـروعها ضـراعةٌ ... حرارةً عـلى الكبودِ أبردا
عادةُ عزٍّ جَـذَبَتْ بخَطْمِهـا(٣) ... وكلُّ ذى عزٍّ وما تعـوَّدا
لا حَمَلَتْ ظهورُها إن حمَلَتْ ... رِجْـلا على الضيم تقَـرُّ أو يدا
إن لم يلِقْهـا جانبٌ مقاربٌ ... فآرِم بها الجنبَ العريضَ الأبعـدا

(١) فى الأصل "أخفاهم". (٢) فى الأصل "يجبى". (٣) الخطم: مقدّم أنف الدّابة وفمها.

خاطرْ وَلو أردى الخطارُ، إنه ... لا يأمن الذلَّةَ مَن خاف الردَى
لا يُحرزُ الغايةَ إلا بائعٌ ... بغلظةِ العيش الرقيقَ الرَّغدا
يَطوى الفلا لايستضيفُ مؤنسا ... والليلَ لا يسأل نجما مرشدا
اذا رأى مَطعمةً خافضةً ... عوَّذَ بالله ومالَ الحَيدا
يُعطِى جِدّابَ الشهواتِ عُنُقًا ... شمساءَ[1] لا تعرف إلا الصَّيدا[2]
تمارُس الأيّامُ منه كلّما ... حارنَ أو لجّ غلاما نَكِدا
يعزِفُ[3] إلا عن فُكاهاتِ الهوى ... وقد رأى فيه الحبيبَ المسعدا
أقسمَ بالعفّةِ : لا تيَّمُهُ ... ظبيٌ رنا أو غُصُنٌ تأوَّدا
ولا قَرَى[4] صَبابةً فؤادَه ... إلا السلوَّ حاضرا والجَلَدا
شأنَك يا بنَ الصَّبَواتِ فالتمِسْ ... غيرى أخًا، لستُ لهنَّ ولَدا
مولاك من لا يخلُق الشوقُ له ... وجدا ولا طولُ البعاد كمدا (١٣٧)
كأنما يَشهدُ من عَفافه ... على المشيبِ يافعًا وأمردا
موقَّرا متَّعظا، شبابُه ... كأنما كان مَشيبا أسْودا
تحسبه نزاهةً وكرمًا ... ومجدَ نفسٍ "بابنِ أيوبَ" اقتدَى
فِدَى عميدِ الرؤساء مُصفِرٌّ[5] ... لو طاب لا يصلُح إلا للفِدَى
يرضَى بما ساق اليه غَلطُ الـ ... ـحظِّ ولم يسعَ له مجتهدا
يعجَبُ من جهالةِ الأيّام فى ... وِجدانه ما لم يكن لينشُدا
تحسبه جاء يريد غيره ... فضلٌّ عن طريقِه وما اهتدى
وحاسدٍ، نخارُه معْ نقصِه ... فى الناس أن عادى العلا وحسَدا

(١) الشمساء : الممتنعة الأبيّة . (٢) الصَّيد : رفع الرأس كبرا وزهوا . (٣) فى الأصل "يعرف" . (٤) قرى : أضاف . (٥) المصفر : المفتقر .

تُلهِبُ نارُ الغيظ فى ضلوعه ... جمراً يقول حرُّها : لا بَرَدا
زال[1] بنصرِ مجدِهِ غيران ما ... نازَلَ إلا ظافراً مؤيَّدا
مدّ الى أخذِ العلا فنالها ... يدا تبوعُ ساعدا وعَضُدا
تَقضِى له الأقلامُ من حاجاتها ... ما آستقضت الذابلَ والمهنَّدا
ما زال يرقَى فى سماواتِ العلا ... بروجَها الأسعدَ ثمَّ الأسعدا
مصاعداً نجومَها حتى اذا ... تطاولتْ خلَّفَها وصعِدا
رأى المعالى بالمساعى تُقتضَى ... والشرفَ المحرَزَ من كسبِ الندَى
فصاعبَ الأسودَ فى أغيالها ... صرامةً وجاودَ الغيثَ جَدَا
وكلّما قيل له : قِفْ تسترحْ ... جزتَ المدَى، قال : وهل نلتُ المدَى ؟
ناهضَ ثِقلَ الدولتين فكفى الـ ... ـمُلكَ الطريفَ ما كفاه المتلَدا
وكان للأمرين منه جُنَّةً ... مسرودةً وصارما مجرّدا
فاغترسَ "القادرُ"[2] يومَ نصرِهِ ... وآستثمرَ "القائمُ بالأمر"[3] غدا
قام بأمرٍ جامع صلاحَهُ ... فضمَّه بنفسه منفردا
فلستُ أدرى أَلوَحيٍ هابط ... أم آختيارا لقَّباهُ الأوحدا ؟
وزارةٌ وفَّرها لدَستِهِ ... أنَّ أباه قبلُ فيه آستندا
دبَّرها مستبصرا فلم يكن ... مفوِّضا فيها ولا مقلِّدا
يُسنِد عن آبائه أخبارَها ... صادقةً اذا آتهمتَ المُسنِدا
وأعتقُ الناس بها من لم يزل ... مكرَّرا فى بيتها مردَّدا
يا من محضتُ الناسَ فاستخلصتُه ... بعدَ آجتهادى فاليا منتقدا

(١) زال : نهض. (٢) إشارة الى الخليفة القادر بالله. (٣) إشارة الى الخليفة القائم بأمر الله.

والبازلُ العَوْدُ وقد نبذتُهم بَكِيّةً[١] معرورةً[٢] أو نَقَدا
ذلّلتَ أيامَى وآستقربتَ لى غُلْبًّةً[٣] وفاءها المستبعَدا[٤]
هوّنْتَ عندى الصعبَ من صروفها نخلتُ أفعاها الوَثُوبَ مَسَدا
أعديتَها بحفظك العهدَ فقد صارت صديقا بعد أن كانت عِدا
ولم تضيِّع حُرَما أحكمها قديمُ حقّ فيكُمُ وأكّدا
أنتَ كما كنتَ أخًا مُخالِلًا بحيثُ قد زدتَ فصرتَ سيّدا
فاسمعْ أقايضْك بها قواطنا سوائرا معقّلاتٍ شُرَّدا
عوالقا بكلِّ سميعٍ صَلِفٍ يلفِظُ أن يَقبلَ إلّا الأجودا
ممّا قهرتُ بفعلتُ وعرَه مُدَيَّنًا[٥] وحرَّه مستعبَدا
مَطارِبا اذا آحتبى الراوى لها شككتَ هل غنّى بها أم أنشدا!
تُخالُ أرجازا من آستقصارها وقد أطال شاعرٌ وقَصَّدا
يَمضى الفتى الموسومُ فى نخارها صفحا وتُبقِى عِرضَه مخلَّدا
تَحمِلُ أيّامُ التهانى تُحَفًا منها اليك بادئاتٍ عُوَّدا
ما دامت الغبراءُ أو ما حَمَلَتْ مدحوّةٌ من الجبال وَتِدا
سنينَ تطويهنّ حيًّا سالما مُنَورِزا فى العزّ أو معيِّدا
لا الشعرُ تَبلَى أبدا رسومُهُ فيك ولا تُعدَمُ أنت سَنَدا

---

(١) البكيّة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها ، وفى الأصل " بلية " . (٢) المعرورة : التى أصابها العُرُّ وهو الجَرَبُ . (٣) غُلْبَّة : قهرا ، وفى الأصل " غَلِيّة " . (٤) فى الأصل " المستعبدا " .
(٥) مدينًا : مملّكا مذلّلا .

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى ويهنّئه بالمهرجان

(١٣٨) رَدَّ عليها النـــومَ بعـد ما شَرَدْ إشرافُها على شَرافٍ(١) من "أُحُدْ"
وضمَّها منشورةً مجـرى الصَّبا وعَطَنَ الدارِ وطِينـــةَ البـــلَدْ
فعطَفَتْ كلَّ صليفٍ ناشِزٍ على الحشاشِ وعلى لينِ المَسَدْ
يقودها الحـادى الى حاجتـه وهمُّها أخرى اليها لم تُقَـدْ
وإنما تيمَّها "بحاجـرٍ" أيّامُهـا "بحاجرٍ" لو تُسـتَرَدّْ
وصالحاتٌ من ليـالٍ أخلقتْ(٢) عهـودُها وهى مع الذِكرَى جُدُدْ
يادين من أهل "الغضا" سقامُها ووجدُها بمـدّعٍ ما لم يجِـدْ
وحفظُها عهـدَ ملولٍ ماطلٍ يذكر ما آسترعَى وينسَى ما عَهِـدْ
وكم على "وادى الغضا" من كبِدٍ يحكم فيهـا بسوى العـدل الكَمَدْ
ومن فـؤادٍ بدَدٍ تلفظُـه ولائذُ الحىّ مع الحصا البَدَدْ
وصارمٍ ما شَـقِىَ القَيْنُ به مذ سـلَّه غُنجُ اللحاظِ ما غُمِـدْ
ومن غزالٍ لا يُقِـلُّ رِدفُـه ضعفا وفى حبـاله عُنقُ أَسَـدْ
وقامـــة لو لم يكن لشكلها فعلُ القنـاة لم تمـلْ ولم تمِـدْ
بانات وادٍ مـذ حَمَتْ شجـراءَهُ رماحُ "قيسٍ"(٣) ما آختُلِى ولا عُضِدْ(٤)
تلاوذُ الريحُ بكلِّ مرهفٍ غصنٍ اذا قام وحِقفٍ إن قعـدْ
حبائبٌ "بالخيف" فى مَلاعبٍ هنّ النعيمُ وهى جنّـاتُ الخُـلُدْ
سقتْ دمـوعى حَرَّها ومِلحُها عيشا بهـا بالأمس طاب وبَرَدْ

(١) الشَّراف : اسم موضع . (٢) فى الأصل "أخلفت" . (٣) ما آختُلِى : لم يُقطع مابه من خَلًى وهو الرطبُ من النبات . (٤) ماعضد : ماقطع نباته بالمِعضد وهو آلة تستعمل فى قطع الشجر .

لو كان لى على الزمان إمْرَةٌ ... بطاعةٍ قلتُ : أعدْها لى أعِدْ
يا راكبا ، تدوسُ للرزقِ به ... حرَّ الثرى (١) والليلَ وجناءُ أجُدْ
ترى الطريقَ عَرضَهُ وطُولَه ... لقُطبها بين ذراعٍ وعَضُدْ
تطوى السُّرى طىَّ الرياح لا تُرَى ... سائلةً : أين المَدَى وما الأمَدْ
كأنّها من خِفّةٍ من مسّها الـ ... ـأرضَ على أربعِها لا تعتمِدْ
تطلب نُجْحَ حاجها بجَهْد من ... أقسمَ لا يطلُبُ إلا ما يَجِدْ :
ارجِعْ وراءَ فاسترحْ وأعفها ... ما كلُّ حظٍّ لك منه أن تَكُدّْ
مَطرَحُ عينيكَ غِنَى مقترِفٍ (٢) ... كفى بنى الحاجاتِ شُقَّاتِ البُعُدْ
بجانب " الزوراء " قصرٌ قصدُهُ ... بحرٌ اذا أعطى الغِنَى لم يقتصِدْ
أيدى بنى " عبد الرحيم " مدُّه الـ ... ـدائمُ والبحرُ يَغيضُ ويَمُدّْ
قد أفعموه وأباحوا وِردَه ... مخلَّدا عَذْبا فمن شاء وَرَدْ
قومٌ اذا لم تَلْقَ منهم واحدا ... وإن لقيتَ الناسَ لم تَلْقَ أحدْ
صانوا حمى أعراضِهم ، ومالُهم (٣) ... وذِيَّةٌ (٤) على الطريق تُنتقَدْ
وعَقدوا لكلّ جارٍ ذمّةً ... وذمّةُ المال بهم لا تنعقدْ
هم دبَّروا الأرضَ فلم يُعيهِمُ ... بثقلها تدبيرُها ولم يَؤُدْ
ملوكُها اليومَ وآباؤهُمُ ... ملوكُها وما على الأرض وَتِدْ
تمطَّقوا (٥) السؤدُدَ فى مهودهم ... من حَلِمَ ما أُرضعتْ من لم يَسُدْ

---

(١) فى الأصل "جدّ الثرى" ، والوجناء الأجد : الناقة القوية الموثّقة الخَلْق . (٢) المقترف : المكتسب . (٣) المال عند أهل البادية النَّعَم يذكر ويؤنث ، يقال : هو المال وهى المال .
(٤) وذيّة : حقيرة مبتذلة وفى الحديث « أمن أجل دنيا دنيّة وشهوة وذيّة » وفى الأصل " ودية " .
(٥) تمطقوا : تذوقوا .

وطوّحوا وهم جِذاعٌ فُصُّلُ[1] بالقارح البازل والقَرْمِ[2] الأشَدّْ
وكلّما نازعهم منازعٌ سلَّمَ مختارا لهم أو مضْطَهَدْ
ولا ومَنْ قاد الصِّعابَ لَهُمُ وأوجدوا الفضلَ بهم وقد فُقِدْ ،
وأظهرَ الآيةَ فى اشتباههم بأسا وجودا وعناءً وجَلَدْ ،
ما تَلِدُ الأرضُ ولو تحفَّلتْ مثلَ "كمالِ الملكِ"، والأرضُ تَلِدْ
رعَى بنى الدنيا على اختلافهم منفردا بما رعاه مستبِدّْ
لا مستشيرٌ يُبصر الشورى له رأيا ولا منتصحٌ فرتفِدْ
وَحْدَةُ ذى اللِّبدةِ، لا يُفقره غَناؤه بنفسه الى العَدَدْ
تُحرِّم النومَ المباحَ عينُه إزاء كلِّ خَلَّةٍ حتى تُسَدّْ
لا مُغلَقُ[1] الرأيِ ولا مضطربُ الـ ـأحشاءِ تحت حادثٍ من الزُّؤُدْ[2]
اذا أصاب فرصةً لعزمه صمَّمَ لا يسوفُ اليومَ بغدْ
مبارَكُ النظرةِ، مَن أبصره مصطبحا بوجهه فقد سَعَدْ
لو صيغت الأيامُ من أخلاقه لم يعترضْها كدَرٌ ولا نَكَدْ
لم يُسمِه الملكُ "الكمالَ" أو رأى عن عفوه نقصانَ كلِّ مجتهِدْ
ولا أرادته العلا أباً لها إلا وقد أفلحَ منها ما ولَدْ
أقتر بالفضل له حاسدُه ولو رأى وجهَ الجحود لجحَدْ
أفقره الجودُ وإن أغناه أن ساد به، ولم يَسُدْ مَن لم يَجُدْ
فلا يزلْ على الزمان منكُمُ مسلَّطٌ يَفرِى الأمورَ ويُقِدّْ
ولا تَبَدَّلْ بسواكم دولةٌ أنتم على أرجائها سِترٌ يُمَدّْ

(١) فُصُل جمع فصيل وهو ما فُصِلَ عن الرضاع، وفى الأصل "فضل" . (٢) القرم : الفحل .
(٣) فى الأصل "معلق" . (٤) الزؤد : الفَزَع .

ولا رأى سريُرها وسرجُها مِن غيركم مَن يمتطي ويقتعِدْ
وكنتَ أنت باقيا مساوقا بعمره وعزِّه شمسَ الأبَدْ
تَسبي العطايا لك كلَّ حُرّةٍ لولا نداك لم تكن لتُعتَبَدْ
بِنْتِ الحدور في الصدور رضَعتْ ثدىَ النُّهى ونشأتْ من الكَبِدْ
لم تُمتَهنْ بلفظةٍ يلفِظُها من شرِّها السمعُ ولا معنًى يُرَدْ
يَرِقِ بها ودَّ القلوبِ ساحرٌ ما شاء بالنفثةِ حلَّ وعقدْ
كل لسانٍ ثنوىٌّ مشركٌ وهو لكم في شعره فردٌ صمدْ
ما دار — مذ دار الكلامُ — ناطقٌ بمثلها ولا جرتْ في الصحْفِ يدْ
تغشاك منها كلَّ يومٍ تحفةٌ نخبةُ ما قال الخبيرُ أو نقدْ
رآك دون الناس أولى بالذى بالغ فيهِ من ثناء واجتهدْ
ما نافقتْك مِدحةٌ ولم يَقلْ فيك غلوَّ الشعرِ إلا ما اعتقدْ

* * *

وقال في سرير

قام بِرِجْلٍ ومشى على يدِ ممتريا للرزقِ من سيبِ يدِ
أهيفُ وهو في السِّمانِ معرقٌ وواحدٌ وهو كثيرُ العَدَدِ
يمدُّه حبلٌ ضعيفٌ فتلُه حتى يعودَ مُحْكما ذا جلَدِ
يُشِتُّ شملا كلّما فرّقه ألَّفَ منه بين شملٍ بددِ
تُبصر من عِظامه وجِلدِهِ اذا اكتسى الجُبَّيْنَ فوق العسجد

وقال فى رمّانةٍ حمراء

ما أمُّ أولادٍ كثيرٍ فى العـــدد[1] تُروِى رِضاعا وهى بِكْرٌ لم تلدْ ؟
تبسِمُ عن عَذب الرُّضابِ بارد لولا دمٌ يصـــبُغه قلت : بَرَدْ[2]
أعجِبْ به ماءً زُلالا شَبِما[3] تجمُعـــه فى أُهُبٍ[4] نارٌ تقـــدْ !
يا حسنَهـا مجموعةَ الشملِ ويا أضعافَ ما تَحسُنُ والشملُ بددْ

وقال فى الغَزَل

" بالخَيْف " مُخطَفَةُ[5] الحشا تهوَى الغصونُ لها القدودا
أخذَ الغـــزالُ نِفـارَها وأعارها عَينـا وجِيـــدا
أَلِفتْ مِطـال عِداتِهـا[6] يا ليتهـا تعـــدُ الصدودا
نثرتْ مـــدامعيَ الفـــريـ ـدَ لنظمِ[7] مَضحَكِها[8] الفريدا
قد كان رثَّ[9] هوای فابـ ـتسمتْ فردّته جـــديدا

وقال فى غرضٍ من أغراضه

أعانقُ غصنَ البانِ منها تعلّةً فأُنكره مسًّا وأعرِفُه قـــدّا
وأعدِلُ لثمَ الأُقحوانِ بثغرها فأُرزَقُه برقا وأُحرَمُـــه بَرْدا
فللهِ مَن لم أستعِض عنه غائبا ولم أر منـــه ظالما أبدا بُدًّا

(١) إشارة الى ما بالرمّانة من كثرة الحَبّ . (٢) إشارة الى حلاوتها ولونها . (٣) الشبم : البـارد . (٤) أُهُب جمع إهاب وهو الجلد . (٥) مخطفة الحشا كناية عن نحول الخصر . (٦) عدات جمع عدة وهى الوعد . (٧) الفريد : الدرّ المنظوم . (٨) مضحكها : مبيسمها . (٩) رثّ : بَلِىَ .

قافيـــة الـــراء

وقال فى غرض وهى أول قوله

بِدين الهوى إن صحّ عَقدُك فى الهوى ... أعن مَلَلٍ[1] فى الهجر أم كاشحٍ أغرى؟

ألا قلّما يقضى من الحبِّ حاجةٌ ... مُعنًّى بنفسٍ عُلِّقتْ حاجـةً أُخرى

حلفتُ لئن كان الجفاء لغَـدرةٍ ... لقد أبصرتْ عيناىَ من عينكِ الغدْرا

أقول لطيفٍ منكِ وَسَّـدتُ خدَّه ... يمينِىَ لمّا جلّ عن يدِىَ اليسرَى:

نحولى الذى عاينتَ من هجـر ليلةٍ ... فما ظنُّها بالجسم لو هَجَـرَتْ عشرا

وقال فى مثله

ترنَّمتْ ترنُّم الأسـيرِ ... وَرْقاءُ فـوقَ وَرَقٍ نضـيرِ

تنطِقُ عن قلبٍ لها مكسورِ ... كأنها تُخبِرُ عن ضميرى

لبَّيكِ يا حزينـةَ الصـفيرِ ... إن آستجرتِ فبمستجيرِ

مثلكِ فى تبـلُّدِ المهجـورِ ... قَصَّ جَناحى زمنى فطـيرى

لكِ الخيارُ أنجـدى أو غورى ... وحيثما صار هواكِ صـيرى

وإن أردتِ الأمنَ أن تجورى ... فيمِّمى "بغدادَ" ثمَّ سِيرى

أو حَوِّمى[2] بربعها المعمـورِ ... مذ غاب فيه قمرى بالنـورِ

عسى تقولين لأهل الحُورِ: ... وَا وَحْشتِى بعـدك للسرورِ

---

(١) فى الأصل "ملك". (٢) فى الأصل "أو حوى".

✦

وقال يُعزِّى الشريفَيْن السيّدَيْن الرضىّ والمرتَضَى آبنَى الطاهر أبى أحمد الموسوىّ عن خالهما أبى الحسين بن الناصر العَلَوىّ، وكان تُوُفِّىَ فجأةً

خُدَعُ الزمانِ مـودّةٌ من ثائرِ ... ومُنَى الحياةِ وتيرةٌ (١) من غادرِ

نغـترُّ بالباقين منّا، والذى ... فَرَسَ (٢) المقـدَّمَ رابضٌ للغـابرِ

واذا ذوَى من دَوحـةٍ غصنٌ فيا ... سَرْعانَ ما يُـودِى (٣) بأخرَ ناضرِ

يا عاشقَ الدنيـا، النجاءَ فإنّهـا ... إن ساعدتْ وصلَتْ بنيَّـة هاجرِ

لا تَخـدَعنَّك بالسرابِ فـلم تدع ... ظنًّا يُرجِّم فيـه وجهُ السـافرِ

واردد لحاظَك عن زخارفها تفُزْ، ... إنّ البـلاءَ موكَّلٌ بالنـاظرِ

خَذَل المحـبَّتَ نفسَـه بوفائها ... تصريحُها بالغدرِ فى "آبن الناصرِ"

مشت المنونُ اليـه غيرَ محصَّنٍ (٤) الـ ... ـجَنَباتِ وآغتالته غـيرَ محاذرِ

ولو آنتحتْـه لأنذرتْه وإنمـا ... شبَّ الفجيعـةَ أن أُصيبَ بعاثرِ

صَرعتْه مسـبِلةَ الكِمامِ (٥) وإنمـا ... يقع التحفُّظُ من ذِراعَىْ (٦) حاسرِ

لم يُنجـهِ البيتُ المطنَّبُ بالكوا ... كبِ والمعمَّـدُ بالهلالِ الزاهرِ

والنسبةُ العليـاءُ إن هى شَجَّـرتْ ... زلِقتْ معارجُها بكلِّ مُفاخرِ

وعصـائبٌ مضريّةٌ قرشـيّةٌ (٧) ... خُلقـوا لحفظِ وشائجٍ (٨) وأواصرِ

يتراكضون الى تحجُّـزِ ثأرِهم ... ولو آنه عنـد الغمام السـائرِ

من كلِّ أبلجَ منكباه لواؤه ... بضفيرتيْـه السمهريَّةَ ضافرِ

---

(١) الوتيرة : التريّث والإبطاء. وفى الأصل "وثيرة". (٢) فَرَس بمعنى آفترس، والغابر : الحاضر. (٣) فى الأصل "يولى". (٤) فى الأصل "محض". (٥) الكمام جمع كم. (٦) الحاسر : المكشوف الذراعين. (٧) الوشائج جمع وشيجة وهى المشتبكة المتصلة. (٨) الأواصر جمع آصرة وهى العطف من قرابة أو رحم أو صهر.

بَرْدُ النسيم اذا تربَّع عنده ... حَرُّ الهجيرِ اذا عرا فى "ناجرِ"
أَنِسٌ بأسبابِ الطلابِ كأنّه ... ولو آمتطى النكباءَ(١) غيرُ مُخاطرِ
كلًّا ولا أغتُّه عفّةُ نفسه ... عن عاجلٍ يُرضى سواه حاضرِ
ولقاؤه شهواتِهِ ببصيرةٍ ... معصومةٍ عنها وذيلٍ طاهرِ
نرجو لصالحنا تطاوُلَ عمره، ... تعبٌ رجاءُ ولادةٍ من عاقرِ
لو خُلِّدَ آبنُ البرِّ أو أمِنَ الرَّدى ... لعفافه لم يولَد آبنُ الفاجرِ
أو كان يَسلم بالشجاعة ربُّها ... لم تَطوِ مقبورا حَفيرةُ قابرِ
بالكُرهِ فارق سيف "عمرٍو"(٢) كفّه ... وتقلّصت عن رمحه يدُ "عامرِ"(٣) (١٤١)
سقت الغيوثُ "أبا الحسين" ثراك ما ... سقت "الحسينَ" أباك عينُ الزائرِ
ومن الغرام وفيه ماءٌ هامعٌ ... منه دُعائى له بماءٍ قاطرِ
أبكيك لا ما تستحقُّ، وجهدُ ما ... تسعُ الصبابةُ أن تسيلَ مَحاجرى
وأُشارِك النُّوَّاحَ فيك بأنّنى ... أرثيك فالتأبين(٤) نوحُ الشاعرِ
وأَمَا وبدرَىْ "هاشمٍ" ولَدَيْكَ ما ... مبقيهما ذكرا له بالداثرِ

---

(١) النكباء: الريح آنحرفت عن مهبّ الرياح . (٢) يشير الى عمرو بن معد يكرب وهو من شجعان العرب المشهورين بالبأس فى الجاهلية وقد أدرك الإسلام فأسلم ثم آرتدّ بعد وفاة النبىّ ثم أسلم وقد سأله عمر آبن الخطاب عن الحرب فقال : مرّةٌ المذاق ، اذا قَلَّصتْ عن ساق، من صبر فيها عُرف ، ومن ضَعُف عنها تلف ؛ وسأله عن السيف فقال : ثَمَّ قارعَتْك أمّك عن الثُّكل . (٣) يشير الى عامر بن مالك وهو أيضا من شجعان العرب المعدودين وكان يُسَمَّى "مُلاعب الأسنّة" وسُمِّى بذلك لقول أوس آبن حَجَر :

ولاعبَ أطرافَ الأسنّةِ "عامرٌ" ... فراحَ له حظُّ الكتيبة أجمعُ

(٤) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل وقد طاف بنا خاطر ونحن نصحح هذا البيت لابأس من إيراده وهو

وأُشارِكُ النُّوَّاحَ فيك بأنّنى ... فى الشعر فالتأبينُ نَوحُ الشاعرِ

إن لا يكونا نسـلَ ظهرِكَ فالذى نشراه بابنِ الظَّهر ليس بناشرِ (١)
وإذا الفتى ضعُفتْ مؤازرةُ ٱبنـه فى الأمر فابنُ الأختِ خيرُ مؤازرِ
أبواك وٱبنـاك الفخارُ بأسرِهِ والمجـــدُ يورَثُ كابرا عن كابرِ
لا تحسبَنَّ الموتَ راع حماهما فالسارقُ المغتـالُ غـــيرُ القاهرِ
أقسمتُ لو لحِقَاك قبـلَ وصوله ما كان بينهما عليـك بقادرِ
مَنْ مُبلِغٌ حيًّا يُجَمِّعُ عِزَّه (٢) غَرْبَىْ حُسامِ بنى "الحسين" الباترِ ،
صـبرا ، وإن فُرِكَ العـــزاءُ فإنّه (٣) كنزُ الثوابِ ذخيرةٌ للصـابرِ
هو حُكمُ عـــدلٍ لا يُرَدُّ وكان ما (٤) يَبِنُ القلوبَ لو ٱنه من جائرِ
حفِظَ العـلا لكما مشيَّدُ عرشها بكما فلا معمـورَ بعـــد العـامرِ
واذا جَرَتْ ريحُ الحوادث عاصفا فلتنحرِفْ عن ذا الحِضمِّ الزاخرِ
وكفَى حســودَكما الشقيَّ علاجُهُ غيظ الهجينِ من العتيقِ الضامرِ
لا غرَّنى منـــه السكوتُ فإنه خوفَ العقابِ سكينةٌ فى نافرِ

* * *

وٱتخذ بعضُ أصدقائه من أولاد الرؤساء الكُتَّاب فى داره بيتا للخَيش (٥) فى وسطه بركة مثمَّنةٌ، قد نُصبتْ فيها صَومعةٌ للحركات مُربَّعةٌ، لها أربعُ منائرَ مجوَّفةٌ فى جوانبها الأربعـة ، يتوسَّطُها عمودٌ عالٍ فى صورة الأسطوانة ، ينزل اليه الماءُ من حَوضٍ

(١) ناشر بمعنى منشور، وهذا البيت ورد فى الأصل هكذا

إن لا يكونا نسل طهرك فالذى نشراك يابن الطهـر ليس بناشر

(٢) هذا الصدر ورد فى الأصل هكذا

* من مبلغ حيلى يجمع غره *

(٣) فرك : كُرِهَ . (٤) فى الأصل "جابر" . (٥) قوله : للخيش أى لمروحة الخيش وهى نسيج كشراع السفينة ، يعلقها أهلُ العراق فى سقف البيت مبلولةً بالماء ، و يعملون لها حبلا يجذبونها به فيهبُّ منها نسيمٌ عليلٌ يُذهب أذَى الحرّ .

مُشرِف مرفوع بناؤه على سماء البيت ، مصوّب اليه بالحركات ، حتى اذا استقر الماءُ فى قرار البركة فاضَ منه ثمَّ من الأربعة الجوانب فيضا يعلو حتى يكادَ بفضل قوته يلحَقُ بسقف البيت ، وقد عُملتْ لها تماثيلُ من الصُّفْر(١) يُسمَّى كلُّ واحد منها باسم ، فتؤخذُ آلتُها فتركَّبُ على ذلك العمود الأوسط ، ثم تُدارُ بحركة من الحركات فترُشُّ الماءَ على سائر من يحويه البيتُ أو يقاربُهُ ؛ فمن التماثيل صورةٌ تُسمَّى "الخَرْكاة"(٢) ، اذا نُصبتْ وأديرتْ تَسَكَّلَ الماءُ عليها بشكل "الخَركاة" وبقى معلّقا لا يغيضُ ولا يسيلُ حتى تُقطعَ حركتُها ، ويوضع عليها من جوانبها الشموعُ اللِّطافُ المسرَّجةُ ، فتدور فيها من غير أن تطفئها ؛ ومنهنّ صورة تُسمَّى "العَروس" يُجعلُ لها ذلك العمودُ كالكرسىّ ، فتدور راقصةً عليه ، وتُوصِّلُ فى دورانها الماءَ الى رأسها بيدها ؛ ومنهنّ صورةٌ تُسمَّى "الجَمَل" على هيئته ، اذا نُصبتْ سارت مسيرَهُ بالماء (١٤٢)
المحرِّك لها ، ومنهنّ صورة سَمّوها "الطَّنْبَلَنْب"(٣) فى هيئة رجل ناشب ، اذا نُصبتْ وأريد بعضُ حاضرى البيت بالبلّل ، صوّبَ سهمهُ ذلك اليه فأصابه ، فكيفما هرول لينجُوَ منه كان الماءُ تابعا له ما دام فى عَرْصَة البيت ، ثم يخرج الماءُ من هذه البركة الى بُستان فى صحن الدار متناهٍ فى الحُسْن ، فيه صنوفُ النخل والسَّرْو وغير ذلك من الشجر وأنواع الرياحين والزَّهر ، ما يروق مثله ! وهواءُ هذا البيت مجلوبٌ من "بادَهَنْج"(٤) قد شُيِّد على سطحه مفتوح الجناحين لمهبّ الجَنوب والشَّمال ، فدخل

---

(١) الصُّفر : النحاس . (٢) الخركاة [كما ورد فى محيط المحيط] بالفارسية القبة التركية ويقال فى تعريبها : خَرْقاهَة ، وقد وردت فى شعر مهيار بالهمزة كما سيجىء . (٣) الناشب الذى يحمل النُّشّاب وهى السهام . (٤) البادهنج : المَنفَذُ الذى تجىء منه الريحُ ، وسماه بعضُهم "راووق النسيم" وقد قال فيه أبو الحسن الأنصارىّ

ونفحة "بادهنج" أسكرتنا ... وجدتُ لروحها بَرْدَ النعيم
صفا جَرْىُ الهوا فيه رقيقا ... فسمَّيناه "راووقَ النسيم"

مهيارُ رحمه الله على هذا الصديقِ ذات ليلةٍ، فسأله التعريجَ الى هـذا البيتِ والنظرَ الى عجائبه ففعل، ولما نُصبتْ التماثيلُ وجاءت النوبةُ الى المعروفِ "بالطنبلنب" رُكِّبَ نحوهُ وصُوِّبَ إليه فبلَّ ثيابَه، وكان فعلُه فى قلَّة نفعِ الفرارِ منه على ماقدّمناه؛ فعند ذلك سئل ذِكرَ البيتِ وما حواه ووصفَ الدارِ والبستانِ والبركةِ والبادهنج، فقال واصفا الحال بما يزيد حلاوةً، ويروق موضعُ الإصابة فيه عند مُشاهدةِ الموضع، وممازحا للرَّجُلِ بغرامة ما بلَّه من ثيابه

نديمى وما الناسُ إلا السُّكارَى ... أدِرْها ودعنى غـدًا والخُمـارا
من العجـزِ تركُ الفتى عاجلًا ... يَسُـرُّ لأمرٍ يُخافُ انتظارا
وعَطِّلْ كؤوسَـك إلا الكبيرَ ... تجِدْ للصـغيرِ أُناسا صِـغارا
وقـرِّبْ فـتًى مائةٍ[1] أو يزيـ ... ـدُ قد أكمَلَ الشيبَ إلا الوقارا
تُسِـرُّ المَسَـرَّةَ أحشـاؤه ... ويُـبْرِزُ للعينِ طِينا وَقَارا
لصونِ سـواه رأيتُ الغـلا ... مَ ينفُضُ عن كتِفَيْه[2] الغُبـارا
وذى مِـبزلٍ[3] كزنادِ المكبِّ ... يَقـدَحُ بالبَزْلِ منـه[4] شرارا
فسلَّ من النـارِ فى وجهه ... لسـانا، فأمسك فاهُ حِـذارا
وخادعَهُ عن خَلوقيَّـةٍ[5] ... تُذوِّبُ فى كأسها الجُلَّنـارا
جَنَتْ فقرَ شُرَّابِهـا المسلمين ... وأغنت "بغُمَّى"[6] اليهودَ التِّجارا
عَقرْنا البُـدورَ[7] لهم فى المهو ... رِ حـتى جلَوها علينا عُقارا
يطوف بهـا عاطـلُ المِعصَمَيْـ ... ـنِ يُلبِسُـهُ الجامُ منهـا سِوارا

(١) يريد بفتى مائة : الدِّنّ . (٢) فى الأصل "كفّيه" . (٣) المبزل : الحديدة التى يفتح بها الدنّ . (٤) قال القاموس : شِرار ككتّاب واحدته شرارة بكسر الشين وورد بهذا الضبط أيضا فى محيط المحيط وفى أقرب الموارد، وقال المرتضى : الصواب أنه كسحاب وهو ما تطاير من النار .
(٥) خلوقية : نسبةٌ الى الخَلوق وهو نوعٌ من الطِّيب . (٦) غُمّى : قرية من نواحى بغداد .
(٧) البدور جمع بَدْرة وهى الكيس يسع عشرة آلاف درهم .

شفيقٌ على الحبِّ من غيره ... اذا قلت: ما أحسن البدر غارا
ولا ومُقبَّـلِهِ ما فَـرَقْتُ ... أريقتُـه الخمـرُ أم ما أدارا
هنـيئا لِلَهْـوِيَ إنِّى خلعـ ... ـتُ حلمِى له وتركتُ الوقارا (١٤٣)
وصرتُ فتَى غَبَقاتِ(١) الملوكِ ... عشِيًّا ، أخا النشواتِ ٱبتكارا
ودادِيَ والدهرُ ما دامَ [دام](٢) ... وشـعرِيَ والنجمُ ما سارَ سارا
وفيحاءَ من دورهم(٣) زرتُهـا ... وأخلِقْ بها جَنَّةً أن تُزارا
تَلجلَجَ فى وصـفها المحـدَثون ... وحُدِّثَ "رِضوانُ" عنها فخارا
تعـرَّبَ قاسمُها عادلا ... نخطَّ وتحسـبه العينُ جارا
صُحُـونا طِوالا كما تقتضى ... شجـاعتُنا وخصـونا قِصـارا
وشَقَّ لبستانهـا عن ثَرًى ... اذا طلَع النبتُ فيـه أنارا
وقـد بتُّ(٤) فى ظلِّ شجـرانِهِ ... عُيونَ الأذَى رِقبَةً(٥) وٱستتارا
تخفَّـرَ(٦) منهـا بسـلوبةٍ ... سـوى ورَقٍ أُلحَفَتْـهُ(٧) إزارا
من الهِيفِ حين يجورُ النسيمُ ... على غصنها لا تُطيق ٱنتصارا
نحولٌ عَرَضْتُ له بالسِّمانِ ... وصُـغرَى تجنَّبتُ منهـا كِبارا
ومنشورةٍ سـتَرتْ نفسَـها ... نخاطت قميصا ولاثت خمـارا
وعزَّتْ فصانت سوى ساقها ... وما إن أباحتـه إلا ٱضطرارا
تُشـمِّر عنـه جلابيبَهـا ... لعـادته أن يخوضَ الغِمارا
فكادت تُواريه ضـنًّا به ... ومن حسنها أنّه لا يُوارَى

(١) غبقات جمع غَبْقة وهى شُرب العشىّ .
(٢) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل و يقتضيها السياق .
(٣) فى الأصل : " دونهم " .
(٤) فى الأصل " بات " ولا نفهنا تؤدى المعنى .
(٥) فى الأصـل " فيه " وهو تحريف .
(٦) تخفّر : ٱستجار ، وفى الأصـل " تحمّر " .
(٧) فى الأصل " ألحفته " .

تُشَكِّكُنى وهى طـوع الريا ح تَتْبَعُها يَمَنَـةً أو يَسَـارا
أتدنـو لتُسـعفَنى بالعِنـا ق فى مثلهـا أم تصدُّ آزورارا ؟
وتجلو عليـك بنـاتِ الفسيلِ (١) اذا كَسِتِ السَّـعَفاتُ الثِّمَـارا
غـدائرُ غيـدٍ يُضفِّرْنَهـا وتأبى عليهنّ إلا آنتشارا
جلبنا له الماء من شـاهقٍ (٢) جزانا بحسْبِ الصعود آنحدارا
وما سال حـتى أسلنـا الجُبَيْنَ ولا عَزَّ حـتى أهنَّا النُّضـارا
اذا ما تحـلَّق مسـتعليا تَعلَّقَ بالطبـع يبـغى الفـرارا
فثَـوِّرَ نَحْسـا اذا ما نطقنَ بأخبارِهِ خِلتَ نقعا مُثارا
اذا جادهنّ ثدَى جُـدْنَهُ وإن فـرَّ طِرْنَ إليه نِفارا
هوِينَ الأَمانةَ حـتى آجتهـد نَ ليقضينَهُ ماءَه المستعارا
تَروسُ (٣) عليهنّ فى وسْطِهِنّ كُبرَى تعـولُ بنـاتا صِـغارا
برزنَ يُخيِّلْنَ للناظرين صوامعَ من حولهـا أو مَنـارا
اذا سـدَّدتْ لطعانٍ قَنًّا (٤) حذفْنَ اليهـا نُصولا طِـرارا
حوتْهنّ معجـزةُ الآيتينِ تجـودُ الحيـا وتُمِـدُّ البحارا
فمن بين خَرْكاءَ مضروبةٍ على تلعـةٍ حَمَلْتهـا آغـترارا
تَـولَّى مَجَـاريهَـا فوقهـا من الماء سمحٌ كريمٌ نِجـارا
اذا ما أُديـرَ لهـا مرّةً لتُعجِبَ جادت فدارتْ مرارا
لهـا آيةٌ لم تكن قبلَهـا ولكن ظَهَرنا عليهـا آقتـدارا
ترى ظلَّهـا جامـدًا مائعا وتحمِـلُ ضدَّين ماءً ونارا

(١) الفسيل جمع فسيلة وهى الصـغيرة من النخل ويريد ببنات الفسيل النخل . (٢) الضمير فى "له" عائد الى البستان فى قوله * وشقَّ لبستانها عن ثرًى *
(٣) تَروسُ : تتبختر . (٤) فى الأصل "قنى" .

ومثلِ العروسِ "عروسٌ"[1] تُديمُ ... يداها على منكبيها الثّارا
اذا ما جَلَوها أبتْ حِشمةٌ ... بكرسيِّها أن تُطيق القَرارا
طلبنا لها الكُفءَ من قومها ... فعزَّ وكان سوى الكُفء عارا
فعدنا نزُرُّ[2] عليها السُّجوفَ ... فترضَى بها عفّةً وٱختفارا[3]
وكالظبي يُظلَم باسم الجمال ... فيطغَى إباءً ويُغضِي ٱغتفارا
ويُزبِدُ فوه لُغاما[4] اذا ... تفرق عن شَفَتيْه ٱستطارا
يسير رويّاً[5] اذا ما آغتدت ... كبودُ المطايا عِطاشا حِرارا
ولولا الذى فعلَ "الطِّنْبَلَنْبُ" ... لقد أنجدَ المدحُ فيه وغارا
ولكنّه خافرٌ للذما ... مِ جاورتُهُ فأساءَ الجوارا
بغانى فلم أبُجُ مع نَهْضَتى ... ورحبِ خِطاْئِي[6] منهُ فِرارا
رمانى فأصمَى بسهمٍ له ... يدور مع المتّقى كيفَ دارا
اذا هو فَوَّقهُ للثيا ... بِ ألقَى جروحا تُضِلُّ السِّبارا
فأردَى ردائى وجاءت اليـ ... ـك دُرَّاعتى[7] تبتغى منكَ ثارا
قتيلى لديكَ فلا تذهبنَّ ... عليكَ دماءُ ثيابى جُبارا[8]
وبيتٍ اذا الدهرُ ضامَ الشتاءَ ... تعوَّذَ منه به فاستجارا
صحبتُ[9] الخريفَ به فى المصيفِ ... وذكَّرنى الليلُ فيه النّهارا

(١٤٤)

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل و يقتضيها السياق لقوله فى النثر الذى تقدَّم وصفا لما قيلت بسببه هذه القصيدة : "ومنهن صورة تسمّى العروس" . (٢) فى الأصل "نريها" . (٣) فى الأصل "وٱحتقارا" . (٤) اللغام : زبد أفواه الإبل . (٥) فى الأصل "عوبا" . (٦) الخطاء جمع خطوة ، وقد ورد فى الأصل هكذا "ورحت خطاى" . (٧) الدُّرّاعة : جُبّة من صوف .
(٨) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا

فلى بدمك فلا تذهبن * عليك وما سأى حبارا

(٩) فى الأصل "صبحتُ" .

وأهـــدَى الهواءَ له ناشـــرٌ ... جناحيْن لو حَمَـلاه لطارا
تنصَّتَ للـــريح مستفهما ... بأذْنيْن لا يحملان السِّرارا
اذا عَـــبَرَتْ مطلَقاتُ الريا ... ح يسلُكْنه ظِلْنَ فيه أَسارى
فتلفِظُ منها السُّمومُ[1] الشّـــرارَ ... ويُلقى الينا النسيمُ الحِبارا[2]
غرائبُ روَّضتَ يا آبن الكرام ... برأيك منها الشَّموسَ النَّوارا[3]
وباهلتَ بالأرض فيهـا السما ... ءَ فأعـترفت نجلا وآنحصـارا
وقبَّحتَ فى جنبِ تحسـينها[4] ... بأعين أربابهن الديارا
فلو "صاحبُ السَّدِّ"[5] لاحت له ... تبيَّن فيما بنـاه العَـــوارا
وقيستْ "لكسرَى" بإيوانه ... قَلاَهُ ولم يُعطَ عنهـا آصطبارا
أرتـــك بدائعَهـا هِمّـــةٌ ... تُهينُ عليـك العظـيمَ آحتقارا
وفضْـــلٌ يُجلِّيكَ[6] يومَ الرِّها ... نِ مَنْ لا يُبِـدُّ[7] ومَنْ لا يُجارَى
فأُقسِمُ بالله لو أنصـــفو ... ك قِسْما وردُّوا الىَّ الخيـارا
لمـا كنتُ أرضَى لك الخافقيْـ ... ـن مُلكا ولا جَنَّةَ الخُلد دارا

وأنفذ اليه أبو القاسم سعدُ بن الكافى الأوحد هدّيةً مقترنةً بهديَّةٍ من أبيه، وكتابا يعتذرُ فيه من التقصير عمّا فى نفسه من قضاء حقّه، فكتب اليه

بُلِّغتْ صبرا فقـالت : ما الخبرْ ... قلتُ : قلبٌ سِيمَ ذُلًّا فنفـــرْ
لا تعـــودى فى هَوًى ظالمـــةً ... ربّمـا عاد بحـــلمٍ فانتصرْ

(١) السُّموم جمع سَمٍّ وهو الثقب . (٢) الحِبار : الأثر . (٣) الشموس النوار : الممتنعة النافرة . (٤) فى الأصل "تحصيلها" ولو راعينا التحريف لعلها تكون تحصينها . (٥) فى الأصل "البيد" . (٦) فى الأصل هكذا "وفصل تحلك" . (٧) فى الأصل "يندّ" .

نظرةٌ أعرضتُ عنها أعقبتْ غضبا آذنَ للقلب النظرْ
أرهفتْ سيفيْن فى أجفانها كلَّ مَنْ غرًّا يبتْ على غَرَرْ (١)
أقسمتْ مَن جَرَحاه لا برا، (٢) يا طبيبى متْ ودائى فى الحَوَرْ
أرسلتْ ليلةَ صدّتْ طيفَها ناظرا أين رقادى من سَهَرْ
قال : حيّانى ، فقالت : نائما طرفُه؟ قال : نعم ، قالت : غَدَرْ
يا هَوَى حسناءَ! ما شئتَ لها من فؤادى ، غيرَ ذلٍّ وخَوَرْ
رُبَّ يومٍ باهلتْنى بالصِّبا وصَغارٌ عندها حظُّ الكِبَرْ
وتنكّبتُ (٣) مُدِلًّا وَفْرةً (٤) نَشَرَ العنبرَ عنها مَنْ ضَفَرْ
فرأت شَيْبا فقالت : غُيِّرتْ قلتُ : ما كلُّ شبابٍ فى الشَّعَرْ
غُيِّرت بيضاءَ فى سودائها قلتُ : مهلا! آيةُ الليلِ القمرْ
ما لغزلانٍ تصافينى الهوى ما آستطاعتْ وأُجازيها الكَدَرْ (٥)
أنِستْ إذ يئستْ من قَنَصى فآستوى ما قرَّ منها ونفَرْ
وهل "الزَّوراء" إلا وطنٌ يخدعُ الشوقَ وفى أخرى الوطَرْ؟
يا نداماىَ بها النِّسيانُ لى ولكم منِّى حِفاظى والذِّكَرْ
كلَّ يومٍ أنا أبكى منكُمُ صاحبا بالأمس بقّانى ومَرْ
إنّ فى "الرَّىِّ" و"سعدٍ" عِوضًا كلّما قايستُ طابَ وكَثُرْ
سوف أنجو راكبا إحسانَهُ كلُّ مركوبٍ سوى ذاك خَطَرْ
ساريا أجنُبُ كُبْرَى هِممى أطلبُ المرعَى لها حيثُ المطَرْ
خاب من رام المعالى حاضرا والأمانى فى كَفالاتِ السَّفَرْ

(١) هكذا بالأصل ، وعلى هذه الصورة يكون قد دخل على هذا الشطر "الكفُّ" وهو واقعٌ فى كلمة "عَلَى" والكفُّ حذفُ السابع الساكن وهو عيبٌ . (٢) يريد لا برأ . (٣) تنكّبتُ : ألقيتُ على مَنكِبى وهو مجتمَع رأس الكتف والعضد . (٤) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس . (٥) فى الأصل "وإجارتها" .

ما الغِـنَى والمجـدُ إن زرتَ فتًى ذا تـاهٍ وهـــو ناءٍ لم يُزَرْ؟
لا تباعـــدْهُ الليـالى إنّه أملٌ بين "جُمادَى" و"صفَرْ"
بأبى الســاق وبالغيثِ صـدًى والفتَى الحلوَ الجنَى والشُّهدُ مُرّ
عَلَّمْتُ أعـــداؤه أمـــوالَه (١) لَمَمًا (٢) يمنعها أن تَســتقِرّ
يافعٌ مكتهلٌ من حلمـــه للصِّبا السنُّ وللرأى (٣) الكِبَرْ
يا أبا "القاسمِ" (٤) صـابتْ (٥) نِعمةٌ لك لم يعـدُ بهـا الغيثُ الزَّهَرْ
لم أزلْ أصـــبرُ علما أنه أبدا يُعقِبُ خيرا من صَبَرْ
ناظـــرا عادَكُمُ (٦) فى مثلها جَنَّـــةً لى من عذابٍ منتظَرْ
كان جُرحا جائفا (٧) فاندملتْ قرحـــةٌ منـــه وكَسرٌ فجُـــبِرْ
يا ملوكَ "الرِّىِّ" هـــل داركم الـ ـأرضُ طُرًّا أم تعولون البَشَرْ؟
وَسِعَ النـاسَ جميعا جـــودُكم فاستوى من غابَ عنكم وحَضَرْ
واصلَتْ شاعرَهم نُعمَى لكم لم تدعْ مفحَمَهم حتّى شَـــعَرْ
حلِّ (٨) يا "سعدَ العلا" بهماءَها (٩) من قَبولٍ بحُجولٍ وغُرَرْ
واجعلُ لى أُخرَى على الكافى متى آحْـ ـتشمتْ منـــه حيـاءً وخَفَرْ
عرفَتْ منَّكَ فيما قبلَها فأتتْ واثقـــةً تقفـــو الأثَرْ
حاجـــةٌ تمّتْ ووافَى حظُّها حين نبَّهتُ لها منك "عُمَرْ" (١٠)

(١) اللم : الجنون . (٢) فى الأصل "تمنعها" . (٣) فى الأصل "والرأى" .
(٤) فى الأصل هكذا "ياباقسم" . (٥) صابت : مطرت . (٦) عاد جمع عادة .
(٧) جائفا : بالغا الجوف . (٨) فى الأصل "خلّ" . (٩) البهماء : السوداء .
(١٠) لعلّه يشير بذلك الى قول بشار بن برد مادحا عُمَر بن العلاء :
اذا دهمتك عظائمُ الأمور * فنبِّهْ لها عُمَـــرا ثمّ نَمْ
وفى رواية : اذا أيقظتك حروبُ العدا * فنبِّـهْ لها عُمَـــرا ثمّ نَمْ

❖

وكان فخرُ الملك ليلةَ أنشدَه القصيدةَ اللاميّة التى أوّلُها

* أروم الوفاءَ الصعبَ بالطلبِ السهلِ *

خلع عليه خلعةً نفيسةً، وأتحفه ببعض ما فى مجلسه من التحايا والألطاف، ثم وصل فخرُ الملك الى حضرة أمير المؤمنين القادر بالله رِضوانُ الله عليه مستخرِجا خلعةً ولواءً للملك سلطان الدولة، فقُدِّم وأُكرِمَ وبلغَ من التميز الى غايةٍ لم يُدركها أحدٌ من نظرائه، ونُوِّه باسمه فى الخطاب والتلقيب، وقُلِّد سيفا مُحلًّى بذهبٍ تشريفا له، فقال يَذكرُ ذلك، ويهنّئه بمكان المِنحةِ، ويَذكُر ما أتاه اليه، ويشكره عليه، ويسأل مُعاوَدة الرسم فيه، وأنشدها فى يوم المهرجان

فَكاكُك أيّها القلبُ الأسيرُ ... غدًا، لوقال حادى الركبِ: سِيرُوا

عسى الأظعانُ تُطلِعُ إن أثاروا ... هلالًا كان تكفُره الخدورُ

وإن أخذوك أنتَ وخلّفونى ... فسِرْ معَهم فذاك لهم يَسيرُ

تَعلّقْهم عساهم أن يُذِمُّوا[1] ... عليك من الصبابة أو يُجيروا

لِمَن شَدَنيّةٌ[2] سبقتْ عِجالًا ... فما تدرى أتقصِدُ أم[3] تجورُ؟

يخوض الليلَ سائقُها أنيسا ... بآيةِ: لاحَ بين يديه نورُ

وكيف يَخاف تيهَ الليلِ رَكبٌ ... تَطلّعُ من هوادجه البدورُ

يناجزُ فى الوَداعِ معاتباتٍ ... لهنَّ كبودُنا وانا الزفيرُ

أكنتَ معى بعينٍ أم بقلبٍ ... "برامةَ" والعيونُ إلىَّ صُورُ[4]؟

---

(١) أن يذموا عليك: أن يأخذوا عليك الذمّة. (٢) الشدنيّة: الناقة المنسوبة الى موضع باليمن أو الى فحل من كرام الإبل. (٣) فى الأصل "أو". (٤) صور: مائلة.

غداةَ أقولُ — وٱبتهجتْ جِباهٌ[1] — عطفنَ علىّ وٱبتسمت ثغورُ — :
أَمَا من قُبلةٍ فى الله؟ قالوا: متى حَلَّتْ لشاربها الخمورُ؟
وقارَكَ وٱلتفتْ تَرهُنَّ بيضًا، كَبِرتَ! فقلتُ: مسكينُ الكبيرُ
ألَا يا صاحبىَّ تمليَّانى، أطاعَ إِبائى[2] وٱعتدلَ النُّفورُ
أرى كبدى وقد بَردتْ قليلا، أمات الهمُّ أم عاش السرورُ؟
أم الأيامُ خافتنى لأنّى "بفخر الملك" منها أستجيرُ؟
ذرانى، عاد إملاحى سيرًا ويُقعِمُ[3] بعد ما نضب الغديرُ
طغَى أملى وطال قصيرُ باعى ويَنْمِى الشىءُ أوّلُه حقيرُ
ولا تتعجّبا من خِصب رَبْعى فربعى بعضُ ما جاد الوزيرُ
ولكن بإباءه[4] عن لسانى فإنّى حين أَعجِزُ أستشيرُ
ظهورُك آيةٌ لله صحّتْ بها الأديانُ وٱشتفت الصدورُ
وزالت شُبهةُ المرتاب[5] فى أن تُكشَّفَ عن ضمائرها القبورُ
رآك وميّتُ الآمال حىٌّ بجودك والندَى الأعمى بصيرُ
فآمنَ "بالمسيح" وآيتيه وأَنْ نشأتْ من الطّين الطُّيورُ
وأيقنَ أن "موسى" شقَّ بحرا بأن شُقَّت بكفّيك البحورُ[6]
ولمّا أن أتيتَ على فتورٍ وبابُ ضلالة الأمم الفتورُ[7]،
وأبصرَ قبلك الماضين مَرُّوا ولمّا تنتظمْ بهم الأمورُ،

(١٤٦)

(١) فى الأصل "حياة". (٢) يريد إبائى. (٣) فى الأصل "نضت".
(٤) فى الأصل "بانعاه". (٥) فى الأصل "المرتات". (٦) يشير بذلك الى قوله تعالى (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِى). (٧) يشير بذلك الى قوله تعالى (فَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ).

صبا "لمحمّدٍ" وأطاع فيه ... وقال : الرُّسْلُ خيرهم الأخيرُ
أقول بمعجزاتك لا غُلُوًّا ... وكاتمُ نعمةِ المعطى كَفورُ
إذا الأسماء أُلزمتِ المعانى ... فأنت الحقُّ والوزراءُ زورُ
رأيناهم وكلُّهُمُ شُكولٌ ... مُصلِّيهم(١) لسابقهم نظيرُ
بكَ آنتصر الملوكُ [وأنتَ(٢)] فيما ... دَعوْك لنصره نِعمَ النصيرُ
فأنت الليلةُ القَمراءُ بانت ... على الأخَواتِ واليومُ المطيرُ
حميتَ كبيرَهم إذ حُمَّ وقتٌ ... تحوطُ به وقد كَبِرَ(٣) الكبيرُ
وماتت دولةٌ فأقمتَ أخرَى ... فلا موتٌ عصاك ولا نشورُ
وباشرتَ الخلافةَ فاطمأنَّتْ ... على أمرٍ ومطلبُه عسيرُ
ويومَ(٤) العهدِ والوافى قليلٌ ... أطاعك مِنبراها والسريرُ
ألينَ عليك مُعجَمُها المُعاصِى ... وخَفَّ اليك مجلسُها الوقورُ
درَى "الفهرىُّ" حين أسفَّ قومٌ ... وطِرتَ بأىّ قادمةٍ تطيرُ
رآك بهَدْيِهِ فجزاك خيرا ... وقد يتفرَّسُ الرجلُ البصيرُ
وأعطاك التى نشزتْ(٥) قديما ... وإن هى أُغليتْ فيها المهورُ
وأفرشك الكرامةَ لم يدُسْها ... جبانٌ(٦) فى الملوك ولا جسورُ
مقالا فى آصطفائك وآعتقادا ... يُحيلُ على اللسان به الضميرُ
وقلَّد سيفَه بيدَيْه سيفا ... طويلُ نجادِهِ عنه قصيرُ
حساما كان "للمنصور" حِصنا ... ولم يك للدينة بعدُ سورُ

(١) المُصَلِّى : الجواد يأتى فى الحلبة ثانيا . (٢) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجّحناها ليستقيم بها المعنى والوزن . (٣) كبر : أسنَّ وهرم وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

حميت كبيرهم أو حمّ وقتٌ ... تحوط أو كبر الكبيرُ

(٤) هذه الكلمة فى الأصل "يو". (٥) فى الأصل "نشرت" . (٦) فى الأصل "جنان".

وصـاحَبَ بعـده الخلفاءُ تِرْبا رفيقا حين يجلِسُ أو يثورُ
تـــذلُّ له المنـابرُ يرتقيهـا وتألفُـــه المناكبُ والمجورُ
وما كفؤٌ له لولاك كفؤا ولكنّ الذُّكورَ لها الذُّكورُ
أميرُ المؤمنـينَ يقول : خـــذْهُ فإنّـــك فى تقـــلُّده الأمـــيرُ
ولو عَقلتْ "عُقَيْلٌ" شاورتنى فكنتُ برأيِ ناصحها أشـيرُ
فررتِ مكانَ لم تَجِـدى ثباتا ، ويقتُـلُ ذِكرَهُ البطلُ الفَرورُ
إذنْ فترحزحى عن دارِ مُلْكٍ لغـيرِك ضَرعُهـا ولكِ الدُّرورُ
أغرَّك "بالجزيرةِ" ما أغرنا ! نظارِ(١) فقـربَ ما ٱرتجع المغـيرُ
فـلا تتـوهَّمى بالشـرِّ لينـا فقـــد يتألَّقُ النَّصـلُ الطـريرُ
تخطَّتْها ـ وإن وسعتْكَ ـ مَرعًى فكم دارٍ تُبـيرُ(٢) كما تُمـيرُ(٣)
ويَقطَعُ عُضوَه المرءُ ٱضـطرارا وإن أَلِفَتْ مَنابتَهـا الشُّـعورُ
سمعتَ بشائرَ الظفَـرِ ٱستمعْ لى أُعِـدْ خبَرا وأنت به خبـيرُ
أنا المولى صنعتَ اليـــه نُعمَى أخى فيهـا حســودٌ أو غيورُ
جذبتَ من القُنوع بهـا ذراعى فطارت دون أخمَصِىَ النسـورُ
نفائسُ لم ينلْهنَّ ٱقـتراحُ الـ ـمُنَى فيما تُسَـدِّى أو تُثـيرُ(٤)
بَرَدْتَ عـلى الزمان بهـا فؤادى وكان عليـه مِرجلُه يفورُ
وها هى نالت الأيّامُ منهـا فجـدِّدْ ، أَخلَقَ الظِّلَ الدُّثورُ
يزور المهرجانُ برسم قـومٍ ولى رسمٌ يشـوق ولا يزورُ
وقوم يكرمون على الأَسَامِى فتُزْجَى المُجْبُ عنهـم والسـتورُ

(١) نظار كقطام بمعنى ٱنتظرى . (٢) تُبـــير : تُهلك . (٣) تُمـــير : تُطعم .
(٤) تُثير : تُلحم .

يقول الشعرُ ـ إن حضروا وغبنا ـ فدى الغُيَّاب (١) ما قال الحُضورُ
يكرِّرُ غابرٌ (٢) ما قال ماضٍ وقِدْمًا أخلقَ المعنَى الكُرُورُ (١٤٧)
وأحلَى القولِ أسلمُه منالا فما هذى الشقاشقُ والهديرُ
تطبَّعتِ القرائحُ واطمأنَّتْ فلمْ يتكفئونك يا صبورُ
بهذا الحكمُ (٣) حين تحالباها نقائضَ (٤) حاز زُبدتَها "جريرُ"

* * *

واتصلتْ من مجد المعالى مؤيّد الملك رحمه الله مقاماتٌ فى وصفه، وأفعالٌ جميلةٌ فى الثناء عليه، ومعاضدةٌ على بعض الناس ممن اعتمد أذيَّتَه، وعنايةٌ حاضرةٌ وغائبةٌ بشئونه يُؤثِر بعضُها من مثله ويُكبِر، وما زال مؤثِرا على قديم الوقت لأن يخصَّه بشىء من شعرٍ، موافقا لما يبعثه على ذلك، فقال يشكره ويهنّئه بعيد الفطر، ويُعرِّض بذكر الرجُل الذى آذاه، وأعانه عليه

ينام على الغدر من لا يَغارُ ولا يُظلَم الحرُّ فيه انتصارُ
علَىَّ لعينى اختيارُ الحبيبِ وإن خاننى فإلىَّ الخيارُ
ملكتُ فؤادى على "بابلٍ" وعقَّ أخاه الفؤادُ المُعارُ
وفيمن سمحتُ به للخُمو ل أبيضُ ليلٍ سُراه نهارُ
اذا شكرتْ حُقبُه (٥) خصرَه تظلَّم من مِعضَميْه السِّوارُ

---

(١) فى الأصل "قدا". (٢) الغابر: الحاضر والماضى وهو من الأضداد والمراد به هنا الحاضر. (٣) يريد: بهذا كان الحكم. ويريد بالتثنية فى "تحالباها" جريرا والفرزدق وكلاهما من كبار الشعراء فى دولة بنى أمية وكانا يتهاجيان وقد وُضع فى أهاجيهما كتابٌ اسمه "نقائض جرير والفرزدق".
(٤) النقائض جمع نقيضة وهى أن يقول شاعر شعرا فينقض عليه شاعر آخر حتى يجىء بغير ما قال، فيقال هذه القصيدة نقيضة تلك التى قالها فلان ومنه "كتاب نقائض جرير والفرزدق" المأثر ذكره وفى الأصل "نقائص". (٥) الحقب جمع حقاب وهو شىء تشدّه المرأة على وسطها وتعلّق به الحلى.

وبدرٌ وما عُـــدَّ من شهره ... ســـوى هجـره والتجنّى سِـــرارُ
تطلّـــعَ يُتبِعـــنى مقلتيـــ ... ـه مختمرا من حُلاه الخِمارُ
وكنتُ الحليمَ وفى مثلها ... تخِفُّ الحلومُ ويهفـو الوقارُ
أُحبُّ الجفاءَ عـــلى عـــزّةٍ ... ولا أحمل الوصلَ والوصـلُ عارُ
قَضيتَ وتهوَى، ويرضَى الفـتى ... بطيفٍ يزور وربع يُـــزارُ
وهبَّتْ تـــلوم عـــلى عفّـــتى ... وتحـــذر لو قد كفاها الحِذارُ
تقول : القناعـــةُ موتُ الفـتى ... اذا أُلِفتْ والحيـاةُ اليســارُ
وما الناسُ — لو أنصفتنى الحسا ... بَ — والأرضُ إلا صديقٌ ودارُ
وما آرتبتُ حـتى رأيتُ اليمي ... نَ تُعقَد فى الحقِّ عنها اليسـارُ
وتَطمعُ بالشـعر لى فى الغنى، ... متى نَصـح الطمعَ المستشـارُ؟
ولم تدرِ أنّ المساعى الطوا ... لَ آفتُهن الحظوظُ القِصـارُ
وما علمُ طبِّـك من علّتى ... وصـبرىَ والكرمُ الإصطبارُ
اذا لم يُبِنّ (١) أسًى أو أُسًى (٢) ... فكيف يَبِينُ غـنًى وآفتقارُ
خَـبَرتُ رجالا فما سرّنى ... عـلى الودّ ما كشفَ الإختبارُ (٣)
ولمّا غلِقتُ برهن الوفاء ... لهم تركونى "بنجدٍ" وغاروا
فلا يُبعـد اللهُ من ظلمهم ... أخلّاءَ حَصُّـوا جَناحى وطاروا
وجرّبتُ حظّى بمـدح الملوك ... مِرارا وكلّ جناهـا مُرارُ (٤)
وكم من مُقامٍ توقّـرتُ فيـ ... ـه طاروا له فرحا وآســتطاروا

(١) يبِنّ : يبِنْ، من قولهم : بَيَّنَ الصبح لذى عينين بمعنى بان . (٢) الأسى بالفتح : الحزن، والأسى بالضم جمع أُسوة وهو ما يتعزّى به الحزينُ . (٣) فى الأصل "الآختيار" . (٤) المرار : شجر مرٌّ اذا أكلته الإبل قلّصت شفاهُها .

وخفَّتْ مسامعُ هنَّ الجبالُ وجفَّتْ أناملُ هنَّ البحارُ
وأُخرَى ولم يأتِ نفعُها ويا ليت لم يأتِ منها ضرارُ
اذا ما دعوتُ "زعيمَ الكفا ةِ" أدركنى الماءُ والخطبُ نارُ
وقام لها ناهضَ المنكبيْن يُقاصُ عن قدَميْه الإزارُ
اذا خاض نَقْعَىْ حِمًى أو حِجًا تفرَّج عن حاجبيْه الغمارُ
كريمٌ تبرَّعَ بالنصر لى وبالخيل من دون نصرى ٱنتشارُ
أَبَى أن أضامَ وردَّ الفِرارَ (١) علىّ وأقصى سلاحى الفرارُ
بلا قَدَمٍ لتقاضاه لى فتُرعَى له ذمّةٌ أو ذِمارُ
بلى! فى التجانس حقٌّ جناه علىّ، وجارُك بالجنس جارُ
عجبتُ لباغىً أن أسترَقَّ "وكسرَى" أَبِى ولسانى "نِزارُ"
أرادَ لنقصٍ به بذلَهُ وربحَى فى بيع عِرضى خَسارُ
أمانٍ (٢) أصابت له فى سواى وخابت معى والأمانى قِمارُ (١٤٨)
دمُ الفضلِ ثارَ به أن يُطَلَّ فتًى لا ينام وللمجد ثارُ
تقولُ اذا الألسنُ المطلَقا تُ قيَّدها حَصَرٌ وٱنكسارُ
يُرَى فَوْرُهُ واصفا غَوْرَهُ وهل يصفُ النارَ إلا الشّرارُ
كفى الدولتين عناءُ "الحسيـ ـن" مَن يُستشارُ ومَن يُستجارُ
وقُلِّبتا واليه مصيـ ـرُ أمريْهما وعليه المَدارُ
وقمتَ ودون المَقام الحميد مزالقُ يصعُبُ فيها القَرارُ
وقبلكَ قد جرَّبوا وٱجتَنَوا وبعدَك وانتصحوا وٱستشاروا
وحلَّوا بسياك مَن جرَّدو ه لو قُطِعتْ بالحُلِىِّ الشِّفارُ

(١) فى الأصل "القزار". (٢) فى الأصل "أما إن".

فـــذاك مُدِلٌّ عـــلى عجـــزه يُـــؤمِّرُ وهـــو عِيالٌ يُمـــارُ
طريرُ العِيانِ صدىُّ اللســانِ خُطَا لفظِـهِ خطأٌ أو عِثارُ
اذا نشر الكِبرُ أعطافَـــه طوت بشرَه الغَـــرَماتُ(١) الصِّغارُ
لثـــوب الرياســـةِ ضيقٌ عليـ ـه مع وُسْـعِ أثـوابِه وٱنشمارُ
غريبٌ اذا أنت فيهـا ٱنتسبـ ـتَ أدلَى به نسبٌ مســـتعارُ
جزتك عن المُلك يومَ الجـزاء وعن فخـره يومَ يُجزَى الفخارُ،
غوادٍ من الحمـدِ والإعترافِ غوارفُ من كلِّ عذبٍ غِزارُ
تجـــودك(٢) نَعماءَ تزكو النفـو سُ(٣) فيهـا وتَغْـنَى عليهـا الديارُ
وعـــنّى ســـوائرُ إما تحـــطُّ الرّ واةُ وقاطنـــةٌ حيث ســـاروا
عـذَارَى يُحلِّى لهنَّ الجمـالُ ويُخلِعُ فى حبِّهنّ العـــذارُ
يُخَيَّـــلُ ما نشرَتْ من علاك عيابا(٤) مـــتى نشرتْهـا التِّجارُ
اذا حَـــبَّرتْ أمّهاتُ القـــريـ ـض أخبـارَها وبنـــوه الكبارُ،
تمنَّـــوا بجهـدِهِـــمُ عفـــوَها على ما سَبَوا غيرَهـــم أو أغاروا
يُقـــرُّ لمجـــدك إكثارُهـا بما(٥) سـلفتْ أنّه الإقتصـارُ
فإن شفَع العبـــدُ فى مذنبٍ نجت وجروحُ الأمانى جُبارُ(٦)
وإن بلَغ الشكرُ حـقَّ ٱمرئٍ فغايتُهـا مَعَـــك الإنتصـارُ

---

(١) الغرمات جمع غرمة وهى المرة من الغَرْم . (٢) فى الأصل "بجودك" . (٣) فى الأصل "النوس" . (٤) عياب جمع عيبة وهى ما توضع فيها الثياب . (٥) فى الأصل "ما" .
(٦) جبار : هدر وفى الأصـل "حبار" وهو تحريف .

* * *

وبلَغهُ عن أبى منصور بن ما سرجيس عتابٌ جميلٌ، وذكرٌ طيّبٌ، وتشوُّقٌ شديدٌ، وتشوُّفٌ الى الوقوف على شيء من شعره، فراسله يسأل ذلك دفعاتٍ، ويخطبُ ودَّه، ويرغبُ اليه فى غِشيانِه، فأحبَّ أن يكونَ أولُ ما يفسح به المودّةَ أمرا يخصُّه، فكتب اليه هذه القصيدةَ، وأنفذها يوم فِصح النصارَى بعد الخجل وتكرُّر الرغبة

شوارِدُ حظٍّ لا يَقِرُّ نَفُورُها ... ورِبقةُ همٍّ لا يُفكُّ أسيرُها
وصحبةُ أيّام تُعَدُّ حظوظُها ... قِصارا اذا عُدَّتْ طِوالا شهورُها
ونزعٌ بأطماعٍ ضعافٍ تمدُّها ... أمانىٌّ لم يَقبَلْ يمينا مُعيرُها
أمرُّ على عَمیائها أستدلُّها ... وآوِى الى بَلهائها أستشيرُها
بوارقُ ما للعين إلا وميضُها ... ولا للثرى العطشانِ إلا غُرورُها
تعجَّبُ من صبرى وعندى خَلوبُها ... ومُصعِقُها وعند غيرى مَطيرُها
أجِدَّك لم يأنس فمى بثديِّها ... فأسئلُ عن أخلافها ما دُرورُها
وجاذبتها ثم آستمرّ ضرورةً ... مَريرِى (١) على ما ساءنى ومَريرُها
كأنّى اذا لم أقضِ منها لُبانةً ... وقد نضَبتْ أوطارُها ونُذورُها،
وأنّى ترانى أغسلُ الدمَ موجَعا ... أو العارَ فآعلم ثَمَّ أنى عقيرُها
عطاءٌ على التقتير إلا غديرةً ... تزاحَمَ حول الأربعين (٢) قَتيرُها
غرابيبُ (٣) من لون الشبيبةِ وُقَّعٌ ... أسَفُّ (٤) من الأيّام بازٍ يُطيرُها

(١) المرير: الحبل اذا أحكم فتله وآشتد و يقال: استمرّ مريره أى آستحكم عزمه. (٢) القتير: الشيب أو أوّل ما يظهر منه. (٣) غرابيب: سود، وهو وصف لموصوف محذوف يراد به الغربان على جرى عادة العرب فى تشبيه الشيب. (٤) أسفّ: دنا فى طيرانه من الارض حتى كادت رجلاه تصيبانها.

تُقسِّى القلوبَ بعدها وحشةٌ لها كأنَّ قلوبَ الغانيات وُكورُها
تُرِى بوجوهٍ أنها بجمالها تصيدُ وما الأشراكُ إلا شعورُها
(١٤٩) أجاور فى شيبى عيونا قويّةً على جِزَلِ الشَّيبِ المغالطِ حُورُها
وكلّ بياضٍ فضلةٌ لا يليقُها اذا لم يكن إلا السواد يَضيرُها
سلا جمراتِ البين بى : كيف دُستُها يوقَّدُ بالأنفاس تحتى سعيرُها
حملتُ بقلبى منهمُ وهو حَبَّةٌ ومن عِيسهم ما لا تُقِلُّ ظهورُها
تلفتُّ بالأظعانِ رَفعا ومَهبِطا تعوَّجُ لى أو تستقيمُ سطورُها
بعشواءَ من فرطِ البكاء كأنما تواعدَ نارُ الحىِّ بَيْنًا ونورُها (١)
وفيمن نكِرتُ الحلمَ من جزَعٍ له صبورُ مقاماتِ الوداع شكورُها
اذا أفحمتنى قولةٌ فصُحتْ (٢) له وأقتلُ ألفاظِ الإناثِ ذُكورُها
يدير كئوسا مُرَّةً من لحاظه وفى فيه أُخرَى حُلوةٌ لا يُديرُها
من العربيّاتِ الكرائمِ درّةٌ تُخاض اليها من "تميم" بحورُها
تلوم أمشاعى فى القناعة جالسا فهل ثورةٌ تُرضِى المَعالى أثورُها ؟
وأوحدنى كالترين وعفَّ بى فسادُ مودّاتٍ أرَى وفجورُها
وأبناءُ عَلّاتٍ (٣) أخوها غنيُّها الـ ـريحُ ومولاها الهجينُ فقيرُها
وجوهٌ يصفِّيها النفاقُ وتحتَها بطائنُ من غِشٍّ يشِفُّ (٤) كُدورُها
أضمُّ القوافى لى تنىءُ عليهمُ وليس وراء الحِدر إلا نُفورُها
وأوحشها ممَّن تُقلِّدُ أنه سواءٌ حصاها عنده وشذورُها
وأن قياما بالفِناء لدَودِها أعزُّ اذا لم يَرعَ خِصبا مسيرُها

(١) مرجع الضمير فيه قوله عشواء فى أول البيت . (٢) فى الأصل "فضحت" . (٣) أبناء العَلّات هم بنو أمّهات شتّى وأبٍ واحد ، الواحد : عَلّة . (٤) فى الأصل "يسف" .

أفي نُصرة الأعرابِ من حسدٍ لها؟ ومنهم بواديها ومنهم حُضورُها !
وفي قومها من "فارسٍ" للسانها عدوٌّ، فسل في "قيصرٍ" مَن نصيرُها
لعلَّ غلامًا أدَّبَ الملكُ رأيَهُ تنطُّ(١) بـه أرحامُها فيُجيرُها
وما ضرَّ في غير "الكُفاةِ" ٱرتخاصُها(٢) اذا ما غلَت عند "ٱبن عيسى" مهورُها
اذا ما دعتْ أفضى اليه ٱفتراعُها فكان فتاها مَن أبوه وزيرُها
سعى للمعالي سعيَها وهو يافعٌ وأكبرُها من ساد وهو صغيرُها
وهيبَ وما طَرَّتْ خميلةُ وجهه وأولى النصولِ أن يُهابَ طريرُها
أراك وما أسديتَ بعدُ صنيعةً يقول الرضا عنها ويَشهَدُ زُورُها
تَخالَفُ أقوالٌ عليك ٱتفاقُها وتكثُرُ أوصافٌ اليك مصيرُها
لقد فخر النادى أبٌ عَدَلَ ٱبنَهُ اذا خاف نجلاتِ الرجالِ فخورُها
وفي شطَطِ الآمالِ فيك لنفسه وأكثرُ آمالِ النفوسِ غُرورُها
لمدَّ على العلياء منك فنالها يدًا يذرعُ(٣) الرمحَ الطويلَ قصيرُها
لكُم وفضةُ(٤) الآراءِ تبتَدِهونها(٥) فتُصمِى(٦) اذا الآراءُ أشوَى(٧) فَطيرُها(٨)
وما وهنتْ فيما تُقلِّبُ دولةٌ وأنتم لها إلا وفيكم(٩) جُبورُها(١٠)
لقد علمتْ كيف ٱطرادُ نظامها ليالِيَ إذ تُلقَى اليكم أمورُها
اذا ذُكرتْ أسماؤكم هشَّ تاجُها لأيّامه منكم وحنَّ سريرُها

(١) تنط : ترقّ وتحنّ . (٢) فى الأصل "تحاصها" . (٣) يذرع : يقيس بالذراع ، وفى الأصل "يدرع" . (٤) الوفضة : المرّة من الوفض وهو العدْو والإسراع . (٥) تبتدهونها : تقولونها على البديهة . (٦) تصمى : تصيب المقتل . (٧) أشوى : أصاب شواه لا مقتله . (٨) الفطير : الرأى الذى يبدو من غير تروٍّ ومنه "إياك والرأىَ الفطير" . (٩) فى الأصل "الا فيكم" . (١٠) الجبور : جبر العظم .

حلفتُ بما يحى الخـير أحلَّه ... ويوقدُ مما قـــلَّدتْهُ ضُـفورُها(١)،
رَعَوها الربيعَ فالربيعَ وعطَّنـــوا(٢) ... عليها الى أن ضاق عنهـا سيورُها(٣)،
تسـاقُ الشهورَ والليـالى هـديَّةً ... الى ساعةٍ تُوفَى "بجَمْـعٍ" أُجورُها،
"ببطحاء" لو ما أنبتَ الدمُ روضةً ... لروَّضَ من جارى طُلاها(٤) صخورُها،
لقد سرَّ سمعى ما ٱستطاع مخـبِّرى ... بودِّك، والأخبـارُ تَزْدَرُّ سرورُها
سلاما ووصفـا وٱشتياقا بغَيبـةٍ(٥) ... ذكتْ لوعتى منهـا وشبَّ زفيرُها
فإنّك للآداب والـــودِّ خاطبٌ ... بشـيرُ العلا فيما خَطبتَ بشـيرُها
فقل: كيف تنبو روضةٌ غاضَ برهةً ... جدَا المـاءِ عنها ثم فاضَ غديرُها؟
محاسنُ أيقظتَ العلا فى طلابهـا ... فقـد(٦) نام هاديهـا وقام ضريرُها
فليتك — إن كان المبلِّغ صادقا — ... أجابك عفـوا سهلُهـا وعسيرُها
فتحتُ لك الأبوابَ عنها وقد أَبَى ... زماناً(٧) حفيظـاها وحُصِّنَ سُورُها
لئن كانت "الزَّبَّاءَ"(٨) عِزًّا ومَنْعَـةً ... فأنت لها من غير جَدْعٍ "قصيرُها"

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصـل هكذا: والظاهر من السياق أنه يريد أن يُقسِمَ بالبُدْن التى تُهـدَى وقد حاولنا تصحيحه وتصحيفه على وجوه شتى فلم نوفَّق الى ما يرضى الذوق الأدبىّ فأثبتناه كما هو حرصا على أمانة النقـل. (٢) عطَّنوا: اتخذوا لهـا العطَنَ وهو المناخ. (٣) سيورها: جلودها. (٤) الطُّلَى: الأعناق. (٥) فى الأصل هكذا "بعسه" ومنه بدلا من منها. (٦) فى الأصل "فقل". (٧) حفيظاها: حارساها. (٨) الزباء: ملكة الجزيرة وكان "جذيمة الأبرش" قد وترها بقتل أبيها فغررته وأرته أنها تريد الزواج به فلما قدم عليها قتلته وكان "قصير" من أهل الرأى والحجا عند "جذيمة" ومن ثقاته فذهب الى "عمرو بن عدىّ" وطلب منه أن يثأر لخاله من "الزبّاء" وٱحتال على ذلك "قصير" بأن جدع أنفه وخرج كأنه هارب من "عمرو بن عدىّ" حتى قدم عليها، فلما سألته عن سبب جدع أنفـه قال لهـا: زعم "عمرو بن عدىّ" أنى غرَرتُ خالَه وغششتُه ومالأتُكِ على قتله فصدَّقته وأكرمته، وما زال بها حتى هيّأ "لعمرو" الفرصة فسار اليها برجاله فلما رأته وعلمت أنها لا محالة هالكة مصَّت خاتمـا فى يدها به سُمٌّ وقالت: بيدى لا بيد عمرو؛ وقصتها طويلة.

ولولا الوداد ما بَرزنَ سوافحا وقد برَزتْ بالغانيات خدورُها
ولا عاقها فى عَرضِها (١) لمعاشرٍ معارفَها عُجْمُ البصائرِ عُورُها
اذا اتسعتْ أيمانُها لعطيّةٍ وراجعت الأخلاقَ ضاقت صدورُها
ولكنّها نفسٌ يطاعُ صديقُها على حُكمها فيها ويُعصى (٢) أميرُها
تَمَلَّ بها لا طيبَ نشرٍ يفوتها اذا لومستْ ولا جمالَ يبورُها
أزورُ بها دُورَ الملوك طليعةً تردد لىَ الأخلاقَ ثم أزورها
وفَسِّحْ لها فى زينة الفِصْحِ (٣) موضعا تقوم به، نُتْلَى عليك عُشورُها
ونَزِّلْ وأبوك العزَّ ما حنَّ فاقدٌ وقام على السَّبْعِ الطِّباقِ مديرُها
وأوفَى بها شُعثٌ لكم يُدرسونها "مزاميرَ" يستوفى اللُّحونَ "زَبورُها"
مُكبِّين للأذقانِ يحتضنونها يصانُ عن الصفح العنيفِ سُفورُها
تفوتكمُ بالسمع، والعينُ ما رأتْ ودلَّ على ما فى القلوب نذيرُها
فأُقسمُ لو قُضَّتْ (٤) ضلوعىَ بعدها لما ألتأمتْ إلا عليكم فُطورُها (٥)

(١٥٠)

* * *

وكتب اليه مؤيّد السلطان ذو المجد بن زين الكُفاة بن الصاحب الأوحد ذى السياستين أبى محمد بن مُكرم وهو مؤمَّرٌ على عُمانَ وأعمالِ البحر، يذكر أيّامَ مصاحبته إيّاه فى الصِّبا، ويتشوَّقُ قربَهُ، ويصفُ استيحاشَه لمكانه، ويحثُّه على زيارته، ويرغِّبه فى فوائد الإلمام به، ومنافع غشيانِه، فأجابه عن كتابه نثرا بما اشتمل على وصف العذر فى التأخّر والارتفاع لسلوك البحر، وقَرَنَ الكتابَ بهذه القصيدة يمدحه، ويعرِّض بذكر إنسانٍ عتَبَهُ على الموذّة، وقصده بالأذيّة من أهله، ويذمُّ اليه بعضَ من ببغداد من مدبِّرى الأمور، ويصف السفينةَ البحريّةَ وأنفذها اليه

(١) فى الأصل "تعرضها". (٢) فى الأصل "وبعض". (٣) فى الأصل هكذا "ربة الفسح". (٤) فى الأصل "فضت". (٥) فطور جمع فَطْر وهو الشَّقّ.

بين "النقا" "فَتَنِيَّةِ الحِجْرِ" سمـراءُ تُرقَبُ بالقنا السُّمرِ
رصفَتْ قلائدَها بما سفكتْ من فيضِ دمعٍ أودمٍ هَـدْرِ
ماشئتِ من حَبِّ القلوب أوالـ ـأجفان فى بيضٍ وفى حُمـرِ
نزلَتْ "مِنًى" "أُولَى ثلاثِ "مِنًى" فقضت نحيزة ليلة النَّفْـرِ
وجلَتْ لأربع عشرة قمـرا والشهـرُ ما أوفَى على العَشْرِ
تَرمِى الجمارَ وبين أضلعنا غرضٌ لها ترميه بالجمـرِ
من لى على عَطْلَى بغانيةٍ شبَّتْ وشِبْتُ وعمرُها عُمرى
لم تَنـوِ فى قَسَمٍ تحلَّتَـهُ إلا اذا حلفتْ على الهَجـرِ
قالت وليمت فى ضنا جسدى: طَـرْفى علَى إسقامه عُذرى
واستُسقِيَتْ لظَمَاى ريقتَها فاستشهدتْ بالآى فى الخمـرِ
وتقـول للعـذّالِ مُغضَبةً: شيَّبتُـه من حيثُ لا يدرى
قبَّلتُ عصيانًا عوارضـه عمدا فأعدى شَعرَهُ تَغـرى

* * *

وأَخٍ مع السرّاء من عُـدَدِى وعلىّ فى الضـرَّاء والشـرِّ
تطوِى حشـاه عـلى تبسُّمِه أضلاعَ مُشرجةٍ(١) على الغِمـرِ(٢)
مولاى والأحداثُ مغمَـدةٌ فاذا انتُضِينَ فَرَى كما تَفْـرى
تَعِبٌ بحفظ هَنـاتِ.مَيسَرتى حتى يعـدِّدَهـا على العُسرِ
الدهرُ ألْيَنُ منـه لى كنفـا لو كان يتركنى مـع الدهرِ
ومغيِّم المعـروف يخـدعنى إيمـاضُ واضحتيـه بالبِشرِ
سكَنَ اليفاعَ(٣) وشبَّ مَوقِـدَه نارا يغُـرُّبها ولا يَقْـرى
ذى فطنـةٍ فى الشكر راغبـةٍ وغبـاوةٍ بجوالب الشكرِ

(١) مشرجة : مضمومة . (٢) الغمر : الحقد والغلّ . (٣) اليفاع : نقيض الحضيض .

فاذا مدحتُ مدحتُ ماطرةً ... واذا عصرتُ عصرتُ من صخرِ
لا طاب نفسًا بالنـوالِ ولا ... مَخَضَ المودةَ زُبدةَ الصَّـدرِ
وأرادنى من غـير ثروتِهِ ... أن أستكينَ لذلَّة الفقـرِ
ينجو بعـرضى أن يضـام له ... عَرْضُ الفلاةِ[1] وغضبةُ الحُـرِّ
وتنجُّـزُ الأيّام ما وعـدتْ ... فى مثـله وعواقبُ الصـبرِ (١٥١)
"ومؤيّد السلطان" عاليـةً ... يَدُه بتأبيـدى وفى نصرى
لو شئتُ فُتُّ سُرَى النجوم به ... وخَفِيتُ[2] عن ألحاظها الزُّهرِ
ولبلَّغتْنِى المجـدَ سابحـةٌ ... بالظَّهرِ[3] ليست من بنى الظهرِ
ترتاح للضَّحضاح[4] خائضـةً ... [وتكُدُّ[5]] بالمتعـمِّقِ الغَمـرِ
تجـرى الرياح على مشيئتهـا[6] ... فتُخالُ طائرةً بمـا تجـرى
واذا شراعاها لهـا نُشُـرَا[7] ... خفقَتْ بقادمتيْن من نَسْرِ
فى جانبٍ لينٌ يُدَفِّعُهـا ... وخِطـارُها فى جانبٍ وَعْرِ
يحـدو المطىَّ الزاجرون له ... وتسـاقُ بالتهليـل والذِّكْرِ
من لى بقلبٍ فوقها ذَكَـرٍ ... مُصْغٍ لعـذلى تابعٍ أمرى
قالوا : الشجاعـةَ ! إنّه غَـرَرٌ ... متقاربُ الميقاتِ والقـدْرِ

---

(١) فى الأصل "الفلاء" . (٢) فى الأصل "حفيت" . (٣) يريد وصف السفينة بأنها تسبح بظهرها وهو جِرمُها الذى فى الماء، وأنها ليست من الإبل ذوات الظهر (٤) الضحضاح : الماء القريب القعر . (٥) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجّحناها لأنزان البيت أولا ولإتمام المعنى بها ثانيا . (٦) فى الأصل "مشيتها" . (٧) فى الأصل "نشر" وفيه نظر الى قول مسلم بن الوليد فى وصف السفينة

اذا أقبلت راعت بقُنَّة قَرْهبٍ * وإن أدبرتْ راقت بقادمتَىْ نَسرِ

قوله : بقنة قرهب أى برأس ثوروحشىّ مسنّ ، ويراد بقوادم النسر المقاذيف .

يومان فى لُجٍّ فإن فَضُـــلا بزيادةٍ فبليـــلة العِـــبْرِ (١)
هيهـات منّى ساحلٌ يَئِسٌ والبحرُ يُفضى بى الى البحـــرِ
القصـــدُ والمقصودُ من شَـبَهٌ فى الجـود أو حدٌّ من الغَـزْرِ (٢)
ما أنَّ (٣) إلا أنَّ ذا أجِنٌ مِلْحٌ وذاك زلالةُ القَطْـــرِ
جارَى الملوكَ فبـــذَّهم ملك سبق القـوارحَ فى سِنِى مُهـرِ
وأَرَى بنى الستين عجـــزَهُمُ فى الرأى وهو آبنُ اثنَتَىْ عَشْرِ
لا طارفُ النعماءِ مـــتزعجٌ فيهـا ولا مستحدثُ الفخـرِ
من وارثى العلياء ما آغتصبوا مجـــدا ولا ملكوه بالقهـــرِ
أرباب بيتِ مكارمٍ عقـدوا أطنـابَه بأوائـــل الدهرِ
ضربوا على الدُّوَل آستهـامَهمُ (٤) وتقاسمـــوا بالنَّهْى والأمرِ
فى كلّ أفقٍ منهُـــمُ عَـــلَمٌ مَرعَى العفاةِ وسَـــدَّةُ الثَّغْـــرِ
أبناء "مُكْرَمَ" وهى مَعرِفةٌ (٥) نصروا آسمهـا بإهانة الوفـــرِ
قَطَنـوا وسار عطاؤهم شَبَهـا (٦) بالبحـر قامَ ومُلْكُه يســـرى
فى كلّ دارٍ من مواهبهـــم أثرُ الحيـا فى البـــلدة القفـرِ
وملكتَ ياذا المجـد غايتَهم، (٧) ما للبهـامِ فضـــيلة الغُـــرِّ
زيَّدتَهـــم شرفا وبعضُهـــمُ لأبيه مثـلُ الواوِ فى "عمرو"
ســـدُّوا بك الغاراتِ منفردا فملأتَ صفَّ الجحفـلِ (٨) الجَجْرِ
ودجا ظـــلامُ الرأى بينهُـــمُ فوضَحتَ فيـه بطلعةِ الفجـرِ

(١) العبر : الساحل والحافة . (٢) الغزر : كثرة الدَّرِّ . (٣) ما أنّ : ما هاج وما ثار حتّى أشبه صوته الأنين ويريد البحر . (٤) الآستهام : الآقتراع . (٥) فى الأصل "فطنوا" . (٦) يُلْكه مثلّثةً : ماؤه وفى الأصل "ملكنه" . (٧) البهام : السود . (٨) الجحفل المجر : الجيش الكثير .

وأبوك يومَ "البصرةِ" اعترفت ... قِمَمُ العدا لسيوفه النُّكرِ
ألقى عصًا من عزمةٍ بَتَرَتْ[١] ... آياتُها حدَّ الظُّبا البُتُرِ[٢]
لقَفَتْ على "الكَرَجيِّ" ما أفكتْ ... كفَّاه من كيدٍ ومن مَكْرِ
فمضى يخيِّر نفسَه خَوَرا ... ذلَّيْن من قَتْلٍ ومن أسرِ
يجدُ الفرارَ أحبَّ عاجلةً ... لو كُفَّ غربُ الموتِ بالفَرِّ
ورأت "عُمانُ" وأهلُها بك ما ... أغنى الفقيرَ وأمّنَ المُثرى
صارت بجودك وهى موحشةٌ ... أُنسَ الوفودِ وقِبلةَ السَّفْرِ
يفديك مبتهجٌ بنعمته ... أسيانُ[٣] فى المعروف والبِرِّ
ألهاه طيبُ المالِ يُحرِزُه ... عن طِيبِ ما أحرزتَ من ذِكْرِ
يبغى عِثارَك وهو فى تعبٍ ... كالليلِ طالبُ عثرةِ البدرِ
قد قلتُ لما عقَّ: دع مِدَحى ... زينُ "الكفاةِ" أبرُّ بالشِّعرِ
أُتركْ مقاماتِ العلاء له ... متأخِّرا فالصدرُ للصدرِ
يا نازحا ورجاءُ نعمتِه ... منّى مكانَ السِّحرِ[٤] والنَّحرِ
هل أنت قاضٍ فىَّ نذرَك لى؟ ... فلقد قضت فيك المنى نذرى
أيّامَ لى وحدى الوفاءُ وكـ ... ـلّ الناس من نَكْثٍ ومن غَدرِ
وأرى نداك اليومَ فى نفرٍ ... لم يُشرَكوا فى ذلك العصرِ
أُردد يدى ملأى وحاش لمن ... يعتامُ جودَك من يدٍ صِفْرِ
وأعطفْ علىَّ كما صددتَ أَذُقْ[٥] ... طعميك من حُلوٍ ومن مُرِّ (١٥٢)
والبسْ من النعماء سابغةً ... لا تَذَّريها[٦] أسهمُ الدهرِ

(١) بترت: قطعت. (٢) البتر جمع أبتر وهو القاطع من السيوف. (٣) الأسيان: الحزين.
(٤) السحر: الرئة. (٥) فى الأصل "بما". (٦) لا تذريها: لا تجعلها غرضا لها.

تَعمَى النـــوائبُ عن تأمُّلها ... وتُطيلُ فيها نَومـــةَ السُّكرِ
مهما تَعُـــدْ[1] خَلَقًا بِجِدَّتها ... تـــزداد بالتقليبِ والنشـــرِ
وآسمـــعْ أَزُرْكَ بكلّ مالئةٍ ... عينَ الضجيع خريدةٍ بِكْرِ
نَسْجُ القريحـــةِ ثوبُ زينتها ... وحُلِيُّهـــا من صـــنعة الفكرِ
من سحر "بابلَ" نفثُ عُقدَتها[2] ... سارٍ و"بابلُ" منبِتُ السِّحرِ
وكأنما ســـاقَ التِّجارُ بها ... لك من "مُحَارٍ"[3] لطيمةَ العطرِ
تُمسى لهـــا الآذانُ آذنـــةً ... ولو أنهنّ حُجِـــبنَ بالوَقْـــرِ[4]
حتى أراك وأخمصاك معـــا ... قُرطانِ "للعَيّوق"[5] و"النَّسرِ"
هذى الهَـــدِىُّ[6] على جَلْوَتِها ... وعليكم الإنصـــافُ فى المَهـــرِ

* * *

وكتب الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى النيروز

لعـــلَّ لها مع النَّسرين[7] سِـــرًّا ... فدعهـــا طائراتٍ أن تَمُـــرَّا
ركائب واثقين من الأمانى ... وأظهُـــرِها بمـــا قتلتـــه خُبْرا
تـــلوح خواطفـــا فتظُنُّ أمرًا ... بهـــا فى الســـير وهى تُريد أمرا
ســـواءٌ عنـــد أعينهـــا سِرارا[8] ... قطعنَ الشهرَ أو سارين بـــدرا
ولولا أن يخضن مع الدرارى ... سوادَ الليـــل لم يُخْلَقْنَ[9] حُمـــرا
يُحَطُّ المَيْسُ[10] منهـــا عن جُنـــوبٍ ... محلَّقـــةٍ وكنَّ رحَلنَ شُـــعرا[11]

(١) فى الأصل "بعد" . (٢) فى الأصل "نفت" . (٣) مُحار: قصبةُ عمان وهى بلد مشهور بخيراته وطيب هوائه وكثرة أسواقه ؛ واللطيمة : العِيرُ تحمل الطيب . (٤) الوقر : الصمم . (٥) العيوق والنسر : اسما كوكبين . (٦) فى الأصل "هادى" ، والهـــدىّ : العروس . (٧) النسران : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الواقع وللآخر النسر الطائر . (٨) السرار : ليالى آخر الشهر . (٩) فى الأصل "يحلقن" . (١٠) الميس : الرحل . (١١) شُعرا جمع شَعراء وهى الكثيرة الشعر على بدنها .

اذا أرسلنَ فى الحاجات خَطْبًا[1] حَبَوْنَكَ ثيبًا منها وبِكرا
يَكُنَّ الى فَوارِكِها[2] شفيعًا يُقِرُّ نِفارَها ويكُنَّ مَهْرا
وراءَ العزّ نطلبُهُ فإما وصلنا أو بلغنا فيه عُذرا
وماء تُحبَسُ[3] الأنفاسُ منه وتُستشرى[4] به اللَّهَواتُ حَرًّا
وردت مع القطا الكُدرىِّ منه أَجُوفَ[5] من بقايا الصَّيف كَدْرا[6]
أسيغُ شرابهُ المكروهَ حلوا اذا قايستُه بالذلِّ مُرًّا
وبيتِ قِرًى تشرَّف ساكنوه يَفاعا يَقسِرون العيشَ قَسْرا
نزلتُ به وفيه غِنًى لقوم وسرتُ بجودهم وتركتُ فَقرا
وكالمُهَراتِ فى فَتَياتِ حىٍّ حَكَيْنَ رماحَه خَطَرنَ سُمرا
يُردن الخيرَ إلا أنَّ قولا يُظنُّ المستريبَ بهنَّ شَرًّا
خلوتُ بنومهنَّ فلم أوسِّدْ يدى جنبًا ولا جنبىَّ نُكْرا
ورحتُ وقد ملأتُ الودَّ عينًا بما أودعتُها وملأتُ صدرا
وقافيةٍ على الراوى لَجوجٍ خدعتُ نِفارَها حتى اسْتَقَرَّا
تموتُ بموتِ قائلها القوافى وتبقَى لى وللدوحِ ذِكْرا
فصُحتُ "لِيعرُبٍ" فيها كأنّى عَجُمتُ "ببابِلٍ" فنَفَثْتُ سِحْرا
طلبتُ لها من الفتيان فَذًّا[7] يكون لعِقدها المنظومِ نَحرا
فلم يَعْدُ "ابنَ أيّوبَ" اختيارى وقد عمَّقتُ فى ذا الناسِ سَبْرا

---

(١) خطبا : مخطوبة . (٢) الفوارك جمع فاركة وهى المبغضة زوجها . (٣) فى الأصل "يحبس" . (٤) تستشرى : تُفسَد بما يصيبها ، من قولهم : استشرَى البعيرُ عرًّا أى فسد جلده بما أصابه من الجرب . (٥) الأجون : الماء المتغير . (٦) الكدر : الذى فيه كدرة مثل أكدر وكَدِر . (٧) فى الاصل "قدا" .

وما طـوّفت فى الآفاق إلا ... وجـدتُك أنتَ أينَ طلبتُ حُرّا
جَنَبتُ بك الهـوى كهلا كأنى ... جنبتُ يدى الشبابَ المسبكرّا (١)
وعلّقتُ المـودّةَ منك كفّى ... على زلقٍ متينِ الفتـلِ شَزْرا (٢)
دعوتُك والحـوادثُ ذاهبـاتٌ ... بسرج تصـوُّنى طردا وطَـرّا (٣)
وقد طَلَقَتْ بنـاتُ الصـبرِ منّى ... كأنى لم أكن للصّـبر صِهرا
فكنتَ أخى هوًى وأَبى حُنُـوًّا ... ونفسى نُصـرةً وبُنىً بِـرّا
حملتَ حمـالةَ الأيّامِ عـنّى ... قُلُوصا (٤) فكّنى منها وكَرّا
مغارمُ أَشكَلَتْ، أقضَيْتَ حتّى ال ... مودّةِ أم قضَيْتَ بهنّ نَذْرا؟
أشرتُ الى يديك فصُبتَ (٥) عفـوًا ... وقد أتعبت أيدى المزن غَفْـرا
ولما ثَلَّمتْ منّى الليالى ... أريتُك خَـلّةً فسـددتَ عَشْرا
مَكارمُ لم تُسـابَقْ فى مـداها ... وقد حرَصَتْ عليها الريحُ حَصْرا
وأخـلاقٌ صفت من كلِّ غِشٍّ ... سكرتُ بها وما عوطيتُ خمـرا
ملكتَ حسابَها إرثا حـلالا ... فصرنَ لديك حقًّا مسـتَقرّا
أباً فأباً من الأعـلام فيها ... نعـدّهُمُ اليك هـلمَّ جـرّا
لَعَمْرُ الحاسـديك، وهـل يُبَقّى ... لهم حَسَـدُ الكمالِ عليك عَمْـرا؟
لقـد ليموا بما نقمـوا وإنى ... لأوسعُهم بما حسـدوك عُذرا
أقِلْنى العجـزَ إن قَصَّرتُ وصفا ... لما أوليتَ أو قَصَّرتُ شكرا
فإنّ علىّ جَهْـدَ الفكرِ قـولا ... وليس علىَّ عنـد الغيثِ قَطْـرا

(١) المسبكر : التام المعتدل . (٢) الشزر : فتل الحبـل عن اليسار وهو أحكم لفتله .
(٣) السرح : المال السائم، وفى الأصل "بشرح" . (٤) القلوص : الوثب . (٥) صبت من صاب المطر يصوب بمعنى انصبّ ونزل، وفى الأصل "قضيت" .

على أنّ القـوافى الغُـرَّ عنى كوافلُ بالذى أَرضَى وسَرَّا
تروح عليك أو تغـدو التهانى بهنّ حـوافلَ الأخـلافِ غُزْرا
اذا مَطَرَتْ ترى الأحسابَ بيضا بما يُثنِينَ والأعراضَ خُضْرا
كأن لطيمـةً منها أُنيخَتْ ببابك، فارتدعْ[1] ما شئتَ عِطـرا
تعـدّ الدهرَ نيروزا وعيـدا وصـوما راجعا أبدا وفِطـرا
فتصحَبُـه بأنفذَ منـه أمرا على الدنيا وأطولَ فيـه عُمرا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى النيروز

هل عند ريح الصَّبا من "رامةٍ" خبرُ أم طاب أن صاب روضاتِ اللّوى المطرُ؟
علامةٌ لك من "أم الوليد" أتت تعـلو الرياحُ بها والمزن تنحـدرُ
كأنّ ما هبَّ عِطـرياً مجاسِـدُها[2] منفوضـةً وكأنّ البـارقَ الأُشُرُ[3]
هـوًى ترامت به الأيّام تُبعـدُه وقرَّبتْـه لك الآياتُ والذِّكَرُ
ونازلٌ "باللوى" يسليك صـورتَهُ تيهُ الطريق و ينسيك آسمَـهُ الحذَرُ
سرى الى الشرق مشتاقا وما فُقِـدتْ عينٌ له "بلوى خبتٍ"[4] ولا أَثَرُ
يُحشِّمُ البـدرَ أن يشقَى برؤيتـه ويلبَسُ الليـلَ زوَّارا فيعتكِرُ
ما آستوطن البيـدَ لولا أنه رشأٌ وما آمتطى الليـلَ لولا أنه قمـرُ
يا مِنّـةً للكرى لولا حلاوتُها ما ذُمَّ – وهو وفاءٌ فى الهوى – السهرُ
مدَّ الظلامُ بهـا قبـلَ الصباح يدا بيضاءَ بانَ بهـا من أمسـه السحَرُ

---

(١) يقال : آرتدع بالطيب بمعنى تضمَّخ .
(٢) المجاسد جمع مِجسد وهو القميص يلى الجسدَ .
(٣) الأُشُر : حدّة ورقّة فى أطراف الأسنان .
(٤) لوى خبت : آسم موضع ، وفى الأصل "خبث" وهو تحريف .

فى الضـاربين على "البَلْقـاءِ" باديةً ... يَسبِى لهـا الحرَّ من أبنائه الحَضَرُ
تُصبِى الأحاديثُ عنهـا وهى نازحـةٌ ... والسـمعُ يعلَق ما لا يعلَق البصرُ
سمراءُ غارتْ عليهـا — وهى تُشبهها[1] ... فى القدّ واللون — تحميها القنا السُّمُرُ
تَلِينُ خَلْقًا ويجفـو خُلْقُها فكأنْ ... فى جسمها المـاءِ[2] أُلْقِى قلبُهـا الحَجَـرُ
"سعديّة" تدّعِى أن الوفاءَ لهـا ... من صُلب "حاجبَ" حبلٌ[3] ليس ينبتر
فـما لها وفـؤادى فى خِفارتهـا ... والشـوقُ يرعاه ظلمـا ليس ينتصرُ
لوشاء بعـدُ جِوارِى وهو مطّـرِحٌ ... من شاء، قال: "التميميّون" قد غدروا
ما أنكرتْ "أمُّ خير" وهى معرضة ... أغيرَ أنْ لونتْ من لِمّتى الغـيَرُ؟!
وَفى الصِّبَا للهـوَى[4] إذ كان حالفه ... لا يُحلَقُ الحبُّ حتى يُحلَقَ الشَّـعَرُ
أرى المنى بعـدُ تُملِى لى سـوالفَها ... وفى المشيب الذى آستقبلتُ مزدجَرُ
أشتاق حاجاتِىَ الأولَى وتجـذبنى ... الى آتبـاع النُّهى حاجاتِىَ الأُخَـرُ
ما أشرفَ الحـلمَ لولا ثِقل محمـلِه ... وأجـلَ الصمتَ لولا قولهم: حَصَرُ
وما أعزَّ الفـتى فى ظلِّ عفّتـه ... لو شُـوور الحزمُ أو لو صحّت الفِكَرُ
ما لكَ[5] فى الحرص إلا فضـلُ ذلّتِه ... والرزقُ يفعل فيـه ما آشتهى القـدَرُ
خُلْقانِ فى هـذه الدنيـا مُعاسرةٌ ... ما طولبتْ، وبها إن تورِكت يُسُرُ
قنعتُ منهـا بما بلّ الصـدَى كِبَرًا ... من همّتى ظنَّ قـومٌ أنه صِـغَرُ
أسوِّفُ العيشَ حسنَ الظنِّ أجـبُرُه ... على فسادٍ وجَـبْرُ الظنِّ منكسرُ
مرقِّعا بالمنَى أرجـو غدا فغـدا ... تأتى الحظوظُ وحظّى بعـدُ منتظَرُ
رضًا بنفسِىَ أو ودِّ آمرئ ثِقـةٍ ... أغنَى به، وغنًى المـالِ مفتقِـرُ

(١) فى الأصل "نشب". (٢) يريد فى جسمها الذى هو كالماء. (٣) ينبتر: ينقطع، وفى الأصل "ينتشر". (٤) فى الأصل "إن". (٥) دخل الطىّ على هذه الكلمة وهو حذف الرابع الساكن وقد كرر كثيرا فى هذه القصيدة.

وإن مدحتُ ففخرٌ[1] لا أعابُ به ... ولا يكذِّبُ إخبارى به الخُبُرُ
اذا غلوتُ بقولٍ فيه لم ترنى ... الى المروءة فيما قلتُ أعتذرُ
حدِّثْ بفضلِ بنى "عبدِ الرحيم" وما ... طابوا على قِدَمِ الدنيا وما كثُروا
وٱستشهد الصُّحُفَ الأولى بما نقلت[2] ... عنهم وما قصَّت الآثارُ والسِّيَرُ
المكتفين اذا غابوا بشُهرتهم ... عن الشهادة والكافين ما حضَروا
أبناء ذِروة هذا الملك قد فرَعوا ... سَنامَه يطلبون النجمَ ما ٱنحدروا
تملَّكوا قَربَ[3] الدنيا وشرعتَها ... لا يَردُ الناسُ إلا كلَّ ما صدَروا
لا تستخفُّهم الأحداثُ إن طرقت ... عن الحُلومِ ولا يُطغيهم البطَرُ
اذا بلوتَ تُقاهم أو بصائرَهم ... فى نعمةٍ شَكَروا أو نكبةٍ صبَروا
تكلَّموا وأرمُ[4] الناطقون لهم ... لا يؤمَرون ولا يُعصَوْن إن أمَروا
يُدعَون فى السنواتِ الشُّهبِ[5] جامدةً ... فيفعلون بها ما يفعلُ المطرُ
غاض الفُراتُ وضنَّ المزنُ وٱنبعثتْ ... فى المزنِ تُعصَرُ أيديهم فتنعصِرُ
لو ركَّبوا فى أعاليهم أناملَهم ... [يوم][6] الوغَى خُضِّرتْ أطرافُها الحُمُرُ
إن كنتَ فيمن طواه البينُ ممترياً ... منهم فعندك من منشورهم خَبَرُ
هذا "الحسينُ" حياةٌ خُلِّدتْ لهمُ ... ليسوا بأوّل موتًى بابنهم نُشروا
صَلَّى[7] فزادت على السُّبّاق حَلبتُه ... محلَّقُ العُرفِ جارٍ خطوُه حُضُرُ[8]
كالسهم أحرزَ ذكرا يومَ تُرسله ... لم يُعطِه أبواه القوسُ والوترُ
عُصارة فضلتْ فى الطِّيب طينتَها ... والخمرُ أطيبُ شىء منه يُعتصَرُ

(١) فى الأصل "فخز". (٢) فى الأصل "انقلبت". (٣) القرب: طلب الماء ليلا.
(٤) أرمّ: سكت. (٥) الشهب: البيض، و يكنى بالبياض عن الجدب والقحط. (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل. (٧) صلّى الجوادُ اذا جاء بعد الذى جلّى. (٨) الحُضُر: ٱرتفاع الفرس فى عَدْوه وقد ضُمّت الضاد للضرورة الشعريّة.

لا يعدَم "الصاحبَ" ابنُ الليل قوَّسهُ ... طـــولُ السُّرَى وتنقِّى[1] عظمَه السَّفرُ

فـــوَّزَ فى البيـــدِ لا ظـــلٌّ يَفىء له ... ظُهْـــرًا ولا يتّقيه من ندًى سَحَـــرُ

تَرمِى به غرضَ الأخطـارِ حاجتُهُ ... يحـــلو له الملحُ أو يصفو له الكَدِرُ

يُحِسُّ أو يـــتراءى[2] كلَّ مُخلِفَـــةٍ[3] ... لا سمعَ يَصـــدُقُه فيهـا ولا نظـــرُ

يَرَى سماوتَه[4] فى المـاءِ يُنكِرُها ... من طول ما اختلفتْ فى عينه الصُّوَرُ

حتى اذا ملَّت الأقـــدارُ شِقـــوتَه ... وحان من سعيه أن يُدرِكَ الظفـــرُ

آنَسَ من جوده نارا مبشـــرةً ... بـــبَرْدِ عيشته من حيثُ تستعـــرُ

فجـاء يقتافُهـا حتى أصاب قِـــرًى ... يأخذُ منـــه اشتطاطَ النفسِ أو يذَرُ

بينـا تكونُ البـــدورُ الطائفاتُ به ... ولائدا وتُذَكِّى للقِـــرَى البِـــدَرُ[5]

فلا خلا منـــه ربعُ الفضـــلِ يعمُرُه[6] ... بالمـال يُقسَمُ والأقـــوالِ تُدَّخَرُ

وبَيْضـــةِ الملكِ يحميهـا فما كَرِبَت[7] ... مـــذ قام يَشعَبُهـا بالرأى تنفطـــرُ

تيمَّنوا باسمـــه حتى لقـــد وثِقـــوا ... لو سار فى غير جيشٍ أنهـــم نُصِروا

طلقُ النقيبـــةِ لم يعقِـــل سعايته[8] ... عن مطلبٍ "رجبٌ" "يُخشَى" ولا "صَفَرُ"

غَرَّرَ فى العـــزِّ حتى نال غايتَـــهُ ... وجانبُ العزِّ مركوبٌ له الغَرَرُ

لو عِيبَ ما عابه شىءٌ يُزَنُّ[9] به ... من النقيصـــةِ إلا أنه بشـــرُ

حلا له الحمـــدُ حتى ما لَه ثمـــنٌ ... يغـــلو عليـــه وحتى مالُهُ هَـــدَرُ

---

(١) تنقّى : استخرج النِّقْىَ وهو المخّ . (٢) يتراءى بمعنى يرى ، وفى الأصل " تنزأ " .

(٣) المخلفة : السحابة تُطمِعُ فى النزول ثم تَنكُصُ عنه . (٤) سماوته : شخصه . (٥) يريد ذوات البدر جمع بَدرة وهى جلد السخلة . (٦) فى الأصل "يعموه" . (٧) كربت : يقال كرب يفعل أى كاد يفعل وهو من أفعال المقاربة ويكثر تجريد خبرها من أن ويقلّ اقترانه بها والمشهور فيها فتح الراء وتُقال كسرُها . (٨) فى الأصل "سعادته" . (٩) يزنّ به : يظنّ به أو يتّهم به .

لو وَهَبَ المرءُ يوما نفسَهُ سَرَفا ... لم يَهَبِ النفسَ إلا وهو مختصرُ
عَجِمتُ أيّامَ دهرى صعبةً بكُمُ ... فسالمتْنى وفى أيّامها خَوَرُ
وكان لى عندَ حظّى قبلَ ودِّكُمُ ... ثأرٌ فقمتُ بكم كالسيف أثّأرُ (١)
فلتأتينّكُمُ عنّى وبى أبدا ... غرائبٌ وهى فى أوطانها فِقَرُ (٢)
تسرى مراكبَ للأحساب، تعرِضُها ... على العيون شِيَاتٌ (٣) كلُّها غُرَرُ
اذا تحلّتْ فعناها قلائدُها ... ضار أو لفظُها أقراطُها (٤) الدُّرَرُ
ممّا ولَدتُ وإن خالفتُ منصبَها ... "كِسرَى" أبى وأبوها نسبةٌ "مُضَرُ"
تسرُّكم وتسوء الحاسدين لكم ... ونفعُ قومٍ لقومٍ غيرِهم ضَرَرُ
فى كلِّ يومٍ جديدِ العهد مبتكرٍ ... تسوقُها لكم الرَّوْحاتُ والبُكَرُ
لها بأحسابها طُولٌ وما قطَعتْ ... سَيْرا وفيها عن استحقاقكم قِصَرُ
وقد سمعتم سواها قابلين له ... فكيف يحلو لجانى النحلة (٥) الصَّبِرُ
وإن تشابهتِ الألفاظُ واتفقتْ ... فرُبَّ (٦) الجبل شكلا حيَّةٌ ذَكَرُ

* * *

وقال فى غرض له

١٥٥

ياليلةً ما رأتها أعينُ الغِيَرِ ... لم ينجُ لى قبلَها صفوٌ من الكَدَرِ
كأنها ساهمتنى فى السرور بما ... أولت فطالت، وعمرُ الليل فى القِصَرِ
يئست من صبحها حتى التفتُّ الى ... وجهِ العشاء أعزّيه عن السَّحَرِ
كم يوم سُخطٍ صفا لى منه ليلُ رضًا ... حتى وهبتُ ذُنوبَ الشمسِ للقمرِ

(١) أثّأر: أدرك ثأرى، وأصله أثتأر قُلبت التاء ثاءً. (٢) فِقَر جمع فقرة وهى العَلَم من جبل، ويريد بذلك أن قصائده أعلامٌ فى مواطنها. (٣) شيات جمع شية وهى العلامة. (٤) فى الأصل "قراطها". (٥) فى الأصل "النخلة". (٦) الرمة: القطعةُ من حبل بال.

***

وكتب الى حضرة مؤيّد الملك أبى علىّ الزنجبىّ فى المهرجان وهو بواسط، يمدحه وقد آستبطأ خدمته، وأنكر تأخّرها عنه، ويذكر وقوف أمره فى أشياء أنعم بترتيبها من معيشته خلفاءُ له، وتولّى إنشادَ هذه القصيدة أبو طالب بن أيّوب

تَغَرَّبْ فبالدار الحبيبةِ دارُ ... وفُكَّ المطايا فالمُناخُ إسارُ

ولا تسأل الأقدارَ عمّا تجرُّه ... مخافةَ هُلكٍ والسلامةُ عارُ

اذا لم يَسَعْها الأمنُ فى عُقر دارِها ... فخاطِرْ بها، إنّ العلاءَ خِطارُ

أرى إبِلى تَعصِى الحُداةَ كأنما ... بوازِلُها تحتَ الحبالِ بِكارُ

تَقامصُ من مسِّ الهوان جُنوبُها ... كأنّ الأذى طردٌ لها وعَوارُ

تَحَسَّى(١) القذَى المنزورَ من ماء أهلِها ... وتأبَى النميرَ العِدَّ وهو بحارُ(٢)

ومذ علمتْ أن الخَشاشةَ(٣) ذلّةٌ ... ففى خَطْمها من أن تُخَشَّ نِفارُ

لغيرى قِرَى ألبانِها ولحومِها ... ولاحقةٌ(٤) من أُدْمِها(٥) وحُوارُ(٦)

متى دبَّ ماءُ الضيم فيها فلم تَعُدْ ... مطىَّ قفارِ الأرض وهى قِفارُ

وإن لم تُناضِلْ من عقودِ نُسوعِها(٧) ... نصولٌ نَعَى سيبَ اللِّصابِ(٨) تَبارُ(٩)

ظِرابُ(١٠) الغضا من تحت أخفافها سَفًا(١١) ... يطيشُ وأحقافُ "الغويرِ" حِفارُ

---

(١) تحسّى محذوفة التاء الأولى بمعنى تشرب، وفى الأصل "تحاشى" ولا تتّفق والمعنى.
(٢) فى الأصل: "وهى". (٣) الخَشاشةُ: العود يوضع فى أنف البعير. (٤) اللاحقة: الناقة تقبل اللقاح، وفى الأصل "لاحقة". (٥) الأدم جمع أدماء، وهى التى فى لونها سمرة.
(٦) الحُوار: ولد الناقة من حين يرضع الى أن يُفطم. (٧) نسوع جمع نِسع وهو سَيْرٌ أو حبلٌ من أَدَم تشدّ به الرِّحال. (٨) اللِّصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى، ويقال: "أعذب من ماء اللصاب".
(٩) التَّبار: الهلاك. (١٠) ظِراب جمع ظَرِب وهو ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طَرَفُه، وفى الأصل "طراب". (١١) السفا: التراب الذى تسفيه الريح.

كأنّ السياطَ يَقتلِعنَ اذا هـوت ... سـفائنَ منها ، والسرابُ بِحـارُ
مُقامى على "الزَّوراء" وهى حبيبـةٌ ... مع الظُّلم غَبنٌ للعُـلا وخَسارُ
وكم حَلَّةٍ مجفـوَّةٍ ولها الهـوى ... وأُخرَى لها البغضـاءُ وهْى تُزارُ
وفى غيرها المجـدُ الذى كان مَرَّةً ... لها شرفٌ فى قُـربه ونفـارُ
اذا حَمَلَتْ أرضٌ ترابَ مـذلَّةٍ ... فليس عليها للكريم قَـرارُ
وكم عزمةٍ مرتاضةٍ قـد ركبتُها ... نهضْتُ بها الحاجاتِ وهْى غِمارُ
وذى سِـنَةٍ فجَّعتُ بالنوم عينَـه ... وأجفانُه عَطْفًا عليـه طَـوَارُ (١)
صَحَا لى وقد ناديتُ من سَكرةِ الكرى ... وقـد دار فى عينيْـه منـه عُقارُ
تحجَّزتُ أقصَى جوده وهـو كارهٌ ... ولم يك للمـولَى عـلىّ خِيارُ
وليلٍ أضافَ الصبحَ تحت جَناحه ... وحُصَّ فـلم يرفعْهُ عنـه مَطارُ
هجمتُ عليـه قادحا ببصـيرتى ... دُجاهُ، وليـلُ الزِّبرِقانِ (٢) نَهارُ
ومُشترِفٍ (٣) من العفـافِ أطلعتُـهُ (٤) ... وقـد نام واشٍ وآسـتقام نوارُ (٥)
فـلَم يَتَـوَصَّمْنِي وسَادُ عـلوتُه ... بعيبٍ ولم يَشْهَـدْ عـلىَّ إزارُ
وقافيةٍ أسهلتُ مجـرَى طريقها ... لها فى حُلوقِ القائلين عِثارُ
نُضـار من القـول الذى لم يُرَدْ به ... لُجَـيْنٌ ولم يوجد عليـه نُضـارُ
اذا ما آستبقْن الحسنَ يُبسطْن عن فمى ... شَرَدْنَ فـلم يُعـلَقْ لهن غُبـارُ (٦)
يعـيّرنى قـومٌ خلوٌّ مَعـاطنى ... وفيهـم رُغاءٌ (٧) ما آشتَهَـوا ونُعـارُ (٨)

---

(١) الطَّوار: ما كان على حَدّ الشيء أو بحذائه. (٢) الزبرقان : البدر. (٣) المشترف : المكان يشرف عليه . (٤) أطلعته : طلعته وعلمته . (٥) النَّوار : النُّفورُ من الرِّيبة . (٦) فى الأصل "عمار" ولعلها "عِمار" وهو أيضا الغبار الشديد. (٧) الرغاء : تصويت الإبل، وفى الأصل "دعاء" . (٨) النعار : الصياح والتصويت بالخيشوم، وفى الأصل هكذا "نعار" .

ولا عيبَ أن أهزلتُ وحدى وأسمَنوا ... اذا أنا أنجدتُ العـــلاءَ وغاروا

ولستَ ترى الأجسامَ وهى ضئيلةٌ ... نواحـــلُ إلا والنفـــوسُ كِبارُ

خفِيتُ ونُورى كامنٌ فى قَناعتى ... وما كلُّ ما غَـــمَّ الهـــلالَ سِرارُ

وكيف أذود النومَ أخشى خَصاصةً ... ولى من كلاءاتِ الوزيرِ جِـــوارُ

ونعماه ، إن دهرى أغار حُماتُه ... على الحُرِّ من مسّ الهـوانِ، تَغـارُ

اذا ضمّنى "مـــؤيّد الملك" مانعـا ... فما لدمِ الأيّام عنـــدِىَ ثارُ

نُكولى اذا أمسكتُ أطرافَ حبله ... قُـــوًى وٱفتقارى فى ذَراه يَسارُ (١٥٦)

سقى اللهُ ماءَ النصر كفًّا بنانُهـا[1] ... غصـــونٌ لها دُرُّ البحار ثِمارُ

وحيًّا على رغم الكواكبِ غُرَّةً[2] ... أسِـــرَّتُها للمعتفين مَنارُ

ترى الرزق شَفَّافا وراء ٱبتسامها ... كما شَفَّ عن لَمـــع البروق قِطارُ[3]

وزاد ٱنبساطا فى الممالك راحةٌ ... يمـــينُ الحيا إن جاودتْه يَسارُ

من القـــوم لو طار الفخارُ[4] بمعشرٍ ... الى غايةٍ فـــوق السماء لطاروا

بَنِى الملكِ ، والدنيـا بماءِ شبابها ... وأيّامُها زُغْبٌ[5] تـــدبُّ صِغارُ

خيـامٌ على أطنابها "رُنّجيّـــةٌ" ... لها فى سماواتِ الفخار ديارُ

وزيريّةٌ جَدًّا فجَـــدًّا يَعُـــدُّها ... على المجـــدِ عرقٌ ضاربٌ ونِجارُ

يُراحُ عليها بالعشىِّ لَبـــونُها[6] ... اذا رُوِّحتْ على البيوتِ عِشارُ[7]

وشَقَّ دُجُنّاتِ الخطـــوبِ برأيه ... بصـــيرٌ له سرُّ الغيـــوب جِهارُ

---

(١) فى الأصل "بناتها" . (٢) فى الأصـــل "الكواعب" وليست بوجيهه ولعلها محرفة كما رجّحنا . (٣) طار جمع قَطر وهو المطر . (٤) فى الأصل "إن" . (٥) زغب جمع أزغب وهو الفرخ نبت ريشه الخفيف . (٦) اللبون : غزيرة اللبن . (٧) عِشار جمع عُشَراء وهى الناقة مضى على حملها عشرة أشهر ، وعُشراء وعِشار كنُفساء ونِفاس ولا ثالث لها .

اذا رَدَّ فى أعطافه لحظاتِه تشعشَعَ سِربالٌ[1] له وصِدارُ
قريبُ الجَنَى حُلوٌ لأيدى عفاتِه وأشوسُ بين العاقرين مُرارُ
اذا ما بدا للعين راقت بشاشةٌ عليه وراعت هيبةٌ ووقارُ
فيُطمِعُ فيه ثغرُهُ حين يُجتَدَى ويؤيِسُ منه الأنفُ حين يَغارُ
له اللهُ[2] من مُلك حميت سريرَهُ وغايتُهُ[3] للطامعين وِجارُ
وقد نام عنه الدافعون وكُشِّفتْ خَباياه للأبصارِ وهى عَوارُ[4]
مددتَ بباعيْه فلم يُرَ معصمٌ له بارزًا إلا وأنتَ سِوارُ
وغَرَّ بك الأعداءَ خُلْقٌ مسامحٌ لهم وخلالٌ أن رضيتَ خِيارُ
وما علموا أنّ النصولَ شوارعٌ على عَلَقِ[5] الأكبادِ وهى طِرارُ
فإنَّ رقابَ الأُسْدِ دون عراكها مصارعُ للآجالِ وهى قِصارُ
وقد جرَّبوا عزميك والجودُ ساكنٌ على السَّلم[6] والنقعُ الأغَمُّ مُثارُ
وكم لك من يومٍ يُخيمُ[7] شجاعُهُ ولا يَصِمُ المهزومَ منه فِرارُ[8]
تَناكَرَ عنه المدّعون فلم يكن سوى آسمك للأبطالِ فيه شِعارُ
وقفتَ له والمرهفاتُ كأنّها دُبًى[9] فوق بَيْضِ[10] الدارعين مُطارُ
ولو أنَّ حدَّ السيف خانك دونه وَفَى لك جَدٌّ لم يَعُقْه عِثارُ
أَسِلْ[11] مُزنَتَىْ كفَّيك يَغْرَقْ بها العدا وَسِمْ[12] بآسمك الأعداءَ فاسمُك نارُ

(١) الصدار : قميص صغير يلى الجسد . (٢) فى الأصل " لك الله " ولعله تحريف .
(٣) الوجار : الجحر . (٤) العَوار : العيب . (٥) العلق : الدم الغليظ الشديد الحمرة ، وفى الأصل "غلق" . (٦) الأغم : المظلم ، وفى الأصل " الأعمّ " . (٧) يخيم : يجبن وينكص ، وفى الأصل هكذا " تخم " . (٨) فى الأصل " قرار " . (٩) الدبى : الجراد .
(١٠) بيض جمع بَيضة وهى الخُوذة من الحديد توضع على الرأس . (١١) فى الأصل " أسا " .
(١٢) سم : فعل أمر من وسم بمعنى كوى ومنه الميسم وهو الحديدة التى يُكوَى بها ، وفى الأصل "شم" .

ولا تَلْقَ يـومَ الرَّوع إلا مُصالتا ... بجَـدِّك إن كلَّت ظُبًا وشِـفارُ
فإنّ لجُرحِ السـيف لا بـدَّ ثائرا ... [له](١) وجراحات الجدود(٢) جُبـارُ
قضى اللهُ فى حُسَّادِ ملكك أنهـم ... وَقودٌ وأنّ الغيـظَ منك شرارُ
فألسـنُهم غَيْظًا بوارِدُ(٣) رَطْبَةٌ(٤) ... وأكبادُهم خلفَ الضـلوع حِرارُ
تناهَوْا(٥) حـذارا أن يُعَلَّ حديثُهـم ... فـما بين كلِّ اثنين فيـك سِرارُ
ولاموا نجـومَ السعدِ جهلا وإنمـا ... تدورُ لك الأفـلاكُ حيث تُدارُ
تُواقِفُ أقدامَ الأسـودِ كأنمـا ... جَنابُك عزًّا أن يُرامَ مُغَـارُ
وتَخجَلُ من دفع الحقـوقِ كأنمـا ... لثامُك من فـرط الحياء خِمارُ
أجبْ دعوةً ياسـيّد الوزراء لم ... تُجبْهـا قريبـا إذ دعتْـك مِرارُ
تناديك عن(٦) شوق، مواقدُ نارها ... فـؤادى، وأنفاسى الحِـرارُ أُوارُ(٧)
أُدارِيه خوفَ الشامتين، وظاهرى ... قِيـاسٌ(٨) لمـا فى باطنى وعِيـارُ
الى كم يُقِـلُّ البعدُ ظهرِى(٩) وكم يُرى ... لجنبى على جمـر الفراق قَـرارُ
كأنى حيـالَ البعـدِ بينى و بينكم ... يُقِـدُّ أديمى أو حشاىَ تُعـارُ
ولَيتَ الزمانَ المطـربى باقترابكم ... كما زال سُكْرٌ منـه زال خُمارُ
يكاد نزاعى نحوكم أن يطـيرَ بى ... وهـل لقصيص فى السماءِ مطـارُ
وأُطمِعَ قـومٌ بعدكم فى تهضُّمى ... فشـنُّوا على أحسابكم وأغاروا

---

(١) هذه الكلمة ليست فى الأصل. (٢) فى الأصل "الحدود". (٣، ٤) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا " بوارد طه " . (٥) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا " ناهوا " وقد صحفناها الى تناهوا وتباهوا فوجدنا الأولى أحقّ بتأدية المعنى ومعناها نهى بعضهم بعضا. (٦) فى الأصل هكذا " مواقد نار" . (٧) الأوار: حرالنار. (٨) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

* أداريه خوف الشامتين بظاهرين * الخ

(٩) فى الأصل " ترى " .

ولم يعلموا مقـــدارَ عَطفةِ جودكم ... علىَّ فـــلى نقصٌ بهـــم وضِرارُ
اذا حبسوا المـاءَ الذى سُقتموهُ لى ... فمن أين تُســـقَ سَرحتى وثُمارُ
وقد علمـــوا أن لا ٱرتجاعَ لنَيْلكم ... ولا الثوبُ مما تَلبَسون مُعـارُ[1]
عسى اللهُ أن يقتـادَ لى بإيابكم ... فيُدرَكَ من باغى ٱنتقاصِىَ ثارُ (١٥٧)
بكلِّ عزيزٍ بذلُهـا عنـد قومها ... لهـا مَنصِبٌ مَعْ حُسنِها ونِجـارُ
اذا خطَـــرتْ بين الرُّواةِ حسبتهم ... يمانينَ فيما يَحمـلون عِطـارُ
تَنِمُّ بمـا فيها كأنَّ طروسَها ... لطائمُ أهدتْهـا اليـــك "صُحَـارُ"[2]
تَضوَّعُ رَندًا "فارسيًّا" لجنسها ... "وللعُرْبِ" فيهـا حَنوةٌ[3] وعرارُ[4]
اذا جُلِيَتْ عَطْـــلَى[5] عليك فَلَيْهـا ... عُـــلاك وحُسنُ الإستمـاع نثارُ
على المهرجان وسمـــةٌ[6] من جمالها ... "عَرُوبَةُ" منهـا فاصلٌ وشِيارُ[7]
لئن قَصَّر المقـــدارُ خَطوىَ عنكُمُ ... فـــلى غايةٌ فى بعثها وقُصـارُ[8]

* * *

وقال وقد جَرَتْ نَبوةٌ للصاحب أبى القاسم بن عبـد الرحيم بالحضرة ونُفُورٌ مع سلطانه فى خطاب، فاقتضت ٱعتزالَه عما كان اليه ولزومَ بيته، ثم عاد أمرُه الى أحسن ما كان عليـه رتبةً وٱرتقاءً وتمكّنا من الحضرة وٱنبساطا، وأفيضت المكارمُ عليه[9]، وضُوعِف الإحسان اليه، وكتب بهـا اليه يُعلمه بمـا تجدّد، ويذكر التهنئةَ وذِكرَ الحالِ، ويحثُّه على إبانة مسرّته بمـا كان يقول فيها، وأنفذها الى واسط

(١) فى الأصل "يلبسون". (٢) صُحار: قصبةُ عُمَان وهى مدينة ليس على بحر الصين أجلّ منها وهى عامرة ومشهورة بطيب هوائها وخيراتها وأسواقها. (٣) الحنوة: نباتٌ طيّب الريح. (٤) العرار: النرجس البرىّ أو هو بهارٌ ناعمٌ أصـفرُ طيّبُ النَّكهة. (٥) عطلَى: غير متحلية. (٦) عروبة: اسم ليوم الجمعة تعريب "أُرُبَا" النبطية أو "عَرُوبَتَا" السُّريانيّة. (٧) شِيار: اسم ليوم السبت، ولعله أراد تشبيه قصائده بيوم الجمعة والسبت لجلال مقامهما عنـد المسلمين وبعض أهل الكتاب. (٨) القُصار: الغاية. (٩) فى الأصل "اليه".

هل تَقبلون إنابةَ الدهرِ ... أم تُنصِتون له الى عُذرِ
أم تعرفون لقُربِ رَجعتِه ... ما كان همَّ به من الغدرِ (١)
فلقد أتاكم يستظلُّ (٢) بكم ... من حَرِّ سخطكُمُ ويَستذرى (٣)
متنصِّلا من هفوةٍ ، يدُهُ ... كادت تَشُلُّ (٤) بها وما يدرى
خزيانَ يُقسِمُ : لا سعَى أبدا ... للجدِّ فى وَهْنٍ ولا عَقْرِ
وَسْمُ الندامةِ فوق جَبهتِه ... ويداه بالإقرارِ فى أسرِ
يَلقَى الجراحةَ بالدوامِلِ (٥) من ... إقلاعِه والكَسْرَ بالجَبْرِ
فاستعملوا البُقيا التى فُطِرتْ ... فيها حلومُكُمُ من الصخرِ
واستعبدوه بعفوكم فلكَم ... بالجود من عبدٍ لكم حُرِّ
وأنا الزعيمُ لكم بعُهدتِه (٦) ... ووفائِه وشفيعُهُ شِعرى
قد كان غمرا لم يجد خورا ... وأظافرا خدشت ولم تفرِ
ونوافذًا حرشت (٧) فما لفيت ... حَرِجًا (٨) ولا متقبِّضَ الصَّدرِ
أُذُنٌ تمجُّ الهُجْرَ تسمعه ... ولسانُ صِدقٍ حاضرُ النَّصرِ
طرفٌ أشمُّ من الرجال أبَى ... فى الضيم أن يُعزَى الى صَبْرِ
ومودَّةٌ كلمتْ فعوّرها (٩) ... نَبْذٌ من الإعراض والهَجْرِ
عتبٌ تخلَّص فى تراجمه ... من عثرة الفحشاءِ والهُجْرِ
لم يحترش (١٠) ضَغَنًا ولا حُنِيتْ ... عُوجُ الضلوع له على غِمرِ
مَدَّ الوشاةُ له رقابَهُمُ ... يتطلعون عواقبَ المكرِ

(١) فى الأصل "العذر". (٢) فى الأصل "يستطيل". (٣) يستذرى : يستظل ويلتجىء.
(٤) فى الأصل "كانت تسل". (٥) الدوامل جمع داملة وهى ما تُبرئ الجرح. (٦) العهدة : الرجعة الى الإصلاح. (٧) حرشت : خشنت. (٨) الحرِجُ : الضيِّق وفى الأصل "بَرْحًا".
(٩) عوّرها : جعل بها عوارا. (١٠) لم يحترش : لم يجمع ، وفى الأصل "تحترس".

يرمون بالأبصار رائدةً أنّى تَصُوبُ سحابةُ الشرِّ
ظنّوا اليدَ اليمنى اذا بطَشتْ قعدتْ بيسراها عن النصرِ
والنيّران و إن هما اختلفا فالشمسُ لا تُرتابُ بالبدرِ
يا خاب سعيُ مرقّشين[1] مشَوا بالغشّ بين الماء والخمرِ
ومسوّلين نفوسَهم حسدا أن القِطارَ تُظنُّ كالبحرِ
خبطوا من التمويه فى ظُلَمٍ أسفرن عن مُستَبْهَمٍ وعرِ
لا يستقرُّ به الدليلُ على قصٍّ ولا يحنو على السَّفْرِ
قد عانقوا فيه رحالَهُمُ من قائفٍ أثَرًا[2] ومستقرِى
يَغلى الهجيرُ بهم اذا انغمسوا فى الآل غلْىَ الماءِ فى القِدرِ
نجواهُمُ فيه اذا اشتوَروا : يا ليتَ لم نركبْكَ من ظَهْرِ
قد طَأمنَتْ فقَعوا لها وضَعوا الـ ـجبَهاتِ موجةَ ذلك العِبْرِ (١٥٨)
وأفاقت الأيّام واعترفت بمكانِ جَهلتها على السُّكْرِ
فتساندوا أسفا الى صَدَفٍ[3] هاوٍ على ممطولةِ القعرِ
ملساءَ لا تجد الاكفُّ بها عَلَقًا[4] بأنملةٍ ولا ظُفُرِ
عَضُّوا[5] الحصا إن لان من كمدٍ لضروسكم واَمشُوا على الجمرِ
الله أحسنُ للعلا نظرا وأبرُّ بالمعروفِ والبرِّ
وأشدُّ ضَنًّا[6] بالمحاسن أن يُقوِينَ من عَيْنٍ ومن أَثَرِ[7]
أو أن تُعطَّلَ[8] بالذى زعموا سُنَنُ الهدَى ومواسمُ الشكرِ

---

(١) مرقّشين : مزوّرين . (٢) القائف والمستقرى : المتتبع الأثر وغيره . (٣) فى الأصل "صدق" . (٤) العلق : مصدر بمعنى التعلق . (٥) فى الأصل : "غضّوا" . (٦) فى الأصل "صبا" . (٧) يريد "أثَر" وسكنت الثاء للضرورة . (٨) فى الأصل "تعطلى" .

والمُلكُ يعـلم أيُّ[1] سيفٍ وغًى ... يَمضى وسهمٍ رميَّـة يَبرى
وترى الرجالَ وفوتَ[2] بينهـمُ ... مثلَ البهـامِ[3] تُقاس بالغُـرِّ[4]
فيُعَدُّ للجُـلِّى أتمُّهـمُ ... باعا وأحفظُهم قُـوَى أُسْرِ[5]
وأخفُّهم فى صدر موكبه ... سَرْجا وأثقلُهم على الصـدرِ
ورأوا ظلامَ الأمر منذُ خبـا ... عنهـم سراجُ النَّهْى والأمرِ
قبضوا الذراعَ الرّحبَ واعتقدوا ... أنّ السماء تُقاسُ بالفِـتْرِ
واستصغروا عفوَ اللبيب فما آسـ ... ـتغنَوا بجهـل الغافل الغَـمْرِ
حتى اذا أبَّتْ[6] حلومُهُـمُ ... فرًّا طليعـةَ رأيهـم تَسرى،
عادوا وقـد خَفَّ البُغاثُ بهم ... يستطعمون مخالبَ النَّسرِ
فأقـلْ عِثارَهُمُ فإنهُـمُ ... رجعوا اليك رجـوعَ مضْطَرِّ
واحمل — كما عَوَّدتَ — ثقلَهُمُ ... وانهض لهم بالنفع والضِّرِّ
وأعـدْ مناكبهم كما أَلِفتْ ... بك من ثياب العزّ والفخـرِ
وتَمَـلَّ ما أُلبستَ من نِعَمٍ ... تكسو الزمانَ بهـا ولا تعرى
هذى ثمارُ الحلمِ مُجلَبَـةً[7] ... فتهنَّها ونتيجـة الصَّـبْرِ
وعواقب الحسنى، وواحدة ال ... ـحسنات عنـد الله بالعَشْرِ[8]
قد كايلوك بقـدر وُسعهمُ ... من رفع منزلةٍ ومن قـدرِ
فآقنع ولا تُخجِلْ مَكارمَهـم ... بظـلالِ عالٍ مالُهُ يَجـرِى[9]
ومتى ترمْ ما تستحقُّ فقـد ... كلَّفتُمُ ما ليس فى الدَّهرِ

(١) فى الأصل "أن". (٢) فى الاصل "وفوت". (٣) البهام: السود.
(٤) الغُرّ جمع أغرّ أو غرّاء، وفى الأصل "العر". (٥) الأسر: شدّة الخلق.
(٦) أبّت: تهيّأت للسير وتجهّزت، وفى الأصل "أنت". (٧) مجلبة: مجموعة. (٨) يشير الى قوله تعالى (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا). (٩) فى الأصل "تجرى".

شمخَتْ بأنفك عِزّةٌ قَعَسَتْ (١) أن تستقادَ بمخطِم (٢) القَسرِ
صَمَّاءُ من "عبد الرحيم" لها عِرقٌ يمُدُّ إلى "مُنوجَهْرِ" (٣)
دَرَجَ القرونُ و بيتُ مَفخَرِها عالى العِمادِ مخلَّدُ الذِّكرِ
طابت أحاديثُ (٤) الملوكِ ولا كالعَرْفِ من آبائك الغُرِّ
الناضلين بكل صائبةٍ (٥) فى الرأى ضافيةٍ على النَّفْرِ (٦)
سيّارةٍ فى الأرض سنَّتُها (٧) بالعدل سيرَ الأنجم الزُّهرِ
والباسطين لمنع جانبهم بُوعا تطولُ على القنا السُّمرِ
واذا الكماة دُعُوا فصدَّهُمُ حَيْنٌ يُغالَطُ عنه بالوَقْرِ
شدُّوا الفِجاجَ الى صريخِهِمُ (٨) يتكاثرون تكاثُرَ القَطرِ
لهم الجفانُ البيضُ ضاحكة تحت الليالى الكُلَّحِ الغُبرِ
يتنازعون على الحديث، بها يَقوَى مقلُّهُمُ على المُثرى
كرماء معترَفُون إن طرقَتْ أمُّ السنينَ بحادثٍ نُكُرِ
صبروا على البؤسى تعمُّهُمُ فكأنّهم أثرَوْا من الفقرِ
أنشرتَهم بعد الدُّثور كما ولدوك بعد الطىِّ والنشرِ
بك أورقت للمجد دوحتُهُ وٱهتزّ فى أفنانه الخُضُرِ
وأضاء للأقوال مسلكُها فمضى النجاحُ بركبها يَسرى
حلفَ السماحُ عليك: لا وَصَلَ ا لـ ـأسبابَ بين يديك بالوفْرِ

---

(١) قعست : علت وعزّت . (٢) المخطم : حبل يقتاد به البعير و يثنى على خطمه أى أنفه .
(٣) منوجهر : أحد ملوك الفرس . (٤) فى الأصل "أحادث" . (٥) ضافية : سابغة تقوم مقام الدرع، وفى الأصل "صافية" . (٦) النفر : القوم ينفرون معك و يتنافرون فى القتال . (٧) فى الأصل "بالعدّ" . (٨) فى الأصل "ضريحهم" .

ومن العجائب أن تطيعَك فى قَبْضِ يدٍ[1] هى جدولٌ يجـــرى
أنا ذلك المـــولى المقيمُ على صدقِ الهوى وسلامةِ الصدرِ
محفوظةٌ عنـــدى ودائعُكم فى الودّ حفظَ نفائسِ الذّخرِ
خَـــلِّ الأقاربُ عنكُمُ ويدى معصومةٌ بكُمُ الى الحشـــرِ (١٩٩)
لا نبـــوةُ الدنيـا تغـــيِّرنى عنكم ولا متغـــيِّرُ الأمرِ
ناديكُمُ ظِـــلِّى ودولتُكم عِزّى وعمرُ سعودِكم عمـــرى
جاهرتُ فيكم بالعـــداوةِ مَنْ تُخشَى العـــداوةُ منه فى السِّرِّ
ولقيتُ قـــوما دونكم كرهوا أيّامَكم بقـــواصم الظهـــرِ
كم قـــولةٍ جرَّعتُ قائلَها غُصصا بتكذيبٍ له مُرِّ
وحملتُ أخرَى خفتُ صاحبَها أطوِى الجناحَ له على الكَسْرِ
حتى تَسرَّى الخطبُ وانفرجتْ كُرَبُ الدُّجى بتبلُّجِ الفجـــرِ
فالان يانفسى لهـا انفسحى جَذَلا وياعينى لهـا قـــرِّى
وانهض بجهدك يالسانىَ فى الـ ـبُشرَى لهـا وتصَفَّ يافكرى
وابعث ضوارعَ[2] عنك نائبـــةً إن أخَّرتْك عـــوائقُ الدهرِ
ولاجَةً، تطأ الصـــدورَ بهـا كَلِـــمٌ توسِّعُ ضيقَ العُـــذرِ
نَمّـــائةَ العُقُـــداتِ تحسبُهـا هبَطتْ الى "هاروتَ" بالسحرِ
وكأنما نَفَضَ التّجارُ بهـا بين البيوت حقائبَ العطـــرِ
يَشقَى بهـا المتحرِّشـــون[3] كما تشقَى يدُ المشتـــارِ[4] بالدَّبـــرِ[5]
فاستقبـلوا غُرَرا مُوَحَّـــدةً سيقتْ لكم من واحدِ العصرِ

(١) فى الأصل "قض" . (٢) ضوارع : مبتهلات ، وفى الأصـل "صوادع" .
(٣) المتحرشون : المتعرضون ، وقد وردت هـذه الكلمة فى الأصـل هكذا "المحوسون" .
(٤) المشتار : جانى العسل . (٥) الدبر : جماعة النحل .

وتمسّكوا منّى بجوهرة الـ ـغوّاص وآحُوا معـدِن التبرِ
وآقضوا نذورَ الشّعر فىّ فقـد قَضَّيْتُ فيـكم شاكرا نَذْرى

* * *

وقال وكتب بها إلى أبى المعالى فى النيروز

اذا رُفعَتْ من "شَرافَ" الخدورُ فصبرَك إن قلتَ : إنى صبورُ
ستعلمُ كيف يُطَـلُّ القتيـ ـلُ بعد النوى ويُذَلُّ الأسيرُ
فإن كنتَ منتصرا فاستقـدْ بثأرك والعيسُ عَجْـلَى تثـورُ
وإلّا فَلِنْ جانبا للفـراقِ فما كنتَ أوّلَ جَلْدٍ يخـورُ
ألا تُسعـدانى بعينيْكما وما كنتُ قبل الهوى أستعيرُ
فقد حار لحظىَ بين آثنتين : هوًى منجدٍ وخليطٍ يغـورُ
ترى العـينُ ما لا يراه الفؤادُ فيقصِـدُ قلبى وطرفى يحـورُ (١)
وقفتُ وقـد فاتنى بالحُـو لِ غضبانُ ليلٍ سراه قصـيرُ
عنيفٌ اذا سـاقَ لم يلتفتْ لسـاقٍ تَطيحُ ومخٍّ يَرِيـرُ (٢)
كفاه مع العيس حسنَ النشاط حنينىَ فى إثرها والزفـيرُ
ولما تعيَّفتُ فآستعجمت مَيامنُ كانت بخيرٍ تطـيرُ
ولم ادرِ والشكُّ يَنفِى اليَقـينَ (٣) إلى أىِّ شِقٍّ طريق أصـيرُ
تَنَبَّـهَ، من هاجعـاتِ الرياحِ فـدلَّ عليكم، نَسيمٌ عطـيرُ
وخاطَفَ عينىَ برقٌ تُشـا مُ فى حافَتيْه الطُّـلَى والنحورُ
وفى الظَّعْن مشتبِهـاتٌ (٤) الجَما ل تَشقَى بأعجازهنّ الصـدورُ

(١) فى الأصل "يحور" . (٢) يريـر : يذوب . (٣) فى الأصل "يلق" .
(٤) فى الأصل "مشبهات" والبيت بها لا يتّزن .

حملنَ إلى قتلنا فى الجفون سيوفا حمائلهن الشعورُ
وقُلِّدنَ دُرًّا تحدَّرْنَ عنه كأنّ قلائدَهنَّ النحورُ
بكيتُ دَمًا يوم "سفح الغوير" وذاك لهم ـ وهو جهدى ـ يسيرُ
ومن عجبِ الحبّ قَطْرُ الدما ءِ من مقلتى وفؤادى العقيرُ
وليلٍ تعلَّقَ فيه الصباحُ فما يستَسِرُّ وما يستنيرُ
يعود بأوّلِ نِصفيْه لى اذا قلتُ : كاد وجاء الأخيرُ
كأنّ سنا الفجر حيرانَ فيـ ـه أعمَى تقاعدَ عنه بصيرُ
نسيرُ به ونحطُّ الركابَ(١) وغيهبُه جانح لا يسيرُ
كأنّ الثريّا على جنحه يدى من مَقام الهوى تستجيرُ(٢)
سريتُ أشاورُ فيه النجومَ ومالِىَ بالصبح فيها بشيرُ
إلى حاجةٍ فى العلا همَّتى إليها تطول وحظّى قصيرُ
وهل ينفعُ الرمحَ ، ما لم يُنَطْ بكفٍّ تُطاعِنُ ، نصلٌ طريرُ
عَذيرِىَ من وجه دهرى الوَقاحِ وأين من المتجنِّى عَذيرُ
ومن غَدرِ(٣) أيّامه العادياتِ على ما أذمَّتْ عليه تُغيرُ(٤)
ألم يكفِها أنّ غصنَ الصِّبا ذوَى وآستردَّ الشبابَ المعيرُ
ولو نظرَتْ حسَنا لم تَمِلْ علىَّ ومالِىَ فيها نظيرُ
ومولًى اذا أنا قلتُ : آحتكم تفاحشَ يحبِسنى أو يحورُ(٥)(٦)
رمانى وقال : آحترِسْ من سوائ ليشعَبَ قلبىَ منه الفُطورُ

(١) فى الأصل " يسير به و يحطّ الركاب " .
(٢) معناه أن أنجم الثريا تشبه يده حين يرفعها مستعيذا من الحبّ .
(٣) فى الأصل "عذر" .
(٤) فى الأصل " تعير" .
(٥) فى الأصل يحسنى .
(٦) فى الأصل "يحور" .

ألم يأتــه أنّــه لا يُجَسُّ (١) غَورى ولا يطّبينى الغــؤور (٢)
وأن حِمَى "هِبــةِ الله" نى من الضيم لو رام ضيمى مجيرُ
ومن يعتصمْ بمعالى "أبى الـ ـمعالى" يبِتْ كوكبًا لا يغورُ
يبِتْ للغــزالةِ من دونه ذراعٌ قصــيرٌ وطرفٌ حسيرُ
حَمَى سَرحَ ســودَه أن يرا عَ أشوسُ دون حِماه هصورُ
وقام بنُصــرة إحسـانه فتًى لا يُخــذَّلُ وهو النصيرُ
طليقُ المحيا اذا ياســروه وجَهــمٌ اذا حاربوه عســيرُ
له خُلُقــانِ من المـاء ذا كَ ملحٌ وهذا فُــراتٌ نميــرُ
وطعمانِ إن طَمِعَ الحلوفيـ ـه قام يدافعُ عنــه المــريرُ
اذا آنتُهِكتْ للعــلا حُرمــةٌ تمعَّــرَ منــه أبيٌّ غيــورُ
وإن جئتَ محتلبا كفَّــه سقى من أوامك ضرعٌ دَرورُ
(٣)
وفَى بالسيادة لَدْنَ القضيبِ ولم تتعاقبْ عليــه العصورُ
ورُشِّح عاتقُــه للنِّجاد ولم تُــلْقَ أخرازُه والســيورُ
(٤)
حمولٌ قــويمُ قناةِ الفَقــارِ اذا ركعتْ للخطوبِ الظهورُ
رحيبُ الأضالِـع ثَبْتٌ اذا تنفَّس من ضِيقهن الضَّجورُ
غــنىٌّ بأولِ آرائــه اذا ما آستبــدَّ فما يستشيرُ
سمــاتُ آبنِ عشرين فى وجهِهِ وفى حلمــه عشَراتٌ كثيرُ
(٥) (٦)
كريمٌ تفــرَّع من أكرمِيـ ـنَ كَوْرُ فخــارِهم لا يحــورُ

(١) فى الأصل "يحس" . (٢) الغؤور : الدخول فى الشىء . (٣) لدن القضيب : كناية عن غضارته وصغر سنه . (٤) قناة الفقار : كناية عن العمود الفقرىّ . (٥) الكَوْر : الزيادة .
(٦) لا يحور : لا ينقُص ، ومنه الحديث "نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر" ، وفى الأصل "لا يخور" .

وُسُومُهُمُ فى جباهِ الدهـــو ... ر بالعـــزِّ تبقَى وتَفنَى الدهورُ

اذا مات منهـــم فتًى فَٱبنُـــه ... حيـاةٌ لسؤدُده أو نشـــورُ

بَنَى البيتَ لا ترتقى الفاحشاتُ ... اليـهِ ولو حَمَلتْهـا النُّســـورُ

رفيـعُ العِادِ تـــرى بيتَـــه ... مكانَ ٱبتنى منكبيْـه "ثَبِيرُ"(١)

تَزَالَقُ عنـــه لحـاظُ العيونِ ... فترجعُ عن أفقِـهِ وهْى زُورُ(٢)

ولو لم يكنْ فى العلوِّ السماءَ ... لمـا طلَعتْ منه هذى البدورُ

لنـــيرانهـم فى مُتونِ اليَفاعِ ... لحـاظٌ الى طارق الليل صُورُ(٣)

مواقـــدُ تُضرَمُ بالمنـــدلىّ(٤) ... وتُنحَـرُ من حولهنَّ البُـــدورُ

عُلًا شادَها مجدُ "عبد الرحيم" ... على خُطّةٍ خطَّها "أردَشِيرُ"

فروعٌ لهـــمْ قَـلَمُ المُلك من ... أصـولٍ لهـــم تاجُهُ والسريرُ

فـــداكم شقِىٌّ بنُعماكُمُ ... تلثَّمَ عجْـــزا وأنتم سُـــفورُ

له حين يبطُشُ باعٌ أشـــ ... ـلُّ من دونكم وجَنـاحٌ كسيرُ

ضعيفُ جناحِ الحشا بائحُ ا ... للـ سان بما ضمَّ منه الضمـــيرُ

يغيض بأذرعكم فِـــترُه ... وكيف ينـالُ الطويلَ القصيرُ

تدورُ عليـــه رَحَى غيظِـــهِ ... بكم وعليكم تدورُ الأمـــورُ

على صـــدره حسَدٌ أن غَدَتْ ... بأوجهكم(٥) تستنيرُ الصـــدورُ

لكم كلّ يـــومٍ بما ساءه ... بشـــيرٌ ومنكم اليـــه نذيرُ

---

(١) ثبير : اسم جبل ، وفى الأصل "تبير" وهو تحريف . (٢) زور : جمع زوراء وهى المائلة فى عوج وفى الأصل "صور" . (٣) صور ، مائلات . (٤) المندلىّ : العود أو هو المنسوب الى مَنْدَل وهى بلدة بالهند . (٥) فى الأصل "بأوجهك"

فللسيف والسَّرج منكم فتًى أميرٌ وللدّست منكم وزيرُ
وليس له غيرَ عضِّ البنان وذمِّ الزمان عليكم ظهيرُ
بكم وضَحتْ سُبل المكرُماتِ وبات سِراجُ الأمانى يُنيرُ
ومالتْ الىَّ رقابُ المديـ (١)ـح تُصحِبُ وهى عَواصٍ (٢) نُفُورُ
وكان جبانا لسانُ السؤالِ فأصبح وهو جرىءٌ جسورُ
ملكتم نواصِىَ هذا الكلام فليس بهنَّ سواكم يطورُ (٣)
لذاك وأنتم فحولُ الرجا ل يهواكم الشعرُ والشعر زِيرُ (٤)
وهَبْتُ لسانى وقلبى لكم فيوما ودادٌ ويوما شُكورُ
وأصبحتُ منكم فمن رامنى سواكم فذاك مَرامٌ عسيرُ
لك الخيرُ، إنى فتًى منك شِمْتُ نداك فأسبَلَ نوءٌ غزيرُ
وجوهرة، لم تلِدْ مثلَها على طول غوصِىَ فيها البحورُ
وربَّ ندًى لك مستملَحٌ صغيرُك عندِىَ فيه كبيرُ
يطيبُ فأبصرتَ منه مكانَ رضاى وغيرُك عنه صبورُ
لئن قمتَ فيه بشرط الوفاء على فَوْرةٍ لم يعقها فتورُ،
فما كان أوّلَ ما يعجزو ن عنه وأنت عليه قديرُ
وكم أمِلٍ لى حَصيصٍ (٥) وثقتُ بأنّ جناحك فيه يطيرُ
وعندِىَ من أمّهات الجزاءِ وَلودٌ وأمُّ القوافى نَزورُ
تزورك فى كلّ يومٍ أغرَّ بحقٍّ من المدح ما فيه زُورُ

(١) تصحب : تذلّ وتنقاد . (٢) فى الأصل " عواض " . (٣) يطور : يحيط .
(٤) الزير : الرجل الغزِلُ الذى يحبّ مجالسة النساء ومحادثتهنّ . (٥) الحصيص : القليل الشعر، وفى الأصل " حضيض " .

أوانسُ، جـــودُك من كفِّها إذا أبرزتْها اليك الخـــدورُ
وأمـــدحُ قوما ولكننى اليك بمـا قلتُ فيهـــم أُشيرُ

* * *

وكتب اليه فى النيروز

لِمَنَ الطُلولُ تراقصَتْ[1]؟ نَجْـوَى حشاك قِفارُها !
قفـــرٌ نبـا بك ودُّها وتعلَّقتـــك ديارُها
إن كنتَ أعيتَهـا عدمـ ـتَ فهـــذه آثارُها
دِمَنٌ كمسحبة الأز مـ ـة مُســـحَلا إمرارُها
ماتت حقائقُهـا وخُـ ـلِّدَ زُورها ومُعـارُها
وآمتدَّ ليـــلُ السافيا ـتِ بجـــوِّها ونَهـارُها
عندى لها إن أجدبتْ وَكَّافـــةٌ تمتـارُها
أَنِستْ بإسبال الدمو ـعِ كأنهـا أشـــفارُها
ونعم بكيت ، فهل تبـ ـلُّـك سائلا أخبـارُها ؟
واهًا لها من حاجةٍ لو قُضِّيَتْ أوطـارُها
يا دارُ تُرْبُك والهجـ ـيرُ وأضلعى وأُوارُها
حفظا "برملةَ" إن ألـ ـطَّ[2] بذمـــةٍ غـــدَّارُها
لا ضاع ما بينى وبيـ ـنِك عهـدُها وذِمارُها
خلَتِ الليـالى من بدو رِكِ تمُّهـا وسِرارُها
حتى كأنّ معيشـةً لم يحـلُ فيك مُرارُها
وآربا برباكِ ما آسـ ـترختْ لنـا أستارُها

(١) تراقصتْ : ظهرت كأنها ترقص مع بعضها البعض لفعل السراب بها إذ يبينُ طللا ويُخفى آخَر وهو من قولهم : ترقَّصت المفازة أى آرتفعت وآنخفضت من فعل السراب بها . (٢) ألطّ : جحد وأنكر .

إذ كلُّ ذى هَدفين فيـ ـك كِناسُها وصُوارُها[1]
ومسائح[2] الأيام بقـ ـلٌّ أخضرٌ وعِـذارها
وجهيرة فى الحسن تُكـ ـتَمُ فى الهـوى أسرارُها
كثرت ضرائرها وقـ ـلَّ بذلك[3] آستضرارُها
بلهاء يَرتبِـطُ الحليـ ـمَ من الرجال إسارُها
خبثت أحاديث الوشا ـةِ بها وطاب إزارُها
خُلِقَتْ معطَّـرةً نَخُـ ـبَ كاسـدا عطَّارُها
وتذكَّرتْ ألفاظُها فتَنَى اللثـامَ نِمارُها
يا صاحبي، والعينُ تغـ ـنُمُ أو يُظَنُّ عُرارُها[4]
والليـلة الطولى يُخَـ ـوَّضُ بالجفون غمارُها
طرقَتْ "زميلةُ" تجتلى ظلَمَ "اللِّوى" أنوارُها
وعلى الرحال مُمَلْمَـلو ـنَ[5] وسادُهم أكوارُها
فى ليـلةٍ لم يَنْثُ[6] غـ ـيرَ حديثها سُمّارُها
عجبا لها نُفِضتْ إلـ ـيَّ سحيقـةً[7] أقطارُها
"بالغوطتين" جبالُهـا و"ببطن وجرةَ" دارُها
باتت تعاطينـى "بنحـ ـلةَ"[8] نحـلةً أشتارُها[9]

(١) الصوار : القطيع من البقر . (٢) المسائح جمع مسيحة وهى ما بين الصدغين إلى الجبهة ، وفى الأصل "مسايح" . (٣) فى الأصل "كبرت" وهو تحريف يعينه قوله "قلّ" . (٤) العُرار : الإثم والجناية . (٥) مململون : متقلبون . (٦) ينثُ : يُذِعْ ، وقد ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا * فى ليلة ما غير * الخ (٧) فى الأصل "سحيفة" .
(٨) نحلة : اسم قرية بينها و بين بعلبك ثلاثة أميال ، وفيها يقول المتنبي
ما مقامى بدار "نحلة" إلا * كمقام المسيح بين اليهود
(٩) أشتارها : أجنيها وفى الأصل "أستارها" .

وتبسَّمت عن بَرقـــة ... عسلُ الرُّضابِ قِطارُها
جمـــدَ الحيـا بَرَدًا[1] بها ... وجرَتْ يذوبُ عُقارها
لم يألُ ناظمُ عِقـــدِها ... نَصحا ولا نَمَّارُها
طرقَتْ بسهلٍ والمسـا ... لكُ صـــعبةٌ أخطارُها
حَلَبَ البكيَّـة ثم جَـــ ... ـدَّ من الصباحِ نِفارُها
فاذا يدى لم تَعتـــلِقْ ... بسـوى المنَى أظفارُها
ولقـــد رفعتُ طلائحا ... جُرُدُ[2] البطون قِصارُها
ضاقت مباركها وجا ... لت فوقَها أســـتارُها
"نجدا" "تُغَرِّبُ، والهوَى ... "بمحجَّـــرٍ" أثمارُها
وعلى الربيئـــة أشعثٌ ... سَدَّ عليـــه غُبارُها
ذو شَمْـلةٍ[3] سَمَـلٍ يُخا ... لِطُ جـلدَهُ أطمارُها
طابتْ [له][4] صحراءُ "صا ... رةَ"[5] أثلُهـا وعَرارُها
يرعى قلائصَ تُنتـــقَى ... وحصَى "الأُبَيرِقِ"[6] دارُها
إن ما طلتـــه بغُزْرِها[7] ... نهضت به أعيـارُها[8]
نظـــر الربيعَ بمُحمَّـــدٍ ... لبقـــوله[9] أوتارُهـا
يا راعيَ البَكـــراتِ[10] ما ... "نجدٌ" وما أخبـارها؟
أوقدْ بذى السَّمُراتِ[11] لى ... فقـــد آستعمَّ مُنـارُها

(١) فى الأصل "بردائها" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "حور" . (٣) سمل : بالية .
(٤) ليست موجودة بالأصل و يقتضيها المعنى والوزن . (٥) صارة : اسم جبل فى ديار بنى أسد .
(٦) فى الأصـل "حمى" بغير واو . (٧) الغزر : النياق ذوات الدَّر . (٨) أعيار جمع عَيْر وهو الحمار . (٩) بالأصل "لبعوله" . (١٠) البكرات جمع بكرة وهى الفتيّة من الإبل .
(١١) ذى السمرات : ناحية من نواحى العقيق . والسَّمُرُلغة : العضاه .

ولو أنها بضلوعىَ الـ ـعوجاءِ تُذكَى نارُها
إن ينتقِضْ كرُّ الخطو ـ ـبِ قُواى واستمرارُها،
ويردنى نقدُ العيو ـ ـنِ تصادفَتْ أبصارُها،
وتقومُ لى بيدَىْ مشيـ ـبِ مَفارِق أعذارُها،(١)
فلربَّ نَضرةِ(٢) عيشةٍ لى صفوُها ونُضارُها
وعَزيبةٍ(٣) من لذَّةٍ راحتْ علىَّ عِشَارُها
وقضيَّةٍ فى الحبِّ لم يُملَلْ علىَّ خِيارُها
وصقيلةِ الأنيابِ(٤) تُشـ ـرِبُ حُلوةً أسآرُها
تقع الأمانى دون ما تَثنِى بهِ أسحارُها(٥)
بانت(٦) وذِكرِى طيِّبا دونَ الفراشِ شِعارُها
عرَّجتُ عنها مُعرِضا وقد آستقام مَزارُها
وسلافةٍ كدمِ الغزا ـلِ تُخال مِسكًا فارُها
ممّا أعانَ عليه "طِيـ ـبةَ بابلٍ" أنهارُها
غالَى بها السابونَ وآفـ ـتقدَ(٧) البُدورَ(٨) تجارُها
فى بيتِ نَصرانيّةٍ باسم "المسيح" عِيارُها(٩)

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

ويقوبى بيدى بشيـ ـب مفارق أعذارها

(٢) فى الأصل "نظارة" . (٣) هذه الكلمة بالأصل هكذا "وعرسة" . (٤) فى الأصل "الأنيات" . (٥) أسحار جمع سَحْر وهو الرئة ويراد بها الصدر . (٦) فى الأصل "بانت" .
(٧) فى الأصل "واقتعد" . (٨) البدور جمع بَدْرة وهى جلد السخلة يسع عشرة آلاف درهم .
(٩) العيار : ما جُعل نظاما للشىء يقاس به ويسوّى ويقدّر، وفى الأصل "عبار" .

وَكَتِ[1] القِرافُ[2] بحجرِها ووِكاؤُها زُنَّارُها
ما كستُ كفَّ مديرِها وعلى هواى مَـــدارُها
لما حلَتْ رِشَفاتُها لم تحـــلُ لى أوزارُها
وســـوايَ واثِبُ لذّةٍ[3] تفـــنَى ويبـقَى عارُها
ما للرجال تروم أشـ ـواطِى الطِّوالَ قِصارُها
أحفيتُ[4] رُسغَ جيادها وتنـــوءُ بى[5] أعيـارُها
سـل ناخسا إبلى بأ ىِّ تدنُّس عَـــوّارُها
وحمى بنى "عبد الرحيـ ـم" يحوطُها وجِوارُها
فاذا ذراهم بُزْلُها مرحـــولة وبِكارُها
أهوِنْ[6] بباغى ضيمها يوما وهـــم أنصارُها
والهضبةُ الملســاءُ تمـ ـنعُ أن يداسَ خَبارُها[7]
والدوحـةُ العينـاءُ[8] تحـ ـلو للجُناة ثمارُها
ما بات يُفقِرها الندَى إلا "وثُمَّ"[9] يَسارُها
لولا تُـقَى سُـــؤّالها لاســتُهوِنَتْ أعمارُها
حلمـاء والكلمُ القـوا ذِعُ[10] مُغضِبٌ عـوّارُها

---

(١) وكت كأوكت بمعنى شـدّت بالوكاء فم القربة ، والوكاء : رباط القربة ، وفى الأصـل هكذا "رس" . (٢) فى الأصل "الفراق" ولما كانت هذه الكلمة لا تؤدّى معنى اضطررنا الى تحويرها فلم نجد ما يحكيها فى حروفها إلا "القراف" وهى أوعية من جلود واحدها قَرْف وإلا "الغراف" وهو المكيال العظيم الضخم ، وكلاهما يؤدّى معنًى لا بأس به فى السياق . (٣) فى الأصل "وأبث" .
(٤) فى الأصل "أخفيت" . (٥) فى الأصل هكذا "وتلوى" . (٦) فى الأصل "ضيمها" .
(٧) الخبار : ما لان من الأرض . (٨) العيناء : الخضراء . (٩) فى الأصل "وتمّ" .
(١٠) القوارع : الكلمات التى فيها فحش وشتيمة .

ومغامرون إذا الكما ... ةُ تواكلتْ أغمارُها
عُرْبُ(١) الأكفِّ نمتهمُ ... من "فارسٍ" أحرارُها
سالت أناملهم وشا ... لت(٢) أنفسٌ ونجارُها
جَحَّاكَ(٣) آفاقُ المعا ... لى منهمُ وبحارُها
طاروا بمجدهمُ وقَـ ... ـصَّر بالنجوم مَطارُها
ركبَ الصعابَ من آبنهم ... ركّاضُها مغوارُها
وحَمَى حقيقةَ مجدهم ... سَلِسُ القَناةِ مُمارُها(٤)
لاتستباحُ مصونةٌ ... "وأبو المعالى" جارُها
يقظانُ أسهرَه اذا ... ذَكَرَ العيوبَ حِذارُها
قَلِقُ العزيمةِ إن حمى(٥) ... صِغَرَ النفوسِ قرارُها
حمّالُ ألويةِ السيا ... دةِ ثَبْتُها صَبّارُها
سبقَ الكهولَ وسِنُّه ... ما آستُدْرِعتْ أشبارُها(٦)
وجَرَى فقدَّمه على ... أقرانه إقرارُها
عجِبوا — وقد لفَّ الجيا ... دَ الى المدى مِضمارُها — ،
أنّ القوارحَ أُخِّرتْ ... وتقدّمتْ أمهارُها
لا تعجبنَّ فإنّه ... أمضى النصولِ طِرارُها!
أعلى الكواكبِ فى المنا ... زلِ والعيونِ صِغارُها
هى دوحةُ المجدِ اتى ... لا يُخلِفُ آستثمارُها

---

(١) فى الأصل "غرب" . (٢) شالت : ارتفعت ، وفى الأصل "سالت" .
(٣) فى الأصل "بجال" . (٤) الممار : المتردد فى المطعون . (٥) فى الأصل "حكى" .
(٦) فى الأصل "أستمارها" .

غدت الرياسةُ مِعصما فيها وأنتَ سِـوارُها
هى خيرُ أهلِ زمانِها بيتا وأنتَ خِيارُها
إن السماء اذا سـرتْ معـدودةً أنوارُها
كثُرَتْ كواكبها ولي[1]ـسَ كثيرةً أقمارُها
بك عمّ وَدْقُ سحابِها جـودا وتمّ[2] نِخارُها
وتشبَّثتْ[3] غَيظا بأع ـناقِ العـداة شفارُها
قادحتُها[4] بمحاسنٍ ما أصلدتْ[5] أيسارُها[6]
وخـلائقٍ مَلَكَ الهوى لك باقيا سَحَّارُها[7]
شقَّتْ قلوبَ الحاسدين وما يُشَـقُّ غُبارُها
كم من يدٍ لك كالغما م وكالسحابِ غِزارُها
تُرْوَى بها حالى ويُد رَكُ من زمانى ثارُها
وحصينةٍ من حسن رأ يك لا يُقَصُّ صِدارُها
تضـفُو علىَّ ذيولُها وتضـمُّنى أزرارُها
ولطيفـةٍ باتت وقـد حفَّى النـدى آثارُها
أعيتْ إصابتُها وإنْ لم يُعيـنى إكثارُها
والأنطياتُ جمالُها الـ ـمشكورُ لا أقـدارُها
فِداك مُعْطٍ يبذُلُ الـ ـنَّ معَى ولا يختارُها

(١٦٣)

---

(١) فى الأصل هكذا

كبرت كواكبها وليـــس كثيرة أقمارها

وهو تحريف يدلّ عليه البيت الذى قبله . (٢) فى الأصل "ثم" . (٣) وتشبثت : تعلقت ، وفى الأصل هكذا "وتسبت عنقا" . (٤) فى الأصل "فادحتها" . (٥) ما أصلدت : "ما صلبت" . (٦) الأيسار جمع يامر أو يَسِر وهو السهل اللين . (٧) فى الأصل "سخّارها" .

ووقتك ريبَ الدهر أيـ ـدٍ عُرفُها إنكارُها
دينـارُ جودكِ أو ودا دك لى ولا قِنطارُهـا
وٱستأنفت لك عُونهـا ما أســلفَتْ أبكارُها
تطوِى البـلاد ولم تَرِمْ[1] فقطينُهـا سُـفَّارُهـا
من كلّ طائرةِ الشُّـعا عِ اذا ٱستطار شَرارُها
تصـلُ الكبيرَ ولا يخا ف مــلالةً زَوَّارُهـا
عذراء يُخلَع فى هــوا ك مع العـفاف عِذارُها
فى أىّ بيتٍ شئتَ منـ ـها قلتَ : ذا سيَّارُها
سعتِ القوافى خلفَهـا وعَنَا لهـا جبَّارُهـا
لو ما تقـدّم عصرُهـا وتردَّدتْ أدوارُهـا
ودَّتْ فحـولُ الجاهلـ ـيَّـةِ أنّهـا أشــعارُهـا
لو أُنصِفَتْ فوق الطُّرو سِ لأُذهِبتْ[2] أعشارُها
فى كلّ يـومٍ هــديّةٍ مستحسَنٌ تكرارُها
يُروَى لكم بفم التهـا نئ صفوُها وخيـارُها

وقال فى غرض له

يالنــوازِى كبدٍ هاجها "بالبان" من "خنساءَ" تَذكارُ
عاد لهـا من بعــد إقلاعها دينٌ من الحبِّ وإصرارُ
يا قـوم، لى من أسرتى قاتلٌ مَنْ لقتيــلٍ ما له ثارُ؟

(١) تَرِمْ : تفارقْ . (٢) لأُذهِبت : لذُهِّبَت .

زورة لم تكن بخطّ(١) بنانى ... فى كتاب الآمال إلا سطرا

سَرَقَتها لِيَ الحظوظُ "وخنسا ... ءُ" استلابا من الزمان وطرًّا(٢)

وأبيها ما حفظَها الدهرَ أنكر ... تُ ولكن أنكرتُ بُعدَ المَسَرّى

جشّمتْها الأشواقُ فى ساعةٍ شُقّـ ... ـةَ ما تخبِطُ السحائبُ شهرا

فرحَةٌ طار لى غرابا بها الليـ ... ـلُ وطارت عنّى مع الصبح نَسرا

ارتجعْها يا دهرُ لا زلتَ تستر ... جِعُ لؤما(٣) ما كنتَ أعطيتَ نَزْرا

وتعلَّمْ أنّى بمكرك لا أحـ ... ـفِلُ ممّا ألفتُ منك المكرا

أنكرَ الغدرَ مرّةً منك قلبى ... ثمّ صارت سجيّةً فاستمرّا

لا حَمَى اللهُ حازما غرّه منـ ... ـك سرابٌ شعشعتْهُ فاغترّا(٤)

كُلْ بنابَيْك ملءَ جنبيك لحمى ... (٥) وتخدَّلْ عنّى متى قلتُ : نصرا

قلَّ صبرى على اقتنائى للجـ ... ـد وأقنا عنك الغداة فصبرا

أنت ذاك الذى أمتَّ شبابى ... عَبطةً(٦) وهو ما تملَّى العمرا

ورددتَ العيونَ عنّى وقد كنـ ... ـتُ لها الكحلَ حائصاتٍ(٧) خُزْرا(٨)

صار عِهْنًا تحتَ المراحل ينقا ... دُ وقد كان عاصىَ النَّبت شَعْرا

ومشيتَ الضَّرَاءَ(٩) كيدا لأحبا ... بى فريعُوا فى الأرض شَلًّا(١٠) ونَفْرا(١١)

صُدِعُوا مَطرحَ الزُّجاج تَشَظَّى ... وتداعَوْا(١٢) عطَّ(١٣) الأديم تفرّى(١٤)

(١) فى الأصل "يكن بخط" . (٢) الطر : السوق الشديد . (٣) فى الأصل "لوما" . (٤) فى الأصل "فاعتمرا" . (٥) فى الأصل "تمحى" . (٦) عَبطة : نحرا من غير علّة ، وفى الأصل "غبطة" . (٧) حائصات : حائدات ما ثلات ، وفى الأصل "حائضات" . (٨) خزرا جمع خزراء وهى العين بها صغر وضيق . (٩) الضراء : الأستخفاء ، من قولهم للرجل يختل صاحبه : هو يدب له الضَّراء ويمشى له الخَمَر (١٠) الشلّ : الطرد ، وفى الأصل "سلّا" . (١١) النفر : النفور . (١٢) العطّ : الشقّ . (١٣) الأديم : الجلد . (١٤) تفرّى : انشقّ .

أرى دَمِى يقطُـرُ من أنمـلٍ شـفارُها مُؤْقٌ[1] وأشـفارُ[2]
ظَبْىٌ رخيمٌ، لفظـهُ ناسكٌ وطرفُـه الفـاتكُ عيّارُ[3]
ضُعفتُ تحت الغمز من عاجمٍ يصرَعُ لبّى وهـو خـوّارُ
أصبحتُ عبـدا بآختيارى له "وفارسٌ" قومىَ أحـرارُ
يا موتُ نفسى لك إذ أعرضتْ "خنساءُ" أو شطّت بها الدارُ
خوّفنى بالنـارِ فى وصلهـا قـومٌ وفى هجـرانها النـارُ

* * *

وكتب الى صـديق له من الكُتّاب يشكره على موقفٍ وقفه فى حاجةٍ له رضىَ سعيَه فيها، ويتألّم لفقد جماعةٍ من إخوانه، ويهنّئه بالمهرجان

حيِّهـا أوجُهًا على "السَّفح" غُرًّا وقِبابا بِيضـا ونُوقا حُمُـرا
ورماحا دون الحبائب يهـزِزْ نَ ويُحطَمنَ فى الكتائبِ كسرا
وسراحين[4] كالحصونِ جيـادا تملأ الحُـزْمُ[5] مُهرةً أو مُهـرا
يَتمارَحنَ فى الحبـالِ فينقُضـ ـنَ فتيلًا[6] منهـا ويقطعنَ شَنْزرا[7]
وقِرًى بعضُـه الوصالُ اذا أمـ ـسى طما جَفنـةً وزمْجَرَ قِـدْرا
آهِ للشـوقِ[8] ما تأوّهتُ منـه لليـالٍ "بالسفح" لوعُدْنَ أخرى
كنَّ دُهمـا من الدآدى وقد كُنَّ بتلك الوجـوه دُرّعًا[9] وقُمْـرا[10]

---

(١) مؤق جمع مأق وهو مجرى الدمع من العين أو طرفها مما يلى الأنف . (٢) أشفار جمع شَفْر وهو أصل منبت الشعر فى حرف الجفن . (٣) العيّار : الذى يخلّى نفسَه وهواها لا يروّعها ولا يزجرها . (٤) السراحين : الذئاب واحدها سرحان وتشبَّه بها الخيـل فى سُرعة العـدْو .
(٥) الحُزْم جمع حِزام . (٦) فى الأصل "فينقصن" . (٧) الشنزر : فتل الحبل عن اليسار وهو أشدّ لفتله . (٨) فى الأصل "الشوق" : (٩) الدرع جمع الدرعاء، وهى الليلة يطلع قمرها عند الصبح . (١٠) القمر جمع قمراء، وهى الليلة المقمرة .

حيثُ لا تظفَــرُ الوشاةُ بأسرا ... رِى اذا ما الصــباحُ أعلنَ سِرًّا
فاذا ما العــذولُ قال : عِقــابًا ... فى ذنوبى، قال الصِّبا : بل غَفْرا
أجتنيهــا رَيْحــانةَ العيشِ خضرا ... ءَ وتُمسى فيهــا المُــنَى لِىَ خُضْرا
يا مَغانِى "الحمى" سُقيتِ، وما بِيـ ... ـفعُنى الغيثُ أن يجــودَكِ قَفْرا
أىُّ عين أصابتِ الدارَ؟ أقذَى ... اللهُ بعــدِى أجفانَهــا وأضرَّا
عَرِيَتْ من ظبائها [الآنساتِ الـ ... ـبِيضِ] وٱعتاضتِ الظِّبــاءَ العُفْرا (١)
لا تراها تُطــيلُ بعد النوى غصـ ... ـنًا ولا جــوُّها يُتِمُّ بــدرا (٢)
غيرَ حُمٍّ (٣) من القطا جاثماتٍ ... كنَّ جُونًا (٤) فعدنَ بالرَّهْجِ كُدْرا (٥) (٦)
وبقــايا مواقفٍ تصــفُ الجو ... دَ أباديدَ (٧) فى يدِ الريح يُذْرى (٨)
قَلِّبــوا ذلك الرَّمادَ تُصيبوا ... فيــه قلبى إن لم تُصيبوا الجمــرا
ما لدهرى قضَى الفــراقَ عليها! ... عــذَّبَ اللهُ بالفــراقِ الدهرا
أُنظرا لى ـ وقبلُ كنت بصيرا ـ ... يا خليلىَّ بين "جوّ" و"بُصْرى" (٩)
أوميضٌ سَرَى فشــقَّ قميصَ الـ ... ـليل أم [ذاك] (١٠) طيفُ "سُعْدَى" تَسَرَّى؟
زار وهْنا ــ لا يُصغِرِ اللهُ همّا ... هُ ــ وحَيَّــا فــزاده اللهُ برًّا
بشَّرتنى مقــدماتٌ بــه يحـ ... ـملُ فيهــا ذيلُ النسيمِ العِطــرا
وٱعتنقنا وليس همّى سوى مسـ ... ـألةِ الليــلِ أن يُميتَ الفجرا

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

عريت من ظبائها الأُنُس وٱعتاضت الظباء العفرا

وقد ٱحتفظنا بمعناه حين أضطررنا الى ٱزائه . (٢) فى الأصل "نذرا" . (٣) حمّ جمع حمّاء وهى السوداء . (٤) جونا : بيضا . (٥) الرهج : الغبار . (٦) كدر جمع كدراء وهى التى بها غبرة . (٧) أباديد : متفرقا : يذرى : يبدّد ، وفى الأصل "نذرا" . (٨) جوّ : اسم لناحية اليمامة . (٩) بصرى : من قرى بغداد قرب عكبراء ، وفى الأصل "بين جوّ بصرى" . (١٠) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

قسمتْهم يـدُ الشتاتِ فشطرا ... للتـائى وللنـوائبِ شطـرا
فكأنّ الأرضَ الحمولَ أبتْ أن ... يجـدوا[1] فوقَها لرِجلٍ مَقـرّا
خولسوا من يدى غصونا رطيبا ... تٍ وغابوا عنّى كواكبَ زُهْرا
أقتضيهـم مطلَ الإيابِ وقـد ... وفّى الفـراقُ الوشيكُ فيهـم نَذْرا
صحِبَ اللهُ راكبين الى العـ ... ـزّ طريقًا من المخافةِ وَعْرا
سمعـوا هَتفةَ الحمُـول فطاروا ... يأخذون الأرزاقَ بالسيف قهـرا
شربوا الموتَ فى الكريهـة حُلوًا ... خوفَ يومٍ أن يشربوا الضيمَ مُرّا
طَرحوا حاجَهـم وراءَ متـونِ ال ... ـخيلِ ركضا والسـمهريّةَ[2] جرّا[3]
كلُّ عجـلانَ خَطُّهُ لأخيـه : ... العَـلاءَ العـلاءَ إن كنتَ حُرّا
يمـلأون الحُبـا جُلوسًـا فإن ثا ... روا ملأتَ الفضاءَ[4] بيضا وسُمرا
واذا آستُصرخوا لعضّـةِ عامٍ ... ركبوا الجودَ يطـردون الفقـرا
لا يبالى الحـيرانُ ما أطلقوا الأيـ ... ـمانَ[5] أن تُمسكَ السماءُ القَطـرا
إخوتى من بنى الوفاء ورهطى ... ـيومَ أغزو ـ الملوكُ من آلِ "كسرى"
غادرونى فـردا ومرّوا مع الأيـ ... ـام ، والحظُّ بعدَهم أن أمُرّا
أتشكّى القـذَى بمقـلةِ حيرا ... نَ عليهـم الى ضـلوعٍ حَرَى
ليتَ شِعرى بمـن أُعوّضُ عنكم ... يومَ آبى ضيمـا وأدفعُ عُسـرا ؟
فسـدَ الناسُ بعدكم فآستوى فى الـ ... ـعيش مَن سرَّنى نفاقا وضَرّا
ونجا بى ـ ما شئتُ ـ يأسِىَ منهم ، ... نال خيرا من ظنَّ بالناس شرّا
ويلى ! قـد أنادنى الدهرُ خِلًّا ... لَمَّ شَـعثِى وشَـدَّ منّى أزْرا

(١) فى الأصل "تجدوا" . (٢) السمهريّة : الرماح . (٣) فى الأصل "حرّا" .
(٤) فى الأصل "الفضل" . (٥) الأيمان جمع اليمين من الأيدى . وفى الأصل "ما أطلقوا أيمان" .

واحـدا أعلقتْ يدى غلطةُ الأ ـيـ ـام منـه حبـلَ الوفاءِ المُمرَّا (١)

أَلمعيًّا رأَى بعـينِ ٱبنِ ليـلٍ (٢) خافيًا من محاسنى مستسرًّا (٣)

فاقتنانى تغنُّما وٱفـتراطا وٱستبانى قـولا لطيفا وبِرًّا

وتحـرَّى تفضُّلا أن يرى الفضـ (٤) ـلَ مضاعا، والحُرُّ من يتحرَّى

صَدَقَتْ فى "أبى طريفٍ" مياميـ ـنُ ظنونى وقـد تعيَّفن زَجْرا

وتجلَّت غشاوةُ الدهرِ عن قلـ ـبى وفكَّتْ عنِّى الليالى الحَجْرا

وأتانى يتـوبُ من ذنبـه الدهـ ـرُ ٱحتشاما له وكان مُصِرًّا

ألحقَتْنى به غريبا من الآ مال قُربَى تُعَـدُّ صِنْوا وصِهرا

فتحـنَّى لها ورقَّ عليها ورأى الدهرَ عقَّ فيها فبرَّا

وصَـلَ الـودَّ لى بآخيـة الجا (٥) ه فكانا (٦) عُجالةً (٧) لى وذُخـرا

وأتاه صـوتى فنبَّـه منـه "عُمَرًا" حين نبَّهَ الناسُ "عَمْرا"

شيمةٌ منك يابن "باسِلَ" فى السؤ دُدِ لم تُعتَسَـف عليها قَسرا

وعروقٌ زَكَى ثراهنّ فى المجـ ـدِ فأرعَى نباتُهن وأثْـرى (١٦٥)

طاب مَجْناكَ فٱهتصرتُك وَرْدا لـيِّنَ الغصنِ وٱعتصرتُك خمرا

كان نصرى عليـك دَيْنا فـاكنـ ـتَ بغـير القضاء منـه لتَبْرا (٨)

نَدبتْـك العُـلا له فتجـرَّدْ تَ حسـاما فيه وقمتَ هِزبرا (٩)

(١) المرّ : الحبل المفتول فتلا شديدا . (٢) ابن ليل : تقوله العرب لصاحب الغارات وللذى يسير الليل ولا يهوله لقوته وجسارته ، قال الراجز

ما ذا يريبنى الليل من أهواله * إنى أنا ٱبن الليل وٱبن خاله

وله معان كثيرة غير ما ذكرناه لا تناسب السياق .

(٣) مستسرا : متواريا . (٤) فى الأصل "برى" . (٥) الآخية : العروة ومن معانيها أيضا : الحرمة والذمة . (٦) يريد بهذه التثنية : الود والجاه . (٧) العجالة : ما يتزوده الراكب مما لا يتعبه أكله وهو هنا مجاز . (٨) يريد لتبرأ . (٩) الهزبر : الأسد .

مِلَّةٌ فى الوفاء ضيَّعها النا ... سُ وأحيتها سَناءً (١) ونفرا (٢)
ولسانٌ فى الحمد كان عقيما ... قبلُ أولدتَهُ ثناءً وشُكرا
فتأهَّبْ لوافداتِ القوافى ... يعتملنَ الدُّجَى وما كُنَّ سَفْرا
ضاربات فى الأرض طولا وعرضا ... وهى لم تلقَ جانبا مغبَرَّا
حاملاتٍ لُجَّ عرضك من بحـ ... ـر ضميرى ملءَ الحقائب دُرَّا
كلّ غرّاءَ تجتليها على شـ ... ـطك فى الحسن ثيِّباً أو بِكرا
لم أكلِّفك أن تسوقَ مع الرغـ ... ـبة فيها سوى المودةِ مَهرا
وبحقٍّ لم ينشرح لك صدرى ... بمديحٍ حتى ملأت الصدرا
وترآك الشِّعرُ العزيزُ على غيـ ... ـرك كُتمانًا فلانَ شيئا وقَرَّا
كم عظيمٍ أبَى عليه وجبّا ... رٍ ثنَى عنه جيدَه وأمرَّا
فتهنَّ انقيادَه لك وآعلَمْ ... أىّ طِرْفٍ (٣) جعلتُه لك ظَهرا
وآلبس المهرجانَ حُلَّةَ عزٍّ ... لستَ من لُبسها مدى الدهر تعرَى
طاعنا فى السنين تطوى عليه ... نَّ [طوالَ] (٤) السنين عصرا فعصرا
وآعلُ حتى أراكَ أشرفَ كعبًا ... من مكان السُّهَى وأنبَهَ ذِكرا

* * *

وقال وقد بلغه عن الرئيس أبى القاسم هبةِ الله بن على بن ماكولا ذكرٌ جميلٌ، وتقريظٌ لشعره، وتشوُّقٌ الى رؤيته، وكان مقيما بالبَطِيحة، يتقلَّدها وواسطَ حَرْبا وخراجا، وكتب بها اليه

"بالغَور" ما شاء المطايا والمطـ ... ـرُ بَقلٌ ثخينٌ ونميرٌ منهمِرْ
وسرحةٌ ضاحكةٌ وبانةٌ ... غنَّى الربيعُ شأنَها قبلَ السَّحَرْ

(١) السناء: الرفعة والعلو، وفى الأصل "شناء". (٢) فى الأصل "بفرا". (٣) فى الأصل "جلعته". (٤) هذه الكلمة ليست فى الاصل.

وَأَثَّرَ من ظاعنينَ أَحمِدوا ... من عيشهم على "الأُثَيلات" الأَثَرْ
فَراخ من حبالها وخلّها ... تأخذُ من هذا اللُّباخ (١) وتَذَرْ
كم المنى تُرعَى لها وكم تُرَى ... يُمسِك من أرماقها رجعُ الجِرَرْ (٢)
أَمَا نُجُمٌ (٣) لمساقطٍ لها ... يطرحُهنّ بالفلا طول السفَرْ
اللهَ فيها إنها طُرْق العلا (٤) ... وعُدَّةُ المرء لخيرٍ ولشرّْ
ظهورُها العزُّ وفى بطونها ... كنزٌ لليل الطارقين مدَّخَرْ
نعم لقد طاولها مِطالُنا ... وحان أن يُعقِبَها الصبرُ الظفَرْ
"فالغورَ" يا راكبها (٥) "الغورَ" إذنْ ... إنْ صدق الرائدُ (٦) فى هذا الخبرْ
لسًّا (٧) وخضما (٨) أو يعودَ تامكا (٩) ... آلغاربُ التامكُ والجنْب المُعَرْ
وإن حنتَ "للحمى" وروضِه ... "فبالغضا" ماءٌ وروضاتٌ أُخَرْ (١٠)
هل "نجدُ" إلا منزلٌ مفارَقٌ ... ووطنٌ فى غيره يُقضى الوطَرْ
وحاجةٌ كامنةٌ بين الحشا ... والصدر إن ينهِضْ لها البرقُ تُنِرْ
يادِين قلبى من صَبًا نجديّةٍ ... تجرى بأنفاس العِشاءِ والسَّحَرْ
اذا نَسيتُ أو تناسيتُ جَنَتْ ... علىَّ "بالغور" جناياتُ الذِّكَرْ

(١) اللباخ بضم أوّله : شجر عظيم معروف باللبخ . (٢) الجرر جمع جرّة وهى ما يخرجه البعير من بطنه ليضغه ثم يبلعه . (٣) نجم : تُترك ولا تُركَب لتقوى . (٤) الله فيها بمعنى آتقوا الله فيها .
(٥) فى الأصل "يا راكبنا" . (٦) الرائد : الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه ، ومنه قولهم : "الرائد لا يكذب أهله" . (٧) اللسّ ، أن تأخذ الدابة الكلأ بطرف لسانها . (٨) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . (٩) التامك الأولى : بمعنى السنام العظيمة السنام ، والتامك الثانية بمعنى السنام والغارب هما بمعنى الغارب أو الذاهب ، والجنب المعر : الذى أصابه العر وهو الجرب ؛ فيكون معنى البيت أنّ الذى ذهب سنامه لهزاله والذى أصابه العرّ من طول السفر اذا وصل الى الغور أكب على اللس والخضم لكثرة المرعى به فيعود عظيم السنام بعد هزاله (١٠) فى الأصل "أحر"

آهِ لتلك الأوجهِ البيضِ على ... "رامةَ" فى تلك القُبَيْباتِ الحُمُرْ
يـنزو بجنبيّ متى غنّى بها ... قلبٌ متى ما شربَ الذكرى سَكِرْ(١)
كنّا وكانت والليالى رطبةٌ ... بوصلنا والدهرُ مقبولُ الغِيَرْ
أيّام لا تُدفع فى صدرى يدٌ ... ولا يُطاع بى أميرٌ إن أمَرْ
وعاطفُ العيون لى وشافعى(٢) ... ذنبى اليها اليومَ من هذا الشَّعَرْ
وَشَمَّا رجعتُ مهملا عَقلاتِه ... اذا البهامُ نصّعتهنّ(٣) الغُرَرْ
ما خِيلَ(٤) لى أن الدرارى(٥) قبله ... يُنكرها سارى الظلام المعتكِرْ
قالوا : تجمّلتَ(٦) بها غديرةً ... مَردَعةً عن الخنا ومُزدَجَرْ
رُدُّوا سفاهى وخذوا وقارَها ... بَيْعَ الرضا، وندَما لمن خَسِرْ
رحتُ بها بين البيوتِ أزوراً(٧) ... مواريا شخصِىَ من غيرِ خَفَرْ
أحملُ منها بقلةً ذاويةً ... بالعيش كانت أمسِ ريحانَ العُمُرْ
ياقُصرتْ يدُ الزمان شدَّما ... تطول فى ثَلْمى وفى نقضِ المِرَرْ(٨)
عَصَّا شظايَا ومشيبٌ عَنِتٌ ... ومنزلٌ نابٍ وأحبابٌ غُدُرْ
وصاحبٌ كالداء إن أبديتُه ... عَوَّرَ وهو قاتل اذا أُسِرّ(٩)
أحمله حَمْلَ الشَّغا(١٠) نقيصةً ... وقلّةً ما زاد ألّا(١١) وكثُرْ
يُبرزه النفاقُ لى فى حُلّةٍ ... حبيرةٍ من تحتها جلدُ نَمِرْ

(١٦٦)

(١) فى الأصل "شكر" . (٢) يشير بذلك الى سواد شعره وهو فتىّ . (٣) نصّعتهن : جعلتهن نواصع ، وفى الأصل "تضعتهن" . (٤) فى الأصل "حيل" . (٥) فى الأصل "التشاكى" ولا معنى لها هنا مطلقا وهو من تشويه النسخ ، وقد رجحنا كلمة "الدرارى" لأن الشاعر يريد تشبيه ما أبيضّ من شعره بالنجوم فى الظلام الدامس ، وكثيرا ما طرق هو وغيره من الشعراء هذا المعنى .
(٦) فى الأصل "تجملت" . (٧) الأزور : المائل ، وفى الأصل "أزوزا" . (٨) المرر جمع مِرّة وهى طاقة الحبل . (٩) فى الأصل "سر" . (١٠) الشغا : الزيادة فى الأسنان .
(١١) ألّا : صفاءً وبريقا .

مبتسمٌ والشـرُّ فى حِـلاقِـهِ ... خَفْ كيف شئت أرقـا اذا كَشَرْ
لأنفضنَّ النـاسَ عن ظهـرى كما ... قَطَّرَ[1] بالراكبِ مجـلوبٌ عُقِـرْ
فَرْدًا شِـعارى لا مساسَ بينهـم ... منفَرِدَ الليثِ وإن شئتَ القَمَـرْ
نفسى حبيـبى وأخى تقنُّـعى ... وربّمـا طـرَّفَتِ الدنيـا بحُـرّْ
إن يكُ يأسٌ فعسى غائبـةٌ ... تَظهرُ، والنارُ كمينٌ فى الحجـرْ
قـد بشَّـرتنى بكريم هَبَّـةٌ ... بمثلهـا ريحُ الجَنـوبِ لم تَـثُرْ
تقـول لى بصوتهـا الأعـلى ضُحًى ... وبالنسيم فى الدُّجى الحـلوِ العَطِرْ:
إنَّ فَـتًى "مَيسانَ" دون دارِه ... [قد][2] بَقِىَ المجـدُ وحيدا وغَـبَرْ
يعرفُ ما قـد أنكر الناسُ من الـ ... ـفضـل ويُحيِى فى العلا ما قد دَثَرْ
وأنه — جرى بخيرٍ ذكرُهُ — ... حتّ وقـد عُرِّض باسمى وذُكِرْ
وعَلِقَتْ بقلبـه ناشـطةٌ ... مرَّت عليـه من بُنَيَّاتِ[3] الفِكَرْ
فمن هـو الراكبُ ملساءَ[4] القَـرا ... مُضْمَتةَ[5] الظهـر ببطنٍ منقعرْ؟
رفَّعْ ذُنابَاها وخفِّضْ صـدرَها ... مُشرِفـةَ[6] الحارك[7] وقصّاءَ[8] القَصَرْ
تحـدو بها أربعـةٌ خاطفـةٌ ... تُنحى عليها أربعٌ منها أُخَـرْ[9]
اذا المطـايا خِفنَ إظماءَ السُّرى ... فربُّهـا من شَرَقٍ على حـذَرْ
يعـدُّ أبـراجَ السماء عَنَقًـا ... فى مثلها تصـعُّدا ومنحـدَرْ
يرفَعُ عنها حدَبَ الموج اذا آسـ ... ـتنَّتْ[10] صناعُ الرِّجْلِ[11] فى خوضِ الغَمَرْ

---

(١) قطّر: ألقى، وفى الأصل "فطر". (٢) ليست بالأصل. (٣) بنيّات الفكر: الخواطر. (٤) الدرا: الظهر. (٥) يشير بذلك الى السفينة. (٦) الحارك: أعلى الكاهل. (٧) الوقصاء: القصيرة وهو وصف خاص بالعنق. (٨) القصر: أصل العنق اذا علطت. (٩) يشير بذلك الى المجاديف. (١٠) استنّت: اضطربت. (١١) صناع الرجل: الحاذق فى العمل برجله ويقابلها "صناع اليد"، وفى الأصل "صناع الرخل".

لو لم يلاطفها على آعتسافه ... بخُدعةٍ من اللّيان لم تسِرْ:
إسلَمْ وسِرْ وليس إلا سالما ... مَن راح فى حاجةٍ مثلى أو بَكَرْ
قُلْ "لأبى القاسم": يا أكرمَ مَنْ ... طُوِى اليه دَرْجُ أرضٍ أو نُشِرْ
وخيرَ من مُوطِلَ جفنٌ بكًى ... فى مدحه فلم يضِعْ فيه السَّهرْ
وآبنَ الذى قيل: إذا ولّى عن الـ ... ـدنيا تولّتْ بعده على الأثَرْ
وآستشرفَ الملوكُ من عطائه ... والخلفاءُ ما آستعزّ وآحتقرْ
ومَنْ تكونُ "الكَرَجُ"(١) الدنيا بأن ... أُوطنَها "وعِجْلُ"(٢) "سادات البَشَرْ"
لو لم يكن إلا "آبنُ عيسى"(٣) لكُمُ ... فخرا كفى ملء لسان المفتخِرْ
ساقِى العوالى من دمٍ ما رَوِيَتْ ... وعاقرُ البُدْنِ وعاقرُ البِدَرْ
ناصبتم الشمسَ بحدِّ سيفه ... ودستُمُ بسعيه حدَّ القمَرْ
وصارت الشمسُ تُسمِّيكم به ... أنجادَ "عدنانَ" وأجوادَ "مُضَرْ"
مضى وبقّى سؤرة(٤) المجد لكم ... ملآى اذا ما شرب الناس السُّؤَرْ(٥)
لكرماءَ آلتقموا(٦) طريقَه ... وألقوا بينهُمُ تلك السِّيَرْ
وشغلوا مكانَهُ من بعده ... كالشمس سدَّ جوَّها الشُّهْبُ الزُّهُرْ

(١) الكرج: مدينة بين همذان وأصبهان وأول من مصّرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلىّ وجعلها وطنه وكان قائدا فى عهد المعتصم كريما ممدّحا مشهورا بالسماحة والشجاعة وله مكان فى الشعر والثناء وهو الذى قال فيه علىّ بن جبلة

إنما الدنيا أبو دلف * بين مغزاه ومحتضرهْ
فاذا ولّى أبو دلف * ولّت الدنيا على أثرهْ

والى هذه الصفات يشير مهيار فى الأبيات التالية كما أشار الى هذين البيتين فى قوله .

وآبن الذى قيل: اذا ولّى عن الـ * ـدنيا تولت بعده على الأثر

(٢) عجل: اسم قبيلة . (٣) ابن عيسى: أبو دلف المأرّ ذكره . (٤) السؤرة: البقيّة .
(٥) فى الأصل "ملى" . (٦) التقموا طريقه: نهجوا منهاجه .

زكيّة طينتُهم، حديدة شوكتُهم، طاب حصاهم وكثُرْ
لا يتمثّلون الضّراء[1] غيلةً لجارهم ولا يدبّون الخمر[2]
كلُّ غلام ذاهبٌ بنفسه مع العلاء إن بدا وإن حضَرْ[3]
إمّا زعيمُ فيلقٍ يطرحهم في لهَوات الظلم حتى ينتصرْ،
مغامرٌ مسلّطٌ بسيفه على الردى منتصفٌ من القدَرْ،
أو تاركٌ لفضله من دينه ما عزّ من سلطانه وما قهَرْ
عفّ عن الدنيا وقد تزخرفتْ ممكنةً وعافها وقد قدَرْ
(١٦٧) محكّمٌ في الناس يقضي بينهم بُحكَم الآي ومنصوص السُّوَرْ
فكلّكم إمّا ابن عزٍّ حاضرٍ بسبقه أو ابن عزٍّ مدّخَرْ[4]
وحسبُكم شهادةً "لقاسمٍ" مجدُ "أبي القاسم" عينًا بأثَرْ
حدّثَ عنه مثلَ ما تحدّثتْ عن كرم الأغصانِ حَلواءُ الثّمَرْ
مواهبٌ في "هبة الله" لكم أوفى بها على مناكم وأبَرّْ
يا مسلفي تبرُّعا من ودّه سلافةَ الخمرِ ووسميَّ المطَرْ[5]
ومُنزلي من شُرُفاتِ رأيه مكانَ يخطُّ السهى ويحدِرْ
لبّيك قد أسمعتني وإن يغبْ سمعي عنك ففؤادي قد حضَرْ[6]
عوائدٌ من الكرامِ عاد لي ميّتُهن بعلاك ونُشِرْ
كم فيّ من جُرحٍ قد التحمتَهُ بها ومن كسيرٍ عَصَبتَ فجُبِرْ
ملكتَ رقّي وهواي فاحتكمْ ملكَ اليمين لم أَهَبْ ولم أُعِرْ
لثمتُ ما خطّت يدُ الكاتب من وصفكَ لي لثمَ المطيفين الحجَرْ

(١) الضراء: الاستخفاء. (٢) الخمر: الخفية، يقال: "هو يدبّ له الضراء ويمشي له الخمر" لمن يختل صاحبه. (٣) بدا وحضر: أقام في البادية أو في الحضر. (٤) في الأصل "بسيفه". (٥) الوسميّ: أول مطر الربيع أو مطر أول الربيع. (٦) في الأصل: "ففؤادي".

وقلتُ : يا كامنَ شوقٍ ثُرْ، ويا قلبيَ إمَّا واقعا كنتَ فَطِرْ
ويا ظَمائى هذه شريعةٌ يدعو اليها الواردين من صَدَرْ
فلو علِقتُ بجناحِ نهضةٍ حوَّمَ بى عليك سعىٌ مبتدَرْ
ولرأيتَ معَ فرطِ حشمتى وجهى عليك طالعا قبلَ خَبَرْ
لكنَّها عزيمةٌ معقولةٌ (١) تئنُّ من ضغط الخطوبِ والغِيَرْ
وهمةٌ عاليةٌ يحطُّها أسْرُ القضاء لا يفكُّ من أَسَرْ
وربّما تلتفتُ الأيّام عن لحاجها أو يُقلعُ الدهرُ المُصِرّ
وإن أُقِمْ فسائراتٌ شُرَّدٌ يَزُرن عنّى أبدا من لم أَزُرْ
قواطعٌ (٢) اذا الجيادُ حَبَسَتْ اليك أمراسَ (٣) الحبالِ والعُذُرْ (٤)
كلُّ ركوبٍ رأسَها الى المدى لم تزجُر الطيرَ ولمَّا تستشِرْ
نهارُها مختلطٌ بليلها ترمى العشيّاتُ بها على البُكَرْ
تجمِلُ من مدحكُمُ بضائعا يمسى الغبينَ فى سواها من تَجُرْ (٥)
كأنّما حلَّ "اليمانون" بها عِطارَ "دارين" وأفواقَ "هَجَرْ"
لم يمضِ من قبلى فمٌ لأُذُنٍ بمثلهنّ مُوعَبًا ولم يَطِرْ
سلَّمها قولُ هذا الشعرِ لى ضرورةً، ما سلَّموها عن خِيَرْ
شُهْدٌ لمن أحبَّكم وأَقِطٌ (٦) وفى أعاديكم سِمامٌ وصَبِرْ
لتعلموا أن قد أصاب طَوْلُكم (٧) مَن عرفَ النعمةَ فيه فَشَكَرْ

---

(١) معقولة : محبوسة مشدودة بالعقال . (٢) قواطع : تقطع البلاد وتجتازها كالطيور القواطع . (٣) أمراس جمع مِرَاس (جمع مِرَسة) وهى الحبل . (٤) العذر جمع عذار وهو الجام . (٥) تجر : يباع ويشترى ، وفى الأصل "تحر" . (٦) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ حتى يمصل . (٧) الطول : العطاء .

* * *

وقال يرثى الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم، وقد قتل محبوسا بعد طول الأسر فى قرية على شاطئ الفرات من أعمال هِيت (١)

مَنْ حاكمٌ وخصومِيَ الأقـدارُ؟ كثُر العـدوُّ وقلّت الأنصارُ!
أشجَى من الدنيا بحبِّ مقلِّب وجهين، عُرفُ وفائه إنكارُ
سـوْمَ الدعىِّ اذا تضرَّع ردَّه للؤم عرقُ الهُجنـة (٢) النَّعّار (٣)
واذا وَفَى لمنـاىَ يـومٌ حاضرٌ فأجارَ أسـلمنى غَدٌ غـدّارُ
أفصخرةٌ يا دهرُ هـذا القلبُ أم هو للهمـوم السـاريات قرارُ؟
فى كلِّ يـومٍ للنوائبِ شَـلَّةٌ (٤) من جانبىَّ وللهمـوم غِوارُ (٥)
ومصائبٌ متحكّماتٌ ليس لى معهنَّ فى بيع النفـوس خِيـارُ
تُحِى فأحملُها ثِقـالا مُكرَها وكأننى بتجـلُّدى مختـارُ
جُرْحٌ على جُـرْحٍ ولكن جائفٌ (٦) ضـلَّ الفتائلُ (٧) فيـه والمسبارُ (٨)
فَجَرَتْ عمائفُه العـروقَ وغادرتْ قَصَبَ (٩) العظامِ وهنَّ مُخٌّ رارُ (١٠)
فاغمـزْ قناتى يا زمانُ فإنّه ذاك المماكسُ طائحٌ خـوّارُ
كُشِفَتْ لنَبْلِكَ غامضاتُ مَقاتلى وترفَّعتْ عن صَفحتِى الأستـارُ
وأكلتُ لا خَلَفٌ يردُّ سـلامتى ذلًّا ولا يحمى حمـاىَ جِـوارُ

---

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد . (٢) الهجنة : عدم الإعراق . (٣) النعّار : المصوّت . (٤) الشلّة : المرة من الشلّ وهو الطرد ، يقال : فلان يشلّهم بالسيف أى يطردهم ويكسعهم ، وفى الأصل "سلة" . (٥) الغِوار : الغارة . (٦) الجائف : الطعن أو الداء بلغ الجوف ، وفى الأصل "جارف" . (٧) الفتائل جمع فتيلة وهى الخرقة تفتل وتراثُ ، وفى الأصل "القبائل" . (٨) المسبار : الآلة يجسّ بها الجرح . (٩) فى الأصل "فصب" .
(١٠) الرار : الدائب .

ذهب الذى كانت تجامِلنى له الد نيا وتسقُطُ دونِىَ الأخطارُ
ويُردُّ فارسةَ(١) الخطوبِ نواصلًا مِنِّى مخالبُهنَّ والأظفارُ (١٦٨)
من يشترينى بالنفائسِ مُغلِيًا بعدَ "الحسينِ" ومَنْ علىَّ يغارُ؟
ويُظِلُّنى واليومُ أغبرُ مشمسٌ أتجلَّلُ النكباتِ وهى أُوارُ(٢)
أم من يضُمُّ بدائدَ الآمالِ لى ويُفَلُّ عنى بأسمه الإقتارُ(٣)
واذا اقشعرَّتْ(٤) أرضِىَ استصرختُه فاذا لجينٌ تُربُها ونُضارُ
المخذمُ(٥) البتّارُ أسقطَ من يدى والغيثُ أقلعَ عنِّىَ المِدرارُ
والصاحب انتُزِعَتْ قوادمُ أسرتى منهُ وهِيضَ جَناحُها الطيَّارُ
فاليوم لا أبتِ الصَّغارَ ولا اعترتْ إلا عبيدًا "فارسُ" الأحرارُ
وتطأطأتْ ذلًّا فطالت ما اشتهتْ شرفا عليها "يَعرُبٌ" "ونزارُ"
كمًّا وإن كَرُمتْ نفاخرُها [به](٦) فالآنَ ما بعدَ "الحسين" فخارُ
لا خفتُ بعدُ ولا رجوتُ وقدثوى فى التُّرب منه النافعُ الضرَّارُ
سائلْ بهذا الذَّودِ(٧) يرغو بكرُه(٨) فى الحىّ: أينَ المُقرمُ(٩) الهدَّارُ(١٠)
ومتى أخلَّ أبو الشبول بغيله فتناهقتْ من حوله الأعيارُ
يا مُدْرَجا فردا تُسَدَّى(١١) فوقه بالقاع أرديةُ الثرى وتُنارُ(١٢)

(١) فى الأصل "فارسه". (٢) ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا
* ويظل من واليوم مشمس أغبر *
وتصحيحه بما رجحناه لا يخفى على أهل الأدب واللغة. (٣) الإقتار: قلة المال والافتقار.
(٤) اقشعرّت: أجدبت. (٥) المخذم: السيف. (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل.
(٧) الذود: من الإبل ما بين الثلاثة الى التسعة وهو واحد وجمع كالفُلك. (٨) فى الأصل "يرعوا".
(٩) البكر: الفتىّ من الإبل. (١٠) المقرم: الفحل يترك عن الركوب والعمل للفحلة.
(١١) تسدّى: يجعل لها سَدًى وهو ما مُدَّ من خيوط الثوب بخلاف لُحمته. (١٢) تنار: يجعل لها نير وهو اجتماع الخيوط بخلاف السدى، وفى الأصل "تنار".

مُلقًى وراءَ نســيَّةٍ ومَضــلّةٍ ... تُخفِي ضريحَك والقبــورُ تُزارُ
أذللتَ قلــبي للأسى وتركتنى ... أتبرَّدُ الزفــراتِ وهى حِرارُ
وحطمتَ آمالى فهنّ ضعائفٌ ... وقَصرتَ من همى فهنّ صِغــارُ
أنا من شِفار القاتليك متى ٱلتقتْ ... من مقلَــتىَّ مع الكرى الأشفارُ
أو قلتُ معتاضا بجارٍ مثــله ... جارٌ ولا بالدار بعــدك دارُ
و متى صحبتُ العيشَ بعدك باردا ... والنــاسُ صاروا بى الى ما صاروا
نبــذوا عهودَك آنفــا وتقسَّموا ... رُمَمًا بحبــل الخُلف وهو مُغــارُ
ظنُّوا بفقــدِك أن يَلُمُّــوا شَعثَها ... يا رُبَّ نقضِ جَــرَّه الإمرارُ
ورجَوْا بهُلكك أن يخلّد ملكُهم ... فاذا سلامتُهــم بذاك بَــوارُ
فعلامَ لم تُشكَمْ(١) وقــد فغرتْ لهم ... فلجاءُ(٢) يُنكرنا بهــا الفــرَّارُ
وتفجَّرتْ بالشرّ بعــدك والأذى ... جنباتُهــا وتداعت الأقطــارُ(٣)
حذِروا السجالَ(٤) يخابطون قَليبَهــا ... والحبــلُ(٦) واهٍ والجَبــا(٧) منهارُ
ودّوا لو آنك حاضرٌ فكفيتَهــا ... لمــا تــولّى أمرَها الأغمــارُ
ورعَى النــدامةَ حيث لم يشبع بها ... غاوٍ رماك وآخرون أشاروا
ولّى يفــرُّ ولم يعفْها سُــبَّةً ... تَسرى وليس من الحِمامِ فرارُ
سرعانَ ما ٱستعروا بجمــرةِ بغيهم ... ولربَّ باغٍ غــرَّه الأنصــارُ
طرحوا الفراتَ الى الفراتِ فمادرى ... مُلقــوك أيُّهمــا له التيّــارُ(٨)

(١) تشكم : توضع فيها الشكيمة وهى حديدة اللجام . (٢) الفلجاء : المتباعدة ما بين الأسنان ويريد بها هنا الوزارة من باب المجاز . (٣) الأقطار جمع قطر وهو الجانب . (٤) السِّجال جمع سَجْل وهو الدَّلو . (٥) القليب : البئر (٦) فى الأصل " والحال " . (٧) الجبا : تثيلة البئر وهي التراب الذى حولها تراه من بعيد ، وفى الأصل " الحيا " . (٨) فى الأصل " البتار " .

وتعاظموا أن يَقبُروك ومن رأى ... ليثا يُخَطُّ [له الثرى](١) مِحفارُ(٢)

"وأبى العلا" ما كنتُ أعلم قبلَها ... أنّ البحورَ قبورُهنَّ بحارُ

ذلًّا لبيض الهند بعدك شدّ ما ... غدَرتْ ولا سَلِمَ القنا الخطّارُ

ما كان أنكلهنَّ عنك لو أنه ... عند السلاح حفيظةٌ وذِمارُ

قتلوك محصورا غريبا لا تَرَى ... مولًى يُعِزُّ ولا بجنبك جارُ

من خلْفِ ضيِّقةِ السماء بهيمةٍ ... يغزو بقلبك بأبُها الصَّرّارُ

حفروا الزبى(٣) لك فارتديت وإنما ... سلطانُ ليث الغابة الإصحارُ(٤)

هلا وفيك الى وثوبٍ نهضةٌ ... ولديك مُتّقَدٌ(٥) وعندك زارُ(٦)

وخطاك واسعةُ المَدى تحت الظُّبا ... لا الخيطُ يحبسها ولا المِسمارُ(٧)

أعزِزْ عليَّ بأن تصابَ غنيمةً ... في القِدِّ(٨) يجمعُ ساعديك إسارُ

في حيث لا يُروَى على عاداته ... بيديك نَصلٌ حائمٌ وغِرارُ(٩)

وبمصرع لك لم تثابر دونه ... فوق الأكفّ صوارمٌ وشِفارُ

والخيل صامةٌ على أشطانها ... قَرْحَى(١٠) تقامَصُ خلفَها الأمهارُ

بشياتها لم يُختضَبْ بدمٍ لها ... عُرُفٌ ولم يُبلَلْ عليك عِذارُ

أو أن يكون الجوُّ بعدك ساكنا ... واليومُ أبيضُ ما عليه غبارُ

ووراء ثأرك غِلمةٌ لسيوفهم ... في الرَّوع من مهج العدا ما آختاروا (١٦٩)

يتهافتون على المنون كأنّهم ... حِرصًا فَراشٌ والمنيّةُ نارُ

---

(١) هاتان الكلمتان لبستا في الأصل . (٢) المحفار : الآلة يحفربها . (٣) الزبى جمع زبية وهى الحفرة ، وفى الأصل "الربى" . (٤) الإصحار : البروز للصحراء . (٥) المتقد : السعة ، وفى الأصل "منتقد" . (٦) يريد زأر فسهّلت الهمزة . (٧) يشير بذلك الى القيد كما يدلّ عليه البيت التالى . (٨) القدّ : سير من جلد يقيّد به الأسير . (٩) الغرار : حدّ الرمح والسهم والسيف . (١٠) في الأصل "مرحى" .

حلماءُ فى الجُلّى فإن هم أُغضِبوا ... طاشوا فخَنّت[1] فيهم الأوتارُ
لو صحتَ تُسمعهم وصوتُك فى الثرى ... لخصوا عليك وفى السماء لطاروا
خذلوك مضْطَرّين فيك وجمجموا ... من بعد ما فَصُحت بك الأخبارُ
وتناذروا أن يندبوك تقيّةً[2] ... فالحزنُ بينهم عليك سِرارُ
إن يُمسكوا فيضَ الدموع فربّما ... فاضت عيونٌ فى الصدور غِزارُ
أو يجلسوا نظرا ليوم تشاورٍ ... فالريثُ أحزمُ ما أرابَ بِدارُ
ولربّما نام الطّلوبُ بثاره ... لغدٍ ولكن لا ينام الثارُ
وقد آشتفى بعد البسوس "مهلهل" ... زمنا وما نَسِيَ الدَّمَ "المِزارُ"
وعلى "الطّفوف" دمٌ أطيلَ مِطالُه ... حتى تقاضَى دَيْنه "المختارُ"[3]
لا بدّ من يومٍ مريضٍ جوُّه ... للخيل فيه بالرءوس عِثارُ
متورِّدِ الطرفين يكفُرُ شمسَهُ ... دَجْنٌ له عَلَقُ الكماةِ قِطارُ
تَصلاه باسمك آخذين بحقّهم ... عُصَبٌ لهم "عبدُ الرحيم" شِعارُ
فهناك يعلم قاتلوك بأنه ... ما عُقّ مَن أبناؤه أبرارُ
ويرى عدوُّك — والبقاءُ لغيره — ... أنّ البقاءَ وإن أطيلَ مُعارُ
وإن آشتفى وحَلا بفيه غدرُهُ ... أنّ آعتقابَ حلاوتيه مُرارُ
ولقد يُشاك[4] المجتنِي بمكان ما ... عجِلتْ يداه ويُلدغُ المشتارُ
ولّى بها شنعاء تذهبُ نفسُهُ ... فيها ويبقَى لومُها والعارُ

---

(١) لخنت : فصوّتت ، والأوتار جمع وتر وهو شرعة القوس ومعلّقها . (٢) تقيّة : اتقاء وخوفا . (٣) الطفوف : يراد به الطفّ وهو موضع قرب الكوفة قُتل به الإمامُ الحسين رضى الله عنه والمختارُ هو ابن عبيد الثقفىّ وقد قام بأخذ الثأر من قَتَلة الحسين فدعا الناس الى محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بابن الحنفيّة . (٤) فى الأصل "يشال" .

درستْ بك السُّنن الحميدةُ وٱغتدى ... نقْـدُ المكارم وهو منك ضِمارُ[1]
هل سائلٌ بك بعـدها أو قائلٌ ؟ ... هيهات لا خَـبرٌ ولا ٱستخبارُ !
حتى كأنك لم تقُـدْ ملمـومةً[2] ... يُومَى اليـك أمامَها ويُشارُ
خرساءَ إلا ما تكلَّم صارمٌ ... فى قَوْنَسٍ[3] أو طَنَّ عنـه فقَارُ
تهفـو عليك عُقابها[4] ويضمُّها ... منشـورةً لفنائك التَّكرارُ
وكأنَّ رأيك لم يلُحْ قَبَسًا اذا ... عَمِيتْ عشايا الرأى والأسحارُ
واذا خِلاط الأمرِ سُـدَّ طريقُه ... فلديك واضحـةٌ له وقـرارُ
وكأنّ بابَك لم يكن لعُفـاته ... حَرَما يُجـير ولا حمًى يُمتارُ
يأوى اليـه المسنتون[5] ويلتـقى ... بفِنـائه السُّفَّارُ والحُضَّارُ
وتبيت تَلْغَـطُ من وصائلِ ناقةٍ ... عُشَرَاءَ عنـدك بُرمةٌ[6] أعشارُ
تُصفِى كرائمَها الضيوفَ وتكتفى ... فيما يليك بما ٱنتقى[7] الجزَّارُ
وكأنّ كفّك لم تَبِنْ فى ظهرها ... قُبَـلُ الملوكِ وتشـهدُ الآثارُ
ويخفُّ بين بنانهـا إن حُمِّلَتْ ... ضـبطُ الحسامِ ويثقلُ الدينـارُ
بالكره منـك وبالمَسـاءة رَوَّحَت ... لسوى العُقور على البيوت عِشـارُ
وتراجعتْ وخـدودُها ملطومةٌ ... بُزُلٌ لقصـدك وُجِّهَتْ وبِكارُ
وغفلتَ لم تسأل ـولستَ بغافلٍ[8]ـ ... أنّى تنكَّب بابَك الزُّوَّارُ
وتسلَّبتْ من فارسٍ أو راكبٍ ... تلك السروجُ اليـك والأكوارُ

(١) الضمار : الوعد المسوّف . (٢) الملمومة : الكتيبة . (٣) القونس : مقدّم الرأس أو العظم الناتئ بين الأذنين . (٤) العقاب : الراية وكانت راية النبيّ صلى الله عليه وسلم تسمى "العقاب" . (٥) المسنتون : المجدبون . (٦) البرمة : القِدر . (٧) انتقى : استخرج النِّقْيَ وهو مخ العظام . (٧) فى الأصل هكذا

* وعقلت لم تسأل ولست بعاقلٍ *

ومـــتى أرمّ[1] المادحون وأكسدتْ ... من بعـد ما نفقتْ بك الأشعـارُ

أو أن أقولَ فلا تصيخ لقـــولتى ... لو كنتَ متروكا وما تختـارُ[2]

وترى الزمانَ يَضيمنى[3] فيفوتنى ... من راحتيك حميَّـــةٌ وغِيـارُ[4]

قد كنتَ حصنا من وَرائى وكان لى ... بك من أمامى جُنَّةٌ وصِـــدارُ

أيامَ شـــبيى تحت ظلّك نضرةٌ[5] ... وصِبًا ولِيـــلِى فى ذَراك نهـارُ

وعلىَّ من نُعمَى يديك طلاوةٌ ... أمشى وتتبعنى لها الأبصارُ

قد كنتُ أحسبُ أن بأسَك هضبةٌ ... لا يســتطيع رُقِيَّها المِقـــدارُ

وأقولُ[6] أنّ لسقف بيتك فى العلا ... عَمَـــدًا حبالُ الموت عنـه قصارُ

وإخالُ جودَك نَشْـلةً دون الردى ... حصـداءَ تمنع فَرْجَهـا الأزرارُ[7]

فاذا الشجاعةُ والسماحـــةُ مَتجَرٌ ... تزكو بـــه الأعمـالُ والأعمارُ

غـــدرا من الأيّام تُفْتِـــقُ شمسُها[8] ... والأرض تورقُ فوقَها الأشجـارُ

ومذلَّة فى السُّحبِ وهى صواحب ... ليديك تَنزِل بعـــدك الأمطارُ

كم قـــد تعلَّلتِ المنى بك ، تارةً ... أمنٌ وطورا خِيفـــةٌ وحِذارُ

وتخالفتْ فيك الرُّواةُ فسرّنى ... وتلوّنت بحـــديثك الأخبـارُ

ولقـــد ظننتُ بها وراءَ لثامها ... خـــيرًا فكشَّفَ قُبحَها[9] الإسـفارُ[10]

إن تفتقدْ عينى مِثالَك فى العـــلا ... فبنوك من عَين العـــلا آثارُ

---

(١) أرمّ : سكت . (٢) فى الأصـل " تحتار " . (٣) فى الأصـل " يضمّنى " .
(٤) الغيار : الغيرة من الحميّ والأنفة ، وفى الأصل " عثار " . (٥) فى الأصل " نصرة " .
(٦) أقول هنا بمعنى أظنّ . (٧) فى الأصل " الإزار " . (٨) يقال : أفتق قرن الشمس بمعنى أصاب فتقا من السحاب فبدا منه . (٩) فى الأصل " فتحها " . (١٠) فى الأصل " الأشفار " .

سدُّوا مكانَك والشموسُ اذا هوتْ ... مــلأت مَطارحَ نورِها الأقمارُ
طِبْ فى الثرى نفسًا فكلُّ منهُمُ ... ثَمَّ آقتراحُك فيــه والإيثارُ
هم، أنفسا تُدوى[1] عداك وألسنا، ... ن جمـرتيك سـلائطٌ وشَرارُ
كانوا السَّراةَ وقد عدِمتَ وبعضُهم ... لأبيـه إن طـرَقَ الحِمامُ عَوارُ
متلاحقين الى العــلاء كأنّهم ... مُجــرَوْنَ يجمعُ بينهــم مِضمارُ
الوفــدُ وفدُك طائفٌ ببيوتهــم ... والحامــلُ العبقــاتِ والشُّمّارُ
تُتلَى عليهم فيــك كلُّ فضيــلةٍ ... للبيْتِ فيهـا النشرُ والتّــذكارُ
أيدٍ طُبعنَ على السماح وأوجــهٌ ... فى عتقهـا من دوحيتــك نِجارُ
هم ما همُ! ويزينُ مجــدَ أبيهمُ ... خالٌ لزَندِ المجــدِ منــه سِــوارُ
ما غِبتَ عنهم وهو شاهدُ أمرهم ... لك منه فيهــم كافلٌ وطَــوارُ
فليبــقَ وليبقــوا له ما طبّق الـ ... ـآفاق طِيبُ ثنائك الســيّارُ
واذا العــزاءُ أتى فــذَلَّ لهم به ... فيك العزيزُ وأسهــلَ المِعسارُ
ولقــد أُسلّيهــم[2] وفى عِظتى لهم ... جَزَعٌ ورَجْع كلامِيَ آستعبارُ
ساهمتُهــم عِبءَ المصابِ وكلُّنــا ... تحت التجمُّــل حامــلٌ صبّارُ
لا تبعُــدَنّ بِلًى، فقــد فات البلى ... بك أن يُظَنّ تقــاربٌ ومَزارُ
وسقاك ــ إن عطِش القليبُ وماؤه ... متبجِّسٌ[3] وقَــرارُهُ خَــرّارُ[4]

(١) تدوى : تُمرض . (٢) فى الأصل "أسلبهم" . (٣) متبجّس : متفجّر، وفى الأصل "متحس" . (٤) خرّار : له خرير وهو صوت الماء، وفى الأصل "جرّار" .

متهـــدِّلُ الأطرافِ يَمسَحُ بالثرى ... مما ترا كَمَ ذيـــلُهُ الجَـــرَّارُ
صَخِبُ الزُّعودِ تَهيـــجُ فى جَنباتِهِ ... للعـاصفـاتِ جَرابِرٌ[1] وخُـــوارُ
فجـــرى يجلِّلُ بالحيـا حِيطـانَهُ ... حتى الجـــداولُ تحتهـا أنهـارُ
يَسقِ بأعذب ماسَقَى حيث ٱلتقتْ ... فِلقُ الصفيح عليـــكَ والأحجـارُ
حتى يُظنَّ ثراكَ نَشـــوانا به ... دارت عليـــه من السحابِ عُقارُ
ويضوعَ منك بطيبِ مافى ضمنه ... فكأنّ ضارجَ تُربه عطّـارُ
ونزلتَ حيث تُحَطُّ أملاكُ العـلا ... شـــوقا اليـــك وتُرفَعُ الأوزارُ

تم الجـــزء الأوّل

ويليه الجزء الثـانى ، أوّله قصيدة مطلعها

رعَتْ بين "حاجَرَ" والنعفِ "شهرا" ... جَمـــيمًا[1] وعبَّتْ[2] شآبيبَ غُـــزْرَا

(١) الجرابر : الأصوات . (٢) الجميم : النبات الكثير . (٣) عبّت : شربت وجرعت ، وفى الأصل " غيّت " .

إصـــلاح خطأ

وقعت فى هذا الجزء أغلاطٌ قليلة نرجو تصحيحَها فى صُحُفِها وهى :

صحيفة	سطر	خطـــأ	صـــواب
١	١١	وقَذاءُ	وقَذاةُ
٢٧	١٢	المزاح	المِراح
٢٧	٢٠	(٤) الجُرُبُ جمع أجرب	(٤) الجَرِبُ : الأجربُ
٢٨	٢٢	(٩) الأُهَبُ جمع أُهبة وهى العدّة	(٩) الأُهُبُ جمع إهاب وهو الجلد
٣٠	٦	كاثُرُوا	كاثَرُوا
٤٤	١٥	الزُّنْجِىّ	الزُّنَجِىّ
٤٥	٢١	حجراتهم	حجزاتهم
٤٧	٧	رافدتْ	رادفتْ
٤٧	٩	تُدْمَل	تَدْمَل
٤٧	١٦	شبهَهُ الأيّامَ	شبهةَ الأيّامِ
٤٨	٢	حُسنَها	خِسْتَها
٤٨	١٠	رأَمتْ أبواءَها	رُئِمتْ أبواؤُها
٤٩	٩	محداجُها،	مخداجُها
٥٠	١٧	دُبو بها	دَبو بها
٥٠	٢٢	(٩) تزم : تصوتُ	(٩) تُرِمّ : تسكُتُ
٨٨	٨	أبى الحسين	أبى الحسن
١٥٥	٢٠	(٣) الِمرَّة : الحجارة السود	(٣) الحَرَّة: الأرضات الحجارة السود
١٥٧	٢١	(٦) لأذَمّتْ : لأعيت	(٦) لأرمّتْ : لسكتَتْ
١٧٥	١٧	وُرقاء	وَرقاء

(مطبعة الدار ٩٢/١٩٢٤/٣٠٠٠)

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

ديوان مهيار الديلمي

الجزء الثاني

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

فهرس

قوافى الجزء الثانى من ديوان مهيار

صحيفة

تتمة قافيـــة الراء ١

قافيـــة السين ١٢٨

« الصـاد ١٤٥

« الضـاد ١٥٠

« الطـاء ١٥٧

« العين ١٧١

« الفـاء ٢٥٩

« القـاف ٢٨٨

« الكاف ٣٦٦

(ملحوظة) ليس للشاعر قوافٍ من حروف الزاى والشين والظاء والغين .

الجزء الثانى

من ديوان مهيار

صحّحنا هـذا الجزء بالطريقة التى صحّحنا بها الجزء الأوّل ، وهو لا يقلّ عناءً فى تصحيحه عن سابقه ، ويتبيّن ذلك من التصويبات الموضوعة فى أواخر الصحف ومن الأمثلة التى آخترناها للدلالة على مبلغ ما فى هذا الجزء من تحريف ، ونقلنا صفحتين فتوغرافيّتين لتكونا نموذجا لباقى الصفحات ، إحداهما صفحة (٢١٦) التى طُمست أوائلُ أبياتها طمسا تامًّا أو بقى من كلماتها أواخر حروفها ، فأوجدنا أخرى غيرها تتفق مع سياق البيت ومع ما بقى من حروفها الأخيرة ووضعناها بين هـذه العـلامة [ ]

وقد توسّعنا فى الشرح بقدر ما يحتمله المقام ، عملا بإشارة كثيرين من ذوى الرأى والعـلم والأدب ، وفى مقدّمتهم حضرة صاحب العزة "محمد أسعد برّاده بك" مدير دار الكتب المصرية شاكرين له تعهّده إيّانا بإرشاده وسداد رأيه ؛

أحمـد نسـيم

بدار الكتب المصـرية

امثـــلة

من كلمات محـرّفة

صحيفة سطر

الأصل : أمنتك يا "قران" وربّ يومٍ حذرت لو أنه نفع الحـذارُ

٦ ١٠ صوابه : أمنتك يا "فراق" وربّ يومٍ حذرت لو أنه نفع الحـذارُ

* * *

الأصل : ترى "الـووق" الزاكيا ت من شـفافات الثمـرْ

١٤ ٨ صوابه : ترى "العـروق" الزاكيا ت من شـفافات الثمـرْ

* * *

الأصل : يأوى الى "بديعـةٍ" من عزمه تطلعه قبـل الورود الصـدَرا

٢٧ ١٤ صوابه : يأوى الى "بديهـةٍ" من عزمه تطلعه قبـل الورود الصـدَرا

* * *

الأصل : والأمر فيكم، لا يطاع "لفى" زُورٌ ولا يراقب آسمٌ مفـتَرَى

٣٢ ٢ صوابه : والأمر فيكم، لا يطاع "لقبٌ" زُورٌ ولا يراقب آسمٌ مفـتَرَى

* * *

الأصل : ولكن تطالَلْ بعين النصيح لعـلّك "مشـتفر" تنظـرُ

٣٣ ١١ صوابه : ولكن تطالَلْ بعين النصيح لعـلّك "مستشرفا" تنظـرُ

* * *

الأصل : "فتحلم" فى ربوعك أو تسدّى خمائلَ تأسر الطـرفَ الطليقا

٣٥٦ ٩ صوابه : "فتُلحم" فى ربوعك أو تسدّى خمائلَ تأسر الطـرفَ الطليقا

أمثـــلة

من أبياتٍ سقط بعضُ ألفاظها

صحيفة سطر

الأصل : فإن تقتنوها بالجميل ..... لكم حصونا على الأحساب من أنفس الذخرِ

٢٥ ٥ صوابه : فإن تقتنوها بالجميل [بنت] لكم حصونا على الأحساب من أنفس الذخرِ

* * *

الأصل : ودونها من أسلاتِ عامرٍ جمـــرة ..... لا تبوخ نارُها

٨٨ ٣ صوابه : ودونها من أسلاتِ عامرٍ جمـــرة [حربٍ] لا تبوخ نارُها

* * *

الأصل : وَحفٌ اذا ماغربت ..... يدَا فارقـــةٍ أدردَ أسنانَ المشُـــطْ

١٥٩ ٨ صوابه : وَحفٌ اذا ماغربت [فيه] يدَا فارقـــةٍ أدردَ أسنانَ المشُـــطْ

* * *

الأصل : والمـــالُ أهون أن تُضيعَ لحفظه إن كنت حرًّا ماءَ .....

٢٦٩ ١٤ صوابه : والمـــالُ أهون أن تُضيعَ لحفظه إن كنت حرًّا ماءَ [وجهٍ يُتَرَفُ]

* * *

الأصل : ورَى أكبادَها بالقاع ... جـــوائمُ ما آستتمّ لهنّ خَلقُ

٣٥٧ ١٣ صوابه : ورَى أكبادَها بالقاع [زُغبٌ] جـــوائمُ ما آستتمّ لهنّ خَلقُ

(ملحوظة) نعيد هنا ما قلناه فى الجزء الأوّل : "وآضطررنا الى زيادة طائفة أخرى من الكلمات التى نقصتها الأبيات لتحلّ محلّ المفقود، وراعينا فى ذلك ما يرمى اليه الشاعر، غير جازمين بأنها هى بعينها ، إذ قد تختلف هـــذه الكلمات فيما لو وجدت نسخة أخرى، ولكنا زدناها لتعطى صورة تكميليّة لحسب لهذه الابيات فى آتزانها ومعناها" .

أمثـــلة

من كلماتٍ أُهملتْ أو أُعجمتْ خطأً

صحيفة سطر

الأصل : رِباطا لشـملهمُ أن "يشـدَّ" ودعمـا لسقفهمُ أن يخِـرّا

٤ ١٥ صوابه : رِباطا لشـملهمُ أن "يشِـدَّ" ودعمـا لسقفهمُ أن يخِـرّا

+ + +

الأصل : " وإنمـا " علاقـــــة بين الغـرام والعُمُـرْ

١٢ ٥ صوابه : " وأيّمـا " علاقـــــة بين الغـرام والعُمُـرْ

+ + +

الأصل : وإما أن "تجيبَ" فلست فيهـا بأوّل طالبٍ حُرِمَ الفُـوقا

٣٥٤ ٦ صوابه : وإما أن "تخيبَ" فلست فيهـا بأوّل طالبٍ حُرِمَ الفُـوقا

+ + +

الأصل : وجادك كسب جودك من "ثيابى" مواقرَ ترجع الذاوى وريقـا

٣٥٦ ٧ صوابه : وجادك كسب جودك من "ثنائى" مواقرَ ترجع الذاوى وريقـا

+ + +

الأصل : و"سلّت" كفّ خطبٍ كان منها لرتق علائكم وهنٌ وفتقُ

٣٥٩ ١١ صوابه : و"شلّت" كفّ خطبٍ كان منها لرتق علائكم وهنٌ وفتقُ

+ + +

الأصل : تخـال صـبغ "النَّفِس" فى ســنانه صـبغَ العَـلَقْ

٣٦٤ ٧ صوابه : تخـال صـبغ "النِّقِس" فى ســنانه صـبغَ العَـلَقْ

استدراك

وقع فى صحيفة ١٣٣ سطر ٢ (يرشخ) والصواب (يرسخ) وفى صحيفة ١٩١ سطر ١٦ (يومُ) والصواب (يومَ) وفى الصحيفة عينها سطر ١٧ (حقوقا) والصواب (خفوقا) .

وفى صحيفة ٣١٠ سطر ١٦ (البناء) والصواب (الثناء) [وفى الأصل «البنا»] .

نموذج من الأصل الفوتوغرافي

[صفحة (٢١٦) يقابلها صفحة (١٢٨ — ١٣١) من هذه الطبعة]

نموذج آخر من الأصل المنوغرافي

[صفحة (٢٨٤) يقابلها صفحة (٣١٠ – ٣١٤) من هذه الطبعة]

*

بسم الله الرحمن الرحيم

الجـــزء الثـانى من ديوان مهيـار

تتمـــة قافية الراء

وقال وكتب بها الى أبى سعد بن عبد الرحيم وقد عاد من الحجّ

رعَتْ بين "حاجِرَ"(١) "والنَّعف"(٢) شهرا ... جَميما وعبّتْ(٣) شآبيبَ(٤) غُـزْرا(٥)

مِـراحًا(٦) محلَّـلةً عُقْـلُها(٧) ... ترى الخصبَ أوسعَ من أن تُجِـرّا(٨)

مكرمةً عن عِصِيّ الرُّعاةِ ... فإن كان لا بدَّ ردعٌ فـزجرا

ولا ظُعُنٌ(٩) ثَمّ مرحـولةً ... تجـرُّ الجنوبَ(١٠) ولا ضيفَ يُقْرى

الى أن غدا الهضبةَ ابنُ اللَّبو(١١) ... ن ــ فيما تَرَى العينُ ــ والنابُ قصرا

فكان على ذاك(١٢) شَمُّ السَّـفا(١٣) ... ولُسُّ الهشيم(١٤) وإن كان مُرًّا

---

(١) حاجر والنعف : اسما موضعين . (٢) الجميم : النبت الكثير أو هو ما على الأرض .
(٣) عبت : شربت ، وفى الأصل "غيبت" . (٤) شآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر .
(٥) غزرا : غزيرة . (٦) مراحا : فرحى ، وفى الأصل "مزاحا" . (٧) العقل جمع عقال وهو ما تعقل به الدابة . (٨) تجرّا : تأتى بالجرّة وهى أن يُخرج البعير ما فى بطنه ليضغه ثم يأكله ثانية . (٩) الظعن جمع ظَعُون وهو البعيرُ يُعتمل ويُحمَل عليه . (١٠) فى الأصل "الحبوب" . (١١) ابن اللبون : ولد الناقة اذا كان فى العام الثانى واستكمله وقيل اذا دخل فى الثالث .
(١٢) السفا : التراب . (١٣) اللس : تناول الكلأ بمقدم فم الدابة أو بطرف لسانها .
(١٤) الهشيم : النبت اليابس المتكسر .

وماءٍ[1] تعـرمضُ[2] أوشالُهُ[3] "ببابـلَ" أشهَى اليها وأَمْرا
بـلادٌ منابتُ أوبارها عليها ربَتْ يوم تُنزَى[4] وتُذرَى
وأفـلاؤها[5] ومساقيطُها[6] تَقامَصُ فيها قَلُوصا[7] وبَكْرا[8]
وتُحمَى بأرماح فـرسانها اذا شُلَّت[9] الإبلُ طـردا وطَـرًّا
وفيها الكواعبُ والمحصَـنا تُ من مقتنيها عَـوانا[10] وبِكرا[11]
نجـومُ قبيـلٍ اذا ما طلعن أغرنَ النجومَ وإن كنَّ زُهرا
وكلّ ثقيـلةِ حمـلِ الإزار خفيفـةِ ما ضمَّ عُنقا وخَصرا
ترى الغصنَ تحسبه فى النسيم أخاها وإن كُسِيَتْ يوم يعرَى
أمنهـا — وإن نام ليلُ الوشاة وعاد المَواقدُ فى الليل حُمْـرا —
— ومرَّ يصوِّبُ سرحُ النجوم — : خيـالٌ ألمَّ ولا حينَ مَسرَى؟
ألمَّ بمعتنـقٍ ساعـديْه يطارح منها الأمانىَّ ذِكرا
فما رابه من صعيد "الغوير" إلا تحوّلُه الليـلَ عِطْـرا
ولما أضاء الذى حـوله تطلَّع يحسَب "ظمياءَ" بـدرا
فلله "بابـلُ" نفّـاثـةً وإن ضرّت الحلم سحرا ونمـرا
عـلى أنها مـنزلٌ لا يكا د يحمِـل فى غالب الأمر حُـرًّا
ومزلقـةٌ بالفـتى لا تكون لذى حاجةٍ وابنِ فضـلٍ مَقرًّا
الى كم أطامنُ عُنـقى بها نُحـولا وأعرُكُ جنبىَّ فقـرا

(١) فى الأصل "وما" . (٢) تعرمض : تطحلب . (٣) أوشال جمع وشَل وهو الماء القليل . (٤) تنزى : تُنزَف . (٥) أفلاء جمع فلو وهو المخش أو المهر والمراد بها هنا أولاد النوق . (٦) مساقيط جمع مسقوط وهو الولد يسقط من بطن أمّه . (٧) القلوص : الشابة من الإبل . (٨) البكر : الفتىّ من الإبل . (٩) شُلّت : طُردت . (١٠) العوان : المسنة أو النصف من النساء . (١١) البكر : العذراء .

وأتبعُ إلفى، وحزمى يقول : وراءَك فى غير ذا المِصر مِصرا (١)
كفى الناس لؤما بمثلى يضيـ ـع فيهم ويطلبُ منهم مَفَرّا
فَلِمْ يغمز الدهرُ حملا علىّ ، مالك أبعدك الله دهرا!
أمن أجل أنى بفضلى وسعـ ـتُ أهلَك توسعنى منك شرًّا؟
وما زلتُ أحفِل بالغدرِ منك وأنكر جورَك حتى آستمرّا
ولو قد وفت "لعميد الكفا ةِ" أيّامُه لم أنل منك غدرا
إذن لوقتنىَ حصداءُ منه (٢) تُطير سهامَك ثلما وكسرا
وكنتُ أعزَّ حِمًى أن أضامَ وأمنعَ فى حَرَم الأمن ظهرا
وردَّك عنّى ولا الطود فَلّ بكفيك منّى ولا الليثُ فترى (٣)
عوائد ما أسلفتْنى يداه على نائباتك غوثا ونصرا
لئن كنتَ أسحلتَ (٤) فى كفّه من العهد حبلا فتيلا مُمَرًّا، (٥)
وأصبحتَ تنهدُ (٦) بغيا اليه بشهباءَ يبّتّها أمسِ مَكرا، (٧)
فلم تُنج إلا على المكرماتِ (٨) ولا هِضتَ (٩) إلا السماحَ المبرًّا،
لغادر جهلُك قلبَ العلا خفوقا بها وحشى المجدِ حَرَّى
ضممتَ عليه جَناحَ العُقوق فرُحتَ بها قد تأبّطتَ شترا
فسل عنه كيدَك يا دهرُ : كيف ثناك ثباتا وأعياك صبرا!
وكيف حشَدتَ له وآرتقيتَ (١٠) فلم تستطع طوده المشمخِرّا!

(١) المصر : المدينة . (٢) الحصداء : الدرع الضيقة الحلق المحكمة . (٣) فرى : قطع وشقّ . (٤) أسحلت : جعلته سحيلا أى مفتولا فتلا واحدا ضعيفا . (٥) الممرّ : المحكم الفتل . (٦) تنهد : تقصد . (٧) الشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح . (٨) فى الأصل "تنخ" . (٩) هضت : كسرت . (١٠) الطود المشمخرّ : الجبل العالى .

وَقَى ناهضا بك حتى رددتَ ... صروفَك عنه رَذايا(١) وحَسرى(٢)
وما كنتَ ـ والأَسَدُ الوِردُ(٣) أنتَ ـ ... لتُعلِقَ بالحرِّ نابا وظُفرا
ولكنّها دولةٌ أعرضتْ ... ودنيا تَنَقَّلُ مَرًّا ومُرًّا(٤)
هو الحظّ يَعقِل من حيث جُنّ ... والمالُ يرجعُ من حيث مَرّا
وخيرُ بنيك الذى إن نقصـ ... ـتَ من حاله ازداد مجدا ونفرا
وما كَنَزَ المرءُ خيرا له ... من الحمدِ والحسبِ العدِّ ذُخرا
اذا سلم العرضُ عرضُ الكريم ... وعزّ فلا وقَرَ اللهُ وَفْرا(٥)
لعلّ مُجمِعِجِمها(٦) أن يطيلَ ... لها فى الأزمّةِ(٧) سَحبا وجَرّا
ويتركها وسواءَ الطريق ... تساقُ الى غايتيها وتُجرَى
فتأتى ويا قربَها من مُنًى ... يقول لها الدهر : صفحا وغَفْرا
مبينا بما قد جنى تائبا ... اليك بسالفِ ما قد أصرّا
ترى للندامةِ فى صفحتيـ ... ـه سطرا مبينا وللذلِّ سطرا
لعمرى لئن صوّحتْ(٨) دوحةٌ(٩) ... لقد أعقبت غُصُنًا منك نَضْرا
وسيعَ الظلالِ(١٠) على قومه ... شهىَّ الجنَى(١١) ناعما مسبَكِرًّا(١٢)
رِباطا لشملِهمُ أن يشِذّ(١٣) ... ودَعْما(١٤) لسقفِهمُ أن يَخِرّا
بك انتظم العقدُ من بعد ما ... تهاوَى فعطّلَ جيدا ونَحْرَا

---

(١) الرذايا : النوق المهزولة الضعيفة وهى هنا مجاز، وفى الأصل "ردايا" . (٢) الحسرى : التى أعيت من السير وكلّت وتعبت . (٣) الورد : من صفات الأسد وهو الأحمر الضارب الى الصفرة . (٤) مرًّا ومرًّا : تارة وتارة . (٥) الوفر : المال . (٦) المجمجع : مبرّك البعير ومنيخه . (٧) الأزمّة جمع زمام وهو ما تقاد به الدابة . (٨) صوّحت : يبست وجفّت . (٩) الدوحة : الشجرة العظيمة . (١٠) فى الأصل "الطلال" . (١١) الجنى : ما يُجنَى من الشجر ما دام غضًّا . (١٢) مسبكرًّا : ممتدًّا . (١٣) فى الأصل "يشذّ" . (١٤) الدعم : التقوية .

ضممتَ قواصيَهم بعد ما تعاطَوْا عصا البين صَدْعا وقَسْرا[1]
وكنتَ لهم كأبيك الكريم حُنُوَّ الرءوم وعطفًا وبِرًّا[2]
فلم يهوِ طودٌ وأنتَ الكثيبُ ولا مات "زيدٌ" اذا كنت "عَمْرا"[3]
أطافوا بناديك وٱستحلبوك فأحسنتَ حَوْطا وأغزرتَ دَرًّا
وما ضرَّهم أنهم يعدَمو ن غيثا وقد وجَدُوا منك أثرى
مَخايلُ كنتُ توسَّمتُها قديما وعيَّفتُها فيك زَجْرا
وأيقنَ صدرِيَ آنّى أراك لأهلك وجها وللناس صَدْرا (١٢٣)
بما كنتَ أبعدَهم هِمّةً وأمتنَهم فى الملمّات أَسْرا[4]
وأضيقَهم عُذْرةً فى السؤال وأوسعَهم ليلةَ القُرِّ قِدْرا[5]
وأجلَى اذا الشُّبهاتُ ٱختلط ن رأيا وأمضَى لسانا وأجرَى
أمور اذا ٱجتمعَتْ للفتى أراد به اللهُ فى العزِّ أمرا
سُدِ اليومَ أبناءَ "عبد الرحيم" فأنت غدًا سيّدُ الناس طُرًّا
وثِقْ ببشائرَ تُملَى علىَّ فما كذَّبتْ لِيَ فى الخير بُشرى
أنا ٱبنُ الوفاءِ الذى تعلمو ن لم أنوِ نَكْثا ولم أطوِ غمْرا[6]
قسيمُكُمُ إذ أساء الزمانُ كما كان قاسمكم حين سَرَّا،
حُلِيًّا على عَطَل المهرجا ن يُعصَبنَ تاجا ويُرصَفنَ شَذْرا[7]
فإن تكُ وقتا أخلَّتْ بكم فربَّ ٱنقطاعٍ وما كان هَجْرا
ولولا تلاعبُ أيدى النوى بكم ما أغبَّتْ ثناءً وشُكرا[8]

(١) القسر: الإكراه على الأمر. (٢) الرءوم: التى تحنو وتعطف على ولدها. (٣) الكثيب: التلّ من الرمل. (٤) الأسر: القوة. (٥) القر: البرد. (٦) الغمر: الحقد. (٧) الشذر: اللؤلؤ الصغير. (٨) ما أغبت: ما آنقطعت.

وقال يمدح الكافَ الخطيرَ شرفَ المعالى أبا عبد الله القَنَانىّ[1]، ويهنّئه بالمهرجان، ويشكره على جميلٍ أسلفه إيّاه

متى رُفعتْ لها "بالغور"[2] نارُ ... وقرَّ "بذى الأراكِ" بها قَرارُ،
فكلُّ دمٍ أراق السيرُ فيها ... بحكم السير مطلولٌ جُبارُ[3]
فهل بالطالعين بنا الثنايا[4] ... أَنُوقٌ[5] ليلُ نظرتِه نهارُ
لعلّك أنْ ترى عيناك قبلى ... مواقدَ والزفيرُ لها شَرارُ
وبعضُ المصطلين وإن نآنى[6] ... وأوحدنى أخو ثقةٍ وجارُ
يريدُ عواذلى عنه ٱلتفاتى ... بآية شطَّ أو بَعُدَ المزارُ
وما عَصْبُ النوى عينى عليه ... بأوّل ما طوى القمرَ السّرارُ
أمنتُك يا فراقُ[7] وربَّ يومٍ ... حذرتُ لو آنه نفع الحذارُ
أخذتَ فلم تدع شيئا عليه ... يُخاف أسًى ولا يُرجى ٱصطبارُ
حبيبٌ خنتَنى فيه ودارٌ ... وللنّاسُ الأحبةُ والديارُ
أمرتجعٌ[8] ـ ويا نَفْسى عليه ـ ... "برامة" ذلك العيشُ المُعَارُ
وثَوْبُ شبيبةٍ ما فاض حتّى ... تقلّص منه وٱنشمر الإزارُ
لكلّ سليبةٍ بدلٌ، وفوتٌ ... لما سُلبَ المسائحُ[9] والعذارُ

---

(١) القنانىّ : نسبة الى قَنّان وهو جبل بأعلى نجد، أو ٱسم جبل به ماء يسمى العسيلة وهو لبنى أسد .
(٢) الغور وذو الأراك : اسما موضعين . (٣) الجبار : الهدر . (٤) الثنايا جمع ثنيّة وهى العقبة أو الطريق فى الجبل . (٥) الأنوق : العقاب، ويضرب المثل بحدّة بصرها فيقال "أبصر من عقاب" . وفى مثل آخر "هو أعز من بيض الأنوق" يضرب لما عز نيله، وفى الأصل "أبرق" .
(٦) نآنى : بُعْدَ عنّى، وفى الأصل "ثانى" . (٧) فى الأصل "ياقران" . (٨) ويا نفسى عليه بمعنى ويا لهف نفسى . (٩) المسائح جمع مسيحة وهى شعر جانبى الرأس .

ظلامٌ هبّ فيه وليتها لم تَلُحْ هذى الأدلّة والمَنارُ
وربّ سميرِ ليلٍ ودّ ألّا يُضيء[1] على جوانبه النهارُ
ألا يا صاحِبَيْ حُرَقِي نجاءً، يفوتكما بى اليومَ الوقارُ
خُذانى حيث لا النظر آستراقٌ لِريبته[2] ولا النجوَى سِرارُ
وزُمّا بالمطامع أنفَ غيرى فبى عنها — وإن خَدعَتْ — نفارُ
كفَى بالحرص عيبا أنّ أُولَى جِداه مُنًى وغايته[3] آنتظارُ
وما أُنسى بآمالٍ طِوالٍ تُناوِلهنّ[4] أيّامٌ قِصارُ!
يقول المرءُ ما يهوَى ويرجُو ويفعلُ فعلَه الفلَكُ المُدارُ
وإن ظمِئت ركابٌ أو أُجيعتْ فأفرعَ[5] شَعرَها الوبَرُ المطارُ
نفيرٌ من مراعيها بذلّ عِضاضٌ[6] بالحناجر وآجترارُ[7][8]
وإلا فابغيا "شرفَ المعالى" بها إن كان للظُّلَم آنسفارُ
وضمّا "بالخطير" غريبتيها[9] فثَمّ العزُّ يَمنعُ والجوارُ
وماءٌ فاضلٌ عنها وبَقْلٌ تبزّلُ[10] فى كمائمه البكارُ[11]
ردَا المجدَ التليدَ بها وعُوذا بأغلبَ[12] حبلُ ذقنته مُغارُ[13]
بحرِ ندًى يفيضُ وبدرِ نادٍ وإن رُغِم البدورُ أو البحارُ
جَوادٌ لا يزلُّ به عِثار وجارٍ لا يُشَقُّ له غُبارُ
تمنّى الناسُ أصغرَ همّتيه فماتت دونها الهممُ الكبارُ

(١) فى الأصل "يصيب" . (٢) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا "لربه" .
(٣) فى الأصل "وغايتى" . (٤) فى الأصل "تناولهن" . (٥) أفرع : أدمى ، والمراد أدمى منابت شعرها . (٦) العضاض : العضّ . (٧) فى الأصل "الخفاجر" .
(٨) الآجترار : أن يُخرج البعير ما فى بطنه الى فمه ليأكله ثانيةً . (٩) الغريبة : التى بعدت عن وطنها . وفى الأصل "غرتيها" . (١٠) تبزّل تصير بُزْلا ، والبازل من الإبل : المسنّ . (١١) البكار جمع بكرة وهى الفتية من الإبل . (١٢) الأغلب : الأسد . (١٣) المغار : المفتول أشد الفتل .

(١٣٣)

وطارْ بـه فأنعـله الـثريّا ... فـؤادٌ لا يطـير به الحِـذارُ
ونفسٌ حـرّةٌ لا يزدهيها ... حُـلَى الدنيـا وزخرفُها المُعارُ
يبيت الحقُّ أصـدقَ حاجتيْها ... وكسبُ العزّ أطيبَ ما يُمارُ
اذا ٱلتفتت الى الدنيـا عيونٌ ... فلفتُهـا إباءٌ وٱحتقـارُ
من الوافين أحلاما وعهدا ... اذا هفَت الحُبَـا ووهى الذمارُ
كرامٌ لا يرون العُسرَ فقـرا ... وفى العـرض الغـنى والإفتقارُ
اذا عزّوا بأرض أوْطَنـوها ... وإن ضِيموا (١) بهـا ركبوا فسـاروا
كُفُوا بدلالة "الكافى" عليهـم ... بحـرص ما أدعى لهـم الفخارُ
مضـوا سلَفا وجاء يزيد مجـدا ... كما أوفى على السُّـحب القطارُ (٢)
توحَّدَ من بنى الدنيـا رَكوبٌ ... صـعائبَهـا اذا كُـرِه الخِطارُ (٣)
سعى فَحَوَى الكمالَ وهـم قعودٌ ... وأنجـدَ يطلب الدنيـا وغاروا
وأشرفُ شيمـةٍ ظَلَفٌ (٤) وأمرٌ ... يطاعُ وعفـةٌ معـها ٱقتـدارُ
وعفّ فبات يحلبهنّ (٥) مَذقا ... وأخلافُ (٦) الزمان له غِزارُ
حميتَ الملكَ مقتبلا وكهلا ... يَخـاف من الدنيّة أو يغـارُ
ولم تُدخِـلْ غريبـا خارجيًّـا ... له بسـواه نهضٌ وٱنتصارُ
وقوّمتَ الأمورَ وهنّ ميـلٌ (٧) ... لهـا من كفّ جابرها ٱنكسارُ
وكلّ دعىّ فضـلٍ مسـتطِبٍّ (٨) ... له بالعجـز شغلٌ وٱعتـذارُ

---

(١) فى الأصل "ضيموا" . (٢) القطار جمع قَطر وهو المطر . (٣) الخطار : المخاطرة .
(٤) الظلف : الترفع عن الدنايا . (٥) المذق : اللبن الممزوج بالماء . (٦) أخلاف جمع خِلْف وهو حلمة ضرع الناقة . (٧) ميل جمع أميل وميلاء . (٨) المستطبّ : الذى يستوصف الدواء لدائه .

وسِعتَ النـاسَ إحسانا وعَطفـا كأنك رأفـةٌ بهِـمُ ظـؤارُ[1]
وصرتَ حُـلَى الملوك وأىّ كفٍّ لهـم مُدّت فأنت لها سـوارُ
تشـير بك العلا نصحا عليهـم اذا ما خان رأىٌ مستشـارُ
بك آنتصرتْ يدى وعَلَا لسـانى وصَمّم[2] ناظـرى وبـه آزورارُ[3]
وكنتُ أطيعُ مضطرًّا زمانى فأصبح لى على الزمن الخيـارُ
برَعيك فىَّ حقَّ الفضـلِ صحّت قنـاةٌ كلُّهـا وصْـمٌ وعارُ
وجُدتَ فعدتُ بعد جُفوفِ عُودى وفى أغصان أيكتِيَ آخضرارُ
عرفتَ توحُّدى ففـرستَ منّى غصـونا ذا الثناءُ لهـا ثِمـارُ
محاسنُ لا يـراها فىَّ إلا بصـيرٌ كيف يُنْتَقَـدُ النُّضـارُ
ورَدتُ نداك عَـذبا لم يُكدَّرْ له حـوضٌ ولم تُـنزَفْ غِمـارُ[4]
عـلى الإعسـار تعطينى كثيرا ويُعطى النـاسُ ما بلَغَ اليسَـارُ
ومن آياتِ جودك أن غَنِينـا به وإلى القليـلِ بك آفتقـارُ
فعِشْ يبلُغْـك ما تجزى القوافى وما يُسـدَى[5] بهنّ وما يُنـارُ[6]
بكلِّ غريبـةِ المعـنَى عَلوقٍ[7] اذا قـرَّتْ فليس لها نفـارُ
تسـير بعرضـك المجلوِّ فيهـا مسـيرَ الشـمس مُهلَتُها بِدارُ[8]
لهـا فى الجوّ رافعـةٌ صُـعودٌ وفى مَهوَى الرياح لها آنحـدارُ
كأنّ فتيقَ[9] منشـرها "يَمـانٍ" تنفّس فى حقائبـه العِطارُ

(١) الظؤار : جمع ظِئر وهو الذى يعطف على ولده ويطلق على الأم والأب . (٢) صمّم : مضى لا يلوى على شىء . (٣) الآزورار : الميل والأعوجاج . (٤) تنزف : تفنى وتنضب ، والغمار جمع غمر وهو الماء الكثير . (٥) يسدى : يُجعَلُ له سَدًى وهو ما مدّ من خيوطه بخلاف لحمته . (٦) يُنار : يلحم . (٧) العلوق : المرأة لا تحب غير زوجها . (٨) البدار : الإسراع . (٩) الفتيق : المنتشر الرائحة .

يسوق المهرجانُ اليك منها عرائسَ والنشيدُ لها نِثارُ
مبشِّـرةً بأن الله عينٌ(١) عليـك من الردَى الجارى وجارُ(٢)
وأنـك خالد لا الليـلُ يُفنِي مداك من البقاءِ ولا النهارُ

وقال يمدح أبا المعالى عبد الرحيم فى النيروز

ما ليلتى عـلى "أُقُر"(٣) إلا البكاءُ والسهرْ
بتُّ أظنّ الصبحَ بال ـعادة مما ينسـفرْ
أرقبُ من نجومها زوالَ أمرٍ مستقِرْ
رواكدٌ كأنما أفلاكهنّ لم تـدُرْ
وكلّما قلت : أنطوى(٤) شطرٌ من الليل انتشرْ
أسألها أين الكرى(٥) أينَ النهارُ المنتظَرْ
وكلُّ شىء عنـدَها إلا الرقادَ والسَّـحَرْ
من مخبرى؟ فما أرى هل دام ليـلٌ فاستمرْ!
وغابت الشمسُ نعـم فكيف خُلِّد القـمرْ
أين الأُلى طرَّحهـم مَطارحَ البين الحـذَرْ (١٧٤)
غابوا وما غابت لهـم دارٌ ولا جَـدٌّ سَفَرْ
لكن عيـون الكاشحيـ ـن الشُّزرُ(٦) منها والخُزُرْ(٧)،
ما برِحتْ ـ لا نظَرتْ ـ تمنعنا حـتى النظَـرْ

(١) العين : الحارس والحفيظ . (٢) الجار : الناصر . (٣) أُقُر : اسم واد بين الكوفة والبصرة . (٤) فى الأصل "أنظرى" . (٥) فى الأصل "أسأ" . (٦) الشزر جمع شزراء وهى الحمراء من العيون كعين الأسد والغضبان . (٧) الخزر جمع خزراء وهى العين الضيقة .

تطلّعوا نارَ الجوى في القلب كيف تستعرْ
وما الذى تبعثه على الجوانح الذِّكَرْ
وأىّ نارٍ للفؤا دِ فيهمُ عند البصرْ
غنّى "بهيفاءَ" الرِّفا قُ والكئوسُ لم تدُرْ
فكلّ صاحٍ آنتشى وكلّ نشوانَ سكِرْ
كأنما قلبى لها في صدر كلّ من حضرْ
فظلتُ أبكى مثلما أشربُ أدمعا حُمُرْ
كأنّ ماءَ قدحى من بين جفنىّ[1] عُصِرْ
قال الرسولُ : عتبتْ "هيفاءُ"، قلت : ماالخبرْ
قال : تقول : ملّنا قلت : الملولُ من غدَرْ
لا والذى لو شاء أن يُنصِفنى[2] منها قَدَرْ
ما خُدعتْ بغيرها عينى على حُسن الصورْ
بَلَى ولا أُنكرهُ وليس بالأمر النُّكُرْ
لقد رأيتُ البان من "ذى العلَمين والسَّمُرْ"[3]
تضربه ريحُ الصَّبا فيستوى ويناطِرْ[4]
فلتُ تشبيها بها آخُذُ ضمًّا وأذَرْ
فإن رأت ذلك ذنـ ـبا ، إننى لمعتذِرْ
يا يومَ دبَّ بيننا أمرُ الفراق، ما أمرّ!
ما كنتَ فى الأيامِ إلّا عارضا يَنطُفُ[5] شرّ

(١) فى الأصل "حبفنى" . (٢) فى الأصل "يصفنى" . (٣) ذو العلمين : اسم موضع فى اليمن والسمر : اسم موضع من نواحى العقيق والسَّمُر لغةً شجرٌ من العضاه وليس فى العضاه خشبٌ أجودُ منه . (٤) يناطر : يثنى . (٥) ينطف : يسيل و يقطر .

قد عيَّفتك الطيرُ [لى][(١)] لكنّ قلبى ما زجَرْ
ولائم مُـــدّتْ له حبائلُ اللـــوم لجـــرّ
رأى هَنات فنهى غـــيرَ مطاع وأمرْ
قال، فَرُدَّ صاغرا، : أغزَلُ مـــع الكِبَرْ؟
وأيُّما[(٢)] عَلاقـــــة بين الغرامِ والعُمُرْ
وأين إطـــرابُ النفو س مع أصابيغ الشَّعَرْ
رب شـــباب ليـــلُهُ يصـــبح تنعاه الأُزُرْ[(٣)]
وشَيبِ رأسٍ ذنبُـــه فى الخُطُوات مغتفـــرْ
حلفتُ بالشُّعث[(٤)] الوفو د زُمَرا عـــلى زُمَرْ[(٥)]،
يَرَون ظَلْمـا[(٦)] باردا بلـــثم[(٧)] ذلك الحجـــرْ،
ومن دعا ومن ســـعى وآستنّ سبعا وجَمَـــرْ[(٨)]،
وسَوْقهم مثـلَ الحصو نِ مُرِّدت[(٩)] إلا المَـــدرْ[(١٠)]،
توامكا[(١١)] ممطـــورةً أعشابُها وقتَ المطرْ،
جاءوا بهـا مجتهـــدي ـن تُفتَـــلى[(١٢)] وتُختَـــبرْ[(١٣)]،
لكلِّ مُهْـــدٍ نسكَهُ أنفسَ ماليْـــه نَحَـــرْ،

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٢) فى الأصل "وإنما" . (٣) الأزر جمع إزار وهى المرأة، ومعناه رب شـباب يبيضّ سواد شـعره فتنعاه النساء . (٤) الشعث جمع أشعث وهو المغـبر اللون المتلبد الشـعر، ويريد بهم الحجاج . (٥) زمر جمع زمرة وهى الجماعة من الناس .
(٦) الظلم : ماء الأسنان . (٧) فى الأصل "يلثم"، ويريد بالحجر : الحجر الأسود بالكعبة .
(٨) جمر : رمى بالجمار . (٩) مرّدت : طوّلت وملّست . (١٠) المدر : الطين .
(١١) توامك جمع تامك وهى الناقة العظيمة السـنام . (١٢) تفتل : تُجَسُّ بتـدبّر وتمعن .
(١٣) فى الأصل "تجتبر" .

أن بني "عبد الرحيـ ـم" نِعَمَ كنزُ المدَّخرْ
وخير من سُدّت به (١) يومَ الملمّاتِ (٢) الثُّغَرْ
المطعمون الهَبْرَ (٣) والـ ـعامُ عبوسٌ مقشعرّ (٤)
وصبيةُ الحيّ تُدا (٥) رى الإبلَ عن فضل الجُزُرْ
والريحُ لا تلوى بأ (٦) كسار البيوت والجُدُرْ (٧)
وتحسب الفائزَ منـ ـها مُلقِمَ البطنِ الحجرْ
والمانعين الجارَ لو زُحزِح عنهم لم يُجَرْ
حتى يعزّ فيهمُ عزّ "تميمٍ" في "مضَرْ"
من بعد ما صاح به الـ ـموتُ: آسمتْ فلا وَزَرْ (٨)
والواهبون بُسِطَ الر زقُ عليهم أو قُدِرْ
لا يحسبون معطيا أعطى اذا لم يفتقرْ
لهم حياض الجود والـ ـسودد (٩) فعماً (١٠) وغزرْ (١١)
تُخلَى (١٢) لهم جُمّاتُها (١٣) وبعدُ للناس السُّؤرْ (١٤)
أبناءُ مجدٍ نقلو ه أثرا بعد أثرْ
روايةٌ يُسندها (١٥) باقيهمُ عمّن غبرْ

(١) الملمات جمع ملمة وهي النازلة الشديدة . (٢) الثغر جمع ثغرة وهي الطريق والمسلك، ويراد بها هنا الحاجات . (٣) الهبر جمع هبرة وهي القطعة الكبيرة من اللحم، وفي الأصل "البهر" . (٤) مقشعرّ : مجدب . (٥) الجزر جمع جزور وهي الناقة التي تنحر . (٦) أكسار جمع كِسْر وهو جانب البيت . (٧) الجدر جمع جدار . (٨) الوزر : الملجأ والمعتصم . (٩) في الأصل "السود" . (١٠) فعما : امتلاءا . (١١) الغزر : الكثرة والأصل فيه سكون الزاي . (١٢) في الأصل "تحلى" . (١٣) جمات جمع جمة وهي ما اجتمع من الماء . (١٤) السؤر جمع سؤرة وهي البقية . (١٥) أسندها : عزاها وأخبر بها مسندة .

يُنصَرُ عنها القولُ بالـ ـفعلِ فيسـلم الخـبَرْ
طابوا حياةً مثلما طابوا عِظاما وحُفَـرْ
تساهموا أُفْقَ العـلا تساهمَ الشهبِ الزُّهُرْ
كأنهم فى أوجـه الـ ـدنيا البهيات (١) غُـرَرْ
فانتظموا نظمَ القنا إلا الوصومَ والخَـوَرْ
من "هبـة الله" الى "سابورَ" فخرٌ مستمِرْ
قِسْ خبرى عنهـم الى "أبى المعـالى" وٱعتبِرْ
تر العـروقَ (٢) الزاكيا تِ من شُفَافاتِ (٣) الثَّمَـرْ
المشـترى الحمدَ الربيـ ـحَ لا يبـالى ما خسِرْ
والطَّلْقُ (٤) حـتى ما تبيـ ـن عُسرةٌ من (٥) اليُسْرْ
تكرع من (٦) أخلاقه فى سلسلٍ عذبِ (٧) الغُدُرْ
لم يُبقِ راووقُ (٨) الصبا قـذًى به ولا كدَرْ
ثمَّ خلَّتْ أربعيـ ـين عشرةٌ من العُمُرْ
وفاتَ أحلامَ الكهو ل وهو فى سن (٩) الغمَرْ
وأبصـر اليـومَ غدا فلم يَرِدْ إلا صـدرْ
لاضـامه الخوفُ ولا أطغاه فى الأمن البَطَرْ
عـلى نـداه باعث من نفسـه لا يُقتسَرْ (١٠)

(١) البهيات : السود . (٢) فى الأصل "الووق" . (٣) الشفافات جمع شُفافة وهى البقيّة .
(٤) الطلق : الضاحك المشرق . (٥) تكرع : تشرب بفيك من غير كفّ ولا إناء . (٦) السلسل : الماء الصافى . (٧) الغدر جمع غدير وهو النهر . (٨) الراووق : المصفاة . (٩) الغمر : من لم يجرّب الأمور وهو هنا مجاز للصغر ، وفى الأصل "العمر" . (١٠) لا يُقتسر : لا يُغصب .

اذا أحسَّ فترةً[1] لجَّ[2] عليها ونفرْ
لا يُخلفُ الظنَّ ولا يَلقَى الحقوقَ بالعُذُرْ[3]
علقتُ من ودّك بالـ مُستحصِفِ[4] المَتنِ المِرَرْ[5]
أملَس لا تسحله[6] بالغدر كفُّ المنتسرْ
وكنتَ [من] حيثُ[7] اقترحـ ـتَ وأبى قومٌ أُخَرْ،
تُعطى على الخِفّة[8] ما يُعطُون والضَّرعُ[9] دِررْ[10]
والخير من مالك لى وإن وَفَى وإن كثُرْ
محبة ما فوّزتْ[11] نفسىَ منها فى غَرَرْ[12]
فما أطيرُ بأخٍ محلِّقا ما لم تطِرْ
ولا يُنزّى[13] كبِدى اذا وصلتَ مَن هَجَرْ
فابق على وغرِ[14] الحسو د نجوةً[15] من الغِيَرْ
ترعاك عينُ الله لى من شرّ أعين البشرْ
ما ذيَّل النيروزُ فى ثوبِ الرياض وخَطَرْ
وكرَّ عامٌ مقبلٌ وآبق الى أن لا يَكُرّْ

(١) الفترة : المدة بين زمانين . (٢) لج : ألحّ . (٣) العذر : الاعتذار .
(٤) المستحصف : المستحكم . (٥) المرر جمع مِرّة وهى طاقة الحبل . (٦) يسحله : يفتله ، والمنتسر : الناقض . (٧) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٨) الخفة : رقة الحال . (٩) الضرع : مدرّ اللبن من ذوات الخف أو الشاء والغنم كالخلف للناقة والثدى للمرأة . (١٠) دررجمع دِرّة وهى ما يَدِرّ من اللبن والمراد والصرع ذو درر، كقول الشاعر :

سلام الإله ورحمانه ورحمته وسماء درر

أى سماء ذات درر . (١١) فوزت : ركبت المفازة . (١٢) الغرر : الخطر . (١٣) ينزى : يجعلها تنزو بمعنى تثب ، وفى الأصل " تنزّى " . (١٤) الوغر : الحقد . (١٥) النجوة : ما ارتفع من الأرض .

وأسمع لها تُهدى الى الـ معرض الغنى وهى فُقُرْ
تضُوع فى الناس بها نوافجٌ لُسْنُ السُّرُرْ
سَـلَّمَت الريحُ لها شـرطَ الرواح والبُكَرْ
كما تمطّت بالخزا مى لك أرواحُ السحَرْ
فهى بكم معقولةً وهى شرودٌ لا تقَـرّ
اذا بناتُ شاعرٍ أُنّثنَ أوكُنّ عُقُـرْ
فكلُّ بنتٍ ولَدتْ فى مدحكم منّى ذَكَرْ
ترى حسودى حاضرا يُنشِـدُ وهو يحتضِرْ
تعجيله عن نفسه سابقةً أمرَ القدَرْ
يُصغِى لها وودُّه لو كان من قبلُ وقَرْ

* * *

وكتب الى الرئيس أبى طالب محمد بن أيّوب يهنّئه بالنيروز، ويلوّح بذكر هفوةٍ جرت، وأسفرت، ويرجى زوالَها

تُمـدُّ بالآذان والمناخِرِ "لحاجرِ" ومَن لها "بحاجرِ"؟
تغرُّها منـه أحاديثُ الصَّبا ولامعاتٌ فى السحابِ الباكرِ

---

(١) يريد بفقر: فقيرات. (٢) نوافج جمع نافجة وهى وعاء المسك. (٣) لسن جمع لسناء وهى الفصيحة المبينة. (٤) السرر جمع سرّة وهى هنا بمعنى وسط ما يسرّ فيه المسك ومعنى البيت: أن سرر هذه النوافج تنم رائحتها على ما فيها فهى من أجل ذلك فصيحات مبينات. (٥) البكر: الغدو. (٦) تمطت: مدّت. (٧) الخزامى: نبت طيب الرائحة. (٨) معقولة: مربوطة بالعقال. (٩) أنثن: كن إناثا. (١٠) يريد بعقر: عواقر لا يلدن. (١١) وقر: صمّ وذهب سمعه كله. (١٢) فى الأصل "وتوجّه". (١٣) المناخر جمع منخر وهو ثقب الأنف.

وأعينٌ موكّلاتٌ "بالحمى" (١) من مستقيم اللحظ أو مُحازِر
تودّ لو أنّ ثراه عوضٌ (٢) من دمعها يُستافُ (٣) بالمحاجرِ
أرضٌ بها السابغ (٤) من ربيعها وشوقُها المكنونُ فى الضمائرِ
مَشاربٌ تخُرّ تحتَ سُوقِها وعُشُبٌ (٥) يضفو على المَشافرِ
وحيثُ دبّت ورَبَتْ (٦) فِصالُها (٧) وبَرَكَتْ تفحصُ بالكراكرِ (٨)،
وأَمِنتْ سارِبةً سروحُها (٩) شَلّةَ (١٠) كلّ طاردٍ مُغاوِرِ (١١)،
تمنعُها سيوفُ "بكرٍ" (١٢) أن ترى بؤسا (١٣) وتحميها رماحُ "عامرِ" (١٤)
فهل لها وهل لمن تحمّلُه من عائفٍ (١٥) "بمحاجرٍ" أو زاجرِ؟ (١٦)
سارت يمينا والغرامُ شأمةٌ (١٧) ياسِرْ بها "يابنَ رَواحٍ" ياسِرِ (١٨)
فإنّها من حبّها "نجدا" ترى بكُثُبِ (١٩) "الغور" (٢٠) شِفارَ الجازِرِ (٢١)
"وبالحمى" أفئدةٌ من شجوها خاليةٌ سالمةُ الضمائرِ
وأعينٌ تحسبها قريرةً نائمةً عن أعينٍ سواهرِ

(١) المحازر : من يقبض جفنه ليحدّد النظر . (٢) يستاف : يُشمّ .
(٣) المحاجر جمع محجر وهو ما دار بالعين . (٤) فى الأصل هكذا "السابع" وهى مما يحتمل تصحيفه الى "سابغ" بمعنى ضافٍ و"سائغ" فرجّحنا الأولى لما يقتضيه السياق . (٥) المشافر جمع مشفر وهو للبعير كالشفة للإنسان والجحفلة للفرس . (٦) ربت : نشأت . (٧) فصال جمع فصيل وهو من الإبل ما فُصل عن أمه . (٨) الكراكر جمع كُركِرة وهى صدر كل ذى خفّ . (٩) سروح جمع سَرْح وهو المال السائم ، وفى الأصل "سروج" . (١٠) الشلة : الطرد ، وفى الأصل "سلة" .
(١١) المغاور : المغير على الشىء . (١٢) بكر : اسم قبيلة . (١٣) فى الأصل "نوسا" .
(١٤) عامر : اسم قبيلة . (١٥) العائف : المتكهّن بالطير . (١٦) الزاجر : المتطيّر الذى يزجر الطير لعدم تفاؤله به . (١٧) الشأمة : ضدّ اليمنة . (١٨) ياسِرْ بها : خذ بها ناحية اليسار . (١٩) كثب جمع كثيب وهو التل من الرمل . (٢٠) شفار جمع شفرة وهى السكين العظيمة العريضة . (٢١) الجازر : الجزار وفى الأصل "الحازر" .

يرمين كلَّ ساهرٍ بمزعجٍ ... وكلَّ مجبـورِ الحشـا بكاسرِ
كفَلَهنَّ السُّـقْمُ بقلوبنـا ... فكلُّ قلبٍ فى ضَمَـانٍ ناظـرِ
يا ليت شعرى والمنى تعـلَّةٌ! ... هل "بِمِنًى" لعهدنا من ذاكرِ ؟
أم هل على بعد النوى الى التى ... لها الهوى من راكبٍ مخاطرِ؟
لعـلّه يحمل من سلامنا ... نُخبـةَ زادِ الرجُلِ المسـافرِ
ألوكةً(١) خفّت ومن ورائها ... بلابِـلٌ(٢) تُعـقِرُ بالأباعرِ(٣)
اذا رأيتَ الشمسَ فى أترابِهـا(٤) ... فاحبس وقُلْ عنِّىَ غيرَ صاغرِ :
اللهَ يا ذات اللّمى(٥) فى أدمـعٍ ... فـوائرٍ وأدمـعٍ فـواترِ
وفى عهـودٍ كُتبُهـا مبلولةٌ ... وهى لديك فى النسىِّ الداثرِ
فإنّ من دينِكُمُ فى "يَعرُبٍ" ... أن تأنفـوا من الذمام الفاجرِ
وفى الضيوفِ الغرباءِ عنـدكم ... قلبٌ يضـامُ ماله من ناصرِ
فقـرِّبوا صحبتَـه واحتفظوا(٦) ... فيـه بحـقّ البائع المهـاجرِ
إما قِرَى النادى الكريم، أو فر ... وه عـلى أربابه بالخاطـرِ
أكلّ كفٍّ ظفِـرت لئيمةٌ ... وكلُّ عقْـدٍ فى بنـانِ غادرِ!
من لك بالنـاس ولا ناسٌ همُ ... إلا كلامُ المُحرِجِ(٧) المكاشِـرِ(٨)
نفسَك صُنْ ليس أخوك غيرَها ... فقالل النـاسَ(٩) ولا تكـاثِرِ
واعلم بأنّ عزَّها قُنوعُهـا ... برزقها(١٠) الميسورِ فى المَعاسـرِ

(١٧٦)

(١) الألوكة : الرسالة . (٢) البلابل : الأشجان ووساوس الصدور . (٣) الأباعر جمع بعير . (٤) الأتراب جمع ترب وهو من ولد معك وأكثر استعماله فى المؤنث . (٥) اللمى : السواد فى الشفة . (٦) فى الأصل "واحفظوا" . (٧) المحرج : الذى يُحرِج غيره . (٨) المكاشر : الذى يبدى أسنانه حقدا . (٩) فى الأصل "أو كاثر" . (١٠) فى الأصل "يرزقها" .

وإن وصلتَ أو سألتَ فأخًا ... صَحَّ على التجـريب والمَخابرِ
أخًا ترى لوجهه قبـلَ الجدا ... أسِـرّةً[1] تلقـاك بالبشـائرِ
مثلَ "آبن أيّوبَ" وأين مثلُه ... مُثِّـلَ[2] للأشـباهِ والنظائرِ
من طينة المجد التى فروعُها ... تُنبيك عن طهارة العناصرِ
الطيّبين أنفسـا باقيـةً ... وأرمُسـا[3] فى ظُلَم الحفـائرِ
يدلّك[4] المجـدُ على الأوائل الـ ... ـماضين منهـم بعلا الأواخرِ
داسوا ثرى المجد القديم ومشَوا ... خَطْرًا[5] على خدّ الزمان الغابرِ[6]
وأنطقوا بالحُرس من أقلامهم ... ألسـنةَ الدسـوتِ والمنـابرِ[7]
كلّ كريم لآسمه فى مجـدها ... ما لأسانيد الحـديث السائرِ
ولآبنه من بعـده ما يرث الـ ... ـشُّبولُ فى الغاب عن القَساورِ[8]
شهادةُ صـدَّقَها "محمـدٌ" ... صِدقَ الربى[9] عن الغمام المـاطرِ
قامَ فأدّى[10] ثم مرَّ زائـدا، ... تجاوزَ الذراعِ شـبرَ الشـابرِ
قضَى له قاضى السماح والندَى ... يومَ تحـورُ[11] حجّـةُ المفـاخرِ
قضيّةٌ[12] شقّت على الهضبة من ... رضوى[13] وأزرت بالفُرات الزاخرِ
رأى الكمالَ حِـلّةً[14] فاحتلّها ... وربعُـها بمقوٍ[15] بغـيرِ عامرِ

(١) أسرة جمع سِرار وهى خطوط الجبهة . (٢) فى الأصل "ابن" . (٣) أرمس جمع رمس وهو القبر . (٤) فى الأصل "بذلك" . (٥) الخطر : التبختر . (٦) فى الأصل "الغائر" . (٧) فى الأصل "المابر" . (٨) القساور جمع قسور وهو الأسد . (٩) الربى جمع ربوة وهى ما آرتفع عن الأرض . (١٠) فى الأصل "فؤادى" . (١١) تحور : تحـدر كأنها رجعت فى موضـعها أى تُرَدُّ ؛ ويجوز فيها التصحيف الى "تخور" بمعنى تضعف وتهن . (١٢) فى الأصل "سقت" . (١٣) رضوى : اسم جبل . (١٤) الحلة : المحلة . (١٥) مقو : خال من السكان .

ونهضَ الفضـلُ له فى مَزلَقٍ (١) مُسَـنِّمٍ (٢) يُكسَرُ بالعوابرِ (٣)

جرى ففاتَ والعلا من خلفِهِ تقول: قاصِرْ من خطاك قاصِرِ

حـتى أرانا العجزُ فى قولهمُ: طالبُ شأوِ المجـدِ غيرُ ظافرِ

لله أنتَ من جَمالٍ ظاهرِ وَخُلُقٍ صافى الغـديرِ طاهرِ

وعدّةٍ ليـوم لا يُغنى أخا الـ ـحاجة إلا أنفَسُ الذخائرِ

عهـدُ كَلُومِ (٤) الصـفاةِ (٥) مُتعِبٌ جانبُهـا لن يُبتغَى لفاطـرِ (٦)

وخُلَّةٌ (٧) [لا] يَهتَدى لنَقْضِهـا عـلى الزمانِ (٨) ناقصُ المرائرِ

أحرزَ من كنتَ وراءَ ظهـرِهِ حِصْنا له من جولة الدوائرِ

يحسـدك النـاسُ وأىّ عاجزٍ لم تُدوِهِ (٩) شَـقاوةٌ (١٠) بقـادرِ

وإننى مع بُغضِ (١١) كلِّ حاسـدٍ أقضى لحسّـادِك بالمَعـاذرِ

يَفـديك كلُّ ساكتٍ مُداجٍ (١٢) بُغـلَّةٍ وبائجٍ مُظاهـرِ

وشـامتٍ إن رُفعت لعينـه صَيفِيَّةٌ (١٣) من السـحاب العابرِ

جهامـةٌ (١٤) يفتحُ فاه نحـوَها يحسبها جهلا من المواطرِ

يسرّه العاجلُ من أظلالهـا وهى غـدًا مهتوكةُ الستائرِ

---

(١) المزلق: المكان يزلق فيه لوعورته. (٢) مسنم: مرتفع كأنما له سنام. (٣) العوابر جمع عابرة. (٤) الملموم: المجتمع المدور المضموم. (٥) الصفاة: الحجر الصلد الضخم لا ينبت، ومنه "فلان لا تندى صفاته" أى بخيل ممسك لا يسمح بشىء. (٦) الفاطر: اسم فاعل من فطر الشىء أى شقه. (٧) هذه الكلمة ليست بالأصل. (٨) مرائر جمع مريرة وهى الحبل أحكم فتله. (٩) تدوه: تُمرضه، وفى الأصل هكذا "دوه". (١٠) فى الأصل "سقاوة". (١١) فى الأصل "بعض". (١٢) المدايج: الموافق. (١٣) الصيفية: السحابة تظهر فى الصيف لاماء فيها. (١٤) الجهامة: السحابة البيضاء لا تحمل ماء.

وربّما عادت بذى حَواصِبٍ (١) عليه وٱجتاحت وذى صَراصِرِ (٢) (٣)
كمن جنى البغىُ على أمثاله (٤) من غامطٍ نعماءَكم وكافرِ
وأنتُمُ فى معزِلٍ من شرِّها وجانبٍ من النجاءِ وافرِ
عوائدٌ لله فيكم ضَمَّنتْ (٥) لَمَّ الشتيتِ وجُبورَ (٦) الكاسرِ
كم مثلها قد غَاط الدهرُ بها ثُمَّتَ لاذَ منكمُ بغافرِ
دَجَتْ ولكن أقشعتْ عن أنفُسٍ سواكنٍ وأعينٍ قرائرِ
وكم تعيَّفتُ (٧) لكم سُفورَها من قبل أن يبرُزَ وجهُ السافرِ
فَلم تُكَذَّبْ فيكمُ زاجرَتى قطُّ ولا خُيِّبَ يُمنُ طائرى
فانتظروها ويدى رهنٌ بها فربّما كانت كرجعِ الناظرِ
بك ٱستجابَ الدهرُ لى ودعوتى تجولُ (٨) منه حولَ سمعٍ واقرِ
وأبصرَ (٩) الحظُّ الطريقَ فاهتدَى الى وهو أبلهُ البصائرِ
حصَّنتَ وجهى وحقَنتَ ماءَه (١٠) فليس مذ حقنتَه بقاطرِ
ولم تدَعْ لى منذ أَولَدتَ المنى مَشقّةً الى لقاحِ (١٢) العاقرِ (١٣) (١١)
كم أربٍ كنتَ اليه سببى فتلتَه بمُحصَدِ (١٤) المرائرِ (١٥) (١٦)
وخَلّةٍ أعضلنى شفاؤها شفيتنى من دائها المخامرِ

(١) حواصب جمع حاصب وهى الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء . (٢) اجتاحت : أهلكت وٱستأصلت . (٣) الصراصر جمع صرصر وهى الريح الشديدة الهبوب أو هى البرد الشديد . (٤) فى الأصل "حتى" . (٥) الشتيت : المتفرق . (٦) الجبور : إصلاح كسر العظام . (٧) تعيفت : تكهنت ، ويشير هنا الى الوزارة وتمنيه إسنادها الى الممدوح . (٨) فى الأصل "تحول" . (٩) فى الأصل "وأبطر" . (١٠) فى الأصل "وبقاطر" . (١١) السبب : الحبل . (١٢) المحصد : المفتول فتلا محكما . (١٣) المرائر جمع مريرة وهى ما طال ولطف وٱشتد من الحبال . (١٤) الخلة : الحاجة . (١٥) أعضلنى : أعيانى . (١٦) المخامر : الذى خالط الجوف .

ونهضَ الفضـــلُ له فى مَزلَقٍ (١) مُسَـــنِّمٍ (٢) يُكسَرُ بالعوابرِ (٣)

جرى ففاتَ والعلا من خلفِهِ تقول: قاصِرٌ من خطاك قاصِرِ

حـتى أرانا العجزُ فى قولهِمُ : طالبُ شأوِ المجـدِ غيرُ ظافرِ

لله أنتَ من جَمالٍ ظاهرِ وَخُلُقٍ صافى الغـــدير طاهرِ

وعدّةٍ ليـــوم لا يُغنى أخا الـ ـحاجة إلا أنفَسُ الذخائرِ

عهـدٌ (٤) كَلُومِ (٥) الصـفاةِ مُتعبٌ (٦) جانبُهـا لن يُبتغَى لفاطـرِ

وخُلَّةٌ (٧) [لا] يَهتَدى لنَقْضِهـا عـلى الزمان ناقصُ المرائرِ (٨)

أحرزَ من كنتَ وراءَ ظهـرِهِ حِصْنا له من جولة الدوائرِ

يحسـدك النـاسُ وأىّ عاجزٍ لم تُدوِهِ (٩) شَـقاوةٌ (١٠) بقـادرِ

وإننى مع بُغضِ (١١) كلِّ حاسـدٍ أقضى لحسّـادِك بالمَعـاذرِ

يَفـديك كلُّ ساكتٍ مُداجٍ (١٢) بُغـلَّةٍ وبائحٍ مُظاهـرِ

وشـامتٍ إن رُفعت لعينـه صَيفِيَّةٌ (١٣) من السـحاب العابرِ ،

جهامـةٌ (١٤) يفتحُ فاه نحـوَها يحسبها جهلا من المواطرِ

يسرّه العاجلُ من أظلالهـا وهى غـدًا مهتوكةُ الستائرِ

---

(١) المزلق : المكان يزلق فيه لوعورته . (٢) مسنم : مرتفع كأنما له سنام . (٣) العوابر جمع عابرة . (٤) الملموم : المجتمع المدوّر المضموم . (٥) الصفاة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت ، ومنه "فلان لا تـدى صفاته" أى بخيل ممسك لا يسمح بشىء . (٦) الفاطر : اسم فاعل من فطر الشىء أى شقه . (٧) هذه الكلمة ليست بالأصـل . (٨) مرائر جمع مريرة وهى الحبل أحكم فتله . (٩) تدوه : تُمرضه ، وفى الأصل هكذا "دوه" . (١٠) فى الأصل "سقاوة" . (١١) فى الأصل "بعض" . (١٢) المداج : الموافق . (١٣) الصيفيّة : السحابة تظهر فى الصيف لاماء فيها . (١٤) الجهامة : السحابة البيضاء لا تحمل ماء .

وربّما عادت بذى حَواصِبٍ (١) عليه وٱجتاحت وذى صَراصِر (٢) (٣)
كمن جنى البغىُ على أمثاله (٤) من غامطٍ نعماءَ كم وكافرِ
وأنتُمُ فى معزِلٍ من شرِّها وجانبٍ من النجاءِ وافرِ
عوائدٌ لله فيكم ضَمَنْتْ (٥) لَمَّ الشتيتِ وجُبورَ (٦) الكاسرِ
كم مثلها قد غَاظ الدهرُ بها ثُمَّتَ لاذَ منكُمُ بغافرِ
دَجَتْ ولكن أقشعتْ عن أنفُسٍ سواكنٍ وأعينٍ قرائرِ
وكم تعيَّفتُ (٧) لكم سُفورَها من قبل أن يبرُزَ وجهُ السافرِ
فَلم تُكَذَّبْ فيكُمُ زاجرَتى قطُّ ولا خُيِّبَ يُمْنُ طائرى
فانتظروها ويدى رهنٌ بها فربّما كانت كرجعِ الناظرِ
بك ٱستجابَ الدهرُ لى ودعوتى تجولُ (٨) منه حولَ سمعٍ واقرِ
وأبصرَ (٩) الحظُّ الطريقَ فاهتدَى الى وهو أبلهُ البصائرِ
حصَّنتَ وجهى وحقنتَ ماءَه فليس مذ حقنتَه بقاطرِ (١٠)
ولم تدَعْ لى منذ أُولِدتَ المنى مَشقّةً الى لقاحِ العاقرِ (١٢) (١٣) (١١)
كم أربٍ كنتَ اليه سببى فتلتَه بمُحصَدِ (١٤) المرائرِ (١٥) (١٦)
وخَلّةٍ أعضلنى شفاؤها شفيتنى من دائها المخامرِ

(١) حواصب جمع حاصب وهى الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء . (٢) اجتاحت : أهلكت وٱستأصلت . (٣) الصراصر جمع صرصر وهى الريح الشديدة الهبوب أو هى البرد الشديد . (٤) فى الأصل "حتى" . (٥) الشتيت : المتفرق . (٦) الجبور : إصلاح كسر العظام . (٧) تعيفت : تكهنت ، ويشير هنا الى الوزارة وتمنيه إسنادها الى الممدوح . (٨) فى الأصل "تحول" . (٩) فى الأصل "وأبطر" . (١٠) فى الأصل "وبقاطر" . (١١) السبب : الحبل . (١٢) المحصد : المفتول فتلا محكما . (١٣) المرائر جمع مريرة وهى ما طال ولطف وٱشتد من الحبال . (١٤) الخلة : الحاجة . (١٥) أعضلنى : أعيانى . (١٦) المخامر : الذى خالط الجوف .

ملَكْتَنى مِلكَ الوفاءِ بيـــدٍ تطلبُ بعضى فتحوزُ[1] سائرى
فصار يُرضينى بمـا ترضـاه لى منذ عرفتُ نافعى من ضائرى[2]
فلا تُخفْ فيـك الليالى جانبى بقاصـــدِ[3] السهمِ ولا بغـائرِ[4]
ولا يزلْ عزُّك لى ذخـــيرةً لأوّلٍ[5] من عيشـتى وآخرِ
مالاح صبح بضُحًى[6] أضاء [لى][7] وشوَّقَ الوارد[8] رِىُّ[9] الصـادرِ
وحسر النـيروزُ[10] من قناعه طلعتـــهُ[11] على الربيع الناضـــرِ
وزاركم يرفُل فى وشـائع[12] من حُلَلِ الروضِ وفى حَبـائرِ[13]
بكلّ عـــذراءَ لهـا فى خدرها صرامـــةٌ[14] ما للهصورِ الخادرِ
حاطمة تُحى عـــلى مَعـاشرٍ وتُحفـــةٍ تُهدَى الى مَعـاشرِ
إقذاعُها[15] على عِداكم ولكم منها يدُ الراضى ولفظُ الشاكرِ
تَطـــرَبُ للحادى اذا غنَّى بها فيكم وتستقصرُ ليلَ السـامرِ
كانهـم لم يسمعوا من قبلكم فى ما جـــدٍ مقالةً من شاعرِ

* * *

وكتب الى الأمير أبى الذوّاد المفـرّج بن علىّ بن مَزْيَد ، ويخاطبُ فى آخرها كاتبَه أبا نصر بن عَبْدَر الكوهىّ ، وكان هو الذى آستغواه لمدح صاحبه ، وأنفذها مع رسوله اليه

(١) فى الأصل "فتجوز" . (٢) فى الأصل "صابرى" . (٣) القاصد : المستوى نحو الرمية . (٤) الغائر : الداخل فى الجوف . (٥) فى الأصل "الأول" . (٦) الضحى : إشراق الشمس ، وفى الأصل "بدجى" ولعله تحريف . (٧) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٨) فى الأصل "الورد" . (٩) فى الأصل "ذى" . (١٠) حسر : كشف . (١١) فى الأصل "طليعة" . (١٢) الوشائع جمع وشيعة وهى طريقة البرد وتوشيته . (١٣) الحبائر جمع حبيرة وهى الثوب الموشّى ، وفى الأصل "جبائر" . (١٤) الهصور الخادر : الأسد فى خدره . (١٥) الإقذاع : الشتيمة والهجاء ، وفى الأصل "قذاعها" .

ألا يا خليلي المجتبَى من "خُزَيمة" ... هل انتَ أمينٌ إن أمنتَ على سِرّى؟
وهل أنت عنى إن أمنتَ مبلّغٌ ... (١) ألوكةَ عتبٍ ضاق عن حملها صدرى؟
نشَدتُك بالشُّعث (٢) الدوافعِ من "مِنًى" ... (٣) خلاطا كما خُبِّرتَ عن ليلة القَدرِ
وبالأسود الملثومِ قد ضغطوا به ... (٤) جنوبَهُمُ والمَشْعَرَيْنِ (٥) وبالحِجْرِ
أكنتَ بسمعى أو أظنُّك سامعا ... بأعجب من أبيات قومك فى أمرى
يُغارُ على الأموال فى كلِّ حِلَّةٍ ... (٦) وفتيانُ "عَوْفٍ" قد أغاروا على شعرى
سلائبُ لى منهوبةٌ فى رحالهم ... (٧) ينادين بالخيبات (٨) من حَلَقِ الأسرِ
مَطارحُ للركبان يقتسمونها ... تناقلُها الأفواهُ مصرا الى مصرِ
يغنّى بها الحادى، ويشدو لشَرْبهم (٩) ... بها المطرب الشادى، ويُثنى بها المطرى
كرائمُ قد أهديتهنَّ تبرُّعا ... لكلّ فتًى لم يَرْعَ لى حُرمةَ الصِّهرِ
هُمُ خطبوها راغبين وسوَّدوا (١٠) ... عليها نفيساتٍ من البذلِ والوفرِ
وكانت على قومٍ ملوكٍ سواهُمُ ... تكون مع الجوزاء (١١) او عُنُقِ النسرِ
ممنَّعةً أن تُستباحَ بخُدعةٍ ... ووعدِ بروقٍ (١٢) أو تُساقَ على قسرِ
فلما غدت مجنوبةً فى حبالهم ... تواصَوْا عليها بالخيانة والغدرِ

(١) الألوكة : الرسالة . (٢) يريد بالشعث الدوافع : النوق التى تهدى للبيت . (٣) الأسود الملثوم : الحجر الأسود بالكعبة . (٤) المشعرين : الصفا والمروة . (٥) الحجر : حطيم مكة .
(٦) اسم لكثيرين أشهرهم عوف بن محلّم بن ذهل ، وقد قيل فيه " لا حرّ بوادى عوف " وهو مثل قاله عمرو بن هند حين طلب مروان القرظ من عوف وكان قد أجاره فأبى أن يسلمه ؛ ومعناه أنه يقهر من حلّ بواديه وكلّ من فيه كالعبيد لطاعتهم إياه ؛ وقيل : إنما قيل ذلك فى عوف لأنه كان يقتل الأسرى ، ولعل مهيار يشير الى ذلك فى البيت الذى يلى هذا البيت . (٧) فى الأصل "ينادون" وهى لا تتفق والسياق للتأمل . (٨) الخيبات جمع خيبة . (٩) الشرب جمع شارب . (١٠) سوّدوا : جعلوا لها السيادة ، وفى الأصل "وسوا" . (١١) الجوزاء والنسر : نجمان . (١٢) فى الأصل "وروعدوق" وقد رجحنا كلمة بروق لأنها أحيانا لا تكون صادقة ، ومن ذلك البرق الخلب .

كأنهُـــمُ (١) شَـلُّوا بهـا سَرحَ (٢) مهمِـلٍ ... نفاه الرعاةُ بين " بابلَ " " والعَـقْرِ (٣) "

فعرِّجْ عليهـــم ثم قل " لمفـــرّج " : ... أترغبُ فى مدحى وتزهـــدُ فى شكرى؟

أترضَى بأن أضـــوَى (٤) وكفُّك مخصِبٌ ... عشيبٌ وأطوَى (٥) من يديك على النحرِ (٦)

وتُظـــلَمَ (٧) آمالى عليـــك ومطلبى ... ووجهُك من تحت اللثـام أخو البدرِ

وقـــد سارت الأخبارُ أنك خـــيرهم ... قِرًى [يوم يبكى] (٨) الضيفُ من عضّة القُرِّ (٩)

وأعقرُهم للـــبُزْل (١٠) والعـــامُ أشهبٌ ... وأوسعُهم خَطًّـا لأُثفيَّـــةِ (١١) القِدْرِ (١٢)

تجـــود فتعطى فى الغنى قُـــدرةَ الغنى ... وتجـــبُرُ أكسارَ الفقير على الفَـــقرِ

فمـا بالُ بِكرٍ حُرّةٍ بعثَتْ بهـا ... اليك القـــوافى من عَـــوانٍ (١٣) ومن بِكرِ (١٤)،

شُغفتَ (١٥) بهـا ثم آنصرفتَ مـــلالةً ... بوجهك فيهـا عن جزائى وعن ذكرى

وأمهرتمـــوها وآرتجعتم صـــداقَها ... فهـــل تستحلّون النكاح بلا مَهـــرِ

فأين السماحُ "المَـــزْيَدىُّ" وما آبتنى ... أبوكم وبقّى من علاءٍ ومن فخـــرِ

وما لم تزالوا تُنفقون على العـــلا ... وتُعطُـــون من مالٍ ومن نَعَمٍ (١٦) دثْرِ (١٧)

---

(١) شلوا : طردوا ، وفى الأصل "سلوا". (٢) السرح : المال السائم. (٣) العقر : اسم موضع يقال له عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة ، وقد روى أن الحسين رضى الله عنه لما آنتهى الى كربلاء وأحاطت به خيل عبيد الله بن زياد ، قال : ما آسم تلك القرية ؟ — وأشار الى العقر — فقيل له : آسمها العقر ، فقال : نعوذ بالله من العقر ؛ ثم قال : ما آسم هذه الأرض التى نحن فيها ؟ فقيل له : آسمها كربلاء ، قال : أرض كرب وبلاء ! ! وأراد الخروج منها فمنع حتى كان ما كان .

(٤) أضوى : أهزل وأدق . (٥) أطوى : أجوع . (٦) النحر : ما يحر ويجزر .

(٧) فى الأصل "وتلظم" . (٨) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا : "يوسلى" .

(٩) القر : البرد . (١٠) البزل جمع بزلاء . وهى الناقة المسنة . (١١) الأشهب : المجدب الذى لا خضرة فيه . (١٢) الأثفية : حجارة توضع عليها القدر . (١٣) العوان : المسنة .

(١٤) البكر : العذراء . (١٥) فى الأصل "شفعت" . (١٦) النعم : الإبل أو الجمال خاصة .

(١٧) الدثر : الكثير ، يطلق على الواحد وغيره فيقال : مال دَثْرٌ ومالان دَثْرٌ وأموالٌ دُثُرٌ .

أعيـذكُمُ من أن يقـالَ عليكُمُ : ثوى معَـه[1] جودُ الجماعةِ فى القـبرِ
وحاشاكُمُ من أن تَخيسَ[2] بضائعى لديكم بما تنمى البضائعُ للتّجْـرِ[3]
وقـد ملأتْ فيكم أوَابِدىَ المـلا وسارت حُداءَ العيس أو طُعمَ السَّفْرِ[4] (١٧٨)
وعنـدِىَ فيكم ما يسـوء عـداكُمُ ويُبقِى لكم ما سَرَّكم آخرَ الدهرِ
فإن تقتنوها بالجميـل [بَنْتْ[5]] لكم حصونا على الأحساب من أنفَس الذُّخرِ
وإن تَغصبوها تُمسِ فى غير حيِّكم تَشكَّى اضطرارا أو تكلَّمُ عن عُـذرِ
أيا نجمَ " عوفٍ " يا " مفرِّج " كربِها أما آن لى أن يَنجلَ المطلُ من صبرى
حملتُ التقـاضى عنكُمُ مُهـلةً لكم فأنظرتكم فى العسرِ فاقضـوا مع اليسرِ
وقـل يا رسولى مبلغـا سُـفراءَهم جميعا وخُصَّ " العبدرِىَّ أبا نصرِ " :
أفى الحقّ أن سوّمتُ[6] بينى و بينكم خيـولَ الأمانى ثمّ تقعدُ عن نصرى ؟
وأغريتـنى حتى اذا ما ولجتُهـا تأخّرتَ عنّى والعقابُ على المُغـرى
أما تذكر العهـدَ الذى كان بيننـا ! بلى نتناساه وأنتَ عـلى ذِكرِ
تنامون عن حقّى وتُلغون مـدحتى وأنتم حملتم ثِقلَ ذاك على ظهـرى
فقم يا " أبا نصرٍ " قيـامَ[7] ابن حرّةٍ بنصرِ صـديقٍ أنت أوقعتَـهُ حُرّ
وعد برسـولى يحمـل الغُرمَ وافـرا وفز بثنائى فهـو أسنَى من الوفرِ
وقل للأمير ابن الأمير نصـيحةً : تربَّصْ بخيرى واحترِس من أذى شَرّى

---

(١) الضمير فى "معه" عائد الى قوله "أبوكم" فيما مرّ . (٢) تخيس : تكسد . (٣) التجر جمع تاجر . (٤) طُعم جمع طُعمة وهى المأكلة والرزق ، والسفر : المسافرون . (٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٦) سوّمتُ : أرسلتُ . (٧) فى الأصل " فنام " .

* * *

وكتب للوزير أبى سـعد ، وقد بعد مستوحشا من بغـداد الى تكريت ، يتألّم لبعـده ، ويذكر شوقه اليه ، ويتفـاءل بسرعة العود الى الأمر ، ويذكر اضطرابَ التدبيرات بعده ، ويشكو أحد الولاة ممن كان الوزير أمَرَهُ بحمـل شيء اليه فخالف أمرَه وأخّره ، ويهنّئه بالعيد والمهرجان

هَوِّنْ فى الليـل عليها الغَـرَرَا (١) أنّ العُـلا مقيَّـداتٌ بالسُّرى
فركِّبَتْ بسُـوقها رءوسُها (٢) حتى تخيَّلنا الجمـولَ (٣) الغُـررا (٤)
تحسبها عَجـرفةً (٥) ووَرِهَا (٦) فيما ترى خابطـةً ليستْ تَرَى
تنضى (٧) النهارَ شَمْـلةٌ (٨) جَونيَّـةٌ (٩) وتَلبَسُ الليـلَ رِداءً أخضـرا (١٠)
ترى بما تُجهِض (١١) من سِخالها (١٢) لحما مَضيغا (١٣) ودماً هَـدَرا
علَّمها النـومُ عـلى رِباطِها ذليـلةً أن تَسـتطيبَ السهَرا
كلُّ ابن ذات أربعٍ تحسبه ذاتَ جَناحين اذا تَمَطَّـرا (١٤)
ينتشر الأرضَ فـلا يَرُدُّعُـه (١٥) كيف طواها عَنَقًا أو حُضُـرا (١٦)
يرى الظـلامَ بشهابَيْ (١٧) قابِس لا يسـتميحان النجومَ خَـبَرَا

---

(١) الغَرَر : التعريض للهلكة . (٢) سوق جمع ساق . (٣) الجمول جمع جُمْل وهو الياض فى القوائم . (٤) الغُرر جمـع غُرّة وهى البياض فى الجبهـة . (٥) العجرفة : قلة المبـالاة فى سرعة العَـدْو . (٦) الوره : الخُرق فى السـير كالعجرفة . (٧) تنضى : تنزع وتخلع . (٨) الشملة : كسا تخمل دون القطيفة يُشتَمَلُ به . (٩) جونية : بيضاء . (١٠) أخضر : أسـود ، يقـال : اخضرّ الليـل بمعنى اسود . (١١) تجهض : تُلقِى . (١٢) السِّخال جمع سَخْل وهو ولد الشاة وهنـا بمعنى ولد الناقة . (١٣) المضيغ : المعضوغ ، والمراد أنه ممتهن . (١٤) تمطّر : أسرع فى هُوِيِّه . (١٥) العَنَق : السـير الفسيح الواسع . (١٦) الحضر : العدْو ، والأصـل فيه سكون الضاد . (١٧) شهابى قابس : كناية عن العينين .

تكارَها شمسَ الضحى وأقسما ... على الدجى لا يَصحَبان القمرا
إن غاب شخصُ مقلتيه أبصرتْ ... أذْناه ، هل خُبِّرتَ سَمْعا بَصَرا ؟
يُلهِبُ قرعُ السوطِ منه مِرجلا[1] ... يجيشُ صدرا ويجيشُ منخرا
يُعطِى الشكيمَ[2] ساءه أو سَرَّه ... لَحْياً[3] أبيًّا أو عِذارا أصعرا[4]
يَظْمَأ فلا يَشرعُ[5] مسبوقا على ... صافيةٍ ولو تكونُ الكوثرا
عاف البقايا أنه مُنتتِجٌ[6] ... فى معشر لا يشربون السُّؤرا[7]
يأنف من ماء الرُّكِيِّ[8] أنّه ... فى الأرض أو تَسقِى السماءُ المطرا
كالنجم فى نهاره وليله ... إما ارتفاعا سار أو منحدِرا
ذلك دأبُ ربِّه ودأبُهُ ... ما استقدما فشاورا التأخُّرا
اذا أصابا وطرًا من العلا ... فذاك ، أو فيبلغان العُذُرا
لله مفطورٌ على سوددِه ... اذا رأى العجزَ غِمارًا[9] شمَّرا[10]
يصرِفُ عن بيت الهوان وجهَهُ ... وإن ضَفتْ[11] أفياؤُهُ وخضِرا[12]
يريه صدرَ اليوم ما فى غدِهِ ... رأيٌ اذا الرأىُ أصرَّ أبصرا
يأوى الى بديهةٍ[13] من عزمه ... تُطلِعُه قبلَ الورود الصَّدَرا
تنصره الوثبةُ فى أوانها ... اذا الهوينى خانت المتظرا[14]

---

(١) فى الأصل " مزحلا " . (٢) الشكيم جمع شكيمة وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس .
(٣) اللحى : عظم الحنك . (٤) الأصعر : الذى يُميلُ خدَّه بِرا وتهاونا بالناس .
(٥) لا يشرع : لا يرد شريعة الماء . (٦) منتتج : متوالد . (٧) السؤر جمع سؤرة وهى البقية . (٨) الركى جمع ركية وهى البئر ذات الماء . (٩) الغمار جمع غمر وهو الماء الكثير .
(١٠) شمر : مر جادًا أو مختالا وفى الأصل " سمرا " . (١١) ضفت أفياؤه : سبغت ظلاله وامتدت . (١٢) خضر : صار أخضر وفى الأصل هكذا : * وان ضفت أفناؤه وحقرا *
(١٣) فى الأصل " بديعة " . (١٤) الهوينى : التؤدة .

لا يعـــلُق الأعـــداء فى أتباعه ... بعينـــه فيُعظِمون الاثرا

وكلُّ من قصّر عن عُـــدُوه[1] ... أعظمـــه ضرورةً لا خِـــيَرا[2]

كالليث يُقـــلَى وهو يُطرَى أو كما ... نافق أعـــداءُ وزيرَ الوُزَرا

قادحَهـــم[3] ففـــازهم أروعُ[4] ما ... قامَر فى العليـاء الّا قَمَـــرا[5]

مقلِّبٌ جانبَـــه[6] وحظَّـــه ... من الســـعود سَفَرا أو حَضَرا

تواصت الأقـــدار أن تمضى على ... تدبـــيره جاريـــةً كما جرى

وغيرُهُ — والنقصُ حظُّ غيرِه — ... إن أحمَـــد الآراءَ ذمَّ القـــدَرا

عضَّ العـــدا أظافرا من بعـــده ... تَـــدْمَى ولم تُرزق عليـــه الظفَرا

ولم يكن من "شرفِ الدين" لمن ... ينـــدمُ إلا أن يعَضَّ المجـــرا

ولا لدارٍ فاتهـا ودولةٍ ... منـــه سوى أن أقويا[7] وأقفـــرا

أبصـــرها بلهـــاءَ جاهليَّـــةً[8] ... ذاتَ فُسوقٍ[9] لا تخاف النُّـــذُرا

مجنـــونةَ الوداد إما عاهـــدتْ ... لم يك إلا الغـــدرَ والتغـــيُّرا

أشهى خليليْها اليهـا خُـــلَّةً[10] ... من كان أدنى همّـــةً وأحقرا

تكيلُ بالجـــور اذا ناصفَهـا ... وتنبُـــذ العُرفَ تراه منكـرا

نافـــرةً من ذى اليمينين اذا ... قـــوّدها[11] حتى تُطيـــعَ الأبترا[12]

فـــردَّها بالعتب ردَّ ناقـــدٍ ... غالط فيهـا النفسَ حتى آستبصرا

ألقَى عـــلى غاربِها[13] حبالَها ... من بعـــد ما متَّعها وأمهـــرا

---

(١) العُدُوّ : الوثوب . (٢) فى الأصل "خبرا" . (٣) قادحهم : لعب معهم بالقداح (٤) الأروع : الشهم الذكى . (٥) قمر : غلب وكسب ما قامر عليه . (٦) فى الأصل "حليه" . (٧) أقوى : خلا من ساكنيه . (٨) فى الأصل "نسوق" . (٩) النذر جمع نذير، ويشير بهذا البيت وما بعده الى الوزارة . (١٠) الخلة : الصداقة والود . (١١) قوّدها : قادها . (١٢) الأبتر : المقطوع . (١٣) الغارب : أعلى الكاهل .

على أوانَ شُـوِّهَتْ وعُنِّسَتْ[1] وسُلبتْ جمالَهَا واخلَفَرا[2]
تناحلوها شَرَهًا وزاحموا عَجْزًا شفيرَ جُرْفِها المُهوِّرا[3][4][5]
فطُرِّفوا منها بشلوٍ ميِّتٍ وأكثروا فيه الجدالَ والمِرَا[6][7]
مَرَّ ووَلَّاهم رَذايا سَرِحها يدبِّرون منه أمرًا مُدْبِرا[8][9]
ياليت شعرَ الملكِ مَن عَذيرُهُ بعدَك مما جرَّ عجزُ السُّفَرا!
ودولة أسلمها عميدُها كيف يُظَنُّ كسرُها أن يُجبرا
وهل لها أن تستوى قائمةً ما لم تجدك الناعمَ المقدِّرا؟[10]
وكيف يُرجَى عند ذؤبانِ الغضا وفى الغيل أن تحمى حمى أُسْدِ الشرى[11][12][13]
خطوتَها مستقدما أمامَها لما رأيتَ خطوَها إلى وَرَا
نجّاك منها أن تُرَى مُهتَصرا بغمرةٍ[14] — حاشاك — أو مُقتَسرا،
يدٌ علت عن أن تكون فوقها يدٌ، ونفسٌ لا تُطيعُ الأُمَرا
ونخوةٌ سيماءُ[15] فارسيَّةٍ شمّاءَ[16] لا تُعطى الخِزامُ[17] منخرا[18]

---

(١) عُنِّست : تُركت بلا زواج حتى كبرت . (٢) الخفر : الحياء . (٣) الشفير : ناحية كلّ حدّ . (٤) الجرف : الجانب الذى يؤكل من الأرض، كل ساعة يسقط جزء منه . (٥) المهوّر : المنهار. (٦) الشلو : العضو . (٧) المراء : الجدل والشك . (٨) الرذايا جمع رذيّة وهى الناقة المهزولة . (٩) السرح : المال السائم . (١٠) الناعم المقدِّر : ذو النعمة الذى يتروّى و يفكّر فى تسوية أمره، أو ذو النعمة الذى يقدِّر الأمور والأحكام تقديرا ، والمقدِّر أيضا بمعنى العالم بالشىء. ومنه قوله تعالى (إلا امرأته قدّرنا إنها لمن الغابرين) بمعنى علمنا انها لمن الغابرين . (١١) ذؤبان جمع ذئب . (١٢) الغيل : بيت الأسد . (١٣) الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل . (١٤) الغمرة : الشدة والمهلك، وفى الاصل "بعمره" . (١٥) السيماء : الهيئة، وفى الأصل "شماء" ولا تتفق والسياق . (١٦) شماء : عالية . (١٧) الخزام : حلقة من شعر توضع فى وترة أنف البعير يشد فيها الزمام . (١٨) المنخر : ثقب الأنف .

أفدتها[1] كفايةً جامعةً منها وظلًّا فوقها منتشرا
فهى اذا ذُكِرتَ مع خُطَّابها تقول : كلُّ الصيدِ فى جوفِ الفَرا[2]
غدا تلظَّى تشتكى أوامَها الى الفراتِ وهى تُسقَى الكَدِرا
واضعةً جبينها لِمَنسِم[3] الـ[4]ـذُّلِّ وخدَّيها جميعا للثرى
قد غمَزَ الأعمارُ فى صعدتها[5] فهى تداعَى خَطَلا وخَوَرا
حتى تلوذَ تستغيث ربَّها منك وترجو ذنبَها أن يُغفَرا
ويأخذ الدهر بناصيتها سَوْقا فيأتيك بها معتذرا
قد أدَّبَتْهُ لكُمُ جَهْلاتُهُ فيكم وأَنْ جَرَّبَ[6] قوما أُخَرا
جَرْيًا على العادةِ فى استصراخِهِ بعفوكم اذا هفا أو عَثَرا
فاستقبلوا منها مَرِيرا قد حلا لمجتنيكم وسقيما قد بَرَا
أصلحتُمُ ببعدكم فسادَها والجرحُ لا يَدْمَلُ حتى يُسْبَرا
وكلُّ محبوب اذا الوصلُ طغى يوما به فظُنَّهُ أن يَهْجُرا
وزارةٌ كم قد قَدَحتُ زَندَها فيكم وكم قمتُ بها مبشِّرا
فلم تُكَذِّبْ قطّ لى عائفةٌ فيها ولا خُيِّبَ فألٌ زجرا
قد ثبتَ المعجزُ لى فى صدقِها من طول ما صحَّ وما تكرَّرا

---

(١) فى الأصل " أفدتها " . (٢) كل الصيد فى جوف الفرا : مثل يضرب لمن يفضل على أقرانه ، والفرا : الحمار الوحشىّ ، وأصل هذا المثل : أن ثلاثة نفر خرجوا متصيّدين فاصطاد أحدهم أربعا والثانى ظبيا والثالث حمارا ، فاستبشر صاحب الأربع وصاحب الظبى بما نالا وتطاولا عليه ، فقال لهما صاحب الحمار : كل الصيد فى جوف الفرا ، أى هذا الذى رُزقتُ وظفرتُ به يشتمل على ما عندكما ؛ لأنه ليس أعظم من الحمار الوحشىّ فيما يصيده الناس . (٣) فى الأصل " جنينها " . (٤) المنسم : الخف وهو من الأبل كالحافر من الخيل . (٥) الصعدة : القناة المستوية ، تنبت كذلك لا تحتاج الى تثقيف . (٦) فى الأصل " جربت " .

كالوحيِ لو أنى خُلقتُ مَلَكًا ... طـرتُ به لكن خُلِقتُ بَشَرا
فانتظـروها إنما مِيعـادها ... غدٌ، وياقـربَ غدٍ منتظَـرَا
فعنـدها يـبرُد(١) حرٌّ أضلع ... يوقد شـوق بينهن شررا
وعنـدها يحـلو بعينى وفمى ... ما قـد أمرَّ الماءَ عذباً والكرى
ويَكمُدُ الحاسـدُ والشامتُ بى ... بفـرط ما قـد أكلانى أَشَرا(٢)
كاشـفنى بعـدكُمُ بغـلّةٍ(٣) ... مَن كان يخشى جانبى مستترا
وكلُّ جِنسٍ(٤) يدُه ووجهُـهُ ... من حَجَـرٍ يُلقَـمُ منّى حَجَـرا
واجَـهَ بالعصيان فىَّ أمرَكم ... والدهـرُ لا يَعصيكُمُ لو أُمِرا
كنتُ له ذريعـةً اليكُمُ ... وكنتُمُ بالعِلْجِ(٥) مـنّى أبصـرا
فجنِّبونى عفـوَكم عنه غـدًا ... أكنْ لكم منـه ولى منتصـرا
يا عُشبَ أرضى وسماءَ روضـتى ... ودارَ أمنى يـومَ أَرعَى الحـذَرا
ومَن اذا عُرِّىَ من ظلِّهِـمُ ... ظهرى فقـد ألقيتُ شِلْوا(٦) بالعَرَا
قـد أكلتْنا بعـدكم فاغرةٌ ... أنيابُها(٧) قبـلَ العِضاض(٨) جَزَرا(٩)
لم يَتأَسَّ بنتـاج إذ أتت ... ضيفٌ ولم تُوقَـدْ لها نارُ القرى
تَعـترِقُ(١٠) العظمَ كما تَسْـتَرِطُ ... الـ ـلحم وجلّت أن تَخُصَّ الوَبرا(١١)
فنظَـرًا وإن نأت دارُكُمُ ... وأرشِـدوا لمن يقول : نظَـرا
يا فرحةً يـومَ أرى رايتَكم ... تـلاوذُ الريح ، تـؤمُّ العسكرا

(١) فى الأصل "برد". (٢) الأشر : البطر . (٣) الغلّ : الحقد . (٤) الجبس : الجبان . (٥) العلج : العير أو الحمار الوحشىّ السمين أو الرجل القوىّ من كفّار العجم ولا يراد به إلا الذم على أى معنى . (٦) الشلو : العضو . (٧) فى الأصل "نابها" . (٨) العضاض : العضّ . (٩) الجزَر : اللحم تأكله السباع . (١٠) تعترق : تأخذ ما على العظم من لحم نهشا بأسنانها ، وتسترط : تبتلع . (١١) تخصّ الوبرا : تحلق الشعر وتُذهِبُه وفى الأصل "الورا" .

ونشْرَ أيديكم وأعراضَكُم "بالزاب"[1] يلقانى وشاطى "عُكبرا"[2]
والأمر فيكم، لا يُطاعُ لقبٌ[3] زُورٌ ولا يُراقَبُ اسمٌ مفترَى
لا غرو إن كَفَيتَها مستوزَرا بالأمس أن تكفِيَها مؤمَّرا
آمالُها وكيفَ لا يأمُلُ أن يراك شمسا مَن رآك قمرا
أنا الذى لو سجد النجمُ لكم ما كنتُ مرتابا ولا مستنكِرا
ولو مسحتم "زحلا" ببُوعكم[4] رجوتُ بعدُ لعلاكم مَظهَرا
أقذيتُ أبصارَ العدا بمدحكم فساوَرونى[5] أحْوصا[6] وأخزرا[7]
ولم أراع فيكُمُ تقيَّةٌ[8] من كِيدِ غِيظت وصدرِ أوغِرا[9]
على سبيلى فى مُوالاتِكُم أمرّ فردًا لا أخاف الخطَرا
وقاطنات سائرات معكم تتبعكم مَحَلَّةً وسَفَرا
تشتاق منكم عامرى أوطانِها ومَن ثوت فيهم فقضّتْ عُمُرا
لا تعدَمون رسمها مردَّدا عليكُمُ وقسمها مُوَفَّرا
ماكرٌّ يومُ المهرجان وطَرا[10] وصامَ ذو شهادةٍ وأفطَرا
قلتُ فأغضبت الملوكَ فيكُمُ وأنتُمُ بى تُغضبون الشُّعَرا

(١) الزاب : اسم نهر بأرض الموصل . (٢) عكبرا : اسم بليدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .
(٣) فى الأصل "لقى" . (٤) البوع : الباع وهو قدر مدّ اليدين . (٥) ساورونى : واثبونى . (٦) الأحوص : الذى فى مؤخر عينه ضيق . (٧) الأخزر : الذى صغرت عينه وضاقت . (٨) تقية : اتقاء . (٩) أوغر : التهب من الغيظ . (١٠) طرا : أتى من مكان بعيد .

❖

وقال وكتب بها الى الوزير أبى القاسم هبة الله بن علىّ بن ماكولا، يتشوّقه ويذكّره بعهوده، ويتحبّزه قديمَ ديونه وحقوقَ ما أسلفَ من مديحه، وأنفذها الى حضرته بعُكْبَرَاء فى ذى القعدة من سنة ستّ وعشرين وأربعمائة

أدمعُك أم عارضٌ ممطرُ ؟ أم النفسُ ذائبةٌ تقطُرُ ؟
دعَوا بالرحيل فمستذهِلٌ أضلَّ البكاءُ ومستعبِرُ
وقالوا : الوداعُ على "رامة" فقلت لهم : "رامةُ" المحشَرُ
وأرساتُ عَينَ "بالأنعمَيْنِ"(١) لتُبصِرَ لو أنها تُبصرُ
فما حَمَلَتْ خبرا يُستطا بُ إلا الذى كذَبَ المُخبِرُ
وعنَّفنى منذرٌ خاليا ، ألفتَ وفُورقتَ يا منذرُ
وقالوا : تحمَّل ولو ساعةً فقلت لهم : مُدّتى أقصرُ
ولكن تطالَلْ بعينِ النصيح لعلَّك مُستشرِفا(٢) تنظرُ
أجنب "الغضا" يقبلُون الركا بَ أم عَرْعَرًا(٣)؟ قال: بل عَرْعَرُ
فلا تذكرون لقلبى السلـ ـوَّ إن كان ذاك كما يُذكَرُ
سقى اللهُ — ما كُرِمتْ مزنةٌ(٤) وما وَضَعَتْ حاملٌ مُعصِرُ(٥) — ،
— وحنَّت فَدرَّتْ على أرضها سماءٌ تبوح بما تُضمِرُ — ،
ملاعبَنا بالحمى والزما نُ أعمَى وليلُ الصِّبا مقمِرُ
وعصرُ البِطالةِ [مثلُ](٦) الربيع : حَيًّا أبيضٌ وثرًى أخضرُ

(١) الأنعمان : موضع بنجد . (٢) المستشرف : الذى يرفع بصره الى الشىء ينظر اليه باسطا كفه على حاجبه كالمستظل من الشمس ؛ وفى الأصل "مشنفر" . (٣) عرعر : اسم لعدّة مواضع نجديّة . (٤) المزنة : المطرة . (٥) المعصر : الجارية التى بلغت شبابها . (٦) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

(١٨١) "وظبيـةُ" جارٌ اذا شاء زا ... رَ لا تستريبُ ولا تَحـذَرُ
اذا لذّة اليـوم عنا آنطوت ... وثقنا بأخرى غـدًا تُنشَرُ
وفى الحىّ كلُّ "هلاليّةٍ" ... هـلالُ السماء بها يُكْفَرُ
تذلُّ على عزّها للهـوى ... وتُسـبَى وأنصارُها حُضَّـرُ
تسيل الأسـنَّةُ من دونها ... ونحنُ على سرّها نَظهَـرُ
فذاك وهـذا لو آنّ الزمانَ ... إناءٌ اذا راق لا يَكدُرُ
تلوَّنَ فى صِبغ أيّامـه ... تلوُّنَ ما نسـجَتْ عَبقَـرُ(١)
فيـومٌ تَعرُّفُـهُ غفلـةٌ ... ويـومٌ تجنُّبُـهُ مُنكَرُ
يَجِـدُّ ويبـلَى فطورا غريبٌ ... وطورا يَسـدُّ الذى يُعـورُ
وحاجةِ نفسٍ سـفيرُ الرجا ... ء يُورِدُ فيها ولا يُصْـدِرُ(٢)
تكونُ شجًى دون أن تنقضِى ... وبابُ القضاءِ بها أعسرُ
بَردتُ لسانِىَ أن أشتكى ... أذاها وصـدرى بها يَزْفِرُ
وعهـدٍ رعَيْتُ وذى مَـلَّةٍ ... وصلتُ من الحق ما يَهجُـرُ
أردتُ بقيَّتَـهُ فانعطفتُ ... عليـه وجانبُـه أزورُ
سها فتناسى حقـوقى عليـ ... ـه وهو عـلى سهوه يَذْكُرُ
أبالحـق تهـدِمُنى بالجفاء ... وأقطارُ عرضك بى تَعمُـرُ؟
وتشربُ ظلْمِىَ مسـتعذبا ... وظلمى مُمِـرٌّ(٣) الجنا مُمقِـرُ(٤)
سأضربُ عنك صدورَ المطىِّ ... وفى الأرض مَغنًى ومستمطَرُ

---

(١) عبقر : بلد فى اليمن ينسب اليه الوشى، ويزعمون أنه مسكون بالجنّ . (٢) يقال : فلان يُورِد ولا يُصدِرُ أى يأخذ فى الأمر ولا يُتِمُّه . (٣) المر : غير الحلو . (٤) الممقر : الحامض .

نوازِعُ تقمحُ[١] وِرْدَ الهوانِ فتطمحُ تُسهلُ[٢] أو تُوعرُ[٣]
وأنّ لها فى رجالِ الحفاظِ[٤] مَرَادًا الى مثله تُزجَرُ
وفوق ثنايا العلا أعينٌ يُهَشُّ اليها ويُستَبشَرُ
وفى جوِّ "عجلٍ"[٥] اذا أعتمتْ وضلَّتْ نجومُ هُدًى تَزهَرُ
وأفنيةٌ[٦] تقبِضُ الوافدين اذا رُفِعتْ بينهم كَبَّروا
يفيءُ[٧] لهم ظلُّها بالهجيرِ وتأرجُ[٨] طِيبًا اذا أسحروا
متى تَرِدِ الماءَ "بالزابيين"[٩] وترعَى "صَرِيفين" أو تَعبُرُ،
تَخُضْ فى جَميمٍ يَعُمُّ السَّنام وينصُفُهُ العُنُقُ المسفِرُ
وتكرعُ منبسطاتِ الرقا بِ لا يردُ الناسُ أو تَصدُرُ
وللراكبيها القِرَى والحمى ورِفدٌ يطيبُ كما يَكثُرُ
ومعقورةٌ[١٠] واجباتُ[١١] الجُنوبِ صفايا[١١] وفهّاقةٌ[١٢] تهدر
فزاحم بها الليلَ حتى تكونَ لها الصادعاتُ[١٣] له الفُجَّرُ[١٤]
مواقِرُ[١٥] بالحاجِ تُبطَنُ[١٦] حيـ ـثُ تَطرَحُ أثقالَها الأظهرُ

---

(١) تقمح : تأبى أن تشرب . (٢) تسهل : تأبى السهل . (٣) توعر : تأتى الوعر وهو ضد السهل . (٤) الحفاظ : الود . (٥) عجل : اسم قبيلة . (٦) أفنية جمع فناء وهو ساحة أمام البيت . (٧) يفىء : يمتد . (٨) تأرج : تفوح . (٩) الزابيان : نهران بأرض الموصل ، وصَريفين : قريةٌ فى سواد العراق كبيرة غنّاء شجراء قرب عكبراء وأوانا على ضفة نهر دُجَيل . (١٠) واجبات : ساقطات . (١١) الصفايا جمع صفيّ وهى الناقة الغزيرة اللبن . (١٢) الفهّاقة : المتلئة ، ويراد بها القِدر . (١٣) الصادعات : الحجارة الصلدة . (١٤) الفُجَّر : التى تفجر منها المياه . (١٥) مواقر : مثقلات . (١٦) تبطن : تضرب تحت بطونها حيث لا يؤلمها الضرب قال الراجز :

* اذا ضَربتَ موقرا فَابطُنْ له *

يقال : بطنه وبطن له كشكره وشكر له ونصحه ونصح له ، وفى الأصل "يطنن" .

فلا يعطفنَّك عن همّـة همتَ بها بارحٌ[1] يُزجَـرُ
فلا الجَـدُّ يدفعـه أعضبٌ[2] ولا الحـظّ يصرفـه أعورُ
ولا أنتَ رامٍ بها جانبا يشُـطُّ[3] ولا نيَّـةٌ تَشْـطُرُ[4]
وعند "أبى القاسم" المكرما تُ تَنمى وأغصـانُها تُزهِرُ
كريم يَـرَى أنه بالملا م يُقْـذَعُ أو بالغنى يُفْقَرُ
اذا آستأثر اللهُ بالمنفسـاتِ من المـال فهو بها مؤثَرُ
يُهين الحياةَ بحبّ الفنـاءِ وكفّاه فى حسب يَغْـمُرُ
ويُعطِى عطاءَ "ابن عيسى" آبنُه وما بين بحريْهما أبحـرُ
فهـذا يجود عـلى فقـره وذاك على جـوده موسـرُ
ففى الضيم عنـه فؤادٌ أصمُّ اذا قطَـر الصخر لا يقطُرُ
وأنفٌ يجيشُ به منخـراه اذا سُـدّ فى آخرٍ منخـرُ
ونفسٌ اذا العيش كان آثنتين عُلًا تُقتنَى وغـنًى يـؤثِرُ،
مضت فى سبيل الأشقّ الأعزّ ولم يُصْبِها الأروحُ الأصغرُ
ويومٍ من الدمِ ساعاتُه قميصُ النهار بـه أحمـرُ
تبطَّنـه خائضا نقـعَهُ يُقلِّص عن ساقه المِـئزرُ
حميّـةُ من لا تنـام الترا تُ خلفَ حشاه ولا تُهـدرُ[5]
وضوضاء، قطَّـر[6] بالمفحَمين ظهـرُ مطيّتها الأزعرُ[7]

(١) البارح : الطير يوليك مياسره ، والعرب تتطيّر منه . (٢) الأعضب : القصير اليد ، وله معان أخرى لا يقتضيها السياق ، وفى الأصل "أعصب" . (٣) النية : الرحلة البعيـدة . (٤) تشطر : تُبعد . (٥) الترات جمع ترة وهى الثأر . (٦) قطر : ألقى . (٧) الأزعر : القليل الشعر والمتفرقه .

تخلّصها فُـه فانجـلت ... كما فارق الصـدفَ الجوهرُ
فـوترٌ مضـاعٌ (١) به يسـتقاد (٢) ... وفضـلٌ مذالٌ به يُنصـرُ
اذا قال فأعقِـد خيوطَ التميم (٣) ... عليـك فألفاظـه تَسْـحَرُ
ويا تارك الخمـرِ لا تأتِه ... فإنّ خلائقَـه تُسكرُ
يريـك بظاهـره غادةً ... تـزُمُّ (٤) حياءً وتسـتخفرُ (٥)
وفى فهـمه لك نَضناضـةٌ (٦) ... خَدورٌ وفى درعـه قَسورُ (٧)
تعطّر من طِيبه المجدُ عنه ... وعن قومه الأطيبُ الأطهرُ
ملوكٌ قديمهُـمُ كالحـديث ... وبالفرع يُعـرَفُ ما العنصرُ
وما أخلفـوا أن يُحـلّى الزما ... نَ منهـم أميرٌ ومسـتوزَرُ
وقاضٍ ينفّـذُ أحكامَهُ ... اذا أمر النـاسَ لا يـؤمَرُ
هُـمُ لعشـيرتهـم كالسما ... ءِ كلُّ الذى تحتها يصـغُرُ
لهـم كأسُ نَشْوتها بالعَشِيّ ... وخيلُ الصباح اذا ٱستُدعِرُوا
وفيهـم مَرابُعـها (٨) والصفـ (٩) ... ـىُّ والقِدحُ إن عُلّى (١٠) الميسـرُ
وما سار من ذكرها فى السماح ... فهـم ريّشوه وهـم طيّروا
مضَوا سلفَ المجد وٱستعمَروا ... ديارَ العلا سعْىَ من أَحْرَوا
وقـد علموا بأنهـم يومَ را ... شَ (١١) أن رمائمَهـم تُنْشَرُ

---

(١) الوتر : الثأر . (٢) يستقاد : يُنال قودُه أى قصاصه . (٣) التميم جمع تميمة وهى عوذة تعلق على الصغار مخافة العين . (٤) تزم : تتأبّى . (٥) تستخفر : تستحى أشدّ الحياء .
(٦) النضناضة : من الحيات التى اذا نهشت قتلت لساعتها ، وفى الأصل " نضنانة " ويريد بالخدور : المستترة فى خدرها . (٧) القسور : الأسد . (٨) مرابع جمع مرباع وهو ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية . (٩) الصفىّ : ما يختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة قبل تقسيمها .
(١٠) القدح : سهم الميسر . (١١) راش : نبت زغَبه بمعنى شب وترعرع .

وما "هبـــةُ الله" إلا المدا ... مُ من مثـــلِ كَرْمِهِـــمُ تُعْصَرُ
فلا عَصْمُ سودَدِهـــم بالقنا ... يُحَـــلُّ ولا عودُهـــم يُقْشَرُ (١)
ومنتحِـــلٍ سِمـــةَ الفاضليـ ... ـن والفضـــلُ من شكله ينفرُ
تقـــلَّد فيما أدعى غـــيره ... هوًى وهو فى اللؤم مستبصرُ
رآك كُملتَ فظنَّ الكمالَ ... لكلّ فـتًى رامَـــهُ يقـــدرُ
ولم يدرِ أنَّ المجا متعبٌ ... ولا أن حبَّ العـــلا مُفقرُ
حلَتْ نومةُ العجـــزِ فى عينه ... فلم يدرِ ما فضـــلُ من يَسهَرُ
لك الخـــيرُ فاسمع فإنّ الحديـ ... ـثَ يُقْتَصُّ ثمّ له مَنشَـــرُ
يَهُبُّ شَرارا (٢) ويمشى [على] (٣) الـ ... ـسروح (٤) فتُلهَبُ أو تُســـعَرُ
ولا تُرْعِنى سمعَ خالى الضـــلو ... ع ممّـا أُجِنُّ وما أُظهـرُ
فغـيرك مَن لا أُبالى بمـا ... شكوتُ أيسـمعُ أم يُوْقَـرُ (٥)
وغير حياضـــك ما لا أحومُ ... عليـــه ولـــو أنه الكوثرُ
إلام تَحَـــرُّمُ شعرى بكم ... يضـــيعُ وذمَّتُـــهُ تُخْفَـــرُ (٦)
ويُمْطَل دَيْنى، ودِينُ الوفا ... ء تاركُـه عنـــدكم يَكْفُرُ
وللطل والصـــبر وقتٌ يُحَدّ ... فكم تُمطلون وكم أصـــبرُ
ألم تعلمـــوا أننى ما بقيـ ... ـيتُ أَنظُـــرُكم ثمّ لا أُنظَـــرُ
أذمُّ زمانى وبى حاجـــةٌ ... الى القول شاهـــدُها يحضُرُ
وأُرسل من رَسَن (٧) الإقتضـــاءِ ... أوانا أعرِّض أو أذكُـــرُ

---

(١) فى الأصل "يقسر" . (٢) فى الأصل "تمسى" . (٣) هـذه الكلمة ليست فى الأصل . (٤) السروح : جمع سرح وهو الشجر العظيم الباسق . (٥) يُوقر : يصمّ ويثقل سمعـه . (٦) تخفر : يُنقض عهدُها ويُغدَر بها . (٧) الرسن : الزمام .

فلا بالشكاية فيما أبو ... ح أحظى ولا بالذى أستُرُ
وقد كنتُ أشكو وأيّامُكم ... جِعادٌ[1] وعامُكُمُ أغبرُ
وأعذرُ والحالُ فيما أرو ... م عن قدر همّتكم تقصرُ
فكيف — وقد أُمطِرتْ أرضُكم ... وأُنعِمَ واديكُمُ — أعذرُ!
وأمرُ البلاد ورزقُ العباد ... اليكم وعن مثلكم يصدرُ
قدرتم فمنّوا فكم ليلةٍ ... سهرتُ الى الله أن تقدروا
فما فى الحميّة أن يمنع الـ ... ـحلِيُّ وذو حقّه مُعسرُ
دعوناكُمُ من وراء التى ... لسانُ البليغ بها يَحصِرُ[2]
وعن خَلّةٍ[3] باطنٍ داؤها ... تُجَمَّلُ بالصمت أو تُستَرُ
مَكَحَّلةٍ[4] خشنٍ مسّها ... الى أكلنا فُوهُا يُفغَرُ[5]
يعزّ على المجد والمكرما ... ت أنّا بأنيابها نُعقَرُ
ونحن من الدهر بل منكُمُ ... بما سدّ خَلَّتَنا أجدرُ
شموسٌ "ببغداد" منكم تضيء ... ونحن بأقسامنا نَعثُرُ
"وبالجزع" "فالمنحنى" "من "دُجَيلٍ"[6] ... سحابٌ على غيرنا يَهمِرُ
ونحن نظنّ بأيّامكم ... كما ظنّ بالثمرِ المؤبُرُ[7]
فهل فيكُمُ — وبَلَى فيكُمُ[8] — ... فتى يُصرِخُ[9] الفضلَ أو ينصُرُ؟
فيذكر من حقّنا ما نُسى ، ... ومثلُ أواصرِنا[10] يُذكَرُ

(١٨٣)

(١) جعاد : شحيحة . (٢) يحصر : يعيى . (٣) الخلّة : الحاجة . (٤) مكحلة : مشتدّة فى محلها وجديها . (٥) يفغر : يُفتح . (٦) دجيل : اسم نهر وما قبله أسماء مواضع .
(٧) المؤبر : الذى يصلح الزرع و يتعهده . (٨) فى الأصل هكذا * فهك فيك و يلى فيكم *
(٩) يصرخ : يغيث و يعين ، وفى الأصل "يصرح" بمعنى يبين و يظهر ، والأوّل أرجح لاتفاقه والسياق .
(١٠) أواصر جمع آصرة وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر ، وفى الأصل "واصرنا" ،

ولمـا آستقلّ الأمر لوزير الوزراء شرف الدين عميـد الدولة أبى سعد بن عبد الرحيم أنشده بالمعسكر

رقّ "لبغداد" القضاءُ والقـدَرْ ... وعطف الدهـرُ عليهـا وأمرْ (١)
وآمتعض المجد لهـا من طول ما ... حاق (٢) بها الضـيم فثار فانتصـرْ
وضحـك المزن الى ربوعهـا ... والعامُ قـد قطّب فيها وكشَرْ
فهى ومن يحمـله ترابُهـا ... عاز بهِ راحت ومُنهـاضٌ (٣) جَـبرْ
عاد الحيـا (٤) الى الـثرى فَـرَبّه (٥) ... وفَتَقَ الصـبحُ الظلامَ ففُجِـرْ (٦)
ونطقَتْ خُرسُ العـلا فأبصرتْ ... عميـاؤها وسمعت وهى وَقَـرْ (٧)
فليهنهـا ما أثمـر الصـبرُ لهـا ... والصـبرُ فى إمراره حلو الثمـرْ
قصرك (٨) ياخابطـةَ الليـلِ بنـا ... لا بدّ لليـل الطويل من سَحَرْ
تنفّسى مبصـرةً وآنفـرجى ... فطالمـا غَـمّ دجاكِ وآعتكـرْ
هـذا الوزير وأخوه فاسـفرى ... قد رُدّت الشمسُ عليك والقمرْ
نجمان ما غابا لسـعيٍ ما جـدِ ... فى الأفق إلا طلعا مع الظفَـرْ
وجاريان سـابقٌ بنفسـه ... [الى] (٩) المدى ولاحقٌ على الأثرْ
تشابهـا والكفُّ مثـلُ أختهـا ... والزَّندُ مثـل الزند مَرْخًا (١٠) وعُشَرْ (١١)

---

(١) هكذا بالأصل وهى لا تخلو من معنى . (٢) فى الأصل "خاف" . (٣) المنهاض : العظم المكسور . (٤) الحيا : المطر . (٥) ربّه : أصلحه وزاده وأتمّه . (٦) ففجر : فطلع فجره . (٧) الوقر : الصمم من بابى تعب ووعد . (٨) قصرك : جهدك وغايتك وآخر أمرك . (٩) هـذه الكلمة ليست بالأصل . (١٠) المرخ : شجر سريع الورى يُقتَدَح به ، وفى الأصل "مرحى" . (١١) العُشَر : شجر فيه حُرّاق مثل القطن لم يَقتدِح الناسُ بأجودَ منه .

متى تَطُلْ من "شرف الدين" يدٌ ... تجدْ "كمالَ الملك" عن أخرى حسر[1]

كلتا اليمينين قياسٌ للعلا ... ذا ذَرَعَ الأفقَ بها وذا شَبَرْ

من ير ذا وِرْدًا[2] وذاكَ قَرَبا[3] ... له، يقل: ذا العشبُ من ذاك المطَرْ

دوحةُ مجدٍ صعُبتْ عيدانُها ... على العدا أن تُختلَى[4] وتُهتصر[5]

سق الندى "عبدُ الرحيم" ساقَها ... وحاط "أيّوبُ" عليها وحظَرْ[6]

وحمَلتْ مثقلةً فأثمرتْ ... مُذكِرةً فولدتْ كلَّ ذكَرْ

قوم أقاموا الدهرَ وهو عاثرٌ ... حتى مشى يختالُ عنهم وخَطَرْ

وأدركوا أيّامَهم بهيمةً[7] ... مُغفَلةً[8] شياتُها[9] حُصُّ[10] الشَّعَرْ

فاعتلقوا جباهَها وسُوقَها ... وطلعوا فيها المجولَ والغُرَرْ

كلّ غلام إن عفا وإن سطا ... أمَّنَ بين الخافقين وذَعَرْ

أروعُ لا تجرى الخطوبُ إن نهى ... خوفا ولا يقضى القضاءُ إن أمرْ

نال السماءَ مُدرَجا فى قُمْطِه[11] ... وفات كلَّ قارح[12] وما ائتمرْ[13]

لم يأخذ السودَدَ حظًّا غلطا ... ولا العلا مغتصبا أو مقتسرْ

ما سار فى كتيبةٍ إلا حَمَى ... وما امتطى وسادةً إلا وزَرْ

قد صدعَ اللهُ بكم مُعجزةً ... فى الأرض ليست فى محالات البشرْ

فأرشدَ المستبصرين بكُمُ ... لو كان يُغنِى القلبُ أو يُغنِى البصرْ

---

(١) حسر: كشف. (٢) الورد: الماء المورود. (٣) القرب: سير الليل لورد الغد.
(٤) تختلى: يُجزُّ خَلَاها وهو الرطب من النبات. (٥) تهتصر: تكسر. (٦) حفر: اتخذ حظيرة. (٧) بهيمة: سوداء أو التى لا شية فيها. (٨) مغفلة: مهملة غير موسومة، وفى الأصل "معقلة". (٩) شيات جمع شية وهى العلامة. (١٠) الحُصّ جمع حصاء وهى المحلوقة الشعر أو التى تناثر شعرها. (١١) قط جمع قِاط وهو خرقة تلف على الصبىّ فى مهده. (١٢) القارح: من الإبل والخيل الذى بلغ آخر سنه. (١٣) ائتمر: نبتت أسنانه.

وأعـلم المُلكَ المـدارَ أنـه بغير قطبٍ منكُمُ لا يستقِرْ
وأنه حبـلٌ ولِيتُم فتلَه فكيفما أبرمه النـاسُ آنتسرْ
أما كفاه — إنْ كفاهُ واعظٌ — بيانُ ما جرَّب[1] منكم وآختبرْ
وكيف لُمَّتْ وهى فى أيديكُمُ طيبتُـه وآنحـلَّ فى أيدٍ أُخَرْ
كم [غارَ من بعد][2] الغرورِ مدَّةً بغيركم، أما يَغارُ من يُغَـرْ؟
بلى! على ذاك لقـد بان له فُرقانُ ما بين الرجال فظهـرْ
ونصَحَتْـه نفسُـه لنفسـه فشاورَ الحـزمَ وأحسنَ النظرْ
فقابـلوا هفـوتَه بحلمكم فمثلُكم — إن كان ذنبٌ — مَن غَفَرْ (١٨٤)
وآستدركوا بسعيكم حفيظةً من أمره ما شعَبَ العجزُ وجَرّْ
فهو الذى دَرَّ على أيمانِكم[3] قِدْما له خِلفُ[4] الصلاح وغَزُرْ
وإن غنيتم لغنى أنفسكم عن رغبةٍ فهو اليكم مفتقِرْ
إن "العراقَ" اليوم أنتم قطبُه لولاكُمُ مدَبِّرين لم يَدُرْ
قد حُبِستْ عليكُمُ سُروجُه من غاب من حُماتِكم ومن حضَرْ
أنتم اذا ضِيمَ سيوفُ نصره وأنتُمُ ربيعه اذا آقشعَرّْ[5]
اذا قربتم ضحكتْ عراصُه[6] وآبيضَّ وجهُ العدل فيها وسفَرْ
وإن نأيتم [كان فى][7] آنتظاركم كأنكم فيه الإمامُ المنتظَرْ

(١) فى الأصل "جزت" . (٢) هذه الكلمات ليست بالأصل وقد ورد به هذا البيت هكذا :

كم الغـرور مرّة بغيركم أما يغار من يغر

(٣) أيمان جمع يمين من الأيدى . (٤) الخلف : حلمة ضرع الناقة . (٥) آقشعر : لم يصب ريّا وفى الأصل "آستقر" (٦) عراص جمع عَرصة وهى ساحة الدار . (٧) فى الأصل "فانه انتظاركم" ولا يستقيم بهما الوزن والمعنى .

فعالجوا أدواءَه بطبِّكم ... قد حُفِر(١) الجرحُ الذى كان عقَرْ
لم يبقَ إلا رمقٌ فابتدروا ... إمساكه، والغوثَ إن لم يُبتَدَرْ
يا قاتلَ الجدب آنتصرْ وقد بغى(٢) ... بعدك عامُ المحل فينا وجَزَرْ
كم تُمطِر(٣) الشهباء عنك بالحيا، ... قد صرَّحتْ كَحْلٌ(٤) وقد صابتْ بُقُرْ(٥)
أمدد بيمناك(٦) على مجدٍ عفا ... خِصبًا وجدِّدْ رسمَ جودٍ قد دثَرْ
وآقدم على السعد الى الصدر الذى ... أوحشتَه فانهض بوِرْدٍ وصدَرْ
وآضفُ على الدولة ظلًّا سابغا ... تسحبه سَحْبَك هُدَّابَ(٧) الأُزُرْ(٨)
دعْ كَبِدَ(٩) الغيظ على أعدائها ... ودع لأوليائها حَزَّ(١٠) الأُشَرْ(١١)
قد أكلتْ أكفُّها(١٢) نواجدُ ... يومَ لك الأمرُ آستقامَ وآستقرْ
ودويتْ(١٣) بما أشرتَ وطَوتْ(١٤) ... أفئدةً بالسوء فيك تأتمرْ
فتَّهُم فربِعُوا(١٥) من ظَلِيع(١٦) ... على رضًا بادٍ وسخطٍ مستسِرْ(١٧)

(١) حفر: فسد، من قولهم: حُفرفه بمعنى فسدت أصول أسنانه. (٢) فى الأصل "نعى".
(٣) فى الأصل "تمطل"، والشهباء: الأرض لا نبات فيها ولا خضرة. (٤) يقال فى المثل: "صرَّحتْ كَحْل" وصرّحت بمعنى آنكشفت، وكحل: السنة الشديدة ومعناه: خلصت السنة من الشدّة والجدب وقيل: كحل اسم للسماء، يقال: صرّحت كحل اذا لم يكن فى السماء غيم، وهى معرفة لا تدخلها الألف واللام وتصرف ولا تصرف. (٥) يقال فى المثل "صابت بقُرّ" أى نزل الأمر فى قراره فلا يستطاع له تحويل، وصابت من الصوب وهو النزول، والقر: القرار؛ يضرب عند الشدّة ويروى "وقعت بقرّ".
(٦) فى الأصل "يمينك". (٧) الهدّاب: الخيوط التى تبقى فى طرفى الثوب من عرضيه دون حاشيته. (٨) الأزر جمع إزار. (٩) الكبد: الشدّة والمشقة. (١٠) فى الأصل "جن".
(١١) الأُشَر: الحدّة والرقة فى أطراف الأسنان، ويراد به هنا من باب المجاز الرفاهية فى العيش. (١٢) فى الأصل "أكفتها" والنواجذ: الأضراس. (١٣) دويت: مرضت. (١٤) طوت: نقيض نشرت. (١٥) فربعوا: فوقفوا وآنتظروا. (١٦) الظلع: غمز فى المشى قريب من العرج وفى المثل "اربعْ على ظلعك" أى إنك ضعيف فآنته عمّا لا تطيقه
(١٧) مستسرّ: متوار.

فلا يزل — وأنت حىٌّ خالدٌ — نأيُهُـــمُ[1] حتى يسدُّون الحُفَرْ
ولا تنـــلْ مُلكَكَ إلا شـــللا يدُ الزمان وتصاريفُ الغِـــيَرْ
اُذكُرْ وصفْ : كيف ترى بشائرى فى مجـــدكم ، إنّ الكريم مَنْ ذَكَرْ
حـــدِّثْ بآياتى وقـــلْ بمعجزى وخَبَرِى عن كلِّ غيبٍ مســـتترْ
هـــذا الذى جَرَتْ به عِيافـــتى[2] لكم وطيرى ذو اليمين إذ زُجِرْ
وكيف لا تصـــدُقُ فيكم نُذُرى[3] وأنا فى مديحكم أبو النُّـــذُرْ
ومدَدُ العيشـــةِ لى من فضلكم وحظُّكم حظِّى من خَـــيرٍ وشرّْ
قد عَرِقَ[4] الزمانُ لحمى بعـــدكم ببعـــدكم وأحرق العظـــمَ وذَرّْ
ولم يدع لى غمـــزُهُ جارحـــةً إلا وفيها غمـــزُ نابٍ وظُفُـــرْ
تنبِـــذنى فى حبّكم نواظـــرٌ وألسنٌ مَنبَـــذَةَ[5] النِّضوِ[6] المُعَـــرّْ
أرجو نداهـــم ضلّةً وعطفَهـــم كما رجت "قحطانُ" وذّا فى "مُضرْ"[7]
أرجعُ عن زيارتى فى يُسرهـــم الى محلٍّ عامرٍ من العُســـرْ[8]
فافتقِـــدوا شِـــلْوًا[9] لكم بقاؤه ومنكُمُ إن فاتَ أو مرَّ يمُـــرّْ
لســـانكم ، وكلُّ من يُنطِقُكم[10] سواه معقولُ اللســـان أو مُجَـــرّْ[11]
قـــد بلَغَ المفصِـــلَ منى جازرى فالله فىّ أن يحُـــزَّ ما جَـــزَرْ

---

(١) وردت بالأصل هكذا "بالهم" . (٢) العيافة : التفاؤل بالطير . (٣) نذر جمع نذير . (٤) عرق : نهش بأسنانه . (٥) النضو : المهزول من الإبل . (٦) المعر : الذى أصابه العُرُّ وهو الجرب . (٧) يشير الى ما بين القبيلتين من العداء . (٨) العسر بضمتين : الضيق . (٩) الشلو : العضو . (١٠) المعقول : المشدود المربوط بالعقال . (١١) مُجَرّ : مقطوعٌ ممنوعٌ عن الكلام من قولهم : أجرَّ لسانَه : منعه الكلام ، ومنه لعمرو بن معد يكرب :

فلو أنّ قومى أنطقتنى رماحُهم ٭ نطقتُ ولكنّ الرماح أجرَّت

ومعناه أنهم لو قاتلوا وأبلوا لذكرت ذلك وفخرت به ولكنهم قطعوا لسانى بفرارهم وفى الأصل هكذا "مجر" .

لم تبق فيّ بعدكم بقيّةٌ يُرجَى لها رفدُ غدٍ ويُنتظَرْ
فاقضوا ديونَ جودكم في خَلَّتي فقد قضى شعريَ فيكم ما نَذَرْ

* * *

وقال وقد عاد شرف الدين أبو سعد الى تكريت

الليلُ فالأرضُ لليث الشرى (١) عرّس (٢) يبغي راحةً أو سرى
فتارةً مفترشا غابةً وتارةً مفترسا مُصحِرا (٣)
والظَّفَر الحلوله إن عفا عمدا وإن نَيَّبَ (٤) أو ظَفَّرا
مرَّ على هِزَّة ألبادِهِ يكبُرُ أن يؤمرَ أو يُزجَرا
يرَى من العزَّة في نفسه ما لم يكن ماحضُ نصحٍ يَرَى
أغلب (٥) لم يُخلَقْ ركوبَ المطا (٦) سهلا ولم يُقصَر لحزمِ (٧) البُرى (٨)
فما تريد اليدُ من مِقودِ يرجِعُ عنه باعُها أبترا (٩)
لله رامٍ سهمُه رأيُهُ اذا رأى شاكلةً (١٠) فكرَّا
يطيع من عزمته مُقدِما ما غلّس (١١) النهضةَ أو بكّرا (١٢)
تنصره الوثبةُ من أن يُرَى مستصرِخ الخُلسةِ مستنصرا
لا تجذُبُ (١٣) الأوطان منه ولا يخدعه للضيم طيبُ الكرى
يأنسُ بالنعمةِ ما ساندت جنبا منيعا وحمًى أعسرا

(١٨٥)

(١) الشرى : اسم مأسدة بجانب الفرات . (٢) عرّس : نزل في آخر الليل يطلب الاستراحة .
(٣) مصحرا : بارزا للصحراء . (٤) نيّب : غرز أنيابه ، وفي الأصل "يبب" ، وظفر : أشب أظفاره . (٥) الأغلب : الأسد . (٦) المطا : الظهر . (٧) في الأصل "حزم" .
(٨) البرى : جمع بُرَة وهي حلقة تجعل في أنف البعير يربط فيها الزمام . (٩) الأبتر : المقطوع .
(١٠) الشاكلة : الخاصرة ، يقال : أصاب شاكلة الرمية أي خاصرتها . (١١) غلّس : دخل في الغلَس وهو الظلمة . (١٢) بكر : دخل في البُكرة وهي الغدوة . (١٣) في الأصل "تجدب" .

فإن مشت فى جوّها ذلةٌ ... رابك مـذعورا ومسـتنفرا

لِـيمَ عـلى غَشْـمتِه فاتكٌ ... هلاًّ ارتأى فيها وهلاًّ امترى

وقيـل لو عُلِّلَ مسـتأمنا ... والداءُ إن موطِلَ يـوماً سَرَى

وكم جَنَى الرِّيثُ(١) عـلى حازمٍ ... فـودّ لو قـدَّمَ ما أخَّـرا

يا فارسَ الغـرّاء(٢) يرمِى بهـا ... سهلَ العِنانِ الجانبَ الأوعَرا ،

يـردُّ من غُرَّتها(٣) مُعتِما ... عـلى الدآدى(٤) غَلَسـا مقمرا ،

يُنصّ(٥) من أرساغها والمطـا ... إما جناحا طارَ أو مَنسِـرا(٦) ،

قل "لعميدالدولة" : أفلح بها ... قد سـلَّم الخصمُ وزال المِرَا(٧)

فانظر الى الأعقاب من صدرها ... لا بد للعـتم أن يُفجـرا(٨)

ركبتَها بـزلاءَ(٩) مخطومـةً ... تحملُ منك الأسَـدَ القَسْورا(١٠)

ترمِى بدار الذلّ من خلفها ... ظهرا وتبـغِى فى العلا مظهرا

ناجيـةً(١١) تأخذ من حظّها ... مقبِـلةً ما تركَتْ مدْبِرا

حتى استقلَّتْ بك بجبوحـةً ... تشـرُفُ بالبـادية الحُضَّرا

محيّة الأرجاء إن هُيِّجت ... زعزعتِ الأبيضَ والأسمـرا

تُذكِرُك المجدَ بوفد الجـدا ... وسـامرَ الليـل ونارَ القِـرى

وغلمـةً حولك من "عامرٍ" ... شرَطَك مـدعوًّا ومسـتنصَرا

---

(١) الريث : التمهل والإبطاء . (٢) الغراء : ذات الغرة . (٣) الدآدئ جمع دأداء وهى الليلة الشـديدة الظلمة . (٤) ينصّ : يستحثّ . (٥) أرساغ جمع رُسغ وهو الموضع المستدقّ بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل ، ومفصل ما بين الساعد والكفّ والساق والقدم . (٦) المنسر : منقار الطير الجارح . (٧) المراء : الاعتراض فى الجدل . (٨) يفجر : يدخل فى الفجر . (٩) البزلاء : الناقة العظيمة . (١٠) القسور : الأسد القوى . (١١) الناجية : الناقة الشديدة .

تحسَبها إن غضبتْ جنّةً ... وجانبَ "الزاب"[1] بها "عبقرا"[2]
تأمر في ذاك وتنهى بما ... أنفتَ أن يُنهَى وأن يؤمَرا
عدوُّك الآملُ ما لا يرى ... أصبح من بعدك مستوزَرا
دعوة داعٍ لم يجد حظُّهُ ... أشقى له منك ولا أخسرا
قد أنكرتْ بَعدك خُطّابَها ... فما ترى كُفئا ولا مُهرا
وآبتذلتْ حتى غدا ظهرُها ... أجلبَ[3] مما ركضتْ أدبرا[4]
بين بنى العاهات منبوذةً ... يزاحم الأعمى بها الأعورا
وآستامها المفلسُ لما غدتْ ... تباعُ بالفَلْس فلا تشترَى
كانت بكم مغنًى[5] هوًى آهلا ... فاليومَ أضحت طللا مقفرا
وساقَها سالُبها ظلَّكم ... للذئب يَرعَى سَرحها[6] مُصحِرا[7]
داميةً من ندمٍ كفُّه ... يأكلها الإبهامَ والخِنصَرا
ينشُدُ منكم وطرا فاته ... ويسأل الرُّكبانَ مستخبِرا
كعاشقٍ فارقَ أحبابَهُ ... طوعاً وسامَ الليلَ طيفَ الكرى
أين له أين بكم نادما ... معتذرا إلا بأن يُعذَرا!
ما أخلقَ العاثرَ يمشى به ... كسيرهُ أن يبتغى مَجْبرا[8]
لا يعرف المعروفَ من أمره ... مُعمَّرٌ حتى يرى المنكَرا
يا نعمةً ما صاحبتْ صاحبًا ... وعُقلَةُ النعمة أن تُشكَرا
غدًا يوافيك بأيمانِه ... جاحدُك الغامطُ مستبصرا

(١) الزاب : نهر بأرض الموصل . (٢) عبقر : اسم بلدة يقال إن الجن يسكنونها .
(٣) الأجلب : ما علته الجُلْبة وهى القشرة تعلو الجرح . (٤) الأدبر : ما أصابته الدُّبرة وهى القرحة تحدث من الرحل ونحوه . (٥) فى الأصل "معنى" . (٦) السرح : المال السائم .
(٧) مصحرا : بارزا للصحراء . (٨) فى الأصل "مخبرا" .

بغـدرةٍ يرغبُ فى بسـطها وزَلَّةٍ يسأل أن تُغـفرا
فـثَمَّ فاردد قادرا رأيَك الـ ـشـاردَ وآبرُدْ صـدرَك الموغرا (١)
وآجرِ من الصـفح على عادةٍ مثلُك مستولٍ عليها جرى
وآلتحم الجُرح فقـد طُوِّحَتْ جَنْباه (٢) بالمِسـبار وآستنهرا (٣)
بادرْ بها الفوتَ فما شِلْوها أوَل مَيْتٍ بك قـد أُنشِـرا
وآركب مطاها (٤) فقد آستخضعتْ ذلًّا لأنْ تُلْجَم أو تُثفَرا (٥)
وروِّض البُعـدُ وتأديبُـه لك الرقابَ الذلَّ والأظهـرا
غَـرسٌ فـتًى أنت أنشأتَهُ فـلا تدَعْ غـيرَك مستثمرا (٦)
ما أسَّسَ "القـادرُ" إلا بنَى عُلْوا ولا يخـلُقُ إلا فَـرى (٧)
وآسئل مواعيـدِىَ فى مثلها هل أخلفت أو كذَّبتْ مَزجرَا
لو نزل الوحىُ عـلى شـاعرٍ قمتُ بشيرا فيكُمُ منـذرا
أو آدعى المعجزَ من ليس بالـ ـنبىّ كنتُ المعجـزَ المبهرا
كم آيةٍ لى لـو تحفَّظـتُمُ بهـا وفألٍ بعـلاكم جرى
يشكر مقروءا ويشكو اذا صح الذى حـدّث أو خبّرا

(١) الموغر: الملتهب حقدا. (٢) وردت هكذا فى الأصل. (٣) استنهر: آتسع وجرى، وفى الأصل "اشتهر". (٤) المطا: الظهر. (٥) تُثفَر: عُمِلَ لها ثَفَرٌ وهو السير الذى فى مؤخر السرج، وفى الأصل هكذا "نفرا". (٦) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا:

عرس فتى أنت إنسانه * فلا تدع عرك مستنمرا

(٧) يخلق: من قولهم: خلق الأديم يخلقه خلقا بمعنى قدره لما يريده قبل القطع وقاسه ليقطع منه؛ وفرى: قطع وصنع بعد التقدير، قال زهير:

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ومعناه: أنك اذا قدرت أمرا قطعتـه وأمضيته وغيرك يقدّر ما لا يقطعه لأنه غير ماضى العزم؛ وقال الحجاج: ما خلقت إلا فريت، وهو بالمعنى المتقدّم.

لا حقَّ مَن قـدَّم حقّا به ... يُعطَى ولا فـوزةُ ما يُشترَى
وجُلّ حظى عندكم فيـه ما ... أجـودَ ما قال وما أشـعرا !
تناسـيا فى حيث تقضى العلا ... وتوجبُ القدرةُ أن أُذكَرا
كنتم ربيعى وثرى أرضكم (١) ... يلقى الحيا ظمآنَ مستبشرا
فما لربـعى دارسا هامـدا ... مذ صرتم الأنواءَ والأبحـرا ؟ !
اليكم الصرخةُ، لا منكُمُ! ... ما أخونَ الحـظَّ وما أجورا
قـد أكلتنى بعـدكم فـترةٌ ... ما أكلت إلا فتًى مُقْـترا
وٱستعذبتْ لحمى وإن لم تجـد ... إلا مُمِـرًّا (٢) طعمه مُقِـرا (٣)
كنتُ على البِلّةِ من مائكم ... منتفضا من ورقى مُصـفِرا (٤)
فكيف حالى ونوى داركم ... قد منع القطرةَ أن تقطُرا
من لى بصون العمـر فى ظلّه ... سِـنِىَّ أحصيهنَّ (٥) والأشهرا
ومن لكم غيرى طباق المـلا ... ما راضه فيكم وما سَـيَّرا
حتى لقـد سُمِّى بكم مسرفا ... حيث يُسـمَّى مادحا مكثرا
أقسمتُ إن فاتكم الدهر بى ... لَيندمَنْ بَعـدِىَ مَنْ قَصَّرا
يا عُروتى الوثقَى أعـدْ نظرةً ... فى خَـلّةٍ منبوذة بالعـرا
تلافَ بالعاجل ميسـورَها ... وصُبَّ (٦) ولو مؤتشِـلا (٧) مُنزِرا (٨)
وٱضمن على جودك من أجل ما ... قـد أنعم الوادى وعمّ الثرى (٩)

(١) فى الأصل "وترى". (٢) الممر : المدى به مرارة. (٣) المقر : الخامص أو المر.
(٤) المصفر : المقشر. (٥) هذه الكلمة فى الأصل هكذا "أحبصهن". (٦) صب : فعل أمر من صاب المطر بمعنى انصبّ ونزل. (٧) مؤتشلا : جائدا بالوشل وهو القليل من الماء.
(٨) منزرا : مقللا. (٩) الثرى : الحيّ.

ولا تدعـــنى ودعاء الصّبـا ... فى معشرٍ أشـــقَ[1] بهم مُعسرا
نَبِّـــهْ على أنّ آختصاصى بكم ... يُخرِجُكم بالرّغم منى يَـرَا[2]
وآطلع طلوعَ البـــدر ما ضرّه ... ســـرارُه ليـــلةَ ما أقمـــرا
وآستخدم النيروزَ وآســـعد به ... مستعملا فى العـــزّ مستعمرا
يومٌ من الأيام لكن رأى ... له عليها الفضـــلَ والمفخَـرا
كأنه من نخـــوة قُـــلِّد الـ ... ـسويدَ عن أمرك أو أُمِّرا
ينسب "كسرى" فإن آختاركم ... دينا فقـــد وافقكم عنصُـــرا
يُقسم — والصدق قمينٌ به — ... بمـا حبا الأرضَ وما نورا :
أنك تَبـــقَ مالكا خالدا ... ما ردّ منـــه الدهرُ أو كرّرا

* * *

وكتب الى الوزير شرف الدين أبى سـعد وهو مقيم بالبَنْدَنِيجِين[3] يستوحش له ويصف آختلال حاله بفراقه

لو كنتَ تبلوغداة "السفح" أخبارى ... علمتَ أن ليس ما عَـــيَّرْتَ[4] بالعـارِ
شوقٌ الى الوطن المحبوبِ جاذبَ أضـ ... ـلاعى ودمعٌ جرى من فُرقة الجارِ
ووقفـــةٌ لم أكن فيهـا بأوّل من ... بان الخليـــطُ فداوى الوجـــدَ بالدارِ
ولمتَ فى البـرق زفْراتى فـــلو علمتْ[5] ... عيناكَ من أين ذاك البـارقُ السارى
طارتْ شَرارتُه من جوّ "كاظمـــةٍ" ... تحت الدجى بلُبـاناتى وأوطارى

---

(١) فى الأصل "أسق" . (٢) هكذا فى الأصل رسما وشكلا ولم نفهم معناه ، ولعل صوابه

نبـــه على أن آختصاصى بكم ... يخرجهـــم بالرغم مـــنى بَرَا

وبَرَاه بمعنى بريئين حذفت همزتها للضرورة ، ويكون معنى البيت : نبه على أن آختصاصى بكم يخرج المعشر الذين أشق بهم برآء بالرغم منى . (٣) البندنيجين : لفظه لفظ التثنية بلدة مشهورة فى طرف النهروان .
(٤) فى الأصل "عيرت العار" . (٥) فى الأصل "الرق" .

من كلِّ مبتسمٍ عن مثـــل وَمْضـــتِهِ ... وذائبٍ ريقُـــه فى مزنـــه الجارى
وخافقٍ بفـــؤادى فى حيًّا [هَطِـــلٍ](١) ... خفـــوقَ شَعشاعِه من غير إضرارِ
وطائشٍ من لحاظٍ يومَ "ذى سـلَمٍ"(٢) ... ملكنَ وِردى ولم يملكن إصـــدارى
رميتُ أحسَبُ أنّى فى "بنى جُشَم" ... فَرُدَّ سهمى ورامى مهجتى "قارى"(٣)
هـــل بالديار على لومى ومعـــذرتى ... عَدوى(٤) تقـامُ على وجـدى وتَذكارى
أم أنت تعـــذُلُ فيما لا تزيد بـــه ... إلا مـــداواةَ حَـــرّ النـار بالنارِ (١٨٧)
تنكَّرتْ أن رأت(٥) شيبى وقـــد حسبت ... أيّام عمرى فصـــدّت "أمَّ عمّـارِ"
أما ترينى ذَوَى غصـــنى وناحلَـــنى ... ظلٌّ وراب الهوى صبرى وإقصارى
وقُوربت(٦) خُطُـــواتى من هُنا وهُنا ... فبُـــدِّلتْ أذرعٌ منها بأشـــبارِ
مطرَّدا تجتفيـــنى العينُ(٧)، راكدةً ... عنـــد الملوك رياحى بعـــدَ إعصارِ
فما خضعتُ ولكن خاننى زمـــنى ... ولا ذللتُ ولكن غاب أنصـارى
وقـــد أكون وما تُقضَى بُلَهنِيـــةً(٨) ... إلا بمتعـــة آصـالى وأسحارى
موسَّـــعا لى رواقُ الأنسِ، قالصـــةً ... عـــنّى ذلاذلُ(٩) أبـــوابٍ وأســـتارِ
مع الوسائد أو فـــوق المضاجع إن ... مُلّتْ مجالسُ ألّافٍ وسُمّارِ
أشرى المـــوداتِ والأموالَ مقـــترحا ... منها الصفايا(١٠) بأخلاقى وأشـــعارى
أيامَ لى من بنى "عبـــد الرحيم" حمًى ... راعينَ حقَّ العـــلا دانينَ حُضّارِ
مرفرفين على حـــقّ بحفظهـــمُ ... رامين نحـــوى بأسماعٍ وأبصارِ

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٢) فى الأصل "لحاظى" . (٣) قارى : نسبة الى القارة وهى قبيلة مشهورة بالرماية ، وفى المثل "أنصف القارة من راماها" . (٤) العدوى : النصرة والمعونة . (٥) فى الأصل "دأب" . (٦) فى الأصل وردت هكذا "قورنت" . (٧) فى الأصل هكذا "نفسى" . (٨) البلهنية : رغد العيش . (٩) الذلاذل : ما تدلى من حواشى الثوب . (١٠) الصفايا جمع صفىّ وهى ما يختار من الغنيمة .

فاليـومَ تنبِـذنى الأبوابُ مطَّـرَحا ... نبـذَ المُعَرَّةِ تحتَ الزِّفتِ والقـارِ
يُمَلُّ مـدحى ولا يُصـغَى لمعتبتى ... ولا يـراقَبُ تخـويفى وإنـذارى
يُنقِّصُ الفضـلُ ميزاتى (١) ويُصـغرنى ... ما كان فيـه اذا أُنصفتُ إكبارى
هـذا وهم بعـدُ يرعوْنى وإن شحَطوا ... ويلحظونى على بُعـدٍ من الدارِ
عَلِقتُ باسمِهِـمُ فاسـتبقنى ويفى ... أنى علقت بحبـل غيرِ خـوّارِ (٢)
بالأطهـرين ثرًى والأطيبين ندًى ... والأسمحين عـلى عُسـرٍ (٣) وإقتـارِ (٥)
والناصرين لمـا قالوا بمـا فعـلوا ... والفاتلين عـلى شَزْرٍ (٤) وإمرارِ
لا يعـدَمُ الجارُ فيهـم عِزَّ أُسرتِهِ ... ولا يكون قـراهم نجـلةَ الجارِ
ولا يردّون فى صـدر الحقـوق اذا ... توجَّهتْ بتساويف وأعـذارِ
يأوى الطـريدُ اليهـم غيرَ مهتضَمٍ ... ويرحل الضيفُ عنهـم غيرَ مختـارِ
سريتُ منهـم بشُهبٍ فى دُجَى أمـلى ... تضيءُ لى وٱهتـدَى ليـلى بأقمـارِ
صحبتهـم والصِّبا رَيعانُ (٦) فى ورق ... [فـا] نبوْا (٧) بِى حتّى حان إصفارى
مقـرَّبا يُسحِبونى ذيلَ أنعمِهـم ... حـتى ترى النـاسَ يقتافون آثارى
حـتى لو آنَى أدعى باسم بعضِهـمُ ... لم ينبُ جهرى عن الداعى وإسرارى
حَموا شـبولا حمى سَرحى وعشتُ الى ... أن ذبَّ عنّى منهـم ضـيغمٌ ضارى (٨)
قضيت فى "شرف الدين" الذى ضمنتْ ... لِىَ المـنى ووقى (٩) زجرى وأطيـارى
وحَرَّمتْ يـدُه لحمى على زمـنى ... وكنتُ منـه لأنيابٍ وأظفـارِ

---

(١) ميزاتى جمع ميزة، وفى الأصل "ميزانى" . (٢) فى الأصل "عبر" . (٣) فى الأصل "إيثار" . (٤) و (٥) الشزر : الفتل من اليسار وهو أشد فتل الحبل . والإمرار : الفتل الشديد . (٦) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٧) نبوا : تجافوا، وفى الأصل "يبونى" . (٨) فى الأصل "ووفى" . (٩) فى الأصل "اطيارى" .

أغرُّ قامت بقـولى فيـه معجزتى ... فى الفضل وآنكشفت بالصدق أخبارى
وسار بآسمىَ ما أرسلتُـه مثـلا ... فى الأرض من كلّ بيتٍ فيـه سيّارِ
مبـارَكٌ تطـرُد اللأواءَ[1] رؤيتُـهُ ... طردَ الظـلام بزَند البُلجَـةِ الوارى
وزيرُ مُلْكٍ خلَتْ فى عـدل سـيرته ... صحيفـةُ المُلكِ من إثمٍ وأوزارِ
يزيِّن الحـقَّ فى عينيه منبتُـهُ[2] ... عـلى نوازعِ عرقٍ فيـه نعّـارِ[3]
شبَّت به الدولةُ الشمطاءُ وآرتجعت ... زمانَها بين إعراس وإعـذارِ
وأقلع الدهرُ عمّا كان يثلِمُـهُ ... من عرشها بعـد تصميم وإصـرار
طـورا هشـيما تلظّى ثم يرفُـلُ من ... تدبـيرهِ بين جنّاتٍ وأنهـارِ
يذُبُّ عنها وقـد ريعت جوانبُها ... برأيه المكتسى أو سـيفه العارى
تهفُـو مرارا به غمطا لنعمتـهِ ... ثم تعـودُ بحلوِ الصـفح غفّـارِ
فكم تموتُ ويُحييها برجعتـه ... وكم تَعُـقُّ أباها الخالقَ البارى
شِيمـةُ لؤمٍ لها تُنسى اذا قُـرِنتْ ... منـه بشيمةِ حرٍّ آبن أحـرارِ
من طينـةِ المُلك ملمـوما على كرمٍ ... لم تُنتحَتْ صخـرةٌ منـه بمنقـارِ
يهتزُّ فخـرا بعِـرضٍ لا يُـلِمّ به ... وَصْمُ القَنا وأديمٍ غـيرِ عُـوّارِ[4]
بين وزيرٍ تغُصُّ الصـدرَ جلسـتُه ... يختال أو مَلِكٍ فى الفـرس جبّـارِ
تقسّـموا الأرضَ يفتضُّون عُـذرتَها ... بعـدلهم بين عُمّـال وعُمّـارِ
ورثتهم سـودَدا وآزددت بينهُـمُ ... زيادةَ السـيف بين الماءِ والنـارِ
إن تخلُ من وجهك "الزوراء" بكرَهةً ... فإنّ صـدَّك عنها صـدُّ مختارِ
أو يُنضَ بعـدَك عنها حسنُها فلها ... بقـربِ غـيرِك أثوابٌ من العـارِ

(١) اللأواء : الشدة . (٢) فى الأصل "منيته" . (٣) الإعذار : طعام يتخذ لسرور حادث . وفى الأصل "أعذار" . (٤) العوار : الضعيف .

أمّا الديارُ فقفرٌ والقطينُ بها (١) يـودُّ من قـلقٍ لو أنـه سارِى
قد خضخض السَّجلُ (٢) جالَيْها (٣) فما يجد الـ ـسّـ ـاقى سـوى حمأةٍ (٤) [ما] (٥) بين أحجارِ
وطار بالرزق عنها أجـدلٌ (٦) عِلقتْ منـه المنى بحـديدِ الظُّفر عقّـارِ
قامت بأذنابها أقدامُهـم وهـوت رءوسُها فى هـوى مستهدمٍ هارِى
فالأرضُ مردودةٌ بالقَلس لو عُرِضَتْ والمُلكُ يغـلو لمبتاعٍ بدينارِ
وصاحبُ الأرض ممـلوكٌ يصرِّفُـهُ مجمجـعٌ (٧) بين نَهّـاءٍ وأمّارِ (١٠)
حِلسُ العرينـةِ (٨) خافٍ تحت لِبـدتِهِ (٩) ويكسَبُ الليثُ معْ سـعْىٍ وإصحـارِ
مـدبَّرٌ لعبت أيـدٍ بدولتـه مشـلولةٌ بين إقبـالٍ وإدبارِ
يدعوك معـترفا بالحقّ فيـك وما آسـ ـتدناك مثـلُ آعترافٍ بعـدَ إنكارِ
يا جارَهُ أمسِ ! قـد لانت عريكتُهُ فآعطف له وآرعَ فيـه حُرمةَ الجـارِ
وآنهض لها نهضـةَ الشارى (١١) ببطشته الـ ـكبرى وحاشا لك التمثيـل بالشارى
قـد أعقم الرأىُ فاسـتدرك بقيَّتَهـا منـكَ برأيٍ وَلودِ البطن مِذكارِ
فـلم تزل وارِيًا فى كلِّ مشكلةٍ بقَـدحِها جاريا فى كلّ مِضمارِ
وآملِلْ بجـودك أهـواءً موزَّعةً حـتى تفىءَ لإذعانٍ وإقـرارِ
وآسعَ لمنتظـرٍ آياتِ عَـودِك لم يغنم سوى الصـبر من غَمٍّ وإنظـارِ
لا يشتكِك ـ وإن طال الجفـاءُ به ـ إلا اليـك بإخفـاءٍ وإظهارِ

---

(١) يقال : خضخض الأرض : قلبها وأثارها . (٢) السجل : الدلو . (٣) الجال : ناحية البئر ، وفى الأصل "حاليها" . (٤) الحمأة : الطينة . (٥) هذه الكلمة ليست بالأصل .
(٦) الأجدل : الصقر . (٧) المجمجع : مبرّك الإبل ومنيخها . (٨) حلس : يقال هو حلس بيته اذا لزمه ولم يبرحه . (٩) العرينة : بيت الأسد . (١٠) الإصحار : البروز للصحراء . (١١) الشارى : واحد الشراة وهم الخوارج .

لم يبــقَ إلا الذِّماء[1] منــه وأحْسَبهُ ... لليــوم أو لغــدٍ ميتا[2] بلا ثارِ
لولا عــوائد من نعماك تنشُــانى ... وإن أتت فى قبيلِ الطارق الطارى
تزورنى والنــوى بيــنى وبينكُمُ ... أهــلا بها من حفىٍّ بى وزوَّارِ
فجــددوها مراعاةً فــبى ظمأٌ ... لو كان فى البحــر لم يُخْــلَقْ بتيّــارِ
لُمُّوا كسورى فمــا فى الأرض منقبــةٌ ... أعــلى بصاحبها من جــبر أكسارى
اليَــدُ منكم فلا تُلقــوا أشاجعها[3] ... لفاصمٍ من يــدِ العلياء بشّارِ[4]
وإن أَغِبْ عنكُمُ فالشــعر يَذْكُرُنى ... وحسبُكم بالقــوافى ربَّ إذكارِ
فاستعجلها يا "عميد الدولتين" فقــد ... وافى بهــا الشــوقُ من عُونٍ[5] وأبكارِ
عرائسا أنت مولَى النــاس خاطبُهــا ... وبعلُها، وأبوها عفــوُ أفكارى
وانظر اليهــا وما قــد أُعطيَتْ شرَفا ... مردَّدًا بين أحمــاءٍ وأصهارِ
والمهرجان وعيــد الفطــر قد وَلِيَــا ... زفافَهــا بين صَــوَّاغٍ وعطَّــارِ
يومان للفُــرس أو للعُــرب بينهما ... حظُّ السعادة مقســومٌ بمقــدارِ
هــذا بتاج[6] أبيــه ناصبٌ وعلى ... هــذا اختيالُ فتًى بالســيف خطَّارِ
تصاحَبا صحبــةَ الخِلَّين واتفقــا ... سَلْمًا ولم يذكرا أضغانَ "ذى قارِ"[7]
فالبسْهما بين عيشٍ ناعمٍ وتُــقًى ... وبين صــومٍ تزكّيه وإفطــارِ

---

(١) الذماء: بقية النفس . (٢) فى الأصل "منا" . (٣) الأشاجع جمع إشجَع وأشجَع وهو أصل الإصبع الذى يتصل بعصب ظاهر الكف ، و يقال أيضا : إن الأشاجع عروق ظاهر الكف .
(٤) البشار : الذى يقشر البشرة التى ينبت عليها الشعر . (٥) العون جمع عوان وهى النَّصَف فى سنّها أو المسنة و يقابلها البكر وهى العذراء الصغيرة . (٦) فى الأصل "تتاج" وهو تحريف ، والعاصب : المعتم بالتاج . (٧) ذو قار : من أيام الحروب التى وقعت بين الفرس والعرب ، وكانت وقعة ذى قار وقد بُعث النبى صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها ، فقال : « اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نُصروا » .

ما طاف بالبيت ماحٍ زَلّةٍ وسـعى شُعْثٌ أمامَ "الصفا"[1] أنضاءُ[2] أسفارِ
تنصّـبوا لهجير الشمس وآفترشـوا ليـلَ السُّرَى بين أقتـابٍ وأكوارِ
نُصُّـوا[3] الركابَ بمصرٍ واحـدٍ وهُمُ شـتّى أباديدُ[4] آفاقٍ وأمصارِ
حـتى أهلُّوا فلبّـوا حاسرين الى الـ ـدّ اعى مباذلَ[5] أشـعارٍ[6] وأبشارِ[7]
وما جرى الدمُ فى الوادى وقـد نحروا وسُربِلَ البيتُ من حُجْبٍ وأستارِ
مخـلّد الملك تفضى كلُّ شارقةٍ الى وفاقٍ لما تهـوَى وإيثارِ

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الوفاء كامل بن مهدىّ ، وقد سأله إجراءه على العادة فى رسم الشعر فى المهرجان

لمن الظُّعْنُ تهتـدى وتجـورُ؟ سائقٌ منجـدٌ وشوقٌ يغـيرُ!
تُتبـعُ الخطوَ قاهرا بين أيديـ ـها ومن خلفها هوًى مقهـورُ
وهى فى طاعـةِ التلفُّتِ حيًّا تٌ وفى طاعة الحبالِ سـطورُ
ووراءَ الحُـدوجِ[8] فى البيـد أروا حُ المقيمين فى الديارِ تسـيرُ
رفعوها وهى الخـدورُ وراحـوا وهى مما تحوى القلوبَ صـدورُ[9] (١٨٩)
يا عقيـدى على الغـرام بليـل قم وفيًّا ـ وغـيرك المأمورُ ـ
وأَعِرْنى ـ إن كان ممّا يُعار ـ الـ ـقلبَ أو كنتَ أنت ممّن يُعيرُ

(١) الشعث : مغبرو الرءوس ويريد بهم الحجاج ، والصفا : من شعائر الحج . (٢) أنضاء جمع نضو وهو المهزول . (٣) نصوا : استحثوا . (٤) أباديد : متفرقون . (٥) المباذل : الثياب التى تبتذل . (٦) أشعار جمع شَعَر . (٧) أبشار جمع بشرة . (٨) حدوج جمع حدج وهو مركب للنساء يشبه الهودج . (٩) فى الأصل "وفى" .

لِيَ وِتْرٌ[1] بين الركاب وأَوْلَى ... من تولّيتَ نصرَه المـوتورُ
حكَمتْ فى دمى فتـاةٌ من الحـ ... ـىّ مباحٌ لها الدمُ المحظـورُ
غادةٌ بين ظبيـةِ البانِ والبـا ... نِ آهـتزازٌ فى خَلْقِها[2] وفتـورُ
بهما تَخلِسُ العـقولَ وترْعَى ... فى حِمَى كلِّ مهجةٍ وتُغـيرُ
فـتى آستعصمتْ فعاقلتاها[3] ... رَشأٌ أحـورٌ وغصنٌ نضـيرُ
مَن عـذيرى منها وأين من القا ... تل يَحـمِى ولا يُقادُ عـذيرُ
قامرتنى بطَرفها يـومَ ذى البا ... ن وراحت ولبِّىَ المقمـورُ
دونها من إبائها شيمةُ الغـد ... ر ومن قومها القنا المشـجورُ
قال عنها الواشون حقًّا فعِفْنا ... وقنِعنا بالطيف والطيـفُ زورُ
ومن النُّزْح[4] صادقٌ وهو مذمـو ... م لدينا وكاذبٌ مشكورُ
زارنا "بالعـراق" زَورةَ ذى الجَنـ ... ـبِ "وماوَانُ" دونه "بجَفِـيرُ"[5]
يركب الليـل قعدةً والليالى ... صَهَواتٌ فُرسانهنّ البـدورُ
يقطعُ التيـهَ[6] والجمالُ دليـل ... بين عينيـه والظلامُ خفـيرُ
فاذا مَضْجَعى القضيضُ[7] مهيـدٌ[8] ... واذا ليـلىَ الطويلُ قصـيرُ
ما "لظمياء" تنطـوى شِرّةُ[9] العمـ ... ـرِ فيـلَى وحسنها منشـورُ؟
وعظَ الشَّيبُ والحـوادثُ فيها ... وفـؤادى ذاك المصرُّ الجسـورُ
ومشـيرٍ ولّيتُهُ صـفحةَ الإعـ ... ـراض عنها والحبُّ لا يستشيرُ

---

(١) الوتر : الثأر . (٢) فى الأصـل "خلقها" . (٣) العاقلة : دافع الدية .
(٤) فى الأصل "البرح" . (٥) ماوان وجفير : اسما موضعين أوطانا قرية : فى أرض اليمامة باليمن ، وثانيهما لم يبينه يا قوت . (٦) التيـه : المفازة يتاه فيها . (٧) القضيض : الحشن .
(٨) مهيد : ممهد . (٩) الشرّة : الحدة والنشاط .

نكرَ البيضَ والصـــبابةَ بالبيـ ـضِ وأين الصِّبا وأين النكيرُ

إن ترانى عـــلى يديك خفيفا (١) سلسَ المقود (٢) سلسَ السهم مِقـــودى والقتـــيرُ

لَيِّنًا (٣) تحت غمـــزة الحائلِ (٤) الفا طرِ (٥) تتماعُ (٦) طينـــتى وتخـــورُ

فبما أكرهُ الحفيـــظَ ولا يَط ـعم نوما على انتباهى الغيـــورُ

غيرعِرِدى، الملوى، وغيرعصاى، الـ ـملتحى (٧) بالمـــلامةِ المقشـــورُ

حيث حُكمِى فصلُ القضاء على الدهـ ـر وأمرى عـــلى الحسان أمـــيرُ

فخذ الآن كيف شئتَ بحبـــلى قد كفاك الجـــذابَ أنى أســـيرُ

يا بنى الدهـــر كم يَصَمّ عن الزجـ ـرِ وكم يكمهُ السـميعُ البصـــيرُ

سَـــقَمٌ ماطلٌ أما آن أن يفـ ـرق شيئا عـــلى الرُّقَى المســـحورُ؟

ملكَ الجـــورُ أمرَكم فالفـــتى الغـ ـرورُ بالعيش فيكُمُ معـــذورُ

فتساقيتم الفـــراقَ بكأسٍ هى فيكم عـــلى السماء تـــدورُ

كلّ يومٍ حـــقٌّ مضاعٌ عليـــكم ووفاءٌ لديـــكُمُ مكفـــورُ

يفـــرحُ المنتشى بهـا اليـــومَ أو يذ ـكى غـــدا ما يكابد المخمـــورُ

وثناءٌ تزكو تجارةُ أعـــرا ضِكُمُ منـــه وهو فيكم يبـــورُ

وجناحٌ اذا المـــنى ريَّشـــتْهُ عاد فيـــكم باليأس وهـــو كسيرُ

وأخٌ وجهـــه الحيا البارد العـــذ بُ ومكنونه الأُجاجُ (٨) المـــريرُ

عُـــدَّتى منـــه رَنَّةٌ وعـــديدى يـــومَ ألقى العـــدا به مكثورُ

---

(١) المقود : ما يقاد به من حبل ونحوه . (٢) القتير : الشيب أو هو أول ما يظهر منه .

(٣) فى الأصل "إلينا" . (٤) الحائل : المتغير اللون ، ويريد به الشيب . (٥) الفاطر : يقال : فطر الأجير الطين فهو فاطر أى طَيَّن به قبـــل أن يختمر ويريد بذلك أنه هرم قبـــل أوانه .

(٦) تتماع : تذوب . (٧) فى الأصل "المقسور" . (٨) الأجاج : الماء الملح المتغير .

ومتى هُزَّ للحقوقِ نبا منـ ـهُ صديقٌ يكورُ[1] ثمَّ يحورُ[2]
وٱفترقنا وقد سلا الغادرُ الها جرُ منّا وما سلا المهجورُ
لو تأسّى "بكاملٍ" كلُّ من يسـ ـأل نَصْفًا[3] لم تلقَ خَلْقا يحورُ
تلك طُرْقٌ على المسالك عميا ءُ وظهرٌ على العراك عسيرُ
وعناءٌ على النواظر أن يُطـ ـلَبَ للشمس فى السماء نظيرُ[4]
ترك الناسَ خلفَه سابق النا سِ وقافت[5] به الصَّبا والدَّبورُ[6]
وسما للعلا فأشرقَ من أشـ ـرفِ أفلاكها الهلالُ المنيرُ
طالبًا قدرَ نفسه يكفُل السعـ ـىَ له النجاحُ والمقدورُ
همّةٌ قارنت قرينا من السعـ ـد فسارت فى الأفق حيث يسيرُ
وعطايا رأت معينا من الشكـ ـر فدامت، ما كلُّ مُعطًى شَكورُ
ولد الدهرُ منك — والدهرُ هِمٌّ[7] — ما تمنّت على الشباب الدهورُ ١٩٠
وٱستقلّت بنعمة الله جنبا كَ وكلٌّ بثقلها مبهورُ
ورأى الناسُ معجزاتك فٱستيـ ـقن من شكٍّ وٱستجاب الكَفورُ
فسماحٌ أعمَى مسحتَ بكفّيـ ـك عليه فارتدَّ وهو بصيرُ
ودفينٌ من الفضائل نادا كَ من التُّرب مَيْتُه المقبورُ
مستجيرا من الردى بك فانتـ ـشَ[8] فأعجِبْ بميّتٍ يستجيرُ
جدتَ عذبَ الندى غزيرا وجودُ الـ ـغيث ملحٌ فى سُحبِه متزورُ

---

(١) يكور: يزيد، وفى الأصل "يكرن". (٢) يحور: ينقص، وفى الأصل "يجور"؛ وفى الحديث «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» أى من النقصان بعد الزيادة.
(٣) النصف: الإنصاف. (٤) فى الأصل "يطير". (٥) قافت به: تبعته وٱقتفت أثره، وفى الأصل "قاتت". (٦) الدبور: الريح الجنوبية. (٧) الهم: الشيخ الهرم.
(٨) فٱنتاش: فأنقذ من الهلكة.

وتعـــذَّرتَ من كثيرك، والبحـ ـرُ وقـــد قلَّ رفـــدُه معـــذورُ
فى زمانٍ اذا الرجالُ سخَـــوا فيـ ـه فما فـــرطُ نَيْلهم تبـــذيرُ
جودُ من لا غدًا يَخافُ ولا اليـــو م عليـــه مســـيطِرٌ ومشـــيرُ
سائرٌ بالثنـاء وهـــو مقـــيمٌ وغـــنىٌّ بالذكر وهو فقـــيرُ
زاده بالثنـا ولوعا ووجـــدا قولُ قومٍ : هـــذا هو التـــدبيرُ
لك يومان فى النـــدى شائعٌ با دٍ ومُلْـــقًى قِرامُـــهُ[1] مســـتورُ
فعطـاءٌ وربُّـــه مشكورُ وعطـاءٌ وربُّـــه مأجـــورُ
قـــد أريقت إلا لديك المـــروءا ت وضاقت إلا عليـــك الأمورُ
وتفـــردتَ بالمحاسن فى دهـ ـرٍ بأوصافـــه تُشاهُ الدهـــورُ
ملكَ العجزُ فيـــه ناصـــيةَ الفضـ ـلِ فطالت ذُرَى الجبالِ الصخورُ
وتواصى الرجالُ باللـــؤم حتى الـ ـمجـد عارٌ والجـــودُ ذنبٌ كبيرُ
أقحطتْ أوجـــهُ البـــلادِ ومِن حو لك للخِصبِ روضـــةٌ وغـــديرُ
فإلى بابك الحـــوائجُ تحـــدو ولك العِـــيرُ فى العـــلا والنفـــيرُ
عادةٌ من ورائهـا شافعُ النفـ ـس وأصـــلٌ بفرعه منصـــورُ
واكتسابٌ أعانه شـــرفُ الميـ ـراثِ والمجـــدُ أولٌ وأخـــيرُ
ويمينًـا لَمَـنْ تمـــدُّ بأعرا قك فى الفخـــر أن يســـودَ جديرُ
دوحـــةٌ من ثمـارها أنت والمَغـ ـرَسُ منها "بَهرامُ" أو "أردشيرُ"
خير ما تربةٍ عـــلى الأرض لم يُشـ ـعَبْ على اللؤم طينُها المفطـــورُ
طاب صلصـــالُ عِيصها[2] وبريّا ها ثَرًى ماجـــدٌ وماءٌ طهـــورُ

(١) القرام : الستر الرقيق . (٢) العيص : الأصل وخير منابت الشجر .

قومُـــك الغالبون عزًّا وهم قـــو (١) مى على الأرض وهى ماءٌ يمـــورُ
ركبوا الدهرَ وهو بعـــدُ فتىٌّ (٢) جَـــذَعٌ وهـــو (٣) قارحٌ مقـــرورُ (٤)
ملكوا النـاس آمرين وما فى الـ ـناس إلا مســـتعبدٌ (٥) مأمـــورُ
كلُّ خوفٍ بهـــم أمانٌ ومهجـــو رِ خرابٍ بعـــدلهم معمـــورُ
أىّ مجـــدٍ يضـــمُّنا ونخـــارٍ يـــومَ أنسابُنا اليـــه تصـــيرُ
إن يَفُتنـا الخطيبُ والمِنـــبر المذ ـصوبُ فالتـاج حظُّنـا والسريرُ
حسْبنا أن تعـــلَّم الملكُ منّـا والسياساتُ فيـــه والتـــدبيرُ
وكفيناه أمرَ "رســـتُمَ" فى الحر ـب اذا عُـــدِّد الرجالُ الذُّكورُ
والذى قد سَقَى من الدمِ "ذو الأكـ (٦) ـاف" حتى روَّى الثرى "سابورُ"
ولدوا منـــك كوكبا ضـــوءُه السا ـرى دليـــلٌ عليهـــمُ ونذيرُ
واستسلُّوا لفخرهم من لســـانى صارما غَربُهُ الكلامُ الغـــزيرُ
تُحطَمُ الذُّبَّلُ الصِّعـــادُ (٧) ويَسرى صـــدأ السيف (٨) وهو ماضٍ طريرُ
فلهـــذا اذا مدحتُـــك فى عِـ ـزّ (٩) ى أسَـــدِّى وفى عـــلائى أُنيرُ (١٠)
منـــك أن تُحسنَ الصَّـــنيعَ (١١) وأن تر عَى ومـــنّى التنميقُ والتحبـــيرُ
وكلانا بحظِّـــه من أخيـــه جَذِلٌ يـــومَ كسبه مســـرورُ
غـــير أنى يبقَى قليـــلُ الذى أعـ ـطِى ويفـــنَى عطاؤك الموفـــورُ

(١) يمور : يموج ويضطرب . (٢) الجذَع : الفتىّ . (٣) القارح : المسنّ .
(٤) المقرور : الساكن الثابت . (٥) فى الأصل "مسبعد" . (٦) ذو الأكتاف : ملك من ملوك الفرس واسمه سابور بن هرمز وسمى بذى الأكتاف — فى بعض ما قيل — لخروج قوم من العرب عليه فسار اليهم ونزع أكتافهم . (٧) الذبّل الصعاد : الرماح . (٨) طرير : حادّ .
(٩) أسدّى : أجعل لمدحى سدى وهو خلاف اللحمة . (١٠) أنير : أجعل له نيرا وهو خلاف السدى فى عمل الثوب . (١١) فى الأصل "الضيع" .

كلّ كنزٍ فى الأرض تأكلُه الأر ضُ وكنزى مؤبّد[1] مذخـــورُ
وســـوى ما أقول جَنـــدَلةٌ تَقـ ـذِفُ فى الماء أو سفاءٌ[2] يطـــيرُ
كَلِمٌ أعـــور المعادن مطـــرو قٌ ومعـــنًى مردّدٌ مطـــرورُ
سرقاتٌ خُلْسٌ كما يرد المـــذ عورُ خوفا أن يصـطلى المقـــرورُ[3]
ولعمـــرى إن القـــريضَ اذا عُـ ـدَّ كثيرٌ وما يَســـيرُ يسيرُ
لِيَ وحـــدى إعجـــازُه، والدعاوَى طَبَـــقُ الأرض فيـــه والتزويرُ
ويُطيـــقُ[4] المغمَّـــرون[5] الذى أبـ ـدعَ فيـــه طريقه المســـطورُ
غرقوا منـــه فى بحـــور الأعاريـ ـض وكيف المنصوب [و] المجرورُ[6]
والتـــامَى من دُرِّه فى خليج ضَـــيِّق ليس منـــه هذى البحورُ
واذا المهـــرجانُ جاءك يهـــديـ ـه فقـــد طاب زائرٌ ومَزورُ
ذاك يومٌ فـــردٌ وذا كَلِمٌ فصـ ـلٌ[7] وكلٌّ بفضـــله مشهورُ
فاقتبـــلْ منهما الســـعودَ وباكر صـــفوةَ العيش فالمعاشُ البُكورُ
وتمـــلَّ الزمانَ تجـــرى على حكـ ـمك قسرا أيّامُـــه والشهورُ
تقع الدائرات دونك حَســـرَى ورحاها عـــلى عـــداك تدورُ
غُصّة الغيظِ حظُّ حاســـدك البا غى وحظّـــاك غِبطـــةٌ وسرورُ
نام عنـــك المكلَّفون وليـــلى ساهرٌ ما لنجمـــه تغـــويرُ
نَفَسٌ طال كان لولاك يغـــنى الـ ـعفوُ منـــه ويُقنع الميســـورُ
فوفاءً "أبا الوفاء" فـــلم تُقْـ ـضَ، اذا ما لم تَقْضِ فىَّ، النذورُ

(١) فى الأصل "مؤيد". (٢) السفاء: التراب. (٣) المقرور: الذى أصابه القر وهو البرد. (٤) فى الأصـل "ويَطُقُ". (٥) المغمرون: المدفوعون فى الغمر.
(٦) هذا الحرف ليس بالأصل. (٧) فى الأصل "فضل".

كن غيـــورا علىّ من أن يلى غيـ ـرك نصرى ، إن الكريمَ غيـــورُ
فكثيرُ الجـــزاءِ منك قليـــلٌ [وقليـــلٌ][1] من آخرين كثير

* * *

وقال وكتب بها الى عميد الرؤساء أبى طالب فى المهرجان

نفّـــرها عن وِردها "بحاجرِ" شـــوقٌ يعوقُ الماءَ فى الحناجرِ
وردّها على الطَّـــوَى سواغبا ذلُّ الغـــريب وحنينُ الزاجرِ
فطفقتْ تُقنـــعُها جِرّاتُها[2] من شِـــبَعٍ دانٍ وريٍّ حاضرِ
يكسَعها التـــرابُ فى أعطافها تساند الأعضـــاد[3] بالكراكرِ[4]
ذاك عـــلى سكونٍ من أقلقها وأنها وافيـــةٌ لغـــادرِ
مغـــرورةُ الأعينِ من أحبابها بخالبِ الإيمـــاضِ غـــيرِ ماطرِ
تقابل المذمـــومَ من عهـــودهم بكلّ قلبٍ ولسانٍ شاكرِ
وهى بأرماح المـــلال والقِـــلَى مطرودةٌ منخوســـةُ الدوابرِ
تشكو اليهم غدرَهم كما اشتكت عقـــيرةٌ الى شـــفارِ العاقرِ
قـــد وقَروا عنها وكانت مدّةً[5] تُسمِعُ منهـــم كلَّ سمعٍ وافـــرِ
وكلّما ليمـــوا عـــلى جفائها تواكلوا فيهـــا الى المعـــاذرِ
فليت شـــعرَ جدبها إذ صوّحوا أين الخصيبُ الكَثُّ[6] فى المشافرِ
وهبهـــمُ عن الســـيول عَجَزوا فأين بالقاطـــرِ بعـــد القاطرِ ؟
كانت لها واســـعةً ركابُهـــم وكيلُهم فى الحـــظّ كيلُ الخامرِ

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٢) جرات جمع جِرّة وهى أن يعيد البعير ما فى جوفه الى فمه ويأكله ثانية . (٣) الأعضاد جمع عضد وهو الساعد . (٤) الكراكر جمع كَرْكَرَة وهى صدر البعير .
(٥) فى الأصل "مرة" . (٦) الكث : الكثيف .

ففـيم ضاقوا فتناسَـوا حقَّها ... والدهرُ يُعطيهم بسهمٍ وافرِ
كانت وهم فى طىّ أغمادِهمُ ... لم تتبرَّزهم يمينُ شاهرِ
وافرةً أقسامُها فما لها ... لم تُقتضَب من هذه المناشِرِ
هل ذَخَرْتهم دون من فوق الثرى ... إلا ليومِ النفع بالذخائرِ
لو شاوروا مجدَ "ابن أيوبَ" لما ... فاتتهُمُ حزامةُ المشاورِ
إذن لقد تعلَّموا ولُقِّنوا ... رعىَ الحقوقِ منه والأواصرِ
لله راعٍ منهمُ مستيقظٌ ... لم يتظلَّم طولَ ليلِ الساهرِ
يرى الصباحَ كلَّ من توقظه الـ ... ـعليا وما لليله من آخرِ
جرى الى غايته فنالها ... مخاطرا، والسبقُ للمخاطرِ
ما برِحتْ تبعثُه همَّتُه ... فى طلب الجسائم الكبائرِ
حتى أناف آخذا بحقّه ... من العلا أخذَ العزيز القادرِ
رَدّ "عميدُ الرؤساء" دارسَ الـ ... ـمجد وأحيا كلَّ فضلٍ داثرِ
حلَّق حتى أشتط فى سمائه ... بحاكمٍ فى نفسه وآمرِ
وبَعدُ، فى الغيب له بقيَّةٌ ... ناطقةُ الأنباءِ والبشائرِ
ولم يقصِّر قومُه عن سودَدٍ ... يُخبِرُ عن أولهم بالآخرِ (١٩٢)
ولا أستزلُّوا عن مقامِ شرفٍ ... توارثوه كابرا عن كابرِ
لكنّه زاد بنفسٍ فَضَلَت ... فضلَ يَدِ الذارعِ شبرَ الشابرِ
والشمسُ مع أن النجومَ قومُها ... تنسخُهنّ بالضياء الباهرِ
وخيرُ من كاثرك الفخرُ [بهِ] (١) ... شهادةُ الأنفُسِ للعناصرِ
دوِّنَ فى الجود عليه فقرَه ... أنّ المعالى إخوةُ المَفاقرِ

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل .

فالمال منه بين مُفْنٍ واهبٍ ... والناسُ بين مقتنٍ وذاخرِ
ولن تُرى الكفُّ القليلُ وفرُها ... فى الناس إلا لابْنِ عِرضٍ وافرِ
مَن راكبٌ؟ — تحمله وحاجةٌ ... أمُّ الطريق[1] من بناتِ "داعرٍ"[2] —،
ضامرة تركَّبتْ نِسبتُها ... شطرين من ضامرةٍ[3] وضامرِ،
يَقطع عنى مطرح العينين لا ... أسومُه مشقَّة المسافرِ،
من أسهلتْ أو أحزنتْ رحلتُه ... فحظُّه حظُّ المجيرِ العابرِ،
بلِّغ على قرب المدَى. وعَجَبٌ ... قولِى : بلِّغ حاضرا عن حاضرِ
نادِ بها "الأوحدَ" : يا أكرمَ مَن ... تُثْنَى عليه عُقَدُ[4] الخناصرِ
لم تسُدِ الناسَ بحظٍّ غالطٍ ... متّفقٍ ولا بحكمٍ جائرِ
ولا وزرتَ الخلفاءَ عَرَضا ... بل عن يقينٍ من علمٍ خابرِ
ما هزَّك "القائمُ" حتى اختبَرتْ ... بالجسِّ حدّيك يمينُ "القادرِ"
خليفتان اصطفياك بعد ما ... تنخَّلا سريرةَ الضمائرِ
وجرَّبا قبلَك كلَّ ناكلٍ[5] ... فعرفا فضلَ الجُرازِ[6] الباترِ
لم تكُ كالفاتل فى حبله ... والدِّينُ منه مُسحَلُ[7] المرائرِ[8]
يأكل مالَ الله غيرَ حَرِجِ الـ ... ـصدر بما جرَّ من الجرائرِ
فانعم بما أعطيتَ من رأيهما ... وكاثر المجدَ به وفاخرِ

---

(١) أم الطريق : العامة وقد استعارها هنا للناقة تشبيها لها بالنعامة فى سرعة عدوها . (٢) داعر : فحل منجب تنسب اليه الداعرية من الإبل ، وفى الأصل "ذاعر" . (٣) الضامر : القليل اللحم . (٤) عقد الخناصر : يكنى بهن عن اختيار المتوحد الذى اذا ذكر بمدحة تعين لها دون غيره .
(٥) الناكل : الجبان الضعيف . (٦) الجراز الباتر : السيف القاطع . (٧) مسحل : مفتول غير محكم . (٨) المرائر جمع مريرة وهى الحبل الشديد الفتل .

وآكنس ما أُلحفتَ فى ظلَّيْهما ... من رُدُنٍ[1] زاكٍ وذيـــلٍ طاهرِ
فحسبُ أعـــدائك كَبْتا[2] وكفَى ... كَبًّا[3] على الجباهِ والمناخـــرِ
إن الذى ماتَ ففـاتَ منهما ... بقَـاك ذُخرا بعـــده للغـابرِ
فآبق عـــلى ما رغمـــوا مُمَلَّكا ... أزِمَّـــةَ الدّســـوتِ والمنـابرِ
مادامت "المَروَة" أختًا "للصَّفا" ... والبيتُ بين ماســـحٍ ودائرِ
وآجلس لأيّام التهـانى مالئـا ... صـــدورَها بالمجـدِ والمآثرِ
تَطلُع منهـا كلَّ يـــومٍ شارقٍ ... بمهـــرجان وبعيـــدٍ زائرِ
لك الزكىّ البـــرُّ من أيّامها ... وللأعادى كلُّ يومٍ[4] فاجـــرِ
وآسمـــع أناديك بكلِّ غادةٍ ... غريبـــةٍ لم تجْـــرِ فى الخواطرِ
مؤيســـةِ المـــرامِ فى باطنهـا ... مُطمعـــةٍ فى نفسها بالظـاهرِ
وهى على كثرةِ من يحبُّها ... وحسنها قليـــلةُ الضـــرائرِ
تســـتولد الودادَ والأموالَ من ... كلِّ عقـــيمٍ فى الولادِ عاقـــرِ
فلستَ تدرى فكرةٌ من شاعرٍ ... جاءت بهـا أو نفثـةٌ من ساحرِ !
ملَّكَكَ الـــودُّ عزيزَ رقِّهـا ... وهى من الكرائم الحـــرائرِ
تُفضِل فى وصفك ما تُفضِـــلُه ... فى الروض أسآرُ[5] الغمامِ البـاكرِ
لاتشـــتكِك ، والملالُ حظُّهـا ... منك وأن ريعتْ بهجـرِ الهاجرِ
فى سالف الوصل وفى مستأنَف ال ... جفـاء بين شاكرٍ[6] وعاذرِ
وآعرف لها آعترافَها إذ أنصفَتْ ... وآعرف لها فى الجَورِ فضلَ الصابرِ

---

(١) الردن : أصل الكم ، وحركت الدال للضرورة ، وفى الأصل "درن" . (٢) الكبت : الذل والرد بالغيظ . (٣) الكبّ : الصَّرْع . (٤) فى الأصـل "فاخر" . (٥) أسآر جمع سؤر وهو البقية من المـاء . (٦) فى الأصل "وغادر" .

وقال يمدح عميد الدولة أبا سعد ويهنّئه بالنيروز

لعمـــر الواشياتِ بأمّ "عمرٍو" لقـــد أغرينْ والتأنيبُ يُغـرى
حســـدنَ مـــودةً فحملن إفكًا وعِبنَ وعائبُ الحسناءِ يَفـــرى (١)
يُردنَ عـلى الوفاء نُزوعَ خُلْـق وما ساومنى شَطَطا كغـدرى
وهل "هيفاء" إن غدرت وجارت سوى غُصْنٍ من الأرواح يَجرى
وقُلن : تـــلوّنت لك حين ملّت وليس على الملالة كلُّ هجـرِ (١٩٣)
تُقلّبها أصابيـــغُ الغـــوانى عـلى الطعمين من حُـاوٍ ومرِّ
وأين من الحِفاظِ لها فـــؤادى اذا لم ألـــقَ زَلّتَها بعـــذْرِ
ومن يُصـبح هواكَ له أميـرا (٢) عليـــك فـدارِه فى كلّ أمرِ
وأبعـــدُ ما ظفـرتَ به حبيبٌ جِراحتُـــه تصحُّ بكلّ سَـــبْرِ
وإنّ أحبّـــتى لبنـو زمانى كلا العودين من سِنْخٍ ونَجْـرِ (٣)
فهبنى مبـــدِلًا خِـــلًّا بخِـــلٍّ فهـل أنا مبـــدلٌ دهرا بدهرِ
سألبس ما كَسـيتَ وربَّ كاسٍ يُزخرفـــك الملابسَ وهو مُعـرِى
وأحملهـــم وإيّاه بقـــابٍ يفى بالثّقل لى إن خانَ ظهـرى (٤)
ولستُ بواجـــدٍ قلبا صحيحا اذا نُخِلتْ دفينـــةُ كلّ صـــدرِ
فـــلا تتعنَّ لائمـــةٌ بعـــذلى ولا تغمـزْ فما تسـطيعُ كسرى
ولا يَخَفِ الصـديقُ شَـبا لسانى على عِرْضٍ ولا لَسـعاتِ فكرى
فلا ألقَ بغـــير الصـــبر قِـــرنا لعـــلّى أجتنى ثمراتِ صـــبرى
وإن ضعُفتْ أواصرُ من رجال شـــددتُ بأسرة الكرماءِ أَسرى (٥)

(١) يغرى : يختلق ، وفى الأصل "يغرى" . (٢) فى الأصل "أسيرا" ولا نظنها تتفق والسياق .
(٣) السنخ والنجر بمعنى الأصل . (٤) فى الأصل "خاف" . (٥) الأسر : إحكام الخَلْق .

وفاءَ من الوزير عـلىَّ ظِـلٌّ ... يقيـنى الضـيمَ من حَرٍّ وقُـرِّ (١)
وأحجبُ نائباتِ الدهر منـه ... بخـوصٍ (٢) لا تُحصِّـلنى وشُـزرِ (٣)
تـرانى أعينُ الأيّام منـه ... بـوافى الظـلِّ أخضرَ مسـبكرِّ (٤)
وكيف يُرينى وحماه بابى ... وهيبتـه عن الأبصار سِـترى (٥)
ودونى من حمايتـه خميسٌ (٦) ... أخو عرضين يُبْهِم (٧) كلَّ ثَغـرِ
تُزمجِـرُ فى جوانبـه أسـودٌ (٨) ... عـلى ألبادها أسـلاتُ (٩) نصـرِ
تُظفَّـر بآسمـه الميمونِ أنّى ... سَرَت، حتى الحوادثُ ليس تسرى
نفذتُ برشدِه فنفضتُ طُـرْقى ... وصلتُ بحـدّه فقضيتُ نذرى
وكيف يضلُّ أو يخشى آبنُ ليـل ... سـطا بمهنّـدٍ وسرى ببـدرِ
أقـول لمنفضين ترحّلوها ... مطايا أَزمةٍ وركابَ ضُـرِّ،
تعسَّفَ عيشُهم فطوَى عليهـم ... وأيديهـم على سَـغَبٍ (١٠) وفقـرِ،
يمنُّـون الطَّوَى ليـلا بليـلٍ ... وتعريسَ السُّرَى بفجـرٍ،
وراءَ الرزق مختبطين تَرمِى ... بهـم أصـدارُها قفـرا بقفرٍ:
وراءَكُمُ آرجعـوا فتضيِّفوها ... بيـوتًا لا مجاعةَ وهى تَقْـرِى
تصـرَّفَ باليفاعِ (١١) مطنّبـوها (١٢) ... مع الكَرمين من حَلَبٍ (١٣) ونحرِ

---

(١) القر : البرد . (٢) خوص جمع خوصاء وهى العين الغائرة . (٣) شزر جمع شزراء وهى الحمراء من العيون كعين الأسد والغضبان . (٤) المسبكر : الممتد . (٥) فى الأصل "نانى" . (٦) الخميس : الجيش العظيم . (٧) يبهم : يغلق . (٨) فى الأصل "أكباد" وهى لا تتفق والمعنى فنقلناها الى "ألباد" جمع لبد وهو شعر رقبة الأسد، والى "أكباد" جمع كند وهو مجتمع الكتفين وقد رجحنا الأولى . (٩) أسلات جمع أسلة وهى الرمح . (١٠) السغب : الجوع . (١١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض . (١٢) مطنبوها : موطدوها بالاطناب وهى الحبال . (١٣) الحلب : استخراج اللبن من الضرع، وفى الأصل "حلت" .

اذا ما احتلّها الطُّرّاقُ لاحتْ ... لأيديهم عِصامة كلِّ عسرِ
بنو "عبد الرحيم" على حُباها[1] ... بنو الأبوين من لَسَن ونفرِ
وإنّ "ببابلٍ" منهم لطَودا ... يضعضع كلَّ أرعنَ مشمخرِّ
وبحرا من "بنى سعدٍ" عميقا ... بغير قَرارةٍ وبغير قعرِ
حمى حرم الوزارةِ منه عاصٍ ... على الأقرانِ فى كرٍّ وفرِّ
خضيب البانِ والأظفارِ ممّا ... يقُدُّ على فريسته ويفرى
اذا ما هيج عنها ثارَ منه ... الى الهَجهاجِ[2] عاصفةٌ بقُرِّ[3]
اذا الغاراتُ طُفنَ به كفتهُ ... زماجرُ[4] بين همهمةٍ[5] وهمرِ[6]
فما يمنعْ يبتْ ما بين نَسرٍ ... مع العَيّوقِ[7] مجنوبٍ ونَسرِ[8]
كفاها بالسياسة بعد عجزٍ ... وأمنها على حذَرٍ وذُعرِ
رَبَى فى حجرها وتداولتها ... مناكحُ منه شفعا بعد وَترِ
فما نفرت من الغرباء إلا ... أوت منه الى ولدٍ وصهرِ
وإن تظفر بعُذرتها رجالٌ ... حظوا بطلاقةِ الزمن الأغرِّ،
وأعقبهم على الأيّام ذكرا ... فعصرك بالكفاية خيرُ عصرِ
براك الله سهما دقَّ عمّا ... ترِيش له بنو "ثُعَلٍ"[9] وتبرى
اذا الرامى ثُلاثا أو رُباعا ... أصاب أصبت من عَشْرٍ بعَشرِ
فداؤك مغلق الجنبين يأوى ... الى صدرٍ يضيقُ بكلِّ سرِّ

---

(١) الحبى : العطايا . (٢) الهجهاج : اليوم الكثير الريح الشديد الصوت مما يهب فيه من العواصف . (٣) القرّ : البرد . (٤) الزماجر جمع زمجرة وهى صوت كل شىء ، والصخب والصياح . (٥) الهمهمة : دوىّ صوت الرعد ، وزئير الاسد . (٦) الهمر : اندفاع السيل . (٧) العيّوق : اسم نجم فى طرف المجرّة الأيمن . (٨) نسر : اسم نجمين أحدهما يقال له النسر الواقع وللآخر النسر الطائر . (٩) ثعل : قبيلة مشهورة بالرماية .

(١٩٤) اذا ثَقُلتْ وُسـوق(١) الرأى أقعى(٢) يَحُـثُّ بظهـره من غير عسرِ
ومعتـلّ البنان على العطـايا يُظِلُّ(٣) البخلَ فى عرض التحـرّى
يجود وما عليـه فضولُ حـقّ على عُـدْمٍ ويمنعُ وهـو مُثرى
ومـولى وهـو حرٌّ عبَّـدتْه هباتُـك فى زمانٍ غيرِ حُـرِّ
رعيتَ له أواصـرَ محـكماتٍ عَلقنَـك معلَق المَـرِس(٤) الممرِّ
تذكّرها بعهـدٍ منـك حىٌّ وشكرُ الملك يقتُـلُ كلَّ شُكرِ
ولكن ما لشِـعرى فى هَنـاتٍ تطارحنى الظُّلامةَ، ليتَ شعرِى!
وما عتبٌ أسمّيـه التجـنّى وتنبِـزه(٥) الأعادى باسم غـدرِ
أشـكًّا فى وفائى بعـد عـلمٍ وقدْحا فى حفاظى بعـد خُـبْرِ
وإعراضا عن الشِّـيَم اللواتى عليهـا طيبتى طُبعتْ وفَطـرى
أأعزِفُ عنكُمُ أبغى بصـونى لسـانى مـع مُعاسـرةٍ وفكرِ
وإنى لا أرى الدنيـا كفاءً لشىء فيـه منقصةٌ لقـدرى
وأحمـلُ ملءَ أضلاعى جراحا ولم أحمـل لعيبٍ خدشَ ظُفْرِ
أبغضـا أم لأنَّ سـنِىَّ مُدَّتْ فدام عليكُمُ ردّى وكرّى
ولم يملْ مديحكُمُ لسـانى فكيف ملمْتُمُ من طول عمرى
وكيف وزنتُمُ بى من عسـاه يودّ ببـاعِـه لو قاس فِـترى
فهل فى الأرض أفسقُ فى حديثٍ من العازى الىَّ مقامَ شـرِّ
وما أنا من وشايته، وإنّى لـ ـلذى رقّاه من خَلٍّ ونمـرى
مطارٌ لستُ منـه وليس منّى بعيـد الشوط فى نفعى وضرّى

(١) وسوق جمع وسق وهو الحمل الثقيل. (٢) أقعى: تساند الى ما وراءه. (٣) فى الأصل "يظلّ". (٤) المرس المتن: الحبل المفتول فتلا شديدا. (٥) تنبزه: تلقّبه.

فإن أُنصَفْ فإنّ يدا تولّتْ كسورى تهتدى لمكانِ جبرى
وإن أُحرَمْ قضاءَ العدل أرجِعْ الى كُفئين من هَجْرٍ وصبرِ
وأعلمُ بعدُ أنّك أنت باقٍ على العهدين من صلتى وبِرّى
وأنك لو رأيتَ التُّرْبَ[1] فوق لقمتَ بقُدرة فوليتَ نشرى
تسمَّعْها — سمعتَ الخيرَ — تُوعِ الـ ـفصاحةَ بين مَعتبةٍ وشكرِ
أنلها الودَّ وآجتلها هنيئاً ولولا الودُّ لم تقنَع بمَهرِ
وغادِ صبيحةَ النيروز منها بنشطةِ ثيِّبٍ وحياءِ بِكرِ
وطاولْ مدّة الأيام وآسحب ذيولَ المُلك من بِيضٍ وخُضرِ
الى أن ترجعَ الغبراءُ ماءً وتمشى الراسياتُ بها وتجرى
أناوِبُك[2] المديحَ مدى حياتى وأُنشدُه أمامك يومَ حشرى

* * *

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى ويهنئه بالمهرجان

الليلُ بعدَ اليأس أطمعَ ناظرى فى عطفةِ[3] السالى ووصل الهاجرِ
غلَط الكرى بزيارةٍ لم أرضَها مخلوسةً جاءت بكره الزائرِ
هاجَ الرقادُ بها غراما كامنا فذممته وحمدتُ ليلَ الساهرِ
ما كان إلا لمحةً من بارقٍ منه تقارُبُ أوّلٍ من آخرِ
ملّتْ فكان الغادرُ الناسى بها أحظَى لدىّ[4] من الوفىِّ الذاكرِ
والوصلُ ما بَرَد الغليلَ وشرُّه ما عاد يوقد فى الغليلِ الفاترِ
هل رفدُ ذاتِ الطوق يوما عائدٌ بسوى الخديعةِ من سحابٍ عابرِ

---

(١) فى الأصل "التربت" . (٢) هذه الكلمة فى الأصل هكذا بغير نقط "اناوبك" .
(٣) فى الأصل "عطفه" . (٤) فى الأصل "الذى" .

أم عند ليلاتى الطّوالِ "ببابلِ" من ردّ أيّامى القصارِ "بحاجرِ"
راميتُ من "خنساء" من لا يتّقِى بحشًى تذوب ولا بجفنٍ فاطـــرِ
وصبَرتُ لكن ما صبَرت جَلادةً عنهـا ولم أظفـر بأجرِ الصـابرِ
قَدَرتْ على قتل النفوس ضعيفة يا للرجالِ من الضـعيف القادرِ
من منصفى من ظالمٍ لم أنتصـر منـه، عـلى أنى كثيرُ الناصـرِ
عاصيتُ حكم العاذلين وسامنى فأطعتُـــه حكمَ العسوف الجائرِ
ومن البليّـة أن تَنكّرَ عهـدُهُ إذ أنكرتْ قَصَبى بنانُ الضافـرِ
لم أبك يـوما نَضـرةً بوصـاله (١٩٣) حتى بكيتُ على الشـباب الناضرِ
أعدَى الى شَـعَرى حؤول وفائه بالغـدر حتى حال لونُ غدائرى
فاليـومَ أوراق لأوّلِ جاردٍ خَوَرا وعيـدانى لأوّلِ كاســرِ
قد كنتُ أشوسَ(١) لا تَهُزُّ خصائلى كفُّ المهجهج(٢) بالحسامِ الباترِ
آوى الى حِصن الشبابِ يجود لى ما لا يحـوط قبائلى وعشـائرى
فالآن قلبى فى ضـلوعِ حمامةٍ حصّاء(٣) سِرْبهـا صـفيرُ(٤) الصافرِ
لكننى ألقَ الحـوادثَ من بنى "عبد الرحيم" بباطشٍ و بقاهرِ
هم خـيرُ ما حملتْ فقامت حرّةٌ حصناءُ(٥) عن كرمٍ وذيلٍ طاهرِ
ولدتهُـمُ أمّ الفضـائل إخـوةً متشابهين أصـاغرا كأكابرِ
كالراح كُلّ بنانهـا منها وإن بان آختـلافُ أباهـم وخناصرِ
وتنجّلتْ لتجىء بعـد بمثلهـم فأبت عـلى الميلاد بطنُ العاقـرِ

(١) الأشوس : الذى ينظر بمؤخر عينه تكبرا . (٢) المهجهج : الزاجر . (٣) الحصّاء : التى ذهب ريشها . (٤) فى الأصل "ضمير" . (٥) الحصناء : المتزوجة من النساء أو العفيفة ، وفى الأصل "حصباء" .

أبناءُ تيجانِ الأسرَّة قد بلوا (١) في الفخر بين مَرازبٍ (٢) وأكاسرِ
فاذا انتضوها ألسنا عربيّةً فسيوفُ أندية وقُضْبُ منابرِ
واذا الروايةُ في السيادة ضُعِّفَتْ نَقَلوا (٣) الرياسةَ كابراً عن كابرِ
كانوا الرءوس قديمها وحديثها في مؤمنٍ (٤) من دهره أو كافرِ
وعلى "كمال الملك" منهم مسحةٌ فعليك صورة غائبٍ في حاضرِ
قِفْ في شمائل نخره متفرِّسا وخذ الخفيَّ على قياس الظاهرِ
جمعَ الغرائبَ في السيادة رأيُهُ حتى التأمنَ وهنَّ غيرُ نظائرِ
ورمى صدورَ الحادثات بعزمةٍ (٥) فأصابهنَّ بقاصدٍ وبعائرِ
ملأ الوسائد من سُطاهُ وبشرِه قمرٌ يُناط بصدرِ ليثٍ خادرِ
وورَى له زَنَدَ العواقب رأيه فأراه واردُها طريقَ الصادرِ
شَدَّ الوزارة منه كفٌّ فاتلٌ (٦) من بعد ما انتقضت بكفِّ الناسرِ
وسطت يمينُ أخيه منه بمثلها فهُمَا يمينا قوةٍ وتآزرِ
كالنيّرين متى تغبْ شمسُ الضحى تُخلَفْ ببدرٍ في الدُّجُنَّة (٧) باهرِ
"بأبي المعالى" ريضَ كلُّ مُحارنٍ ونمى الكسيرُ على عِصابِ (٨) الجابرِ
من كان مقهورَ الرجاءِ مخيَّبَ الـ ـمسعى (٩) فراجيه شريكُ القاهرِ

(١) المرازب جمع مرزبان وهو رئيس الفرس . (٢) أكاسر جمع كسرى وهو ملك الفرس .
(٣) في الأصل "نقلوا" . (٤) في الأصل "كابر" . (٥) القاصد : السهم المستوى نحو الرمية ، والعائر : السهم لا يُدرَى من رامِيه ، ويجوز نقلها الى الغائر : بمعنى السهم الذى يغور فيما يصيبه كقوله فى صحيفة ٢٢ سطر ٣

ولا تُخِفْ منك الليالى جانبى * بقاصد السهم ولا بغائر

وآستدرا كما لما فات يجوز نقل هذه أيضا الى عائر . (٦) الناسر : الناقض . (٧) في الأصل "الكبير" . (٨) العصاب : ما يعصب به من منديل ونحوه ، والجابر : من يجبر كسر العظام .
(٩) في الأصل "القامر" .

يا من يَسُـدُّ فروجَ كلِّ ثنيَّـةٍ ... فُتِقَتْ ويَكْمِ(١) كلَّ خطبٍ فاغرِ
ويُتِمُّ كلَّ نقيصـةٍ بكماله ... كالرمح متمـوما بباعِ عاشـرِ
لا تهتدى طُرُقُ الصـلاح بغيركم ... والنـاسُ بين مضلَّلٍ أو حائرِ
والمُلكُ ما لم تقـدَحوه دُجُنَّـةٌ ... يَقتـافُ سائرها بنجـم غائرِ(٢)
فإن اعترتكم هفـوةٌ أو صـدّكم ... غضبُ المنبل[على] الغَموطِ(٣) الكافرِ،
ورأيتُم نعماءكم وصنيعَكم ... لا فى المُقـرِّ لكم ولا فى الشاكرِ،
فلكُم غـدًا أيّامُ وصـلٍ طولُها ... موفٍ على اليـوم القصيرِ الهاجرِ
لا غرَّنى هـذا الصـدودُ فإنه ... صـدُّ المدلِّ وليس صدَّ الغـادرِ
كانت لكم وغَدًا تصير اليكُمُ ... طوعا بخـيرِ عواقبٍ ومَصـادرِ
ولربَّ معـتزلٍ تعطُّل فاغتـدى ... سببَ البـلاء على المولِّى الناظرِ
ومقـلِّدٍ أمرا يكون بجيـده ... حلى الذبيحـةِ سُوِّمت للجـازرِ
خُـلِّدتَ للحسناتِ تنـثُرُها يدا(٤) ... فيـدا وينظِمُها لسانُ الشاعرِ
بك ذدتُ عن ظهرى فلم أرتَعْ على ... ظلعٍ(٥) ولم أصـفُقْ بكفِّ الخاسرِ
إما حضرتَ فجُنَّتى أو بنت عن ... وطنى فجـودُك خيرُ زادِ مسافرِ
ما غاب وجهُك لا يغبْ عن ناظرى ... إلا ذكرتُك بالهـلال الزاهرِ
فاذا عـدمتُ ندَى يديك تعلَّلت ... خَـلّاتُ(٦) حالى بالغمام الماطـرِ
عوضا وهل شىءٌ يحـلُّ بعائضٍ ... من بعد وجهك أو نداك الغامرِ
فاذهب على كرمٍ شرَعتَ طريقَهُ ... والنـاسُ فيه على مَـدَقِّ الحافرِ
وآذكر نسايا الشـعرِ عندك إنها ... لا تنفـعُ الذكرى لغـيرِ الذاكرِ

(١) يكمم : يشدّ فاه لئلا يعضّ . (٢) فى الأصل "غابر" . (٣) ليست بالأصل .
(٤) فى الأصل "تنشرها" وهى غير ملتئمة مع قوله : "وينظمها" على مالها من معنى . (٥) لم أرتع على ظلع : لم أك ضعيفا حتى أنتهى عما لا أطيقه . (٦) خلّات جمع خَلّة وهى الحاجة .

وتــلَقَّ يوم المهرجان بأوّلٍ ... من عمــرِ عزّك لا يُراع بآخرِ
يومٌ يَمُتُّ اليــه طالعُ ســعدهِ ... بوشائجٍ[1] فى ســعدهِ وأواصــرِ
ويقومُ مفتخــرا بأنك وهو من ... بيت العــلا فيبــدُّ كلَّ مفاخرِ
ولعمرُ من نسَــك المجيجُ لبيتــه ... دأباً وخاطرَ فيــه كلَّ مخاطرِ
لأحقُّ يــومٍ أن يكون معظما ... يومٌ يضمُّك وهو طينُ[2] الفاطرِ

وقال فى الأرض والسماء

وأمٌّ[3] يفــوزُ بإعــلانها ... بنــوها ويُدْهَوْنَ من سرِّها
عجوزٌ ولودٌ تعُــدُّ البعولَ ... كثيرا وكلٌّ أبو عُذرِها[4]
اذا نجبت طامثا كان ذا ... ك أشبهَ فى الحزم من طُهرِها
يطاها بنــوها وهم مسلمو ... ن حتى تعــودَ الى كفرِها
تدبِّرها أختُهــا فى الرَّضاع ... فتمضى الأمورُ على أمرِها
اذا ولدت بطنُهــا للتمامِ ... فتَّى شَهَرتْه عــلى ظهرِها
لهاالفخر بالذكر والإنتساب ... اليها وتبعد عن ذكرِها

وقال يمدح الملك جلال الدولة فى النيروز

بطرفك ، والمسحورُ يُقسم بالسـحرِ ... أعمــدا رمانى أم أصاب ولا يدرى؟
تعرَّضَ بى فى القانصين مســدّد الـ ... ـإشارة مــدلول السهام على النحــرِ
رمى اللحظةَ الأولى، فقلتُ : مجــرِّبٌ ... وكرَّرها أخرى، فأحسستُ بالشرِّ

(١) وشائج جمع وشيجة وهى آشتباك القرابة . (٢) يريد بقوله وهو طين الفاطر وهو جديد .
(٣) فى الأصل " إعلانها " . (٤) أبو عذرها : أول من آفتضها .

فهل ظنَّ ما قد حرَّم اللهُ من دمى ... مباحا له أم نام قـــومٌ على الـــوِتر؟ (١)
"بنجدٍ" ــ "ونجدٌ" (٢) دارُ جودٍ وذمّةٍ ... مطالٌ بلا عُسرٍ ومطـــلٌ بلا عُـــذْرِ
وسمـــراءُ ودّ البـــدرُ لو حال لونُه ... الى لونها فى صِـــبغة الأوجه السُّمرِ
خليـــلىّ، هل من وقفـــةٍ وٱلتفاتةٍ ... الى القبة السوداءِ من جانب "المِحْرِ"؟
وهل مَن أرانا الحجّ "بالخَيف" عائدٌ ... الى مثلهـا أوعدَّها حِجَّـــةَ العمرِ؟
فلله ما أوفى الالاتَ على "مِـــنًى" ... لأهل الهوى لو لم تحنْ ليـــلةُ النَّفْرِ (٣)
لقد كنتُ لا أوتى من الصـبر قبلَها ... فهـــل تعلمان اليومَ أين مضى صبرى؟
وكنتُ ألومُ العاشقين ولا أرى ... مزيَّةَ ما بين الوصال الى الهجـــرِ
فأعـــدَى الىّ الحبَّ صحبـــةُ أهله ... ولم يدر قلبى أنّ داء الهـوى يسرى
أيشرُدُ لـــبّى يا غزالةَ "حاجرٍ" ... وأنتِ "بذات البان" مجموعةُ الأمرِ؟
خذى لحظَ عينى فى الغُصوب إضافةً ... الى القلب أو ردّى فؤادى الى صدرى
وإلا فظهـــر الهجـــر أوطأُ مركبا ... اذا خُنْتِ وٱستوطأتِ لى مركبَ الغدرِ
وإنى لجـــلْدُ العـــزم أملك شهوتى ... وأعرف أيّامى وأقوى عـلى سرى
وأحمـــل أثقال الحبيب خفيفـــةً ... ولكنّ حمـــلَ الضيم ثقلٌ على ظهرى
ولا يملك المـــولى وفائى بنَكْثه ... ولا يشـــترى معروفَ ودِّىَ بالنّكرِ
ومن دون ضيمى بسطةُ الأرض والسُّرى ... [وخوض] (٤) الدياجى وٱمتعاضُ الفتى الحرِّ
وإنّى من مولى المـــلوك ورأيِه ... وساطـانِه بين المجـــزةِ والنَّسرِ
فلا أنا مغمـــودٌ ولا أنا مُسْـــلَمٌ ... وفى ســـيفه عزّى وفى يده نصرى
تعالى "بركن الدين" صوتى وشَيَّدتْ ... محاســـنُهُ وصفى وسار بها ذكرى

---

(١) الوتر : الثأر . (٢) فى الأصل : "ثمة" . (٣) ليلة النفر : الليلة التى ينفر فيها الحجاج من منى الى مكة . (٤) هذه الكلمة ليست بالأصل .

وكان إلى الدهرُ بالشرِّ ناظـرا ... فغمَّض عـنّى جودُهُ ناظرَ الدهرِ
وإن كان هـذا القولُ قِدماً يطيعنى ... فقـد زاد بَسْطًا فى لسانى وفى فكرى
وكنت له نجما فلما مدحتـه ... كسانى سنا إقبـاله بُلجةَ الفجـر
اليك مليكَ الأرض ألقت ملوكُها أضـ ... ـطرارا عنانَ النهىِ فى الأرضِ والأمرِ
ودان لك الغُرُّ الميامينُ من " بنى ... بُويْه "كما دانَ الكواكبُ للبـدرِ
رأوك فتاهم فى الشجاعة والنـدى ... وشيخَهُم المتبوعَ فى الرأىِ والعُمـرِ
فأعطـوك طوعًا ما تعـذَّر منهُمُ ... عـلى كلّ باغ بالكراهةِ والقسرِ
نظمتَ لهم عِقدَ العُـلا وفضلتَهـم ... فأصبحتَ وسْطَ العقدِ فى ذلك النحرِ
لكم أوّل الدنيـا القـديمُ وعنكُمُ ... يكون قيـامُ الأمرِ فى ساعةِ الحشرِ (١٦٧)
وما المُلك إلا ما آحتـبى متمـدّحا ... بأيّامكم فيـه المحجَّلةِ الغُـرِّ
ولا الدهـر إلا ما تقلَّب صَرفُـهُ ... على ما قسـمتم من يَسارٍ ومن عُسرِ
ولا تطعم الدنيـا بنيها سـوى الذى ... تشـيرون من حُلوٍ اليـه ومن مرِّ
بكم يصبح الدينُ الحنيفىُّ آمنـا ... اذا بات مخلوعَ الفـؤاد من الذُّعرِ
وما برحتْ أبيـاتُكم فى آبتنـائِهِ ... دعائم للخطّىِّ(١) والقُضُبِ(٢) البُـترِ
وأنت الذى كنت الذخيرةَ منهُـمُ ... قـديما اذا الرحمنُ بارك فى الذُّخرِ
فلو بَقِىَ الماضون منهـم تمثّلوا ... مملكك فى مُلكٍ وعصرك فى عصرِ
اذا ما أراد اللهُ إحيـاءَ دولةٍ ... بغـاك بنـوها بالحديعةِ والمكرِ
وإن شاءَ فى دهمـاءِ(٣) قـومٍ إبادةً ... رماهم بدُهمٍ(٤) من جيادك أو شُـقرِ
ومن مـلَّ طولَ العمـرِ والعزِّ قاده ... لك الحَيْنُ(٥) فى حبـلِ الشناءةِ(٦) والغمرِ

(١) الخطى : الرمح . (٢) القضب البتر : السيوف القواطع . (٣) الدهماء : العدد الكثير من جماعة الناس (٤) دهم جمع أدهم وهو الأسود فى الخيل . (٥) الشناءة : البغض . (٦) الغمر : الحقد .

قسمتَ بكفّيك المنيّـةَ والغنى ... للهفانَ يستجدى وغضبانَ يستشرى
فأنتَ اذا شِمتَ الظُّبا قاتلُ العـدا ... وأنت اذا شمت النـدَى قاتلُ الفقرِ
فـلا زال معقودا عطاؤك بالغـنى ... ولا زال معـقودا لواؤك بالنصرِ
وزارك بالنـيروز أيمنُ قادمٍ ... سرَى لك فى وفد الرجاء الذى يسرى
جديدا على العـام الجـديد مؤمّرا ... كما أمْرك المـاضى على العبـدِ والحرِّ
تُزخرَفُ منه الأرضُ فى حَلْيِ روضها ... بمـا كُسيَتْ من صِبْغِ أيّامك الخُضرِ
كأنّ الربيـعَ من صِفاتك يمترِى ... وشائعَـهُ(١) ومن سجاياك(٢) يَسـتقرى
فطاوِلْ به عـدَّ السنين مفاوتا ... بعمرك مقـدارَ الإحاطةِ والحصرِ
مـتى تطوِ مُلكا تنتشرْ لك بعـدَهُ ... ممـالكُ(٣) لا تَبـلَى على الطىِّ والنشرِ
وحيّـاك منّى بالمـديح مبشّـرٌ ... خمـائل لم تنبتْ على سَـبَلِ القَطرِ
لها مـدَدٌ من خاطرٍ غـيرِ ناضبٍ ... ملِئٍ إذا كافَا الصنيعةَ بالشكرِ
خدمتُـك منهـا بالمحصَّـنةِ التى ... عليهـا أحامى والمخـدَّرةِ البِكرِ
فكرَّمتنى لمـا قبلتَ نكاحَهـا ... وزيّدتَ فى فضلى وضاعفتَ من قدرى
وملّكتنى قلبـا كريمـا ولم أكن ... أظنُّ قلوبَ الأسـد تُملك بالشِّـعرِ
فقمتُ عـلى ظلٍّ من الأنس باردٍ ... ومن هيبـةِ الملك العقيم على الجمـرِ
ولكنّها قـد موطلت بمهـورها ... ولا بدّ فى عَقـد النكاح من المَهـرِ
وممّـا شجاها أن تضـلَّ وسـيرُها ... مع النجم، أو تَظا على ساحل البحـرِ
وخـيرُ العطايا ما يُراد به العـلا ... وما كلُّ جُـود بالمُجينِ(٤) وبالتـبرِ
وما بِىَ إلا أن نسيتَ فراعـنى ... لتعـلَمَ أنّى من علاك عـلى ذكرِ

(١) الوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى الثوب، وفى الأصل "وسائعه" . (٢) بالأصل "شجاياك" . (٣) فى الأصل "فالك" . (٤) المجين : الفضة، والتبر : الذهب .

* * *

وقال يمدح عميد الدولة أبا سعد فى النيروز ، وهو مقيم بسرّ من رأى وكتب بها اليه

كم النوى ؟ قد جَزِع الصابرُ ... وقَنَط المهجورُ يا هاجرُ
أ أحمدَ البادون فى عيشهم ... ما ذمّ من بعدهم الحاضرُ؟
أم كان يومُ البين — حاشاكُمُ — ... أوّلَ شيء ماله آخرُ؟
ما لقلوبٍ جُبلتْ لدنَةً ... يعطفها العاجمُ والكاسرُ!
قستْ على البعد وقد ظُنّ بالـ ... ـوفىِّ منها أنه غادرُ
قد آن للناسين أن يرعووا ... شيئا ، فما عذرُك ياذاكرُ؟
أما يهُزُّ الشوقُ عِطفا ولا ... يجذُب هذا الوطنُ الساحرُ
كم يُمطَلُ الملسوعُ فى الوعد بالـ ... ـر اق وكم ينتظر الناظرُ!
قد صُدِعَ العظمُ وأخلِقْ متى ... شُظِّىَ أن لا ينفعَ الجابرُ
لا تتركوا المحصوصَ فى أسركم ... يخلِفُ ريشا إنه طائرُ
اللهَ يا فاتلَ أمراسِها ... أن يتولّى أمرَها الناسرُ
اِقبلْ من الباذل وآقنعْ بما ... يُعطيك من باطنه الظاهرُ
ولا تُكشِّفْ عن خفيّاتِ ما ... يخفيه عنك الهائب الساترُ
وشاور الإقبال من قبل ما ... تشاورُ الرأىَ وتستامِرُ
وانهضْ بجَدٍّ، فلكم ناهض ... بالحزمِ والحزمُ (١) به عاثرُ (١٩٨)
سعدُك فى أمثالها ضامنٌ ... أنك فيها الفائزُ الظافرُ
قد أهمَلَ النوّامُ من سَرحها ... ما كان يَرعَى طرفُك الساهرُ
وحَمَلَتْ بعدَك جهْلاتُها ... وفز منها القامصُ النافرُ

(١) فى الأصل "له" .

وأدَّبتْها لك غَلْطاتُها (١) كم قاصدٍ بصَّرَهُ (٢) جائرُ
فإن لها مجدبةً أرضُها (٣) إن لم يُعنها العارضُ الماطرُ
أنت لها أو رُجلٌ منكُمُ والناسُ أكّالٌ ومستأثرُ
لا تُسلموها فهى خَطِّيَّةٌ (٤) يُدعَى لها "بِسطامُ" (٥) أو "عامرُ" (٦)
إما هلالٌ منكُمُ واضحٌ يسرى لها أو كوكبٌ زاهرُ
يا راكبَ الدهماءِ (٧) تمطو به (٨) فى زافرٍ تيّارُهُ زاخرُ
ملساء تجرى منه فى أملسٍ يُروى صداها نقعُهُ الثائرُ
تطوى السُّرى لم يتشذَّبْ لها خُفٌّ ولم يَحفَ لها حافرُ
سابقةٌ لا السوطُ هبهابُهُ (٩) فيه ولا الصوتُ لها زاجرُ
اذا سوافى (١٠) الريح شَقَّت على الـ ـر كبِ سَفتَها (١١) العاصفُ العاصرُ (١٢)
يزاحم "القاطولَ" (١٣) من "دِجلةٍ" رامٍ الى البحرِ بها صائرُ
يرود روضَ الجود حيث استوى الـ ـظِّلُّ ورَفَّ (١٤) الورَقُ الناضرُ

(١) القاصد : العادل أو هو ضد المفرط . (٢) فى الأصل "خائر" . (٣) العارض : السحاب المعترض فى الأفق . (٤) الخطية : الرماح المنسوبة الى "الخطّ" وهى مرفأ السفن بالبحرين ، يقال رماح خطّية على الوصف و رماح الخط على الإضافة . (٥) يشير الى بسطام بن قيس الشيبانى فارس بكر ، و يقال فى المثل "أفرس من بسطام" . (٦) يشير الى عامر بن مالك الشهير بملاعب الأسنة وسمى بذلك لقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر * فراح له حظ الكتيبة أجمع

(٧) الدهماء : السوداء ، ويشير بذلك الى السفينة لطلائها بالقار (الزفت) . (٨) تمطو : تجدّ فى السير وتسرع . (٩) الهبهاب : الصيّاح . (١٠) السوافى جمع سافية وهى الريح تحمل التراب . (١١) سفتها : حملتها كما تحمل الريح التراب . (١٢) العاصف العاصر : الريح التى تعتصر السحاب . (١٣) القاطول : اسم نهر مقطوع من دجلة فى سامراء ، حفره هارون الرشيد و بنى على فوهته قصرا وسماه "أبا الجند" وجعله لأرزاق جنده لكثرة ما كان يروى من الأراضى . (١٤) فى الأصل "ورق" .

وحيثُ قام[1] الماءُ مع أنّهُ ... جارٍ وحلَّ القمرُ السائرُ
قل لوزير الوزراء : آلتظَى ... بعدك ذاك الولَهُ الفاترُ
وآنتحت الأشواقُ قلبي فما ... يفوتنى القاصدُ والعائرُ[2]
وأكلتْني كلُّ جوفاءَ لا ... يُشبِعها الحالبُ والجازرُ
تَسرُطنى[3] بلْعًا وكانت وما ... يُسيغ لحمى فَمُها الفاغرُ
فى كلّ يومٍ قَتَبٌ ضاغطٌ ... يغمزُ نضوٌ تحته ضامرُ
أدعو فلانا وفلانا له ... دعاءَ من ليس له ناصرُ
أقمتُ أرعَى جدبَ دارٍ وفى ... أخرَى ربيعٌ[4] مائحٌ[5] مائرُ
فمَن لظمآنَ "بنجدٍ" وفى ... "تهامةٍ" صوبُ الحيا القاطرُ
"يا شرفَ الدين" عسى ميِّت الـ ... ـفضلِ بأن تلحظَه ناشرُ
يا خيرَ من دُلَّت على بابه ... حائرةٌ يركبُها حائرُ
أظلعها[6] التطوافُ معْ فرط ما ... ورَّثها من جَلَدٍ "داعرُ"[7]
بقَّى السُّرَى منها ومنه كما ... بَقَّى من المأطورةِ[8] الآطرُ
لم يَرَيا قبلك بيتًا له ... نادٍ[9] ولا نارًا[10] لها سامرُ
حتى قضى اللهُ لحظَّيْهما ... عندك قسما كلُّه وافرُ
فخُوِّلا فى عَطَنٍ واسعٍ ... يذرَعُ فيه الأملُ الشابرُ[11]

(١) قام : جمد . (٢) القاصد : السهم الملتوى نحو الرمية ، والعائر : السهم لا يُدرى من راميه . (٣) تسرطنى : تبلعنى . (٤) المائح : الساقى آغترافا باليد . (٥) المائر : من يأتى بالميرة . (٦) أظلعها : جعلها تظلع أى تغمز فى مشيها . (٧) داعر : فحل منجب تنسب اليه الإبل الداعرية وفى الأصل "ذاعر" . (٨) المأطورة : التى عُطِفتْ ولُوِيت كالقوس . (٩) فى الأصل "باد" . (١٠) فى الأصل "ولا نار له" . (١١) فى الأصل "السائر" .

لم يبقَ من فوق الثرى للعلا غـيرك لا سمـعٌ ولا ناظـرُ
قـد كانت الأرضُ ولودا فـذ وُلِدْتَ فهى المقلتُ(١) العاقـرُ
وسَلَّم الإجماعُ من أهلها أنَّك فيها المعجـزُ الباهرُ
إن نَجَمَتْ ناجمـةٌ بالظُّبا أبدع فيها سـيفُك الباتـرُ
أو كانت الشورى غِطاءً على الـ ـبَطِيءِ جـلَّى رأيُكَ الحاضـرُ
وإن أخذتَ الدستَ والصدرَ فالـ ـقضاءُ ناهٍ فيهـما آمـرُ
أو وردَ النـاسُ فلم يصـدروا عجـزا فأنت الواردُ الصادرُ
وكم أراك اليـومُ ما فى غدٍ ما أنت من أمرِ غـدٍ حائرُ
إن تُنزَع الدولةُ ما أُلبستْ منـك وأنتَ الملبسُ الفاخـرُ،
أو يُكفَر الحـقُّ ولا بدَّ أن يُحـرَمَ طيبَ النعمةِ الكافرُ،
فاسـئل مَن الناجى اذا بُويعتْ نفسٌ بنفسٍ ومَن الخاسـرُ
غداً يُرَى عنـد اختلاف القنا كيف غناءُ الدِّرعِ يا حاسـرُ(٢)
ويعكُفُ النـادمُ مسـترجعا عادةَ ما عـوَّده الغـافـرُ
اللهُ ـ إن تَرضوا وإن تسخطوا ـ قـدَّر وهـو العـالمُ القـادرُ،
أنَّ العـلا بجبوحةٌ بيتُها الـ ـمشرقُ هـذا الحسبُ الطاهرُ (١٩٩)
ناصَى بها "عبدُ الرحيم" السما وبعـدَه الكابرُ والكابـرُ
حتى انتهى الفخـرُ الى هضبةٍ ليس لمن يصـعَدها حادرُ
ساهَـمَ فى المجـد فعـلَّى به مُقادحٌ ليس له قامـرُ
قـد فـرضَ اللهُ لتـدبيره الـ ـأمرَ وهـذا الفَلَكُ الدائرُ

(١) المقلت : التى تأتى بولد واحد ثم تعقم بعده ، وفى الأصل "المقلب" . (٢) الحاسر : غير الدارع .

فكلَّما نـدّ[1] الى غـيره ... فهو اليـه صاغرا صائـرُ
يا ملبسَ النُّعمى الـتى لم يـزل ... عـلىَّ منها الشاملُ الغامرُ
ومَنبَعِى العـذبَ اذا قلَّص الـ ... ـسَّجلُ[2] وأكدى الرجـلُ[3] الحافـرُ
مضت بطـرحى أشهرٌ تسـعةٌ ... حاشاك أن يَعقُبَها العاشـرُ
هـذا وما قصَّر شعرٌ ولا آسـ ... ـتحالَ عن عادته شاكرُ
وما خلَّاتى[4] سـوى جـودكم ... خبيئـةٌ يذخـرها الذاخـرُ
قـد أقحط الوادى فلا لابنٌ[5] ... لطـارقِ الحىّ ولا تامـرُ[6]
فلا ونَتْ تطـرقكم فى النـوى ... فتائـلٌ أبرمها الضافـرُ
زوائرٌ تُهـدِى لأعراضكم ... ألطفَ ما يحمـله الزائـرُ
يـؤثِرُ عنها خـبرٌ صادقٌ ... فى مجـدكم أو مَثَـلٌ سائرُ
فى كلِّ [نادٍ][7] نازحٍ غائبٍ ... لها حـديثٌ بكُمُ حاضـرُ
تعـرِضُ أيَّام التهانى بها ... ما تعـرِضُ المعشوقةُ العاطـرُ
تميس منها بين أيّامكم ... خاطـرة يتبعها الخـاطـرُ
لمَّها التحصينُ عن غيركم ... وهى عـلى أبوابكم سـافرُ
شاهـدةٌ أنى لكم حافـظٌ ... اذا نبا أو نكَثَ الغـادرُ
وكلّ الفخـرُ لها أنّـك الـ ... ـممدوح فيها وأنا الشاعـرُ

(١) ندّ : نفر وشرد . (٢) السجل : الدلو العظيمة . (٣) أكدى : بلغ الكدية وهى الأرض العليظة الصلبة التى يعجز عنها الحافر فلا يمكنه أن يحفرها . (٤) الخلات جمع خلة وهى الحاجة . (٥) اللابن : الكثير اللبن . (٦) التامر : الكثير التمر . (٧) هذه الكلمة فى الأصل هكذا " د " .

* * *

وكتب الى الأجلّ عميد الرؤساء أبى طالب بن أيّوب فى النيروز

بلوتُ هـذا الدهـر أطوارَهْ ... عـلىَّ طـورا ومـعى تارَهْ
وبصّـرتْنى كيف أخلاقُـه ... تجـاربٌ كشّفن أخبـارَهْ
فصـرتُ لا أنكر إحـلاءَهُ ... يـوما ولا أنكر إمـرارَهْ
لا هو إن شـدّ رأى كاهلى ... رِخـوًا ولا نفسىَ خـوّارَهْ
ولا تصـبّانِىَ من سَـلمِه ... زخارفٌ للعين غـرّارَهْ
من عاذرى منـه على أننى ... ضرورةً أقبـلُ أعـذارَهْ
دعه وبِتْ منـه عـلى نجـوةٍ ... خائفـةِ الرقبـةِ حـذّارَهْ
وأسلم فما تسـلَمُ من جَوْرِه ... إلا اذا ما لم تكن جارَهْ
تنقّـلِى يا رُكُبَ(١) العيس بى ... منجـدةً يـوما وغـوّارَهْ
لا خطر الضـيمُ ببـالِ امرئ ... وأنتِ بالبيـداء خطّـارَهْ
قـد نبتِ البيـداءُ بى جالسا ... أرجـو الأمانى وهى غـدّارَهْ
أظلِمُ نفسى بين أبنائهـا ... والنفسُ لا تُظـلَمَ مختـارَهْ
ويطّبينى(٢) وطَنٌ تـربُهُ ... مسـتعبَدٌ يلفـظ أحـرارَهْ
وكم تُرَى تَسـحرنى "بابلٌ" ... "وبابلٌ" بالطبـع سحّـارَهْ
إن كنتَ يا قلبِىَ منّى فـلا ... تخـدَعْك منهـا هـذه الشـارَهْ(٣)
أَوْلى بمن تحمـله قـدرةً ... فراقُ من تجهـلُ مقـدارَهْ
لا شِمتُ برقَ الهُـون فى دُورِكم ... والعزُّ فى "الأبرقِ" "والدّارَهْ"
اللهُ لى منتصـفٌ من أخٍ ... يكِلُنى بالعُـرفِ إنكارَهْ

(١) ركب جمع ركاب . (٢) يطبينى : يزدهينى . (٣) الشارة : الحسن والزينة .

يحمى لسانى أبدا عِرضَه ... ويبتغى فى عِرضِىَ الغارَهْ
أعِفُّ عن جمّته[1] مفعَماً ... تُناهزُ الوُرّادُ تيّارَهْ
ولا يرانى ناسيا عهدَهُ ... إن غاض أو كابد إعسارَهْ (٢٠٠)
فليته صان مكانى كما ... صان عن البذلة دينارَهْ
لولا بنو "أيّوبَ" لولاهُمُ ... ما وجد المظلومُ أنصارَهْ
قومٌ اذا آستنجدتهم لم أخف ... سهما ولو ناضلَنى القارَهْ[2]
وبتُّ فيهم حيث لا يؤكل الـ ... ـجارُ ولا تُنتَهَك الجارَهْ
البيتُ لا ينكرُ طُرّاقَهُ ... والليلُ لا يعدَم سُمّارَهْ
والجفناتُ الغُرُّ يُسنَى[3] لها ... كلَّ غضوبِ الغِلْى هدّارَهْ
ترى الجَزورَ العَبْلَ[4] فى قلبها ... أعشارُهُ تلعَنُ جزّارَهْ
إن صَمَّ عنك الناسُ أو غَمّضتْ ... فى الخطب عينٌ وهى نظّارَهْ،
فتحتَ منهم فى مغاليقه ... أسماعَ ذا الدهرِ وأبصارَهْ
نَموا شهابا من "أبى طالبٍ" ... خيرا وبثَّ الله أنوارَهْ
والأفُقُ العُلوىّ إن غورتْ ... شموسُه أطلعَ أقمارَهْ
قَصَّ حديثَ المجد عنهم فتًى ... يُصدِّقُ السودَدُ أخبارَه
وبرَّزوا سبقا ولكنّهم ... لم يُدركوا فى المجد مِضمارَهْ
ناصَى "عميدُ الرؤساء" العلا ... والناسُ يقتصُّون آثارَهْ
وطالت النجمَ به همّةٌ ... تقضِى من الغايات أوطارَهْ

(١) الجمة : الماء الكثير المجتمع . (٢) القارة : قبيلة مشهورة بالرماية، وفى المثل "أنصف القارة من راماها" . (٣) يسنى : يرفع . (٤) العبل : الضخم .

أبلـجُ ودّ البـدرُ لو صُـيِّرتْ لوجهــه عِمّتُــهُ دارَهْ[1]
مَــوَّلَهُ المجـدُ فلم يكترِثْ إقــلالَه المـالَ وإكثارَهْ
كفَت به القــدرةُ لما سطت أيدٍ مــع القــدرة جبّارَهْ
سالِمْــهُ وآحــذَرْ صافيا ماءَهُ وهْجــه وآحــذَرْ صاليا نارَهْ
إن نام راعى السَّرحِ فى الأمن لم يكحَلْ بطعم النــوم أشفــارَهْ
ولم تكن ثَلّتُــه[2] نهــزةً يُطمِعُ فيها الذئبُ أظفــارَهْ
أو شَرَعــوا فى الشرّ عافت له نفسٌ بفــعل الخـير أمّارَهْ
كفى "الإمامين" بتــدبيره مخـاوفَ الخطبِ وأخطـارَهْ
وٱستسبغا من رأيه نَثْــلةً[3] ضافيــةَ الأذيالِ جــرّارَهْ
حلّتْ عن المـاضى فعادت يدُ ال باقى بهـا تَعــقِدُ أزرارَهْ
قام بأمرِ الله مســتخلفٌ كنت لجــرح الدين مِسـبارَهْ
أرهفَ من نصحِك صَمصامةً بيضاءَ مثــلَ البــدرِ نيَّارَهْ
أُخرِست الفتنــةُ عن ملكه بالأمس والفتنــةُ نعّارَهْ
وزارة حصَّنْتَ أمــوالَه فيهـا كما حصَّنْتَ أســرارَهْ
فابلـغ به أقصى المــنى مثلما بلَّغَــهُ ســعيُك إيثارَهْ
وٱســتخدم الأيّامَ نفّاعــةً تجــرى بمـا شئتَ وضرّارَهْ
لا يرفع الإقبـالُ مســتقبلا غِطاءَه عنــك وأستـارَهْ
يزيرك النــيروزُ فى روضــةٍ من مِــدَحى أحسنَ زوّارَهْ
غنّـاء شــقّ الشّــعر ثرثارَه لهـا وأجرى الفكرُ أخطارَهْ

---

(١) الدارة : الهالة التى تحيط بالبـدر والشمس . (٢) الثلّة : جماعة الغنم الكثيرة .
(٣) النثلة : الدرع الواسعة المحكمة .

مقيمـــة عنـــدك لكنّها بعَـــرفها فى الأرض سيّـارَهْ
تحقّقتْ بالكَلِم الفصْـــلِ[(١)] فالـ ـمُلك لهـا والنـاسُ نَظّـارَهْ[(٢)]
تشربُ [من حوضِ][(٣)] المعانى، وما تُفضِـــلُ للـــوارد أسآرَهْ[(٤)]
وهى مع الإفـــراط فى حبِّـــكم حامـــلةٌ للهجـــر صـــبّارَهْ
تُنسَى وتقصَى غـــير منســـيّة وهى مع الإعـــراض ذكّارَهْ
تحنُّ للجـانى وتحتـال للـ ـمقصِّر المهمِـــلِ أعـــذارَهْ
يُقنعهـا الإنصاف لو أُنصفَتْ وتطلبُ المـالَ وإكثارَهْ
حظُّك منهـا صـــفوُ سلسالها إن رنَّقَ[(٥)] المـادحُ أشـــعارَهْ
وإنّ صـدق فيـــك أعتـــدّه من كـذبى فى النـاس كفّارَهْ

* * *

وكتب الى وزير الوزراء عميـد الدولة أبى سعد بن عبد الرحيم وهو مقيم بسرّ من رأى، يستوحش لبعده، ويهنئه بالنيروز

أولى لهـا أن يَرعوى نفارُها وأن يقـــر بالهوى قـــرارها (٢٠٦)
وأن تُرى ميســـورةً خبْطاتُهـا من مَرِحٍ[(٦)] منشـــوطةً أسيارُها
تُرعى وتُروَى ما ضـــفا وما صفا وللـــرُّعاة بعـــدَها أسآرُها

---

(١) فى الأصـل "الفضل" . (٢) النظّارة : المشاهدون . (٣) هـذه الكلمة ليست فى الأصـل . (٤) أسآر جمع سؤر وهو بقية الماء فى الإناء أو الحوض، وقـد ورد هـذا البيت فى الأصل هكذا :

* تشرب المعانى والوارد ما يفضل أسواره *

ويكون معنى البيت على ما رجّحناه : أن قصائده تشرب من حوض المعانى ولن يرد أسآر هـذا الحوض ما تتركه وتبقيه، ويشير بذلك الى غيره من الشعراء الذين يردون حوض المعانى فلا يجدون فيه إلا ما أبقاه مما لا خير فيه . (٥) رنّق : كدّر . (٦) المرح : النشاط .

حـتى تروحَ ضخمـةً جُنوبُهـا ... بخِصبهـا شاكرةً[1] أو بارُها
وكيف لا وماء "سَلع" ماؤها ... مقـلوّةٌ و"العلّمان" دارُها
ودونهـا من أسلاتِ "عامرٍ" ... جمرةُ [حربٍ][2] لا تبـوخُ نارُها
وذمّـةٌ مرعيّـةٌ أسـندَها ... الى حفاظ "غالبٍ" "نزارُها"
لا شلها[3] ممّـا تطـورُ[4] همّـةٌ ... لطاردٍ فيـه ولا عـوّارُها
كأنّها بين بيـوتِ قومهـا ... نواظـرٌ تمنعهـا أشـفارُها
نعم! سقى الله بيـوتا "بالحمى" ... مسـدلةً على الدُّمى[5] أستـارُها
وأوجها بشـفّ من ألوانها ... عنصرُها الكريمُ أو نجارُها[6]
سَـواهمًا[7] ما ضرّها شحـوبُها[8] ... ومن صـفاتِ حسنها آستمرارُها
لم أر ليـلا فى الحياة أبيضـا ... إلا بأن تطلُـعَ لى أقمـارُها
كم زورةٍ على "الغضا" تأذَنُ لى ... فيهـا بيوتٌ لم تصـلْ زُوّارُها
وليـلةٍ سامحـنى رقيبُهـا ... عمـدا وأخلى[9] مجلسى سُمّـارُها
فبت أجـنى ثمر الوصـل بهـا ... من شجـراتٍ حـلوةٍ ثمـارُها
وخـلوةٍ كثيرةٍ لذّاتُهـا ... قليـلةٍ على الصِّـبا أوزارُها
لم يتوصّمْـنى بريبٍ سـرُّها ... صـونا ولم يُقـدَر علىّ عارُها
وأمّ خشف طيّبٍ حـديثُها[10] ... بين الوشاة طاهرٍ إزارُها
باتت تعاطينى على شرط المـنى ... نخبـةَ كأسٍ ريقُهـا عُقارُها

---

(١) يقـال: شكرت الدابة بمعنى سمنت فهى شاكرة. (٢) هذه الكلمة ليست فى الأصل.
(٣) شلها: طردها. (٤) تطور: تقرب وتدنو. (٥) فى الأصل "الدنى جمع دنيا" ولعلها محرفة وإن كانت لا تخلو من معنى. (٦) النجار: الأصل. (٧) سواهم: متغيرة فى لونها. (٨) الشحوب: تغير لون الوجه من هزال أو جوع أو سفر. (٩) فى الأصل "وأحلى". (١٠) الخشف: ولد الظبية.

سَكرى وفى لِثاتِها جَمَّارها الـ ـساقِ[1] وعَطْرَى نشرُها عَطَّارُها
يعرفنى بين البيوت ليلُها بمبسِمٍ يُنكِره نهارُها
الحبّ لا تملكُنى فحشاؤه الـ ـتقصوى ولا يُسمعُنى أمَّارُها
وطُرُقُ العلياء لا تُعجِزنى سعيا ولا تُوحشنى أخطارُها
وقولةٍ لا تُرتَقَى هضبتُها ولا تخاضُ غزرا[2] غمارها
عوصاءَ[3] للألسن عن طريقها [تَعتَعَةٌ[4]] الزالق أو عثارُها
كنتُ الى الفضل أبا عُذرتها[5]، وللرجال القالةِ[6] آعتذارها
قمتُ بها، تمدّنى من خلفها دافعةٌ ما كُسعتْ أعيارُها
كأننى من فضل أيمانِ بنى "عبد الرحيم" واقفا أمتارها
أرسلتُها محكمةً سيّارَةً لا لغوها منها ولا عَوَارُها
وكيف لا وإنما آثارُهم قُصَّتْ وعنهم رُوِيَتْ أخبارُها
سقى الحيَا ذكرَ ملوكٍ كلّما ماتَ الندَى أنشره تذكارُها
وزاد عِزًّا أنفسا تحلّقت فوق السها وما آنتهتْ أقدارُها
تزداد حرصا كلّما زادت ندًى ترى المعالى أنّه قُصارُها
وإن قست أيدى الغمام وآلتوتْ فقيلَ فى يمينها : يسارُها

---

(١) فى الأصل "الساني" . (٢) غزرا : ممتلئة . (٣) العوصاء : الكلمة الغريبة أو الصعبة . (٤) فى الأصل "تعتا" والتعتعة : آرتطام الدابة فى الرمل والوحل والخَبار أى وعوثة الرمال ومنه قول الشاعر :

يتعتع فى الخَبار اذا علاه * ويعثُر فى الطريق المستقيم

ومن ذلك يتضح تصويبُ ما رجّحناه . (٥) يقال : فلان أبو عذرتها بمعنى أوّل من آقتصها وقد تُوُسِّع فى آستعماله فصار بمعنى : أوّل من أتى بكلام لم يأت به غيره . (٦) القالة جمع قائل .

فعضـدَ اللهُ أكفا سَـبْطةً[1] تُنـدَى ببوع[2] غيرها أشـبارُها
ما ضرَّ أرضا تستميحُ صوبَها أنَّ السماءَ لَحِـزْت[3] أمطارُها
دوحةُ مجـدٍ بَسَقتْ غصونُها من حيث طابَ وزكَى قـرارُها
شَـقَّ لها فى "فارس" إماؤها حُرَّ الـترابِ وهُمُ أحـرارُها
مطعمـةٌ مورقـةٌ لا ظلُّها يضـوى[4] ولا يُغبُّك[5] استثمارُها
كلُّ زمانٍ عامها ربيعُها لا جدبُ شهباء[6] ولا إعصارُها[7]
وحسبُها أنّ الوزيرَ فَـلَقٌ أبلـجُ مما قدَحتْ أنوارُها
شُجِّرَ منها وهو فى حكم العـلا قُطْبٌ على سـعوده[8] مـدارُها
ما برحت يبعثها استعلاؤها عـلى عِضاهِ[9] المجـدِ واشتهارُها
كأنها كانت ترى مـذ بدأتْ أنَّ اليـه ينتهى نفـارُها
وللعـالى فى الفـتى إمارةٌ واضحـةٌ من قبلها منارُها
الى "عميد الدولة" اشتطَّت بنا مـوائرٌ[10] لا تُقتـفَى آثارُها
تنشُر من أخفافها أجنحـةً وخيـدُها[11] على الثرى مَطارُها
كلُّ طريقٍ نفَضَتْ الى العـلا فهى وإن تطاولَتْ مِضمارُها
لا تتـوقَّى شوكة الأرض ولو ذابَ عـلى حَرِّ الظِّـراب[12] رارُها[13]

(١) سبطة : كريمة سهلة . (٢) فى الأصل "بنوع" . (٣) لحزت : بخلت وشحت .
(٤) يضوى : يدقّ ويهزل . (٥) لا يغبّك : لا يأتيك يوما بعد يوم بل يأتيك كل يوم .
(٦) الشهباء : السنة الشديدة لا خضرة فيها . (٧) فى الاصل "أعطارها" . (٨) فى الأصل "سعود" . (٩) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك واحدته عضاهة . (١٠) موائر جمع مائرة وهى المتحركة بسرعة . (١١) الوخيـد : سعة الخطو أو رمى البعير بقوائمـه كمشى النعام .
(١٢) الظراب جمع ظَرِب وهو ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طرفهُ . (١٣) الرار : المخ

تَسفِرُ[1] فى الحاجات وهى [عدّة][2] على بلوغِ ما ابتغَى سُفَّارُها
تدلُّها فى الشُّبهاتِ سُرُج[3] هنّ على جُرح الفلا مِسبارُها
لا تعرف العذرَ على غضّ السُّرى اذا المطايا عُذِرت أبصارُها
تمضى حنايا ذُبَّلا شخوصُها سهامُها تُنفَضُ أو أوتارُها
حتى اذا شرعنَ فى حياضه خالَفَ من إيرادها إصدارُها
تلقاه خِفًّا[4] فاذا تروّحتْ فكالحضاب فوقها أوقارُها[5]
يصوّت الجودُ بها : ألا كذا عن الملوك فايعُدْ زُوّارُها
على نداك "شرفَ الدين" ربَتْ فِصالُها[6] وبَزَلَتْ[7] بِكارُها[8]
وعندك الفاسُ من أعطانها والأمنُ إن أرهقها حِذارُها
موسمُ فضلٍ لا تبورُ سُوقُه ودار عزٍّ لا يذلُّ جارُها
وأعطياتٌ وحلومٌ عجِبتْ منها جبالُ الأرض أو بحارُها
قد درَت الدنيا على جهلاتها أنك خيرُ من حوت أقطارُها
الكوكبُ المفردُ من أبنائها إن خُيِّرت لم يَعْدُك اختيارُها
تكثَّرتْ بواحدٍ منك كما قلَّها من الورَى إكثارُها
وأيقنتْ دولةُ "آلِ باسلٍ" أنّك يومَ بطشها جبّارُها
وأن ما تنظِمُ من تدبيرها مريرةٌ[9] لغيرك انتسارُها[10]

(١) تسفر : تتوسط . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٣) سرج جمع سراج ، ويراد بها النجوم ، وفى الأصل "سرح" . (٤) خفًّا : خفيفة . (٥) الأوقار جمع وقر وهو الحمل الثقيل . (٦) فصال جمع فصيل وهو ما فصل عن أمه . (٧) بزلت : صارت بازلا أى مسنّة . (٨) بكار جمع بكرة وهى الفتيّة من الإبل . (٩) المريرة : الحبل المفتول . (١٠) انتسارها : نقضها .

اذا قُرِبَتَ خافها أعـدائها وإن نأيتَ خافها أنصارُها

غادرتَها منـذ ٱعتزلتَ بيتَها لها نبـوُّ العين وٱزورارُها

يـلاثُ[1] قُبحا لا عَفـافا وتـقًى على صـفاحِ وجهها خِمارُها[2]

مطروحـةٌ للضـيم لا يمنعها قنا المحامين ولا شِـفارُها

تمـدّ للخطب يدا مقبوضـةً لا سـيفُها فيها ولا سِـوارُها

وٱجتمعتْ عـلى تنافى بينها الـ ـأهواءُ فيـك وٱستوتْ أقدارُها

وٱعترفتْ لك العـدا ٱعترافَنا بالحـقّ إذ لم يُغنها إنكارُها

وآمنتْ أنّـك فينا آيـةٌ باقيـةٌ وحُسْنَ ٱستبصارُها

ولو رأتْ وجـهَ الجحودِ جَحَدَت وإنما ضـرورة إقـرارُها

يا من به ٱستحليتُ[3] طعمَ عيشتى من بعـد ما قَضَّ فى إمرارُها

وردّ أيّامى عـلى إصـرارها مُنيبـةً[4] يُخجلنى ٱعتـذارُها

ومن تحرَّمتُ به فـلم يَضِعْ ذمامُ آمالى ولا ذِمارُها

فى كلّ يـومٍ نعمةٌ غريبـةٌ أُوهَبُها كأنى أُعارُها

تأتى وما أنصـبنى تطاوُلٌ لها ولا عـذَّبنى ٱنتظارُها

محلّيا من عَطَلى لَبوسُـها وراقعا من خَلَلى نُضارُها

أقـربُ ما يكون منّى وصلُها اذا نأتْ أو بعُـدتْ ديارُها

فما يضُرّ حسنَ حظّى منكُمُ تصاعُدُ العيس ولا ٱنحـدارُها

لكنَّ شـوقا حرَّه فى أضلعى جنايـةٌ لا يُملَكُ ٱغتفارُها

ولوعـة اذا تنفّستُ لها عن كبـدى حرّقنى أُوارُها[5]

---

(١) يلاث : يلفّ . (٢) الخمار : ما تغطى به المرأة رأسها . (٣) فى الأصل "استجليت" . (٤) منيبة : راجعة تائبة ، وفى الأصل "مبيتة" . (٥) الأوار : حر النار .

فهل لهذا الداء من راقيةٍ ... ينفثُ فى عُقدته سَحَّارُها

أم هل يكونُ من لطيف برِّكم ... زيارةٌ تُقضَى بكم أوطارُها ؟

وإنها على النوى لآيةٌ ... معجزةٌ ، عندكم آحتقارُها

لا قلَّصتْ عنكم ظلالَ مُلككم ... نوائبُ الدهر ولا أقدارُها

ولا أحالَ من قشيب[1] عزِّكم ... مرورُ أيّامٍ ولا تَكرارُها

وحالفتكم نعمةٌ صحيحة ... عهودُها ، طويلةٌ أعمارُها

ونَمَّرتْ[2] أوجهَها عن غيركم ... دولةُ دنيا لكُمُ إسفارُها

عمن يُعادى مجدكم زوالُها ... وعندكم برغمه آستقرارُها (٢٠٣)

وسائرات بالثناء[3] لا يُرى ... مستعفيا من دأبِ سيّارُها

لا تخلُقُ الظلماءُ فى بسطتها ... قبضا كأنّ ليلَها نهارُها

تطوى الفيافى لا خفارات لها ... إلا الذى تضمنه أسطارُها

تشتاقها[4] الأرض وبعدُ لم تصلْ ... لأنّها تسبِقُها أخبارُها

يخالها النادى اذا آجتازت به ... لطيمةً[5] مرَّ بها عَطّارُها

تحملُ آثاما بمدح غيركم ... حتى تُحَطَّ بكُمُ أوزارُها

تُهدِى لك الأعيادُ منها طُرَفا ... جواهرا تحت فمى بحارُها

مما توحدتُ به لم تُفتَرَعْ ... لا عُونها قبلُ ولا أبكارُها

ودّت "تميم" وخولُ "وائلٍ" ... من قبلها لو أنّها أشعارُها

---

(١) القشيب : الجديد . (٢) نمّرت : غطّت . (٣) فى الأصل "بالشاء" .
(٤) فى الأصل "تسناوها" . (٥) اللطيمة : نابجة المسك .

وقال يمدح الوزير كمال الملك أبا المعالى فى المهرجان

هـــل لقتيلٍ على "اللوى" ثائـرْ ... أم هل لليلِ المحبِّ من آخرْ؟
أم الفـــتَى جائـــدٌ بمهجتـــه ... عـــلى بخيـــلٍ بقـــوله غادرْ(١)
خاطـــرَ فى حبّ ظالمٍ لم تجـــزْ ... قـــطُّ له رحمـــةٌ عـــلى خاطـــرْ
يحسب كلَّ الأبدان يومَ "منىً" ... بُدْنَ(٢) الهدايا تحـــلُّ للعـــاقرْ
له من القتـــل باعثٌ لا يُقـــا ... ويه من الحزم والتـــقَى زاجرْ
اذا كريمٌ عفـــا لقـــدرته ... أغـــراه بالشـــرّ أنّـــه قادرْ
يحصب "وادى الجمارِ" يستغفر الله ... ومَن للـــدماء بالغـــافـــرْ
كلُّ حصـــاة بتراء تُنبَـــذ بالـ ... ـوادى حســـامٌ من كفّه باترْ
رامٍ بســـبع اذا رأى كبِدًا ... قرطسَ(٣) من واحـــدٍ الى العاشـــرْ
عـــزَّ قبيـــلى وخاننى وأنا الـ ... ـمظلومُ فى حبـــه بلا ناصـــرْ
لو كان فى "بابلٍ" رُضـــابا(٤) وألـ ... ـحاظا(٥) لقلتُ(٦) الخمَّارُ والســـاحـــرْ
تاجرْ هـــواه وثِقْ بذمّتـــه ... تكن شريكَ(٧) المقمورِ(٨) لا القـــامرْ
يلقاك من قـــدّه وإمرته ... يوم التقاضى بالعادل الجـــائـــرْ
يا قلبُ صـــبرا عساك حين حُرِمـ ... ـتَ الوصلَ تُعطَى مَثوبةَ الصابرْ
ولا تُسَمِّ الهجـــر الملال وعِشْ ... بالفـــرق بين الملولِ(٩) والهـــاجر
حَجْرٌ عليـــك الإطرابُ بعـــدَ ليا ... ليك اللواتى آنطوت على "حاجرْ"

(١) فى الأصل "عاذر" . (٢) البدن جمع بدنة وهى الناقة تُنحر بمكة . (٣) قرطس : أصاب الغرض . (٤) الرضاب : الريق المرشوف . (٥) فى الأصل "وخمّاطا" . (٦) فى الأصل "لقلب" . (٧) المقمور : المغلوب فى لعب القمار . (٨) القامر : الغالب فى لعب القمار . (٩) فى الأصل "الملوك" .

ذلك عهدٌ ناسِى بشاشتِه أسعدُ حظًّا به من الذاكرْ
كم عثرةٍ بين "زمزمٍ" لك و"الـ ـمشعرِ" لا يستقيلُها العاثرْ
أفسدتَ فيها فريضة الحجّ بالـ ـذُّلِّ لغير المهيمن القاهرْ
قلبُك فيها على التنسُّك معـ ـقودٌ وللفتك فعلُك الظاهرْ
فأنت بين الإحرام والحبِّ للـ ـأصنامِ لا مؤمنٌ ولا كافرْ
تخضَعُ منها لصورةٍ فُطِرتْ ويَخضَعُ المخبِتونَ(١) للفاطرْ
حسْبك كان الشبابُ يسترمن نفسِك ما الشَّيب ليس بالساترْ
قد آن أن ينفعَ الملامُ وأن تلزَمَ فى العدل طاعة الآمرِ
طارت، بعزماتك المُضلّة من شيبك هذا، عُقابُه الكاسرْ
غاب الشباب المغرِى وقد حضَرالـ ـشَّيبُ نذيرا والحكمُ للحاضرْ
قِفْ! قد مضتْ غفلةُ الخليع بما فيها وقوفُ المستبصر الناظرْ
شَمِّر وخُضْها ما دمتَ خائضها فربّما طَمَّ(٢) ماؤها الغامرْ
والشعرَ صنْه فالشعرُ يحتسب اللهَ اذا لم يُصَنْ على الشاعرْ
لا تمتهنه فى كلّ سوقٍ فقد تربَح حينا وبيعُك الخاسرْ
أُنظرْ الى مَنْ، وفى مدائح من أنت — وقد بات نائما — ساهرْ
اِختَرْ ولودا للفهم منجبةً فأكثرُ الفهمِ مُحمَقٌ(٣) عاقرْ
غالِ به واْستِمِ(٤) المهورَ الثقيـ ـلابِ وصاهرْ أكفاءَها صاهرْ
وآحنُ عليه فإنّه ولدٌ أبوه قلبٌ وأمُّه خاطرْ
صَرِّفْهُ فيما يَرضى العلاءُ به ويَعمُر العرضَ بيتُه العامرْ

(١) المخبتون : المطمئنون الى ربّهم . (٢) طمّ : غمر . (٣) المحمق : المرأة جاءت بولد أحمق . (٤) استم : فعل أمر من آستام يقال : آستام البائع السلعة بمعنى عرضها وذكر ثمنها .

إمّا لفخرٍ يصدّق النسبَ الحـ ـرَّ ويُحيي ذكرَ الأبِ الداثـرْ
أو لأخٍ يشفع الـودادُ بمـا يرضيه منـه بالفـذِّ والنـادرْ
أو مَلِك رحتَ منـه فى نعـيم أنت لهـا لا محالة شـاكرْ
ترى من الوِرْد فى شريعته الـ ـعذبة(١) آثارَ غيظـةِ(٢) الصـادرْ
من "آل عبد الرحيم" حيث عهِد تَ العُشُبَ الكهلَ والحيا القاطرْ
والبيت من أينما آستُضِفتَ به فأنت فى الجدب لابنٌ(٣) تامرٌ(٤)
حيث القِـرى لا تُكَبُّ جفنتُـهُ(٥) والنـارُ لليـل أوّلا آخـرْ
والبُزْلُ(٦) لا تُعقَل الوديكةُ(٧) والـ ـكَوْماءُ(٨) إلا بشـفرةِ(٩) الجازرْ
والنضـدُ(١٠) الضخمُ والأرائـك يؤ ثَرْن لجنبِ النـديم والسـامرْ
كم قمـرٍ منهُـمُ ولا "ككما ل الملك" ضوّاك نورُه الباهـرْ
تَمَّ فأبصـرتَ أو سمعتَ به ما لم تكن سامعا ولا ناظـرْ
أربابُك المـالكون رقَّك من ماضٍ سـعيدٍ وسـيّدٍ غابرْ
تـورّث فيهـم فأنت ينقُلك الـ ـميراثُ من كابرٍ الى كابرْ
تأنس إن قيل : غرسُ نعمتهم وأنت منهـا فى غـيرهـم نافـرْ
فـما الذى رَدّ عن حميّتـه أنفَك فانقـدت فى يد القاسـرْ؟!
بلى تصـبّاك فى خلائقهـم مرتبِـقٌ(١١) فى حبالهـم آسـرْ

(١) فى الأصل "العذقة" . (٢) فى الأصل "غيظه" . (٣) اللابن : من عنده لبن كثير . (٤) التامر : من عنده تمر كثير . (٥) الجفنة : القصعة . (٦) البزل جمع بازل وهو البعير فطر نابه أى آنشـقّ بدخوله فى السنة التاسـعة . (٧) الوديكة : السمينة الضخمة . (٨) الكوماء : الناقة المرتفعة السنام . (٩) الشفرة : السكين . (١٠) النضد : السرير . (١١) المرتبق : من يشدّ الربقة وهى حبل يجعل لشدّ البهم .

ورقيـــة يُخرِجُ الأُســـودَ بهـا ... "أبو المعالى" من غيلها الغابرْ (١)
تنفُثُ أخلاقُه العـــذابُ فيُجـ ... ـرين الصفا (٢) قبـل صِلّه الحـادرْ
دلّ عـــلى مجدِ قومـه، وعلى الـ ... ـصّـبح دليـــلٌ من نوره الفـاجرْ (٣)
وقدّمـــوه طليعـــة يصف الـ ... ـفخر ووافَوا بالكوكب الزاهرْ
أبلج تُمسى النجـــومُ راكدةً ... وكوكبُ الســـعدِ برجُهُ السائرْ
فى الأرض منهـــم لعـــزّهم فلكٌ ... بكلّ ما شاد ذِكرهم دائرْ
أراكة حـــلوة الثمار بـــه ... لم تَشْـــقَ فى لقحها يدُ الآبرْ (٤)
عـــدّلَ مَيـــلَ الدنيا وثقّفها ... ـ حتى آستقامت ـ تدبيرُه الآطرْ (٥)
وآبتســـم الدهرُ تحت ســـيرته ... وعـــدلِه وهـــو عابسٌ باسرْ
كأنما رأيه عـــلى لهب الـ ... ـخطب جُمادى (٦) صُبَّتْ على "ناجرْ" (٧)
وجمـــرة دون سُـــدّة الملك لا ... يثبت وجـــهٌ لوجهها الزافـــرْ
ينهال تحت الرِّجل القويمـــة جا ... لاها (٨) بمـا عمّقتْ يدُ الحافـــرْ
قام عليهـا فألقم الحجـــرَ الـ ... ـهاتمَ فيهـا فمَ الردى الفاغرْ
تجُـــد إمّا بماء صارمـــه الـ ... ـباترِ أو ماءِ كفّه المائرْ
طَبٌّ بأدواء كلّ معضـــلةٍ ... يغالط الحسَّ عرقُها الفائرْ
قـــد جرّبوه وآخرين فما ... أُشـــكِل بين الوفىّ والغادرْ
وآعـــترف المنـــكرون بالآية الـ ... ـكبرى آضطرارا وآمَنَ الفاجرْ

---

(١) الغابر : ما علاه الغبار . (٢) الصفا جمع صفاة وهى الحجر الصلد، والصلّ : الحيّة .
(٣) الفاجر : المنبثق كالفجر . (٤) الآبر : متعهد الزرع ومصلحه . (٥) الآطر : العاطف .
(٦) جمادى : يقال للشتاء عند العرب : جمادى لجمود الماء فيه . (٧) ناجر : شهر رجب أو صفر أو هو كل شهر واقع فى صميم الحر . (٨) الجال : ناحية القبر والبئر، وفى الأصل "حالاها" .

جاراكمُ (١) النـاسُ يدأبون فما ... شَـقّ هجينٌ (٢) عجاجةَ (٣) الضامرْ
وقارعـوكم على العـلا سـفَها ... فما وفى بالمـدجّج (٤) الحاسـرْ
وقـد رأى من نصحته فأبى الـ ... ـنصحَ وكان (٥) الخلافُ للخـاسِرْ
وكيف يبـقى على زئـيركُمُ ... قلبُ قطاةٍ يُراعُ بالصافـرْ
وأسـعد النـاس ربُّ مُلكٍ له ... منكم ظهـيرٌ وعاضـدٌ وازرْ
أنتم لها تمسحون غاربَها ... بأذرعٍ (٦) لا يقيسها الشـابرْ
وأمرُها كيف غيَّر الدهرُ أو ... بدَّل فيها اليكُمُ صـائرْ
منـارُها فيكُمُ وقِبلتُها ... والنـاسُ من تائهٍ ومن حائرْ
فـلا يزل منـكُمُ لها ناظمٌ ... يجمـع منها ما بدّد النـاثرْ
ولا أتيحت عِصِيُّ عزّكُمُ ... لملتح منهُـمُ ولا قاشـرْ
ولا تزل أنت كالقضـاء بما ... تطلبُ من كلّ بغيـةٍ ظافرْ
تلتـثم الحادثاتُ من نجـلٍ ... عنـك اذا راع وجهُها السـافرْ
وناوبت ربعَـك السحائبُ من ... مـدحى بهامٍ مروِّضٍ هامرْ
بكل وطفاءَ (٧) تطمئنّ بفـا ... جُ الأرض منها للرائح الباكرْ
يكسو الثرى ماؤها وترتدعُ الـ ... ـحصباءُ طيبا من ريحها العاطرْ
تُشهَد فى المنصب الكريم وتحـ ... ـمى العرضَ والعرضُ مهمَل (٨) شاغرْ
يزفُّها الحبُّ والرجاء الى ... بابك من كاعبٍ (٩) ومن عاصرْ (١٠)

(١) فى الأصـل " جازاكم " . (٢) الهجين : غير العتيق . (٣) العجاجة : الغبار .
(٤) الحاسر : من لا مغفر له ولا درع . (٥) فى الأصـل " الحلات " . (٦) فى الأصل " ذرع " . (٧) الوطفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها . (٨) الشاغر : الذى ليس له من يحميه . (٩) الكاعب : الجارية نهد ثديها . (١٠) يريد بالعاصر : التى بلغت شبابها ، والذى تقول به معاجم اللغة " معصر " ولعله أجراها هذا المجرى للازدواج .

تجارة لا تبـور والمشـترى سمعُـك منها وقلبَ التـاجرْ
أعظمها عن سـواك أنك للـ ـأموال فيها مسـتصغرٌ حاقرْ
ووُدُّ نفسى لو أنّ باطنَها يُحمَـلُ فى حبّكم على الظاهرْ
وأن تَرَى عينُـك العليَّـةُ من تحت شَـغافى نصيبَك الوافـرْ
فتصرف الشـكّ باليقين اذا بـلوتَ سرّى بالفاحص السابرْ (١)
ذاك آعتقـادى وإننى لدمِ الـ ـوفاء إن كنتُ مُدهِنـا هادرْ (٢)
فآقبـل ولا تنس من حفاظِىَ ما أنت بفضـل المجا له ذاكرْ
وآعلم بأنى ما آشتقت عهدالصبا الـ ـعافى ولا سكرة الغـنى الغامرْ ،
شـوق الى أن أراك أو أشترى ذاك بإنسان عيـنِىَ الناظرْ
فـلا تُصبْنى فيـك المقادير بالـ ـقاصد (٣) من سهمها ولا العـائرْ (٤)
وزارك المهـرجانُ يحمـل من سـعدك أَوْفَى ما يحمـلُ الزائرْ
يومَ أماتوا بالغـدر بهجتَـهُ وأنت منـه رعايةٌ ناشـرْ
أتاك فى الوفـد يعتفى روضَك الـ ـغضّ ويعتـامُ بحـرَك الزاخرْ
فاجتلِ منـه المبرّزَ الحسنِ فى الـ ـعين وفزْ بالمبارَك الطائرْ

* * *

وقال يمدح زعيم الملك أبا الحسن ويهنئه بالنيروز

وفى لى بك الحظُّ الذى كان يَغـدِرُ وصحَّ لِىَ الدهرُ الذى يتغـيَّرُ
وسالمـنى صرفُ القضاءِ و بيننـا فـلولُ المواضى والقنا المتكسّرُ

(١) السابر : من يسبر الجرح ليعرف غوره ، وفى الأصل "السايِر" . (٢) المدهن : المنافق المخادع . (٣) القاصد : السهم المستوى نحو الرمية . (٤) العائر : السهم لايُدرَى من رامِيه ، وفى الأصل "العابر" .

وحسَّنتُ ظنّى فى الزمان وأهلِهِ ... فأصبحتُ أرجو وصلَ من كنتُ أحذرُ
وعرَّفنى فيمن رأى غاية العـلا ... فطالبَها بالسـعى كيف يُشمِّرُ
وكيف يغارُ الحرُّ من ثَلْمِ مجـده ... فيدعَمـه بالمكرماتِ ويعمـرُ
حنـوًّا وفى قلب الزمان قساوةٌ ... ورَعيًا لحقّى وآبنُ أمّى يَخفِـرُ (١)
ورفـدا هنيئا تستقلّ كثيرَهُ ... ووُدًّا وما تُسنِى (٢) من الودّ أكثرُ
عطاؤك كافٍ وآعتـذارك فضلةٌ ... وغـيرك لا يعطِى ولا يتعـذَّرُ
وفيتَ لآباءٍ تكلَّفتَ عنهـمُ ... فضائلَ ما سـنّوا الفخارَ وسيَّروا
كرامٌ طواهم ما طوى النـاسَ قبلهم ... وأنت لهم من ذلك (٣) الطىِّ مُنشِـرُ
مضَـوا سلَفا وآستخلفوك (٤) لذكرهم ... خلودا فـلم يُخزِ (٥) القـديمَ المؤخَّرُ
وأبقَوا حديثـا طيِّبا منك بعـدهم ... وقد علموا أنّ الأحاديثَ تُؤثَـرُ (٦)
وزَنَّاهُمُ بالنـاس بيتا وأنفُسًـا ... فزلّت موازينٌ وزادوا وثمَّـروا
وجئتَ بمعـنى زائدٍ فكأنهم ... — وما قصّروا عن غاية المجد — قصّروا
وإن أبا أبقاك مجـدا لعقبِهِ ... وإن عَبطتْـه (٧) ميتـةٌ (٨) لمعمَّـرُ
أقـول لركبٍ كالأجادل (٩) طوَّحتْ ... بهـم قامصاتٌ كالأهلة ضُمَّـرُ
على قمم البيـداء منها ومنهـمُ ... — اذا خفق (١٠) الآلُ (١١) — المُلاءُ (١٢) المنشَّرُ
رمت بهـم الحاجاتُ كلَّ مخوفـة (١٣) ... اذا سار فيها النجم فهو مغـرر (١٤)

(١) يخفر : ينقض العهد و يغدر . (٢) تسنى : تجعله سنيًا ذا رفعة . (٣) فى الأصل "ذاك" . (٤) فى الأصل "وآستحلفوك" . (٥) فى الأصل هكذا "يحن" . (٦) فى الأصل "تؤشر" . (٧) عبطته : أردته بغتة من غير علة ، وفى الأصل "غبطته" . (٨) فى الأصل "منه" . (٩) الأجادل جمع أجدل وهو الصقر . (١٠) خفق : اضطرب ، وفى الأصل : "أخفر" . (١١) الآل : السراب . (١٢) الملاء جمع ملاءة وهى ثوب ذو لفقين (الملاية) . (١٣) المخوفة : المفازة . (١٤) المغرر : المعرض نفسه للهلاك ، وفى الأصل "وهو مغور" .

اذا الليلة العمياءُ منها تصرّمت ... تولّاهُمُ يومٌ من التيه أعورُ
رأوا رزقَهم فى جانبٍ متعذّرا ... تطاوله أعناقُهم وهى تقصُرُ
خذوا من "زعيم الملك" عهدا على الغنى ... وردُّوا المطايا فاعقلوها وعقّروا
دعوا جانبَ البرّ العسوفِ وحوّموا ... على البحر بالآمال فالبحرُ أغزرُ
ولا تحسبوا أفعال قوم ذلاتُمُ (١) ... عليها كما تُروَى الأسامِى وتُذكَرُ
فما كل خضراء [من] (٢) الأرض روضة ... تراد ولا كل السحائب تُمطِرُ
"ببغداد" فى "دار السلام" محجب ... على عادة الأقمار يخفى ويظهرُ (٢٠٦)
اذا كتمته رِقْبةٌ أو مكيدةٌ ... وشى بمعاليه العطاء المشهّرُ
كريم يرى أنّ الغنى تركه الغنى ... وأنّ اتقاءَ الفقر بالفقر مُفقرُ
غلامٌ اذا ما عدّ أعداد سنّه ... ويومَ قضاء الحزم شيخٌ موقّرُ
تمرّن طفلا بالسيادة مرضَعا ... يدرّ عليه خِلفُها ويوفّرُ
له من مقامات الملوك صدورها ... يقدّم فيها إذنَه ويؤخّرُ
زعيما على التدبير لا هو حاجةٌ ... يعانُ على أمرٍ ولا هو يؤمَرُ
له من (٣) سرايا رأيه ولسانه ... اذا نازل الأقرانَ جيشٌ مظفّرُ
وأهيفُ يُرى فى العظائم حدُّه ... ومنظرُه فى العين (٤) يضوى ويصغرُ
ترى الرزقَ والآجالَ طوعَ قضيّةٍ ... تُخَطُّ على أمريهما وتُسَطَّرُ
ومرٌّ على الشحناء، حلوٌ على الرضا ... وللضيم (٥) يحلولى فلا يتمرّرُ
ضحوكٌ اذا حكمته متطلّق (٦) ... وأشوسُ (٧) إن نازعته متنمّر

---

(١) فى الأصل هكذا "للتم" . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٣) سرايا جمع سريّة وهى القطعة من الجيش ، وفى الأصل "سرا" . (٤) يضوى : يهزل ويدق . (٥) فى الأصل هكذا "محلوا" . (٦) المتطلق : المنبسط الوجه . (٧) فى الأصل "باشوس" .

كفى الملك ما أستكفت لحاظُ جفونها ... وأغناه ما أغنى عن الكفّ مِنسرُ (١) (٢)

وقام له بالنصح يُثبتُ رجلَه ... على زَلِقٍ فيه الفتى يتعثّرُ

فإن شكرت كفٌّ بلاءَ مهنّدٍ ... قضى نذرَها فالملكُ لا شك يشكرُ

لك الله مُولِى نعمةٍ ومفيدَها ... وغارسَها من حيث تزكو وتُثمرُ

ومستعبدا حُرَّ القلوب وفاؤه ... وحرَّ الكلام ما لُهُ المتيسّرُ

جرى الخلفُ إلا فى علاك فأبصر الـ ... ـمقلِّد فيها وأستقال المقصّرُ

وقال بقولى فيك كلُّ محدث ... يرى أننى ما قلت إلا وأخبرُ

وعنَّف قومٌ حاسديك جهالةً ... وذمّوا وهم بالحمد أولى وأجدرُ

اذا عرّفوا الفضلَ الذى حسدوا له (٣) ... فتلك لهم مجدٌ يُعدُّ ومفخرُ

أعاذك من عين الكمال الذى قضى ... به لك قسما فهو يقضى ويقدرُ

ولا غشيت ظلماءُ إلا وفجرُها ... برغم العدا عما تُحبّون يُسفرُ

فما تصلح الدنيا ومن غيركم لها ... أميرٌ مطاعٌ أو وزيرٌ مدبّرُ

ولا عُدم المدحُ الموفَّى أجورَه ... بكم وهو فى قومٍ سواكم مسخَّرُ

مواسمُ فى أبياتكم بعراصها ... تُحَطُّ وعنها فى الثناء تُسَيَّرُ

تناوبكم منه سحائبُ ثَرَّةٌ ... تروح على أغراضكم وتُبَكِّرُ

تسوق مطاياها رياح زَكيّةٌ ... بما حملت من وصفكم تتعطّرُ

اذا عرضتها الصُّحْفُ شك رواتُها ... أوشىُ حريرٍ أم كلامٌ محبَّرُ؟!

تفيد قلوب السامعين توقُّرا ... لها وأهتزازا فهى تصحى وتُسكِرُ

اليك "زعيمَ الملك" لانتْ رقابُها ... وذلّتْ وفيها عزّةٌ وتغشمر (٤)

رأتك لها أهلا فلان عصيُّها (٥) ... لديك وقالت : فى فِنائك أُحشَرُ

---

(١) فى الأصل "من" . (٢) المنسر : منقار الطير الجارح . (٣) فى الأصل هكذا "حمدوا" . (٤) التغشمر : رفع الرأس إباءً وشمما . (٥) فى الأصل "لانت عِصيها" .

اذا زارك النيروزُ عُطْلًا فإنه يُطوَّق من أبياتها ويسوَّرُ
وغاليتُ فى أثمانها فشريتَها ربيحا فظنّ الغمرُ أنك تخسرُ
اذا المرءُ أعطانى كرائمَ ماله ليأخذَ شعرى فهو منّى أشعرُ

* * *

وقال يصفُ الشطرنج

ومؤمَّرٍ بين الرجال مقدَّمٍ فى الأرض وهو مدَبَّرٌ مأمورُ
باقٍ يخافُ الحتفَ وهو متى يمتْ فله مَعادٌ عاجلٌ ونشورُ
ويسيرُ ما سار الجيوشُ أمامَهُ ويقودُها فيقيمُ وهو يسيرُ
كثرتْ منازلُه وضاقت طُرْقُهُ فكأنّه بمكانه مأسورُ

* * *

وكتب الى الأمير شهاب الدولة منصور بن الحسين بن دُبَيس ، وأنفذها الى خوزستان

هل فى الشموسِ التى تُحدَى بها العِيرُ(١) قلب الى غير هذا الدينِ مفطورُ؟
أم عند تلك العيونِ المتبلات(٢) لنا دمٌ على أسهم الرامين محظورُ؟
زمُّوا المطايا فدمعٌ مطلَقٌ أمنَ الـ ـعدوَى ودمعٌ وراءَ الخوف محصورُ (٢٠٧)
فكم نهيتُ بأُولَى الزجر سائقَهم حتى تشابَه مهتوكٌ ومستورُ
وفى الخدور مواعيدٌ مسوّفةٌ لم يُقضَ منهنّ منذورٌ ومنظورُ
وماطلات ديونَ الحبّ تلزمها لَيًّا(٣) وهنّ مليّاتٌ(٤) مياسيرُ
لاتُقتضَى بفتًى يقتلن عاقلةٌ(٥) ولا يقوم وراءَ الثأر موتورُ

(١) العير: كل ماآمتير عليه إبلا كانت أوحميرا أو بغالا ، وفى الأصل "الغير" (٢) المتبلات : التى جعلتنا ذوى ترات وحقود . (٣) الليّ : المطل . (٤) مليّات : غنيّات متمولات . (٥) العاقلة : دافع الدية .

يَجحدْنَ ماسفكَتْ أجفانُهن دمًا ... وقـــد أقـرّ به خـــدٌّ وأُظفـــورُ (١)

ياسـائق البكرات آسـتبقِ فضلتَهـا ... على الوريد فظهـــرُ العفر معقـــورُ (٢)

حبسا ولو سـاعةً ترَوى بها مقـــلٌ ... هِـــيمٌ (٤) وأنت عليها الدهرَ مشكورُ (٣)

فالعيس طـائعـــةٌ والأرض واسعةٌ ... و إنمـا هـــو تقـــديمٌ وتأخـــيرُ

تغلَّسوا (٥) من " زرودٍ " وجهَ يومهـــمُ ... وحطَّهـم لظلالِ " البـانِ " تهجيرُ

وجاذبوا الجزع من وادى الأراك وقد ... تعصَّبتْ بالغروب الأحمـرِ القُـورُ (٦)

وضمنوا الليل " سلعا " أن رأوه وقد ... غنّت على قُنّتَىْ " سَلعَ " العصافيرُ

وكيف لا يستطيب العُشبَ رائدُهـم ... وكلُّ وادٍ لهم بالدمـــعِ ممطـــورُ

وآستكثفوا البقلَ من "نعمان" فاقتمحوا ... لسًّا (٧) وخضمًا (٨) فهـــلوسٌ (٩) ومهصـــورُ (١٠)

ومن ورائهـمُ عقدُ اليمين سُدًى ... مضيَّـــعٌ وذمـامُ الجـار مخفـــورُ (١١).

أطبقتُ جفنى على ضوء الصباح لهم ... حفظًا فما لنهـارٍ فيهمـا نـــورُ

وعاصت اليأسَ نفسى أن تُعـاب به ... وكلُّ سـائلٍ بأمر الناس معـــذورُ

وقـــد عددت على سكرى بفُرقتهـــم ... شهـــورَ عامٍ وقلبى بعـــدُ مخمـــورُ

كذاك حظُّ فـــؤادى من أحبَّته ... مـــذ جرَّبَ الحبَّ مبخوس ومنزورُ

فما يحـافظ إلا وهـــو مطَّـــرَحٌ ... ولا يواصِـــلُ إلا وهو مهجـــورُ

حتى لقـــد خفت أن تنبو على يده ... بالشرقِ من " أسَـدٍ " بيضٌ مشاهيرُ

---

(١) الأظفور : الظُّفْر . (٢) البكرات جمع بكرة وهى الفتية من الإبل والعُفر جمع أعفر وعفراء وهو من الإبل ما شابه لونه التراب . (٣) حبسا : أى قف وآحبس المطايا عن السير ، وفى الأصل " جيشا " . (٤) هيم : عطاش . (٥) تغلّسوا : ساروا فى الغلس . (٦) القور جمع قارة وهى الجبيل الصغير المنقطع عن الجبال . (٧) اللس : نتف الكلإ بمقـدم فم الدابّة . (٨) الخضم : الأكل بالأضراس . (٩) المهلوس : المهزول الذى يأكل ولا يبين أثر الأكل فى جسمه . (١٠) المهصور : المعطوف المثنىّ . (١١) مخفور : منقوض .

مَن مرسلٌ تسعُ الأرسانَ همّتُهُ ... جُرحُ الفلاةِ به والليلُ مسبورُ،
لا يهب الجانبَ المرهوبَ محتشما ... لعلمهِ أنّ طُرْقَ المجدِ تغريرُ،
يُنضِي الجيادَ الى إدراك حاجتهِ ... والعيسَ حتى يضجَّ السرجُ والكورُ(١)،
يذارع الأُفُقَ الشرقيَّ قبلتَه ... في القسطِ ما ضمّ "خوزستانُ"(٢) فالكورُ(٣)،
بألّغْ — حُملت على الأخطار محتكما ... على السرى وأعانتك المقادير —،
حيًّا "بميسانَ"(٤) ربعُ المال بينهُمُ ... عافٍ خرابٌ وربعُ العزِّ معمورُ
فَمَّ ما شئتَ فخرُ الناسِ كلِّهمُ ... بلا مثيلٍ وثَمّ المجدُ والخيرُ
وأوجهٌ مقمراتٌ للقرى وإلى ... معرّج الصبح فُرسانٌ مغاويرُ
وآخصصْ غَطارفَ من دُودانَ(٥) يقدمها(٦) ... ضارٍ تبادره الأُسْدُ المساعيرُ(٧)
فقل لهم ماقضى عنّي نصيحتَهم ... وأكثرُ النصح تخويفٌ وتحذيرُ:
تخاذلوا لولىّ الأمر وآعتزلوا الصدور "فالملكُ المنصورُ" منصورُ
توضّحوا في دياجيكم بطاعتهِ ... فهي الصباحُ ولقياه التباشيرُ
وتابعوا الحقَّ تسليما لإمرته ... فتابعُ الحقّ مَنهيٌّ ومأمورُ
ساد العشيرةَ مرزوقٌ سيادَتَها ... في الدَّرِّ(٨) متخلٌ(٩) للملك مخبورُ
مردّدٌ من مطا(١٠) "عدنانَ" في كرم ال ... أصلابِ كنزٌ لهذا الأمر مذخورُ

---

(١) الكور : الرحل . (٢) خوزستان : بلدة بين فارس والبصرة وواسط وجبال الأُلور المجاورة لأصبهان وهي أشبه شيء بأرض العراق في هوائها وصحتها . (٣) الكور ثمة في بلاد اليمن .
(٤) ميسان : كورة واسعة القُرى والنخل بين البصرة وواسط . (٥) غطارف : جمع غطريف وهو السيد الكريم (٦) دُودان : قبيلة من بني أسد وهو دودان بن أسد بن خُزَيمة . (٧) المساعير : جمع مِسعار وهو الشديد أو هو الذي يوقد نار الحرب كأنه آلة في إيقادها . (٨) في الدَّرّ بمعنى في وقت الرَّضاع (٩) هذه الكلمة في الأصل هكذا "مسحل" . (١٠) المطا : الظهر .

ينميه من "أسـد" عِرقٌ يُوَشّجُهُ[1] الى "عفيف" وعرقُ المجد مبتورُ[2]
وعن "دُبَيْس" بُعرف المجـد مولدهُ الى "الحسين" وأمرُ المجد مقدورُ
لا تخصموا اللهَ فى تمهيـد إمرتِهِ عليكُمُ، إنَّ خصمَ الله مقهـورُ
كفاكم الناسَ فآمشوا تحت رايتـه وكلُّ بيتٍ بكم فى الناس مكثورُ
ولا تعزوا قُـدامَى مجدِكم حسـدا "لابن الحسين" بما تجنى المآخيرُ
أو فآدّعُوا مثـلَ أيّام له بهـرتْ والحقُّ أبلجُ والبهتانُ مدحـورُ
لمن جِفانٌ[3] مع النكباء مُتأَقَـةٌ[4] ؟ ليلُ الضيوف بها جذلانُ محبـورُ
وراسـياتٌ[5] تدلُّ المعتمين اذا ضجّت زماجرُ منها أو قراقـيرُ[7]
يردّها متأقاتٍ[8] كلّما انتقصت مُرحّلٌ[9] من صـفاياه ومنحـورُ[10]
يعاجلُ الآكلين الجازرونَ بها فِلذًا[11] وفِلذًا فمشـويٌّ ومقـدورُ
ومن جنـا النحلِ بيضـاء يلملمها ماءٌ من الأصفر "السوسى"[12] معصورُ
على القِـرى ويطيب المشبعون بهـا فى الجـدب والزادُ ممنـونٌ وممرورُ

(١) يوشجه ، يمدّ بالقرابة . (٢) فى الأصل "مسور" . (٣) جفان : جمع جفنة وهى القصـعة . (٤) متأقة : مملوءة . (٥) يراد بالراسيات : القـدور . (٦) زماجر : جمع زمجرة وهى الصياح والصخب ، وصوت كل شىء زمجرته . (٧) القراقير : الأصـوات . (٨) متأقات : مملوءات . (٩) المرحل : الجمل عليه الرحل . (١٠) الصفايا : جمع صفىّ وهو ما يصطفى ويختار . (١١) الفلذ : القطعة من اللحم والمقدور : الموضوع فى القدر . (١٢) لعله يريد بالأصفر السوسىّ : العنب الأصفر المنسوب الى ديرالسوسىّ وهو دير بناه رجل من أهل السوس وسكنه هو ورهبان معه فسمى باسمه وهو بنواحى سرّ من رأى بالجانب الغربىّ وفيه يقول ابن المعتز :

يا ليـالىَّ بالمطـيرة والكر * خ ودير السوسىّ بالله عودى

وقال فيه أحمد بن أبى طاهر :

سـقىَ سُرَّ مَنْ رَى وسكّانَها * ودِيرا لسوسيًّا الراهبِ

وصافنات تَضاغَى (٢) فى مَراسنها (٣) كأنهنّ على الصمّ اليعافيرُ (٤)
عتائقٌ أذعنتْ مثل الكلاب له ويومُ "طِخفةَ" (٥) مجهولٌ ومغرورُ
للموت يوم يخوضُ النقعَ جائزُهُ والغوثِ يوم تعاطاه المضامِيرُ
يحملن نحو الأعادى كلَّ ذى حنقٍ لم يرقب الموتَ إلا وهو مصدورُ
يستنشق الرِّدعَ (٦) من ثِنْيَىْ (٧) مُفاضتِهِ (٨) كأنّه بالدم المطلولِ معطورُ
فوارس إن أحسّوا فترةً وجدوا "أبا الفوارس" (٩) حيث اليوم مسجورُ (١٠)
لو لم يُقيموا "شهابَ الدولتين" على أسيافِهم لم يكن للضرب تأثيرُ
ومن فتًى كلُّ قومٍ وسمُ شهرتِهِ على أسرَّةِ وجه الدهرِ مسطورُ
كليلة "السُّوسِ" (١١) أوليل "البِذانِ" (١٢) وما حَمَى "بواسطَ" (١٣) تُنبيك الأخابيرُ
ووقف مُعلمٍ أيّامَ منعكُمُ تُنسَى خطوبُ الليالى وهو مذكورُ
ومن سواه اذا ما الجودُ هدّده بالفقر فهو بذكر الفقر مسرورُ
لم ينبذ المالَ منفوضا حقائبه حتى آستوى عنده عسر وميسورُ
اذا أضبّتْ (١٤) على شىء أنامله حفظا فأضيعُ عانيه (١٥) الدنانيرُ

(١) الصافنات : جمع صافن وهو من الخيل القائم على ثلاث أرجل . (٢) تضاغى : تصيح وتنضور . (٣) مراسن : جمع مرسن وهو موضع الرسن . (٤) اليعافير : جمع يعفور وهو تيس الظباء . (٥) يوم طخفة : من أيام وقائع العرب . (٦) الردع : الزعفران . (٧) الثنى : كل شىء ثنى بعضه على بعض فكل طاق من ذلك ثنى وفى الأصل "تثنى" . (٨) المفاضة : الدرع السابغة . (٩) فى الأصل "حتى القوم" . (١٠) المسجور : المملوء وَقودا ، وفى الأصل "مسحور" . (١١) السوس : بلدة بخوزستان . (١٢) البذان : ناحية من أعمال الأهواز . (١٣) واسط : بلدة متوسطة بين البصرة والكوفة . (١٤) أضبت : احتوت وأمسكت . (١٥) فى الأصل "عافيه" .

تسرى البدورُ[1] مطايا[2] [ها] البدورُ[3] الى ... عفـاته ثم تتـلوها المعـاذيرُ[4]
شرى المحامد منـه بالتـلائد فال ... ـأموال منهوكة[5] والعـرض موفورُ
اذا حوى اليـومَ غُنما لم يدع لغـدٍ ... حظًّا وعنـد غدٍ شأنٌ وتغيـيرُ
ذِلِّى له ثم عِزِّى يا بنى "أسـد" ... فالغضُّ للحـقِّ تعظيمٌ وتوقـيرُ
الناس دونك طـرًّا وهو فوقك وال ... ـآثارُ تنصرُ قـولى والأساطيرُ
لكم مسامعُ "عدنانٍ" وأعينُها ... والنـاسُ صُمٌّ الى إحسانكم عـورُ
وأنتم الشامة البيضـاء فى "مضرٍ" ... والمنبتُ الضخمُ منهـا والجماهـيرُ
وهـل تكابر[6] فى أيام عزّكُمُ ... قبيـلةٌ وهى[7] الغـرُّ المشاهـير
فيومَ "حجرٍ"[8] و "حجرٌ" كل ممتنع ... فى ملكه النجمُ مقبـوضٌ ومحجورُ
جرَّ الكتائبَ من "غسّانَ"[9] يقدمهـا ... عنـه مدلٌّ على الأقدار مغـرورُ
عنا له الدهرُ أحيـانا وأقـدره ... على الممالك تأجيـلٌ وتعمـيرُ
فساقها نحوكم بيـنى إتاوتكم ... وأنتُمُ جانبٌ فى العـزّ محـذورُ
يحلفُ لا آبَ إلا بعـد قسركُمُ ... يا لكَ حَلْفًا لو أن الشـيخَ مبرورُ
لكنه لم يكن فى دين غـيركُمُ ... لهـا سوى السيفِ تحليـلٌ وتكفيرُ
و "جندل"[10] ولغت فيـه رماحُكُمُ ... وذيلُه مثـلُ ظهرِ الأرض مجرورُ
شفى "ربيعةُ" منـه غِلَّ مضطهَدٍ ... لم يركب السيفَ إلا وهو مغمـورُ

---

(١) البـدور : جمع بدرة وهى كيس فيـه عشرة آلاف درهم . (٢) ليست بالأصل .
(٣) يريد بالبدور النوق الممتلئة من قولهم : غلام بدر بمعنى ممتلئ تام تشبيها بالبـدر فى تمـامه وكماله .
(٤) فى الأصل هكذا "سلوها العاذير" . (٥) منهوكة : منهوبة . (٦) فى الأصل "يكاثر" . (٧) الضمير فى "وهى" يعود على الأيام . (٨) يوم حجر : اليوم الذى قتلت فيه بنو أسد حجر بن الحارث الكندى وكان ملكهم . (٩) غسان : اسم قبيلة وماء فى اليمن بقرب سد مأرب . (١٠) ولغت : شربت كما يشرب الكلب بطرف لسانه .

والنارُ أضرمها ابن النار نحوكُمُ ... بالدارعين(١) لها وقدٌ وتسعيرُ
فردّه بغيُه شلوا(٢) وجاجمُها(٣) ... بماء فوديه(٤) مطفيٌ ومكفورُ
وسل "بفارعةٍ" أبناءَ "صَعصَعةٍ" ... يخبرْك(٥) بالحقّ مصفودٌ ومقبورُ
لم يقبلوا نصحَ أنفِ الكلبِ فانقلبوا ... بيومِ شرٍّ ثناياه الأعاصيرُ
وبالنِّسارِ(٦) وأيّامِ الجفارِ(٧) لكمْ ... مواقفٌ صونُها فى الأرض منشورُ
شكا سيوفكم "عليا تميم" بها ... الى "بنى عامرٍ" والسيفُ مأمورُ
ومرّ "حاجبُ" يرجو نصرَ سابقةٍ ... لها على النصر ترديدٌ وتكريرُ
"وبالمعلّى" غنمتم طيّبًا فغدا ... يومٌ له غضبٌ فيهم وتدميرُ
و"الحارثُ بن أبى شمرٍ" ينوحُ على ... ابن أخته منكمُ والنوحُ تقصيرُ
تلك المكارمُ لا إبلٌ معزّبةٌ(٨) ... لها مع الحوْل تضعيفٌ وتثميرُ
ولا سروح يغصّ الواديان بها ... فيها مُزكًّى(٩) الى الساعى ومعشورُ(١٠)
وما طوى الدهرُ من آثاركم فعفا ... فإنه "بالحُسَيْنِيِّين" منشورُ
[يا](١١) خيرَ من رُحِّلتْ أو أُسرجتْ طلبا ... لبابِهِ العيسُ والخيلُ المضامِيرُ
وخيرَ من قامر العافون راحتَه ... فراح فَرحانَ يزهو وهو مقمورُ

(١) الدارعون : لابسو الدروع . (٢) الشلو : العضو . (٣) الجاجم : الجمر الشديد الاشتعال أو معظم الحرب وشدة القتل فى معاركها . (٤) الفود : ناحية الرأس . (٥) مصفود : مقيّد . (٦) النسار : ماء لبنى عامر له يوم لبنى أسد وذبيان على بنى جشم بن معاوية ، وفى الأصل "اليسار" . (٧) الجفار : ماء لبنى تميم بنجد ومنه يوم الجفار وهو يوم مشهور كان فيه حرب بين بنى بكر و بنى تميم على هذا الماء وكان على بنى تميم فى هذين اليومين حاجب بن زرارة .
(٨) معزّبة : متروكة مغيّبة . (٩) الساعى : من يأخذ الزكاة . (١٠) المعشور : ما يؤخذ عشره زكاة ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

ولا سروح الى بعض الواديان بها * فيها مزكى الساعى ومعشور

(١١) ليست بالأصل .

ومن يـذم عطاياه ويلعنها ... إلا الذى هـو إسرافٌ وتبـذيرُ

(٢٠٩) زجرتُ بآسمك دهرى أو تمهَّـدَ لى ... والدهر بآسم الكريم الحـرِّ مزجورُ

وقام سـعدُك حتى قَوَّمتْ يدُه ... قنـاةَ حظِّى ثقافا وهو مأطـورُ (١)

سحرتُ جودَك فآستخرجت كامنَـهُ ... إن الكريم ببيتِ الشـعرِ مسحورُ

وآبتعـتنى بجزيل الرفـدِ مرتخصا ... حتى ربحتُ وبعض البيع تخسـيرُ

آمنت فى الشـعر توحيدا بمعجزآ ... ياتى وفى الشـعر إيمـانٌ وتكفيرُ

ولم تكن كرجالٍ سمـعُ عِرضهمُ ... مُصغٍ لمـدحى وسمعُ الجود موقـورُ

لهم من العـرب العرباء ما آقترحوا ... إلا النـدى فهو تعليلٌ وتعـذيرُ

وسابقاتٌ أناخت فى فِنائكُمُ ... ثم آنثنت (٢) وهى بالنعمى مواقـيرُ (٣)

لكنَّ محـروبةً (٤) منهنّ واحـدةً ... سهوتَ عنهـا وبعضُ السهو مغفورُ

تقـدَّمتْ ونى مذ حـولٍ مؤخّرةٌ ... وربمـا كان فى التأخير توفـيرُ

وهل يحـلُّ بلا مهرٍ وقـد نُكِحتْ ... بَضْعُ الكريمةِ والمنكوحُ ممهـورُ

فآجمع لها ولهـذى نصفَ حظِّهما ... من النـدى بات شفعا وهو موتورُ (٥)

فالواهبُ العـدلُ من كرَّت نوافلُه ... ودائمُ المـدحِ ترديدٌ وتكريرُ

أكسُ — وحرمتِنا — عندى جَمالَهَا ... فالجودُ بالمـالِ ما لم تَكْسُ مبتـورُ (٦)

وآردد رسولى يغاظ الحاسـدون به ... ضخمَ العيابِ عليـه البشرُ والنـورُ

فمـا رمتـك الأمانى الواسعات به ... إلا ومنها عيونٌ نحـوه حُورُ

ولا سمحتُ لملكٍ قـطّ قبلك بآق ... تضاءِ رفـدٍ ولكن أنت منصـورُ

---

(١) مأطور : معطوف مثنّ . (٢) فى الأصل "انشئت" . (٣) مواقير : مثقلات . (٤) المحروبة : المسلوبة المال . (٥) فى الأصل "موقور" . (٦) فى الأصل هكذا "مسور" .

وباقيات[1] على الأحساب سائرة ... تصول نحوك[2] حتى يُنفَخَ الصورُ
للشِّعر من حولها مذ صرتَ قبلتَهُ ... طرفٌ بغنجٍ وتهليلٌ وتكبيرُ
كأنها يومَ تسليم الكلام بها ... حقٌّ وكلّ كلامٍ بعدها زورُ
يغدو بها الشادنُ الشادى بمدحكُمُ ... كأنَّ أبياتَها كأسٌ وطنبورُ
ما ضرَّها وأبوها من فصاحتهِ ... "نزارُ" أنَّ أبى فى البيت "سابورُ"
فاسمع لها وتمتَّعْ ما اقترحتَ بها ... تَبقَ ويفنَى من المال القناطيرُ
مقيمةٍ بين نادى ربِّها ولها ... بالعرض ما انطلقتْ جَدٌّ[3] وتشميرُ
سكَتُّ حينا ومن عذرٍ نطقتُ بها ... إن السكوت على الأجواد تذكيرُ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا الفضل محمد بن علىّ بن الطيب

سائل الدارَ إن سألتَ خبيرا ... واستجِرْ بالدموع تدعُ مجيرا
وتعوَّذْ بالذكر من سُنَّة الغد ... ر فلا حب أن تكون ذكورا
المغانى أحفى بقلبى من العذ ... ل وإن هجن لوعةً وزفيرا
أفهمتنى على نحولِ رباها ... فكأنّى قرأتُ منها سطورا
يا مُعيرِى أجفانَه أنا أغنَى ... بجفونى الغزارِ أن أستعيرا
دمُ عينى "بالسَّفح"[4] حَلَّ لدارٍ ... لا يرى أهلُها دمًا محظورا
ومشيرٍ بالعذل كامنَ أشوا ... قى مشيرٍ ولم أكن مستشيرا!
لامنى فى الوفاء، مات ملوما ... فيه أو عاش عاشقا مهجورا
يا حُداةَ الركَابِ لا وأَل القا ... صدُ منكم غير الحمى أن يجورا

(١) فى الأصل هكذا "وباقات". (٢) فى الأصل "نحول". (٣) فى الأصل "حدّ".
(٤) السفح : اسم موضع وفيه تورية حسنة لما يتضمنه من معنى السفك والإراقة .

"رامةٌ" بى وأين "رامـــةُ" منّى أنجدَ الركبُ ، والهوى أن أغـورا
هى دار العيش الغرير بمـا ضمّـ ـت قضيبـا لَدْنا وظبيا غـــريرا
ما تخيّلتُ أنهـا جنـــةُ الخلـ ـد الى أن رأيتُ فيها الحـــورا
يا لُواةَ الديون هـــل فى قضايا الـ ـحسن أن يمطَلَ الغنىُّ الفقـــيرا ؟
لِىَ فيكم عهـــدٌ أغيرَ عليـــه يومَ "سَلع" ولا أسمِّى المغـــيرا (١)
احذروا العارَ فيـه ، والعارُ أن يمـ ـسى ذمامى فى رعيـهِ مخفـــورا
أو فـــردُّوا علىَّ حـــيرانَ أعشى ناظرا قـــد أخذتموه بصـــيرا
أنا ذاك آعتبـــدتُ قلبى وأنفقـ ـتُ دمـــوعى عليكُمُ تبـــذيرا
فآحفظـــوا فى الإسار قلبـا تمنّى شغفا أن يمـــوتَ فيكم أســـيرا
وقتيـــلا لكم ولا يشتكيكم هـــل رأيتم قبـلى قتيلا شكورا
اعرفوا لى اذا الجـــوارحُ عوفـ ـين ندوبا فى أضـــلعى وكسورا
باقياتٍ وقـــد جررنَ علىـ ـن الليـالىُ معـــدودةً والشهورا
نَصَـلَ الحولُ بعـــدكم وأرانى بعـــدُ من سكرة النوى مخمـــورا
ارجعوا لى أيامَ "رامـةَ" إن كا (٢) ن كما كان آنقضى أن يحـــورا
وشبابا ما كنتُ من قبـلِ نشر الـ ـشيبِ أخشى غرابَهُ أن يطـــيرا
إن تكن أعينُ المهـا أنكرتنى فلعمرى لقـــد أصبن نكيرا
زاورتْ خَاتِّين منّىَ : إقتـا (٣) را يقـــذى عيونَها وقتـــيرا (٤)
كنتُ ما قـــد عرفن ثم آنتحتنى غـــيرٌ لم أُطقْ لهـا تغيـــيرا
وخطـــوبٌ تُحيـلُ صِبغتُها الأبـ ـشارَ (٥) فضلا عن أن تُحيلَ الشعورا

(١) المخفور : المنقوض . (٢) فى الأصل " ارجوا " . (٣) الإقتار : الفقر
(٤) القتير : الشيب أو أول ما يبدو منه . (٥) الأبشار : جمع بشرة وهى الجلد الظاهر .

وٱفتقادى من الكرام رجالا ... كان عيبى فى ظلّهم مستورا
ينضحون الفتيقَ منّى بأيدٍ ... ناعشاتٍ ويحبرون الكسيرا
فارقونى فقلّلونى وكم كا ... ثرتُ دهرى بهم فكنتُ كثيرا
ولعمرى لربما عاسر الحظُّ على القَوْد ثم جاء يسيرا
ولقد أبقت الليالى "أبا الفضـ ... ـل" (١) فأبقت فى المجد فضلا كبيرا
قسما بالمقلّداتِ الى "جَمـ ... ـع" (٢) عهونا محبوكةً وضفورا،
يتلاحكن (٣) فى المضايق أو يُدـ ... ـنين (٤) فيها صلائفا ونحورا،
كلّ تلعاءَ (٥) كالبنيّة تعطـ ... ـيك سَناما طورا وعينا حفيرا،
سرُّها ما تزيّنتْ، ولأمرٍ ... ساءها عجّلوا عليها السرورا،
بينما أن رأيتها وهى ملءُ الـ ... ـعين حسنا حتى تراها عقيرا،
منحوها ذاتَ الإله فلم يفـ ... ـترضوها إلا الصفىَّ الأثيرا،
والملبّين حرّموا اللُّبسَ والطّيـ ... ـبَ ٱحتسابا والحَلْقَ والتقصيرا،
هوّنوا الأنفسَ الكرامَ فباعو ... ها على الرُّخصِ يشترون الأُجورا،
يُجهدون الأرماقَ أو شهدوا "بالـ ... ـخَيف" ذاك المسعَى وذاك النفيرا،
حَلِفٌ لا تَعيثُ فيه يدُ الحِنْـ ... ـثِ بإفكٍ ولا يكون فُجورا، :
أنّ "كافى الكُفَاةِ" خيرهُمُ بالـ ... ـبيت والنفس أوّلا وأخيرا
من رجالٍ اذا ٱنتموا نسبوا بيـ ... ـتا من المجد آهلا معمورا
بالمساميح الطيّبين بنى "الطّـ ... ـيِّبِ" (٦) أضحى سِبطُ (٦) التراب عطيرا

---

(١) فى الأصل "أبقيت" . (٢) عهون : جمع عهن وهو الصوف ، ويشير بذلك الى النوق التى تُهدَى للكعبة . (٣) يتلاحكن : يتلاصقن ويتلاممن . (٤) صلائف : جمع صليف وهو عرض العنق . (٥) التلعاء : الطويلة الجيد . (٦) السبط نقيض الجعد وهو الرخو المسترسل .

يُمـتَرَى ماؤه عُقارا (١) ويُسـتا (٢) ف ثـراه ألُوَّةً (٣) وعبـيرا
شرفٌ زاحمَ النجـومَ على الأُفْـ ـق فأربَى عزًّا عليها ونورا
درجوا فيـه سيّدا سـيّدا قِدْ ـمًا وزالوا عنـه وزيرا وزيرا
يتواصَوْن بالمعـالى فيقتا ـفُ الفـتى الحيُّ منهم المقبـورا
وإذا حوسـبوا على الحسَب الأبـ ـعدِ عَدُّوا "بَهرام" أو "سابورا"
ومناجيب محصنـات توحَّـدْ ـن بأن لا يلدنَ إلا الذُّكورا
زعمـاء على المـلوك اذا ما آعـ ـتورَ الملكُ ناصحا ومشـيرا
وكماة عـلى الوسائد إمَّا آقـ ـتعـدوها يُقَسِّمون الأمـورا
غوّروا غـورةَ النجوم وبقّـوْا عَلَمًا ردّ طيَّـم منشـورا
وتصفَّوا من "ناصر الدولة" آبنا — يشهد الفخر — ظافرا منصورا
لحِقَ الأصـلَ ثم ساد بنفسٍ ظفِرتْ بالنـدى وزادت كثيرا
فضحتْ بالنـدى الغمامَ وردَّتْ بالمساعى شَوطَ الرياح حسـيرا
أنفتْ أن ترَى لهـا فى بنى الدهـ ـر اذا نوظـر الرجالُ نظـيرا
فآمتطت وحـدَها الى غاية المجـ ـد ظُهـورا خُشْنًا وطُرْقا وُعُـورا
راكبُ العـزّ فى مفاوزها اليهـ ـماءِ (٤) سارٍ لا يركب التغـريرا
يبتغى حقَّـه من الشرف الأبـ ـعـدِ خوضا اليه أو تشـميرا
وآنتهى حيث لا يَرَى النجمُ فى الأفْـ ـق صعودا ولا الهلالُ مسـيرا
تارةً بالمَضاء يسـتخدمُ العـز مَ وطورا يستخدم المقـدورا
مدَّ باعا فى الفضـل طال لأمرٍ كان عنـه باعُ الزمان قصـيرا

(١) العقار : الخمر . (٢) يستاف : يشتم . (٣) الألوة : العود الذى يتبخّر به .
(٤) الهماء أو البهماء : المفازة لا يهتدى فيها ، وفى الأصل " الهماء " .

لم يلامس خطبا وكان جسيما ... في المعالى إلا رآه حقيرا
وأظنُّ آستقلالَه الدَّستَ أن ير ... كَبَهُ يملكُ الزمانَ السريرا (١)
قهر الدهرَ وهو يقهره الجو ... دُ فناهيك قاهرا مقهورا
وآكتسى حُلَّةَ الغنَى وسلبنا ... ه فأكرِمْ به غنيًّا فقيرا
لاح فينا فأقمرتْ ليلةُ البد ... رِ وأعطَى فكان يوما مطيرا
وسَلَوْنا بجودِهِ الحيَّ أيْما ... نًا دُروسا من الكرام دُثورا
وشهدنا نداه حقًّا يقينا ... وسمعنا عنهمْ ضجيجا وزورا
ورَوِينا بماله الوشَلِ العِـ (٢) ـدِّ (٣) وأعطَى قومٌ وكانوا بحورا
وسرَى ذكرُه فلم يُبْقِ يوما ... لَهُمُ في سماحهم مذكورا
يا "أبا الفضلِ" والفضائلُ إن قا ... ضين يحكمنَ فيَّ أن لا تجورا
أتناسيتَ أو نسيتَ حقوقا ... لِيَ لم آلُكم بها تذكيرا
ووعودا يكنّ عند الكريم الـ ... ـعهدِ (٤) حتى يفِي بهنّ نذورا
وغُروسا (٥) لى فى ثراك الزكيّ ا ... لطِّ يرجو مثلى بها التثميرا
وصِفاتى (٦) على لسانك يُسمع ... ن الصفا الصلدَ والفتى الموقورا
فعلام آستردَّك الدهرُ منّى ... مكرها بعد خبرتى (٧) مقسورا
نعمةٌ نُفِّرتْ وما كنتُ يوما ... بالعطاء الهنيِّ منها كفورا
وعَذارَى من القوافى تعوّضـ ... ـتُ بهنّ التعليلَ والتعذيرا
لم يكن حجُّها وقد جهدَتْ فيـ ... ـه الى كعبة العلا مبرورا

---

(١) هكذا بالأصل رسما وشكلا وهو لا يخلو من التعقيد . (٢) الوشل : الماء القليل .
(٣) العدّ : الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كماء العين والينبوع . (٤) فى الأصل "بق" .
(٥) فى الأصل "وعَروسا" . (٦) فى الأصل "وصفانى" . (٧) فى الأصل "عن خبرتى" .

ألظنٌّ ؟ وربما كان إثما كنتَ لو قد عصيتَه مأجورا
لم تدنّس عِرضا ولم تؤت بالذن ـب اعتمادا فيه ولا تقصيرا
لم تكن صدقت بأوّل مدحٍ (١) ضاق وقتٌ عن ملكه فاستعيرا
لتمونى فيه وربّ ملومٍ كان فى غيبِ أمره معذورا
هو شعرى وفيك قيل ابتداءً جاء أو كان راجعا مكرورا
ولعمرو الواشى لقد (٢) كان ذنبا هينا لو وهبتموه يسيرا
واعترافى بالهفوة الآن يمحو (٣) من خبايا الصدور تلك الوغورا
والقوافى عنى عبيدٌ منيبا تٌ فكن لى بالصفح ربًّا غفورا
لك أبرزنَ بعدَ أن رُدَّ عنه نَّ بعُولٌ (٤) أسنوا الىّ المهورا
وأرى النزرَ من ودادك أو رف ـدك حظًّا فى مهرهن خطيرا
باقيات فى الدهر ما بقِىَ الده ـرُ وناصى (٥) "رضوَى" أخاه "ثبيرا"
فاستمعها مختومةَ العذرِ أبكا را الى اليوم ما برحنَ الخدورا
تُتلفُ المالَ لا تبالى اذا أحـ ـرزتَ فى الأرض كنزها المذخورا
واذا ما وجدن عِرضا بهيما مدلهِمًّا طلعنَ فيه بدورا
عوَضًا من عتابك المرِّ حتّى تشربَ الشكرَ منك عذبا نميرا
نِعْمَ ما تقتنى مقيما وإن سا فرتَ كانت الى النجاح سفيرا
فاحتفظ قاطنا بها واسر مغبو طا على ملك مثلها محبورا
وتزوَّدْ منها على صحبة اللّـ ـه متاعا اذا عزمتَ المسيرا
وكُن القَرْمَ من ملوكِ "بنى مرْ وانَ"، لى أن أكونَ فيك "جريرا"

---

(١) فى الأصل "ضاف". (٢) فى الأصل "فلو". (٣) الوغور جمع وغر وهو الحقد والضغن. (٤) أسنوا المهور: جعلوها سنيّة. (٥) ناصى: مدّ كلّ منهما ناصيته للآخر.

وقال يمدح عميد الدولة أبا سعد فى النيروز

طوى الليلَ راكب أخطارِهِ ... على شَحْط دارِىَ من داره،
خيالٌ وفى بضمان الهوى ... بفاء رسولا لغدّارِهِ (١)
سَرَى من ضنينٍ بمعروفه ... تعرّض فىّ لإنكارِهِ
حبيبٌ جبانٌ بغير الوصال ... شجاعٌ بإهداء آثارِهِ
طُرِقتُ بما زار من طيفه ... كأنى طُرِقتُ بعطّارِهِ
تطلّعَ يُقصِرُ ليل التمام ... طلوعَ كواكبِ أسحارِهِ
بأشنبَ (٢) يسمعُ للراشفين ... بنهب ودائع خمّارِهِ
اذا أسكرتْ دائراتُ الكئوس ... صحا الشاربونَ بأدواره
أقام فوافَى وجلّى به (٣) ... من الصبح أخبثُ أطيارِهِ
وبرقُ خشوعَىَ من طيفه ... وماءُ جفونىَ من نارِهِ
تعرّض لى شفق الأتحمى ... تنزو الرياحُ بأشطارِهِ (٢١٣)
فطارحنى من حديث "العُذَيب" ... وفاكهنى طيبَ أخبارِهِ
أرانى مواقدَ نيرانه ... بعيدا ومجلسَ سُمّارِهِ
وذكّرنى زمنًا ما شربتُ (٤) ... دموعَى إلّا لتذكارِهِ
وليلا عدمتُ ضياءَ السرو ... ر منذ فُجِعتُ بأقمارِهِ
وهيفًا غذاهنّ وادى النعيم ... بجنّاته وبأنهارِهِ
ملَكن الهوى فأعرن القلو ... بَ ما شئن منه سوى عارِهِ

(١) فى الأصل "لغزاره" . (٢) الأشنب : الثغر فى أسنانه ماء ورقة وبرد وعذوبة .
(٣) أخبث أطيار الصبح : الغراب . (٤) فى الأصل "شريت" .

فهنّ ظواهـرُ ما غاب منـه وهنّ بواطنُ أسـرارِهِ
وأبـله لا تجـد العينُ فيـ ـه نهـجا يُقَـصُّ بآثارِهِ
يقـلّ عليـه ٱنتفاعُ الدليـل بتجـربيـه وبتَكرارِهِ
ندَبتُ له يدَ طَبِّ(١) الحسابِ بأخماسـه وبأعشـارِهِ
غـنىٌّ عن النجم أن يَستدلَّ بـواقعـه وبطـيَّارِهِ
ونبّهتُ ذا رقـدةٍ حُـلوةٍ فقام لأمـرى وإمرارِهِ
يُخال بخُـبرته بالفـضا ء أُعطِىَ قِسـمةَ أقطـارِهِ
يدارِى الى السوط جفنا خيوطُ الـ ـكرى ممسكاتٌ لأشـفارِهِ
فلنـا الى جنح ليـلٍ يضيع بياضُ الكواكب فى قارِهِ
لعـزٍّ تركنا غـراما به سـروجَ الطـريق لأكوارِهِ(٢)
وأحرَى به أن يُحَـلَّى دجاه بوجـهِ الوزير وإسـفارِهِ
وأن يضعَ السيرُ أثقـالَهُ اذا رُفِعتْ حُجْبُ أستـارِهِ
اذا شُـرُف(٣) الدين حَطَّت به قَـدَرْنا سـراها بمقـدارِهِ
فطـاب المُقـامُ لقُطّانـه وقـرَّ المـطىّ بسُـفَّارِهِ
اليـك ٱفتضضنا عـذارَى الـ ـسهوبِ بعُونِ الرجاءِ وأبكارِهِ
الى خـير من حلَّ شوقا اليه ركابُ المـطىّ لأسـيارِهِ
فحَرِّمها أن تشمَّ الهـوانَ فـتًى لا يُجارُ عـلى جارِهِ
كريمٌ يعـدُّك أغنيتَـهُ اذا أنت جئت لإفقـارِهِ
كأنـك أوّل أحبابـه اذا كنتَ آخـرَ زوّارِهِ

(١) الطب : الخبير . (٢) الأكوار : جمع كور وهو الرحل . (٣) شرف : جمع شارف وهى الناقة المسنة .

دع النـاسَ وٱعكف على بيتـه ... فـدَرُّ النـدى تحت أحجارِهِ
رِواقٌ ترى المجدَ فى صـدره ... ورزقَـك ما بين أكسارِهِ
وهَبْ عُشُبَ الأرض للـرائدين ... اذا ما وليـتَ بأقـطارِهِ
حَمَى اللهُ أبلـجَ ، بدرُ التما ... م يطلُـعُ ما بين أزرارِهِ
وحيًّا على رغـم زُهر النجـو ... م وجـهها يعـمُّ بأنـوارِهِ
وأعـدى أعاديه من ماله ... اذا جاد قـلّةُ أعمـارِهِ
همـامٌ ظـواهرُ أُسْـد الشـرَى ... تَـلاوَذُ فى الغـابِ من زارِهِ
يُهيب بها بعـد إصحـاره ... وتَرهَبُـه قبـل إصحارِهِ
حليم السـطا يتزل الذنب (١) منـه ... بـواهبـه وبغفّـارِهِ
تنـام عـلى الفُـرُطاتِ العظا ... م عيناه إلا عـلى ثارِهِ
نهيتُ عـدوَّك لـو أنه ... بـوعظىَ تاركُ إصـرارِهِ
وقلتُ : حـذارَك لا تغـترر ... بصـلِّ (٢) الحَماطـةِ (٣) فى غارِهِ
فبعـد سكينةِ مجموعـهِ ... تسـوءك وثبـة ثَـوّارِهِ
فـلم ينتصـحنى ولم يعنـنى ... وقـد حان كثرةُ إنذارِهِ
ومرّ يجارى عـلى الأغـترا ... ر من ليس من خيـلِ مضمارِهِ
أراد ليغـمزَ صُـمَّ القنا ... بجُـوفِ (٤) اليـراع وخُـوّارِهِ
وشـاور فى البـغى شـيطانَهُ ... فأطغتْـه طاعـةُ أمّارِهِ
وعارَض معجـز آياتكم ... بكذّابـه وبسـحّارِهِ
تـوغّل يـدرُس آثارَكم ... فأنغض (٥) من دون آثارِهِ

(١) فى الأصل "الذئب". (٢) الصل : الحية . (٣) الحماطة : شجرة شبيهة بشجر التين ، وقيل : الجميزة . (٤) جوف : جمع جوفاء ، وهى الفارغة من القنا والشجر . (٥) فأنغض : فأضطرب .

ومـد ليحملَ ما تحمـلون صـليفا(١) ضـعيفا بأوقارِهِ
وكان يلام فلما لجا الى العجـز قام بأعـذارِهِ
ألم يكفِهِ غـدرُ كرّاته بـه وتقلّبُ أطـوارِهِ(٢)
وتجريبُـه معَكم نفسَـه فينُهِى اللجاجَ بإقصارِهِ
ولما انتصرتَ "بكافى" المهم أحسَّ بخـذلانِ أنصارِهِ
ظَفِرتَ وها هـو تحت الإسا ر يأكل زائـدَ أظفارِهِ
تُعـفّى الخطايا بإقلاعـهِ وتمحـو الذنـوبَ بإقـرارِهِ
رضـيتَ بقُلّك حـتى تعزَّ ويرضَى الهـوانَ بإكثارِهِ(٣)
فقنطارُ مالك دون الأذى ومهجتُـه قبـلَ دينـارِهِ
تجلّتْ بسـعدك غُمّاؤها فتـوقَ الصـباح بإسـفارِهِ
وغُرم الذى فات فى ذمّـة الـ ـقضاء وسابق أقـدارِهِ
وقـد جنَبَ الدهـرُ من نفعه منـائحَ(٤) فى حبـل إصـرارِهِ
سـيأتى تنصُّـلُه آنفا فيسـفر فى حـظّ أوزارِهِ
ودون جنا النحـل وخّازةٌ تشـقّ عـلى يد مشـتارِهِ(٥)
بقيتَ لملكٍ اذا كنت فيـه فإثراؤه مـع إصـفارِهِ
ويا ربَّ بيتِ النـدى لا أصيـ ـبَ منـك بسـيّد عُمّارِهِ
ودارَ بما شئتَ قطب النجـو م تُعطَى سـعادةَ أدوارِهِ

---

(١) الصليف : صفحة العنق . (٢) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

ألم يكفه غدر كرابة وتقلب أطـواره

(٣) الإكثار : نقيض القل ، وفى الأصل "بإكباره" ولا يتفق وقوله "رضيت بقلك" فى أول البيت .

(٤) المنائح جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تعطيها غيرك ليحتلبها ثم يردها عليك . (٥) المشتار : جانى العسل .

وزار جنابَك هـذا الربيعُ بمنخرق الخلف[1] درّارِهِ
تجارِى سماحَك أنواؤُه وخُلْقك زُهرةُ أنوارِهِ
يؤديك نيروزُهُ سالما الى صومه ثم إفطارِهِ
وبُقّيتَ لى وَزَرا لا تَدُرّ سحابَى إلّا بإعصارِهِ
لمضطهَدٍ يُسرُهُ ما آتسعتَ وضيقُك آيةُ إعسارِهِ
رَمانى زمانى[2] بما نابكم فأغرق فى نزع أوتارِهِ
وعمّق يجرحُ ما لا تنا ل كفُّ الطبيب بمسبارِهِ
فمن كَلْم[3] قلبى وإحراقِهِ الى فقر ربعى وإقفارِهِ
فلا يعدمنْكم شريبٌ لكم على حلو دهرٍ وإمرارِهِ
سليم الأديم على ودّكم اذا راب كثرةُ عوّارِهِ
يمدُّكُم ما آستطاع الثناءَ بقاطنه وبسيّارِهِ
اذا لم يجد حبوةً بالثراء حباكم بصفوة أفكاره
فإن فاته بيدِ نصرُكم أظلّكُمُ نصرُ أشعاره

+ +

وقال وهو من قديم قوله فى اللغز المعمّى فى صيّادٍ برَقّ[4] .

ما ناشرٌ ذو مخالبَ لم يُنَطْنَ بظُفرِهْ
يبغى فينشُرُ مكرًا يطويه من بعد نشرِهْ
له مكايدُ شرٍّ وخيرُه قبلَ شرِّهْ
ينال بسط يديه بضمّ ما تحت صدرِهْ

(١) الخلف : حلمة الضرع . (٢) فى الأصل "زمانى" . (٣) الكلم : الجرح .
(٤) الرَّق : بالفتح والضم الماء الرقيق فى البحر أو فى الوادى .

يعــدو برَقٍّ خبيث لِحِــلّه ولطُهــرِهْ
شطرين يمشى بشطرٍ وشطره فوق مُهرِهْ
عــلى أقبَّ(١) خفيفٍ محمَّــلٍ فوق وِقْــرِهْ
طورا له هو ظهــرٌ وتارةً فوق ظهــرِهْ
فيــا لريّانَ غضِّ الـ ـمعاش مع طول ضُرِّهْ

وقال فى سمكة

وجاريةٍ بيضاءَ حمــراءَ ربما تكون غداً سوداءَ إن شئتَ أو صَفْرا
تعيش بخفضٍ ما تمنّت ونعمــةٍ بحيث سواها لو يُرَى فارَقَ العمْــرا
سرت تقطع الخَرقَ الوسيعَ وما مشت ولا ركبت فيــهِ سفينا ولا ظَهْــرا
مسربلةً لم تدفع النَّبــل دِرعُها وعُريانةً لم تشــكُ قيظا ولا قُــرّا
تطفَّــلَ حتى زفها لك جاهرا اذا صاعبتــه عدّ إعسارَها يُسرا(٢)
وأعجبــه مما يميِّز أنها اذا هى زادت كبرةً زدته مَهْــرا
يحــلُّ له منها الحــرامُ لمعشر يكونون فى جِنسٍ سوى جِنسها بحرا

وقال وقد اتفق وقوعُ شَغَبٍ مفرطٍ لم تجرِ بمثله عادةٌ من الأتراك ببغــداد على شاهنشاه ركن الدين، وفسادُ دينٍ فى إزعاجه عن داره، فخرج منها ليلا على رِقبةٍ، وتوجّه الى عكبراء لاجئا الى بلاد غَريب بن مقن، وصادف هنــاك وزير الوزراء أبا القاسم هبــة الله بن علىّ بن ماكولا، وكان قاطنــا فى تلك النواحى، وقد تردّد له

(١) الأقبّ : الضامر البطن .
(٢) كذا بالأصل ولعل قبل ذلك بيتا أو أبياتا يقتضيها السياق .

خطاب على الوزارة فى أوقات مختلفة، ثم يبعد ويتوجّه ثم يقف، فلما أدركه ملك الملوك هناك آستروح الى وجوده، وآستوزره، وآستضاء برأيه فى كشف الغمة، وتدبر بينهما ما آل الى إصلاح أمر الملك، وعَودِ الأتراك الى طاعته، وإبعادهم مَن سَعَى فى الشغب عليه، وجرى ذلك على يد الوزير أبى القاسم، وورد الى بغداد، وقد آستتب لها الأمر، ووصل الوزير الى دار الخلافة، فخلع عليه بها خلعة شريفة، ووثق له على غاية ما آقترح من الوثيقة، وكان للأستاذ أبى الحسن[1] مهيار أسلاف عنده من خِدَمٍ متقدّمة، وحقوقٍ بالمدائح متأكدة، ومودّة بحضرته الجليلة مستحكمة، فوصف ما جرى، وذكر القصّة ببغداد فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

أفاق بها من طول سكرته الدهرُ ... وفُكّت أمانٍ فيك ماطلها الأسرُ
وأسمحتِ الأيام بعد حِرانها ... ونهنهها الوعظُ المكرَّرُ والزجرُ
حملت تمادى غيّها ولجاجها ... على غاربٍ لم يُدمه النَّدبُ[2] والعَقرُ
نَهوض اذا خار الفَقار[3] نجت به ... جوارحُ صُمٌّ كلُّها فى السرى ظَهرُ
وأرعيتها الإمهال علما بأنها ... اليك ـ وإن طال التنازعُ ـ تضطرُّ
وما فات مطلوبٌ سرى الجدّ خلفه ... وضامِنُه العمرُ المؤخَّر والصبرُ
وقد كنتُ أستبطى القضاءَ وسعيَه ... وأعذُله فيما ينوب وما يعرو
ويُقنِطنى ما يستقيم ويلتوى ... ويُقبِل من أمر عليك ويزوَرُّ
ولم أدر أن الله أخّر آيةً ... له بك فى إظهار معجزها سرُّ
وأنك مذخور لإحياء دولةٍ ... اذا هى ماتت كان فى يدك النشرُ

(١) كذا فى الأصل وفى الوفيات لابن خلكان أن كنيته "أبو الحسين" وقد نبهنا الى هذا الخلاف فى الجزء الأول فى ترجمة مهيار. (٢) الندب: أثر الجرح الباقى على الجلد. (٣) الفَقار: ما آنتسق من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العَجْب.

تعاورها شـــلّ الغواة وطـــردُهم ... تســاق على حكم الغِوارِ[1] وتُجتــرُّ
لهـا جانب من خوفهـم متسهّلٌ ... وآخر يرجو أن تَدارَكه وعرُ
مزعزعَـــة أيدى سَبَا بين معشرٍ ... هُمُ غمطـوا النعمى وغمطهُـمُ كفرُ
ولم أر كالعبـــد المـــوسّم آمنـا ... يروّع منـــه ربُّه المـــلك الحـــرُّ
محافـــرُ أكدت[2] فى أكفّ تخاذلت ... فكان عليهـا حَتْو ما فحَص الحفـرُ
ولمـا نبت بالمـــلك دارُ قـــرارِه ... ومال[3] عليـــه منهـــم الفاجرُ الغـــرُّ[4]
وسُرِّحَ من مكنونه الخـوفُ حامـا ... عليـه وأبدى من نواجـذه الشرُّ
وكوشف حـتى لم تحصّـنه رِقْبـــةٌ[5] ... ولم يبـــق بابٌ للحيـاء ولا سِـترُ
أنتك به الظلمـاءُ يركب ظهرَها ... على ثقـــةٍ من غيِّـــه أنك الفجـرُ
يناديك : قم ! هـذا أوان انتهازها ... فشمِّر لهـا قد أمكن الخائضَ البحرُ
فمـا ضرّه خـذل الذين وراءه، ... وقـــدامه منـــك الحميَّـــةُ والنصرُ
تلافيتهـا بالرأى شـــنعاءَ لم تجُـــزْ ... بظنٍّ ولم يُنفَـقْ على مثلهـا فكرُ
دعاك لهـا يا واحدا وهـو واحـــد ... فأصرخه من نصحك المجفـــلُ المجرُ[6]
وفى النـاس من تسرى له عزماتُه ... بعيـدا ولم يُشكَمْ حِصانٌ ولا مُهـرُ
وأعـــزلُ ما مدّ[7] الســـلاحَ بَنـانُه[8] ... تَلاوذُ من فتكاته البيضُ والسمرُ
وما كان إلا أن وفيتَ بعهـده ... وأسميتَ حتى مات من خوفك الغدرُ
فكنت عصا "موسى" هوت فتلقّفت ... بآيتها البيضـاءِ ما أفَـــكَ السِّـــحْرُ
طلعت لنـا بالملك شمسـا جـديدةً ... أعادت بيـاضَ الحقّ والحقُّ مغـبَرُّ

(١) الغوار : الغارة وفى الأصل "يساق على حكم الغوار ويجتر" . (٢) أكدت : صلبت .
(٣) فى الأصل "وما" . (٤) الغر : الجاهل بتجربة الأمور وفى الأصل "البر" .
(٥) فى الأصل "رقية" . (٦) المجفل المجر : الجيش العظيم . (٧) فى الأصل "ملّ" .
(٨) فى الأصل "بنانُه" .

ترحّلَ فى يـــوم من الشرّ عابس ... وعاد وقــد أعداه من وجهك البشرُ
اضاءت لنـا من بعـد ظلمتها الدجى ... فقلنا : الوزير" القاسمىّ " أو البدرُ؟
وكم مثلها من غُمّـــةٍ قــد فرجتُمُ ... ومن دولةٍ هيضت وأنتم لها جَبْرُ
دجَتْ ما دجت ثم انجلت وسيوفُكم ... كواكبُ فيها أو وجوهكم الغُـرُّ
بكم رُب هــذا الملكُ طفلا وناشئا ... فما ضمّه حصنٌ سواكم ولا حِجرُ
وفيكم نمت أعراقــه وفروعه ... ورفّت على أغصانه الورقُ الخُضْرُ
لكم فيــه أيامٌ يزيد بياضُها ... نُصــوعا وأيامُ الأعادى بها حُمرُ
يداولُ منكم واحدا بعــد واحــد ... فيُرضيه ما تُمــلى التجاربُ والخُبرُ
وما تمّ أمرٌ لستُمُ من وُلاتِــهِ ... وليس لكم نهىٌ عليــه ولا أمرُ
لكم سورةُ المجــدِ التليــدِ وفيكُمُ ... طرائفُ من يفخرْ بها فهىَ الفخرُ
فيــوما أميــرا سيفُه ويمينُــه ... — حمى جانبيه أوحبا — الدمُ والقَطرُ
ويــوما وزيرا صــدرُه ولسانه ... كما اشترط[1] القرطاسُ وآقترحَ الصدرُ
هو الشرفُ " العجلُ " يَصدَعُ فجرُهُ ... وتُغنــى عن الدنيــا كواكبُهُ الزُّهرُ
ويستوقف الأسماعَ منشورُ ذكرِهِ ... اذا وصم النــاسَ الأحاديثُ والذكرُ
فلا يعــدَم الدهرُ الفقيرُ اليكُمُ ... فتًى منكُمُ فى جوده يُنسَــخُ الفقرُ
ولا زال مغمورٌ من الفضــل دارسٌ ... يعــود به غضًّا نــوالُكُمُ الغَمْــرُ
ومُلّيتَ أنتَ ثــوبَ عزٍّ سحبتَــهُ ... ولا يُبــلِهِ سَحْبٌ عليــك ولا جَرُّ
يطول الى أن لا يُرَى ما يطوله ... ويمتــدّ فيه العمرُ ما حسُنَ العمــرُ
وعذراءَ بكرا من عوارفِ ربّهــا ... حُبيت بهــا، ما كلّ عارفــةٍ بِكرُ!
رآك الإمامُ كفئَها وقِــوامَهــا ... فسيقت وما إلّا علاك لها مَهْــرُ

(١) فى الأصل " اشتط " .

(٢٥) لبست بها تاجا وحصنا حصينةً (١) وإن لم يصنها لا الحديدُ ولا التِّبرُ
تمنَّى رجالٌ أن يكونوا مكانَها ففاتت ولم يقدِرْ على مثلها قَدرُ
مشيتَ على بُسطِ الخلافة واطئا مكانا تمنّاه من الفَلَك النَّسرُ (٢)
مكانا زليقا لو سواك يقومُهُ هوت رِجلُه أو ظَنَّ أن الثرى جَمرُ
وقلب شجاع القلبِ والفمِ باسطا لسانَك حيث القولُ محتشمٌ نزرُ (٣)
ولما وَعدتَ بالطروق تشوَّف الـ ـسريرُ الى رؤياك واشتاقَك القصرُ
وودّ ولىّ الأمر كلُّ صبيحة لعينيه عن إقبال وجهك تفترُّ
مزايا اذا خاف الكَفورُ سراحَها فعندك فيها أن يقيِّدك الشكرُ
وقد كنتُ أرجوها وأزجرُ طيرَها بفألٍ قضى أن لا يخيبَ له زجرُ
وأَنذُر إن أدركتُها فيك منسكا أقوم به فاليوم [قد] (٤) وجبَ النذرُ
وفاءً عصى أن يستحيلَ به النوى وعهدا تعالى أن يغيِّره (٥) الهجرُ
وشفعا لأسلافٍ لديك شفيعها مطاع وقاضيها له الحكم والأمرُ
وإن مسنى لذع (٦) الجفاء وطال بى فربّ جفاءٍ فى مدارجه نُذرُ
وقد أمكن الإنصافَ والجودَ فرصةٌ اذا أعوزتْ فى العسر قام بها اليسرُ
وهل ضائعٌ حقّ ومجدُك شاهدٌ بفضلى، وسلطانى على مالكَ الشعرُ؟
اعد نظرةً تشجى الزمان بريقه يراشُ بها المحصوص (٧) أو يُجبر الكسرُ
ووفِّر لها أعواض مافات إنها غنيمةُ مجدٍ يُستقَلُّ بها الوفرُ
فما زلتُ ألقَى العُدمَ جذلانَ مهوِنا بما جرَّ علما أنّ رأيك لى ذخرُ

---

(١) الحصن : السلاح والسلاح يذكر و يؤنث . (٢) النسر : اسم لكوكبين أحدهما يسمى النسر الواقع، والآخر يسمى النسر الطائر . (٣) النزر : القليل . (٤) ليست بالأصل .
(٥) فى الأصل "يعيّره" . (٦) فى الأصل "لدغ" . (٧) المحصوص : الذى نتف ريشه .

وقال فى الطبل

دلَّ على الخـير وأنبـائه ... ودلَّ أحيانا عـلى الشرِّ
للطالبـين الوِترَ عونا اذا ... ثاروا ومأخـوذ بلا وِترِ
باح بما آستودعتَه صدرُهُ ... لاضيِّق الباعِ ولا الصدرِ
تمَّ بقـدٍّ لم يطلْ وآنطوى ... مجتمعَ الأعضـاء بالنشرِ (١)
غـير ضعيف أبدا أسره ... وهوطَوالَ الدهرفى الأسرِ

وقال فى أُسطُرلاب (٢)

ماسـائر بين الورى دائرٌ ... بآيةٍ سـائـرةٍ دائرَهْ
يحولُ فى مستبهِـم ضيِّق ... منه حِذاءَ الحلَق (٣) الوافـرهْ
تنظـرُ منه أبدا كلّمـا ... ليست له عينُك بالناظرهْ
يوجَدُ منه ناحلٌ مسمِنٌ ... يُحمَلُ فى واردةٍ صـادرهْ
ووادعٌ يُدئِب (٤) أقـرانَهُ ... وغائبٌ صورتُه حاضرهْ
قضت به خرقاءُ مضعوفةٌ ... قضيّةَ القـادرة القاهرهْ
كأنمـا تعقِد (٥) فى نظمه ... سحرا ولكن أختها الساحرهْ
تعطيك إما ظفَرا أو ردًى ... سمـاتُه العادلة الجـائرهْ

(١) فى الأصل "بالشر" . (٢) الأسطُرلاب : لفظة يونانية مركبة من "أسترون" ومعناها كوكب و "لافى" ومعناها أخذ والحاصـل "أخذ الكوكب" . ويفسرها العـرب "بميزان الشـمس أو ميزان الكواكب" وفى الأسطُرلاب أقوال كثيرة فليرجع اليها من يشاء فى المجلد الثالث من دائرة المعارف للعلم بطرس البستانى وفى غيرها من الكتب الخاصـة بها . (٣) فى الاصل "جزاء الخلق" . (٤) فى الأصـل "بدأت" . (٥) فى الأصل "يقعد" .

فساعةٌ متجـــرُها مربح وساعةٌ خائبـــة خاسرهْ
شواهد الإيمان فى صمته ودِينُـــه فى أُمَّـــةٍ كافرهْ

* * *

وقال فى غرض من أغراضه

أبكى عليهـا وما شطّ المزارُ بهـا ودمعةُ البين تُجـرى دمعةَ الحذرِ
وأقتضى وصلهَـا صدًّا يناوبه، خونا من العين أو من فطنة الغِيَرِ
غار المحبـونَ من أبصـارِ غيرهِمُ ضدا وغرتُ على "لمياء" من بصرى
فكلّ ذى شجنٍ يشكو صبابتَـــه يلقَ من الشوق ما ألقَى من النظرِ
فى الغاديات يردنَ الصَّيْدَ ناصبةً لأنفس الصِّيدِ أشراكا من الحورِ
تُهدى الى حسنها فى اليوم ليلتهـا وجها تولَّد بين الشـمس والقمرِ

قافيـــة السين

بعـــد خـــلق قافيـــة الزاى

وقال وأنشدها أبا القاسم سور بن الكافى الأوحد وهو مقيم ببَرُوجِرْد[1]

(٢١٦)

[ذكرتُ[2]] وما وفاى بحيثُ أنسَى "بِدجلةَ" كم صـــباحٍ لى ومُمْسَى
بقلـــبى من مبانيهـا مغانٍ بَنَى فيهـا السرورُ فصار حِلسا[3]
[مغانٍ[4]] نجتـــنى منهـا نعـــيما ولم نغـــرس بفعل الخـــير غرسا
تركتُ خلالهَا ــ ورحلتُ ــ قلبى فـــلو عـــذَّبتُ قلـــبى ما أحسَّا

---

(١) بروجرد : بلدة بين همـــذان وبين الكرج وهى مدينـــة حصينة كثيرة الخـــيرات وينبت بها الزعفران . (٢) فى الأصل هكذا "ت" . (٣) الحلس : الملازم لبيته . (٤) فى الأصل هكذا "ن" .

[شريتُ](١) عراصها نقدا بدَيْنِ ... فلولا ما شريتُ شكوتُ وكسا(٢)
وبِكرٍ(٣) من ذخائرِ "رأسِ عينٍ"(٤) ... تعودُ بمجلس الندمان عِرْسا
[يضنّ](٥) [بها](٦) يهود أو نصارى ... وقد كرمت وإن لؤما وخسّا
خطبناها فقام القَسُّ عنها ... يخاطبنا نخلت القَسَّ "قُسّا"(٧)
[يُحدِّثُ](٨) معربا ما شاء عنها ... ويُعهدُ(٩) مُعجما لَكَنًا(١٠) وجنسا
وصار بمَهرها ثمنا يغالى ... به فى ظنّه ونراه بخسا
[أسِلْ](١١) ذهبا تزِنْ ذَهبا فإنا ... نرى فى حبِّها الدينارَ فَلْسا
وخافقة الفؤاد مشين عجلَى ... بها الأترابُ وهى تدبُّ همسا
[تعثّر](١٢) دهشةً بالبين حتى ... يقلن : لَعًا(١٣) لها، فتقولُ : تعسا
تُغوثُ(١٤) من نواى بمخطَفاتٍ(١٥) ... حَلين عواطلا ونطقنَ خُرْسا
[اذا](١٦) [فَجَع](١٧) الفراقُ قبضن عشرا ... وإن فجأ اللقاءُ بسطن خمسا
تقول : عدمتُ مدّعيا هواكم ... وأصبحَ يوم بينكُمُ فأمسَى
[أقيمى](١٨) [غير](١٩) جازعةٍ فإنى ... أراها وحشةً ستجرُّ أُنسا

---

(١) ليست بالأصل . (٢) الوكس : النقصان . (٣) يريد بالبكر الخمر . (٤) رأس عين : مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودَنَيْسر وبها عيون كثيرة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصير نهر الخابور . (٥) ليست بالأصل . (٦) بالأصل هكذا "ا" .
(٧) القَسُّ : حَبرٌ من أحبار النصارى وقُسّ : هو ابن ساعدة الإيادى أسقف نجران يضرب به المثل فى البلاغة وكان خطيبا مفوّها . (٨) فى الأصل هكذا "ت" . (٩) المعجم : خلاف المعرب ومن فى كلامه عجمة . (١٠) اللكن : العى وثقل اللسان فى النطق بالعربية . (١١) ليست بالأصل ويجوز أن تكون "أنل" أو ما أشبه وقد رجحنا "أسل" لأنها أنسب بالخمر . (١٢) ليست بالأصل . (١٣) لعا : كلمة تقال للعاثر دعاء له بسلامته . (١٤) تغوث : تستغيث .
(١٥) المخطفات : الضوامر المنطوية الحشى . (١٦) ليست بالأصل . (١٧) فى الأصل هكذا "ع" . (١٨) ليست بالأصل . (١٩) فى الأصل هكذا "ير" .

ذرينى والتطـرُّحَ إنّ بيتا ... اذا هـــو صار إلفا صار حبسا

[أَجَزْ](١) جبـلا وراء الرزق قالت : ... وتتركنا ؟ ! فـؤادُك منـــه أقسَى (٢)

ألا من مبلغُ الأيام عـنّى ... وإن نجلتْ فما تسطيع نَبْسا؟ ،

[متابى](٣) بعـــدها من كلّ ذنبٍ ... أناخَ بساحتى ثِقَـلًا وأرسَى

وكانت سكرة أقلعتُ منها ... على صحـــوٍ وذنبُ السـكر يُنسَى

[وما](٤) [اجتمعت](٥) "بَروجِرْدٌ" وفقرٌ ... ولا أحدٌ رأى "سعدا" ونحسا

فـــتى أحيت به الأيامُ ذكرى ... وكان موسَّـدا منهنّ رمسا

[وقد](٦) [رَدَّتْ](٧) نُيوبَ الدهر دُردا ... يداهُ وقـــد فغرنَ الىَّ نهسا (٨)

وذاد سماحُـــهُ الفيّـاضُ عنّى ... ذئابا من صروف الدهر طُلسا (٩)

[وأعطى](١٠) ظاهرا سَرَفَ العطـايا (١١) ... فلما عوتب آستخفى ودسّا

أيا "سـعدُ بن أحمدَ" ما تسمَّى ... ويا "رضوى"(١٢) اذا آنتسب آبن قُدْسا (١٣)

[نمتْ](١٤) أعراقـــه فنماك غصنا ... فطبتَ الفـرعَ لمّا طاب أسّا

وأشرق فآستفدت النورَ منـــه ... فكنت البـدرَ لما كان شَمْسا

[عظمت](١٥) ندى فلو لُويتْ خطوبٌ ... بجـودك لآلتوينَ وكنّ شُمْسا

وطبت يدا فلو لُمْتَ شـفاهٌ ... تقبِّـلُ راحتيك لُمْنَ لُعْسا

[بنائل](١٦) آل "إبراهيمَ" عاش الـ ... ـسماحُ وقـــد محاه الدهر درسا

---

(١) ليست بالأصل . (٢) فى الأصل "جبـلا" . (٣) ليست بالأصـل .
(٤) ليست بالأصل . (٥) بالأصل هكذا "معت" . (٦) ليست بالأصل .
(٧) فى الأصل هكذا "دت" . (٨) النهس : النهش . (٩) طلس جمع أطلس وهو الذئب فى لونه غبرة الى السواد . (١٠) فى الأصل هكذا "على" . (١١) السرف : التبذير . (١٢) رضوى : جبل بالمدينة . (١٣) قدس : جبل عظيم باليمن .
(١٤) ليست بالأصل . (١٥) فى الأصل هكذا "ت" . (١٦) ليست بالأصل .

وهبَّ الريحُ فى روح المعالى ... فطــرن وطالما رُدِّدن قُعْسا
[عرانين](١) مع الجــوزاء شُمٌّ ... تشمُّ عُــداتُها الإرغامَ فُطْسَا
وأعــراضٌ تصافح لامسيها ... — غداةَ تَضَرَّسُ الأعراضُ — مُلْسا
[يموتُ](٢) حســودها منها بداء ... اذا [آستشفاه](٣) عاود منه نكسا
دعانى الشــوق يزأر بى اليكم ... فسرت ملبيا والدهرُ يخسا(٤)
[لأُدرِكَ](٥) معجزاتِكُمُ بعينى ... فيصبحَ منظرا ما كان حِسّا
وكم بمديحكم بددت درًّا ... على القرطاس ما آستمددت نفسا(٦)
[وقد] كان البنانُ ينــوب خطًّا(٧) ... فقــد حضَر اللسانُ يهُدُّ(٨) درْسا
رعيتُ هشيمَ طَرْقِكُمُ(٩) لماظا ... فــردُّونى ألُسَّ الحَمْضَ(١٠) لَسّا(١١)
ورَوُّوا من نميركُمُ غليــلا ... وردتُ به القــذى نِهْمًّا فخمسا(١٢)
فإن الله أوجبها فروضا ... عليكم لاتزال الدهرَ حبسا
صــلاح بلاده شرقا وغربا ... ورزق عبــاده عربا وفُرْسا

(١) بالأصل هكذا "نين". (٢) فى الأصل هكذا "ت". (٣) بالأصل "استسقاه".
(٤) يخسأ : يبعد و ينزجر . (٥) بالأصل هكذا "درك" . (٦) النفس : المــداد .
(٧) فى الأصل هكذا "د" . (٨) يقال : هذَّ فى قراءته اذا أسرع فيها . (٩) الطرق : الماء تخوض فيه الإبل ، واللماظ : ذوق الشيء بطرف اللسان و فى الأصل "لماضا" . (١٠) الحمض : ما ملح وأمر من النبات وهو كفا كهة للإبل تأكله عند سآمتها من الخلة وهى ما حلا من النبات ومتى شبعت من الخلة مالت الى الحمض . (١١) اللس : نتف الكلأ بمقدم الفم . (١٢) الخمس : من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع .

ملحوظة : فى هذه القصيدة طائفة من الكلمات التى فقدت فقدانا تاما فى الأصل الفتوغرافى وطائفة مثلها لم يبق منها إلا الأحرف الأخيرة فاضطررنا فى الحالة الأولى الى آبتكار كلمات تحل محل المفقود كما اضطررنا فى الحالة الثانيــة الى آبتكار كلمات تنتهى بالأحرف التى بقيت فى الأصــل مع آستقامة المعنى فى كلتا الحالتين وليراجع القارئ الأصل الفتوغرافى لهذه القصيدة فى أوّل هــذا الجزء حتى يلمس بنفسه المجهود الذى بذل فى تصحيحها .

وقال [وبعث] بهـا الى الصاحب أبى القاسم بن عبـد الرحيم فى المهرجان، ويكلّفه تقديم رسم خلعة الشتاء ويمازحه بذلك

كالشمس من جمرة(١) "عبد شمس" غضبى سخت نفسى لهـا بنفسى
ماطلةٌ، غريمها لا يَقتضى ديونَـــه ودَينَهـا لا يُنسِى(٢)
فى بـلدٍ يحرُم صـيدُ وحشِهِ وهى به تُحـلّ صـــيدَ الإنس
ترى دمَ العشاق فى بنانهـا علامـــةً قد مُوِّهتْ بالورس(٣)
تُفسِـــدُ خَلْقا لِيِّنـا معتـــدلا لها بأخـــلاقٍ جِعـادٍ(٤) شُمس(٥)
فى طرفها تغـــزُّلٌ وقلبهـا حماســـة تنسبهـا للحُمس(٦)
ذكّرتها العهد على "كاظمةٍ" قالت : نسيتُ، والفراقُ يُنسى
أُنكِرُ منهـا حِليةً غريبةً تشوب لى معـــرفةً بلَبْس
وشَـــعَرا مبـــدَّلا بشَـــعَرٍ بَـــدَّلَ فيهـا بالنفـار أنسِى
هل هو إلا الشيب "أمّ مالك"؟ لا بدّ أن يصـبحَ ليـــلُ الممسى
وما عليـــك والهـــوى مكانَهُ أنّ الثَّغـامَ(٧) فى مكان النِّقس(٨)
غالٍ بها عنـــد الغوانى لِمَّـــةً(٩) ما لم تبعهـا حَـــدَدًا(١٠) بلُبس

---

(١) الجمرة : كل قبيلة انضموا فصاروا يدا واحدة ولم يحالفوا غيرهم . (٢) ينسئ : يؤجل .
(٣) الورس : نبات أصفر يصبغ به . (٤) جعاد : جامدة غير سهلة . (٥) شمس جمع شَموس : وهو الصعب الخلق . (٦) الحمس : لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهليـة لتحمسهم فى دينهم أو لاعتصامهم بالحساء، وهى الكعبة، الواحد أحمس والنسبة اليهم أحمسىّ .
(٧) الثغام : شجر أبيض الزهر والثمر كأن جماعتها هامة شيخ والمراد به هنا الشيب . (٨) النقس : المداد والمراد به هنا سواد الشعر . (٩) اللة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (١٠) حددا : باطلا وكذبا، يقال أمر حدد أى باطل، وخبر حدد أى كاذب .

إن الكرامَ درَستْ آثارُهم ... فلم أطق ضبطا لها بدرسِ
إلا من البيت الذى خُطَّتُه ... يرشح فيها مجدها فيُرسى
شادَ بنو "عبد الرحيم" فى العلا ... خيرَ بناءٍ فوق خير أُسِّ
اِدفعْ بهم غضبةَ كلِّ لَزْبَةٍ(١) ... عمياءَ تَدفَعْ ربوةً "بقُدسِ"(٢)
وآلق بنجم منهُمُ وسعدِه ... تخلُصْ نجيًّا كلَّ يومِ نحسِ
إنى عجمتُ "بالحسين" زمنى ... فلم يُثَلَّمْ وهو صُلْبٌ ضِرسى
وذبَّ عنى فوفيتُ ناهضا ... من الخطوب بذئابٍ طُلْسِ(٣)
أنشَرَ آمالى وكنّ رِمما ... يا من رأى حياةَ ما فى الرمسِ!
ومدَّ لى كفًّا فكانت رُقيةً ... والدهر أفعَى فاغرٌ لنهسى(٤)
صافحتُها فصفَحتْ بلينها ... عنّى ضروسَ(٥) السنوات اليُبْسِ
ما استصبحتْ عينٌ بمثل وجهه ... واليومُ عبّاسُ العشىّ مُمْسِى(٦)
ولا ورى زندىَ إلا رأيُه(٧) ... أبيضُ منه فى الخطوب الغُبسِ(٨)
من دوحةٍ مُظِلّةٍ مطعمةٍ ... طاب جناها الحلوُ طيبَ الغرسِ
أدَّتْهُمُ يحذوك فرعُ أصله(٩) ... لم يك دينارُهم ابنَ الفلسِ
إن بَلِيتْ(١٠) أعراضُ قومٍ أوخبتْ ... يوما فغطّت صحّةً بلَبْسِ،
باتوا بأعراضٍ عراضٍ فى العلا ... يومَ الفخار ووجوهٍ مُلْسِ

---

(١) اللزبة : الشدة والقحط . (٢) قدس : جبل عظيم باليمن . (٣) طلس جمع أطلس وهو الذئب فى لونه غبرة . (٤) النهس : النهش . (٥) الضروس : المهلكة . (٦) فى الأصل "يمسى" . (٧) ورد هذا الشطر فى الأصل هكذا * ولا ورى زند ولا رأيه * وهو غير مستقيم الوزن والمعنى ولم نوفق فى تصحيحه الى أبين مما أثبتناه ، ولو قيل "عينى" بضمير المتكلم فى البيت الذى قبله لأتأم البيتان ولم يأبهما سياق ما قبلهما من الأبيات . (٨) الغُبس جمع أغبس وهو المظلم . (٩) هكذا بالأصل رسما وشكلا ولم نفهمه . (١٠) فى الأصل "تليت" .

مكارمٌ معمّـــة مخـــولة تركّبتْ من عَرَبٍ وفُرسِ
لم يتهجّن غُرُّهـا وشُمُّهـا بالبُهـمِ من إمائهـا والفُطُسِ
واليـوم باقٍ من حُلِيّ ما بكُمْ بقاءَ ســطرٍ ناحلٍ فى طِـرسِ
غـيرَّ أخذُ الحـقّ من باطله طلاوةً فيـــه وفـــرطَ أنسِ
فراعِ من حفظهِـمُ فى رسمـه ناسجـةَ العـرقِ وحـقَّ الجنسِ
وآعمـرْ بساعاتِ السرور ساعةً تُتبعُ بـــرءَ سكرةٍ بنكسِ
ما بين جَورِ قَـدَحٍ وعدله وبين حثّ مِزْهَرٍ وجَسِّ
هـــذا لحـرِّ فارسٍ نسـبتُهُ (١) وتلك من علج النصارَى الجِلْبس (٢)
عجبتُ منها خَشَـبا من خَشَبٍ جاءت ومنـه ناطقا عن خُرسِ
فاشرب على آبن المُوبَذان (٣) ـ خُرِقَتْ عُـذْرَتُه ـ عـذراءَ بنتَ القَسِّ
وخـــذ لأيام الشـــتاء أهبـــةً أخذَ العـروس أُهُباتِ العُرسِ
عنـدىَ من جودك فيـه عادةٌ يحبسها النسـيان بعضَ الحبسِ
تدركنى وقـــد قضت رُعيانهُ الـ (٤) ـأوطارَ من تحشّشى ولسى (٥) (٢١٨)
والمجـــدُ فيما أنت مهـــدٍ خالعٌ والنفـع أن تُلبِسَ وقتَ اللُّبسِ
وحاجتى ـ اذا آقترحتُ حاجةً فى لطف حِسٍّ وبحسن مسِّ ـ
فى أن يكون اليـوم ما يأتى غدا إذ كنتُ قد أجمتكم (٦) بالأمسِ
وآعلم ـ بنفسى أنت خيرُ عالمٍ ـ أن الشتاءَ من عدوّ النفسِ

(١) العلج : الأعجمى من الكفار . (٢) الجلبس : الجبان القدم . (٣) الموبذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس ويريد بقوله : ابن الموبذان "العود" لأنه من صنع الفرس ، ويريد بقوله : ابنة القسّ الخمر ، والأبيات التى قبل هـذا البيت تعينهما . (٤) التحشش : أكل الحشيش .
(٥) اللس : نتف الكلأ بمقدم فم الدابة . (٦) أجمتكم : تركتكم .

وقال فى غرض له

مالى كأنىَ مخبـولٌ ولسـت به ... أشكو الى الناس معْ علمى مَنِ الناسُ
كلما اذا اعتلّت الأذناب يجـبرنا ... رجاؤنا الرأسَ حـتى أُدوِىَ(١) الراسُ
لا بأسَ فى كفّ نفسى عن سؤالهمُ ... وليس عنـدهُمُ جـود ولا باسُ
نقِّـلْ ركابَك إلا فى رحالهِـمُ ... واستغنَ ماشئتَ عنهم فالغنى الياسُ

وقال فى مثله

" خنساءُ " همّى وذكرُها أنسى ... اذا أمانىّ حـدَّثتْ نفسى
وساوس بين خاطرى وفمى ... أصبح أهـذى بهـا كما أمسى
حتى لظنّ الأقـوامُ أنّىَ مم ... سوسٌ وما بى إلّاكِ من مس
كم دعوةٍ يشهدُ الحفيظُ على ... خلوصِ سرّى بهـا من اللّبس
يارب إما أن ضمّنى وصلُ " خذ ... ساء " اليهـا أو ضمّـنى رمسى

وقال وقد اتفق ورود الشريف الزكىّ مجد الدين أبى علىّ، يشكر ما اتفق من تجديد العهد به، ويذكر شوقه اليه، وهى تجرى مجرى المكاتبة المرتجلة، والقافيـة مقترحة، ممـا كان أملاها فى داره بدار كعب

يا وحشـة المجـد ثقى بالأَنَسِ(٢) ... قد عطّت(٣) الشـمسُ رداءَ الغلَسِ
ويا حمى "الزوراء" أمنا، حرّمتْ ... رَعيكَ كفُّ الأخدرىّ(٤) الأشوسِ(٥)

(١) أدوى : مرض . (٢) فى الأصل هكذا "نفى" . (٣) عطّت : شقّت .
(٤) الأخدرىّ : الأسد الخادر . (٥) الأشوس : من ينظر بمؤخر عينه كبرا أو تغيظا .

من بعـد ما كنتَ ببعـد صوته مهبِـــط كلِّ خابطٍ مَلْمَسِ[1]
عاد الحيا مرقـرقا عـلى الـثرى بمـائه قبَّـــل كلَّ يَبَسِ
وأ نتشرت خضراءَ دوحـةُ العلا فالساقُ وَحْفٌ[2] والقضيبُ مكتسى
ورَدَّ "مجدُ الدين" فى أيامه دِينَ النـدى كأنّه لم يَدْرُسِ
عزَّ به الفضلُ كأن لم يُهْتَضَمْ وقامت العليا كأنْ لم تجلِسِ
ووضَحتْ على ضَـلالات السُّرى طُـرُقُ المـنى للـرائد الملتمِسِ
فيا مثيرَ العيسِ جعجعها[3] ويا مُرسلَ [أفراسِ][4] الرجاءِ أحبِسِ
كُفيتُما تهجـيرَها مُظهِـرةً وخوضَها فى الليل بحرَ الحِندِسِ[5]
جاءكما الحـظ ولم تقـامرا بناقـةٍ فيـه ولا بفـرسِ
لم تضربا أعناقَهنا وسُـوقَهـا حرصًا لإدلاجٍ[6] ولا معـرِّسِ[7]
رَدَّ الكرى الى العيـون قُرَّةً وعاد للأنفس روحُ الأنفسِ
بالحـلو والمـرّ عـلى أعـدائه والطائشِ السرج الوقـورِ المجلسِ
"ببابـلىٍّ"[8] مالُه لم يمتنـعْ "وسامرىٍّ" عِرضُه لم يُمَسِّسِ
أروع لا يعـثر من آرائه بمشكـل هـافٍ ولا ملتبِسِ
اذا دجى الخطبُ سرى مستقدما من عزمه فى قمـرٍ أو قبَسِ
لا هاشم مغـرِّر لم يعتـبر ولا حريصٌ معجَب لم يقِسِ

---

(١) الملمس : الناتف الكلأ بمقدم فمه . (٢) الوحف : ما غزر من النبات وأثت أصوله .
(٣) جعجعها : أنخها وبركها . (٤) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وقد رجحناها لقوله فيما بعد :
جاءكما الحظ ولم تقامرا * بناقة فيـه ولا بفرس
(٥) الحندس : الظلام . (٦) الإدلاج : السير أول الليل . (٧) المعرس : الموضع ينزل فيه القوم للاستراحة فى آخر الليل . (٨) فى الأصل هكذا "سابلى" .

نجّـذتِ الأيام منـه قارحا (١) بفضـله والسنُّ لم تُعنَّس (٢)
وطال أمّاتِ العضاهِ مشـرفا وهو قريبٌ عنـده بالمغـرِس
تختمر الزُّهْـرةُ (٣) فى لثامـه بصُدغِهـا حتى الدجى المعسعِس (٤)
فإن غلت بصـدره (٥) حميّةٌ راعـك وجـهُ الضيغم المعبِّس
رمَتْ به صحنَ السماء فسما مدارجَ البيتِ الأشمِّ الأقعس
فأنت من أخلاقـه فى مغـزل (٦) ومن حمى غـيرته فى محمِس (٧)
بيتٌ يقـول الله : بيتٌ مثـلُه عنـدِىَ لم يُبْنَ ولم يؤسَّس
سماحـةُ الغيث وفى أرجائه مهابطُ الوحى وروحُ القُـدُس
ومنه فرعا "مكـة" و"طيبة" تشعَّبا ومنـه "بيتُ المقـدِس" ٢١٩
قَوْمٌ بهـم ثَمَّ — ونحنُ فترةٌ — فَرْجُ المضيقِ وانكشافُ اللَّبَس
هـم حملوا على الصراط أرجلا (٨) لولا هـداهـم عثرتْ بالأرؤس
وحطَّموا "وَدًّا" (٩) وخلوا "هُبَلًا" (١٠) مبدّلين بالعتيـق الأملس
ديست من الشِّرك بهم جماجمٌ تربُهـا من عزةٍ لم يُدَس
سـاروا بتيجان الملوك عنـدنا معـقودةً عـلى الرماح الدُّعَّس (١١)
آلُك آلُ الحجـراتِ أيقظـوا للرشـد أبصـارَ القلوبِ النُّعَّس

---

(١) القارح : المسن من الإبل . (٢) لم تعنس : لم يطل مكثها كالعانس التى يطول مكثها فى أهلها ولم تتزوّج حتى تخرج من عداد الأبكار . (٣) الزهرة : اسم كوكب . (٤) المعسعس : المظلم . (٥) فى الأصل "حلت بصدر" . (٦) المغزل : محل الغَزَل . (٧) المحمس : موضع الحماسة . (٨) فى الأصل "رجلا" . (٩) ودّ : صنم كان لقوم نوح وكان على صورة رجل ومنـه سمى "عبد ودّ" . (١٠) هبل : صنم كان بالكعبة . (١١) الدعس : الطاعنة جمع داعس وفى الأصل "الدس" .

وأخَـــذُوا الى فســيح لاحبٍ بالناس من جهل المضيق المُلبِسِ
قالوا فجادوا فكأنّ الرعـدَ لم يُرزِمْ(١) وماءَ المزن لم ينبجِسِ(٢)
وجـدُّك الناطقُ بالصـــدق له طاعةُ كلّ ناطـقٍ وأخرسِ
وبأبيـــك حبـــه وبغضـــه غدًا يَرَى المحسنُ خسرانَ المُسى
وأنت — ما أنت — لُحوقًا بهِمُ "زُرارةُ"(٣) تجرى وراءَ "عُدَسِ"(٥)
يفـديك مملوكٌ عليـه أمرُهُ رِخوُ البِـدادين(٤) ضعيفُ المَرِسِ(٦)
يأكلهُ العيبُ فـلا يُميطُـه بمـاله عن عِرضـه المضـرَّسِ
لو خنقتـــه ذلّةُ البخـــل لما قال بدينـار لهـا : تنفّسى
يغـزو أباك ويظنّ مقنعـا عزَّ الأصـول مـع ذلِّ الأنفسِ
ضُمَّ اليـك فعلوت ولَطَى(٧) سـومَ الأشمِّ قستَه بالأفطسِ
عاد بظـلّ بيتـــه وأصحـــرت غرُّ مساعيك بقاعٍ مشـمسِ
تأخذ حـقَّ العـزّ قسرا وسُطًا والأسـد لا تعـاب بالتغطرسِ
فاصـدع بهـا داميـةً نحورُهـا صـدعَ فتًى فى نقـعها منغمسِ
وقـــم بنـا نطلبهـا عاليـــةً إما لمـرمى العـــزّ أو للمـرمسِ(٨)
فالسـيف مالم يمض قُـدما زُبرةٌ(٩) والليثُ كلبُ البيت ما لم يفرِسِ
نادى البشـيرُ وفـؤادى جمـرةٌ للشـوق من يرفع له يقتبسِ ،
والبينُ قد أوحدنى فليس لى بعـدك غير وحشـتى من مؤنسِ ،

(١) يرزم : يشتد صوته . (٢) ينبجس : ينفجر . (٣) هو زرارة بن عدس بن زيد الدارمىّ آباء قبائل ، ويريد الشاعر أن الأبناء يقتفون الآباء فى بناء سؤددهم والإشادة بمجدهم .
(٤) البـداد : بطانة تحشى وتجعل تحت القتب وقاية للبعير من شق ومن الشق الآخر مثله وهما بدادان .
(٥) المرس : الحبل . (٦) المضرس : المصاب المثلّم . (٧) لطى : لزق بالأرض .
(٨) المرمس : موضع الرمس وهو الدفن . (٩) الزُّبرة : القطعة من حديد .

والبعد باستمراره يطلع لى ـ كيف طمعتُ ـ من ثنايا الموئس
دعا وقد ضعفتُ عن جوابه كأنّ نفسى خُلقتْ من نَفَس : ،
هذا الزكىّ ابن التقىّ ، فطنى شيطان شوق وهفا موسوسى
وقيل : ممسوس ولكن واجد قلبا له ضلّ ولمّا يُمسَس
فيالها غنيمةً سِرِّى بها لم يختلج وخاطرى لم يهجُس
أحلَى على القربِ — وقد تملّأت عينى بها — من نظرة المختلس
حبا غزيرا لا كما تُسنيه لى (١) من نَزِر (٢) ماءٍ وقَليبٍ يبس (٣)
وشكر ما توسع من خلائقٍ على البعاد ثوبُها لم يَدْنَس
طاهرة اذا عركتَ جانبى (٤) من ودّ قومٍ بالخبيث النجِس
عرفتنى والناس ينكرونى وجدّك بالشفوف والتفرس
أودعتُك الفضلَ فلا حقوقه عندك ضاعت لى ولا العهد نُسى
فقصرُ ما أوليتَ أن أجزيَهُ جزاءه فى المطلقاتِ الحُبُس
شواردا باسمك كلّ مطرَح ولم تُرَحْ عنك ولم تعرَّس
كالحور فى خيامها مقصورة وفى الفلا مع الظباء الكُنَّس
مما حويت بُرقاىَ فسرَى سحرىَ فى حيّاتهنّ النُّهَّس
يترك كلّ ماسح — غير يدى — دما على نُيوبها والأضرس
تغشاك لا تحتشم الصبحَ ولا ترهبُ فى الليل دبيبَ العَسَس (٥)
فأنت منها أبدا غواديا ورائحاتٍ فى ثياب العُرُس

---

(١) فى الأصل "لما" وتسنيه لى : تصانى به وترفعه الىّ .
(٢) النزر : القليل .
(٣) اليبس : ما كان رطبا فجفّ .
(٤) فى الأصل "ظاهرة" .
(٥) العسس : جمع عاس وهو الذى يطوف بالليل لحراسة الناس .

فاسمع لها واسـلم على اتصالها ... واتقِ أن تُعيرَها واحـترس

واستغن بى وأغنى عن معشـرٍ ... سُورَةُ فضـلى بينهـم لم تُدرَس

أعـوذ من لينى لهم بجَعْـدى (١) ... ومن ذحولى بينهـم ببُلْسِى (٢) (٣)

شـفيتُ أعراضَهُمُ وعيشـتى ... فيهـم متى تبرا اختـلالا تُنكِس

ودّ القـريضُ قبل ما قال لهم ... على لسـانى أنَّ نطـقى خَرَسى

فإن تَغَـرْ أو تكفنى جانبهـم ... فلستُ من ذلك بالمبتئِس

* * *

وقال يمدح أبا طالب فى النيروز ويتنجّزه رسمَ الكسوة

سل "بالغُوير" السائقَ المغلِّسا (٤) ... هل يستطيع ساعةً أن يحبسا ؟

فإن فى الدار رذايا لوعـةٍ ... نوقا ضِعافاً وعيـونا نُعَّسَا

وثَمَلين ما أداروا بينهـم ... إلا السهادَ والدمـوعَ أكؤسا

ما علِمتْ نفوسُهم أن الردى ... ميقاتُه الصـبحُ اذا تنفَّسـا

راخِ لهم فإنهم وفـدُ هوًى ... يرضيه [أن] تُوْدِ (٥) (٦) أو أن تَسْلَسا (٧)

تركتَ من خلفك أجسامَهُـمُ ... وسقتَ ما بين يديك الأنفُسـا

اعطفْ لهم شيئا فلو لم ينفِسـوا (٨) ... على الشموس فى الخدور مَنفَسا ،

لأغرقوك دمعـةً فدمعةً ... وحرقـوك نَفَسا فنفَسـا

---

(١) الجعد : التقبض والجمود ، والأصل فيه سكون العين وحركت للضرورة . (٢) الذحول جمع ذحل وهو طلب مكافأة بجناية وقعت عليك . (٣) البُلْس : جمع بِلَاس وهو المِسْحُ فارسية معربة ؛ والبيت معناه بعيد الوضوح . (٤) المغلس : من يسير فى الغلس وهو الظلام . (٥) ليست فى الأصل . (٦) تود : ترفق وتتئد . (٧) تسلس : تلين وتسهل . (٨) نفس على الشيء : حسده .

أين تريد عن حياض "حاجر" أن تستجيز(١) الخضم(٢) والتلسّسا(٣) ؟
وهل على ماء "النخيل"(٤) مطعنٌ اذا وردتَ مثلثًا أو مخمسا
وفى الحمول سمحةٌ ضنينةٌ تُبذَل وجها وتصانُ ملمَسا
شُنَّتْ على الكناس حتى لم تدع للريم إلّا حَمَشًا(٥) أو خَنَسا(٦)
تبسِمُ عن أشنبَ(٧) فى ضمانه نطفةُ مزنٍ لقبوها اللعَسا(٨)
سلسالةٌ إن لم أكن عرفتُها رشفا فقد عرفتُها تفرّسا
يا هل الى ذاك اللمى وسيلةٌ تبلُّ لى هذا الغليلَ اليَبِسا ؟
أم هل الى ذاك الهلال نظرةٌ إما بملءِ العين أو مختلَسا ؟
بل كلّ ما بعد المشيبِ مسمِحٌ ماكسَ أو منجذبٌ تشمّسا(٩)
ومن عناء اليد أن تبغى الجنا والساقُ خاوٍ والقضيبُ قد عسا(١٠)
لامت على تعزّلى إذ أبصرتَ جحفلَ شيبٍ هاجما وخُمِسا
تنكّرته مذ رأته بُلجةٌ(١١) ضاحيةٌ أن عرفته حِندِسا
بيضاء أعشت فى السواد عينَها فاشتبه الصبحُ عليها والمَسا
اذا تلفعتُ بها مُنصّعًا ما كنتُ من صبغتها مورّسا(١٢)
منتبَذًا نبذ الحصى يردّنى نقدُ العيون أخزرا وأشوسا

---

(١) فى الأصل "تستجير" . (٢) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس وفى الأصل "الخصم" . (٣) التلسس من لسّ الدابة الكلأ أى تناولها إياه بمقدّم فمها ، وفى الأصل "التسلسا" . (٤) النخيل : اسم عين قرب المدينة على بعد خمسة أميال . (٥) الحمش : دقة الساقين . (٦) الخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة وهى طرف الأنف . (٧) الأشنب : من كان فى ثغره الشنب وهو الرقة والعذوبة فى الأسنان . (٨) اللعس : السواد المستحسن فى الشفة . (٩) تشمس : أبى وامتنع كبرا . (١٠) عسا : كبر وانحنى . (١١) البلجة : الضوء . (١٢) المورس : الصابغ بالورس وهو نبات أصفر يصبغ

فـــلم تكن أوّلَ حال غبطـــةٍ أحسنَ فيها زمـــنى ثم أسا
هو الذى ما جاد أو ضنّ ولا رقَّ عـــلىَّ مرةً إلا قسـا
وقـــد ألفتُ خُلْقَـــه تمرُّنًا به على لونيـــه أو تمـــرُّسا
حلفتُ بالحُلْقِ(١) الطِّلاحِ صعُبتْ على الوجى(٢) سُوقًا ولانت أرؤسا
مثل القسىِّ كلُّ ظهرٍ(٣) فوقه ظهرٌ بإدمان السُّرى قـد قُوِّسا
من كلّ فتـلاء تطيع المَرِسَ(٤) الـ ـمثْنى عليهـا أو تعـودَ مَرِسا
تقامر الأخطـار فى نفوسها على الطلاب إن زكًا(٥) وإن خسا
يخبطن يطرحن الربى عجرفةً فى الوفد يطلبن العتيـقَ(٦) الأملسا
اذا فرقن المـوتَ لم يفرقْنَ ما دُيِّثَ(٨) من أرضٍ وما توعَّسا(٩)
حتى يؤدّين الشخوصَ "بمنى" مكبّرًا لله أو مقـدّسا
لا ضاع من يعتمـد الحظُّ به من قسمةٍ على "عميد الرؤسا"
أروعُ لا ترعَى الخطوبُ ما رعَى ولا تشـلُّ غارةٌ ما حرسا
أبلجُ بسّـام العشىّ ما غـدا وجه الجدوبِ فى الثرى معبِّسا
مبـارك الصفقة يهتزُّ الغـنى فى كلّ ما صافح أو ما لمسا
يفـرِّجُ التقبيـلُ عن أنامل لو قارع الصخرَ بهنّ انبجسا
جاد على اليُسر فلمـا أفلست به عطايا اليسر جاد مفلسـا
لا يحسَب المـالَ يغطّى عورةً عاريةً ما غطّت العُرىَ الكُسَا(١٠)

(١) الحلق الطلاح : الإبل المهزولة المحلوقة الشعر . (٢) الوجى : الحفاء . (٣) الظهر : ما ركب من الإبل التى تحمل الأثقال . (٤) المرس : الحبل . (٥) الزكا : الزوج من العـدد ، يقال : أزكا هـذا أم خسا أى أزوج هذا أم فرد . (٦) العتيق الأملس : البيت الحرام . (٧) فرقن : خفن . (٨) دُيِّث : ذلل . (٩) توعس : تعسر سلوكه . (١٠) الكسا جمع كسوة .

أرهف للا عراض من عزمته أصمعَ[1] ما أنبلَ[2] إلا قرطسا[3]
اذا رمى غايتـه بظنـه كفى يقين غيره ما حدَسا
قال فأعدى الخُرسَ بالنطق كما حسَّنَ عنـد الناطقين الخَرَسا
وقام يبنى حقَّـه من العـلا حـتى اذا جاز النجـومَ جلسا
موقِّـر المجلس إما هـو فى ا لد ست آحتبى أو ركن "ثهلان" رسا
اذا سُطَاه أوحشت جليسَـه فاض عليها بشرُه فأنَسا
ذبَّ عن الخليفتين رأيُه المنصورُ ذؤبانَ[4] الخلافِ الطُّلُسا[5]
أصحرَ فى إثر العـدو عنهما أغلبُ[6] ما واثب إلا فَرَسا[7]
خلافـة الله رقى مشيّدا منها الذى كان أبوه أسّسا
طهَّـرها تدبيرُه فـلم يدع إزاءَها من العباد نجِسا
رقَى من الأعداء كلَّ حيَّـةٍ أصمَّ لـو لم يحـوِهِ لنهَسَا
كم قد جلوت الحقَّ عن بصيرة عمياءَ فيها وكشفتَ لَبَسا
أنفقتَ مـيراثك فى طاعتها جناه "أيوبُ" الذى قد غَرَسا
تمنـع من قناتها من رامها بالعَجْم أو أدردتَ عنها الأضرُسا
أنت الذى أحيا الزمانَ راعيا من سنن المجـد به ما درسا
قومك كنتَ فى آقتفاء سعيهم "زرارةٌ" فى الفخر تتلو "عُدَسا"[8]
قد كبَّرتْ لك العـلا وشكرتْ نشَرك ذاك الكرَمَ المـرمَّسا[9]

(١) الأصمع : الرأى العازم . (٢) أنبل : أعطاه نبلا يرمى به . (٣) قرطس : أصاب القرطاس وهو الغرض . (٤) ذؤبان جمع ذئب . (٥) الطلس جمع أطلس وهو الذئب فى لونه غبرة . (٦) الأغلب : الأسد . (٧) فرس : افترس . (٨) زرارة بن عدس : كلاهما أب لقبيلة ويريد الشاعر بهذا أن الأبناء يقتفون آثار الآباء فى بناء سؤددهم ومجدهم . (٩) المرمس : المدفون .

بك آعتلت نارى وهبّت عاصفا ... ريحىَ وآلتفّ قضيبى وآكتسى

وطمعتْ فى زمنى فضائـــلى ... وكنتُ من إنصـافه مستيئسـا

إن أجدبتْ أرضىَ صُبتَ مزنةً ... أو أدجنتْ[1] حالىَ لحتَ قَبَسـا

سـاهمتَنى يسرَك والعسرَ تـرى ... بخسَ[2] العـلا وغَبنَها أن أبخَسـا

لاتذخـــر الأنزرَ تضطـــرّ له ... ولا تضَنُّ ما وجدتَ الأنفَسـا

فـلا تصبنى فيـــك يدُ حادثٍ ... أومضَ أو بارقُ خطبٍ أربَسا[3]

ولا تزل تُلين لى من عُنُقِ الـ ... ـأيام فظًا فى مقادى شـــرسا

وعاودتْنى بادئـــاتُ نعـــمٍ ... منك اذا آستوحشت كانت أنَسا

ضافيـــة تفضُـــلُ عن ذلاذلى[4] ... لا أنزِع الحُـــلّةَ حتى أُلبَسـا

قـد راعنى العامَ آفتقادُ رسمهـا ... وأن أرى مُطلَقه محتَبسـا

حاشاك من تطيُّرى على العـدا ... من سطرِها الثابتِ لى أن يُطمَسا

دَيْنى وفى الشتاء بعـــدُ فضلةٌ ... يوضح منهـا المشكِلَ الملتبِسـا

فآسمح بهـا وآسمع لهـا قواطنا ... شـــواردا ملايناتٍ شُمُسـا

تطوى الفجاج لم ترحِّل ناقـــةٌ ... لهـا ولم تسرِج اليهـا فرسـا[5]

لا ترهب الجنَّـــةَ فى عزيفِها ... إن أعتمت[6] ولا تخاف العَسَسـا

عذائرا تكون ما شئتَ بهـا ... كلَّ ضحًى تهنئـــةٍ معـــرِّسـا

قد أمنتْ بحســـنها وصونهـا ... عند الرجال كلَّ ما تخشى النِّسا

---

(١) أدجنت : اسودّت وأطلمت ، وفى الأصل " أجدبت " والسياق يأباها والصواب مارجحناه .

(٢) فى الأصل " بحسن " . (٣) أربس : أصاب بما يسوء ، وفى الأصل " أوبسا " .

(٤) الذلاذل : أسافل القميص الطويل . (٥) فى الأصل " نشرح " . (٦) فى الأصل " أغتمت " .

ما كُتبتْ أو قرئت لم تترك لغيرها مخطَّةً أو مَدرَسا
تشفع للنيروز فيما جاء من قبولكم مبتغيا ملتمسا
ثم يعود مثلُها عليكُمُ بألف عيدٍ عَرَبا وفُرسا
فى نِعمٍ يقينُها وحقُّها يغنى الليالى عن لعلَّ وعسى

وقال فى منشار

وجارٍ يُجِدُّ به رائضا نِ[1] من مطلقٍ منه أو حابسِ
اذا ما مضى فى سواء الطريـ ـق شقَّ بذاك على الفارسِ
تبوّع[2] تهتز منه الضلو عُ بين المرنَّح والجالسِ
له نسب فى آغتراس الرجا ل وهو بلاءٌ على الغارسِ

قافيـــة الصـاد

بعـد خلو قافيـة الشين

وكتب الى الأستاذ أبى طالب محمد بن أيّوب فى النيروز

أرأيتَ أم حبَستْ لحاظَك عَبرةٌ طلاًّ "لسُعدة" "بالمحصَّب"[3] أو قصا؟ (٢٢٢)
تبعَ الرياحَ وكان يسأل مفصحًا عن ساكنيه فصار ينطقُ مُعوِصا
دمَنٌ اذا شخصتْ لعينك أشرفت نزوات قلبك يقتضينك مَشخَصا
بعدتْ بآثار الأنيس عهودُها فوحوشُها فى نجوةٍ أن تُقنَصا
وكأن جائمةَ النَّغامِ[4] بعُقرها أشياخُ حىّ جالسين القُرفُصا

(١) الرائض : من يسوس الدابة ليذللها وفى الأصل "رابضان" . (٢) تبوّع : مدّ باعه .
(٣) الأوقص : القصير العنق . (٤) النغام : نبات زهره أبيض اذا آجتمع يكون كهامة الشيخ .

ولقـــد تَعُـــدُّ فـلا تَعُـــدُّ بطالةً ... لك فى ثـــراها بُدِّدتْ بَدَدَ الحصى

أيامَ عيشُـــك باردٌ متـــلوّمٌ ... وسواك ينهَزُ عيشَـــه مســـتفرصا (١)

وعليك من ظُلَلِ الشـباب وقاية ... ظلٌّ لعمـرُك حين أُسبغَ قُلِّصا

نَدمانَ (٢) سافـرةِ الجمـال اذا آحتمتْ ... عينا تنقبت البنانَ الرُّخَّصا

ريَّا اذا هـــزَّتْ لشُـــغلٍ (٣) غصنَهـا ... أَمَرَ الكثيبُ وراءَها أن تنكصا

سمجتْ فغـودر كلُّ ذنبٍ عنـــدها ... ما كان شافعَـــه الشـبابُ ممحَّصا

لم يبق عنـــدك من حقيقـــةِ ودِّها ... إلا الخيـال تكذُّبا وتخـــرُّصا

وعجبتُ منهـا والمـــوانعُ جمّـــةٌ ... من أنهـا وجـــدتْ الىّ تخلُّصا

طـــرقتْ وشملتهـا الدجى فأسرّهـا ... شـــيئا ونمَّ بهـا الحُـــلىُّ فأوبصا (٤)

مالى سمحتُ بحـــظّ نفسى ذاهبـا ... فى الغافلين وبعتُ حزمى مرخِصا

والدهـــرُ يوســـعنى اذا عاصيتُـــهُ ... لحظا يسـارقنى التـــوعُّدَ أخوصا (٥)

ولقد كفانى شـيبُ رأسى عِبرةً (٦) ... وعـــلى الفَناء دلالة أن نُقَّصا

فلأركبنَّ الى الســـلامة غاربَىْ ... عَوْدٍ (٧) اذا وخَـــدَ المهارى أوقصا (٨)

أَنِس بأشـــباح الفيافى طـــرفُـــهُ ... لا يطَّبيـــه منفِّـــرٌ أن يَقمُصا

يطِسُ (٩) الثرى وردا (١٠) وينصُـــل (١١) أورقا ... مما آرتـــدَى بغبـاره وتقمَّصا

متحـــريا بهـــدايتى وأدائـــه (١٢) ... فى حيث لا تجـد القطاةُ المفحَصا

---

(١) مستفرصا : منتهزا الفرص . (٢) الندمان : النديم . (٣) فى الأصل "لسقل" .

(٤) أوبص : أضاء وبرق . (٥) الأخوص : العائر . (٦) فى الأصل "غيرة" .

(٧) العود : الجمل المسنّ . (٨) أوقص : سار بين الخبب والعنق وهما ضربان من السير .

(٩) يطس : يضرب بالخف ضربا شديدا . (١٠) وردا : أحمر . (١١) الأورق : الذى يضرب لونها الى الخضرة ومنه الورقاء، وهى الحمامة التى يضرب لونها الى الخضرة . (١٢) فى الأصل هكذا "واذآيه" .

فى فتيـــةٍ يتبادلون نفوسَـــهم ... فى الحـقّ أين رأوه لاح محصحصا (١)
ومسوِّمين ضـوامرا ، أعرافُها ... تُفـلَى بأطـراف الرماح وتُنتصى (٢)
تبعوا هـــوای مكلّفاً أو مـؤثرا ... وتعلّقـــوا بى مازحا أو مخلصا (٣)
واذا بلغتَ بناصح أو مدهنٍ ... ما تبتغيه فقـــد أطاعك من عصى (٤)
يشكو مـــلالى نافـــرٌ خُلُـــقٌ به ... ولقد أكون على التواصـــل أحرصا
وتصبُّ نفسى غـــيرَ أنى لم أجـــد ... خِلًّا ســـقانى الودَّ إلا غصَّصا
قد كنتُ أطلبُ من عـدوٍّ غِرّةً ... فالآن أطلبُ من صـــديقٍ مَخلَصا
كم صاحبٍ بالأمس صادفَ بِطنـــةً ... فـــترتْ بـــه لما رآنى مخمَصا
لم يُلفِ لى عيبا وطالعَ عِرضَـــه ... فـــرنا الىّ بعيبـــه وتخـــرّصا
عدّوا "ابن أيوبٍ" [و]رُضْ شيمى تَرُضْ (٥) ... متراجعاتٍ عن ســـواه حُيَّصا (٦)
أنفقتُ كلَّ مـــودّةٍ أحرزتُهـا ... سَرَفا ورحتُ بـــودّه متربِّصا
من معشرٍ شرعـــوا الى حاجاتهـــم ... أسلا كفته مُداهُمُ أن يَخْـــرُصا
من كل أرقش إن تأوّد ثقّفتْ (٧) ... منـــه البلاغةُ أو تســـدَّد أقعصا (٨)
يتـــوارثون به العـــلاءَ فسابقٌ ... يمضى وقافٍ إثـــرَهُ متقصِّصا
وُلدتْ حلومُهـــمُ وهم لم يـــولدوا ... من قبل أن قُرِعتْ لذى الحلم العصا (٩)
كرماء حبّبَهـــم الىَّ كريمُهـــم ، ... إن الهـــوى ما عمّ حتى خصَّصا

---

(١) فى الأصل "حصحصا" . (٢) تنتصى : تقبض من ناصيتها . (٣) فى الأصل "و" . (٤) المدهن : المخادع . (٥) ليست بالأصل . (٦) حُيَّص جمع حائص وهو الحائد العادل عن الشىء . (٧) يريد بالأرقش القلم ومعناه فى الأصل الحية الذكر المقط بسواد و بياض وهو هنا مجاز . (٨) أقعص : قتل . (٩) فى المثل : "إن العصا قرعت لذى الحلم" وله تفصيل فى مجمع الأمثال فليرجع اليه من يشاء ، وهو يضرب لمن اذا نبه آنتبه .

"بمحمـد" رُدّت عـلى أعقابها عن ساحتى غُشْمُ الحوادث نُكَّصا
أعطَى فأغنَى مسرفا متعـدّيا ميسـورَه كرما وودّ فأخلصا
وخـبَرتُ قوما قبـلَه وخبرتُه فعرفتُ مولى السيفِ من عبد العصا
تفـدِى ثرى قدميك قمّـةُ ناقصٍ حزتَ العـلا ملكا وطرًّ تلصُّصا
حُرِمَ السـيادةَ يافعا فاسـتامها شـيخا فكان كذاكَ بعـدَ الخصا (١)
لما جلستَ وقامَ ينشُر باعَـه جهدَ التطاولِ لم يجِـدْ لك أنْخصا (٢)
لو ذُمَّ ما ألِمَ المذمّـةَ عرضُـه ما ينقُص العـوراءَ من أن تُنْخصا (٣)
(٢٢٣) وأنا الذى سر القـلوب وساءها ما حكتُه لك مسهبا وملخِّصا (٤)
وتنـاذَر الشـعراءُ مس لواذعى والجمـر يحمى نفسـه أن يُقبَصا
واستمتنى رقّى فبعتُـك مُرخِصا عن رغبـةٍ، وكواهبٍ من أرخصا

* * *

وقال يذكر قوما اغتابوه

روَّحَها مخمسـةً خمائصا (٥) (٦) جُبًّا من الإعيـاء أو وقائصا (٧) (٨)
قرومها الجـلّةَ والقلائصا (٩) (١٠) (١١) مـوبرةً تحسبها قصائصا (١٢)
زاد الربيـعُ وغدت نواقصا اذا مشت عـلى الحصى حوائصا (١٣)

(١) الخِصَاء: قطع الخصية. (٢) الأنخص: باطن القدم. (٣) تنخص: تقلع عينها، وفى الأصل هكذا "نخصا". (٤) فى الأصل "مخلّصا". (٥) مخمسة أى واردة على الماء فى اليوم الرابع وفى الأصل "محمسة". (٦) خمائص جمع خميصة وهى ضامرة البطن من الجوع وفى الأصل "حمايص". (٧) جبّ: جمع جباء، وهى المقطوعة السنام وفى الأصل "حبا". (٨) الوقائص من الإبل القصيرة العنق. (٩) قروم جمع قرم وهو الفحل ترك للفحلة. (١٠) الجلة المسانّ من الإبل، للواحد والجمع. (١١) القلائص جمع قلوص وهى الشابة من الإبل وقيل أوّل ما يركب من إناثها. (١٢) موبرة: كثيرة الوبر. (١٣) حوائصا: عليها الحياصة وهو حزام الدابة.

عاد بها لذّاعُــه قوامصا تسأل بالماء القطا الفواحصا

اذا السحاب آغــترّها مُراقصا (١) ردّتْ عليــه أعينا أخاوصا

يغــدو السفا لموقهن باخصا (٢) (٣) (٤) حــتى لحقن طيِّعا وعائصا

يفلين من روض الحمى العقائصا (٥) ويحتابن أُلَّــعَ النشائصا (٦)

يا لك ربعا "بالنخيل" شاخصا (٧) أين الظباء تقنص القوانصا

بأوجهٍ لم تعــرف الوَصاوصا (٨) وأنمــلٍ يبسطنها رواخصا (٩)

اذا ضممن فى الدجى القَرابصا (١٠) نمَّ عليهن الحُــلِيُّ آبصا (١١)

أيام أرعيك الهــوى مخالصا (١٢) مناوئا غىّ الصــبا مناوصا (١٣)

ذلك حتى عدتُ ظلًّا قالصا (١٤) قل لامرئ نابلنى القــوارصا ،

مستخفيا وذمَّ فضــلى ناقصا : عمَّك جهــلٌ أتعب الخصائصا

عش حاسداما شئت أوقل خارصا (١٥) تعــلقُ منى قُلقُــلا محارصا

مصابرا أقــرانَه مرابصا (١٦) حتى يَردَّ كلَّ مخــزٍ ناكصا

حرّمتُ شربا ما رزقتُ خابصا يا لك دَرًّا لو تكون خالصا

---

(١) أخاوص : عائرة . (٢) السفا : التراب . (٣) الموق : طرف العين مما يلى الأنف . (٤) باخصا : يقال بخص عينه : قلعها بشحمها . (٥) العقائص جمع عقيصة وهى الخصلة تأخذها المرأة من رأسها فتكويها ثم تعقدها حتى يبق فيها آلتواء ثم ترسلها وهى هنا مجاز .

(٦) النشائص جمع نشاص ككتاب وسحاب : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض . (٧) النخيل : اسم عين بالمدينة . (٨) الوصاوص جمع وصواص وهو البرقع الصغير . (٩) رواخص : لينة . (١٠) القرابص جمع قربوص وهو حنو السرج . (١١) آبصا : مضيئا لامعا .

(١٢) مخالصا : مصافيا . (١٣) مناوصا : مناوشا ، وقد ورد هذا الشطر فى الأصل هكذا :

* ماوها عم الصبى مقاوصا *

(١٤) نابلنى : رمانى بالنبل ، وفى الأصل هكذا "بابلنى" . (١٥) القلقل : الخفيف السريع التحرك . (١٦) فى الأصل "ترد" .

إن ترد الجمـــر تجده قابصـا ... قبلك أقذيت عِـــدًا أخاوصا (١)
تنصّ نحـوى أعينا شواخصـا ... تلفّتَ العـانةِ (٢) راعت قانصـا
ففتّهـا بمهَـــلى حرائصـا ... فوتَ الرءوس أعيتِ الأخامصا
فقل مطيـــلا فىّ أو ملاخصـا (٣) ... تشرِ المنايا من فى رخائصا (٤)
وربما عفـــوت عنك ماحصا ... جهدُ البعوض أن يكون قارصا

قافيـــة الضـاد

وقال يمدح عميد الرؤساء أبا طالب ويهنئه بالنيروز

رضيتُ ـ ومامن طاعةٍ كلّ من رضى ـ ... وفاءً لغـــدّارٍ وحبًّا لمبغض
وراجعت قلبى أســتر الصبرَ بعـــده ... فـــلم أر إلا مقبـــلا نحو مُعـــرِض
حفاظٌ ولكن لو وجـدتُ جزاءه ... ودٌّ ولكن منـــه لم أتعـوَّض
أكنتَ "بصحراء الأبيرق" صارفى ... بعـــذلك (٥) عن بثّ الهوى أم محرّضى؟
عشـــيّةَ لا يخـــفى جـوَى متجلدٍ ... ولا تسـع الأجفانُ دمـعَ مغيِّض
وأنت تمنينى بدمـــعٍ سمعتـــه ... وما كان إلا قـــولةً من ممرّضى
ألا فى ضمـان الله لبٌّ أطاره ... أصيلا سنا برقٍ "بذجلةَ" مومِض
له من سُحوق (٦) الغـــيم ردّة غامدٍ ... وفى خفقان الريح سـلّةُ منتضى
أضـاء ويومى "بالجـزيرة" مظلمٌ ... يذكّرنى من "بابلٍ" ليلَها المُضى
وحســـناء لم ترج الإيابَ لغـائبٍ ... فترعى ولم تنـــوِ القضـاءَ لمقـرِض

---

(١) أخاوص : غائرة عيونهم . (٢) العانة : القطيع من حمر الوحش . (٣) فى الأصل "مخالصا" . (٤) فى الأصل "رحائصا" . (٥) فى الأصل "بعدلك" .
(٦) سحوق جمع سحق وهو الثوب البالى وهو هنا مجاز .

لها منزل "بالغور" بين معدَّنٍ[1] مَشيدٍ ومنشورِ البساط مروَّض
حَبستُ به أبغي الحياة لقاتلي غراما وأدعو بالشفاء[2] لممرض
ولما تواقفنا وفي العيس فضلةٌ بقدر الوقوف ساعةً ثم تنقضي، (٢٢٤)
رأت شيبةً ما لوّحت بعوارضي فصرّح بالهجران كلُّ معرِّض
وقالت: أشيخٌ؟ قلتُ: كهلٌ، فأطرقت وقالت: أمامَ السهم[3] إنذارُ مُنبِض
يناغيك بعد الشيب قلبي وناظري ومن أين يصفو أسودان لأبيض
فيالَسنى أيامَ يعطلُ مِسحلي[4] وصمتيَ في حَلْي اللجام المفضّض
أنُوّامَ ليلٍ قصّر اليومُ عمرَه: سلوا ببقاء الليل من لم يغمّض
وكنتم جناحي ثم هيض ببعدكم فهل بعدكم عضو اذا طرت منهض
أأركض أبغي في البلاد معوضةً بكم طال تَطوافي إذن فتركُّضي
بلى! قَبَسٌ[5] من "آل أيّوبَ" صاح بي سناه - وقد أعتمت -: دونك فاستضي
رعَتْ نفسيَ الخُلّاتِ[6] قبل وداده هشيما فلما عنّ لي قلتُ: أحمضي[7]
"أبا طالبٍ" والظنُّ أنك شافعٌ لها في غنًى عن باعثٍ ومحضِّض
شكيّةَ مملوءٍ من الوعد قلبُهُ تحدَّثَ عن داء من المطل مُرمِض[8]
غنيّ بتسويف الأماني تقطّعتْ عُرَى صبره بين المجيء الى المُضي
أحلَّ بكم في الصوم للفطر حاجةً وقد عبَر الأضحى به وهو يقتضي

(١) معدَّن: مموّه بالمعدن. (٢) في الأصل "بالشفاء". (٣) المنبض: الذي يجذب وتر القوس لتصوت، وفي المثل "لا يعجبك الإنباض قبل التوتير" يضرب في استعجال الأمر قبل بلوغ إناه. ومنه أيضا "إنباض بغير توتير". (٤) المسحل: اللسان.
(٥) القبص: الضوء كالقبس. (٦) في الأصل: "الخلان". (٧) أحمضي: كلي الحمض وهو فاكهة الإبل بعد أكلها الخلة وهي خبز الإبل. (٨) المرمض: الموجع المحرق.

أترضَوْن أن تصفو لغيرى حياضُكم ... وأرضِىَ تُغـذى جرعةَ المتبرّض (١)

لعلّكم آرتبتم بفضل تسهلى ... عليكم وإلمامى بكم وتعرُّضى

فلا تحسبوا ذلًّا فما من ضراعةٍ ... بدا لكُمُ نابُ (٢) الشجاع (٣) المنضنِض (٤)

وغيرك من يرمى القضاءَ بذنبه ... اذا قيل: قد فرطتَ، قال: كذا (٥) قُضى

تسمَّعْ لها لم توفِ شكرَك حقَّه ... ولو قد وفت ما كنتُ بالشكر أرتضى

جميلة وجهٍ عاطلٍ من كُسَى الغنَى ... وإن وسمتها منك حُلَّةُ معرض

وفى القلب ما لا يبلغ الفمُ بثَّهُ ... وفَى بقريضٍ دونه الهمُّ مُجرِضى (٦)

فعذرا وفوزا بانبساطى فإنه ... عزيزٌ على ما آعتاد فرطُ تقبّضى

وأخذا من الأيام (٧) أوفَى حظوظها ... بخيرٍ تجدْ ما شئتَ منهنّ وآرفض

تساقُ لك الدنيا بظهرٍ مذلَّلٍ ... اذا وزَعَتْ قَرْما (٨) بنفرةِ ريِّض

* * *

وقال وكتب بها اليه فى النيروز

مَطَلَ الدَّينَ ولو شاء قضَى ... فاسقُ الذمّةِ ينسَى ما مضى

كيف يُرجَى النصحُ من محتكمٍ ... يُكثر السّخطَ ولا يرضى الرضا

سرّنى يومَ "مِنًى" معترضا ... ملء عينى وشجانى مُعرِضا

وجد الوجدَ كما خلّفه ... بعد حولٍ ما برا ما أمرضا

أيّها الرامى وما أجرى دمًا (٩) ... لا تحصِّبْ قد بلغتَ الغرضا

---

(١) المتبرض: من يرشف الماء قليلا قليلا . (٢) فى الأصل "باب" . (٣) الشجاع: الحية . (٤) المنضنض: المحرك لسانه . (٥) فى الأصل هكذا "كدى" . (٦) يقال: أجرضه بريقه: أغصه، وفى المثل "حال الجريض دون القريض" . (٧) فى الأصل "الأنام" . (٨) القرم: الفحل يترك بلا ركوب . (٩) فى الأصل "أجرى" .

قَسَمَ الحبُّ فما أنصفنى ... جورَ ما نفَّلَ لى وٱفترضا (١)
ما على ساقٍ دمعى مغدِقا ... فى رضابٍ لو سقاه مبرِضا (٢)
قد سلبتم حسدا (٣) جوهره ... فٱستحلُّوه وبقُّوا العَرَضا
شَوقَ السائقُ فى تبليغه ... أدرى أىَّ طريقٍ نفضا ؟
"الغضا" إن الحشا من ذكره ... ربما ٱستبردتُ منها بالغضا
ٱطلبوا للعين فى أبياته ... نظرةً تكحلُها أو غُمُضا
وبنفسى هاجرٌ لم يعتمد ... قبضوا من أنسه فانقبضا
لمتُمُ فيه وقلتم رقبة ... رمتُمُ (٤) صعبا وقُدتم رَيِّضا
إن تفُتْكَ اليومَ شمسٌ حُجبتْ ... فغدًا، ما كلّ يومٍ أبيضا
من أمرَّ الليلَ والصبحَ به ... أظلم الحظُّ عليه وأضا
خلّ يادهرُ "ٱبن أيّوبَ" وخذ ... كلَّ شىء إن فيه عِوَضا
هبْ لىَ "الواحدَ" إنى ٱخترتُه ... وهنيئا لك ما ضمّ الفضا
بك أفدى وبهم منك أخًا ... حين أمذقتم (٥) ودادى مَحَضا
ناصلا (٦) من صدإ العار كما ... خلّص القَينُ الحسامَ المنتضى
لبس المجدَ فما أوحشه ... أىّ ثوبٍ فى هوى المجد نضا
سودَدٌ حِلُّ تراثٍ، ونرى ... كرمَ القومِ مُعارا مقترَضا (٢٢٥)
شرّفْ يا "آل أيّوب" مشى ... معرقا فيكم مطيلا معرِضا
نرتمى أوديةً مُهشَمةً ... وترودون ربيعا مُخِضا
وقف الحبُّ على دوحتكم ... غُصُنٌ منها لقلبى قبضا

(١) فى الأصل "افترضا" . (٢) مبرضا : معطيه رشفا قليلا قليلا . (٣) فى الأصل "جسدا". (٤) فى الأصل "رتم". (٥) امذقتم : خلطتم . (٦) فى الأصل "فاصلا".

نجتنى منـــه خيـارا لكُمُ حـــلو ما لاك فمٌ أو قَرَضا
مِـدَحًا تنشـر أعراضكُمُ نشرَ حسـناء لعُـرسٍ مَعْرضا
سائراتٍ تحت أوصافكُمُ شاهـداتٍ لا يذقن الغُمُضا
ما سـعى للبيت يمشى حاسرا راجلٌ وآبنُ ركابٍ ركضا
وجرت أوداجُهـا قائمـةً يوم "جمعٍ"(١) وتَلَوَّتْ رُبُضا(٢)

* * *

وكتب الى ذى الرياستين كمال الملك أبى المعالى فى النيروز

سـق زمنا "ببابلَ"(٣) عقـربىٌ مـلىٌّ بالذى يُروِى ويُرضِى
عنيفُ السـير أوطفُ(٤) مستمرٌّ على غُـلَواء ما يَقضى ويمضى
يزور الأرضَ بعـد جفائه فى قضيضٍ من زماجره وقَضّ
سـقَى بفرَى فأسمـنَ كلَّ ضاوٍ يمـرُّ به ورفَّع كلَّ خفض
فمن ملا ن بعد الغيض(٥) طاغٍ ومن ريَّانَ بعـد اليبْس غضّ(٦)
وكرَّمَ أسرةً(٧) كانوا اذا ما آنـ تجعت زُلالَى الصافى وحَمضى
هم حمـلوا وسوقَ(٨) الدهر عـنّى وهم نشطوا(٩) عرى نسعى(١٠) وغَرْضى(١١)
أضاءوا مذهـبى فسرَحتُ طرفى وسيعا بعـد إطـراقٍ وغضى(١٢)
وقامـوا بين أيامى و بيـنى فلم تقتُـل ولا راعت بنبـض

---

(١) يوم جمع : يوم عرفة . (٢) رُبضا . باركة . (٣) منسوب الى برج فى السماء .
(٤) الأوطف : السحاب الدانى من الأرض لكثرة مائه . (٥) فى الأصل "الغيط طاو" ولا معنى لهما وإنما عبث بهما التحريف . (٦) فى الأصل "عض" . (٧) فى الأصل "أزة" .
(٨) وسوق جمع وسق وهو الحمل الثقيل . (٩) نشطوا : عقدوا وشدوا ، وفى الأصل "بسطوا" .
(١٠) النسع : الحبل تشـد به الرحال . (١١) الغَرْض : رباط الرحل كالحزام للسرج ، وفى الأصل "عرضى" . (١٢) فى الأصل "عضى" .

حَموا وجهى ولم أسأل سواهم ... وأعطَوا كلَّ نافلةٍ وفرضِ
فأصبحُ فيهُمُ وأروح عنهم ... الى وفرين من مالى وعِرضى
فهل من حاملٍ شَوقِى اليهم ... على ما فيه من ألمٍ ومضِّ
فحامله فوصله اليهم ... على بزلاءَ يخلها ويُنضى
يؤمّ "الزابيين"(١) بها ويعلو ... قويقا بين(٢) تقريب وركض(٣)
فيُسمعَ ثَمَّ سامعةً كراما ... أيَامَى العيش بعدهُمُ ويُفضى(٤)
وإنى مذ نأت دنياى عنهم ... من الدنيا على هجرٍ ورفضِ
أقضّى ما أغالطُ من زمانى ... بلَوعاتٍ تكاد علىَّ تَقضى
فكم أحيا وفى "بغدادَ" بعضى ... على مَرَضٍ وفى "تكريتَ" بعضى
ومسبوقين فى طرق المعالى ... وإن زُجِروا بِحَثٍّ أو بحضِّ
أصاحبهم فيمسى الودّ منهم ... على زلقٍ من الشحناء دحضِ(٥)
وأبرمُ فيهمُ مِدَحًا متانا ... فتلقاها معايبهم بنقضِ
ولو حامى "كمال الملك" عنى ... رعيتُ الخصبَ فى دَعةٍ وخفضِ
اذًا لأعاد سلسالا نميرا ... على عاداته ثَمَدِى وبَرضى(٦)
فدتك "أبا المعالى" كلُّ كفٍّ ... تقصِّر عنك فى بسطٍ وقبضِ
وكلُّ مدنَّس الأبِ لا بحتٍّ(٧) ... يميطُ العارَ عنه ولا برَحْضِ(٨)
دعىٌّ فى الفضائل كلّ يوم ... له نسبٌ يجىء به ويمضى

(١) الزابيان : نهران بأرض الموصل . (٢) قويق : نهر مدينة حلب وفى الأصل "فويقا" ولعله تصغير فوق . (٣) فى الأصل "تقريت"، والتقريب : سير دون الحضر . (٤) فى الأصل "يفضى" . (٥) الدحض : الزلق . (٦) البرض : القليل من الماء مثل الثمد بفتح الميم وسكونها . (٧) الحتّ : فرك الشىء وحكه وإزالته عن الثوب، وفى الأصل "بحثٌ" . (٨) الرحض : الغسل .

نأى بك جمـــرةٌ بالغيظ تسرى ... الى ســـوداء مهجتـــه وتُفضِى
كُرِمتَ ففى عطايا الغيث شَوبٌ ... وماء يديك من صافٍ ومحض
ويعطى النـاسُ من جِدةٍ وتعطى ... عطاءَ الحمد من دَيْن وقرض
وتخجلك المواهبُ وهى كُثرٌ ... كأنك مســخطٌ ونداك مُرضى
قضى اللهُ الكمالَ فكنت شخصـا ... لصـــورته وخَلْقُ الناس يقضى
شريتـــك بالبرية بعـــد قطعى ... طريقَ الإختيـار بهـــم ونفضى
ورعتُ بك النوائب وهى فوق ... وتحتى بين حائمـــةٍ ورُبْض (١)
فقـــد أسلمتني بنـــواك حتى ... نَسلنَ قـــوادمى وبرينَ نحضى
فها أنا بين حاجاتى وشـــوق ... لفتٌّ من مخالبها ورضّ
أزمّ اليـــكُمُ قلـبى وعيـــنى ... بآيـــة فيكُمُ جـــذَلى وغمضى
أسادتَنا كم الإبطـاءُ عنكم ... وصـــبركُمُ على الهجـــر المِضّ؟!
ألمّا يأتِ وقتُـكم المســمَّى ... ألمّا يأنِ زبدُكُمُ بخِض
فكم سخـطٍ على الدنيـا وصـــدٍّ ... عن الدولات وهى عـــلى الترضّى
حديثكُمُ يـــبرِّحُ بالمعـالى ... فنهضـا ، إنهـا أيّام نهض
أراها أينعتْ ودنا جنـاها ... وأذعنَ ختمُهـا لكُمُ بفضّ (٢)
عسى أقـــذى بقـــربكُمُ عيونا ... حســـدنَ علىّ من حزنٍ وبرض (٣)
ويـبرد من أعاديكم وشـيكا ... زفـــيرُ جـوانح بالهـــمّ رُمْض
وبعـد! فـا لكم أغفلتمونى ... وأخلبَ بارقٌ من بعـــد ومِض!
أظنـا أننى عنكم غـــنىٌّ ... بحـــلّى أو بتطوافى وركضى

(١) النحض : اللحم المكتنز كلحم الفخذ .
(٢) فى الأصل " بفيض " .
(٣) البرض : خروج الماء من العين قليلا قليلا .

معاذَ الله والعهدِ المراعَى ولو أنضيتُ تامكتى (١) ونِقْضى (٢)
وتعويلى من النيروز وفدا على متنجّزٍ لى مُستَنَض (٣)
فلا نتوهموا لى خصبَ مرعى اذا قعدت سماؤكُم بأرضى

وقال فى قوس صفراء

صفراءُ من غير مرضْ بلهاءُ تفهم الغرضْ
عمياء تُبدى السَّنَنَ الـ ـقصدَ ركوبٌ لم تُرَضْ
يراكض الريحَ بها فارسُها وما ركضْ
كأنه يبسط من عنانها وما قبضْ
لها ابن (٤) سوء آسمه فى الأفق وهو منخفضْ
أخرسُ يُبدى كلَّ ما دقَّ خفيًّا وغمضْ
ترى دما ترضعه ولم تلذْ ولم تحضْ

قافيـــة الطـاء

وكتب الى الصاحب أبى القاسم يهنئه بالنيروز

غالٍ بها فيما تسامُ وآشترطْ فلاءها (٥) فضلا على البيع الشططْ
وآعلم بأنّ الغبنَ (٦) حيث نُشطت (٧) رُبُطُها (٨) والغُنمَ حيث تُرتَبَطْ

(١) التامكة : الناقة العظيمة السنام . (٢) النقض : المهزول من السير بافة كان أو جملا ، وفى الأصل " نفضى " . (٣) مستنجز : مستنجز . (٤) يشير الى كوكب اسمه "سهم الرامى" ، ويقال له أيضا : السهم . (٥) الفلاء : عزل الدابة عن الرضاع وفطمها . (٦) فى الأصل "العين" . (٧) نشطت : نزعت . (٨) ربط جمع رباط .

من ضامنات الحاج لو دانيتَهـا ... بالنجـــم لم تُـــلْوَ به ولم تُلَطْ[1]
ليس عـــلى راكبهـا جنـايةٌ ... من عَلَمٍ يُعيي[2] ولا أرض تشـــطّ
إن لم تكن أنت الذى ينصِبُه ... طولُ السرى فهى التى لم تعىَ قطّ
كأنهـا تحت الدجى جِنِّيَّـــةٌ ... راكبها فى ظهـرها نجمٌ هَبَطْ
لا تطأ الأرضَ وإن تسهّلتْ ... لوطأة الدائس إلا ما تخـــطّ[3]
كأنما أربعُها من خفّـــةٍ ... واحدةٌ فى الســـير حـين تختلطْ
تجرى فتُـــدمى أُذنَهـا بيـدهـا ... كأنهـا بسنبكيها[4] تشـــترطْ[5]
تنخّـــل الغالون من آياتهـا ... صـفوةَ ما خلّفَ فيهـــم وفرَطْ
لم تتحـــرَّشْ بشـــميم أمِّهـا ... هجائنُ "الفُرس" ولا غُبْس "النَّبَطْ"
لهـا من "العُربِ" ضمورٌ ناسبٌ ... يغنَى به عن الوسوم من عَلَطْ[6]
جرداء لـولا سَـعَفٌ منتشـــرٌ ... من عُرفها قلت : عسيبٌ[7] مخترَطْ
بمَحـــزِمٍ كما طـــويتَ بُـــردةً ... ومَلجَم كما نشرتَ عن سَـــفَطْ[8]
هى الـــتى رحتَ بهـا مغتبطا ... وقد لحقتَ بعد خمسٍ "بالغُبُطْ"[9]
وبتَّ جارَ الحىِّ ترعَى معَـــهم ... على نوى المرعَى ومصدوع الخُطَطْ
وناظـــراتٍ من فروج الرَّقم[10] مـذ ... سُنّت[11] عليهنّ السـجوفُ لَم تُمَطْ
بيضـاتِ كِنٍّ مُلِّسٍ لو خطّيت[12] ... ما بينهنّ وصمـــةٌ لم تُخطَطْ[13]

(١) تلط : تلصق . (٢) فى الأصل "يعمى" . (٣) فى الأصل "تحط" .
(٤) السنبك : طرف الحافر . (٥) فى الأصل "تترط" . (٦) علط : وسم ، وفى الأصل "غلط" . (٧) العسيب : الذى لم ينبت عليه الخوص وما نبت عليه الخوص فهو السعف .
(٨) السفط : الجوالق وهو شىء يشبه القفة . (٩) الغبط جمع للغبيط وهو اسم لعدّة مواضع .
(١٠) الرَّقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز . (١١) سنت : وُضعت ، وفى الأصل "مشنت" .
(١٢) فى الأصل "حطيت" . (١٣) فى الأصل هكذا "نخط" .

(٢٢٧)

لم يُتــذَلْنَ أوجهـا وأيديا ... فى وهَجِ النارِ ولا مخضِ الأقِـطْ (١)
وادى الغضا يرقدن حوليه الضحى ... لطيمةُ السَّــفْرِ اليمانين تُحَـطْ
كأن روضا تتهـاداه الصَّــبا ... هبّاتُهنّ يتنازعن الشُّرُطْ (٢)
طــرقتهنّ والدجى لم ينفتقْ ... وسبحة الجـوزاء لمـا تخـرطْ
أنشــد قلبي عنـدهنّ ضلّةً ... نشــدك بالقاع بعـيرا منشطْ
وبينهنّ ظبيــةٌ شـارفــةٌ ... لم تُعرَّف عنـدَها قبــلى اللُّقَطْ (٣)
ضاعف درعيها وقــد تجرّدتْ ... مرجَّــلٌ (٤) أسحــمُ (٥) ذيَّالٌ قَطَطْ (٦)
وَحْفٌ (٧) اذا ما غرّبت [فيه] يدا ... فارقــةٍ (٨) أدردَ (٩) أســنانَ المُشُــطْ
صــدّ بهـا معـرِضةً أن قرأتْ ... خطًّا من الشيب بفودَىَّ وَخَـطْ
من منصفى من عنَتٍ فى طرفهـا ... يزحمُ هُــدَّاب الرداءِ بالشَّـمَطْ
قالت : كبِرتَ ، والغــنى معبِّسٌ (١٠) ... لا بــد ما لم تُحتضَــرْ فتُعتبَطْ (١١)
دبت أفانينُ صروفِ الدهــر لى ... أساودا (١٢) فناهشــتنى ورُقُــطْ (١٣)
ونجّــذتنى حقَبٌ (١٤) عُــلوقها ... بالشـيب وهى لم تجمّلنى فُــرُطْ (١٥)
وكم أصــبتُ ثم أرمى غلطا ... فدلّنى عــلى الإصـابات الغَلَطْ
وصاحبٍ كالجُرح أعيا سَــبرُهُ ... وجلَّ (١٦) عن ضبط العِصابِ والقُمُطْ (١٧)

(١) الأقط : الجبن المتخذ من اللبن الحامض . (٢) الشرط جمع شريط وهى العتيدة تضع فيها المرأة طيبها وفى الأصل "السرط" . (٣) اللقط جمع لُقطة وهى ما يجده الإنسان . (٤) المرجّل : الشعر المسرّح . (٥) الأسحم : الأسود . (٦) القَطَط : القصير الجعد . (٧) الوحف : الكثير الملتف . (٨) لبست بالأصل . (٩) فى الأصل "فارقَهُ" . (١٠) فى الأصل "والفتى" . (١١) فتعتبط : فتموت بلا علة . (١٢) أساود جمع أسود وهو العظيم من الحيات . (١٣) رقط جمع رقطاء : وهى الحية التى بها نقط . (١٤) نجذتنى : حنكتنى . (١٥) الفرط : الظلم والأعتداء ، والأمر المجاوز فيه عن الحدّ . (١٦) العصاب ما يربط به من منديل ونحوه . (١٧) قمط جمع قماط وهو قطعة عريضة من القماش تشدّ على الصبىّ .

حملتُـه لا أتشكّى ثِقـلَه (١) كى لا تقولوا : طَرِفٌ (٢) أو مشترطْ
وكالشـجا قافيـةٌ أسغتُهـا لو عارضت حنجـرةَ البازِلِ أطّ (٣)
أُسمِعها مستدعيا منـه الرضى أصمَّ لا يسـمع إلا ما سخَـطْ
يأكل مـدحى وعتابى سُحتا حلوا ومرّا ماضغا ومسـترِطْ (٤)
يأكله بالذلّ ممنـونا به فلا يبـالى ساقطٌ كيف لقَـطْ
ليت بنى " عبـد الرحيم " ليتهم يبقون لى من عَرَض الدنيا فقطْ !
الواهبين طُعمـةً أرضَهُمُ ما أخصب العـامُ عليهم أو قَحَطْ
والمـانعين أنفًـا جارَهُـمُ لم يلتصـق بنسبٍ ولم يُنَـطْ
يحاط فيهم وهو ممنـوع الحمى اذا تسمّى باسمهـم لو لم يُحَـطْ
سادات مجـدٍ واذا قستَ بهـم سـيّدَهم باعدَ فضـلًا وشحَطْ
جاء " الحسينُ " فاحتذى مثالَهم ثُمَّتَ زاد جائزا تلك النُّقَـطْ
يشمخ أن ترفعَـه وراثةٌ علياءُ لم يَرفَعْ لها ولم يَحُـطْ
كالليث لا تحـلو له مضغةُ ما لم يفتـلِذْ بكفّه ويعتبِـطْ
مدّ الى ناصـية المجـد يدا ينقبض المـزنُ مكانَ تنبسِـطْ
تُفـدَى بيسرى (٥) لك إن أعجلتَهـا بالجـود يُمنَى كلِّ روّاغٍ مُلِطّ (٦)
يعطى مقـلًا ويضَنُّ مكثرا وإنما أحسنتَ ظنا وقنَـطْ
وما يد البخيـل إلا سـوأةٌ متى بدت بارزةً فقل : تَغَـطْ
ومنكرٍ حقَّك لم تعـلقْ به من الوفاء شيمـةٌ (٧) ولم تُلَـطْ
أسلفتَه — لو شكر العبد — يدا غطّى عليهـا بالجحـود وغَمـطْ

(١) فى الأصل "فى". (٢) الطرف : الذى لا يثبت على هوى . (٣) أطّ : أنّ .
(٤) المسترط : المبتلع . (٥) فى الأصل "بيسر". (٦) الملطّ : الجاحد للحق . (٧) تلط : تلزم .

لو شئتَ بعد غلطةِ الأيّام فى آر ... تقائه جازيته لمّا سقَطْ
غرَّر اذ خاطرك الجهلُ به ... ما كلّ من أبصر عشواءَ خَبَطْ
ما كنتَ إلا جبلا أرسَى ولا ... كان سوى سهمٍ من الشرّ مَرِطْ (١)
اِسمعْ فما تُؤثَر أخبارُ العلا ... إلا شذوذا وهى عنك تنضبِطْ
هل أنا فى وصفك إلا ناقلٌ ... تُملِى سجاياك علىّ وأخُطّ
أوانسا لولاك ما كنتُ بها ... ـ ما فارقتْ حشمتَها ـ بمغتبِطْ
كلّ نَوارٍ (٢) لم يفارق نزقةً ... أخمصُها النعلَ وجنباها النَّمَطْ (٣)
كم عُنُقٍ وهى لها طوقٌ وكم ... من أذنٍ تُصغى لها وهى قُرُطْ
أروضها لا نصبى ضاع ولا ... أجرىَ فيها عند نعماك حَبِطْ
فى كلّ يوم قاسمُ الحسن به ... أقسط (٤) فى غيرى وفى شعرى قَسَطْ (٥)
كنَّ كسالَى قبلكم لكنّه ... ما نشِط الإحسان للشعر نَشِطْ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس سعد الملك أبى الحسن (٦) بن حاجب النعمان يعتد له بمراعاة أسلفه إياها ، وتحفة جميلة حباه مبتدئا بها عند آستدعائه للقصيدة البائية (٧) التى تقدمت ويهنئه بالنيروز

بكَرتْ هِيما (٨) تحِلُّ الرُّبُطا (٩) ... تملِكُ الماءَ على سربِ القطا
تحسَب الأخفافَ فى أجنحةٍ ... طرنَ والجرجارَ (١٠) منها اللغطا (١١)

(١) مرط : أسرع . (٢) النوار : المرأة النفور من الريبة . (٣) النمط : ضرب من البُسط . (٤) أقسط : عدل . (٥) قسط : ظلم . (٦) بالأصل : أبى الحسين وقد تكرر فى عدة صحائف من الديوان بهذا الضبط وفى آبن الأثير " أبى الحسن " وقد آعتمدنا روايته . (٧) يشير الى القصيدة البائية التى نشرت فى الجزء الأول صحيفة ٨٨ (٨) هيما : عطاشا . (٩) الربط جمع رباط . (١٠) الجرجار : تردّد صوت البعير فى حلقه . (١١) اللغط : صوت القطا .

كلّ هـــوجاء(١) ترى فى حبلها ... من "أبانٍ"(٢) منكبا منخـــرِطا
تصف المعـــقولَ منها ماردا ... غُـــلَّ والناشـــطَ سهما مَرِطا(٣)
ما رأت جزْعَ "أشىٍّ"(٤) خُوصُها(٥) ... فـــرأت كفُّ لعُنْقٍ مَضبَطا
ظـــمأ لا يتبغّين(٦) لـــه ... مُشتَكًى إلا وســـيعاتِ انُحطا
فانهَ ياحابسَها فضـــلَ العصا ... إنما تأمر أمرا شَطَطا
وعـــلى المـــاء الذى جئت له ... كلّ جمٍّ الأخـــذ متزورِ العطا
يمنـــع الرشـــفةَ لا ترزأُه(٧) ... ويفـــرّى(٨) باللحاظ النَبَطا(٩)
بارد الريـــق اذا مرَّ ســـقى ... مرهف الجفن إذا هم سطا
يافروع البان من "وادى الغضا" ... زادكنّ الله بى مختبطا
أجتنى حيث أجتنَى الظبىُ العِـــرا ... قّ أو أعطى المـــنى حيثُ عَطا(١٠)
وســـقى الدمـــعُ وإلا فالحيا ... ذلك الملـــعبَ والمختـــلطا
آهِ كم فيكنّ لى من نظـــرةٍ ... قتلتْ عمـــدا وكانت غلطا
وفـــؤادٍ أبـــدا أرمى بـــه ... لعيونٍ تســـتقلُّ اللُّقطا(١١)
ومَقيـــلٍ فـــرَشَ اللهوُ بـــه ... فوقكنّ الأُزْرَ(١٢) لى والرَّيطا(١٣)
زمن ليت المـــنى تَرجِعُـــهُ ... لـــو بليتٍ رُدَّ عيشٌ فَـــرَطا!

(١) الهوجاء : الناقة المسرعة كأن بها هوجا . (٢) أبان : اسم جبل . (٣) مرط : أسرع . (٤) أشىّ : اسم موضع بالوشم والوشم واد باليمامة . (٥) خوص جمع خوصاء، وهى غائرة العين ، وفى الأصل "حوضها" . (٦) يتبغين : يبتغين ، وفى الأصل هكذا "يتبعن" . (٧) ترزأه : تنقصه . (٨) يفترى : يشقّ . (٩) النبط : الماء النابع أو الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر ، وفى الأصل "النيأطا" ولم نهتد اليها فى معاجم اللغة فاضطررنا الى نقلها الى ما يلائم السياق . (١٠) عطا : مد رأسه ورفعه . (١١) اللقط جمع لقطة وهى ما يجده الانسان . (١٢) الأزر جمع لمزار . (١٣) الريط : جمع ريطة وهى الملاءة .

كل يوم أتمنّى وطرا ... لم أكن أمسِ به مغتبطا
أشتكي الآنى الى الماضى ولا ... يعدَم الأقربُ لى ما شحطا
قل لبيضاءَ توسّعْت بها : ... قد تلثّمتُك صِلًّا أرقطا
إنما كنتِ حساما حُطّ فى ... مَفرِقى وآسمك شيبٌ وَخَطا
أنكر الطُّرّاقُ منه قبسا ... أعلق النارَ به من سلَطا[1]
وتواصت رسلُ الألحاظِ من ... قبل أن تبلغه أن يسقطا
قمتُ فى نادى الهوى أندبُه ... شَعَرا صار برغمى شَمَطا
ولئن هان ضعيفا ذاويا ... فبما عزّ دهينا قَطَطا[2]
وأخ والنوم فى أجفانه ... نحلةٌ شنّوا عليها المأقطا[3]
ومن الليل عليه فضلة ... ميسمُ الصبح بها ما علطا[4]
وسطورُ الأفْق [قد][5] جلّلها ... أزرقُ الفجرِ فعادت نُقَطا
والثريا فى مآخير الدجى ... هامةٌ شمطاءُ غَلّتْ مُشُطا
قلت : قم قد يئستْ منّا العلا ... فتمطّى يُوسدُ الكفَّ المَطا[6]
ينفض الونيةَ عن أعطافه ... منفض المعقول لاقى مَنشَطا
ثم قال : آطلب بنا غاياتها ... وتقحّمها مَخيضا مُورِطا
قد مللنا الناسَ فآصفح عنهُمُ ... عرْضَ هذا الملإ المنبسطا
لا تقعْ إلا رءوسا فيهُمُ ... دع ذناباها لهم والوسَطا
فأثرناها رفيقَىْ عزمةٍ ... شاكلتْ بينهما فاختلطا

---

(١) سلط : دهن بالسليط وهو الزيت . (٢) القطط : الشعر الجعد القصير . (٣) المأقط : موضع القتال أو المضيق فى الحرب ويراد به هنا الخلية ، وفى الأصل "الأقطا" والأقط الجبن المتخذ من اللبن الحامض ولا يتفق والسياق . (٤) عَلَطَ : وسم . (٥) ليست بالأصل . (٦) المطا : الظهر .

نأخذُ الأرفـعَ من طُرق العـلا ونعـدِّى المنحـنى والمهبطا
فوصلنا والعـلا لم تحتضـعْ بٱعتسـاف والـذِّرَى لم تُلتَطا (١)
نـرِدُ الغُـدرَ زُلالا شَبِما ونفيء المجـدَ ظـلًّا سبطا
والـثرى أخضر لا يلبسـه جِـلدةَ الشهباءِ عامٌ خُفَطا
واذا العـوراء غطّتْ وجهها عنـك لم تُلق عـلى المـال غطا
ليس إلا جفنـةً فهّاقـة (٢) للقِـرى أو بازلا معتَبَطا
غررٌ تجـلو الدياجى ولُهى يتفرَّجنَ الخطـوب الضّغَّطا
[نِعم] (٣) باناتُ صَبًّا مطـلولةٌ تطـرد الريحَ شَمالا قِطْقِطا (٤)
تسرح الأبصار حيث ٱقترحت والرجاء الرحب كيف ٱشترطا
كلُّ فضـلٍ عادل مـيزانه فاذا جاء عطـاءٌ فَـرَّطا
لا تعبِّس نعمـةٌ ضاحـكةٌ قاسم الحـظِّ (٥) بها ما غلطا
رضىَ المقـدار والحـظُّ بها إن رضى حاسـدُها أو سخطا
لبنى "عبـد العزيز" ٱجتهدتْ بـوجيفِ (٦) المتـقِ والمَـرَطى (٧)
لمسـامىحَ حـوَوْا سقفَ العـلا حِصصًا وٱقتسـموه خُطَطا
كلُّ وضّاحِ قُـدامَى دسـتهِ قُبَـلُ الآمالِ تحـفى البُسُـطا (٨)
تبصـر الغاشين حـولَىْ بابه أبـدا رَكْبا ورَجْـلَى سُمُطا (٩)
لو مشى حولا على شـوك القنـا ورأى الضـيم قَعـودا ما ٱمتطى

(١) لم نوفق الى معناها ولعلها "تمتطى" . (٢) فهاقة : ممتلئة . (٣) ليست بالأصل .
(٤) القطقط : المطر المتتابع العظيم . (٥) فى الأصل "الحظّ" . (٦) الوجيف : ضرب من السير أو هو العنق . (٧) المرطى ضرب من العدو . (٨) البسط جمع بساط . (٩) سمط جمع سماط وهو الصف .

فاذا آستُصرِخ فى نازلةٍ سلَّط الآراءَ فيما سلَّطا
قام تأويد الخلافات بهم حادثاتٍ وسلافا فُرُطا
واذا لم يصبحوا أربابَها وزَروا فيها وكانوا الوسطا
واذا ما ولدوا بدرا جلا ظُلَمَ الأرض وبحرًا غَطْمَطا (١)
مثلما أحيا الندى "فخرُ العلا" وآستراش الكرمَ المنجلطا (٢)
ساكنُ الصدر ليانٌ مسُّه فرشَ البشرَ شِعارا ووِطا (٣)
شائما فيها ظبًا مبروّةً يفتلان الصارم المخترطا
مثلَ حيّات النقا ما عرِمتْ (٤) كان مأكولا بها مستَرَطا (٥)
مبصراتٍ فقَرَ القول اذا ما آبنُ عشواءَ بليل خبطا (٦)
تضبِط الدنيا فإن سام يدا ضمَّ دينارٍ أبت أن تضبِطا
وسعى طفلا فطالت يدُه سودَدًا كهلَهم المختلطا
جئتُه والدهر قد أرصد لى من خفىِّ الكيد ذئبا أمعطا (٧)
وجروح اليأس فى حالى سدى تقذف القيد (٨) وتعيى القُمُطا
فوقَ جذلانَ حتى ردّنى وقصارى غايتى أن تُغبَطا
تأخذ الأبصارَ منى شارة تدع الشيخ فتًى مستشرطا
نعمةٌ لو قعد الشكر بها بهرت وآشتهرت أن تُغمطا (٩)
فاتت الأملاكَ حتى منعتْ كلّ راجى غايةٍ أن يقنطا (١٠)

(١) غطمط : كثر ماؤه وعظمت أمواجه . (٢) المنجلط : الذى كشط جلده فذهب ريشه ، وفى الأصل "المختلطا" . (٣) الوطاء : خلاف الغطاء . (٤) عرمت : أخذت ما عليه من لحم . (٥) مسترطا : مبتلعا . (٦) فى الأصل "حبطا" . (٧) الأمعط : الذئب لا شعر على جسده . (٨) فى الأصل "العيل" ، والقمط جمع قماط : وهو الخرقة تلف على الصغير اذا شدّ فى المهد . (٩) فى الأصل "تعمطا" . (١٠) فى الأصل "يقبطا" .

فاستمع تخبرك عنى شردٌ ... تقطع الأرضَ الربَى والغُوطا (١)
تدع الآمال إما روضةً ... سُقيتْ أو عِترةً (٢) أو نَمطا (٣)
معدِنٌ كلُّ لسانٍ مفصحٍ ... حولها يسقط حتى تُلْقطا
واذا هُجْنَ القوافى نُسِبَتْ ... كانت "العُربَ" وكُنَّ "النبطا"
واذا النيروز ضمَّت عطفَه ... فترةٌ هزّته حتى يَبسُطا
فابتدا بين يديكم قائما ... لكُمُ يَفتح منها سَفطا (٤)
فاهتبلها تحفةً وآنعم بها ... زائرا [إمّا دنا] (٥) أو شحطا

* * *

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى وهو مع أخيه بالبَنْدَنِيجِين (٦)، يهنّئه بالعيد والمهرجان و يتشوّقه

أصبْ برأيي أصابَ الحظُّ أو غلطا ... فانهض له كسلَ المقدار أو نَشِطا
ولا تفرّط جلوسا فى آنتظار غدٍ ... فخير عزميك أمرٌ لم يكن فُرُطا
خاتلْ يدَ الدهر وآنصُل غيلةً أبدا ... من حبله مارقَ الجنبين منخرطا
ولا تشاورْه فى أمرٍ هممت به ... فربما لهوَجَ الآراءَ (٧) أو خبطا
إن قلت: خذ بيدى فى الخوف، أرسلها ... أوقلت فى الأمر: دعنى مرسَلا، ضبطا
أبو العجائب أدوى (٨) أو شفا وكسا ... أو برَّ مرتجعا أو حلَّ أو ربطا
جبْ هذه الأرض إمّا عشتَ محتشما ... مؤمَّلا فوقها أو متَّ معتبطا (٩)

---

(١) الغوط جمع غوطة وهى الوهدة فى الأرض. (٢) العترة: القطعة من المسك الخالص.
(٣) النمط: ضرب من البسط. (٤) السفط: الجوالق. (٥) فى الأصل هكذا "ما ذنبا".
(٦) البندنيجين: بلفظ التثنية موضع بناحية العراق معرّب (وندنيكان) وهى بلدة مشهورة من أعمال بغداد. (٧) فى الأصل "خطا". (٨) أدوى: أمرض. (٩) معتبطا: بلا علّة، وفى الأصل "مغتبطا".

إما ذُنابَى فلا تحفلْ بمنقصةٍ أو قمّةَ الرأس واحذرْ أن تقع وسَطا
فما الحياة وإن طالت بصالحةٍ لمن يعدُّ متاعا بائرا سقطا
ما خطّة العجز والأرزاق معرضةٌ إلا لمن نام تحت الذلّ أو قنطا
يا أهل "بابلَ" لا طار الوفاء لكم بعدى اذا سرت فى جوّ ولا هبَطا
لأتركنّ رحيلى عنكمُ سمةً شنعاءَ يعلُطُ(١) فيها العارُ من عَلَطا
كم يمضغ البين لحمى بين أظهركم وربما ملَّ طولَ [المضغ](٢) فاسترطا
كأننى صعبةٌ(٣) فيكم معبّدةٌ بدت من السرح فى وادٍ وقد خُقطا
لا فرجة الرائحات السامحات لها ولا ترى ممسكا فى الله مرتبطا
وإن رأى ربها(٤) نِشدانها وقعت فى جانبٍ لم يُعرِّف أهلَه اللُّقطا(٥)
فهى لمثلى مقامٌ عند مثلكمُ ! وعند سفن الفلا الإرقاصُ(٦) والمَلَطى(٧)
والأرض حاملةٌ ما شاء راكبها بزلاءَ(٨) ذات سنامٍ تامكٍ(٩) ومطا(١٠)
فلتأتينّكمُ بالغيب هاجرةٌ يُضحى بها ورقُ الإعراض مختبطا
صوائبا كسهام النزع معتمدا وافى لمقصده أو عائرا مرطا(١١)(١٢)
تمضى فلا يملك الإعتابُ رجعتَها(١٣) ومن يردّ عقيلا بعد ما انتشطا
باتت تخوّ فى الأخطارَ مشفقةً ترى الإقامةَ حزما والنوى غلَطا
هل تعلمين امرأً ردّتْ محالتُه على الحفيظين ما خطًّا وما نقطا

(١) يقال : علط الناقة بمعنى وسمها بالعلاط . (٢) فى الأصل هكذا "المغض" .
(٣) يريد بالصعبة المعبدة : الناقة الشاردة . (٤) فى الأصل "وأى" . (٥) اللقط جمع لقطة وهى ما يجده الإنسان فى الطريق . (٦) الإرقاص : الارتفاع والانخماض فى السير .
(٧) الملطى : ضرب من العدو، وفى الأصل "اللطا" . (٨) البزلاء : الناقة المسنة .
(٩) سنام تامك : عظيم . (١٠) المطا : الظهر . (١١) العائر : السهم لايدرى من رامیه، وفى الأصل "ثر" . (١٢) مرط : أسرع . (١٣) فى الأصل "تملك" .

وهـــل رأيت الذى نَجّاه مجثَمُـــه ... بعقوة الدار أو أرداه إن شحطا

ما نحن إلا قطينُ الموت يعسـف با ... لوانى ويُلحقُ[1] بالسـلّاف من فرطا

وطـــولُ أيامنـا والدهر يطلبنـا ... مراحلٌ تنتهى أعـــدادها وخُطا

وقد كانت الدارُ دارى والكرام بهـا ... حماةُ سرحى وجـــيرانى معى خُلَطا

يحرّمونى فـــلا عـــودى بمهتَصِرٍ ... فيهم ولا خُضْرُ أوراقى لمن خرطا

ويؤمنـــون بآياتى فيتبعهـــم ... مقـــلّدا من بغى فيهـا ومن غمطا

صحبتهـــم وشبابى روضـــةٌ أُنُفٌ[2] ... ألوثُ منـــه برأسى فاحما قَطَطا[3]

مرفرفين عـــلى بِرّى وتكرمتى ... حتى غدا شـعَرى فى لِمّتى شَمَطا

لا الظن اكدَى ولا أجدى بمدحهُمُ ... وحبهـــم حاس[4] منقـالا ولا حبطا

أجادلُ[5] من بنى "عبد الرحيم" علتْ ... محلّقات وخلّتـــنى ومن سقطا

لمـا رأت قُلل الأطواد ساكنةً ... أولى بهـا عافت الأوطان والغُوَطا

لو لم تكن أنجما للناس ما طلبت ... ذُرَى الشواهق فاختطت بها خططا

ناطوا منـازلهم بالهَضْب نازحـــةً ... فقطّعوا وحشـــةً من قلبى النَّيِّطا[6]

كأنهـــم يوم زمّـــوها مخيّسـة[7] ... كانت على كبدى أيدى المطىّ تطا

بانوا بغبطـــة[8] أيامى وكان بهـم ... عيشى كما اقترح المحبـــوب واشترطا

فإن سألتُ زمانى أن يعوّضـــنى ... بهـــم بديلا فقـــد كلّفتُه شططا

ســـعى إلينا "كمالُ الملك" غاديةً ... وطفاءَ[9] تُرضى من الإعراض ما سخطا

---

(١) فى الأصل "يحلق" . (٢) الأُنُف : التى لم يرعها أحد . (٣) القطَط : الشعر الجعد القصير . (٤) حاس : أفسد . (٥) أجادل جمع أجدل وهو الصقر . (٦) النيط : عرق علق به القلب ، والأصل فيه سكون الياء وحركت للضرورة . (٧) مخيسة : مذلّلة .

(٨) فى الاصل "نابوا" . (٩) الوطفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها .

اذا سرت روّضت بالأرض أو جعلت ... عَرضَ البسيطة فيما بيننا بُسُطا
كأنها بجارى ذيلها رقمت ... وشيا بنمنمةٍ أو فوّقت(١) نَمَطا
لها من الفكر إمداد بلا أمدٍ ... كأنما ماؤها من كفه انبسطا
ترقّ معرضةَ الأسماع مقبلةً ... والجعدَ من كلّ فهمٍ ليّنا سَبطا
تميس فيها سجاياه فتحسبها ... كواعب الحى قامت تحمل الرّيطا(٢)
جزاء ما حاط لى من حرمة ورعَى ... عهدا وما مدّ من نُعمى وما بسطا
فتى يرى يدىَ العليا على يده ... اذا سألتُ نوالا أو قبلتُ عَطا
أفادنى العزَّ فى الجدوى فصيّرنى ... على انقباضى الى جدواه منبسطا
ردّ الكمال حبيسا فى حبائله ... عبدا فأطلق عن أيدى الندى الرُّبُطا
لو كان خُلْق الندى مما يُجاد به ... حباك أخلاقه جذلانَ مغتبطا
خلائق تحبس الغادى لحاجته ... طيبا وتستنزل الأحداجَ والرُّبطا
كان نمّار "بُصرى"(٣) بات يسكبها ... أو فضّ عطّار "دارينٍ"(٤) بها سفَطا
حلوٌ جناها اذا عاذ الصديق بها ... وحنظل من أعاديها لمن خبطا
سهولة الماء فيها رقة وندى ... وقسوة النار فيها هيبة وسُطا
اذا حمى أقسطت(٥) أحكامُ صارمه ... وإن همى قاسما أمواله قسَطا(٦)
اذا استجمّوه لم تضغطه جلسته ... توحشا أو دعوه فرّج الضَّغَطا
كالسيف تلبس منه مغمدا شرفا ... وشارةً ويقيك الشر مخترطا
كفى القبيل(٧) وحيد لا قرين له ... وساد أمردَ من بالشيب قد وُخِطا

(١) فى الأصل "فوقت" . (٢) الريط جمع ريطة وهى الملاءة . (٣) بُصرى : من قرى بغداد قرب عُكبرا . (٤) دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند . (٥) أقسطت : جارت وظلمت . (٦) قسطت : عدلت وأنصفت . (٧) فى الأصل "القتيل" .

قد أرهقـــوه فلا جبنـا ولا جزعا ... وٱستخطبوه فـــلا عِيًّا ولا لَغطا

اذا ٱستغثّوا فلولَ السـيف وٱنتهموا ... من الذوابل محطوما ومنتحطا (١)

سَلَّتْ (٢) يداه وعينُ الحرب راقـدةٌ ... لهم أساودَ (٣) يقســمن الردى رُقُطا (٤)

ضمـــوا الى تالد العليـاء طارفهـا ... تمازج الكسبُ والميراثُ وٱختلطا

بنَتْ له "فارسٌ" (٥) بيتا دعامتـــه ... فى الأفق لا بين "ذى طَلَح وذى الأَرَطا"

قوم قِرى ضيفهـم عقر البـدور اذا ... غدا قرى المعتمين السمنَ والأقِطا

اذا ٱحتبت حلقة النـادى بعـــزِّهم ... نصُّوا الدسوت ومدّوا دونها السُّمُطا

كنتم رضاى عن الدنيا فلو حفِظتَ ... من النوى شملكم لم أعرف السخَطا

تركتم (٦) عيشـتى بلهاءَ (٧) عاطشـــةً ... فى مجهلٍ (٨) سبسبٍ [يُنسى] (٩) القطاةَ قَطا

قد عرّق (١٠) الدهرُ عظمى بعـد فرقتكم ... من بعد ما حزَّ فى جلدى وما كشطا

فلاحظـونى على بعـــد المـزار بما ... يكون سِـترا على عـوراته وغِطا

فليس بينى و بين الرزق غـيرُكُمُ ... إن جل أو دقّ سُـفَّارٌ ولا وُسطا

وٱسمع لها — أنت خير السامعين لها — ... عـــذراءَ ما طُـرَّ معناها ولا لُقِطا

مزفوفـــةً لم يضيِّعها حواضنُهـا ... زُورًا ولم تعرف المِدْرى (١١) ولا المُشُطا

تَغـنَى بشافعها من حسنها أبدا ... عن التحسن مسـتجلًى ومشـترَطا

كأنهـا لعـلوق السامعين بها ... تُهـدِى الى كلّ سمع عاطلٍ قُرُطا

للهـرجان بهـا والعيـدِ ساريةٌ ... ظهـرا ينقّلها رفعا ومنهبطا

---

(١) منتحطا : مزجورا . (٢) فى الأصل "شلت" . (٣) الأساود جمع أسود وهو الثعبان . (٤) رقط جمع أرقط وهو المنقوط من الحيات . (٥) فى الأصل "دعامته" .
(٦) المجهل : الأرض لا يهتدى فيها ، وفى الأصل "جاهل" . (٧) السبسب : المفازة أو الأرض البعيدة . (٨) هذه الكلمة ليست فى الأصل . (٩) قطا : حكاية صوت القطاة . (١٠) عرق : أكل ما عليه من لحم . (١١) المدرى : المشط .

يومان إن خولفت جنسا [هما](٢) فلقد (١) تناسبا فى اجتماع السعد وارتبطا
"للفرس" "والعُرب" من شأنيهما شرفٌ يردُّ خزيا على أعقابها "النَّبَطا"
فطاول الدهرَ مغبوطا بحظّهما فى ظلّ نَعماءَ مَنْ دامت له غُبِطا

* * *

وقال فى الثريا

ما نازل بمن علا وصاعدٌ بمن هبط ؟
دانٍ على رأى العيـ ـن وهو إن رِيمَ شطط
فهو اذا درجتَه فوق وتحت ووسَطْ ،
جسم له وجهان ما شاء الجمالُ واشترطْ
وأعين لم يحصهـ ـنَّ بحساب من ضبطْ
يقلّ فيهن المصيـ ـبُ والكثيرُ من غلطْ
لا تسَعُ الدنيا له بعضا ولا سيرٌ يُحَطْ

* * *

قافيـــة العين

ولم يوجد له فى قافيـــة الظاء شىء

وكتب الى عميد الرؤساء أبى طالب فى النيروز

هبَّتْ ومنها الخلابُ والخدَعُ تأخذ منّى باللوم أو تدعُ
لأُهبة السير لا تطيرُ مع الـ ـذكر بها لوعةٌ ولا تقعُ
لم يختلب (٣) جنسَها الوداعُ ولا آهـ ـتزّت (٤) لها خَلف ظاعنٍ ضِلَعُ (٥)

(١) هكذا بالأصل و يقال إنها لغة . (٢) زيادة ليست فى الأصل . (٣) فى الأصل "يختلب" . (٤) فى الأصل "لما" . (٥) ضلع بوزن عنب : عظم صغير من عظام الجنب منحن ، وفى الاصل "صلع" .

قبلك أعيتْ عـــواذلى أذُنى ... أىّ صَفاةٍ بالعـذل تنصـــدعُ
فى ســلف الرائحين جائرةٌ ... تُســمَعُ أحكامُهـا فتُتَّبَــعُ
لهـا ســوادا قلبى وطرفى فمـا ... يغرب فيها دمعى ولا الجـزعُ
حوراءُ ودّ الظبىُ(١) المكانَ الذى ... تنظرُ منـــه والظبىُ مرتِبــعُ
صحَّحَ رِقّ حبُّ الــوفاء لهـا ... ومهجتى فى لحـاظها قِطَــعُ
بانت بحـلو المنى وعيشى، وآ(٢) ... تى العيش ماضٍ لو كان يُرتَجَعُ
وعلَّمتْ طيفَها الصــدودَ وقد ... كنتُ بإفك الأحلامِ أقتنــعُ
وليلةَ "النَّعف" والسُّرَى آمرٌ ... بالنـــوم والشــوقُ زاجرٌ يَزَعُ (١٢٣)
أكرهتُ عينى على الكرى أرقبُ الـ ... ـطَّـيف ونـــومى أُولاه مُمتنِــعُ
فمـا وفت شيمــة مــلونةٌ ... تُستنّ فى غدرها وتُبتــدعُ
حتى تمنيتُ لو سهرتُ مــع الـ ... ـزّ كبِ وودّ السارون لو هجعوا
شيَّبنى قبــل أن كبِرتُ له ... حبُّ "لظمياءَ" ناشئٌ يَفَــعُ
يأخذ ما تأخذ السنون من الـ ... ـجسم ولا يــترك الذى تدعُ
آهِ لشــمطاء(٣) لا هى الشــعر ... برأسى ولا هى الصَّــدَعُ(٤)
تؤذننى بالمــدى وتخرُقُ من ... عمرىَ مالا تســدُّه الرُّقَــعُ
صحبتُ منهـا يُبس الرفيق ويا ... ليت آفترقنا من قبــل نجتمعُ!
كصاحب البــلدة القَواء(٥) أخو ... ه الذئب فيهـا وجارُه السَّبُعُ

---

(١) فى الأصل "ردّ" . (٢) فى الأصل "عيش" . (٣) الشمطاء : ما خالط بياضها سواد .

(٤) هكذا بالأصل وهو غير متزن فضلا عن تعقيد معناه، ولعله يريد أن يقول :

آه لشمطاءَ لاهى الشــعر [مو] فورا برأسى ولا هى [الصلع]

(٥) القواء : القفر .

قالوا : ٱرتدعْ إنه البياض وقد ... كنتُ بحكم السواد أرتدعُ
لم ينقل الشيْبُ لى طباعا ولا ... دنّسنى قبلَ صقله طَبَعُ(١)
نفسىَ أحجَى من أن تُحلِّمَ بالـ ... ـوعظ وقلبى بالمجد مضطَلِعُ
وإن هوى بى أوحطّنى خُمُق الـ ... ـحظ فهمّى يسمو ويرتفعُ
صَدَقتُ دهرى عنّى ليعرفنى ... لوكنتُ فيه بالصدق أنتفعُ
وقلت : مِلْ بى عن طَرْق مسألة الـ ... ـناس وقُدنى فإننى تبعُ
جرّبتُ قوما وفاؤهم بارق الـ ... ـخلّبِ لا يُمطرون إن لمعوا
فى العسر واليسر يمنعون فإن ... أعطَوا تمنّيت أنهم منعوا
طمعتُ فيهم حتى يئست وما الـ ... ـيأس سوى ما أفادك الطمعُ
فاقعد اذا السعى جرَّ مهضمةً ... وجُعْ اذا ما أهانك الشِّبَعُ
وصاحبٍ كاليد الشليلة لا ... يُدفعُ شىء بها فيندفعُ
مشى جوادا معى لحين علا ... تخمّعتْ(٢) لى بوده ضَبُعُ
حملت نفسى عنه عزوفا وقد ... يَحْمَى فيمشى بثقله الظَّلِعُ(٣)
وقلت : بابُ الإله إن ضقت مفـ ... ـتوحٌ وهذا الفضاءُ متّسِعُ
وفى وفاءِ الحلو الوفاء "ٱبن أيـ ... ـوب" مَرادٌ كافٍ ومنتجَعُ
مولَى يدى والحسامُ يُسلمها ... وناصرى يومَ تخذُلُ الشِّيَعُ(٤)
علِقتُ منه شَزْرَ القُوَى مَرِسِ(٥) الـ ... ـفتل وحبلُ الآمال منقطعُ
أبلج يعدى الدجى سناه فتبـ ... ـيضُّ اذا خاضها وتنتصعُ
راض العلا قارح(٦) العزيمة وآسـ ... ـتظهر حتى كأنه جَذَعُ(٧)

(١) الطبع : الوسخ الشديد من الصدأ . (٢) يقال : خمعت الضبع أى مشت مشية بها عرج .
(٣) الظلع : الأعرج . (٤) فى الأصل "السيع" . (٥) الشزر : الحبل الشديد الفتل . والمرس : القوىّ . (٦) القارح من الإبل المسن . (٧) الجذع : الفتىّ .

مسدّد النطق مستريبٌ بما قال من الحق آمنٌ فـزِعُ
يُطلعـهُ نجـدَ كلِّ مشكلةٍ رأىٌ وراء الغيـوبِ مطّلـعُ
عنَّ على قدرةٍ وجادَ وجوّ "الـ (١)جدىِ" جعدُ الأرواح منقشعُ
وشد منه مُلكُ الإمامين جلـ (٢)ـدَ المتن لا عاجزٌ ولا ضَرِعُ
ينصـح لله والخلافـةِ لا يرفع فى شَـهوةٍ ولا يضَـعُ
وزارةٌ مـذ أتيتَهـا عاشت الـ ـسُّـنَّةُ فيهـا وماتت البـدعُ
تشهد لى أنهـا اليقينُ قضا يا الله والمسلمون والجُمَعُ
وزرتَهـم وارثا أباك فما آر تابوا بما أصّـلوا وما ٱفترعوا
وٱغترسـوا عِرقَك الكريمَ فما أطيبَ ما ٱستثمروا الذى زرعوا
كان ٱصطناعا عـلى تمنّعـه منهـم بمن قدّموا وما ٱصطنعوا
كنت لسانا يقضى اذا نطقـوا قضاءَ أرماحهـم اذا شرعوا
وسـنَّةً تدفع المخالفَ عن دعوتهـم مذ هم بك ٱدّرعوا
فضـلٌ طريف منـه ومتّلِدٌ تنقُـلُه حاكيا وتخـترعُ (٣)
وحّـدك النـاسُ فى الدعاء ولو ثَنَّوا لضـلّوا إفكا (٤)ولو جمَعـوا
وأطنب المـادحون فيـك بما صاغوا من السائراتِ أو رَصَعوا
ولم يقـولوا إلا بما علمـوا ولا روَوا فيك غـيرَ ما سمِعوا
فليبقَ للناس منك من أطبقَ الـ ـنـاسُ عليه فى الفضل وٱجتمعوا
ولتجتنب ربعَك الخطوبُ وفى قـومٍ مَصيفٌ لها ومُرتبَعُ
وليغشَ منك النيروزُ أكرمَ مَن حطَّ اليـه الوفودُ أو رفعـوا

(١) اسم نجم وبرج والأرواح جمع ريح . (٢) الضرع : الضعيف . (٣) فى الأصل "تجترع" . (٤) فى الأصل "لصلوا فكا" .

يومٌ جوادٌ حكاك حتّى على الـ ـتُّرب حُلى من جداه أو خِلَعُ
يعطيك بُشرى الخلودِ ماطفقت تحتجبُ الشمس ثمّ تطّلعُ
وليفدِ كفّيك مغلقُ اليد مخـ ـفورُ[1] النواحى بالبخل ممتنعُ
ما عنده فى المهمِّ يطرقُه جدٌّ ولا بالندى له ولعُ

* * *

وكتب الى أبى منصور يزدانفادار فى يوم المهرجان

صدق الوشاة ، العهدُ عندكِ ضائعُ لو كان يوعَظُ فيكِ قلبٌ سامعُ
قُلت : التعاتبُ وهو هجرةُ ليلةٍ ثم استمرّ وزاد فهو تقاطعُ
تحتّكِ[2] نفسٌ تطمئن اذا الهوى ترك النفوسَ اليكِ وهى نوازعُ
ومدامع يُبْس النواحى كلّما بلّت[3] عليك من الحفاظ مدامعُ
أهوَى المليحة كلَّ ما أحرزتُه بك ضائرٌ[4]، أفأنت يوما نافعُ؟
قسما لئن ردَّ الشبابَ وجاهَه ما قد علمتَ فما اليها شافعُ
أعدوةً والحُبُّ أنتِ وإنما تعصينَ فيه إن أحبَّك طائعُ
شهد الوفاءُ بأنني لو خنته ما كان يجمعنى وعهدَك جامعُ
عاداتُ أيامى اللئيمةِ غادرت نَعمى بمن أهوى وهنّ[5] جفائعُ
دمِيَتْ قروحُك يا جريحَ زمانِه تحت الحمول، أما لخرقك راقعُ[6]؟
نظرا لنفسك ، ما حياؤك كاشفٌ عنك الهوان وما احتشامك دافعُ
سالمتُ دهرى قبلَ أعلم أنه فيمن يهادنه السلامةَ طامعُ

---

(١) فى الأصل " محفور " . (٢) فى الأصل هكذا " تحتك " . (٣) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا " لت " . (٤) فى الأصل " صابر " . (٥) فى الأصل " بجامع " . (٦) فى الأصل " رافع " .

فالآن أصميـه بسـهم ما له ... فى قلبـه إلا المنيـةَ نازعُ
" يَزدانَفَـادارُ " وليس بمـدّعٍ ... من قال لابن الشمس : نورُك ساطعُ
لا قِـرن لى وعلىَّ منـه وفى يدى ... درعٌ مضاعفـةٌ وسـيفٌ قاطعُ
فى " فارس " نسبٌ يجاذب فخرَهُ ... ما فيـه لابن المَرْزُبانِ[1] منازعُ
لله درّك واهبـا متـبرّعا ... وسـواك مرغوبٌ اليـه مانعُ
لم يؤتَ من حظّ الشجاعة ساهرٌ ... فيهـا الذى تؤتَى وطـرفُك هاجعُ
وكم انتضيتَ من الدواة مهنّـدا ... خطـراتُه بالدارعين وقائـعُ
مَيْتٌ له بالنِّقس[2] نفسٌ حيَّـةٌ ... ظامٍ وفى شـفتيه[3] ماءٌ مائـعُ
يجرى غداة النِّيـلِ أسـودَ كالحا ... وكأنه للنقـع أصـفرُ فاقـعُ
يفـديك قوم يسـتغيثك كلمـا ... خابت وسـائلُ عنـدهم وذرائعُ
باعـوا المحامـدَ بالثراء وحسبهم[4] ... خسرانُ صفقة ما اجتناه البائعُ
اليومَ عيـدُ مَن الملوكُ جدودُه الـ ... ـماضون، حقٌّ مسـتفيضٌ شائعُ
كم من نصـيبٍ للخلافةِ عنـدنا ... فى مثـله " رمضانُ " منـه مانع
فالبس له حُلَلَ المعـمَّر بعـدَه ... فى العـزّ ما نَجَـمَ الهلالُ الطالعُ
واسمع — كما انتظم الفريدُ، ورقَّ ما ... ءُ غمامةٍ، وصـفا الفِرِندُ اللامعُ —
بنتَ الليالى السـود أسهرنى لهـا ... حفظُ الأيادى البيضِ وهى ودائعُ
لما رأيت الدهرَ ضـاق وأهـلَه ... عـنى وعنـدك لى فِناءٌ واسـعُ
حصَّنتُ باسمـك جانبىَّ تعـوُّذا ... فليصنع الحَـدثَانُ ما هـو صانعُ

(١) المرزبان : رئيس الفرس . (٢) النقس : الحبر، وفى الأصل " النفس " .
(٣) فى الأصل "شفتاه" . (٤) فى الأصل "وحبه" .

وقال يمدح الوزير أبا نصر سابور فى النيروز ويبعثه فى حاجة له

لأيّةِ لِبســـةٍ خلعَ الخلاعَـــهْ ... وكان عصَى العـــذول فلمْ أطاعَهْ
تلـــثمُّ كالغمامـــة أعجبتـــه ... فشـام خـــلالها برقا فَراعـــهْ
وغالى فى ٱبتيـاع صِبًا شرته الـ ... ـيـالى منـــه مرتخصا فباعـــهْ
قليـــلا ما حملتَ عليـــه ودا ... قليـــلا مذ أحبّك ما أضاعـــهْ
نزلنـا فى "بنى ساسان" دُورا ... بهـا تسلَى بيوتُك فى "قُضاعهْ"
وعوّض كلَّ يوم منك حولًا ... يسرُّ فكان يـــومُ البين ساعهْ
ألا يا صاحبى إن ناب خطبٌ ... دفعتَ به فأحسِنْ بى دفاعـــهْ (٢٣٤)
نشـــدتك والكرى بيد الليـالى ... اذا أهـــدته أسرعَتِ ٱرتجاعـــهْ ،
أكان ســـوى الوزير بنـا وقلنا ... لمـاء المزن : جُدْ إلا رباعـــهْ (١)
اليه صرفت عن ذا الناس نفسى ... كما ٱعتزلت تألّفهـا القناعـــهْ
أقول لهمـــة لو قيـــل : مُدّى ... بباع النجم ، لم ترض ٱرتفاعـــهْ
اذا ما الضـــيمُ رابكِ فٱستجيرى ... ذَرَا "ســـابورَ" وٱنتجعى بقاعهْ
ثقى ولو ٱن حاجتَـــك "الثريا" ... اذا ما الليث مـــدّ لهـا ذراعـــهْ
فَدَى البخلاءُ والجبنـاءُ (٢) منهـــم ... فتًى وصـــلَ السماحة بالشجاعـــهْ
زكنتُ (٣) اليـــه ظنًّـا صار حقّا ... وكم وقفتْ براكبها الطماعـــهْ
وزرتُ فقمتُ بين يدَىْ كريم ... تحولُ قُوّى بحضرته الضراعـــهْ
صفا ماءً وزدتُ عـــلى الهوينـا ... صفًا ، ما رمتُ فى أثرِ خداعـــهْ

(١) كذا فى الأصل وهو مبهم فى تركيبه ومعناه . (٢) فى الأصل "النجباء" . (٣) زكنت : تفرست ، وفى الأصل "ركنت" .

أقـــول لسائلى بك وهـــو ناءٍ كأن لم يرضَ من خبرٍ سماعهْ[1] :
أمامكَ مُلْك "آل بو يه" فآسأل بذاك الشمل من ولِىَ اجتماعـــهْ
ومن لو أبصر الأعـــداءَ وحشـا تعقّبـــه فصـاد لهم سباعـــهْ
ولو زحمـــوا "ثيرا" فى مضيقٍ ألان على مناكبهم صِراعـــهْ
لقـد أُعطيتَ عدلَ الحـقّ حتّى لخلتك[2] تقسمُ الدنيـا المشاعـــهْ
وما ملكٌ يمـــد الرأىَ إلا فتًى وصلتْ قناةُ الخطّ باعـــه
ولا أولادك الأوضـاحُ إلا وفودُ الفجر أحرزت الصداعـــهْ[3]
هـــو البيت اطمأنّ المجـدُ فيه فألقى واستقرّ به مَتاعـــهْ
ومن حسناتهم ذا اليوم عيدٌ حووا سبقا بفضلهـم اختراعـــهْ
وشرّفهم[4] بفضـــلكَ ألفَ عامٍ فأمّنك المغذّون انقطاعـــهْ
لعلك ناظـرٌ فى حالِ عبـدٍ بعين الرأى كيف ترى اصطناعهْ
أعِرْ لَسَنى سماعَك كيف أشكو ـ وأظلمُ[5] ذاك ـ من حظى ضَياعهْ[6]
يؤخرنى القـــريضُ لدى أناس ركبت الى مدائحهم شراعـــهْ
قصائدُ لو ســـبقت بهنّ حـــتى أصيّرهنّ فى ســـفرٍ بضاعـــهْ
شريتُ جَمالَ "يوسفَ" وهوراضٍ بهنّ وعدتُ فاستثنيتُ صاعـــهْ
وكم أغمـــدتها وسللتُ أخرى برعتُ بهـا فـــلم تُجدِ البراعـــهْ
نُحِستُ كتابةً وحُرمتُ شـــعرا فهـــل من ثالثٍ لى من صِناعـــهْ ؟
أميـــل على الكراهة مـــع أناسٍ كما مالت مـــع الريح اليراعـــهْ

(١) فى الأصل "ساعه" . (٢) فى الأصل هكذا "لطانتك" . (٣) الصداعة : الإشراق .
(٤) فى الأصل "وشر" . (٥) فى الأصل "وطلم" . (٦) فى الأصل "صناعه" .

وما إن كدّنى إلا ارتكاضٌ على رزقٍ يجىء بلا شفاعهْ
فإن يُدرَكْ فأنت له وإلا فليس علىّ إلا الاستطاعهْ

* * *

وقال يمدح الكافى الأوحد ويودّعه، ويحثّه على قضاء حقّه، وتعجيل سراحه، وأنشده إياها فى صحراء بروجرد، وقد شخص لترائى هلال شهر رمضان

على أىّ لائمةٍ أربعُ[1] وفى أيّما سلوةٍ أطمعُ؟!
وقد أُخِذَ العهدُ يوم الرحيل أمامِىَ والعهدُ مستودَعُ
فقصرَك يا خادعى من وفائى لؤمت، أعن كرمى أُخدعُ؟
ويا صاحبى والنوى بيننا ضلالٌ فُطرقُ الهوى مهيعُ[2]
لأمرٍ[3] أخوك غدَا صامتا على أنه الخاطبُ المصقعُ
سقى الغيثُ "بغدادَ" إمّا سقى لذكرتها جَدَّ بى المدمعُ
وحيّا بها قمرا ما استقـ ـر بعد فراقى به مطلعُ
رأى شهرَ بُعدِى محاقا له فلم يُغنه العَشرُ والأربعُ
ونوم على الطيف عاهدتُه وقد زار لو أننى أهجعُ
ضحكتُ[4] أهوّن بينى عليه وعبّس يزرى بمن يَفجَعُ
أغرّكَ[5] بعدَ فراق الوزيـ ـر أنّى لضرب النوى أخضعُ
أسير وضلع الهوى عند من تَفِرُّ لفُرقته الأضلعُ
وأسكنُ من وطنى بعدَه الى حسرةٍ قلّما تُقلعُ
وفى ضمن فرحةِ عَودى جوًى يدلّ على أننى موجَعُ

(١) أربع: أعطف. (٢) المهيع: الطريق الواسع. (٣) فى الأصل "لأمن".
(٤) فى الأصل "ضحلت". (٥) فى الأصل هكذا "غرلك".

"أكافِنَا" كافِيَ الحادثا ... تِ سوداً لنا سُمرُها شُرَّعُ
بك انتصر الأدَبُ المستضامُ ... وأنشر ميِّتَه المُضجَعُ
سفرتَ بفضلك عن وجهه ... وظِلّ الخمولِ له برقُعُ
اذا المدح ناداه شوق اليك ... فناداه بُطئِيَ إذ أسرعُ
فتحت بجودك عينًا ترى ... وفودَك أو أذُنا تسمعُ
[أرى مقصدا لم علي ... ـه عين بعود به المرجعُ][1]
وقد هزّنى والدجى مسبِلٌ ... وأسهرنى والورى هُجَّعُ
حوادثُ تغشَى صميمَ الفؤاد ... لها فى صميم الصفا[2] مَصْدعُ
فلا ربعةٌ[3] زادُها مشبِعٌ ... يغذِّى ولا نهلةٌ تنقعُ
سأهجرُ دارَك لا عن قِلًى ... كما يهجر المرتعَ المُربِعُ[4]
أودّعُ دارك عن خبرةٍ ... بأىّ غرام غدًا أودَعُ
جودُكَ بالعذرِ والعُرفِ لى ... سماحان هذا وذا يُوسِعُ
سيُنسَبُ حسنٌ وقبحٌ اليـ ... ـك حاشاك يَقبُحُ ما تَصنَعُ
ويسألُ عن رِبحَى المبضعون[5] ... وغيرك يخسر ما أبضعُ
رحلتُ ولم أبقِ خَلقًا سواى ... اذا اندفع القولُ لا يُدفَعُ
وسُقتُ اليك لسانَ "العراقِ" ... وإنك للشاهدُ المقنِعُ

---

(١) كذا فى الأصل وفيه سقط وتحريف ولعله :
أرى مقصدا لم تُغنِّى عليـ ... ـه غَبنًا يعود به المرجعُ

(٢) الصفا جمع صفاة وهى الحجر الصلد . (٣) الربعة : الجونة وهى الخابية المطلية بالقار ولعله يريد بها القدر على المجاز . (٤) المربع : الذى دخل فى الربيع . (٥) فى الأصل "المبغضون".

لسانٌ يصرِّفه فى الرجال ... طريقٌ على غيره مَسبعُ[1]
اذا هو أحمدَ فالشَّهدُ منـ[2]ـه والسمُّ من ذقنه مُنقَعُ
وما ينظر الناسُ ماذا رحلتُ ... ولكن يراعون ما أرجِعُ
وودٌّ أوامرَك العاليات ... فتىً حافظٌ كلَّ ما يودَعُ
يسرُّك ما اصطنعتنه يداك ... اذا ضاعَ فى غيره المَصنَعُ[3]
[تهنأ بقابل[4]] شهر الصيام ... وأحصِدْه خيراً كما تزرعُ
تلابطه[5] شِرَّةُ الظالمين ... وأنت له خاشعا تخشعُ
وسرّك منه الذى ساءَهم ... لحفظك فى الله ما ضيّعوا
ولما برزتَ تُرائى الهلالَ ... مضى آيساً منه مَن يَطمَعُ
لأنهُمُ أنكروا أن يَرَوا[6] ... هلالا على قمرٍ يطلعُ

* * *

وقال يصف مناقب أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب والمدافعة له عن حقه عند عوده من الجبل

هل بعد مفترَق الأظعانِ مجتمَعُ ... أم هل زمانٌ بهم قد فات يُرتَجَعُ؟
تحمّلوا تسعُ البيداءُ ركبَهُمُ ... ويحمل القلبُ فيهم فوق ما يَسعُ
مغرِّبين هُمُ والشمسَ ، قد ألفوا ... ألا تغيب مغيبا حيثما طلعوا
شاكين للبين أجفانا وأفئدةً ... مفجَّعين به أمثالَ ما فجَعوا

---

(١) الطريق المسبع : الذى كثرت فيه السباع . (٢) فى الأصل " فاشهد " .
(٣) فى الأصل " المضيع " . (٤) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا " وهن بمال " .
(٥) هذه الكلمة فى الأصل هكذا " بلابطه " ولابط أحدهما الآخر : ضرب كلّ منهما بأخيه الأرض وهى هنا مجاز عن مصارعة شهر الصيام لطيش الظالمين . (٦) فى الأصل " يرون " .

تخطـو بهـم فاتراتٌ فى أزمَّتها ... أعناقها تحت إكراه النـوى خُضُعُ
تشـتاق "نعمان" لا ترضى بروضته ... دارا ولو طاب مصـطافٌ ومرتَبَعُ
فداء وافين تمشى الوافياتُ بهم ... دمعٌ دمٌ وحشًا فى إثرهـم قِطَعُ
الليـلُ بعـدهُمُ كالفجر متصـلٌ ... ما شاء والنومُ مثلُ الوصـل منقطِعُ
ليت الذين أصاخوا يوم صاح بهـم ... داعى النوى : ثوِّروا، صَمّوا كما سمِعوا
أو ليتَ ما أخذَ التوديعُ من جسدى ... قضَى عـلى فللتعـذيبِ ما يـدعُ
وعاذلٍ لجَّ أعصـيه ويأمـرنى ... فيهـم وأهرب منـه وهـو يتبعُ
يقول : نفسَـك فاحفظها فإن لهـا ... حقًا وإن علاقاتِ الهـوى خـدَعُ
روّح حشاك ببَرد اليأس تسلُ به، ... ما قيـل فى الحب إلا أنه طمعُ
والدهـر لونان والدنيـا مقلَّبـة ... الآ ن يعـلم قلبٌ كيف يرتدعُ
هـذى قضايا "رسولِ الله" مهمَلةٌ ... غدرا وشملُ "رسول الله" منصدعُ
والنـاس للعهدِ ما لاقَوا وما قـربوا ... وللخيـانة ما غابـوا وما شَسَـعوا (١)
وآلُهُ وهُـمُ آل الإله وهـم ... رعاة ذا الدين ضيموا بعده ورُعُوا
ميثاقـه فيهـمُ ملـقًى وأمّتـه ... معٌ من بغاهم وعاداهـم له شِيعُ
تضاع بيعتُـه يومَ "الغـدير" (٢) لهم ... بعـد الرضـا وتحـاط (٣) الرومُ والبِيعُ
مقسَّـمين بأيمـانٍ هـمُ جَـذبوا ... ببوعها وبأسـياف هـمُ طَبعـوا
ما بين ناشرِ حبـلٍ أمسِ أبرمـه ... تُعدُّ مسنونةً من بعـده البِـدعُ
وبين مقتنصٍ بالمكر يخـدعه ... عن آجلٍ عاجـلٌ حـلوٌ فينخـدعُ

(١) شسعوا : بعدوا . (٢) الغدير : هو غدير خم بين مكة والمدينة : قيل إن النبى صـلى الله عليه وسلم خطب الناس عنده فقال «من كنت مولاه فعلىٌ مولاه» . (٣) فى الأصل "وتخاط" .

وقائل لى : "عـلىٌّ"[1] كان وارثَهُ ... بالنصِّ منه، فهل أعطَوه أم منعـوا؟
فقلت : كانت هَناتٌ لستُ أذكرها ... يجـزى بها اللهُ أقواما بمـا صنعوا
أبلغ رجالا اذا سمّيتهـم عُرِفوا ... لهم وجـوهٌ من الشحناء تُمتقعُ
توافقـوا وقناةُ الدين مائلةٌ ... لخين قامت تلاحَوا فيـه وٱقترعوا
أطاعَ أوّلُهم فى الغـدر ثانيَهـم ... وجاء ثالثُهـم يقفو ويتّبِـعُ
قفوا عـلى نظرٍ فى الحقّ نفرضـه ... والعقلُ يفصـلُ والمحجوجُ ينقطـعُ
بأىّ حكمٍ بنـوه يتبعـونكُمُ ... ونخركم أنكم صحبٌ له تَبَـعُ
وكيف ضاقت على الأهلين تربتُـهُ ... وللأجانب من جنبيه مضطجَعُ
وفيم صـيّرتم الإجماعَ حجّتكم ... والناسُ ما ٱتفقوا طوعا ولا ٱجتمعوا
أمرُ "علىٍّ" بعيـدٌ من مشـورتِه ... مستكرَهٌ فيـه "والعبّاس" يمتنـعُ
وتدّعيـه "قريشٌ" بالقـرابة وال ... ـأنصارُ لا رُفِعٌ فيـه ولا وُضُعُ
فأىّ خُلفٍ تخلّف كان بينكُمُ ... لولا تُلفّـقُ أخبـارٌ وتُصـطنَعُ
وٱسألهُم "يوم خمّ"[2] بعد ما عقدوا ... له الولايـةَ لمّ خانوا ولمّ خَلَعـوا
قـولٌ صحيحٌ ونيـاتٌ بها نَغَـلٌ[3] ... لا ينفع السيفَ صَقْلٌ تحتـه طَبَعُ[4]
إنكارُهم يا أميرَ المؤمنين لهـا ... بعـد ٱعترافهـمُ عارٌ به ٱدرعـوا
ونكثهم بك ميـلا عن وصيّتهـم ... شرعٌ لعمـرك ثانٍ بعـده شرعوا
تركتَ أمرا ولو طالبتـه لدرتْ ... معاطسٌ راغمتـه كيف تُجتـدَعُ
صـبرت تحفظ أمرَ الله ما ٱطرحوا ... ذَبًّا[5] عن الدين فٱستيقظت إذ [هجعوا]
ليشرقنّ بحلو اليـوم مُرّ غـدٍ ... اذا حصدت[6] لهم فى الحشر ما زرعوا

(١) فى الأصل "وقابل" . (٢) خم : أنظر ص ١٨٢ شرح رقم ٢ (٣) النغل : الضغن وسوء النية . (٤) الطبع : الصدأ . (٥) ليست بالأصل . (٦) فى الأصل "حضذف" .

جاهدتُ فيـك بقولى يوم تختصم الـ ـأبطالُ إذ فات ســيفى يومَ تمتصعُ[1]
إن اللسانَ لوصَّالٌ الى طُــرُقٍ فى القلب لا تهتــديها الذُّبَّلُ الشُّرُعُ
آبای فی " فارس " والدين دينُــكُمُ حقّا لقــد طاب لى أُسٌّ ومرتبَعَ
ما زلت مذ يفَعتْ ســنّى ألوذ بكم ــ حتى محا حُكْمكم شكّى ــ وأنتجعُ
وقد مضتْ فُرُطاتٌ[2] إن كفلتَ بهـا فزقتُ[3] عن صُحُفِى البأس الذى جمعوا
"سلمان" فيها شفيعى وهو منك اذا الـ ـآباء عنــدك فى أبنائهــم شفعوا
فكن بها منقــذا من هول مطّلَعى غدًا وأنت من "الأعراف"[4] مطّلِعُ
سوَّلتُ نفسى غرورا إن ضمنتُ لها أنى بذخرٍ ســوى حبِّيك أنتفــعُ

* * *

وكتب الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى العيد

يقولون : يومَ البين عينُك تدمــعُ دعوا مقلةً تدرى غــدًا من تودِّعُ
ترى بالنوى الأمرَ الذى لا يرونه هوًى، فيقولون الذى ليس تسـمعُ
اذا كان للعــذّال فى السمع موضعٌ مصونٌ، فما للحب فى القلب موضعُ
يرى القومُ فيهــم أن مسراهُمُ غدًا، صدقتك إنى من غدٍ لمــروَّعُ
لك الله موضوع اليدين على الحشا صباحا وبَيْضاتُ الهــوادج ترفعُ
ودون انصداع الشمل لو يسمعونه أنين، حصاة القلبِ منــه تَصدَّعُ
أعد ذكرَ " نعمانٍ " أعد إنّ ذكرَه من الطِّيبِ ما كرّرته يتضوَّعُ (٢٣٧)
فإن قــرّ قلبى فاتّهمه وقل له : بمن أنت بعــد " العامريّة " مولعُ ؟
أمنقادَ أحــلامِ الكرى أن تسرَّه سهرنافسلْ "حسناء" إن كنت تهجعُ

(١) تمتصع : تجالد بالسيف . (٢) فى الأصل "فرطاب" . (٣) فى الأصل " فرق " .
(٤) الأعراف : سور بين الجنة والنار .

أرميا على الهجران والشّيب واخِطُّ ... فهـلّا وفى قوس الشبيبة [منزَعُ][1]
رويدكِ لو كانت سوى الحبّ خطة ... لأعيـاك أنى الخاشع المتضـرِّعُ
سلى الدهر عن حملى تفاوتَ ثقـلِهِ ... وصبرى على أحداثه وهو يجـزعُ
وتوقير نفسى عن حظوظٍ كثيرةٍ ... يخفُّ اليها الحامـل المتسرِّعُ
وما خشُنتْ إلا وقلتُ : دعى غدا ... لكلِّ غـدٍ رزقٌ مع الشمس يطلعُ
رشادَكِ! خير الكسب ما جرَّ سودَداً ... عليـكِ وميسورٌ من العيش يُقنِـعُ
وإلا صديقا "كابن أيّوبَ" حافظا ... بحيث السـواد فى الفـؤاد مضيّعُ
حمى الله والمجـدُ الصريحُ ابنَ حرَّةٍ ... حمـانى وأرماح الحـوادث شُرَّعُ
وناديت إخوانى فأقبـل وحـده ... علىَّ فلبَّـانى وكلُّهُمُ دعـوا
من السابقين نجدةً إن تحمّسـوا ... لحفظ حمًى أو عفَّـةً إن تورَّعوا
لهم قُضُبٌ فلّوا بهـا قضُبَ الوغى ... مغامدها أيديهـمُ حين تقطعُ
أراقمُ لا ترجـو الرقاةُ اختداعَهـا ... ولا يبلغُ الدِّرياقُ موضعَ تاسـعُ
طلبنا فما جازت "أبا طالبٍ" بنا ... منًى شطَطٌ ولا رجاءٌ موسَّـعُ
وطرنا بهمَّاتٍ تحـوم على العـلا ... فلمـا تراءى صاح رائدُنا : قَعُـوا
خلفتُ به من كلّ رثٍّ ودادهُ ... كثوب العـدا ينعطُّ[2] وهو يرقَّعُ
فعش لى أقـلِّدْكَ الجزاءَ مراسـلا[3] ... على العِرض[4] لا ما زين[5] سوقٌ وأذرعُ[6]
اذا زانت الدرَّ اليتيمـةُ أصبحت ... بعيـدةَ يُتمٍ من معانٍ تُرصَّعُ
لها أرجٌ فى السمع باقٍ وإن غدتْ ... يخُبُّ بهـا نطقُ الرواة ويوضِـعُ[7]

(١) ليست بالأصل . (٢) ينعطّ : ينشقّ . (٣) المراسل : القلائد واحدتها مرسلة .
(٤) فى الأصل "الغرض" . (٥) فى الأصل "رين" . (٦) فى الأصل "أدرع" .
(٧) يوضع : يسرع فى سيره .

على أوجه الأعياد مِيسمُ حسـنِها ... من آسمك سـطرٌ فى الجباهِ موقّعُ
أراغم دهرى بالحفاظ عليكُمُ ... وحافظُ قـومٍ آخرين مضيّعُ
وقال غوىٌّ : إنّ فى الناس مثلَكم ! ... فقلت له : غيرى بمثلك يُخـدَعُ !

* * *

وقال فيـه أيضا

اذا رضـيَت رباك عن الربيع ... فأهـونُ ما أُدِلُّ به دمـوعى
أدارَ الحبّ إذ "خنساءُ" جارٌ ... و"رامـةُ" ملعبُ العيشِ الخليع ،
وأترابُ الهـوى مـتراوراتٌ ... سريعـاتُ الأفـول من الطلوع ،
ليالىَ إذ ليـال من شـبابى ... شواعبُ(١) حين أدنت من صدوعى ،
اذا صـدّت لتهجـرَنى شموسٌ ... سفرتُ فكان من وجهى شفيعى ،
وقفنا نسـتعيدُك ما ألفنا ... وأين ذَهابُ أمسِك من رجوعِ !
ويبكى نازلُ الطُّـرّاق منّا ... فيصـبغها دموعا من نجيع(٢)
وما خمدتْ "بذى العلمين" نارٌ ... يشـيمُ ضيوفُ مُوقدها ضـلوعى
ونابذةٍ مع الحصـياتِ عهـدى ... وكان لها مكانَ يدِ الضـجيع
اذا قاضيتهـا أخـذتْ بعـدلٍ ... لحسن الوجهِ من قبح الصـنيع
وليـلٍ قد سـهرتُ وكم سهادٍ ... أحب الى العيـون من الهجوع
وخوّانينَ منفردين عـنّى ... فـا نقصَ الوحيـدُ عن الجميع
وعاذلةٍ تمـدّ حبالها لى ... وطرتُ، فأين حبلُكِ من وقوعى !
تـلوم على النزاهـة وهى تدرى ... بأن قناعتى حسـمت قنـوعى
وقافيـةٍ جمعتُ لهـم شرودا ... بهـا ووصلت حبلَ أخٍ قطوعِ

---

(١) فى الأصل "شواغب". (٢) النجيع: الدم .

ترى البيت الجديد يهُزُّ منها مُعاوِدَهُ على سمعٍ رجيعِ
وسوقٍ للكساد شريت فيها بديعَ البيع بالحمد البديعِ
فلو شهِدَ "ابن أيّوبٍ" مقامى نجوت بمُصرَخٍ منه سميعِ
إذن لحمى يدى وحمى جَنانى أخٌ لا بالخؤون ولا الخدوعِ
فتّى يده على خَلّى ودائى يدُ الراقى على العضو اللسيعِ
أتانى رائدى بالصدق عنه فهأ أنا منه أرتع فى ربيعِ (١٣٨)
صفا لقبيل "أيّوب" غديرى ولان على مقادتهم منيعى
اذا ما الناس كنتُ لهم ببعضى مماذَقةً محضتُ لهم جميعى
فداؤك حاسدوك على اختيارى وقد جهلوا الأشمَّ من الجديعِ (١)
وغاظهم انفرادُك بى ونشرى محاسنَك الغرائبَ فى الجموعِ
وكلّ غريبة الأبوين بكر رَداحِ (٢) شرطَ سمعك أو شَموعِ (٣)
عريقة مفخرٍ نشأتْ وقرّتْ مع الأبكار (٤) فى بيتٍ رفيعِ
يعدْنَك زائراتٍ كلَّ عيدٍ نواطقَ بالصبابة والنزوعِ
وغيرُك جاء يخطبهن منّى فما أغنى الوقوفُ على الربوعِ

* * *

وقال وقد توفى بعض فقهاء بغداد وهو أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمىّ، وكان عظيم الإيجاب له والحرص على مودته، وصلّى عليه بجامع المنصور

عاتبتُ دهرى فى الجناية لو وعَى ونشدتُه الحُرَمَ الوكيدةَ لو رعَى
وطلبتُ منه بسلمِه وبحربه نَصَفًا فأعيا حاسرا ومقنّعا

(١) الجديع: المقطوع الأنف، وفى الأصل "الخديع". (٢) الرداح: المرأة الثقيلة الأوراك وهى هنا مجاز. (٣) الشموع: المزّاحة الضحوك اللعوب، وفى الأصل "سموع". (٤) فى الأصل "الأفكار".

فى كلّ يومٍ عثرةٌ من صَرفـه ... لا تستقالُ بأن يقال لها : لَعَا
جنِّبْ هـواك ملوِّنا ساعاته ... بالعـذرِ، لا يعطيك حتى يمنعا ؟
لولا التحاملُ بالمصائب لم يكن ... بالمنفسـاتِ من الذخائر مولَعا
نزلت مثقِّلة كفافك ، إننى ... من قبل حملك موشِك أن أظلَعا
من ساءه صممُ المسامع إننى ... "يوم العَروبةِ"(١) ساءنى أن أسمعا
ونعى "أبا بكرٍ" الىَّ صباحُهَا ... لسفاهه لو كان يعلم مَن نعى
يومٌ على الإسلام قبلَك فرحةٌ ... ويكون بعدك حسرةً وتفجُّعا
ومن الدليل على مكانك فى العلا ... أن كان جمعُ صلاته لك مجمعا
فكأنما داعى الأذان لفرضِه ... لك ساقهم وإليك نثويبا دعَا
وشككت إذ حملوك غيرَ مدافِع ... بيدٍ نخطُّوا فى الثرى لك مضجَعا
أعَدَوا على رجُلٍ فواروا شخصَه ... أم طوَّحوا "بيلملم" فتضعضعا ؟
يا من عهدتُ العزَّ فوق جبينِه ... من راب عزك فاقتضى أن يرجعا
من زمّ مَخطَمك الأبىَّ فقادَه ... مع طول ما جذبَ الحبالَ فقطَّعا
وحوى لرقيتـه لحاجك فارعوى ... ودعا نفارَك فاستجاب وأتبعا
وأرى معاشرَ كنتَ ضيقَ حلوقهم ... يتسابقون تفسُّحا وتوسُّعا
ما كنتَ مغلوبا فكيف أبحتهم ... ذاك الحمى وأضعتَ ذاك الموضعا
ولَجُوا عرينَك آمنين وربما ... مرّوا به صعبَ الولوج ممنَّعا
جَمعوا فما سدُّوا مكانَك ثُلمةً ... وسَعَوا فما كانوا لَحرقك مَرقَعا
ما أغمد "النعمانُ" سيفَ لسانه ... حتى ثويتَ فكان يومُكما معا

---

(١) يوم العروبة : يوم الجمعة وهو من الأسماء القديمة ، تعريب : أربا النبطية أو عروبتا السريانية .

ومحدثٍ بالخُلد بعدك جَهلُه ... وجدَ الشماتةَ حلوةً فتجرَّعا

لم تشفه منك الحياةُ بجهدِه[1] ... فشفاهُ موتُك عاجزا فتودَّعا

لا يشمتنّ وإن أقام مؤخَّرا ... لا بدّ أن يقفوك ذاك المَصرعا

كم فُتَّه باعا ولو ملك المنى ... لكفاه خفرا أن يفوتَك إصبعا

مالى وكُنت بربع دارك آنسا ... أمسيتُ منه موحَشا متفزِّعا[2]

وأراه جدبا بعد ما قد زرتُه ... خِصبا بودّك لى ويُسرِك مرتَعا

أيامَ أملكُ منك غير منازَع ... فى كلّ ما أروَى الوفاءُ وأشبَعا ،

سمعا بطيئا فىّ عمن لامه ... وفّا الى ما سرَّنى متسرِّعا

فلأبكينّك من فؤادٍ ناصح ... فى الحزن ، إن جفنٌ بكى متصنِّعا

ولأحفظنّك باللسان ولن ترى ... حقّا على الحرّ الفصيح مضيَّعا

وصلتْ ثراك على البلى وكَّافةٌ ... تُرضى بروضتها المكانَ البلقعا

ملأ الثُّدِىّ[3] على الثرى حنَّانةٌ ... تسقِى اذا فطَم الحيا ما أرضَعا

أخذتْ من الريح الشَّمالِ لها الصبا ... عهدَ الأمان وذمةً لن تَقشعا

إن خان منك الدهرُ عهدى إنما ... فى نقضه وعلى محاسنه سعى

رفقا بقلبى يا زمانُ فإنه ... صُلبُ العصا ما أنَّ إلا موجَعا

راميتنى فأترك لكفّى ساعدا ... يُصمى الرميَّة أو لكفِّى منزَعا

لو كان مَن أخَذَ الردى منّى له ... عوضٌ أطال على الردى أن أجزعا

أو كنتُ أبكيه وأكحَلُ ناظرا ... بنظيره ما بلَّ منى مدمَعا

(١) فى الأصل " نسفه " . (٢) فى الأصل " متفرعا " . (٣) الثدىّ جمع ثدى .

* * *

وكتب الى الرئيس أبى الحسين الهمانىّ لمّـا آستُعمل على سَقى الفرات يتنجّزه وعـدا

على كلّ حالٍ جانب الحـقّ أمنعُ ... وكسبُ الفتى بالعـزّ أولى وأمتـعُ[1]
ويصعبُ أحيـانا وينتظر الغـنى ... فيأتى ولم يخضـع له وهـو طيِّـعُ
ولا تـترك الحـرَّ الأبىَّ طباعُـه ... لتخطئـه[2]، والذّلُّ ثَمَّ التطبـعُ
سـقى الله مُرَّ الحزم يعرفُ نفسَـه ... الى أين ما يجـرى ومن أين ينزِعُ[3]
اذا بذل الحـرصُ الكرائمَ صانهـا ... وغالى بهـا إنّ الرخيص مضيَّعُ
يلومون نصـلا[4] كيف يُزهَى بحدّه ... ولا يعلمون "الهندَ" من أين تَطبَعُ
دعـوه مصون الماء يا كلُّ غمـدَه ... اذا كان فى أيمـانكم ليس يقطعُ
وجرُّوا القنـا الخـوّارَ فآطـردوا به ... مخادعةً ما دام فى الحـربِ مخـدَعُ
أألآن لمّـا أن تفاقم داؤها ... تبينـتُمُ أىَّ العلاجين أنفـعُ
فقـد علم الصمصامُ أن مصـيركم ... اليـه اذا آلتفّت رقابٌ وأذرعُ
أضعتم أمورا باعـتزالِ "محمـدٍ" ... فلمّـا مضت، قلتم له: كيف ترجِعُ
اذا كان فى الأولى التجاربُ قبلهـا ... لمطّلـع فى آخر الرأى مقنـعُ
بعثتم لهـا الحاوى المدرَّبَ فآنظـروا ... وشيكا الى صمّائها[5] كيف تسـمعُ
لقامَ بهـا من لم يكن طالبا لهـا ... يدافع قـومٌ دونهـا وهـو يدفعُ
فقى لم تُفده رفعةٌ[6] من حطيطـةٍ ... وبعض الرجال بالـولاية يُرفَـعُ
لئن أخلفت فيهـا الولاةُ وعـودكم ... لقـد جازها مَن وعده الصدقُ أجمعُ

---

(١) فى الأصل "أمنع". (٢) فى الأصل هكذا "لتحطه". (٣) فى الأصل "يزع".
(٤) فى الأصل "فصلا". (٥) الصماء: الحية لا تقبل الرُّقى. (٦) فى الأصل "فعة".

وإن خان عامَيْها الربيعُ فإنها ... بماء يديه الآن فى القيظ تُربِع
رحيب نواحى الصدر يفضل باعُه ... ذراعا اذا ضاقت صدور وأضلعُ
وقور الأناة ضاحكٌ، كلما بكى ... — على الأمر فى إدباره — المتسرّعُ
وجدتم به الرأىَ المبيَّتَ ناصحا ... لكم، وبَديهُ الرأى آلُ[1] مشعشعُ
وجربتُمُ مَن قبلَه و"محمدٌ" ... أحدُّ وهزاتُ "الهمانىّ" أقطعُ
فذاك مغطّى العجز بالحظّ غالطٌ ... به الدهرُ مصنوعُ الرياسة مبدعُ
نفورٌ زجاجىُّ الإباءِ شفيفُهُ ... يكاد بأولى غمزةٍ يتصدَّعُ
اذا ما أصابَ ٱرتاب مما تعوّد الـ ... ـخطاءَ فيرعى الأمنَ وهو مروّعُ
فإن ساءه من نفسه العجزُ سرّه ... تيابك والنقصانُ بالفضل مولَعُ
لئن قعدت من لؤمه أربعٌ به ... لقد نهضت أضدادها بك أربعُ
تَفيض اذا أصفى[2]، وتعفو اذا هفا، ... وتُصمى اذا أشوى[3]، وتُعطى ويمنعُ
سقى "الكوفةَ البيضاءَ" ما سرّ جدبَها ... بكفّيْك فيّاضُ الجداول مترَعُ
أبعد ٱزورار العيش بالأمس دونها ؟ ... غدت وهى مرعًى للعفاة ومنجَعُ !
وأسعدَ "بغدادا" — على ما أظلّها ... من الشوق — جفنٌ كلّما جفّ يدمعُ
أعدتَ لدارٍ موضعَ الأنس قاطنا ... وأوحشتَ أُخرى — لا خلا منك موضعُ —
وأخّرنى يومُ ٱنطلاقك أن أُرَى ... على جمراتِ البين فيمن يُشيّعُ
فؤادٌ اذا قيل: الفراقُ، تسابقتْ ... — حقوقا — أواخى صبره تتقطّعُ
وُجدتُ صليب العودَ فى كلّ حادثٍ ... ولكننى الحوّارُ يوم أودَّعُ
فعذرةً ! إن المفارق حافظٌ ... هواك، ومُثنِى الخيرِ بعدك مصقَعُ
وسمعًا على بعد المزار وقربِهِ ... لسيّارة فيكم تُحَطُّ وتُرفَعُ

(١) الآل: السراب. (٢) أصفى: انقطع. (٣) أشوى: أصاب الشوى وهى غير المقاتل.

اذا أبـتُم سُرّت[1] وإن بتتم سَـرَتْ ... وراءكُمُ تقـفو علاكم وتتبعُ
وقد كان بخلُ الناس باليأس صانها ... فعلّمها تأميلُكم كيف تطمعُ
لها سابقاتٌ كونُها فى زمانكم ... ضمانٌ وعهـدٌ عنـدكم لا يضيّعُ
ولان لها دهـرٌ فما كلّفتكُمُ ... وقد ضيّق الآنَ الزمانُ فوسّعوا
لئن حُلّئت[2] فاستحلبتكم صـواديا ... لقـد أنظـرتكم بُرهـةً وهى نُزّعُ
دعوها ترِدْ أورادَها من حياضِكم ... ولا تدفعـوها والغـرائبُ تكرعُ
اليك وقد عَيَّ الخطيبُ أخو العصا ... وخام[3] عن النصح الكىُّ المقنّعُ
رغبتُ بها عن ناصـلِ الود قلبُـهُ ... خبيث وإن طاب اللسـان المصنّعُ
يريني بفـرط البشر أنى قسـيمُه ... وشافعُـه مما يضـرُّ وينفـعُ
وقد كذب الإنسانُ فى أنه أخى ... دعىٌّ يرانى جائعا وهـو يشـبعُ
اذا قمتُ أشكو عنـده الدهرَ [ذمّه][4] ... وإياه أعـنى ما أقـول وأسمـعُ

وقال يمدح فخر الملك أبا غالب، ويعتذر من تركه خدمتَه مدةً بسببٍ كان عاقه عنها، ويستوفى عليه العتابَ فى تركه النظرَ له والإقبالَ عليه، ويصفُ شدّةَ الزمان، ويعرِّض بفقد صنعة الشـعر مع موت الرضىّ وآبن نباتة رضى الله عنهما، ولم يبقَ إلا ما يُسمَعُ منه، وأنشدها فى مجلسٍ حفلٍ فى الدار العزيّة

لكلِّ هوًى من رائدِ الحزمِ رادعُ ... وحبّكُمُ ما لم يَزَعْ عنـه وازعُ
تُحـلُّ عقـودُ العين مبـذولةً له ... وتُشرجُ[5] من ضنٍّ عليـه الأضالعُ

(١) فى الأصل "سرب". (٢) حلئت: منعت عن الورود. (٣) خام: نكص وجبن. (٤) ليست بالأصل. (٥) تشرج: تجمع، وفى الأصل هكذا "سرج".

صفاةٌ على العـذّال لا يصـدعونها ... ولو شَقَّ شعبا من "أبانَيْنِ"(١) صادعُ
غرامُ الصبا كيف ٱلتفتُّ بصبوةٍ ... الى غـيركم فالقلبُ فيكم ينـازعُ
يقولون : حـولىٌّ اللقـاءِ ونظـرةٌ ... مسارقـةٌ، حبّ لعمـرك قانـعُ
أجـيرانَنـا "أيامَ جمعٍ"(٢) تعـلّةً ... سلوا النَّفْرَ(٣) : هل ماضٍ من النَّفْرِ راجعُ؟
وهل لثلاثٍ صالحاتٍ على "مِنًى" ... — ولو أنّ من أثمـانه النفسَ — فاجع؟
أُجِنُّ(٤) "بنجـدٍ" حاجةً لو بلغتهـا ... "ونجـدٌ" على مرمَى العراقِ شاسعُ
وحـلَّ لظـبي حرّم اللهُ صـيدَه ... دمٌ ساء ما ضلّت عليـه المسـامعُ
يقالتُ أشراكى عـلى ضُعف ما به ... فطارَ بهـا قَطْعا وقلـبيَ واقـعُ
وكم ريع بالبطحاء من متـودِّع ... وقُلقِـلَ ركب للنـوى وهو وادعُ
ومشرفةٍ غيـداءَ فى ظهـر مشرفٍ ... له عُنُقٌ فى مِقـود البين خاضعُ
جرى بهم الوادى ولو شئت مسبلا ... جفونى لقد سالت بهن المدامعُ
وبيضاءَ لم تنفـر لبيضاءِ لِمّـتى ... وقد راع منهـا ناصلُ الصـبغ ناصعُ
رأت نحـرَها فى لونه فصـبتْ له ... وما خلتُ أن الشيبَ فى الحبّ شافعُ
عفا "الخَيفُ" إلا أن يعرِّج سائلٌ ... — تعلّةَ شوقٍ(٥) — أو يغـرّدَ ساجعُ
وإلا شَجيجٌ(٦) أعجـلَ السـيرُ نزعَـهُ ... عسا(٧) فتعـافتـه الريـاح الزعازعُ
وفى مثـل بطنِ الراح سُحْمٌ كأنهـا ... ثـلاثُ بناناتٍ قضـاها مقـارعُ
وقفتُ بهـا لا القلب يصدُق وعدُه ... ولا الجفنُ يرضينى بمـا هـو وادعُ

---

(١) أبانين : بالتثنية جبـلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود وهما بنواحى البحرين . (٢) أيام جمع : أيام منى . (٣) النفر : اليوم الذى ينفرفيه من منى الى مكة وهو الثالث من يوم النحر والنفر أيضا القوم ينفرون معك . (٤) أجنّ : أستر وأخفى ، وفى الأصل "أحن" . (٥) فى الأصل "سوق" . (٦) الشجيج : الوتد . (٧) عسا : قدُم .

فيا عجبى حتى فؤادى بوده ... مداجٍ وحتى ماءُ عينى مصانعُ
أبى طبعُ هذا الدهرِ إلا لجاجةً ... وأتعبُ شىءٍ أن تُحال الطبائعُ
يعزُّ حصا المعزاء(١) والدرُّ هيِّنٌ ... ويشبع عيرُ(٢) السرح والليثُ جائعُ
وأودعتُه عهدا فعدتُ أرومهُ ... ومن دينِهِ ألا تردَّ الودائعُ
وأقسمَ لا أسترجعتُه ولو أنّه ... قضى من شبابى أنه لِىَ راجعُ
هَنَا المانعين اليوم أنَّ سؤالَهم ... مُنًى ما أَمَلْتُها علىَّ المطامعُ
وإنى بعنقى من يد المنِّ مفلتٌ ... وما المنُّ فى الأعناق إلا جوامعُ
وفى الأرض أموال ولكن عوائق ... من اللؤم قامت دونها وموانعُ
حماها رتاجٌ من صدور شحيحةٍ ... وأيدٍ خبيثات عليها طوابعُ
بأىِّ جِمامِ الماء أرجو عُذوبةً ... إذا أملحت طعمَ الشفاهِ(٣) الوقائعُ
وما خلتُنى أمشى على البحر ظامئا ... ونِحمس(٤) فمى منه بما بلَّ قانعُ
لعل "لفخر الملك" آنفَ نظرةٍ ... يعود بها الحقُّ البطىءُ يسارعُ
وكم مثلها مضمونة عند مجده ... وفَى لى بها والدهرُ عنها يدافعُ
شفتْ يدُهُ غيظَ البلاد على الصدى ... وردَّت جُرازَ(٥) الأرض وهو مرانعُ
زكا تحتها التربُ اللئيمُ وأورق الـ ... ـقتادُ(٦) الجفيفُ(٧) فهو ريّان يانعُ
وجرَّدها بيضاءَ واحدةَ الندى ... وخُضْر البحارِ السبعِ منها نوازعُ
وقد زعموا أن لا مردَّ لفائتٍ ... وأنّ الردى يومٌ مَتى حُمَّ قاطعُ
وهذى العلا والمكرماتُ مَوانُها ... بجودك من تحت التراب رواجعُ

(١) المعزاء : الأرض الصلبة الكثيرة الحصا . (٢) العير : الحمار أيا كان وحشيا أو أهليا وقد غلب على الوحشى ، وفى الأصل "عير" .
(٣) الجمام جمع جمّ وهو الكثير والوقائع جمع وقيعة وهى نقرة فى سهل أو جبل يستنقع فيها الماء . (٤) الحمس : ورود الإبل الماء فى اليوم الخامس وهو من أظماء الإبل . (٥) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . (٦) الجراز : اليابس الصلب .
(٧) الجفيف : ما يبس من النبت .

برغم ملوك الأرض أنَّ ظهورَهم ... من العجز عما تستحقُّ ظوالعُ
تركتَهُمُ ميلًا اليك رقابُهم ... فلا تستقمْ من حاسديك الأخادعُ[1]
وقد سبروا غوريك عفوا ونقمةً ... فما عرفوا من أين ماؤك نابعُ
وكنتَ متى تقدحْ بزَندك ثاقبا ... سُرى النجمِ لم تُسدَدْ عليك المطالعُ
وكم قمتَ دون الملك كاشفَ كربةٍ ... تيقَّظ منها الخطبُ والملكُ هاجعُ
وضيقة[2] الأقطار عمياءَ ما لها ... اذا انخرقت من جانب الرأى راقعُ
تجانبُ مَتْناةَ[3] النَّصوحِ فتوقُها ... اذا وصَلتْ أسبابَها فتقاطعُ
تداركتَها بالحزم لا السيفُ قاطعٌ ... حديدته فيها ولا الرمح شارعُ
وَليتَ بصُغْرَى عزمتيك كبيرَها ... كما دبَّرتْ نزعَ القناةِ الأصابعُ
وأخرى أبتْ إلا القراعَ رددتَها ... تذمُّ وترضى ما جنته المَقارعُ
ركبتَ اليها السيفَ جسمُك حاسرٌ ... وقلبُك من لُبس التصبُّر دارعُ
وفيت بعهدِ الصبر فيها حميَّةً ... وقد غدرت بالراحتين الأصابعُ
ومخطوبةٍ بالكتْب والرُّسْل مهرُها ... غرائبُ أبكار الكلام البدائعُ
يقوم الخطابُ الفصلُ والجوُّ ساكنٌ ... لديها مقامَ النصلِ والنقعُ ساطعُ
كتبتَ فأمليت الرياضَ وماءها ... وكالنار وعظٌ تحتها وقوارعُ
لك النصرُ فاسمع كيف أُظلِمُ وانتصرْ ... فما تضع الأيامُ من أنت رافعُ
حُرمتُ عطاياك المقسَّمَ رزقُها ... وعاقت مديحى عنك منك موانعُ
وحلَّأنى[4] عن بحر جودك راكبٌ ... هواه وقد لاحت لعينى الشرائعُ
ثلاث سنين قد أكلتَ صُبابتى[5] ... فغادرتنى شِلوا وذا العامُ رابعُ

(١) الأخادع جمع أخدع وهو عرق فى صفحة العنق . (٢) فى الأصل "وصيفية" .
(٣) المثناة : الحبل من صوف أو شعر أو غيره وفى الأصل "متناه" والنصوح الخائط .
(٤) حلأنى : منعنى الورود . (٥) الصبابة : البقية .

أرى من قريبٍ شمـلَ عزّى مبدّدًا ... وقد كان ظنى أنـــه بـــك جامعُ
على كل ماءٍ لامـــعٍ من نداكُمُ ... سنانٌ(١) من الحظ المماكسِ لامـــعُ
أيا جابر المنهاض لم يبق مفصِـلٌ ... وإلا ندوبٌ تحتـــه ولـــواذعُ
أعيـذك بالمجد المحسَّد أن يُرَى ... جنابُـــك عنى ضيّقا وهو واســـعُ
وأعجبُ ماحُدِّثتُـه حفظُك العـــلا ... ومثلَى فى أيام ملكك ضائـــعُ
أأنطَقُ مـــنى بالفصـاحة يُجتـــبى(٢) ... وأمدحُ إن لفَّتْ عليـك المجامعُ ؟ !
أبى الله والفضـــل الذى أنت حاكم ... بـــه لِىَ لو قاضَى اليـــك منـازعُ
وما الشـعر إلا النشر بعدا وصـــورةً(٣) ... فـلو شاء لم يُطمِعْ يدا فيـه رافـــعُ
وقد أفل النجمان منـــه فلا يُضَـــعْ ... — على غير سـير — ثالثٌ فيه طالعُ
بقيتُ لكم وحدى وإن قال معشر ... ففى القول ماتنهـاك(٤) عنـه المسامـعُ
ولو شئت بى أخفَى "زهيرٌ"(٥) ثناءهُ ... على "هَرِمٍ" أيّام تُجـزَى الصنائعُ
وما شاع عن "حسّان"(٦) فى "آل جفنة" ... من السائرات اليومَ ما هـــو شائعُ
وكان غبينا من "أميّـةَ" من شَرَى ... مديحَ "غِياثٍ"(٧) وهو مغلٍ فبائـــعُ

---

(١) فى الأصـل "الحظ"، والماكس : المشاكس . (٢) يجتبى : يصطفى، وفى الأصل "يجتنى" . (٣) فى الأصل "البشر" . (٤) فى الأصل "تنهال" . (٥) زهير : هو زهير بن أبى سلمى الشاعر اختص بمدح هرم بن سنان ابن حارثة المرّى ومما قاله فيه قوله :

إن البخيل مـلوم حيث كان ولـ ... ـكنّ الجواد على علّاته "هرِمُ"

(٦) حسّان هو حسّان بن ثابت الشاعر مدح آل جفنـة وهم ملوك من اليمن كانوا يستوطنون الشام ومما قاله فيهم قوله :

أولادُ "جفنة" حول قبر أبيهم ... قـبرٌ ابن ماريةَ الكريم المفضـل

(٧) غياث : هو الأخطل شاعر بنى أمية واسمه غياث ابن غوث بن الصلت، والأخطل لقب غلب عليـه لأنه هجا رجلا من قومه فقال له : ياغلام إنك لأخطل فغلبت عليه، واسمـه "غياث" وورد فى الأصـل هكذا "عيان" .

على كلّ حال أنتَ معطٍ وكلّهم ... على سَعة الأحوال معطٍ ومانعُ
وقد وهبوا مثل الذى أنت واهب ... فما سمعوا بعض الذى أنت سامعُ
ذرائعُ من فضل عليك آتكالها ... فما بالها تُدنَى وتقصَى ذرائعُ
وما لكُمُ واللهُ يعطف خصبَكم ... على مجدبٍ دنياه منه بلاقعُ
تصان الأسامى عندكم بآشتهارها ... وغمض المعانى مهملاتٌ ضوائعُ
وموشيّةٍ حَوكَ البرودِ صفاتُك الـ ... ـحسان تساهيمٌ(١) لها ووشائعُ(٢)
تهبُّ رياحا فى عداك خبيثةً ... وطيبًا عليك رَدعُها(٣) متسارعُ
كأن "اليمانى"(٤) حلّ منها عيابه(٥) ... تفاوحُ من "دارين"(٦) فيها البضائعُ
متى ضحكت لى من سمائك برقةٌ ... حكت لك أرضى كيف تزكو الصنائعُ
وإن كان يومٌ فى الحوائج شافعا ... الى النجح ، إن المهرجان لشافعُ (١٤٢)

* * *

وقال وكتب بها الى نقيب النقباء أبى القاسم بن عبد الرحمن يهنّئه بالنيروز

أمرتجِع لى فارطَ العيش بالحمى ... غرامى بتذكار الهوى وولوعى
وكرّى المطايا أشتكى غيرَ ضامن ... وأدعو من الأطلالِ غيرَ سميع
نعم! يُقنع المشتاقَ ما ليس طائلا ... وإن لم يكن قبل النوى بقنوع
وقفنا بها أشباحَ وجدٍ ولوعةٍ ... وأشباهَ ذلٍّ للهوى وخشوع
نحولُ ركابٍ ضامها السيرُ فوقه ... نحولُ جسوم فى نحولِ ربوع(٨)
لعمر البلى ما آقتاد من ضوء "ضارجٍ"(٧) ... سوى مسمح(٩) للنائبات تَبيع

(١) التساهيم : الخطوط فى البرد . (٢) الوشائع : الطرائق فى الثوب . (٣) الردع : أثر الطيب . (٤) اليمانى : المنسوب الى اليمن . (٥) عياب جمع عيبة وهى زبيل من أدم . (٦) دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند . (٧) ضارج : اسم أرض قرب الكوفة . (٨) المسمح : الذى ينقاد ويذلّ بعد آستصعاب . (٩) التبيع : التابع .

وقد كُسيت[(١)] أطلالُ قـومٍ وعُرِّيتْ ... فما مُنعتْ دارٌ " كأمّ منيـع "

رحيبـة باع الحسنِ طاولتِ الدُّمَى ... فـزادت بمعـنًى فى الجمال بديع

خطَت[(٢)] فى الثرى خطوَ البطىء وقاسمت ... لحاظا لها فى القلب مشىُ سريع

كأنّ مُطيبا قال للعِـترةِ[(٣)] آفتقى ... يقول لها : جُرِّى الذيولَ وضُوعى

وأعهـدها والدمع يجرى بـلونه ... فتصبغـه من خدّها بنجيـع

كأنّ شـعاعَ النـار فى وجناتها ... يُطـيرُ شرارَ النـار بين ضـلوعى

وعصر الحمى عصرى وضلع ظبـائه ... معى وربيـعُ العيشِ فيـه ربيعى

ليـالىَ أغشَى كلَّ جيـدٍ ومعصمٍ ... يبيت وحيـدا من فمى بضجيع

اذا رعتهـا من وصـل أخرى بزلّةٍ ... تـلافيتها من لِمّـتى بشفيـع

وفحمةِ ليـل كالشعور آهتـديتها ... بقـدحة برق كالثغـور لمـوع

الى حاجة من جانب "الرمل" سُخِّرت ... لها الشمسُ حتى ما آهتدت لطلوع

وجوهٌ تولّت من زمانى وما أرى ... بأظهـرها أمارة لرجـوع

تعيبُ علىَّ الشيبَ "خنساءُ" أن رأت ... تطلّع ضـوءِ الفجـر تحت هزيع[(٤)]

وما شبتُ لكن ضاع فيما[(٥)] بكيتكم ... سـوادُ عِذارى فى بيـاض دموعى

وقالت : تفرقنا ونمتَ على الهـوى ! ... سلى طيفك الزوَّارَ : كيف هجـوعى

خلعتُ الهـوى إلا الحفاظَ ولم أكن ... لأُخدعَ فيـه عن مقـام خليـع

وكنتُ جنيبا للبطـالة فآنثـنى ... زمامُ نزاعى فى يمين نزوعى

سأركـبها خرقاء تـذرع[(٦)] بوعها ... فضا[(٧)] كلّ خَرْق[(٨)] فى البـلاد وسـيع[(٩)]

---

(١) فى الأصل " كسبت " . (٢) فى الأصل " حطت " . (٣) العترة : القطعة من المسك الخالص . (٤) الهزيع : القطعة من الليل . (٥) فى الأصل "فيها" ولا يستقيم بها المعنى . (٦) فى الأصل "تدرع" . (٧) فى الأصل " قضا " . (٨) الخرق : الأرض الواسعة . (٩) فى الأصل " وشيع " .

اذا قطعتْ أرضا أعدّتْ لأختها ... ظنابيبَ(١) لم تُقرع بمرّ قطيع
ضوامن فى الحاجاتِ كلَّ بعيدة ... وصائل فى الآمال كلَّ قطوع
تزور بنى "عبد الرحيم" فتعتلى ... بأخفافها خضراءَ كلَّ ربيع
تحطّ بماءٍ للندى مترقرقٍ ... معينٍ وواد للسماح مَريع(٣)
ترى المدح وسما والثناءَ معلّقا ... لهم بين أغراض(٢) لها ونسوع
وكائنْ لديهم من قراعٍ لنكبةٍ ... وللمجد فيهم من أخٍ وقريع
وعندهم من نعمةٍ "صاحبيّةٍ" ... تَرُبُّ أصولا من علا بفروع
حموا بالندى أعراضَهم فوقاهُمُ ... من العار ما لا يُتّقَى بدروع
ونالوا بأقلامٍ تجول بأنملٍ ... مَطارحَ أرماحٍ تطول ببوع
بنو كلِّ مفطومٍ من اللؤم والخنا ... وليد وتربٍ للسماح رضيع
اذا حوملوا زادوا بأوفى موازنٍ ... وإن فاخروا كالوا بأوفر صُوع(٤)
وإن ريع جار أو تنكّر منزلٌ ... فربَّ جنابٍ "للحسين" مَريع
رعى اللهُ للآمال جامعَ شملها ... مُشتّتا من الأموالِ كلَّ جميع
وحافظَ سِرب المكرمات ولم تكن ... لتُحفظَ إلا فى يمينٍ مضيع
أخو الحرب أنّى ربُّها كان ربُّها ... وأبطالُها من سجّدٍ وركوع
وكالراح أخلاقا اذا امتزجت به ... ولكنه للكأس غيرُ صريع
ومشفقةٍ تنهاه من فرط جوده ... ألا تَعبًا تنهين غيرَ مطيع (٢٤٣)
تسومين كفَّ المزن أن تضبط الحيا ... ولا تسلم الأسرارُ عند مذيع

---

(١) الظنابيب جمع ظنبوب وهو حرف الساق من قُدُم و يقال : قرع ظنابيب الأمر أى ذلّله وسهّله ، وفى الأصل "ظنابيت" . (٢) أغراض جمع غَرَض وهو للرحل كالحزام للسرج . (٣) نسوع جمع نسع وهو حبل يشد به الرحل . (٤) صوع جمع صاع .

شددت بكم أيدى[(١)] وسـدّدت خَلّتى ... ورشتُ جناحى وٱلتحمت صدوعى
وأقنعنى تجـريب دهرى وأهـله ... بكم فحسمتم بذلـتى وقنـوعى
فإن أنا لم أفصح بحسن بـلائكم ... بشكرى فـذمّونى بسـوء صنيعى
بـكلّ مطاعٍ فى البـلاغة أمرُها ... مخلًّ لها ٱستطـراقُ كلِّ بديـعِ
لها فى القوافى ما لبيتـك[(٢)] فى العـلا ... سَـنامُ نصابٍ لا يُنـالُ رفيـعِ
اذا عَرِى الشـعرُ ٱرتدت من بروده ... بـكل وسيم الطرتين وشـيعِ
أمدّ بها كفّا صَناعا كأننى ... أهيب بسيفٍ فى الهياج صنيعِ
على كلّ يوم طارفِ الحسن طارفٌ ... لها غـيرُ مكرورٍ ولا برجيـعِ
هـدايا لكم نفسى بها نفسُ باذلٍ ... وضنّ بها فى النـاس ضنٌّ منوعِ

* * *

وقال يمدح الأستاذ أبا طالب محمد بن أيوب فى المهرجان

لعـلك "بالشِّعبِ[(٣)]" تعلو اليفاعا ... فتؤنسَ من نار "هندٍ" شُعـاعا
"تميميّة" لم يكن خطمها ... فـؤادَك بالوعد إلا خـداعا
غدت نظرا لك تُروى العيونَ ... وأمست أحاديث تُرعِى[(٤)] سماعا
حذت أمَّ "ظبيةَ" "أمَّ[(٥)] النجو ... م" ضياءً[(٦)] لطالبها وٱرتفـاعا
ومن دونها البلدُ المقشـعرُّ[(٧)] ... يردّ ظبـاءَ المهارى ضبـاعا
اذا رمتَـه شجـرته الرماحُ ... فسدّت عليك الثنـايا ٱطـلاعا

---

(١) الأيد : القوّة .
(٢) فى الأصـل "لبيتكم" .
(٣) الشعب : الطريق فى الجبل ، وٱسم لعدة مواضع .
(٤) فى الأصل "ترى" .
(٥) أم النجوم : المجرة .
(٦) فى الأصل "صيا" .
(٧) المقشعرّ : الذى لم يُمطر .

"زرودُ" وما جرّ حبلا "زرو د" بيني و بينك إلا ٱنقطاعا
أعيذ هواك وأخذي بـه الـ ـوثيقة من كاشح أن يطاعا
ووقفتنا وهي بكرُ اللقاء على "أجإ"[1] أن تكون[2] الوداعا
أسام فأُرخص بيعَ الصِّبا وأُغلي بحبّكُمُ أن يباعا
نزعت الشبابَ فما زادني مشيبيَ نحوكِ إلا نزاعا
ظلِلتُ "بنجدٍ" يفرُّ الغرا مُ من أضلعي وأجدُّ ٱتباعا
وأنشد خرقاءَ بالعاشقين تمد الى القتل كفًّا صناعا[3]
اذا ٱستبطأتْ من دجى ليلةٍ صباحا أماطت يداها القناعا
ألَا بكرَتْ تستطيبُ الملامَ وتأمُلُ جاهلةً أن تطاعا
تقول : مِراحَك فافطُن له متى فات لم تستطعه ٱرتجاعا
تغنَّمْ من العيش إبّانَه وخذ منه حظك ساعا فساعا
وتعذُلني في ٱطراح الرجال سكونا الى وحدتي وٱنقطاعا
ولم تدر أني صبغت الزما نَ لونيهِ ضرًّا به وٱنتفاعا
وكاثرتُ مُتعةَ لذّاته فلم أر ذلك إلا متاعا
ولو شئتُ ماضاع في العتابُ فإنكِ لا تنقلين الطباعا
وكم من أخ قلت : أحرزتُه، فلما ملأتُ يدي منه ضاعا
أعالج منه على صحّتي خروقا أكرُّ عليها الرِّقاعا
أريد لأشعَبَ أضغانَه وتأبى الزجاجةُ إلا ٱنصداعا
حمى الله قوما على نأيهم اذا أبطأ النصر جاءوا سراعا
تضمّ الحفيظةُ إحسانهم على المجد أن يتركوه مُضاعا

(١) أجإ : اسم جبل . (٢) في الأصل "يكون" . (٣) الصناع : الحاذقة .

بصـائرُهـم جُمَّـعٌ بينهـم ولو اصبحـوا بالتعادى شَعـاعا
اذا كشحوا بالصـدور ٱحتموا بألسنهم أن يخوضـوا القـذاعا (١)
تُلين الضروراتُ شُمْسَ (٢) النفـوس ويأبون فى الضرّ إلا ٱمتنـاعا
اذا قيـل : عيشوا شِباعَ البطون وفى الشِّبَع الذُّلُّ ماتـوا جيـاعا
بنى كلِّ معـترَفٍ منكَرٍ اذا سُـلَّ راق وإن هُزَّ راعا
تَقـول وليـدا له أمُّـه اذا ما أكبّت عليـه رَضـاعا :
رِدِ المـوتَ أو كن عَقوقا وعشْ اذا أنت كنتَ جـوادا شجـاعا
بأبناء "أيّـوبَ" حُطَّ السماحُ فحَـلَّ العيابَ وألقَى البَعَـاعا (٣)
وجاوز أيـديَهُـم شاكرا بنـانا رِطابا وبُـوعا وِساعا
كرام تـرى سِرّ أعراضهـم مصـونا وسرَّ غناهـم مذاعا
اذا أجـدبوا خصَّهم جدبُهـم وإن أخصبوا كان خِصبا جِماعا
اذا الخطب أعجـز برىَ السيو ف جاءوه بارين فيـه اليراعا
قواطـع يُغمدن سِرَّ الصـدور ويُشهرن حيًّا بـ مـوتٍ تساعى
اذا كذَبتْ فى اللقـاء الـرما حُ قاموا بها يصدُقـون المِصاعا (٤)
ظُبًا فى الأعادى تسىء الصنيـعَ فيُحسن أربابُهـا الٱصطناعا
اذا شهـدوا قارعات الخطوب بها خلتهـم يشهدون القِـراعا
معـالٍ يزيد "أبـو طالبٍ" سَـنَا شمسِها قـوّةٌ وٱتساعا
ولما رآى كيف طيبُ الأصول وَفَى مـكرما وأطاب ٱفـتراعا
فـتًى ملءُ كفك إن جئته وفاءً [اذا] (٥) العَضْـدُ خان الذراعا

(١) القذاع : الهجر والشتيمة . (٢) شمس جمع شموس وهو الأبىّ . (٣) البَعَاع : المتاع . (٤) المِصاع : الضرب والمجالدة بالسيف . (٥) ليست فى الأصل .

ربيـــع[1] الجنـاب اذا ما الريا ... حُ ألصقنَ بالوَهَداتِ التِّلاعا
اذا فضَّ نافـلةَ الأعطيـاتِ ... توهّـــم يَقسِم حقّـا مشاعا
فـــلو جئت تسأله نفسَـــه ... لحـالك كلَّفتـــه ما آستطـاعا
اذا نفـــرت حسنـاتُ الرجال ... شذوذا أنسنَ عليـــه آجتماعا
فضـائلُ قَـــرَّحهن[2] الكمالُ ... و إن عَدَّ أعـــوامَ عُمـــرٍ جِذاعا[3]
فَداك قصـــيرُ المعـالى أشـــلُّ ... اذا قاس فِـــترَ عُلًا طُلتَ باعا
تعـــلَّق فى نسبٍ كنتَ منـــه ... سَراةَ[4] الأديمِ وكان الكُراعا[5]
اذا ما عُدلتَ بـــه لم يزنـ ... ـك مثقـالَ مجدٍ ولا كال صاعا[6][7]
ومختـــالِف الـــودّ خاللتُـــه[8] ... فكان هـــواه عـــدوّا مطـاعا
أراسلُ نابتـــةَ العـــرق منـــه ... فضـــولا ويقطـــع منى النخاعا
بك آعتضتُ من كل مســـلوبة ... تغصبنيهـا الزمانُ آنـــتزاعا
ودافعتُ هَجمـــةَ أحداثـــه ... وما كان يملك صـــدّى دفاعا
فإن هو كافَى البـــلاء الثناءُ ... ضمنتُ نهوضا به وآضطـــلاعا
وسيّرتُهنّ خِماص البطـــو ... ن لا يبتغين سواك آنتجاعا
يقعن بعيـــدا اذا ما قطعن ... بأوعيـــة الشِّعر خرقا[9] وقاعا[10]
اذا ما خطـــرن على روضـــةٍ ... بعرضك زِدنَ عليهـا رُداعا[11]

---

(١) فى الأصل "و بيع" . (٢) قرحهن : جعلهنّ قوارح جمع قارح وهو المسن من ذى الحافر الذى شق نابه وطلع ، وفى الأصل فرجهنّ . (٣) جذاع جمع جذع وهو الفتى ، وفى الأصل "جداعا" (٤) السراة ، الظهر . (٥) الكراع : من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق . (٦) فى الأصل : يريك . (٧) فى الأصل "كان" . (٨) خاللته : آتخذته خليلا ، وفى الأصل "حاللته" . (٩) الخرق ما آتسع من الأرض . (١٠) القاع : الأرض السهلة المطمئنة قد آنفرجت عنها الجبال والآكام . (١١) الرداع : أثر الطيب .

✦
✦ ✦

وقال فى غرضٍ من الغزل

وكنتُ ـ وأيّامُ المزار رخيّـةٌ ... علىّ ورُخصُ الوصل لى فيك يُطمعُ ـ ،
أعِزُّ فلا أعطى الهوى فيك حقَّه ... من الشكر، والمعطَى مع الكفر يُمنعُ
فلما آســـترَدّ الدهرُ منّى عطاءه ... وعادت شُعوبٌ فى الهوى تتصدعُ
قعدتُ مع الهجـــران أبكيه نادما ... وأسأل عنـــه ماضيا كيف يرجعُ

✦
✦ ✦

وكتب الى الاستاذ أبى طالب يهنّئه بالنيروز، ويعاتبه فى آخرها على إغضـائه عن قوم تكلّموا فيه بكلام حسدٍ ولم ينكره

لى عنـــد ظبى "الأجرع" ... قصـاصُ جـــرح ما رُعى[1]
ســـهمٌ بعينيـــه دلـ ... ـُ فُـــوقِه[2] والمـــترع
جنايـــة منكرُهـا ... بيّنـــةٌ للـــمدعى
غارَ وما آحتسبتـــه ... فغـار بين أضـــلعى
ما خلتُ نقـــعَ القـــانصيـ ... ـن ينجـــلى عن مصرعى
ياليـــلتى "بحـــاجرٍ" ... إن عاد ماضٍ فارجعى
بتنـا على الأحقـــاف[3] تـ ... ـنهـالُ بكلّ مضجع
موسّـــدين اللينَ من ... كراكِرٍ[4] وأذرع
مقـــلةُ ليـــلٍ بُيِّضتْ ... بفجـــره المنصـــدع
قالوا : الصبـاحُ فآنتبـــه ... فقـال لى الطيفُ : آسمع

(١) فى الأصـــل "ماوعى" . (٢) الفوق : مشق رأس السهم حيث يقـع الوتر .
(٣) الأحقاف جمع حقف وهو ما آعوجّ من الرمل وآستطال . (٤) كراكر جمع كركرة وهى صدر البعير .

فقمت مخلوطا أظنّ البازل[1] ابن الرُّبَع[2]
حيرانَ طرفى دائرٌ يطلب من ليس معى
أرضى بأخبارا لرِّياح والبروق اللُّمَّع
وأين من برق "الحمى" شائمةٌ "بلعلع"
سلا مجالى الشيب عن غيم الشباب المقلع
غمامة طخياءُ[3] ريد عَ سِربُها بالقَزع
فأجفلت لا تلتوى أخلافُها[4] لمرضَع
كما نجت خائفةٌ ورهاءُ لم تُقنَّع
ملكتَ ياشيبُ فخذ ما شئت منى أو دع
طارقة بمثلها فاجئة لم تُرَع
أفنَى الخطوبَ قبلها صبرى وأفنت جزعى
أعدَى جبينى[5] مفرق فاستويا فى الصلع
طليعة وجهى بها قبلَ الممات قد نُعى
كان الشبابُ سُدفةً[6] من لك[7] لم تقشّع
سَترا على ألّا يرا نى الدهرُ لو لم يرفع
كم ليلةٍ ظلماءَ [طالت][8] بدرُها لم يطلع
أنكرِ استكانتى للدهر وتخشُّعى
كريمة ما عهِدتْ تأوِهى لموجِع

(١) البازل : المسن من الإبل . (٢) الرُّبَع : الفصيل ينتج فى الربيع وهو أول النتاج .
(٣) طخياء : مظلمة . (٤) أخلاف جمع خلف وهو الضرع . (٥) فى الأصل "حبيبى" .
(٦) السدفة : الظلمة . (٧) فى الأصل "لو" . (٨) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

لم ألـقِ أطمارى ولى فيها مكانُ مَرقَعِ
كم أحمـلُ الدنيا فلا ترقُّ لى من ظَلَـعِ (١)
أعـذُل منها صخـرةً ليس لها من مَصـدعِ
قـد فنيتْ مـواعظى والدهـرُ لم يرتـدعِ
فى كل يـوم صاحبٌ يشرَع غـير مَشرَعى
له شِهـادى مكثرا (٢) ولى مقِـلًّا سَـلَعى (٣)
يسـومنى طباعـه مع كلفةِ التطبُّـعِ
يريد من رفـد اللئا م أن يكون شِـبَعى
هيهـات ما أبعـدها هشيمةً من نُجَـعى (٤)
لو كنتُ ذئبَ قفـرةٍ لما تبـعتُ طمـعى
إن البطينَ مخمِصٌ فاشبع ذليـلا أو جُعِ
أسـففتَ لدنيَّـةٍ فقـعْ لها أوطرْ مـعى
زعمتَ أنّ الشـعرَ من رزق الفـتى الموسَّـعِ
ولمتَ فى ضـنّى به قلت : تسـمَّحْ وبِـعِ
أما تـرى كسادَه على نَفاق السِّـلعِ
وحسبك الجهـل بـه خسارةً للبِضـعِ
رُبَّ — وحاشا الكرما ء — سـامعٍ لم يسـمعِ
صَمَّ وأُذنُ عِرضـه تسـمعُ عـنّى وتعى
وخاطبٍ وليس كفـ ـئا لكريم البِضَـعِ

(١) الظلع : مشية فيها غمز يشبه العرج . (٢) الشهاد جمع شهد وهو عسل النحل .
(٣) السَّلَعُ شجرٌ مرّ وقيل : مرّ ، وقيل : ضربٌ من الصبر . (٤) النجع جمع نجعة وهى طلب الكلا فى موضعه .

يبـنى ولم يمهـرْ وإن ... طـلّقَ لم يمتّـعِ
يمنـعُ أو ينغّصُ الـ ... ـعطاءَ إن لم يمنـعِ
وأبيض الثغـر آبتسـا ... ما عن ضميرٍ أسـفعِ
ألبسـنى صنيعـةً ... تُسـلَبُ بالتصـنُّعِ
أفرشـنى الجمـرَ وقا ... ل : إن أردت فاهجـعِ
حملتـه مغـالطـا ... بجـذلى تفجُّـعى
يا عطشى إن لم أرِدْ ... إلا الخـلىَّ المشَـرَعِ
لـو عفتُ كلَّ مالح ... لما شـربتُ أدمـعى
ولـو أقمتُ كلَّ عو ... جاءَ أقمتُ أضـلعى
يذاد سـرحُ الحىّ من ... حيثُ رجا أن يرتـعى
ويجـدِب المـرءُ عـلى ... أذيالِ عامٍ ممـرِعِ
أخى الذى آمنُ إن ... عرّفنيـه فـزعى
وكان سـيفا كابْن "أ ... يّـوبَ" اذا قلت : آقطـعِ
أخِطـرُ ـ مع جُبنى ـ به ... فى لأمـةِ[1] المشـيعِ
اذا رأى ثنيَّـةً ... لسـودَدٍ قال : آطلُـعِ
أمـرِىَ فى نعمتـه ... [أمرُ][2] الهـوى المتَّبَـعِ
فى كلِّ يـوم جمّـةٌ[3] ... من سيبه المـوزَّعِ
وعطفـةٌ تـرأبُ [شَعـ ... ـب][4] شملَ المنصـدعِ
سـابقـةٌ عـثرةَ حا ... لى أبـدا بدعـدعِ[5]

(١) اللأمة : الدرع . (٢) ليست فى الأصل . (٣) الجمة : مجتمع الماء .
(٤) ليست فى الأصل . (٥) دعدع : كلمة تقال للعاثر ومعناها قم وآنتعش كما يقال : لعا .

طال الســحابَ كفُّ صـ ـبٍّ بالسماح مولَـــع
وبـــذٌّ حلبـاتِ(١) الجيا دِ سـابقٌ لم يُقـــرع
يخـرج عنهـا ناصـلا من جُـلّهِ(٢) والبرقـع
خاض الحـروبَ حاسـرا يهـــزأ بالمـدرَّع
وحالَمَ ٱبنَ الأربعـ ـين فى سُموط(٣) الأربع
مِن غالبى شمس العـلا عـلى مكان المطلـع
أصـولُ مجـدٍ ما بهـا فقـر الى مفـــرَّع
هـم لبسـوا الدنيـا وبعـ ـدُ حسـنُهـا لم يُـتزَع
وٱحتلبـــوا درَّتَهـا قبـلَ جُفوف الأضـرُع
من كلِّ أخّاذ مـع الـ ـفتك بأمر الـــورَع
يورى الدجى بموقـــدٍ من جـوده المشعشع
يصغى لصوت الضيف إصـ ـغاء الحِصانِ الأروع
يمسـون غَرثَى(٤) وهُـمُ مَشـبَعةٌ للجـــوَّع
وفحمةٍ من الخطـو ب ذات وجـهٍ مفـزع
كانـوا بـدورَ تمِّهـا عـلى الليـالى الدُّرَع(٥)
لُدٌّ(٦) اذا القـــولُ ٱحتَسى ريـقَ البليـغ المِصقع (٢٤٦)
تعـاوروا صـــعابَه بكلِّ رِخـــوٍ أصمع(٧)

(١) وردت بالأصـل هكذا " حلمات " . (٢) الجـل : غطاء للدابة كالثوب للإنسان تصان به . (٣) سموط جمع سمط وهو خيط النظم ما دام فيـه الخرز واللؤلؤ . (٤) الغرثى : الجياع . (٥) الدُّرَع : ثلاثُ ليالٍ من الشهر تلى البيض لأسوداد أوائلها وأبيضاض سائرها ، واحدها دُرْعة . (٦) لُدّ جمع ألدّ وهو الشديد فى الخصومة . (٧) الأصمع : الذكىّ الحديد الفؤاد والمراد به القلم .

أعلقُ بالراحـــةِ من بنـانَـــةٍ وأشجـــــعِ (١)
كأنّ أقلامَهُـــــمُ فى اللُّبثِ والتســـرُّعِ ،
نابتـــــةٌ مع الأكـ ـنّ فى حبـال الأذرعِ
مَناسبٌ لـــو قُـــذِعتْ شمسُ الضحى لم تُقـــذَعِ
واقفـــةٌ من العـــلا عـــلى طـــريقٍ مهيَـــعِ
لـــو دبَّ كلُّ عائب أفـــــعَى لها لم تُلسـعِ
تحمـــــلُ فيها ألمَ الـ ـحِميسَ جبهـــةُ الدعِى
صابـــــوا رَذاذا وتلـ ـوَّتْ بالســـيول الدفَّعِ
اِقتعـــــدوا الرِّدف (٢) وأعـ ـطَوْك مكانَ القَمَعِ (٣)
باغيـــــك بنقيصـةٍ قتيـــلُ داءِ الطمـــعِ
أوقصُ (٤) يبغى طلعـــــةً على قُصاص الأتلـــعِ (٥) (٦)
لو كان من نصـيحتى بمنظـــرٍ ومســـمعِ
قلتُ : تنحَّ يا فـــريـ ـسُ (٧) عن مكان السَّبُعِ (٨)
دع العـلا وآســرح عـلى حابســـها المجعجِـعِ (٩)
أمرٌ يناط بســـوا كَ خرقـــهُ لم يُرقَـعِ
كلُّ يمينٍ لم تُـــرا فـــذُها يسارُ الأقطعِ (١٠)
وقلَّما أغـنى الفـــتى شميمُه بأجـــــدعِ (١١)

(١) الأشجع : أصل الإصبع من الكف . (٢) الردف : الكفل والعجز . (٣) القَمَع جمع قَمَعة وهى رأس السنام . (٤) الأوقص : القصير العنق . (٥) القصاص : منتهى الشئ . (٦) الأتلع : الطويل من الجياد . (٧) الفريس : المفروس . (٨) فى الأصل " الشيع " . (٩) المجعجع : مبرّك الإبل ومنيخها . (١٠) الأقطع : المقطوع اليد . (١١) الأجدع : الأنف المجدوع أى المقطوع .

بك آكتسى عـودى وعا د جَـلَدا تضعضعى
وبان فى الدهـر الغ نىّ أثرى ومـوقـعى
أفسـدتَ قلبي وعقل (١)تَ قارحى وجَـ(٢)ـذَعى
فعـفتُ أحبابِىَ وآستضـ ـعفت نصـرَ شِيَعى
فآسمـع أكاثـرْك بهـا أحسنَ ما قيـل، آسمع
مَطاربا تُحـرج نسـ ـكَ الحابِسِ المنقطـع
تحنو النجومُ حسَـدا لبُردها الموشَّـع
ما خطَـرتْ لمحتـ(٣)ـذٍ قبـلى ولا مبتـدِع
أعيت عـلى الراقين حـ ـتى آستنزلتها خـدَعى
فى كلِّ يـوم ملكٌ بتـاجها المـرصَّع
يهـج فى آغتيابها داءُ الحسـودِ المـوجَع
يخرجها بجهـله تروع إن لم تقطـع
غضبانَ أن تُكسَرَ بالـ(٤)ـنَّبع فـروعُ الخـروع
يُسـرِع فىّ والعثـا رُ مولَـعٌ بالمسرع
لما غدت عيـونُه تصـغُر عن تتبُّـعى
عاقبتـه بضحكى من ذكره فى المجمع
وآكلين معـه زاد الذباب الوُقَّـع
تُغمَرُ كفُّ الذمّ من أعراضـهم فى شَمَع
تشابهـوا فما عرفـ(٥)ـت حالقا من أنزع

(١) القارح : الذى أسن . (٢) الجذع : الشاب والفتى . (٣) فى الأصل "لمجتد" .
(٤) النبع : شجر صلب تتخذ منه القسىّ . (٥) الأنزع : الذى انحسر شعر جانبيه عن جبهته .

قالوا وأصغيتم ومن ... يسمعُ فىَّ مُسمِعى
مالى وأنتم وزَرى ... من الأذى ومفزعى ،
يطمع فىَّ عندكم ... بالغيب من لم يطمع
فى كلّ يوم وقعةٌ ... شنعاءُ إحدى البدع
يُمضَغُ لحمُ الليث فيـ ... ـها بنيوب الضَّبُع (١)
وفيكم النصر وعز ... الجانب الممتنع
وليس عنّى بلسا ... نٍ ويدٍ من مَدفَع
رعايةً للفضل إن ... كان ذمامى مارُعى
ولو [غضبتُ] (٢) غضبةً ... أعوز سدُّ موضعى
اذا لطالت غيبتى (٣) ... وكدَّكم توقُّعى
ما فى حياض الناس ما ... يُزحَمُ عنه مَكرَعى
ولا يضيق مرتزلٌ ... عنى مع تقنُّعى
اذا سلوتُ دارَكم ... فكلُّ دارٍ مربعى
لكنَّ نفسى عن هوا ... كم قطّ لم تختدع
لو رأت الخلدَ النزو ... عَ عنكُمُ لم تنزع (٤)
ملأتُ قلبى شغفا ... بكهلكم واليفَع
فلو يسامُ حبّ شـ ... ـىءٍ معَكم لم يسع
خيَّمتُ فيكم فليضَع ... من شاء أو فليرفع
ولو وجدتُ مَقنعا ... فى غيركم لم أقنع

(١) فى الأصل " الصبع " . (٢) ليست بالأصل . (٣) فى الأصل " لطلت " .
(٤) اليفع : المترعرع .

وكتب الى العميد أبى الحسين محمد بن علىّ المزرّع

حبَّ اليها " بالغضا " مرتَبعا ... و " بالنخيـل " موردا ومشرَعا
" وبأثيـلات النقا " طلائلا[1] ... يَفـرُشها كراكرا[2] وأذرعا
تُقامصُ البزلاءُ[3] فيها بَكْرَها[4] ... من المِراح والثنىُّ[5] الجَـذَعا
مُنّى لها لو جعـلَ الدهرُ لها ... أن تأمنَ الطاردَ والمدعـِدَعا[6]
عزّت فما زال بها جورُ النوى ... والبيـدِ حتى آذنت[7] أن تخنعا
وأمكنت من الخشـاشِ[8] أنفُها ... ما طمعتْ من قبلُ فيها مطمَعا
اللهَ يا سائقها فإنها ... جرعةُ حتفٍ أن تجوز "الأجرعا" (٢٤٧)
أسـلْ بها الوادى رفيقا إنها ... تسـيلُ منها أنفسا وأدمعا
قد كان نامَ البينُ عن ظهـورها ... وضمّ شـتَّى شملها المـوزَّعا
فعاد منها مضرِما ألهـوبَهُ ... لا بدّ فى طائره أن يقعا
من "بمنًى" وأين جيرانُ "منًى"؟ ... كانت ثلاثا لا تكون أربعا
راحوا، فمِنْ ضامنِ دَينٍ ما وفَى ... وحالفٍ " بالبيت " ما تـورّعا
وفى الحـدوج غاربون أقسموا ... لا تركوا شمسا تضىء مَطلِعا
سـعى بىَ الواشى الى أمـيرهم ... لا طاف إلا خائبا ولا سـعى
لا وأبى " ظبيةَ " لولا طيفها ... ما آستأذنْتها مهجتى أن تهجعا
ولا رجـوتُ بسؤالى عنـدها ... جدوَى سوى أن أشتكى فتسمعا

(١) الطلائل : جمع طلالة وهى الشاخص من آثار الدار . (٢) كراكر : جمع كركرة وهى صدر البعير . (٣) البزلاء : المسنة من الإبل . (٤) البكر : الفـتىّ من الإبل . (٥) الثنىّ من الإبل : الذى يلقى ثنيته فى السنة الثالثة والجذع : ما قبل الثنىّ . (٦) المدعدع : الداعى للإبل . (٧) فى الأصل " أذعنت " . (٨) الخشاش : العود يجعل فى عظم أنف البعير .

يا صاحبي سرّ الهوى إذاعة ... طُرّتْ[1] خروقٌ سرّنا أن تُرقعا
إشرافةً على "قُبا"[2] إشرافةً ... أو آجتهادا دعوةً أن تُسمعا
يا طُلّقاء الغدر هل من عطفةٍ ... على أسيرٍ بالوفاء جُمِعا ؟
سلبتموني كبدا صحيحةً ... أمسِ فردّوها علىّ قِطَعا
عدمتُ صبرى فجزعتُ بعدكم ... ثم ذهلتُ فعدمتُ الجزعا
وأنتِ يا ذاتَ الهوى من بينهم ... عهدُك يوم "وجرةٍ"[3] ما صنعا
لما ملكتِ بالخداع جسدى ... نقلتِ قلبى وسكنت الأضلعا
وآرتجعا لى ليلةً "بجاجرٍ" ... إن تمّ فى الفائت أن يُرتجعا
قالوا : ألِكْنا[4] ! فوعظنا صخرةً ... لا يجد الغامرُ فيها مَصدَعا
قلبا على العتب الرفيق ما آرعوى ... لحاجةٍ فيك وسمّعا ما وعى
قلت : فما ظنّكما ؟ قالا : نرى ... أن ندعَ الدارَ لهم ! قلتُ : دعا
فهو مع اللوعة قلب ماجد ... اذا أحسّ بالهوان نزعا
قد باطن الناسَ وقد ظاهرهم ... وضرّه تغريرُه ونفعا
وقلّب[5] الإخوانَ وآفتلاهُمُ ... فلم يجد فى خُلّةٍ[6] مستمتَعا
بلى ! حَمَى الله "العميدَ" ما حمى ... عينًا بجفن وسقاه ورعى
وصان منه للعلا منبتَها ... لزّ اكى وشرعَ دينها المتّبَعا
والواحدَ الباقىَ فى أبنائها ... والثكلُ قد أوجعها فيهم معا
ضمّ فلولَ الفضل حتى آجتمعت ... مفرّقٌ من ماله ما آجتمعا
وأنشر الجودَ الدفينَ مطلقُ الـ ... ـكفّ اذا أعطى آبتداءً أتبعا

---

(١) طُرّت : شُقّت . (٢) قبا ويمد : اسم موضع قرب المدينة . (٣) وجرة : موضع بين مكة والبصرة . (٤) ألكنا : كن رسولنا وتحمل رسالتنا . (٥) فى الأصل "وقلت" ، (٦) الخلة : الصداقة والمحبة .

ودبَّر الأيّامَ مرتاضا بها ... فلقَّبتـــه الناهضَ المضطلعا
وَفَى بما سنَّ الكرامُ فى النـــدى ... ثم ٱســـتقلّ فعلَهم فٱبتـــدعا
من طينةٍ مصمَتةٍ طائيّـــةٍ ... يطبعها المجـــدُ على ما طبعا
خلَّى الرجالُ حلبـــةَ الجودِ لها ... والبأسِ قـــداما وجاءوا تبَعا
ومرَّ منها واحـــدٌ مع ٱسمـــه ... يفضح كلَّ من سخا أو شجعا
ولا ومن أولدهم "محمـــدا" ... وٱختـــاره من غصنهم وأفـــرعا ،
ما خلتُ أن يُبصَرَ ضوءُ كوكبٍ ... من هالة البـــدر أبيهِ أوسعا
وأننـــا نُغفِلُ ذكرَ "حاتم" ... فى "طيّءٍ" ونذكرُ "المزرّعا"
حتى علت من بيتـــه سحابةٌ ... جفَّ(1) لهـــا ما قبلها وأقشعا
وأمطرتْ من "العميد" مزنةٌ ... عمّت فمـــا فات حيـــاها موضعا
صابت حســـامًا ولسانًا ويدًا ... بأيِّهـــا شـــاء مضى فقطَعا
مـــدّ الى أفق العـــلا فنـــاله ... يدًا تردُّ كلَّ كفٍّ إصبعا
وٱلتقط السودَدَ من أغراضها(2) ... فـــلم يدَعْ لسهمِ رامٍ مـــترَعا
تختصم الأقـــلامُ فيه والظُّبا ... كلٌّ يقول : بى بدا، ولى سـعى
ويدّعيـــه الجـــودُ ما بينهما ... لنفســـه فيعطَيان ما ٱدّعى
أيقظك التوفيـــقُ لى وما أرى ... فى النـــاس إلا الهاجعَ المضطجعا
وأجفلتْ عـــنّى صروفُ زمنى ... مـــذ قمتَ دونى بطـــلا مقنَّعا
وغرت للمجد التليدِ أن ترى ... تقلُّـــلا عنـــدىَ أو تقنُّعا
ملأتَ وَطبى(3) فمـــتى أقرِى القِرى ... لا أســـقِ إلا مفعَما أو مـــترَعا

(١) فى الأصل "حف" . (٢) أغراض جمع غرض وهو الهـــدف الذى يُرمى اليه ، وفى الأصل "أعراضها" . (٣) الوطب : سقاء اللبن .

وكنتُ فى ظلّك أبدَى[1] جانبا ... من جادة البحر وأزكى مرتَعا
فما أبالى حالباتِ المزن أن ... تفطِمنى بعدك أو أن تُرضِعا
أغنيتنى عن كلّ خلق أُنفق الـ ... ـنفاقَ فى آبتياعه والخُدَعا
وملكٍ مستعبِدٍ بماله ... أحُطُّ من عرضى له ما آرتفعا
اذا دعا مستصرخٌ برهطه ... يدفع ضيمَ الدهر عنه مَدفعَا ،
ناديتُ فى نادىَّ "آلَ جعفرٍ" ... على نوى الدار فكنتُ مُسمِعا
وبتُّ أرعَى من جنى إسعادكم ... روضا أريضا[2] وجنابا ممرَعا
لبستُ عيشى أخضرا أسحبه ... بينكُمُ وكان رَثًّا أسفعا
لياليًا يُحسَبنَ أيّاما بكم ... حُسْنا وأيّاما يُخلَن جُمُعا
فإن شكوتُ أن حظّى عاثرٌ ... بعدكُمُ فقل لحظّى : لا لعا[3]

* * *

وقال فى غرض له

بعثتُ لقلبى الهمَّ يوم هويتُكم ... وبايعتُ عينى بالرقاد دموعا
وكنت عزيزا لو عصيتُ خلاعتى ... وبتُّ لنصح العاذلات مطيعا
بحقّكُمُ لا تهجرون فإننى ... أملتُ اليكم جانبًا جميعا

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب آبن القاسم بن عبد الرحيم فى المهرجان يهنّئه به وبخلاصه من شكاة لحقته

آنسَ برقا "بالشُّرَيف"[4] لامعا ... معتليا طورا وطورا خاضعا
يخُرق جنبَ الليل عن شمس الضحى ... ثم يغور فيعود راقعا

(١) فى الأصل "أيدى" . (٢) الأريض : الزكىّ . (٣) لعا : كلمة تقال للعاثر بمعنى آنتعش . (٤) الشريف : موضع باليمن .

كأنّ "هنـدا" فيـه أو أترابها ... ترفـع ثم تُسـدِلُ البراقعـا
يُزجِى السحابَ ينتضَى صـوارما ... عـلى عروق مزنه قواطعـا
بدا كهدّاب الرداء وسرى ... فسدَّ من جوّ "الغضا"(١) المطالعا
بفاد "نجـدا" ملقيـا أفلاذه ... لا خامرا نصحا ولا مُصانعـا
يكسِر فيهـا بالحيا صُمَّ الحصى ... ويبسُـط الأُكَمَ(٢) بهـا أجارعا(٣)
تُخالُ بين مائه وتُربهـا ... مَـواقعُ(٤) القطـر بها مَواقعا(٥)
أطّـر(٦) للأرض سهاما لم يـدع ... جسمَ فـلاةٍ بحصـاها دارعا
هنيهـةً ما بين أن أرذّها(٧) ... وبين أن فجّـرها ينابعـا
فأحسنتْ عنـد الثرى صنيعَهـا ... وإن أساءت عنـدنا الصنائعا
استعلنتْ سرَّ الهـوى وأيقظت ... من عهد "غُمدان"(٨) غراما هاجعا
كأنما النافضُ عن قسيِّهـا ... نبلَ الحيـا يستنفض الأضالعـا
يُذكرنا من عيشنا على "الحمى" ... لياليـا ببـدره نَواصِعـا(٩)
مواضيا إن عاد رَيعان الصِّبـا ... أخضرَ عُـدنَ معَـهُ رواجعا
كم ليـلة بتنـا بغـير جنحها ... من ذهبِ الحَلْيِ ومبيضا صادعا
تكتّم منـا ألسنا عَـوارما(١٠) ... تحت الدجى وأُزُرا(١١) خواشعا
نفضُّ مكتومَ الحـديث بيننا ... عن أرجاتٍ(١٢) تـبرُدُ المضاجعا

(١) فى الأصـل "الفضل" . (٢) الأُكم جمع إكام وهو ما اجتمع من الحجارة فى مكان واحد . (٣) أجارع جمع أجرع وهو الرمل المستوى لا ينبت شيئا . (٤) مواقع القطر: مساقطه . (٥) مواقع جمع موقعة وهى موضع يقع عليه الطائر . (٦) أطر : ثنى وعطف . (٧) أرذها : أمطرها رذاذا وهو المطر الضعيف . (٨) غُمدان : قصر باليمن بناه يشرخ بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وكان مسكن التابعة من حِمْيَر . (٩) فى الأصل "تواضعا" . (١٠) عوارما : مشتدة متجاوزة الحد . (١١) أزر جمع إزار . (١٢) أرجات : عطرات ، وفى الأصل "أرجاب" .

كأننا نرعى الخزامَى واقعا ... به الندى أو نردُ الوقائعا (١)
نحفظُ ما كان حديثا حسَنا ... منه وما أعجز كان ضائعا
مراكبٌ للهو كنتُ غافلا ... لطُرق عمرى فوقهنّ قاطعا
أرتضعُ (٢) الدهرَ بها ضرورةً ... يا سَرَعانَ ما فُطمتُ راضعا (٣)
أستودع الأيّام من مودّتى ... لافظةً لا تضبط الودائعا
وراءَها تعطيك أسنى خَبِّها ... بنغضها (٤) رأسا [مُخَنَّثا (٥)] مانعا
مَعاطفًا ما انَّ إلا يبسا ... ومنطقا لم يحلُ إلا حادعا
لو حفظَتْ عهدىَ فى ذخيرةٍ ... لم أُلفَ يوما بالشباب فاجعا
يا من أطار عامدا وعابثا ... عن لمّتى ذاك الغرابَ الواقعا (٤٤٩)
ما سرّنى فى مدلهمّ ليلها ... أنّى أرى نجومَه طوالعا
حمائلُ لعاتقى (٦) كُنَّ لما ... أقنصه (٧) حبائلا جوامعا
فاليوم لا يعقلن إلا شاردا ... منى ولا يعلقن إلا قاطعا (٨)
رددن ما كان حبيبا رائقا ... منّىَ فى العين بغيضا رائعا
ما خلتُ قبلَ الشيب أن مفرِقا ... رُصِّع بالدرِّ يذمُّ الراصعا
ما هى يا دهرُ (٩) وإن حملتُها ... منك بأُولى ما حملتُ ظالعا
قد عرفَت مطالبى غايتَها ... وجاذبت حظوظَها الموانعا

---

(١) الوقائع جمع وقيعة وهى نقرة فى جبل أو سهل يستنقع فيها الماء . (٢) فى الأصل "أرتصع" . (٣) فى الأصل "راصعا" (٤) نغض : يقال نغض رأسه : حركها فى اضطراب ، وفى الأصل "بيعضها" . (٥) مُخَنَّثا : موضوعا فى أنفه الخشاش وهو عود يوضع فى أنف البعير وفى الأصل هكذا "محسّا" . (٦) فى الأصل "العاتق" . (٧) فى الأصل "أقبضه" . (٨) القاطع : الطير الذى يقطع أجواز البلاد . (٩) فى الأصل "ياهر" .

وعلمتُ[1] أن الكمال ذنبُها ... وأنّ فى النقص اليـــك شافعا
يـــلوم فى قناعـــتى ذو نَطَفٍ[2] ... لو كان حرَّ العـرض كان قانعا
عادٍ[3] عـــلى خبائثٍ من كسبه ... عَـــدْوَ الذئاب[4] أقـــترت[5] المطامعا
إن كنتَ تبـــغى بالهـــوان شِبَعا ... فلا شبعتَ الدهـــرَ إلا جائعا
ملكتُ نفسى فمنعتُ رسَـــنى ... ورحتُ منفـــوضَ اللجام خالعا
لا فارسُ الضيم لظهـــرى راكبا ... ولا قطيـــعُ الذلّ جنـبى قارعا
آليتُ لا أصحبُ ذلًّا كارها ... يـــوما ولا آمنُ رفـــدا طائعا
لله مـــذلولٌ[6] عـــلى رشاده ... يعـــلم أنّ الحـــرصَ ليس نافعا
قامرْ بدنياك وبعْـــها مرخصا ... بأبخس الأثمـــان تُغبنْ بائعـا
إن عشت متبوعا بها محسَّـــدًا ... أولا فمت ولا تكون تابعـا
فى النـاس من يُعطيك من لسانه ... شعشـعةَ الآل أطباك[7] لامعـا
يَشعَبُ أُذنيـــك ويرعَى لك فى ... ضـلوعـــه فلائقا صـــوادعا
فإن ظفـــرتَ منهـــمُ بماجد ... فاضربْ به شَـــوْلك[8] تُجبْ فارعا[9]
واشـــدُد عليـــه يدَ مفتـونٍ به ... فليس إن أفلت منـــك راجعا
حلفتُ بالمنقّبـاتِ سُـــوقُها ... خـــوارجا من أُهبِها[10] نزائعا
نواحلا خضن الدجى صـــوامعا ... ثم رجعن دقـــةً أصابعـا
تُعطِى السُّرى من غير ذلٍّ أظهرا ... حُصًّا[11] وأعنـاقا له خـواضـــعا

(١) فى الأصل "وعملت". (٢) النَّطَف : الاتهام بالريبة والتلطخ بالعيب. (٣) فى الأصل "غاد". (٤) فى الأصل "الذباب". (٥) اقترت : تتبعت ، وفى الأصل "افترت". (٦) فى الأصل "مدلول". (٧) أطباك : ازدهاك. (٨) شول جمع شائلة وهى من الإبل ما أتى عليها من حملها سبعة أشهر. (٩) الفارع : المرتفع الهيِّئُ الحسَن ، وفى الأصل "قارعا". (١٠) أهب جمع إهاب وهو الجلد. (١١) حُصّ جمع أحصّ وهو المتنوف الشعر الذاهبه.

اذا رمَتْ وراءَها ببــلدةٍ أمسـت لأخرى ظُلَّعـا نوازعا
تحسبها عــلى الفَـلا طافيــةً مشــرّعات لجّــةً قــوالعا
تحمِــلُ كلَّ زاحــمٍ بنفســه لذنبــه المرمَى المخوفَ الشاسعا
يُعطِى الهجــيرَ حكَّه من وجهه حتى يُرى بَعــد البياض سافعا
يطلب أخراه بأخرى جَهــده حــتى يقــومَ قانتـا وراكعا
تحمِــلُ أشــباحَهُمُ هــديَّةً الى "منًى" طــوارحا دوافعـا
وراش حالى فتحلَّقْتُ بــه من بعــد ما كنتُ قصيصا واقعا
وصرتُ لا أدفــع عن باب العلا وكنتُ لا أُعــرَفُ إلا دافعـا
أنصــفنى من الزمان حاكمٌ [لم][1] يُبْقِ للفضــلِ نصيبا ضائعا
أبلجُ أبقت خــرزاتُ الملك فى جبينــه خــواتمـا طــوابعـا
يُورى شهاب النجح من خلالها لأعين العافين نورا ساطعـا
غيرانُ للســودَدِ لا ترى له عــلى المحاماة عليــه وازعا
اذا غمزتَ عاســرتْك صخــرةٌ منــه وتســتمريه ماءً مائعـا
لا تستطيع نقــلَه عن خُلقــه فى الجــود من ذا ينقُــلُ الطبائعا
ينجــو به إباؤه[2] من أن يُرى[3] مضعضعـا للنائبات خاضعـا
يلــقَى سرايا[4] الدهر إن واقعــها بمهجــةٍ عــوَّدها الوقائعـا
ولا تــرى نفسَ فــتًى عزيزةً حتى يُبِين عنــدها الفجائعا
اذا بنــو "عبــد الرحيم" شمخوا بأصلهــم طال عليهــم فارعا
سادوا وجاء فاضــلا فسادهــم والبــدر يُخــفِى الأنجم الطوالعا

(١) ليست بالأصل . (٢) فى الأصل "آباؤه" . (٣) فى الأصــل "ترى" .
(٤) سرايا جمع سرية وهي القطعة من الجيش .

ثنى الرءوسَ المـائلات نحرهـم ... وصـيّر النـاسَ لهـم صنائعا

أعطاهُـمُ سورةَ مجـدٍ لم أكن ... فى مثلها لمجـدِ قـومٍ طامعـا

فـلو ظفـرتُ منهُـمُ بتابـع ... رائدَ نصحى أو عـذلتُ سامعا

لقلتُ : شُدُّوا الأُزْر عن نسائكم ... وحرِّموا من بعـده المراضـعا

كنتَ – وأنت منهُم – أكرمَهم ... فضـلَ السَّراة(١) فاتت الأكارعا(٢)

وضمَّ ميلادُك شمـلَ فخرهـم ... كما تضُمّ الراحـةُ الأشاجعـا(٣)

وكلُّكم نال العـلاء ناهضـا ... بنفسـه طفـلا وساد يافعـا

من معشرٍ راضوا الزمانَ جَـدَّعا(٤) ... وزيَّنـوا أيّامَـه رواضـعا

وآقتسـموا الدنيـا بأسـيافهِـمُ ... فآقتطعـوها بينهـم قطائعا

اذا رضُـوا تمـازحوا أو سخِطـوا ... لم يُحسِـنوا فى الغضبِ التقاذُعا

تلـقَ المعـاذيرَ بهـم ضيّقـةً ... اذا آستميحـوا(٥) والعطاء واسـعا

سدُّوا خصاصاتِ الثغور بالقنـا ... وملَكوا على العـدا الشرائعـا

وبعثـوا غُرَّ زبونٍ(٦) جهمةٍ ... تحلبُ للأضـياف شُمًّا ناقعـا

خرساء أو تسمع ما بين الظبا ... فيهـا وما بين الطُّلَى(٧) قعاقعـا

يسـترفد الطيرَ بهـا وحشُ الفلا ... فـتُرفـد الكواسرُ(٨) الخـوامعـا

تعـبرُ طخياءُ(٩) العجاج فـوقهـا ... [من] صبغة الليل ضُحاها المـاتعا

---

(١) السراة : ظهر الأديم . (٢) الأكارع : الأطراف . (٣) الأشاجع جمع أشجع وهو أصل الإصبع من الكف . (٤) الجذع : الفتىّ . (٥) فى الأصل " استيحوا " .

(٦) الزبون : الحرب التى يدفع بعضها بعضا . (٧) الطلى : الأعناق . (٨) الكواسر جمع كاسر وهى العقاب ، والخوامع جمع خامعة وهى الضبع . (٩) الطخياء : الليلة المظلمة والضحى الماتع : الذى بلغ آخر غايته من الآرتفاع ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

يعبر طحياء العجاج فوقها * صنعه الليل ضحاها الماتعا

تَرِجــعُ نُحصَ البَاتِراتِ بُطنًا عنها وتُروى الأسَـلَ الشـوارعا
اذا نهى النقعُ العيونَ جعلوا أبصارَهــم فى نقعها المسامعا
فاستصبحوا ظلماءها مناصــلا (١) دوالقـا (٢) وأنصــلا دوالعـا (٣)
لا برحتْ آثارُهــم منصــورةً بعــزمتيك رافعـا وواضــعا
ولا رأى الملكُ مكانَ نصره وسرِّه منــك مباحا شائعـا
وقام من دونَ أمانىِّ العـدا جــدُّك عنــك واقيا ودافعـا
طالت لشكواك رقابٌ أصبحتْ كفايةُ الله لهـا جوامعـا
وظنَّ قومٌ فيـك ما لا بلغـوا أوتبلــغَ الأخامصُ (٤) الأخادعا (٥)
داء من الأدواء كانَ هاجـدا (٦) فجاء مشــتاقا اليــك نازعا
زار مليًّا ثم خاف غضــبةً منــك فــولَّى خائفا مسـارعا
لم ينتقص دأبا ولم ينقض عُرَى عزمٍ ولم يُزعج جَنانا وادعا
حَملتَــه حملَك أثقــالَ العــلا (٧) لا خائرا ولا نَكولا ضـارعا
ربَّ نفوسٍ أرفدتْ من ألمٍ نفسَــك ماكنَّ له جوازعا
تــودُّ أن يحفظك الله لهـا ولو غــدتْ مهملةً ضـوائعـا
ولا أقــرّ الله عيــنَىْ حاســدٍ رأى القــذَى برِّك والقـوارعا
ولا عفا حرُّ المُـدَى عن أُنُفٍ كنت لها ـ بأن سلمت ـ جادعا
ولا يرمْــك المهــرجان عُوَّدا به الســنونَ أبدا رواجعـا
طوالعـا عليـك من سعوده بخــير نجــمٍ غاربا وطالعـا

(١) دوالقا : خارجة من أغمادها . (٢) أنصل جمع نصل وهو الرمح ، وفى الأصل "نصلا" .
(٣) دوالعا : مشروعة . (٤) الأخامص جمع أخمص وهو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .
(٥) الأخادع جمع أخدع وهو عرق فى العنق . (٦) فى الأصل "ماجدا" . (٧) فى الأصل "جائرا" .

تسحبُ من ملابس العـزِّ به ذلاذلًا[1] لستَ لهنّ نازعا
يُكسى بأوصافـك كلُّ عاطلٍ منـه فنونَ الكلم البدائعا
من الغـريبات يكنّ أبدا مـع الرياح شُـرَّدا قواطعا
اذا آحتبى منشـدُهنّ خلتـه يمانيًا ينشِّـرُ الوقائعا[2]
لم تُخـترَق قبـلى ولا توجَّتْ بمثلهنّ الألسنُ المسامعا
عـوانسا أودعْتـكم شـبابَها علما بتحصـينكم الودائعا
أبضـعتُ فيكم عُمُـرى وعمـرَها يا لكرام أربحـوا البضائعا
قـد بلغتْ آمالَها فيكم فـلا تنسـوا لها الأرحامَ والذرائعا
كم حاسـدٍ دبّ لها عنـدكُمُ لو كان أفعى لم يضرها لاسـعا
اذا بقيـتم ووفيـتم [لى][3] فما شاء الزمان فليكن بى صانعا

* * *

وقال وكتب الى عميد الكفاة أبى سعد بن عبد الرحيم يهنّئه بالنيروز

دعُـوها تَرِدْ بعـد خمسٍ[4] شُروعا وراخوا علائقَـها والنُّسـوعا[5]
ولا تحبسوا خُطْمَها[6] أن تطول الـ ـحِياضَ وأيديَها أن تبـوعا
وقولوا دعاءً لها : لا عُقِـرتِ ولا آمتدَّ دهـرُك إلا ربيعا (٢٥١)
فقـد حملَتْ ـ ونجت ـ أنفسًـا كرائمَ جبنَ الأمانى سريعا
حملنَ نشاوَى بكأس الغـرا م، كلُّ غـدا لأخيـه رضيعا

(١) الذلاذل جمع ذلذل وهو أسفل القميص الطويل وقيـل هى أثواب تلبس فوق بعضها البعض، كل ثوب أقصر مما يليه لتظهر كلها للناظرين . (٢) الوقائع جمع وقيعـة وهى القفة من الخوص، ويقول بعضهم : إنها بالفاء لا غير . (٣) ليست بالأصل . (٤) الخمس : من أظماء الابل وهو ورودها على الماء فى اليوم الخامس . (٥) النسوع جمع نسع وهو حبل من أدم تشدّ به الرحال . (٦) خطم جمع خطام وهو حبل يجعل فى عنق البعير ويثنى على خطمه أى أنفه .

أحبُّوا فُرادى ولكنَّهم على صيحة البينِ ما توا جميعا
حموا راحةَ النوم أجفانَهم وشدّوا على الزفراتِ الضلوعا
وباتوا بأيديهمُ يسندو ن فوق الرحال جُنوبا وُقوعا
وفي الركبِ ـ إن وصلوا لاحقين ـ عقائلُ يشعَبنَ تلك الصُّدوعا
من الراقصاتِ بحَبِّ القلو ب حتى يكون الحليمُ الخليعا
قصائدُ لم يصطبغن(١) المياهَ ولم يحترشن(٢) اليرابيعَ جُوعا
اذا الحسبُ آعتنَّ في "خِنْدِفٍ" مسحنَ ذوائبَه والفروعا
خرقن نفوسا لنا في السجوف جعلن العيونَ عليها وُقوعا
وصافحنا بسباط البنا ن تخضبُ حنّاؤهنّ الدموعا
هوًى لك من منظرٍ لو يدوم ومن آمرٍ بالمنى لو أطيعا
هبطن "أُشَيَّ"(٣) فظنّ العذول وقد ذهب الوجدُ أن لا رجوعا
ولا وهواكِ آبنةَ "النَّهشَليِّ" ما زاد في البعد إلا ولوعا
سقاكِ مهاةُ مروِّى العطاشِ وحيًّا ربوعَكِ عنّي ربوعا
ضمنتُ لهن فلم آلهنَّ قلبا مروعا وعينا دَموعا
وقمتُ أناشدُهنَّ العهو دَ لو يستطعنَ الكلامَ الرجيعا
أسكّان "رامةَ" هل من قِرًى فقد دفع الليلُ ضيفا قَنوعا ؟
كفاه من الزاد أن تَمهدوا له نظرا وحديثا وسيعا
وأُخرَى وويلُ آمّها لو يكو ن فيها الشبابُ اليكم شفيعا
ألا لا تلُمْ أنت يا صاحبي ودَعْ كلَّ رائعةٍ أن تروعا
وهبنا لهذا المشيبِ النزا عَ لا عن قلىً وأطعنا النزوعا

(١) يصطبغن : يأتدمن . (٢) يحترشن : يصدن . (٣) أشى : اسم واد باليمامة .

وأورى لنـا الدهرُ من مدلهـ ـمٍّ ليـل الصبابة فجـرا صديعـا
فليت بيـاضِيَ أعدى الحظوظَ فبـدَّل أسـودَها لى نصيعـا
حلفت بهـا كشـقاق القسـ ـىِّ تحسَبُ أعناقهن الضّـلوعا ،
نَواصـلُ من بُزِّ(١) أو بارها سـناما حليقـا وجنبا قريعـا ،
نواحـل كلَّ نجـاةٍ(٢) ألحّ عليها القطيـعُ فصارت قطيعـا(٣) ،
يُمحن السُّرى أظهـرا فى الحبـا ل شاخصـةً ورقابا خضـوعا ،
أسلن الرُّبَى فى بطون الوها دِ حـتى وصان خُفوضا رُفوعا ،
عليهنَّ شحبٌ رقاق الجـلو د قد بُدِّلوا بالبيـاض السُّـفوعا ،
تراهم عـلى شـعفاتِ(٤) الجبـا ل قبـلَ(٥) الركوع "بجمع"(٦) ركوعا ،
رعَـوا يَبَس العيش أو كثَّروا على منسَك "الخيف" تلك الجموعا ،
لأتعبَ سعىُ "عميـد الكفاة" سُرى النجم أو عاد عنـه ظليعا
فى الحرب أين لقيتَ الخطوبَ بآرائه انصعن عنـه رُجوعا
حديدُ الفـؤاد وسيعُ الذراع اذا الناس ضاقوا صـدورا وبوعا
كريم الإباء حليم الصِّبا تمطَّق(٧) بالمجـد فوه رضـيعا
أصمّ عن الكلم المقـذعات اذا الغمـر(٨) كان اليها سميعا
حمى النـومَ أجفانَه أن تـلَذَّ دون انتهاء المعالى هُجـوعا
وكُلِّفَ كبرَى المساعى فقا م يحملها قبـلَ أن يستطيعا
جرت يدُه سلسلا فى الصـديـ ـق عذبا وبين الأعادى نجيعا(٩)

(١) البز : السلب . (٢) النجاة : ما ارتفع من الأرض . (٣) القطيع الأولى : السوط ، والثانية بمعنى : مقطعة . (٤) شعفات : جمع شعفة وهى رأس الجبل . (٥) فى الأصل "الحبال" . (٦) جمع : المزدلفة . (٧) تمطق : تذوق . (٨) الغمر : الجاهل الذى لم يجرب الأمور ، وفى الأصل "العمر" . (٩) النجيع : الدم .

وأعطى وغار(١) عـلى عرضه ... فعُـدَّ بذاك وهـوباً منـوعا
من النفَـر البيض تمشى النجـو ... مُ حيرى اذا واجهـوها طلوعا
ميامين يعترضون السـنين ... عجافا يدرّون فيها الضُّروعا
اذا أجدبوا خصَّهم جدبهـم ... وإن أخصبوا كان خِصبا مَريعا
طِـوال السـواعد شمّ الأنو ... ف طابوا أصـولا وطالوا فروعا
رشاقٌ فإن ثأروا مختفين ... رأيتهـمُ يملأون الدروعا (٢٥٢)
بنَى لهم المـلكُ فـوق السِّماك ... عـلى أوّل الدهر بيتـا رفيعا
زليقـا ترى حائماتِ العُيوب ... ـ ولو طرن ما شئن ـ عنه وقوعا
بنـاه على تاجه "أردشـير"(٢) ... جنـابا مَريعـا وجارا منيعـا
وجاء فأشرف "عبـدُ الرحيـ ... ـم" قُلَّتـه وبنُـوه طـلوعا
فـداؤك كلُّ أشـلِّ الوفاء ... اذا كان منّى السرابَ اللـوعا
وَصـولٌ على العسر من دهره ... فإن صاغ اليسرَ ولَّى قَطـوعا
وكلُّ مصيبٍ عـلى الغِـلِّ فيـ ... ـك قلبـا كتوما ووجها مذيعـا
خبِىٍ(٣) لك من حسـدٍ فى حشـا ... ه أفعى فـلا مات إلا لسيعا
حملتَ المعـالى بسِـنّ الفـتى ... ولم يك حمـلا لهـا مستطيعا
اذا شال(٤) فى الفخـر مـيزانُه ... وزنتَ مثاقيـلَ أو كلتَ صـوعا
زحمتَ بجودك صـدرَ الزمان ... على ضعف جنبى فأقعى صريعا
وعوَّذتُ باسمـك حظّى الأبىَّ الـ ... ـحرونَ(٥) فأصحَبَ سهـلا مطيعا
كفَيتَ المهمّة من حاجتى ... وأعذرتنى أن أدارى القنُـوعا
وسـدَّدتَ أكثر خَـلَّاتىَ الـ ... ـرِّغاب(٦)، فلو قد سـددت الجميعا!

(١) فى الأصل "وعار". (٢) أردشير: أحد ملوك الفرس. (٣) خبى لغة فى خبأ. (٤) شال الميزان: ارتفعت إحدى كفتيه على الأخرى. (٥) أصحب: انقاد. (٦) الرغاب: الواسعة.

لعـلك مُغـنىً عن موردٍ أرى ماءه الطَّـرْق[1] سمّا نقيعا
جنابٌ ذليـل سحبتُ الخمـو لَ عمـرا به وٱرتديتُ الخضوعا
وأغمـدتُ فضـلىَ فيـه وكنـ ـتُ أُشهرُ منـه حساما صنيعا
ولو أنصـف الحظُّ لم أرضَـه نصـيبا ولا قاد مثـلى تبيعا
وفى يدكم أن تغاروا علىَّ وأن تحفظوا فىَّ حقّا أُضيعا
ظفِـرتُ بحـقّ المنـى فيكُمُ فـا لىَ أرعى الخيالَ الخَـدوعا
وغاليتُ أهـلَ زمانى بكم فـلا تُرخصـوا ببيانى البيوعا
وضمّـوا قَـلوصى[2] الى سَرحكم وضَنُّوا على الدهر بى أن أضيعا
فإنّ سحابةَ إقبالكم تعيـدُ الى جدب أرضى الربيعا
وكن أنتَ واليَهـا نعـمةً ومبتـدئا غَرسَهـا والصـنيعا
فقـد شهِد المجـدُ إلا شبيهـا لفضـلك فيهـم وإلا قريعا
وخـذ من زمانك كيف ٱقترحـ ـتَ عمـرا بطيئا وحظًّا سريعا
وعش للتهـانى وللمـأثُـرا تِ ما ولد الليـلُ فجـرا صـديعا

* * *

وقال يمدح الكافى الخطير عمـدة الملك أبا عبـد الله القَنَانىّ فى المهـرجان ، ويشـكو تأخّر عادةٍ كانت له ، ويستبطئ النظرَ فى بابه ، ويعـرِّض بمفارقة البلدان [حين][3] ٱستمر ذلك عليه

حماها أن تُشَـلَّ[4] وأن تُراعا رصيدُ الكيد[5] ما حمـلَ ٱستطاعا
هصـورٌ تقبض الأقـدارُ عنـه حبائلَهـا اذا بسـط الذراعا

---

(١) الطرق : الماء الذى خوّضته الإبل و بالت فيه و بعرت . (٢) القلوص : العنيّة من الإبل .
(٣) ليست بالأصل و يقتضيها السياق . (٤) تشلّ : تطرد . (٥) المراد برصيد الكيد : الأسد .

ذكيّ[1] العين أغلبُ[2] لم تزده[3] ممارسةُ العدا إلا امتناعا

يبيت بنفسه جيشا لُهاما ويكفيه توحُّدُه الجماعا

اذا ذعرَ الطريدةَ، لم يُجِرْها[4] هوتْ خفضا أو[5] اطلعت يفاعا ؟

يشمُّ الرزقَ عن مسرَى ثلاثٍ فيقطعها على سغَبٍ تباعا

تكلّفه الدماءَ ملبَّداتٌ له بالغاب تنظُره جِياعا

له ثقةٌ[6] بأوبته نجيحا يطاولها الهَمام[7] أو الترعا

اذا نصلتْ[8] مخالبُها لغوبا أعاد خضابَها[9] العَلَقُ المُتاعا[10]

يغاديها الغريضَ[11] ويعتشيها[12] شبولا أو تتمّ له سباعا

فكيف يخاف سائمُها عليها وما يحفظْ "أسامةُ"[13] لن يضاعا

رَعتْ وادى الأمانِ به وراحت رِواءً[14] من مشاربها شِباعا

تضيق على كَراكرها[15] خُطاها اذا صاح الحُداةُ بها : الوَساعا

مضت يحُنوبها عرضا وطولا فما تسع الحبالَ ولا النِّساعا

كفاها "عمدةُ المُلك" الولايا[16] وأفرشها النمارقَ[17] والنِّطاعا[18]

ومدّ لها من الإحسان ظلّا[19] يفيء به الحدائقَ والوقاعا[20]

(١) ذكيّ : متوقّد . (٢) الأغلب : الأسد، وفى الأصل "أغلت". (٣) فى الأصل "تزده". (٤) فى الأصل "يجردها". (٥) فى الأصل "و". (٦) الهمام : الهمُّ بالشئ. (٧) فى الأصل "و" . (٨) نصلت : خرجت من الخضاب . (٩) فى الأصل "حصاتها". (١٠) العلق : الدم الشديد الحمرة، والمتاع : المسال، وفى الأصل هكذا "الماعا". (١١) الغريض : الطرى من اللحم . (١٢) فى الأصل يعتسيها . (١٣) أسامة : علم جنس على الأسد . (١٤) فى الأصل "مساريها". (١٥) كراكر جمع كركرة وهى صدر البعير. (١٦) الولايا جمع وليّة وهى البرذعة . (١٧) النمارق جمع نمرقة وهى الوسادة الصغيرة يتكأ عليها . (١٨) النطاع جمع نطع وهو بساط من أديم . (١٩) فى الأصل "طلا". (٢٠) الوقاع جمع وقيعة وهى نقرة فى جبل أو سهل يستنقع فيها الماء .

وقـــد نام الرُّعاة وغادروها ... عـــلى جِرّاتِها (١) نهبا (٢) مشاعا
تواكلها الحماةُ وتصطفيها ... ولاةُ الســوء بُزّلًا (٣) أو جِـذاعا (٤)
اذا حامت لِورد العـدلِ قامت ... عِصِيُّ الجـور تطـردها تباعا
فخـــرَّم سَرحها وحنا عليها ... وضمَّ سُروحها بَددًا (٥) شَـعاعا
فتًى إن مدّت الجوزاءُ كفّا ... لها خرقاءَ مـدّ بدا صَـناعا
فقـــرَّت فى معاطنها ودرَّتْ ... وباركت المنائحُ (٦) والقِـراعا (٧)
وفى "الكافى" وقد عجزتْ رجالٌ ... علتْ حظًّا ولم تعـلُ اضطلاعا
ونال بحقّـه ما نال قـــومٌ ... فشا غَلَطُ الزمان بهم وشاعا
أُضيفوا فى العـلا نسبا دخيلا ... فعـــدُّوها (٨) الزعانفَ (٩) والكُراعا (١٠)
زوائـد مثلَما ألصقتَ ظُلما ... بثـــوبٍ لا خروقَ (١١) به الرِّقاعا
وما قـرعوا عـلى النعماء بابا ... ولا بسـطوا الى العلياء باعا
تعاطَـــوها مكلَّفَـةً كِراهًا ... وقمتَ بها مـــولّدةً طِباعا
وملّكك السيادةَ عـرقُ مجـدٍ ... تليـــدٍ كان إرثا لا ابتياعا
حُضِـنتَ بحجـرها وسقتك درًّا ... بخلفيها (١٢) فوقتـــك الرَّضاعا
وجئت ففتَّ عزَّ الأصـل حتى ... فرعتَ بنفسـك الأفُـقَ ارتفاعا

---

(١) جرات جمع جرة وهى أن يعيد البعير ما فى جوفه الى فمه ليأكله ثانية . (٢) فى الأصـل "تهبا" . (٣) بزل جمع بازل وهو البعـير المسن . (٤) جذاع جمع جذع وهو ما قبل الثنىّ ، والمراد بالبزل والجذاع هنا الشّيب والشبّان . (٥) بددا شعاعا : متبددة متفرقة . (٦) المنائح جمـع منيحة وهى الناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليـك ، وفى الأصـل هكذا "المنائح" . (٧) القراع جمع قريعـة وهى خير المـال . (٨) فى الأصـل "فعزوها" (٩) الزعانف جمع زعنفة وهى طرف الأديم كاليدين والرجلين . (١٠) الكراع : مستدق الساق أو طرف الشىء . (١١) فى الأصل "حروق" . (١٢) الخلف : حلمة الضرع .

نظمتَ الملكَ منخرطا بديدا ... وقمتَ بحفظه ملقًى مضاعا
شعبت قناتَه ولقد تشظّت[1] ... معاقدُها وصُموما وآنصداعا
ورِشت فطارَ وهو أحصُّ[2] ترمى ... محلّقةُ النسور به الضباعا
على حين التزىُّ[3] رأى المداوى ... وحطّ مخمِّرُ[4] الشرّ القناعا
وقام الدهر يجذُبُ كلَّ عُنقٍ ... معظَّمةٍ فيوطئها الرِّعاعا
وبات الخوفُ يَقسِم كلَّ عينٍ ... فما يجد الكرى طرفا خُشاعا
وكلُّ يدٍ لها بطشٌ بأخرى ... بغَشْمٍ[5] لا ارتقابَ ولا ارتداعا
نهضتَ ـ وبالظُّبا عنها نِياطٌ[6] ـ ... تهزُّ قَنًا وأقلاما شِراعا
ولم أر كالحسام غدَا جبانا ... دعا قلما فأصرخه شجاعا
فداجيةٌ برأيك قد تجلّتْ ... وعاصٍ من حِذارك قد أطاعا
اذا الوزراء ضمّهمُ رِهانٌ[7] ... فتيًّا أو ثنيًّا[8] أو رَباعا
سبقتَ بخصلةٍ لم يحرزوها ... ـ على ما قدّموا ـ القُضُب الوِساعا[9]
وكنتَ أعفَّهم نفسا وأجرا ... هُمُ عزما وأرحبَهم ذراعا
عزفتَ فما [ترى][10] الدنيا جميعا ... وزخرفَ ملكِها إلا متاعا
وقد أعطتك مِقودَها ذَهابا[11] ... على تصريف أمرك وآتباعا
وغيرك قادرا لم يعصِ والى ... هواه ولا آستطاع له دفاعا

---

(١) تشظت : انشقت وتطايرت شظايا وفى الأصل "تشطّت" . (٢) الأحصّ : المتنوف الريش . (٣) التزىّ : السوّار الى الشرّ ، وفى الأصل "الثرى" . (٤) المخمّر : لابس الخمار . (٥) فى الأصل "ارتقات" . (٦) النياط : المفازة بعد طريقها . (٧) الثنى : الذى ألقى ثنيته . (٨) الرَّباع : الذى ألقى رباعيته وهى السن التى بين الثنية والناب . (٩) القضب الوساع : النوق الواسعة الخطى التى لم ترض . (١٠) ليست بالأصل . (١١) ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا

* وقد أعطتك مقوذها با *

مدحنا النـاسَ قبلك ذا نـوالٍ حـوى خيرا ومخشيًّا مُراعا
وقلنـا فى الكرام بما رأينا عِيانا أو نقلناه سماعا
فلما عبَّ بحـر ندالك كانوا الى يـدك النقائرَ والبِقاعا (١)
وأنك بالذى سمعـوا لأولَى ولكن صافقٌ غُبن (٢) البَياعا
فيا لشـهادةٍ بالجـود زورا جرت ومـدائح ذهبت ضَياعا
ولو أنا ملكنا الريحَ رُمنا لذاهب ما آستعاروه آرتجاعا
وسـقناه اليك فكان أنـقَى وأضـوعَ عَبْقَـةً بك وآرتداعا (٣)
هل آنت لقولة طغت آضطرارا تقابلها فتوسـعها آستماعا ؟
أدوم عـلى خصاصته طويلا مخافـة أن يقـال شكا آقتنـاعا
يسارقُ عيشـةً رعناء حـيرَى فـلا وُهُدا تحـلُّ ولا تلاعا
يرقِّعها وتسـبقه خروقا وهـذا الفرىُ (٤) قـد غلب الصَّناعا (٥) ٢٥٤
وكنت تعـيره لحظا فلحظـا فتحفظـه ولـولا أنت ضاعا
وتُمسكه ببُلغـةِ ما تراه الـ ـمكارمُ ممكنا لك مسـتطاعا
فينقُص عمـرُه يوما فيـوما بفَضـلةِ ذاك أو ساعًا فساعا (٦)
وقـد نُسخ العطـاءُ فصار منعا وعاد الوصـلُ صـدّا وآنقطاعا
وكاد الكامن المسـتورُ يبـدو وأسرارُ التجمّـل أن تذاعا
وضاقت ساحة الأوطان حـتى تطاول أين يرسلها آطـلاعا
وما للحـرّ تلفظـه بـلادٌ كعزمٍ يُنهض الإبلَ الظِّلاعا
وأُقسم لو أمنتُ عليـك عقبى الـ ـسماحةِ بى لما خفتُ الزِّماعا (٧)

(١) البقاع جمع بَقْعة وهى المكان يستنقع فيه الماء، وفى الأصل "اليفاعا" . (٢) فى الأصل "غبن" . (٣) الأرتداع : أثر رائحة الطيب . (٤) الفرى : الشق الفاسد . (٥) الصناع : الحاذق الماهر . (٦) الساع جمع ساعة . (٧) الزماع : المضاء فى الأمر .

وما وِنداك ما هـو أن أمرَّتْ ... مريرةُ جفـوتى إلا الـوداعا
أفارقكم لغير قِـلىً فظـنى ... بنفسى بعدكم أن لا انتفاعا
وأترك بينـكم غُرر القـوافى ... تَناوحُ خلف ظهـرى أو تَنـاعى
فمن لكُمُ يقـومُ بها مقامى ... اذا اندفعت مواكبُها اندفاعا
بقيتُ لها ومات النـاسُ غيرى ... فغاروا للبقيـة أن تضـاعا
هبـونى مهرةَ العـربىّ فيكم ... تُجاع لها العيالُ ولن تُجاعا
أعيـذ علاك أن أُنسَى قريبـا ... وأن تشرِى (١) "الكفاةُ" وأن أباعا
لعلّك تصـطفى عِرْقا كريما ... فتحمـدَه اغتراسا واصطناعا
ومُدليـةٍ الى نعماك عـنّى ... بحـقٍّ فى المكارم أن تراعى
تشافهك الثنـا عـنّى وتُمسى ... حِصابا فى عـدوّك أو قِـراعا
لها فى بعـد مسراه أجيـجٌ (٢) ... عصـوفُ الريح يخـترق اليَراعا (٣)
تكون تمائما لك أو رُقًى فى ... لِساعِ الدهر، إن له لِساعا
وأنّ المهـرجانَ له شـفيعٌ ... خليـقٌ أن يُبَرَّ وأن يُطاعا (٤)
فلا عدمتك ـ يا بدرُ ـ الليـالى ... ولا خفتَ المحاقَ ولا الشُّعاعا (٥)
ولا خلج الزمانُ عليـك بيتـا ... يفـرِّق ما تُحبّ له اجتماعا
فإنّ ظعائنا "بالسـفح" قَدَّت ... أديمَ الليـل ينصعنَ انصياعا (٦)
حملن بها ـ مكرَّمةً ـ رخيًّا (٧) ... حصينا عهـدُه ودَمًا مُضـاعا (٨)

(١) فى الأصل "تسرى" . (٢) الأجيج : اللهب . (٣) اليراع : الأجمة .
(٤) فى الأصل "أن تبر وأن تطاعا" . (٥) الشعاع : التفرق . (٦) عاد الشاعر الى الغزل والنسيب مرة ثانية بعد أن اختتم قصيده بالمديح والدعاء ولم نفهم المغزى الذى أراده ولعلها أبيات مؤخرة على ما فيها من اضطراب . (٧) فى الأصل "وخيا" . (٨) فى الأصل "خصيبا" .

طوالع أو غرائب فى "شَرافٍ"(١) مَلّا فمَـلّا يرُوْن بها مَلَاعا(٢)(٣)
وفى الأحداج محجوبا هـلالٌ اذا راق العيونَ خفى فـراعا
يحييـه خفوقُ الظلِّ حـتى اذا ركب الهوى صدقَ المِصاعا(٤)
أشاط دمى وخلّفنى ودمـعى أُسـيلُ به المـلاعبَ والرِّباعا(٥)(٦)
سطا بقبيـله فلوى ديـونى "قضاعة" من لخصمكُمُ "قضاعا"
أمنكِ سرى آبنةَ الأعرابِ طيفٌ وقد كذبا على الشعب آنصداعا(٧)
سرى والصبحُ يذعَرُ من توالى الـ ـنجومِ معـزّبا بقَـرًا رِتاعا(٨)
ألَمّتَ من "شَرافَ" بنا فحيّت "أظبيةُ" أم أرى حُلُما خِداعا ؟
فإما أنت أو طيفٌ كذوبٌ كِلَا الزَّورين كان لنا متاعا(٩)

* * *

وقال وكتب بها الى أبى منصور بن المزرّع

مِلْ معى لا عليك ضرّى ونفعى نسأل "الجَزْعَ" عن ظباءِ "الجزعِ"(١٠)
قلتَ : لا تنطـق الديار ولا يمـ ـلك بالى الطلولِ سمعا فـيُرعى(١١)
وعلىّ السـؤالُ ليس عـلىّ الـ ـعارُ إن ضنّت المغانى برجعِ
لم أكن أوّلَ الرجال آلتوى صَغْـ ـوى لدار الأحباب أو مال ضامعى(١٢)
قـد شجا قلـبَى البكاءُ بنزف الـ ـأربع الحمـرِ فى الثـلاثِ السُّفعِ(١٣)(١٤)

(١) شراف : اسم ماء بنجد . (٢) الملا : الصحراء أوالمتسع من الأرض . (٣) المَلاع : المفـازة لا نبات فيها وهى أيضا من صفات العقاب . (٤) المصاع : المقـاتلة والمجالدة .
(٥) أشاط : سفك . (٦) الرباع جمع ربع وهو المنزل . (٧) فى الأصل "السعب" .
(٨) معزّبا : مبعدا ، وفى الأصل "معربا" . (٩) الزور : الزائر . (١٠) الجزع : اسم واد وديار باليمن . (١١) فى الأصل "باكى" . (١٢) الصغو : ميل الحنك .
(١٣) يريد بالأربع الحمر : الموقين والحاظين للعينين . (١٤) يريد بالثلاث السفع : ثلاث حجارة تنصب عليها القدر تسمى "الأثافىّ" جمع أثفيّة .

هل مجابٌ يدعو مبدِّد أوطا ... رى "بجَمع" يردُّ أيّامَ "جَمع"[1] ؟
أو أمينُ القوى أحمّله هـ ... ـمّا ثقيلا بحطّه دون "سَلع"
وعلى ذكره جرى باسمه المحـ ... ـفوظُ من عهد أهله والمرعى
فافرُجا لى عن نفحةٍ من صَباه ... طال مدّى لها الصليفُ[2] ورفعى
إن ذاك النسيمَ يجرى على أر ... ضٍ ثراها فى الريح رقيةُ لَسعى[3]
وخيام تُثنَى على كلّ بدرٍ ... ملكَ الحسنَ بين خمسٍ وتسعِ (٢٥٥)
وبما ضاق منكما واستباح الـ ... ـحبّ سلبى يا صاحبىّ وجفى
غنيانى[4] "بأمّ سعدٍ" وقلبى ... معَها ، إن قلبىَ اليومَ سمى
واصرفا عنّىَ الملامة فيها ... لستما تنقُلان باللوم طبعى
سألتْ بى : أنّى أقام ، وهل نا ... م بعينيه بعد هجرى وقطعى ؟
قيل : يبكى فى الرَّبع ، قالت : فما با ... لى أرى يابسا ترابَ الربيع !
خار قلبى فغاضَ فى الدار جفنى ... فاستحلّت دمى بتفريط دمعى
كم "بنجدٍ" لو وفّى أهلُ "نجدٍ" ... لفؤادى من شَعبةٍ أو صدعِ
وزفيرٍ علّمتُ منه حمامَ الـ ... ـبدّ وح ما كان من حنينٍ وسجعِ
وليالٍ قنعتُ منها بأضغـ ... ـاثِ الأمانى ومخلبات اللمعِ
ما أخفّ الأقدارَ فى غبنِ[5] حظّى ... وتعنّى أنسى وتفريق جمعى
كلّ يوم صَرفٌ يخابط أورا ... قى من الدهر أو يخالس فرعى
أرفع الضيم بالتجمل حتى ... مَرَدَ الخرقُ عن خياط الرقعِ
رفض الناسُ مذهب الجود حتّى ... ما يدينون للسماح بشرعِ

---

(١) أيام جمع : أيام منى . (٢) الصليف : صفحة العنق . (٣) فى الأصل "تسعى" .
(٤) فى الأصل "غبانى" . (٥) فى الأصل "عين" .

فســواء عليهـمُ أبجـــدٍ طَرَقَ الشِّـعرُ أم بسبٍّ وقـذعِ
وأمرُّ العطـاءَ نزرٌ كثيرُ الـ ـمنِّ حـتى آستحليت طعم المنعِ
أسأل الباخلين والله أولى بكريم الجـدا وحُسن الصـنعِ
وعـلى خطّة العـلا بعـد قومٍ طال باعى فيهم وأرحبَ ذرعى
هم حَمَـونى وما حمى حـدّ سيفى ووقَـونى ما لا تقيـنِيَ درعى
وأهابوا فـزعزعوا الدهرَ عـنّى وهو ليثٌ على الفريسـة مقعى (١)
قسما بالمنقّبات الهـــدايا شُـقَقِ الضابِ أو قسىِّ النبـعِ ،
كلّ جرداءَ لفّـها السـيرُ بالسيـ ـرِ فعادت فى النِّسع مثـلَ النسعِ ، (٢)
خضعت تحت رحلها بعسـيبٍ كان بالأمس مشرفا كالجـذعِ ، (٣)
نفضت بين "بابلٍ" و"منًى" قا ب ثلاثين ليـلة فى سـبعِ ،
تدرج الليـل بالنهـار فـما تأ نس فرقا ما بين رفع ووضعِ ،
طُلّعا من "أبى قُبيس" يُخيّلـ ـن حَمامًا على الهضابِ الفُـرعِ ، (٤)
تحمـلُ السُّهَّمَ الملاويحَ أشـبا حا توافَوا من كلّ فَجٍّ وصُقعِ ، (٥) (٦)
زمّلوا أوسُـقَ الذنوب وقضّـو ها حِصابا فى السبع بعـد السبعِ ، (٧)
لحَلا من "بنى المزرّع" مجنا ىَ وزكّى غرسى وريّع زرعى
الملبّـون غـــدوةً والملبّو ن دفاعا ولات ساعـةَ دفـعِ
كلّما هُزّت الحفائظُ منهـم أطلعـوها ملمـومةً كلّ طلعِ (٨)

---

(١) فى الأصل "مفع" . (٢) النسع : حبل من أدم تشدّ به الرحال . (٣) العسيب : عظم الذنب . (٤) أبو قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة . (٥) السهم جمع ساهم : وهو الذى تغير لونه و بدنه مع هزال . (٦) الملاويح جمع ملواح وهو الضامر . (٧) فى الأصل "الذبوب" . (٨) فى الأصل "أطلعوها ملومة كل ظلع" .

حملوا فوقها الشموسَ وقادو ... ها بفاءت من الدجى فى قِطَع (١)
يغسل العارَ عنهمُ لذعُ نُحرصا ... نِ قناها إن همّ عارٌ بلذع (٢)
واذا فار فيهمُ عرقُ "طيٍّ" ... أضرم الأصلُ نارَه فى الفرع
لبسوا النقع حاسرين فشقّوا ... بنجوم العلا ظلامَ النقع
بأنوفٍ فوق الملاثم شمٍّ ... ورقابٍ تحت المغافر تُلمع (٣)
كلُّ تالٍ أباه يجرى كما يجـ ... ـرى ويسعَى الى العلاء ويُسعى
سلكوا فى الكمال فانتظموه ... مُولَجَ الخيط فى ثقوبِ الجَزَع (٤)
يُرطبون القرى وقد أعجفَ العا ... مُ ومُدّت فيهم ذراعُ الضَّبُع (٥)
بعِلابٍ مفهّقاتٍ اذا ما ... ردّ شُخبيهِ حالبٌ فى الضَّرع (٦) (٧) (٨)
واذا عزّت البِكارُ عليهم ... لم يُغِدُّوا أعيارها بالكسع (٩) (١٠) (١١)
فزت منهم على الظما بقليبٍ ... لم يكدّر جماتِه طولُ نزعى (١٢) (١٣)
جئته ساغبا مُحلّا عن النا ... س جميعا فكان ريّى وشبعى (١٤)
وصلتْ بى حبلَ "المهذّبِ" أنوا ... ءُ سعودٍ ما كنّ أنجمَ قطع
ودعتنى الى هواه سجايا ... هنّ صَرفى عن سواه وردعى
بالبديع الغريب فيهم وما جا ... ءك من فضله فليس ببدع

(١) القطع : الجزء من الليل . (٢) الخرصان جمع خِرص وهو السنان . (٣) المغافر جمع مغفر وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس وتلع جمع أتلع وتلعاء : الطويل من الأجياد . (٤) الجزع : الخرز . (٥) الضبع : السنة المجدبة . (٦) علاب جمع علبة وهى قدح ضخم يحلب فيه . (٧) مفهّقات : ممتلئات ، وفى الأصل "مفقهات" . (٨) الشخب : ماخرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة للضرع . (٩) البكار جمع بكرة وهى الفتية من الإبل . (١٠) أعيار جمع عير وهو الحمار أيا كان وحشيا أوأهليا . (١١) الكسع : الطرد . (١٢) القليب : البئر . (١٣) جمات جمع جمة وهى معظم الماء . (١٤) يريد محلاً أي ممنوعا عن الورود .

(٢٥٦)

سوَّد النـاسُ ودَّهـم وجلا لى ... عن وجـوهٍ بيضٍ من الودّ نُصع
ردّ صـوتى ملبّيـا ورعانى (١) ... بيـدٍ كالغمام تُـروى وتُـرعى
لا بمبلغ غـريبها مـلء أيّا ... مَ فيـه ولا بـوَأْدٍ مقـعى
يا غياثى المبلوغَ قبل آجتهـادى ... وربيعى قبـل آرتيادى ونَجعى
وظلالى من الأذى بين قومٍ ... هجَّـروا بى (٢) فى القرقرىّ (٣) النقـع
كم كمين من راحتيـك كريم ... لم أُثِـرهُ برقُيـتى وبخَـدعى
جاء عفوا وعاد وِتْرا وقـد كا ... ن كفانى منـه وفورُ الشُّـفع
لم تُصِخْ للعـذول فى فرط أشعا ... رى ولم تـزدجر بنهيٍ ووزع
شيمـة ما نقلتُهـا عن أناسٍ ... حملوا هضبةَ العـلا غـير ظُلْع
كلّ ليثٍ مشى الرُّوَيدَ وخفَّفـ ... ـتَ الى سبقه خُفـوفَ السِّمع (٤)
بـك طالت يدى وخفَّ عـلى [كلّ] (٥) فؤادٍ يسـتثقل الفضـلَ وقعى
وتـنزَّهتُ عن معـاشَر لا يفـ ... ـتحُ أبوابَ جودهم طولُ قـرعى
صدتُ بالمضرحىّ (٦) أزرقَ (٧) فآستحـ ... ـيت صيدى بالنـاعقات (٨) البُقَع
لامنى الحاسدون فيك فآبوا ... بين زَبنٍ (٩) شاهَ الوجـوهَ وقَمعِ (١٠) (١١)
مالهم معرضين عـنّى ومصغيـ ... ـن لقولى إلا آصطلامى وجدعى

(١) فى الأصل "ودعانى" . (٢) هجروا بى : ساروا بى فى الهاجرة ، وفى الأصل "هجرونى" .
(٣) القرقرىّ منسوب الى قرقر وهو القاع الأملس المستوى . (٤) السِّمع : سبع مركب وهو ولد الذئب من الضبع ، أسرع من الطير فى عدوه ، ووثبته تزيد على مسافة ثلاثين ذراعا وهو شديد السمع يضرب به المثل فى ذلك فيقال : « أسمع من سمع » . (٥) ليست بالأصل . (٦) المضرحىّ : الصقر أو النسر الطويل الجناح . (٧) أزرق : وصف للمضرحىّ فنصب على الحال . (٨) البقع جمع أبقع وهو صفة للغراب لآختلاف لونه ، وفى الأصل النقع . (٩) الزبن الدفع ، وفى الأصل "زين" ، والقمع : ضرب أعلى الرأس . (١٠) الآصطلام : استئصال الأذن . (١١) الجدع : قطع الأنف . وفى الأصل "حدعى" .

ولك الصائبات حَبَّ الأعادى بسهام يدمين قبل النزع
كلّ ركّاضةٍ بذكرك فى الأر ض على ألسن الرواة الدُّلَّع
ما شسيات على الظراب(١) ولم تحْ فَ ولا قيدت قِبالا بشسع(٢)
لا يزاحمن ذا كُراعٍ(٣) ولا يُض رَبْنَ حول الحياض ساعةَ كرع(٤)
تقطع البرَّ بالمهارى(٥) الجديل يّ(٦) ات والبحرَ بالسفين القُلَع
نظَمتْها سماتُ مجدك فى الأس ماع نظمَ العذراء خيطَ الودَع
من علاك انتخبتُ(٧) حليةَ صوغى مستعينا وآخترت دُرَّة رصعى
فآستمعها لم يلقَ قبلى ولا قب لك ذو منطقٍ بها ذا سَمع
ساق منها النيروزُ عذراءَ لم تسـ ـمح لصهرٍ سواك قطّ ببُضْع
كثرت وهى دون قدرك فاعذر فى قصورى وآقنع بما قال وُسعى

* * *

وكتب الى الأمير أبى قوام ثابت بن علىّ بن مَزْيَد يذكر رسمه، وخلاصَه من جُدَرىّ كان عرض له، وأشرف منه على التلف

بدينك بعد ما آنفرق الجميعُ أتصبر أم يروعك ما يروعُ ؟
تداعوا بالنوى فسمعت صوتا يودّ عليه لو صَمَّ السميعُ
وزمّوها مسنَّمةً بِطانا تغصُّ بها النمارقُ(٨) والقُطوعُ(٩)

---

(١) الظراب جمع ظَرِب وهو ماحدّ طرفه ونتأ من الحجارة، وفى الأصل "الضراب". (٢) القبال: زمام النعل كالشسع. (٣) الكراع: مستدق الساق. (٤) الكرع: مد العنق بالشرب بالفم لا بكفّ ولا بإناء. (٥) المهارى: الإبل المنسوبة الى حىّ مَهرة بن حَيدان. (٦) الجديليّات: منسوبة الى الجديل وهو فحل تنسب اليه الإبل. (٧) فى الأصل "انخلت". (٨) النمارق جمع نمرقة وهى الوسادة الصغيرة يتكأ عليها. (٩) القطوع جمع قِطع وهى الطنفسة تكون تحت الرجل على كتفى البعير.

حوامِلَ كلَّ ما شكت[1] المطايا ... ولكن كلَّ[2] ما شكر الضجيعُ
تكلّفها الحُداةُ "ببطن خَبتٍ" ... من الأحداج ما لا تستطيعُ
اذا ما خفَّ أو نهض النواجى[3] ... مشت منها الحسيرةُ والظليعُ
وفى الأظعان متّهمٌ برىءٌ ... بخوته ومحفوظٌ مُضيعُ
ومنتفضٌ كأنّته "بنجدٍ" ... له "بالغور" مقتنص صريعُ
ومن سِرّ[4] العشيرة من "مَعَدّ" ... — مكانَ النجم — باذلةٌ منوعُ
عصىُّ الرِّدف ليّنة التثنّى ... تقسَّمَ خصرَها شِبعٌ وجوعُ
اذا سئلت فراحةٌ زبونٌ ... وإن وعدت فغالبةٌ لموعُ
جرى بهمُ "أشىٌ"[5] فعبّ بحر ... حمولُهمُ سفائنُه القلوعُ
غوارب، فارتجعت الىَّ طَرفى ... يناشد "ذا الأراكِ" متى الطلوعُ
ألا هل — والمنَى سفهٌ وحلمٌ ... وصادقةٌ تسرّك أو خَدوعُ — :
لظمآنٍ "ببابلَ" من سبيلٍ ... الى الماء الذى كتم "البقيعُ"؟
وبانات على "إضمٍ" رِواء ... سقاها كأسَ نُخبتِه الربيعُ
تقوّدها الصَّبا غصنا لغصنٍ ... فتعصى[6] فى المَقادة أو تُطيعُ
ترنّمُ فوقها وُرْقُ العشايا ... لمغتبقٍ سلافتُهُ الدموعُ
يظنّ الغادرون بكاى خُرقا ... وأن وفاىَ بعدهمُ خضوعُ
وليس وإنما زمنٌ تولّى ... "بغُرّب"[7] ما لفائته رجوعُ
وعهد ضاع بين يدى وخصمى ... وما يرعاه مثلى لا يضيعُ

(١) فى الأصل "كلما سكت" . (٢) فى الأصل هكذا "كلما" . (٣) النواجى جمع ناجية وهى الناقة السريعة . (٤) السر : محض النسب . (٥) أشىّ : اسم واد باليمن . (٦) فى الأصل "فتنضى" . (٧) غرب كسكر : اسم جبل وماء بنجد .

وقبلكمُ صعبت على المَلاوى[1] فطار عن النزاع بِيَ النزوعُ
ومرَّتْ سلوة بصُدوعِ قلبى فمات الداء وٱلتأمَ الصدوعُ
وهمٍّ قد قريتُ فبات عندى له الوجناءُ[2] والعطن الشريع[3]
أضمُّ صرامةً جنبىَّ منه على أضعافِ ما تسعُ الضلوعُ
وقافيةٍ طغت فنهست منها بفىَّ مكانَ لا يرقَى اللسيعُ
يسوغ الشهدُ منها فى لَهاتى وفيها الصابُ والسمُّ النقيعُ
اذا ما راضها غيرى تلوَّتْ تلوِّى البَكرِ[4] حارفَه القطيعُ
وحاجةِ ماجدِ اليد مستطيلٍ الى الغايات يقصُر أو يبوعُ
حبيبٌ عنده طولُ الليالى كأنّ سهادَه فيها هجوعُ
ركبت الى الخِطارِ بها زَماعى[5] وناجيةً[6] مسابحُها[7] الهزيعُ[8]
اذا زفرتْ من الظمأ المطايا فليلةُ[9] عشرِها[10] أبدا شُروعُ[11]
خوارق فى أديم الأرضِ طورا وأحيانا تُخاط بها الرقوعُ
اذا ٱختلفت أسامى السير يوما فكلّ ٱسمٍ لمسراها السريعُ
تُيمِّمُ من بنى "أسَدٍ" بيوتا "بابلَ" جارُها الجبلُ المنيعُ
وتَنشَقُ من ثرى "عَوفٍ" ترابا يمُّ بطيبه الكرمُ الرديعُ[12]
يضعن عليه أعناقا رِقاقا بها من غير ذلّتها خشوعُ

---

(١) الملاوى : الطرق الملتوية . (٢) الوجناء : الناقة الشديدة . (٣) العطن : الماخ حول الورد والشريع : المشروع بالماء، وفى الأصل "السريع" . (٤) البكر : الفتى من الإبل . (٥) الزماع : المضى فى الأمر والعزم عليه . (٦) الناجية : الناقة السريعة . (٧) فى الأصل "مابحها" . (٨) الهزيع : جزء من الليل . (٩) فى الأصل "فليلة" . (١٠) العشر : الورود على الماء فى اليوم العاشر . (١١) الشروع : الدخول فى الماء والخوض فيه، وفى الأصل "سروع" . (١٢) الرديع : الذى به أثر الطيب .

اذا قِيـدت بجـوٍّ "مَزيَدِىٍّ" لواها الخِصبُ والوادى المَـريعُ (١)

طوالبُ "ثابتٍ" (٢) حيث ٱطمأنّت من المجـد الذوائبُ والفـروعُ

اذا غُنِّينَ بٱسم "أبى قوامٍ" (٣) ترنّحت القـوائمُ والنسـوعُ (٤)

طربن لضاحك العَرصات تَغنى الرياضُ بـه ويبتهج الربيـعُ

وريّ (٥) الوجهِ (٦) يظهـرُ ثم يخفَى وراء لثامه الفجرُ الصـديعُ (٧)

اذا ٱعتقـل القناةَ ندًى وبأسا تلاقى المـاءُ فيهـا والنجيـعُ (٨)

كريم الأريحيّـةِ تطّبيـه (٩) رياحُ المجـد تُكتَم أو تَشـيعُ

يروقه الغنى لم يبن مجـدا وتُبطِـره الخصاصـة والقنوعُ

اذا ٱبتـاع المكارم لم يُسـفّه من الأعواض (١٠) ما فيهـا يبيـعُ

أناف به على شـرف المعـالى سمـوُّ النفس والحسبُ الرفيـعُ

وبيتٌ بين "غاضرةٍ" و"عوفٍ" تُناصِى عِيصـه (١١) الشَّرَفُ (١٢) الفـروعُ (١٣)

اذا الأنسـابُ أظلمت ٱستبنْتْ لكوكبه الإضاءةُ والنصـوعُ

من النفـر الذين هم ٱتحـادا كوُسطى العِقد فى "مضرٍ" وقوعُ

تَحضَّنهم (١٤) حواضنُ مُكرَماتٌ ففـات الكهلَ طفلُهم الرضـيعُ

ومدّوا من "خُزَيمـةَ" خيرِ عِرقٍ اذا لم يكرم الفحل القـريعُ (١٥)

---

(١) المريع : الخصيب والكثير الخير . (٢) فى الأصل "طالب" واسم الممدوح "ثابت" وفيـه شىء من حسن التورية . (٣) القوائم : جمع قائمة وهى واحد ةقوائم الدابة ليديها ورجليها . (٤) النسوع جمع نسع وهو المفصل بين الكف والساعد . (٥) يقال : زند وريّ أى خرجت ناره وهو كناية عن الإضاءة . (٦) فى الأصل "الوجد" . (٧) الصديع : المسفر . (٨) النجيع : الدم . (٩) تطيبه : تزدهيه . (١٠) الأعواض : جمع عوض وهو الخلف والبدل ، وفى الأصل "الأعواص" . (١١) العيص : الأصل . (١٢) الشرف : جمع شرفة وهى ما أشرف من البناء . (١٣) الفروع : المرتفعـة . (١٤) فى الأصـل "تحضنهم" . (١٥) القريع : الشديد المختار .

اذا جلسوا تجمّعت المعالى ... وإن ركبوا تفرّقت الجموعُ
لهم حَلَبُ الندى وحَيا المَقارِى[1] ... اذا جفّت من السنة[2] الضروعُ
اذا نحمد الوَقودُ ذكت وجوهٌ ... تضيء لهم وأعراضٌ تضوعُ
يشُبُّ الحربَ منهم مطفئوها ... ويُعطِى الأمنَ فيهم مَن يروعُ
اذا نبَتِ السيوفُ مضت قلوبٌ ... وإن قصُر القنا وصلته بوعُ
ولم يتدرعوا سقفا ولكن ... جسومٌ تستجنّ بها الدروعُ
مضَوا سلفا وجاء "أبو قوامٍ" ... فأقبلَ سرُّ مُعجزِهم يذيعُ
فكان البدرَ تصغُر جانبيه الـ ... ـكواكبُ وهى ثاقبةٌ طُلوعُ
اذا وُزِنوا به رجَحتْ عليهم ... موازينٌ بسودَدِه وصوعُ[3]
هو الأسد الوحيدُ اذا أغاروا ... وفى الشُّورى هو الرأى الجميعُ
وقاكَ[4] حذارَكَ المالُ الملقّى ... وبلّغك المنى السيفُ القَطوعُ
وكانت نفسُك المدفوع عنها ... بصبرك كلّما جزِع الجزوعُ
وساق لها الغريبَ من المعالى ... غريبٌ من خلائقها بديعُ
كما وُقِّيتَ أمسِ وقد تقصّى ... علاقةَ جسمك الداءُ الوجيعُ (٢٥٨)
محى تلك الكُلومَ العُورَ ماجٍ ... وعفّى ذلك الوسمَ القطيعُ
وكنت السيفَ جوذبَ من صداه ... بصقلٍ وهو مخبورٌ صنيعُ
وكان معطّلا فغدت عليه ... حُلِىٌّ ما تَسَلَّمُ أو رُصوعُ
وظنّ بك العدا أن يبلغوها، ... منًى — وأبيك — فاركةٌ[5] شَموعُ[6]

(١) المقارى جمع مَقرًى وهى كل ما اجتمع فيه ماء المطر من كلّ جانب . (٢) السنة : القحط والجدب . (٣) صوع : جمع صاع وهو المكيال الذى يكال به ، وفى الأصل "وضوع" .
(٤) فى الأصل "وقال" . (٥) الفاركة : المبغضة زوجها . (٦) الشموع : المزّاحة .

فرِدْ حوضَ البقاءِ وهم عطاشٌ ... وطِرْ بالمكرُماتِ وهم وُقوعُ
وعِشْ تبلغْك منى شارداتٌ ... زوائرُ كلّما هجر القَطوعُ
لها فى الحسن ينبوعٌ مديدٌ ... وفى الإعجاز جِنّيٌّ مُطيعُ
تقود اليك أبكارَ المعانى ... وفى الشعر : المكرَّرُ والرجيعُ
تخازرك(١) العدا حَسَدا عليها ... اذا غنّى بها الاسنُ(٢) الدليعُ
لك الإفراط منها والتغالى(٣) ... ومنك لها التطوُّلُ والصنيعُ
فلا تقطع(٤) لها رَسَما فأنت الـ ... ـربيعُ(٥) ووقتُ نائلك الربيعُ(٦)

❖ ❖ ❖

وكتب الى الوزير ذى السعادات أبى الفرج بن فسانجس وهو بالبصرة

نشدتُك يابانةَ "الأجرع" ... متى رفعَ الحىُّ من "لعلع"
وهل مرَّ قلبىَ فى التابعيـ ... ـن أم خارَ ضعفا فلم يَتبَع؟
لقد كان يُطمعنى فى المُقام ... ونيّتُه نيّةُ المزمع
وسِرْنا جميعا وراء الحُمول ... ولكن رجعتُ ولم يرجِع
فأنتَ لكِ بين القلوب ... اذا اشتبهت أنة الموجَع
وشكوى تدلُّ على سقمه ... فإن أنتِ لم تُبصرى فاسمعى
وأبرحُ من فقده أننى ... أظنُّ الأراكةَ عنّى تعى
يلوم على وطنى وافرُ الـ ... ـجوانح ملتئمُ الأضلع
ببارح طيرَ النوى(٧) لا يقال ... بأبترَ منها ولا أبقعِ(٨)

---

(١) تخازرك : تنظر اليك محدّدة . (٢) فى الأصل "الذكيع" . (٣) فى الأصل "التعالى" .
(٤) فى الأصل "يقطع" . (٥) الربيع : المطر . (٦) الربيع : أحد فصول السنة .
(٧) لا يقال : لا يتطير . وفى الأصل "يقال" . (٨) الأبتر والأبقع من صفات الغراب .

وقال : الغـرام مـدًى لا يُرام ... فخـذْ منـه شيئا وشيئا دع
تصـبَّرْ على البين وآجزعْ له ... ولو كنتُ أصـبرُ لم أجزع
وفى الركب سمراءُ من "عامرٍ" ... بغـير القنا السُّمرِ لم تُمنَـع
أغيلمـةُ الحيِّ من دونها ... تجـرُّ الذوابـل أو تـدَّعى
تطـول عرانينُهـم غَـيْرةً ... اذا ما آستعير آسمها وآدُّعى
رجالٌ تقـوم وراءَ النسـاء ... فيحمِى اللثـامُ عن الـبُرقُع
أدرْ يا نديمَ كأسَ المـدام ... فكأسىَ بعـدهُمُ مـدمعى
فإن كان حدُّك فيها الثلاثَ ... فإنىَ أشـرب بالأربَـع
وزَورٍ(١)، ولسـنا بمستيقظينَ ... "ببطن العقيقِ" ولا هُجَّـع ،
تُرفِّعنا جاذباتُ السُّـرى ... وتخفضنـا فـترةُ الـوُقَّع ،
سَرَى يتبعُ "النَّعفَ" حتى أطابَ ... حثيثَ الترابِ عـلى "ينبُـع"
فبـلَّ الغليـلَ ولم يُـروِه ... وأعطَى القليـلَ ولم يمنـع
يدٌ نصـعتْ لسـوادِ الظلام ... ومن لكِ بالأسودِ الأنصع ؟
تبَرَّعَ من حيث لم أحتسبْ ... بهـا وسـقَى حيث لم أشـرَع
رأى قلـقى تحتَ أرواقـه ... فـدلَّ الخيـالَ عـلى مضجعِى
نذيـرىَ من زمنٍ بالعتـا ... ب عن خُلْقِـه غيرِ مسـترجع
ومن حاكم جائـرٍ طينُـه ... عـلى طـابع الحق لم يُطبَـع
يميـلُ على الحُمُـر المقرباتِ ... ويغضب للأسمـرِ الأجـدع
يكاثرنى واحـدا بالخطوب ... ويحمِـلُ منّى عـلى أَضلَعِ(٢)
ويأكلنى بتصـاريفـه ... فهـا أنا أفـنَى ولم يشـبع

(١) الزور . الزائر . (٢) الأضلع : الشديد القوىّ الأضلاع .

وكم قام بينى وبين الحظوظِ ... وقـــد بلغتنى فقـال : ٱرجعى
ولاحظنى فى طـريق العـــلا ... أمُرُّ عـلى الجَـدِدِ[1] المهيعِ[2]
فقـال لشـيطانه : قم اليـ ... ـه فٱحبس بـــه الركب أو جمعجعِ[3]
فـلا هو فى عَطَـنى ممسـكى ... ولا تاركى سارحا أرتـعى
" أبغداد " حُلتِ فما أنتِ لى ... بدارِ مَصيفٍ ولا مَـربعِ
صـفرتِ فما فيـك من دَرَّةٍ ... يقـوم بهـا رمـقُ المرضَعِ
ودفَّعتَ " البَصرةُ " المجـدَ عنـ ... ـك حتّى ضعُفتِ فـلم تدفعى
فمـال اليها فشـــلَّ الصليـ[4] ... ـفَ عنك وملتفَتَ الأخـدعِ[5]
فخـلِّ لنـا نحـوها طـرفَنـا ... وطيرى لنـا حسَـدا أو قَـعى
الى كم يُزخـرَفُ لى جانبـاك ... خـداعا ولو شـئتُ لم أُخدعِ
وكم أسـترقّ عـلى شـاطئيك ... بمغـرِب شمسـك والمطلِـعِ
وتهتفُ "دِجلةُ" بى و"الفراتُ": ... حـذارِ من الآجن المنقعِ
وتربة أرضِـك لاتسـمحنَّ ... بجـرائها للـثرى الأسـفعِ
ويرتاح وجهى لـبَرد النسـيم ... ونارُ الخصاصـةِ فى أضلعى
وما أنتِ إلا وميضُ السـراب ... عـلى صـفحة البـلد البلقعِ
وما لىَ أقمَـحُ[6] ملـحَ المياه ... اذا كنتُ أشربُ من أدمعى
وهـل قاتلى بـلدٌ أن أقـيـ ... ـم اذا خُطَّ فى غـيره مصـرعى
حفظتُكِ حتى لقـد ضِعتُ فيكِ ... فخفِّضَ[7] حبُّـكِ من موضعى

(١) الجدد : ما ٱسترقّ من الرمل . (٢) المهيع : الواسع . (٣) جمعجع : ٱلزم وبرك .
(٤) الصليف : صفحة العنق . (٥) الأخدع : عرق بالعنق . (٦) أقمح : أرفع رأسى ٱستكراها للشرب . (٧) فى الاصل " لخفض " .

ولو كنتُ أنصفتُ نفسى وقد ... قنعتُ بأهلكِ لم أقنع
غدا موعدُ البين ما بيننا ... فما أنتِ صانعة فاصنعى
عسى الله يجعلها فُرقةً ... تعود بأكرم مستجمَع
وتأوى لهذى الأمانى العِطاشِ ... فتأوى الى ذلك المشرع
ويسعدها الحظّ من ظل ذى الـ ... ـعادات بالجانب الممرِع
فيرعى الوزيرُ لها آبنُ الوزيـ ... ـرِ ما ضاع عندكِ لمّا رُعى
سيعصِفُ حادى القوافى لها ... هُبوبا الى الملكِ الأروع
فتُنصَرُ بالمحتمى المتّقَى ... وتُجبَرُ بالرازق الموسِع
فتًى عشقَ المجدَ لما سَلَا ... وعاش به الفضلُ لما نُعِى
وجمّع من فِرَقِ المكرماتِ ... بدائدَ لولاه لم تُجمَع
غلامٌ أنافَ بآرائه ... على كلّ كهلٍ ومستجمِع
ومدّ بباع آبن ستين وهو ... بباع آبن عشرين لم يذرَع
ودلّ بمعجزِ آياتِه ... على قدرة الخالق المبدِع
نوافرُ قرّت له لم تجزْ ... بظنٍّ ولم تمش فى مطمع
رأى اللهُ تكليفَه شرعَها ... فقال له : بهما فاصدَعِ
سقى كلّ ضدّين ماء الوفاقِ (٢) ... بكأسِ سياسته المترَع
فخيسُ الأسودِ كناسُ الظبا ... ءِ والماءُ والنارُ فى موضع
وجمّاء (٣) من سَرح أمّ البيتـ ... ـم تنهَلُ والذئبَ من مكرَع
وسدّ بهيبته فى الصدور ... مسدَّ الظُّبا والقنا الشُّرَّع

(١) فى الأصل " ضانعه " . (٢) فى الأصل " النفاق " . (٣) الجماء : الشاة لا قرن لها ، وفى الأصل " حماء " .

فـلو لطم الليثَ لم يفـترِسْ ولـو وطِئ الصِّـلَّ لم يَاسَـعِ
سل "البَصرةَ" اليومَ من ذا دعا لهـا وبأىّ دُعاءٍ دُعِى
وكيف غـدا جَنـةً صـيفُها وكانت جحـيما عـلى المـرتعِ
ومن ردّها وهى أمّ البـلا د أُنسا على وحشـة الأربُعِ
محرَّمـة أن يحـومَ الزمانُ عليهـا بأجـدائه الوُقَّـعِ
وكانت روائـعُ أخبـارهـا مـتى يَروِها ناقـلٌ يُفـزِعِ
طـلولا تَتـاعبُ غـربانُهـا اذا الديك أَصـبحَ لم يَصْـقَعِ (١)
يرى المـرء من دمـه فى قميص أخيـه صـبائغَ لم تنصَـعِ
فـكم رحِـمٍ ثمَّ مقطوعـةٍ ولـو ربَّهـا الحـزمُ لم تُقطَعِ
ومن طامعٍ فى المـوَلَّى عليـه ولو سيس بالعـدل لم يطـمَعِ
رأى اللهُ ضـيعتها فى البـلاد (٢) فأودعَهـا خـيرَ مسـتودَعِ
ورَدّ لهـا الشمسَ بعـد الغروبِ بغـيرِ "علىٍّ" ولا "يُوشَعِ" (٣)
فبلِّغ "ربيعـةَ" إن جئتَهـا و"سعدًا" وأسمعْ "بنى مِسْمَعِ" (٤):
ضـعى أهَبَ الحرب وٱستسلمى لمـالكِ أمـرك وٱسـتضرعى
ويكفيـكِ متقعا فى الحـديـ ـد أن تأبُرى (٥) النخلَ أو تزرعى
فقـد منع السَّرحَ ذو لِبـدتين (٦) مـتى ما يُهَجْهِج (٧) به يُوقَـعِ (٨)
وسَـدّت عليك مَجَـازَ الطريـ ـق مسـحبةُ الأرقمِ الأدلـعِ
وضمَّ عراقَكِ من "فارس" شريفُ المغـارس والمَفـرَعِ

(١) لم يصقع : لم يصح . (٢) فى الأصل "صبعتها" . (٣) يشير الشاعر الى قصة على ابن أبى طالب والى قصة يوشع بن نون والى كليهما ينسب رجوع الشمس بعد غروبها . (٤) مسمع وما قبلها من الأسماء : آباء قبائل . (٥) أبر النخل : تعهده بإصلاحه . (٦) ذو اللبدتين : الأسد . (٧) يهجهج به : يزجره . (٨) الأدلع : الذى يخرج لسانه فى العدو .

بطىء عن الســوء ما لم يُهَــجْ[1] فإن يــر مَطعمةً يُســرِعِ
من القــوم تعصِف أقلامُهــم لــواعب بالأســلِ الزعزعِ
وتقضي على خرزات المــلوك عمـائمُهــم وهى لم توضَــعِ
ويقعَص[2] بالبطــل المستميت لسـانُ خطيبهــم المِصــقعِ
اذا آدّرعــوا الرَّقْمَ[3] والعبــقرِىَّ[4] ســطَوا بالــتِرائك[5] والأدرعِ
لهــم فى الــوزارة ما للــبرو ج فى الأفق من مطلِعٍ مطلِعِ
مواريثُ[6] مــذ لبسوا فخــرَها على أوّل الدهــر لم يُــنتَزَعِ
هُمُ ومنـابتُ هــذى المــلوك من النبـع[7] والنـاسُ من خِروعِ
تصلصلَ من [طينهـا][8] طينُهــم كما المـاءُ والمـاءُ من مَنبَعِ
قُرِنــتم بهم فى شــبابِ الزمانِ قرينــةَ "عادٍ" الى "تُبَّــعِ"
فمن قال : "آلُ بويه" الملوكُ هُمُ "آلُ عبـاسَ" لم يُــدفَعِ
تنــوط وزارتُــكم ملكَهــم مناطَ المعاصــمِ بالأذرعِ
فيا ابنَ الوزيرين جــدًّا أبًا[9] وأنلتْ اذا شــئت أو أربِــعِ
الى حيث لا يجِــدُ الناسبون وراءَ "المجرّة" من مَرفعِ
بحقِّ مكانُك من صــدرها وكلُّهُمُ غاصبٌ مــدّعى
وإنى لأعجبُ من عاجــزٍ مــتى تتصــدَّ لها يَطمعِ
ومن مستطيلٍ لها عرقُهُ الى غــير بيتــك لم يــترِعِ

(١) فى الأصل "تهج" . (٢) يقعص : يقال : قعصه أى قتله مكانه . (٣) الرقم : ضرب مخطّط من الخز . (٤) العبقرىّ : ثياب فى غاية الحسن منسوبة الى "عبقر" اسم مكان .
(٥) التراثك جمع تريكة وهى بيضة الحديد . (٦) فى الأصل "موايث" . (٧) النبع : شجر صلب تعمل منه القسى ، ومن أغصانه تعمل السهام ، والخروع : كلّ نبت ضعيف يتثنّى .
(٨) ليست بالأصل . (٩) فى الأصل هكذا * فيا ابن الوزيرين حدابا *

يمـــدّ لهـا يـــدَه أجـــذَما وأين السّـــوارُ من الأقطعِ (١)
أيا حامىَ الـــذود ما "للعـــرا ق" أُهمِـــلَ بعضٌ وبعضٌ رُعى !
فمن جانبٍ بـــلدٌ جُرحُـــه بعـــدلك أُلحـــمَ لمّـا رُعى (٢)
ومن جانبٍ بـــلدٌ لا يرى لخُرق الصّـــبا فيه من مَرتَعِ
وما مِثـلُ شمســـك ممّـا تَخُصّ فَعُـــمّ البـــلادَ بهـا وأجمـعِ
"وبغداد" دارُ حقوقٍ عليـــك مـــتى ترعَ أيســـرها تقنـــعِ
فسلطانُ عزّك لم يقهـــر الـ ـعـــدا فى ســـراها ولم يقمعِ
"وجعفرُ" ما "جعفـــر" المكرما تِ لم يســـلُ عنها ولم يـــنزِعِ (٣)
وكم جـــذع منك أقرحتـــه (٤) ومثغـــر بعـــد لم يجـــذَعِ (٥)
وأنت وإن كنتَ جنّبتهـا فـــلم ترعَ فيها ولم ترتـــعِ
فعنـــدك منهـا الذى لا يُرَى، محاسنُ تبصَـــرُ بالمَســـمَعِ
فجـــرِّدْ لها عزمةً كالحسام متى ما يجِدْ مفصِـــلا يقطـــعِ
فإن الطـــريق اليها عليـ ـك غـــيرُ مُشيك ولا مُســـبِعِ (٦) (٧)
متى رمتهـا فهى من راحتيـ ـك بين الرواجب والأشجـــعِ
بنـا ظمأٌ إن جفانا حيـــاك وواصـــلنا الغيث لم ينقـــعِ
فعوثا فمـا زلت غـــوث اللهيف مـــتى يدع مستصرخا تســـمعِ
ولو لم يكن غـــيرأنى أراك فيفزع فضـــلى الى مَفـــزَعِ

---

(١) الأقطع والأجذم : المقطوع اليد . (٢) فى الأصل "وعى" . (٣) الجذع : الفتى . (٤) أقرحته : جعلته قارحا : وهو المسن . (٥) المثغر : الذى سقطت أسنانه . (٦) الرواجب جمع راجبـة وهى مفاصل أصول الأصابع . (٧) الإشجع بالفتح والكسر وجمعه أشاجع وهى أصول الأصابع من الكف .

فإن يجمع الله هـذا الثناءَ وتـلك المكارمَ فى مجمـع
وإن لم أسِـرْ فانتشلنى اليـك وقُـدْنى بحبـل(١) الثنا أتبـع
ورِشْ بالنـوال جَناحى أطـرْ وبالإذنِ فى مَهَلى أُسـرِع
فما تطرح الأرضُ وفـدا اليـ ـك أحسنَ عندك من موقعى
ولو ساعد الشـوقَ طَوْلُ اليـك طلعتُ به خـيرَ مسـتطلَع
فغيبـةُ مثـلى عن موضع — وإن عزَّ — عمرٌ على الموضِع
وإنى لقعـدةُ مسـتفرِهٍ(٢) بصـيرٍ ومتعـةُ مستمتِـع
شهـابٌ على أنديات المـلوك مـتى يُقتبَسْ بالنـدى يلمـع
وإن لم يبِنْ شـبحٌ ذابـلٌ عـلى طـودِ ملكِكم الأتلع(٣)، (٢٦١)
فإن القُـلامةَ فى ضعفها تعان بهـا بطشةُ الإصـبع
لكم فى يدى وفى صارمانِ بصـيرانِ فى القـول بالمقطع
ومن دون ذلك رأىٌ يسـ ـدُّ ناحيـةَ الحادثِ المُفظِـع
ومفضَى الأمانة مـنى الى صـفاةٍ من الحفظِ لم تُقـرَع
فإما علمت وإلا الخبـيرُ فسـلْهُ فمثـلى لا يـدّعى
بقيت لمعوز هـذا الكلام مـتى أدعُ عاصـيهُ يَخْضَـع(٤)
وحيـدا أُحيِّا بهـا، إن حضرتُ مُدحتُ(٥) وإن غبتُ لم أُقذَع(٦)
وهـل نافعى ذاك ؟ بل ليت لا يضـرّ اذا هـو لم ينفـع
سمعتُ الكثير وما إن سمعتُ بأكسـدَ مـنّى ولا أضـيع

(١) فى الأصل "بحل" . (٢) المستفره : المستكرم . (٣) الأتلع : الطويل .
(٤) يخضع : ينقاد . (٥) فى الأصل "عبت" . (٦) أقذع : أسب وأشتم .

لعـلك تأوى لهـا قصـةً ... الى غـير بابـك لم تُرفَـعِ
ومَـن كنتَ حاكمَ أيّامه ... متى يطلب النّصفَ لا يُمنَـعِ
متى تصطنعنى تجـد ما أقترحت ... مكان اغتراسك والمصـنَعِ
وعـذراء سقتُ لكم بُضـعَها ... ولـولا رجاؤك لم تُبضـعِ
من المـالكات قلوبَ المـلو ... ك لم تبتـذّل ولم تخشـعِ
تصـلى القـوافى الى وجهها ... فمن ساجداتٍ ومن رُكّعِ
أقتُ وقـدّمتُها رائـدا ... فشـفّع وسـيلتها شـفّعِ
عصتنى الحظـوظُ فيا بدر كن ... دليـلا عـلى حظّىَ الطيِّـعِ
فـلا غرو أن أقهَر الحادثاتِ ... ورأيُـك لى ولسـانى معى

* * *

وقال يمدح ركن الدين جلال الدولة أبا طاهر بن بويه ويذكر الأتراك فى شَغبهم عليه وعودهم الى الطاعة

فى كلِّ دارٍ عـدوٌّ لى أقاذعُهُ ... وعاذلٌ أتّقيـه أو أصانعُـهُ
وآمـرٌ بسـلوٍ لا يطـاوعنى ... قلبى عليـه وناهٍ لا أطاوعُـهُ
يعيـا بوجدى ولم يجمـل بكاهله ... ثِقـلى ولا ضمنت قلبى أضالعُـهُ
كأننى أوّل العشاق طـال له ... مغنى الأحبـةِ وارفضت مدامعُهُ
عابوا وفائى لمن أهوى وقد علمـوا ... أن الخيـانة ذنبٌ لا أواقعُـهُ
وهل تصـح لمأمونٍ أمانتهُ ... يوما اذا الحبّ لم تُحفظْ ودائعُـهُ ؟
نعم وقفتُ على الأطـلال أسألهـا ... ما كلّ مستخبَرٍ تُصغى مسامعُهُ
وقـد يجيبك وحيـا مَن تخاطبه ... وتفهم القـولَ ممن لا تراجعُـهُ
وما رجوتُ "بذات البان" من سفهٍ ... دنوَّ من شَسَعت عنى شواسعُهُ

وما وقفتُ لبـــدرٍ غاب أطلبـــه جهـلا ولكن شفَتْ عيني مطالعهُ
وكلّ من فقد الأحبابَ ناظرُه مُسرَّحُ الطرفِ فى الآثار نافعُـــهُ
وفى الظعـائن خـــلّابٌ بموعده خَـــلَابةَ البرق لم تصدُقْ لوامعُهُ
مقنَّـــعٌ، لُـــثُمُ الأبطـال يحدِرُها ذليـــلةً ما تـــواريه مَقانعـــهُ
ظبي يصدّ عن المرعى النفوسَ فقد صارت حِمًى بالدم الجارى مراتعُهُ
لا يُقتَضَى عنـــده ثأرٌ ولا تِرَةٌ[1] ولا يُعاب بحبنٍ من يقـارعهُ
إن شاء أنكر أو إن شاء معـــترفا بالقتـــل لم يتعسَّـــفْه توابعُـــهُ
وكيف يَجحدُ قتـــلاه اذا شهدت خـــدّاه بالدمِ أو باحت أصابعُـــهُ
يا تاركى مثَـــلًا فى النـاس منتشرا تدور شائعـــةٌ[2] فيهـــم وشائعُـــهُ[3]
ما سلّط الله أجفانى على جـــلَدى إلا ومحفوظُ سِرّى فيـــك ضائعُهُ
من أحدثَ الغدرَ دِينا فاستننت به ومن أباحتك تعـــذيبي شرائعُهُ؟
بلى هـــو الدهر مفطـــورٌ خلائقُه على الفســـاد ومجبـــولٌ طبائعُـــهُ
أما ترى مَلِكَ الأمـــلاك خاونه عبيـــدُه وعتت كفرا صنائعُهُ
ثعالبٌ تتعـاوى ساقَها وَعِـــلٌ[4] لضـــيغمٍ لم تزعزعـــه زعازعُـــهُ ٢٦٢
ما قمت تزأرُ منهـا واحدا صَمَـــدا إلا وجبّـار ذاك الجمـــعِ خاشعُهُ
رأوا ولاءَك وسمـا فى جباههـــمُ فـــذُلُّهم لك إن عزُّوا طوابعُـــهُ
من كلّ قلبٍ قسـا والرقّ يخصمه حـــتى يرقّ ونعماكم تنازعُـــهُ
وكيف تَعصِى [رقابٌ][5] أنت مالكها ملك اليمين وسيفٌ أنت طابعُـــهُ

(١) الترة : الثأر والعداوة . (٢) فى الأصل "سابعة" . (٣) الوشائع جمع وشيعة وهي الطريقة فى البرد وهي هنا مجاز . (٤) الوعل : تيس الجبل . (٥) ليست بالأصل .

وهـل هباتك يبغيها مغالبـةً ... من أنت واهبُـه أو أنت بائعُـهُ
عادوا وبَسـطةُ أيديهـم تثقّلُهـا ... أغلالُ مَنِّكَ فيها أو جوامعُـهُ
يرعون ما أثمر البغىُ الذى غرسوا ... والبـغىُ معروفَة العقبى مَصارعُهُ
يـلوذ بالعفو منهـم كلُّ ذى شَمَمٍ ... بأنفـه ، بأسك المحذور جادعُـهُ
وحسب عاصيك ذلًّا إذ صفحتَ له ... عن الجريرة [أن](١) الذلَّ شافعُـهُ
وأنت كالسيف لم ينضُبْ بصفحته ... ماءُ الفـرندِ ولم تَثلِمْ مَقاطعُـهُ
راموك والله رامٍ دون ما طلبـوا ... وهل يفـرِّقُ شملٌ وهو جامعُـهُ
عـوائدٌ لك تجـرى فى كَفالتِه ... لا يجـبرُ الله عظما أنت صادعُـهُ
كم قبـل ذلك من فتقٍ مُنيتَ به ... والله ـ من حيث يخفى عنك ـ راقعُهُ
ضاقت جوانبـه وآشتد مخـرجُهُ ... وأنت فيه رحيبُ الصـدر واسعُهُ
ردًّا اليـه وتسليما لقـدرته ... فيما تحاوله أو ما تدافعُـهُ
فهبْ عبيـدَك للعطيك طاعتَهـم ... فأنت فى العفو عن عاصيك طائعُهُ
وآعطف عليهم فهم أنصارُ دولتكم ... ببأسهم كلُّ خصم أنت قامعُـهُ
يامن اذا قال : هل فى الأرض من ملكٍ ... سـواى لم يَرَ مخـلوقا ينازعُـهُ ! ؟
من مات من قومك الصيد الكرام فقد ... احياه ذكرُك وآبتلّت مضاجعُـه
ومن على الأرض منهم سـيِّدٌ ملكٌ ... فأنت خافضُـهُ أو أنت رافعُـهُ
الله سربلكم بالملك مَصـلحةً ... للعالمين ، فمن ذا عنك نازعُـهُ
وهل يقـوَّضُ بيتٌ من رجالكم ... عمـادُه وبأيديكم مجامعُـهُ
فـركنُ دولتـكم بالأمس أوّلُه ... وأنت يا ركنَ دينِ الله رابعُـهُ
مات الملوكُ على عصيانهـم كمدا ... بـه ، فكاتمُ داءٍ أو مذايعُـهُ

(١) ليست بالأصل .

تمضى على حكمه الأفلاكُ دائرةً ... فكلّ سعد جرى فيهن طالعُهُ
وكنتَ سيفَهُمُ والمجدُ مرهِفُهُ ... صقلا وتاجَهُمُ والفخرُ راصعُهُ
أجراهُمُ والقنا كابٍ وأكرَمَهم ... يدا اذا جُردُهم سالت ينابعُهُ
ما أبحُرُ الأرض من بحرٍ تمدّ به ... الى العفاة يدًا إلا رواضعُهُ
وكلّ رزقٍ ترى الأقدارَ ضيّقةً ... به فعندك مسناةٌ وسائعُهُ
كأن مالَك شخصٌ أنت مبغضُهُ ... فأنت مقصيه بالجدوى وقاطعُهُ
آثار جودك فيمن أنت منهضُهُ ... آثارُ بطشك فيمن أنت صارعُهُ
إن شمت وجهَكَ راقتنا روائقه ... أو شمت سيفك راعتنا روائعُهُ
فلا قرارَ لمالٍ أنت باذلُهُ ... ولا انزعاجَ لثغرٍ أنت مانعُهُ
تضجُّ بأسمك ما قامت منابرُهُ ... على الرشاد وما ضلّتْ صوامعُهُ
حتى ترى الشرك والإيمان ما اختلفا ... مُلكا وما الفَلَكُ الدوّار قاطعُهُ
موحّد الملك لا تُدعَى بتثنيةٍ ... إلا بنيك، وشبلُ الليث تابعُهُ
كواكبٌ تستمدُّ النورَ من قمرٍ ... على جبينك ساريه وساطعُهُ
فلا خلَتْ أبدا منها مواضعُها ... من السماء ولا منه مواضعُهُ
وزارك المدحُ فى أبهى معارضِهِ ... مطرَّزًا باسمك العالى وشائعُهُ[1]
يختال بين يدَىْ نعماك مائسُهُ ... حُسنا ويستعبرُ الانفاسَ رادعُهُ
من كلّ عذراء مخلوعٍ اذا برزتْ ... فيها العذارُ وما إن ليم خالعُهُ
يستوقف الراكبُ الغادى لحاجتِهِ ... فيلفت الرأسَ أو تُلوَى أخادعُهُ[2]
يستقصر المنشدُ التالى طوائلَها ... كأنّ أبياتَ ما يَروِى مَصارِعُهُ

(١) وشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى الثوب .
(٢) أخادع جمع أخدع وهو عرق فى صفحة العنق .

مستصعبات على الراقى أراقُمها ... إلا الذى أنا حاويه وخادعُهُ
يأتى على الصدّ منكم والملال لها ... وصلٌ يواليه أو شوقٌ ينازعُهُ
(٢٦٣) ما إن رأت قبلكم فيمن يتاجركم ... تجارةَ الجودِ من خاست(١) بضائعُهُ
والمهرجانُ بأن تُرعى وسائلُهُ ... منها جديرٌ وأن تزكو ذَرائعُهُ
ذاك الرجاءُ لهذا اليومِ منتظرٌ ... فاصنع بحكم العلا ما أنت صانعُهُ
واعلم — لك المجلس المعمور، ساجدُهُ ... يعنو لوجهك إعظاما وراكعُهُ —
أنى بقيتُ لهذا الشعر، مُذعنة ... آياتُهُ لىَ وحدى أو بدائعُهُ
وإن سمعتَ بشىء لستُ قائلَه ... فلا تعرِّجْ على ما أنت سامعُهُ

* * *

وكتب الى الوزير عميد الدولة وهو بسرَّ من رأى فى المهرجان

لو كان يَرفق ظاعنٌ بمشيِّع ... رَدُّوا فؤادى يومَ "كاظمةٍ" معى
قالوا: النوى، وخرجت وهو مصاحبى ... ورجعت وهو مع الخليط مودِّعى
فلأيِّما من مهجتىَّ تأسُّفى ... وبأىّ قلبىَّ الغداةَ تفجُّعى!
لا كان يومٌ مثلُ ذاك لآئب ... بجوًى ولا غادٍ سَرَى لم يُمتَّع
يومٌ يُعَدُّ الجَلْدُ(٢) كلُّ ملاوِذٍ ... منه ويعذُبُ فيه ملحُ الأدمع
أنشأتُ أُسمِى فيه غيرَ نشيدتى ... من حَيْرةٍ وأرودُ غيرَ المنجَع
أطا الكرى(٣) متململا وكأننى ... لهبا وقعتُ على حرارةِ أضلعى
هل يملك الحادى تلوُّمَ ساعةٍ ؟ ... إن البطىء معذَّبٌ بالمُسرِع
أم هل اليه رسالةٌ مسموعةٌ ... عنى فيُنصتَ للبليغ المُسمِع؟

(١) خاست : كسدت . (٢) الجلد : الصابر المتجلّد . (٣) كذا بالأصل ولعلها "الثرى" كما يقتضيه سياق الأبيات وإن كانت "الكرى" لا تخلو من معنى .

رَوِّحْ "بذى سلم" على متأخر ... يبغى اللحاقَ وإن أبَيتَ فجمجِعِ (١)
وتوخَّها فى التاسعة مشوبةً ... إن المشوق اذا تخلف يتبَعِ
الشمسُ عندَك فى الخدور وعندنا ... شمسٌ اذا متع (٢) الضحى لم تنصَعِ
فتّ العيون بها فهل فى ردها ... طمعٌ فكيف لنا بآية "يوشَعِ" (٣)؟
نَمْ نومةَ اليأس القريرةَ إن أوى ... جنبٌ يقلّبه (٤) فراقٌ (٥) المضجعِ
واعلم بأنك إن رأيت فلن ترى ... يوماً كأمسِك من زمانِ "الأجرعِ"
فوراء عهدك "بالنخيلة" (٦) جونةٌ ... بهماء (٧) تلعب بالمحبِّ الموجَعِ
تعمَى على بصر الدليل بفاجُها ... تيها فتُخرِت (٨) بالبروق الُّمَّعِ
رُكبتْ بها عجلَى ترى من سَوطها ... أفعَى متى ونت الركائبُ تَلسَعِ
ورهاء (٩) ما نفَضتْ يداً من "حاجر" ... إلا وقد غَمست يدا فى "لعلعِ"
لم تألف البيداءُ قبل جُنونها ... من ذات خُفٍّ أو تطيرَ بأربعِ
إن شاء بعدهم الحيا فلينسكب ... أو شاء ظِلُّ (١٠) غمامة فليُقلِعِ
فَمقيل جسمى فى ذبولِ ربوعهم ... كافٍ وشربى من فواضل أدمعى
كُرمتْ جفونى فى الديار فأخصبت ... فغنيت أن أردَ الديارَ وأرتعى
فكأنّ دمعى مُدَّ من أيدى بنى ... "عبد الرحيم" ومائها المتنبِّعِ
وسهرتُ حتى ما تُميِّزُ مقلتى ... فُرقانَ مغربِ كوكبٍ من مطلِعِ
فكأنّ ليلى مع تفاوت طولِهِ ... أسيافُهم موصولةٌ بالأذرعِ

---

(١) فجمجع : فأنخ وبرّك . (٢) متع : ارتفع وأضاء . (٣) يوشع : نبى من الأنبياء عليهم السلام من آياته أن ردت عليه الشمس بعد غروبها . (٤) فى الأصل "يقليه" . (٥) فى الأصل "الفراق" . (٦) الجونة : السوداء . (٧) البهماء : المفازة . (٨) فتخرت : فتعرف . (٩) الورهاء : الحمقاء . (١٠) فى الأصل "طل" .

لا يُبعدنّ الله دارَ معاشـرٍ مذ جمّعوا شملَ العلا لم يُصـدَعِ
حـلوا العظائمَ ناهضـين بأنفسٍ لم تنقبضْ وكواهلٍ لم تظلَـعِ
مترادفين على الرياسـة أُقعِـدوا منهـا على سيساءِ(١) ظهـرٍ طيّـعِ
لم يزلَقوا فى ظهـرها قـدَما ولا عثروا بهـا متعوّذين بدعدعِ(٢)
داسـوا الزمانَ فذلّلوا أحداثَه بأخامصٍ فـوق الأضـالعِ وُقّـعِ
متسلطين(٣) عـلى جسامِ أمورِه وثبَ الأسـودِ على البهـامِ الرُقّعِ(٤)(٥)
أنِفوا من الأطراف والأوساطِ فآسـ ـتلبوا العلاءَ من المكان الأرفعِ
تعطيهـم آراؤهـم وسيوفُهـم كفَّ الزمانِ من المخوفِ المُفـزعِ
وُلدوا ملوكا فالسـيادة فيهـمُ مطبوعـةٌ لم تُكتسبْ بتطبُّـعِ
للشـيخ والكهل المـرجّح منهـمُ ما للـوشّح والصـغيرِ المـرضَعِ
لكن "عميد الدولة" الشمسُ التى عنت النجـومُ لنورها المتشعشعِ
سـبق الأوائلَ فاسـتبدَّ بشوطه متمهـلا، والسـبقُ للتسـرّعِ
ورأى نجابةَ من تأخّر منهُـمُ عنـه فقال: الحقّ نشاوَى وآتبـعِ (٦٤)
فضُـلوا به ولكلّ ساعٍ منهُـمُ مجـدٌ فضـيلةَ "غالبٍ بمجمّعِ"(٦)
من ناقلٍ صـدقَ الحـديثِ معوّدٍ حفـظَ الأمانة للصـديق المودِعِ
يطوى الطـريقَ نشـيطةً حركاتُهُ للصعبِ منهـا والذليـلِ الطيّـعِ
تتجمّـع الحاجاتُ عنـد نجاحهـا للمرسلين بشـمله المتـوزّعِ

(١) السيساء: منتظم فقار الظهر. (٢) دعدع: كلمة تقال للعاثر بمعنى قم وآنتعش كما يقال "لعا". (٣) فى الأصل "مستطلين". (٤) فى الأصل "الهام". (٥) الرقع جمع رافع وهو المسرع فى سيره. (٦) مجمع: لقب قصىّ بن كلاب سمى به لأنه جمع قبائل قريش وأنزلها مكة وبنى دار الندوة وفيه يقول حذافة بن غانم لأبى لهب

أبوكم قصىّ كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل فى فهر

ما بين وقتِ رحيلِه وإيابِه ... إلا مسافةُ مُثلثٍ أو مُربِعِ
حتى يذيخَ بثقلِه وبضيفه ... بالمستخفّ وبالوهوب الموسِعِ
فيقول عنى للوزير وربما ... ترد الرسالةُ من سواى فلا يعى:
كم تأخذ الأشواقُ من جلَدى وكم ... قلقى بحملِ فراقكم وترؤّعى
وإلام طولُ رضاى بالميسُور من ... حظّى وفرطُ تعفُّفى وتقنُّعى
طيان[1] أبغى الرفدَ بين معاشرٍ ... حبُّ العلا فى طينهم لم يُطبَعِ
يا ضلّتى ما قمتُ أطلبُ عندهم ... رزقا عَداك وياسفاهةَ مَطمَعى
ومن العناء وأنت ساكنُ موضع ... طلبُ العلا فى غير ذاك الموضِعِ
وهبَ النوالَ على العباد مكابِلى ... من راحتيك بمفعَمٍ وبمترَعِ
وندالك مثلُ الطيف يخرُق جانبا ... عرضَ الفلا حتى يجاسد مضجعى
فجمال أيّامى بحضرتك التى ... هى منيتى يومَ الفخار ومفزعى
وجلاءُ طرفى وانبعاثُ خواطرى ... ما بين مرأًى من عداك ومَسمَعِ
حظٌّ لعمرك لا اعتياضَ لناظرى ... منه ولا لفؤادِىَ المتصدِّعِ
يا غائبا غدت الوزارة بعده ... شِلوَ الفريسةِ فى الذئاب الجوّعِ
تتدافع الأيدى الضعافُ بثقلها ... بهرًا وما فى صدرها من مدفَعِ
وُضِع اسمُها فى كلّ معنًى حائلٍ ... نابٍ لها ولمثلها لم يوضَعِ
يُسمَى بها من لم يكن يسمو لها ... غلَطا ويطمعُ كلُّ من لم يطمعِ
تدعو مغوِّثةً بمالكِ رقِّها ... من بين قبضة غاصبٍ أو مدّعى
فاسئل أسود الغاب كيف تفسحت ... للشاءِ عن هذا العرين المُسبِعِ
ما قمتُمُ عنها وفيها مُتعةٌ ... — وأبيكُم — للجالس المستمتِعِ

(١) طيان : جوعان .

والملك مـــذ أهملتموه بَيضـــةٌ ... لم يحمهـا أنِفٌ وســـرحٌ ما رُعى
ما زال يســـرى الداءُ فى أعضائه ... أو مات أو إن لم يمت فلقـد نُعى
يفديك منهم نائمٌ عن رشـــده ... أو حاســـدٌ لك ساهرٌ لم يهجع
متصوب القدمين خفّاق الحشـا ... فى حيث يثبت للقنا المـــتزعزع (١)
يعطى الرياســـة قابضا أو باسطا ... خرقاء كيف تصرّفتْ لم تصنع
جَعل الوعيـــدَ على العباد سلاحَه ... ووعيـــدُه شَنٌ (٢) بكفٍّ مقعقع (٣)
غضـــبان أنك سالم من كيده ... غضبَ الفرزدق من سلامة "مَربع"
تُتْلَى صـفاتُك وهو يعجَب سادرا (٤) ... عجبَ الجبـان من الكمىّ الأروع
ولئن عظُمتَ وقلَّ أن تُفـدَى به ... فالعين تَفـــدَى مرّة بالإصبع
عِـدْنى بقـــربك إنه مَن فاته ... إدراكُ حـــظٍّ عاش بالمتـــوقّع
وآمـدد الىّ يدا لو آنك فى السما ... وعلى الثرى أهلى لنالت موضـعى
بيضـاء خضراء الندى أغدو بها ... أبدا رطيبَ التُّرب سَـبْطَ الأربُع
تجـــرى بسَـدة خَلَّتَى، أقلامُهـا ... تُملى المضاءَ على الســـيوف القُطّع
وآسمع على بعـــد الديار وقربها ... مثـــلَ القِـراط (٥) تعلّقا بالمســـمع
غررا بِكارا (٦) أســـلمتْ لى عُذْرَها ... لو لم أكن فلا لها لم تُفـرع
مما آصطفيتك فى الشباب وشائبا ... من صفوتيه بمُقرح (٧) ومُجذّع (٨)
وجعلتـــه لك أو لقومك نِحـــلةً ... لولاى أو لولاكُمُ لم تُشـــرع

---

(١) لم تصنع : لم تحذق عملها . (٢) الشن : الجلد الخلق ومنه " مثل لا يقعقع له بالشنان " .
(٣) يشير الشاعر الى قول جرير :
زعم " الفرزدق " أن سيقتل " مربعا " ... أبشر بطول ســـلامة يا " مربـع "
(٤) سادرا : متحيرا . (٥) القراط : جمع قرط وهو ما يعلق فى شحمة الأذن من درّة ونحوها .
(٦) البكار : الفتيّات . (٧) المقرح : المسن . (٨) المجذع : الشاب .

أحوِى أراقَــه بفضــل تلطُّفى فيعى وأخدَعُ منــه ما لم يُخـدَع
أرسلته طلْقَ السهام اذا آستوت لم تُنعــرج واذا مضت لم ترجع
فبقيتَ لى وله ، وآيةُ معجــزى لــولاك فى إظهاره لم تَصــدع
ما كرَّ يــومٌ عائد بصــباحــه ورواحه من مغــرِبٍ أو مَطلع
وتحالفت فى "العُرْبِ" أو فى "فارس" أعيــادُها من تالدٍ ومفــرَّع (٢٦٥)

قافيـــة الفـاء

بعد خلو قافيـــة الغين

وقال يرثى أمير المؤمنين عليًّا وولدَه الحسين ، ويذكر مناقبَهما ، وكان ذلك من نذائر ما منّ الله تعالى به من نعمة الإسلام فى المحرّم سنة آثنتين وتسعين وثلثمائة (١)

يُزوِّر عن "حسناءَ" زورةَ خائف تعرُّضُ طيفٍ آخرَ الليــل طائف
فأشبهها لم تغــدُ (٢) مسكا لنــاشــقٍ كما عــوّدت ولا رحيقا لراشــف (٣)
قصيَّة دارٍ قــرَّبَ النــومُ شخصَها ومانعــة أهدت ســلامَ مساعف
ألينُ وتُغــرى بالإباء كأنمــا تــبَرُّ بهجــرانى أليَّــة حالف
و"بالغور" للناسين عهــدىَ منزلٌ حنانيــك من شاتٍ (٥) لديه وصائف
أغالط فيــه سائــلا لا جهــالةً فأسأل عنــه وهو بادى المعــارف
ويعــذلنى فى الدار صحــبى كأننى على عَرَصــات الحبّ أوّلُ واقف
خليلىَّ إن حالت ــ ولم أرض ــ بيننا طِــوالُ الفيافى أو عِراض التنائف ،

(١) فى الأصل : "تدابر" . (٢) فى الأصل "تعد" . (٣) فى الأصل "لناسق" .
(٤) الرحيق : الخمر . (٥) فى الأصل : "لدى" .

فلا زُرَّ ذاك السَّجفُ إلا لكاشفٍ ... ولا تمَّ ذاك البـــدر إلا لكاسـفِ
فإن خفتما شـــوقى فقـــد تأمنـانِهِ ... بخاتـــلةٍ بين القنـا والمخـاوفِ
بصـــفراء لو حاَّتْ قديمـا لشاربٍ ... لضـــنَّتْ فما حلَّتْ فتاةً لقاطفِ
يطوف بها من آل "كسرى" مقرطَقٌ (١) ... يحدِّث عنها من ملوك الطوائفِ
ســـقى الحسنُ حمـراءَ الســلافةِ خدَّه ... فأنبع نبتـا (٢) أخضرًا فى الســـوائفِ (٣)
وأحلفُ أنَّى شُعشـعتْ لى بكفِّه ... ســـلوتُ ســـوى همٍّ لقلـبى محالفِ
عصيت على الأيام أن ينتزعنـه ... بنهيى عذولٍ أو خـــداعِ ملاطفِ
جوًى كلمـا ٱستخفى ليخمدَ، هاجه ... سنابارقٍ من أرض "كُوفَانَ" خاطفِ
يذكّرنى مَشـــوى "علىّ" كأننى ... سمعت بذاك الرزء صيحة هاتفِ
ركبت القوافى ردف شـــوقى مطيّـةً ... تخُبُّ بجـارى دمـــعَ المـــترادفِ
الى غايةٍ من مدحه إن بلغتها ... هززأتُ بأذيال الرياح العـواصـفِ
وما أنا من تلك المفـازةِ مـدركٌ ... بنفسى ولـــو عرَّضتُهـا للتـالفِ
ولكن تؤدّى الشهدَ إصبعُ ذائقٍ ... وتعـلَقُ ريحَ المســك راحـــةُ دائفِ (٤)
بنفسىَ من كانت مع الله نفســه ... اذا قلَّ يومَ الحق مَن لم يجازفِ
اذا ما عـــزوا دينًـا فآخـــرُ عابدٍ ... وإن قســـموا دنيـا فأوّلُ عائفِ
كفى "يوم بدر" شاهدا "وهوازن" ... لمســـتأخرين عنهما ومزاحفِ
"وخيبر" ذات الباب وهى ثقيلة الـ ... ـمرام على أيدى الخطـوب الخفائفِ (٥)

---

(١) مقرطق : لابس القرطق وهو قباء ذو طاق واحد . (٢) يريد بالنبت : العـذار ، وفى الأصل "بيننا" . (٣) السوائف جمع سائفة وهى القطعة من اللحم . (٤) الدائف : الخالط الذى يخلط المسك بغيره من الطيب . (٥) يشير الشاعر الى وقعة خيبر حين خرج لها علىّ كرّم الله وجهه وقد ضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فوجد بابا ٱتخذه ترسا وما زال حاملا له حتى ٱنتصر على اليهود ولما ألقاه من يده ٱجتمع ثمانية من أصحابه ليقلبوا الباب فلم يستطيعوا .

أبا "حَسَنٍ" إن أنكروا الحقَّ [واضحًا](١) على أنه والله إنكارُ عارفِ
فإلا سعى للبين أخمصُ بازلٍ وإلا سمت للنعل إصبعُ خاصفِ
وإلا كما كنت ابنَ عمٍّ ووالياً وصهراً وصِنوا كان من لم يقارفِ(٢)
أخصُّك بالتفضيل إلا لعلمه بعجزهمُ(٣) عن بعض تلك المواقفِ
نوى الغدرَ أقوامٌ فخانوك بعدَه وما آنِفٌ فى الغدر إلا كسالفِ
وهبهم سَفاها صحّحوا فيك قولَهُ فهل دفعوا ما عنده فى المصاحفِ
سلام على الإسلام بعدك إنهم يسومونه بالجَور خُطّةَ خاسفِ
وجدّدها "بالطّفِّ"(٤) بأبنك عصبةٌ أباحوا لذاك القرف(٥) حكّةَ قارفِ
يعزّ على "محمد" ابن بنته صبيبُ دمٍ من بين جنبيك واكفِ
أجازوك حقًّا فى الخلافة غادروا جوامع(٦) منه فى رقاب الخلائفِ
أيا عاطشا فى مصرَع لو شهِدتُهُ سقيتك فيه من دموعى الذوارفِ
سقى غُلّتى بحر بقبرك، إننى على غير إلمامٍ به غيرُ آسفِ
وأهدَى اليه الزائرون تحيّتى لأشرُفَ إن عينى له لم تشارفِ
وعادوا فذرّوا بين جنبىّ تربة شفائىَ مما استحقبوا(٧) فى المخاوفِ
أُسِرّ لمن والاك حبَّ موافقٍ وأُبدى لمن عاداك سبَّ مخالفِ
دعىٌّ سعَى سَعْىَ الأُسودِ وقد مشى سواه اليها أمسِ مشىَ الخوالفِ(٨)
وأغرى بك الحسادَ أنك لم تكن على صنم فيما رووْه بعاكفِ

(٢٦٦)

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل وقد رجحناها على كلمات كثيرة وردت بالخاطر . (٢) يقارف : يقارب ويدانى . (٣) الضمير عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر من السياق .
(٤) الطفّ : شاطئ الفرات الذى قتل به الحسين رضى الله عنه . (٥) القرف : البغى .
(٦) الجوامع : الأغلال . (٧) استحقبوا : ادخروا . (٨) الخوالف : النساء .

وكنت حَصَان الجيب من يد غامرٍ كذاك حصانَ العرض من فم قاذفِ (١)
وما نسبٌ ما بين جنـــبىَّ تالدٌ بغالب ودٍّ بين جنـــبىَّ طارف (٢)
وكم حاســـدٍ لى ودَّ لو لم يعش ولم أُنابِـــلْهُ (٣) فى تأبينكم وأسايف (٤)
تصرّفتُ فى مدحيكُمُ فـــتركته يَعَضُّ علىَّ الكفَّ عضَّ الصوارفِ (٥)
هـــواكم هو الدنيـا وأعـــلم أنه يبيِّضُ يومَ الحشر ســودَ الصحائفِ

* * *

وأُنشِد قصيدة من مراثى أهل البيت من مرذول الشعر على هذا الروىّ الذى يجىء، وسئل أن يعمل أبياتا فى وزنها على قافيتها، فقال هذه فى الوقت

مشين لنا بين مِيـــلٍ وهِيف فقل فى قناةٍ وقـــل فى نزيف (٦)
على كلّ غصنٍ ثمارُ الشبا بِ من مجتنيه دوانى القُطـــوف
ومن عجب الحسن أنّ الثقيـ ـل منـــه يُدِلُّ بحمـــل الخفيف
خليـــلىَّ ما خُبرُ ما تُبصـــرا ن بين خـــلاخيلها والشُّـــنوف (٧)
ســـلانى به فالجمـــال اسمـــه ومعناه مَفســـدةٌ للعفيف
أمن "عربيّـــةَ" تحت الظلام تـــوجُّ ذاك الخيـــالِ المطيف؟
سرى عينهـا أو شبيها فكا د يفضحُ نومىَ بين الضـــيوف (٨)
نعم ودعا ذكرَ عهـــدِ الصبا سيلقاه قلـــبى بعهـــدٍ ضعيف
"بآل علىٍّ" صـــروفُ الزمان بسطنَ لسانى لذمّ الصروف
مصابى على بعـــد دارى بهـــم مصابُ الأليف بفقـــد الأليف

---

(١) فى الأصل "قم قادف". (٢) فى الأصل "بغا كب". (٣) أنابله: أراميه بالنبل.
(٤) أسايف: أجالده بالسيف. (٥) الصوارف جمع صارف وهو الناب. (٦) الزيف: السكران. (٧) الشنوف جمع شنف وهو القرط يعلق بأعلى الأذن. (٨) فى الأصل "سبا".

وليس صديقَ غيرَ الحزين ... ليوم "الحسين" وغيرَ الأسوف (١)

هو الغصن كان كمينا فهبَّ ... لدى "كربلاء" بريحٍ عصوف

قتيلٌ به ثار غِلُّ النفوس ... كما نغر (٢) الجرحَ حكُّ القروف (٣)

بكلّ يدٍ أمسِ قد بايعتْهُ ... وساقت له اليومَ أيدى الحتوف

نسوا جدَّه عند عهدٍ قريبٍ ... ووالدَهُ مَعَ حقٍّ طريف

فطاروا له حاملين النِّفاقَ ... بأجنحةٍ غشُّها فى الخفيف (٤)

يعزُّ علىّ ارتقاءُ المنون ... الى جبلٍ منك عالٍ منيف

ووجهك ذاك الأغرُّ التريبُ (٥) ... يُشهَّرُ وهو على الشمس موفى

على ألعنَ (٦) أمره قد سعى ... بذاك الذميل وذاك الوجيف

وويلٌ آتٍ مأمورِهم لو أطاع ... لقد باع جنّتَه بالطفيف

وأنت — وإن دافعوك — الإمامُ ... وكان أبوك برغم الأنوف

لمن آيةُ الباب (٧) يومَ اليهود ... ومَن صاحبُ الجنّ يوم الخسيف (٨)

---

(١) الأسوف : السريع الحزن الرقيق القلب . (٢) نغر : أسال وفى الأصل "نقر" .

(٣) القروف جمع قرف وهو القشرة تعلو الجرح . (٤) الخفيف : صوت أجنحة الطائر .

(٥) التريب : المعفر بالتراب . (٦) كذا بالأصل ولم نوفق الى فهمه ولعله : * غليل لمن أمره قد سعى * ... والغليل شدّة العطش وحرارته ، والمراد الدعاء عليه بأن ينـاله ما نال الحسين من ظلمه ويؤيد أنه دعاء بالشر ذكر واو العطف فى البيت التالى فى قوله "وويل" الخ . (٧) يشير الشاعر الى خروج علىّ رضى الله عنه يوم وقعة خيبر فلما دنا من الحصن ضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علىّ بابا كان عند الحصن فترّس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فاجتمع ثمانية من أصحابه وحاولوا أن يقلبوا الباب فما استطاعوا . (٨) الخسيف : البئر التى تحفر فى صخر فلا ينقطع ماؤه لكثرته ، ويشير الشاعر بذلك الى ما يعتقده الشيعة من أن عليا كرم الله وجهه قاتل الجنّ وحاربهم ببئر ذات العلم عند ما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية الى مكة حيث أصاب الناس عطش شديد وحر شديد فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل من رجل يمضى فى نفر من المسلمين معهم القرب فيردون بئر ذات العلم ثم يعود يضمن له رسول الله الجنة ؟ ثم بعث رجلا من الصحابة ففزع من الجن فرجع ، ثم بعث آخر فذعر من الجن فرجع ثم أرسل علىّ بن أبى طالب فنزل البئر وملا القرب بعد هول شديد .

ومن جمع الدينَ فى يوم "بدرٍ" "وأُحدٍ" بتفريق تلك الصفوفِ
وهـــدّمَ فى الله أصـــنامَهم بمرآى عيونٍ عليها عُكوفِ
أغـير أبيـك إمام الهـدى ضياء النـدىّ هزبر العـزيفِ (١)
تفلَّلَ سـيفٌ به ضرَّجـوك لسـوّدَ خزيا وجوهَ السـيوفِ
أَمرَّ بـفىَّ عليـك الزلالُ وآلم جِـلدِىَ وقعُ الشُّـفوفِ (٢)
أتحمـلُ فقـدَك ذاك العظيمَ جوارحُ جسمِىَ هـذا الضعيفِ ؟
ولهـفى عليـك مقالُ الخبيـ ـر : أنك تُـبردُ حرّ اللهيـفِ (٣)
أنشرُك ما حمـلَ الزائرو ن أم المسكُ خالط تُربَ الطّفُوفِ ؟ (٤)
كأن ضريحـك زهرُ الربيـ ـع هبَّت عليـه نسيمُ الخريفِ
أُحبِّكُمُ ما سـعى طائفٌ وحنَّتْ (٥) مطـوَّقةٌ فى الهُتـوفِ
وإن كنتُ من "فارس" فالشريـ ـفُ معتـلِقٌ ودُّهُ بالشريفِ (٢٦٧)
ركبتُ — عـلى من يعاديـكُمُ ويفسُـدُ تفضيلكم بالوقوفِ — ،
سـوابقَ من مـدحكم لم أَهَبْ صُـعوبةَ (٦) ريِّضها والقَطـوفِ (٧)
تُقطِّـرُ (٨) غـيرِىَ أصـلابُها وتَزلَـقُ أكفالُها بالرديفِ (٩)

---

(١) العزيف : صوت الرمال اذا هبت عليها الرياح . (٢) الشفوف جمع شِفّ وهو الثوب الرقيق . (٣) اللهيف : المظلوم يستغيث ويحسر . (٤) الطفوف جمع طف وهو الشاطئ، وقد قتل الحسين بطفّ الفرات . (٥) فى الأصل "وجنت" . (٦) الريض : الدابة أول ماتراض وهى صعبة . (٧) القطوف الدابة التى تسىء السير وتبطئ . (٨) تقطر : تلق الإنسان على قطره وهو كاثبته وعجزه، والكاثبة : أعلى الظهر . (٩) الرديف : الراكب خلف الراكب .

* * *

وقال وقد آستبطأ الصاحب أبو القاسم بن عبد الرحيم إنفاذ رسمه من الشعر فى عيد النحر، وكان قد أخّره لعائق من شكاة ثالثة، فعاتبه وألزمه الجرى على العادة بحسب مادة القوة، فعمل هذه القصيدة وأنفذها اليه بين يومى الأضحى والغدير(١)

لو شاء سارٍ ليلةَ "النعفْ" وقفْ ... وعارفٌ يُنكر حقّى لآعترفْ

عهد تفرّقْنا وحلّقتْ به ... فتخاء(٢) طاح هَدَرا ما تختطِفْ

بمزاق من العيون ما لمن ... يطلبها فائتة إلا الأسفْ

أسهرنى ونام من عاهدنى ... بنجوةٍ — من رغبة — ومنحرِفْ

أكلّما آستأنف ذنبا ظالمى ... عفوتُ من ذنوبه عما سلفْ!؟

لو قيل سكانُ "الحمى" وفعلُهم ... بى فعلُهم(٣) نزا فؤادى ورجَفْ

سل بارقا أذكى الغضا على الغضا ... محدِّثا عن الحيا كيف يكِفْ

أمن جفون "العامريين" آنتضى ... أم من ثنايا "العامريّات" خطَفْ؟

وآسئل بغصن منهُمُ أشكو الجوى ... وثقلُه(٤) اذا مشى يشكو الهيفْ(٥)

شككنى فيما آستقام وآنثنى ... ألامُهُ أقتلُ لى أم الألِفْ؟

عنّ به التيهُ فلو كلّمه ... جمالُه أعرضَ عنه وصدَفْ

كأنه لم يرَ حِقْفا(٦) عَمَا ... هيلَ ولا بدرا مع التّمّ آنكسفْ

لكلّ شىء آفة تنقُصُه ... اذا آنتهى وآفة الحسن الصلَفْ(٧)

---

(١) يشير الى غدير خم وهو موضع على بعد ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين وله يوم معلوم .

(٢) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . (٣) نزا : وثب . (٤) فى الأصل "وثقله" .

(٥) الهيف : ضمر البطن ورقة الخاصرة . (٦) الحقف : المعوج من الرمل . (٧) الصلف : التكبر والإعجاب .

خـــبّرنى أنّنى شاكٍ بعـــده ... لواعجَ الشـــوق، فقـال وحلَفْ: ،
إن باح بالسرّ لأهجـــرنّه ؛ ... عاقبْ بغـــير الهجر فالهجرُ سَرَفْ
ما لحســـودٍ فى هـــواكم عابنى ... لا رام رفـــعَ طرفه إلا طُـــرِفْ!
وناقلِ اليكُمُ ما لم أقـــل ... أصابه الله بذنبٍ ما اقـــترفْ
يا للغـــوانى يتجنّين (١) ولى، ... مـــتى سمحتُ بقيـادى للعَنَفْ (٢)!
قـــد علمتْ اذا الغـــرام ضامنى ... أنّنى منـــه بالســـلوّ أنتصِفْ
وأننى عـــلى اللجاج صخـــرةٌ ... اذا لويتُ عُنُـــقى لم أنعطِـــفْ
لا تنتهى نفسى انصرافا عن هـــوى ... دام، ولا ترجعُ حين تنصرفْ
سمحتُ للدنيـا بجُـــلّ أهلها ... سماحَ غـــيرِ نادمٍ ولا أسِفْ
رأيتهـــم ببخلهـــم (٣) وعفّـــتى ... دونى وفيهـــم ذو الغنى وذو الشرفْ
لم أخشهم من حيث لم أرجُهُـــمُ ... إنك ما لم تـــرجُ شيئا لم تخَفْ
كفتنىَ الرزقَ يدٌ واحـــدةٌ ... والنـاس طرّا واحدٌ منهـــم خَلَفْ
ما رعَتِ "الصاحبَ" عينُ الله لى ... فشملُ آمالى جميـــعٌ مؤتلِفْ
سيّان ما استخلصتُه من سـيّدٍ ... وما صفا منهـــم ومن عقّ وعفّْ
وجدتُ فيـــه ما طلبتُ عنـــده ... فـــلم أجدْهُ وهـــو ما عزّ وكفّْ
لا عدَةٌ تُـــلوى (٤) ولا خُلْقٌ على ... تلافِ ألوانِ الزمانِ يختلِفْ
وراحـــةٌ على مقابض الظبـا ... تثقل (٥) أو فى بسطة الجـــود تخِفْ (٦)
يومَ الردى جنـــدلة وفى النـــدى ... جنـــدلة كلتاهما ملء الأكُفّْ

---

(١) فى الأصل يجنين . (٢) العَنَف : ضد الرفق و فى الأصل "العيف" . (٣) فى الأصل هكذا "بخلهم" . (٤) فى الأصل هكذا "لاعده بلوى" . (٥) فى الأصل هكذا "تنقل" . (٦) فى الأصل "تجف" .

أُنظرْ اليه تختبرْ ما عنده ... إن الظهاراتِ الرقيقاتِ تَشِفْ

وجهٌ لبيقٌ[1] بالنعيم ماؤه ... وبَشَرٌ[2] لم يغترِبْ فيه التَّرَفْ

ألومُ إلا حاسدا كمالَه ... وحسدُ الشمسِ علوٌّ وشرفْ

قل لمُعارِ المجد معنى حائلا ... وآسما على إعرابه لا ينصرفْ

جارِ "أبا القاسم" أُولَى خطوةٍ ... تعلُّما، ودعه يجرى ثم قِفْ

لم يتقلّدها قصيرا أوقصا[3] ... إن العلا حمائلٌ لذى الكتِفْ

سمعا بنى "عبد الرحيم" إنها ... بناتُ طبعٍ لم يدنّسها الكَلَفْ

تبعثها فى مدحكم محبةٌ، ... مدحُ الرجاءِ غيرهُ مدحُ الشغفْ

مقيمة بذكركم لم تسترح ... لوطنٍ سائرة لم تعتسفْ

تبيضُّ أو تخضرُّ من سطورها ... بنورِ أوصافكُم سودُ الصُّحُفْ

ينشُر منها المنشدون بُردةً[4] ... أو من رياض الحَزنِ[5] عيناءَ أُنُفْ[6]

يعجبنى تسلُّطٌ فيها اذا ... قامت تعاطى من علاكم ما تصِفْ

تُهدى لكم فى كلّ يومِ فرحةٍ ... عيونُها : المستغرباتِ والطُّرَفْ

تجول رعيا حول أعراضكُم ... تحمى من العار حماها وترِفْ

إن فاتها عيد فعيد بعده ... لكم صفايا[7] سَلَفها والمؤتَنَفْ

لا يقدحُ الحسادُ فىَّ عندكم ... وفيتُكم رسومها أو لم أوفْ؟

قلبِيَ مأمونٌ على ودادكم ... ما دام مأمونا على الدرّ الصَّدَفْ

(٢٦٨)

(١) اللبيق : اللائق بالشيء . (٢) البشر : جمع بشرة وهى ظاهر الجلد . (٣) الأوقص : قصير العنق . (٤) الحزن : ما غلظ من الأرض . (٥) العيناء : الأرض الخضراء .

(٦) الأنف : التى لم يرعها أحد ، ومنه يقال : روضة أنف . (٧) الصفايا : ما يصطفى ويختار .

وكتب الى الكافى أبى عبد الله القَنَانى فى المهرجان

سافرْ بطرفك وٱشترف[1] هل تعـــرفُ ... أنّى سرى برقٌ "بوجرةَ" يخطِـفُ؟

هبَّ ٱختـــلاسا ثم غمّض موهنـا ... وعلى الرحال نواظـــرٌ ما تطـــرِفُ

يشـــتاق صحـــبى أن يُضىء ودونه[2] ... من شمـــلةِ الظلمـاء ستر مســـدَفُ[3]

فكأنمـا ضحكت لهم بوميضـــه ... "خنساءُ" فهو بكلّ لحظ يُرشِفُ[4]

حملوا الخدود على أكفٍّ موطلت ... بالنـــوم فهى عن المخاصر تضعُفُ[5]

بعث الغـــرامُ المدلجين جرت لهم ... طير الفـــراق بوارحا فتعيّفـــوا

لمـا ٱســـتقام بعيسهم لَقَمُ[6] السُّرى[7] ... عـــثَرَ الكرى بدليلهـــم فتحرَّفوا

يتهافتون عـــلى الرحال كأنمـا ... لعبت بما تحت الشـــعور القرقفُ[8]

يا سائق الأظعان إنّ مع الصَّـــبا ... خـــبرا لو ٱنك للصَّـــبا تتوقّفُ

هبَّت بعارفة تســـوقُ من الصَّـــبا ... أرجًا بريّا أهـــله يتعـــرَّفُ

فكأنمـا حبس التّجارُ لطيمـــةً[9] ... فى الركب أو سكب السلافُ[10] مصرَّفُ[11]

فبَرَدتَ بين "عَنيزتين" "وصارةٍ" ... كبدا الى زمن "الحمى" يتلهّفُ[12]

ومن العقائل بالغضا "سـعديّة" ... تفـــنَى الصفاتُ وحسنُها لا يوصفُ

كالريم[13] لو كانت تصـاد بحيـلة ... والبـــدرِ إلا أنهـا لا تُكسفُ

---

(١) اشترف : انتصب ناظرا . (٢) فى الأصل "ودنه" . (٣) مسدف : مرسَل . (٤) فى الأصل "يَرسُفُ" . (٥) المخاصر : الأسواط ، واحدها مخصرة .
(٦) فى الأصل "العنس" وهى الناقة الصلبة القوية ، وقد رجحنا "بعيسهم" . (٧) اللقم : معظم الطريق أو وسطه وقيل : أوضحه . (٨) القرقف من أسماء الخمر . (٩) اللطيمة : نالجة المسك . (١٠) السلاف من أسماء الخمر . (١١) المصرَّف من لم يمزج الشراب و يشر به صرفا . (١٢) الحمى وما قبله أسماء مواضع . (١٣) الريم : الظبى الخالص البياض .

بيضاءَ يُقعِدها كثيبٌ أهيلٌ (١) (٢) طوراً ويُنهضها قضيبٌ أهيفُ
في صدرها حَجَرٌ وتحت صِدارها (٣) ماءٌ يشِفُّ وبانةٌ تتعطَّفُ
زارت من "البلد الحرام" وبيننا "عنقا زرودَ" ومن "تهامةَ" نفنفُ (٤)
تتعسّف الشقَّ العدوَّ لقومها فعجبت للسارى وما يتعسّفُ
أنى تصرَّم قلبُها لك بعدما كانت تُراعُ بظلّها وتخوَّفُ!
ولقد سترتُ عن الوشاة طروقَها ومكانُها لنبالهم مستهدفُ
وطويته حتى تحدّث غدوةً عنها النصيفُ (٥) به وغنّى المُطرِفُ (٦)
ولئن وشوا فلقد تنزّه بيننا ذاك المبيتُ وعفَّ ذاك الموقفُ
أنا من علمتِ ومن أُحبّ عزوفةٌ (٧) عما يعاب بعيبه ويعنَّفُ
لا المال يغلبني على حبسى ولا دِينى بمأثم لذّةٍ يتحيّفُ
ولقد أصدّ عن المطامع مُعرِضا ووجوهُها للطالبين تُزخرَفُ
وتُجمّ أودية النوال ودونها ضيمٌ وبى ظمأ فلا أتنطَّفُ (٨)
خُلُقٌ فطرتُ عليه كانَ سجيّةً والعِرضُ يسمَنُ والمعيشةُ تعجَفُ
والمالُ أهون أن تُضيع لحفظه إن كنتَ حرًّا ماءَ [وجهٍ يُنزَفُ] (٩)
فاركب جَناح العزّ لست بمخلِف عِرْضا مضى ولكلّ مالٍ مخلَفُ
واذا لقيتَ المجدَ فاصحب أهله وأكثر فأنت بمن تكاثر تُعرَفُ (١٠)
واستمِلِ من شرف المعالى عادةَ الـ ـخلُق الكريم فإن نفسَك تشرُفُ

---

(١) الكثيب : التل من الرمل . (٢) أهيل : منهال . (٣) الصِّدار : ثوب بلا كمين .
(٤) النفنف : المفازة أو المهواة بين جبلين . (٥) النصيف : الخمار وكل ما غطى الرأس .
(٦) المطرف : الرداء من خز . (٧) العزوفة : الزاهد فى الشىء . (٨) لا أتنطّف : لا أطلب النطفة وهى القليل من الماء . (٩) هاتان الكلمتان مطموستان بالأصل الفتوغرافى طمسا تاما فوضعناهما من عندنا بعد ترجيحهما مع ما يتفق والسياق . (١٠) فى الأصل "تكاثر" .

قـرمٌ تجـودُ بوصلها الدنيا له ... حُبّا وتقـرُب وهو عنها يصدِفُ

وتطيعـه الدولُ الفـوارِكُ[1] غَـيرةً ... فيعـزُّ عما فى يديه ويظلِفُ[2]

ويعفُّ عن تبعاتها عن قـدرة ... ومن الغـرائب قادرٌ متعفِّفُ

لـولا العـلا ما كلّفتْـه نفسُـه ... من شـقّةِ الإعياء ما يتكلَّفُ

غيران أن يرعى لمصـلحة حمى ... أو أن يبيت سـياسة يتخطّفُ

كلِفٌ بأن يُـوفى الأمانةَ[3] حافظٌ ... للعهد تعـرفه الحقوقُ وتعسِـفُ[4]

يقظانُ من دون الملوك ، اذا ونى[5] ... مسـتعمِل فى الرأى أو مسـتخلِفُ

تَعِبٌ يزاحـم ليـلَه بنهـاره ... فيما يُجِـمُّ[6] ظهورَهـم ويخفّفُ

كم عالجوا خَطْبا به من بعـد ما آس ... تشرى يماطِلُ داؤه ويسـوِّفُ

وتحطّمت عجماءُ تركبُ رأسَها ... غشّامةٌ شـيطانُها متعجـرِفُ

كالسـيل ليس لوجهـه متحدَّر ... بقص الربى عما يحاول مُصـرَفُ[7]

لا تملك الحِيـلُ النـوافذ ضبطها ... حتى اذا يدنو لها "الكافى" كُفُوا

عزمٌ أشـدّ من الصفا ووراءه ... خُلُقٌ ألذّ من المـدام وألطفُ

مرٌّ اذا غضِب آستسـلّ لسـانُهُ ... كَلِمًا من البيض الحـدائدِ أرهفُ

فاذا كشفتَ ضميرَه متنصِّلا ... ألفيتَ خـيرَ بطانة تتكشَّفُ[8]

ولربّما جار اللسـانُ وتحتـه ... قلبٌ منيبٌ وآعتقادٌ منصـفُ

(١٢٦٩)

---

(١) الفوارك : اللواتى ينفضن أزواجهن وهى هنا مجاز . (٢) يظلف : يكفّ ، من ظلف نفسه بمعنى كفّها ، وفى الأصل "يطلف" . (٣) فى الأصل "أمانة" . (٤) تعسف : تستخدِم ، من قولهم : عسف فلانا بمعنى آستخدمه ، و يكون معنى عجز البيت أن الحقوق تعرفه وتستخدمه لأخذها . (٥) ونى : فتر وضعف وكلّ وأعيا . (٦) يجم : يريح من الحركة . (٧) كذا بالأصل ولم نوفق الى تصحيحه . (٨) فى الأصل "تتكسف" .

لله درّك ضاربا بعروقه ... فى السبق إن وقف الهجينُ(١) المقرفُ(٢)
ومهجّنا(٣) حلمَ الكهول وعشرُهُ ... فى السنّ لم يركب مطاها(٤) نيّفُ(٥)
عوّدت مهجتَك السموَّ فما علا ... كعبُ امرئ إلا وكعبك أشرفُ
وعربتَ فاسمك يوم تقضى : عادلٌ ... فى الناس واسمك يومَ تعطى : مسرفُ
وترى غنىً القوم يُصلحُ مالَه ... شفَقا(٦) وأنتَ بضعف مالك تُجحفُ
لك راحتان كلاهما يُمنَى اذا ... كانت شمالٌ عن يمين تضعُفُ
فيدٌ اذا عاقبتَ لم تعجل بها ... ويدٌ اذا أنعمتَ لا تتوقّفُ
أعيا الرجالَ طلابُ شأوك فاستوى ... فى العجز دونك سابقٌ وموقّفُ
وركبت كلَّ مقطّر(٧) بسواك من ... ظهر الكفاية متنُه لا يُردفُ(٨)
واذا فتلتَ حبالَ عهدٍ لم يكن ... يوما لُينكثَ حبلُك المستحصفُ(٩)
واذا خلطتَ فتًى بودّك لم يكد ... كرما صديقُك من شقيقك يُعرَفُ
أنا مَن(١٠) جفاك لسانُهُ ، وفؤاده ... بهواك مع طول البعاد مكلّفُ
وعدَتْه(١١) عنك قوابضٌ من حشمةٍ ... ومِكاسُ حظٍّ بالفتى يتصرّفُ
فولاؤه بين الجوانح والحشا ... لك واصلان وسعيه متخلّفُ
كم تحت جنبى أن أزورك من جوًى ... ذاكٍ ومن ريح اشتياق تعصفُ
ومحبةٍ تصلُ الديانةُ حبلَها ... بينى وبينك عِيصها(١٢) متلفّفُ

(١) الهجين : من أبوه عربيّ وأمه . (٢) المقرف : من أمه عربية لا أبوه وهو يدانى الهجنة غير أن الإقراف من جهة الفحل والهجنة من قبل الأم . (٣) المهجن : المقبّح . (٤) المطا : الظهر . (٥) النيف : الزيادة ، يقال عشرة ونيف ومائة ونيف ، وكل ما زاد عن العقد فنيف الى أن يبلغ العقد الثانى . (٦) شفقا : خوفا . (٧) المقطر : الدابة التى تلق الفارس على قطره . (٨) لا يردف : لا يركب عليه ردف وهو الراكب خلف الراكب . (٩) المستحصف : المستحكم الفتل . (١٠) فى الأصل "أيا من" . (١١) عدته : صرفته . (١٢) العيص : الشجر الكثير الملتف .

وإن آتهمتَ فمى فربَّ فِراسةٍ فى الوجـــه تشهد لى بذاك وتحلِفُ
هــذا وإن بسـط آنقباضى باعثٌ نحـوى بوجهــك أو برأيك يعطفُ،
اتأنَّســت حُوشــيّتى ولأصـبحت همى الشــذوذُ جــوامعا نتألّفُ
ولزرتُ عن ثقــة فإن مكانتى تُدنَى وإن زيارتى تُتَشــوَّفُ
ولقــد علمتَ وكلُّ مــولى نِعــمةٍ أنى اذا ثقــل الحــريصُ مخفِّفُ
لا تحت ضغطة حاجــةٍ أنا طارحٌ نفسى ولا أنا حين أسأل ملحفُ
يقتــادنى قَودَ الجنيبــة موســعى (١) بِشــرا ويملكُ رقَّ المتلطِّفُ
تغشــاكَ أو يُحمَى (٢) بمــا آستقبلتَــه (٣) من حسنها تقريظَى المستسلفُ
ومن العجائب أن "كسرى" والدى وأنا بناتى فى الفصاحة "خِنــدِفُ" (٤) (٥)
فتملَّهــا ، والمهــرجانُ يزفُّهــا عذراءَ ، درُّ عقودها لك يُرصَــفُ
وآفن الليــالىَ خالدا متســلِّطا حــتى يقــوَّمَ مَيْلُهــا ويثقَّفُ
ما حنَّ للوطنِ الغريبُ وما سعى بحرامِ "مكّةَ" (٦) حاصبٌ ومعــرِفُ (٧)

* * *

وكتب الى عميــد الكفاة أبى ســعد يذكّره سالفَ حرمته، ويبعثه على قضاء حاجتــه

رعتْ من "تبالةَ" (٨) جعدا لفيفا (٩) وســبطا (١٠) يرفُّ عليهــا رفــوفا
وســاقَ لهــا حارسُ (١١) الإنتجــا ع من حيث حنَّتْ نميرا وريفا (١٢)

(١) الجنيبة : الدابة تقاد بجانب أخرى . (٢) فى الأصل "تعشاك" . (٣) فى الأصل "تحمى" . (٤) فى الأصل "بنافى" . (٥) خندف : اسم قبيلة منسوبة الى خندف آمرأة الياس بن مضر بن نزار وآسمها ليلى . (٦) الحاصب : رامى الجمار بالمحصب . (٧) المعرف : الواقف بعرفة . (٨) تبالة : اسم موضع باليمن . (٩) الجعد : الملتوى المتقبض . (١٠) السبط : خلاف الجعد . (١١) وردت بالأصل هكذا "رس" . (١٢) النمير : الزاكى من الماء، والريف : الأرض فيها زرع وخصب .

تخطّاه تُبشِمُه بالعيون ... بِطانا وتُقلصُ عنه الأنوفا
رعتْ ما آشتهت ذا وذاك الربيـ ... ـع رعيا يحسُّ عليها الخريفا
وحدّثها أُسَرُ المحصناتِ ... أحاديثَ "نجد" فخبَّتْ خفوفا
وحنّت لأيّامها بالبطاح ... فمدّت وراء صليف صليفا (١)
تراود أيديَها فى الرويد (٢) ... ويأبى لها الشوق إلا الوجيفا (٣)
فهل فى الخيام على "المأزمين" (٤) ... قلبٌ يكون عليها عطوفا ؟
وهل بانُ "سلع" على العهد منـ ... ـه يحلو ثمارا ويدنو قُطوفا ؟
تَزاوَرُ ريح الصَّبا بينهن ... فيُقبلن ميلا ويُدبرن هِيفا
وحىٌّ دوينَ "مِنًى" لا يزا ... ل يقرى عزيبَ (٥) الغرامِ الضيوفا
تجاوره فتخافُ العيو ... ن مرهَفةً وتُخيف السيوفا
ترى ما آشتهت (٦) لك عينُ الصديـ ... ـق عزًّا عريضا وبِرًّا لطيفا
نساءً بأكسارِ تلك البيو ... تِ شاهدةً ورجالا خُلوفا
وصفراءَ من طيّباتِ "الحجا ... زِ" (٧) تمشى تريك الخليعَ التزيفا
ترى الزعفرانَ سقَى خدَّها ... مُجاجتُه والعبيرَ المَدوفا (٨)
تعلّق قومٌ بدورَ التّمام ... وعُلّقتُ منها هلالا نحيفا
حماها الغيورُ فعادت تلو ... ث (٩) دونى الستورَ وترنى السجوفا
وروّضها قائدُ الكاشحين ... فألقى مقادا وحبلا ضعيفا

(١) الصليف : صفحة العنق . (٢) الرويد : المهل . (٣) الوجيف : ضرب من السير كالعنق . (٤) المأزمان : جبلا مكة . (٥) فى الأصل "غرب" . (٦) فى الأصل "استهت" . (٧) الزيف : السكران . (٨) المدوف : المخلوط بالطيب . (٩) تلوث : تلفّ .

اذا مجَّ سمعىَ قولَ[1] الوشاةِ تعلَّقَ فى أذنيها شُنوفا[2]

فكم ليلةٍ — ورقيب العيو ن لا يحمل النوم إلا خفيفا — ،

سمرتُ ففاسقنى طرفُها وألفاظُها ثم كنتُ العفيفا

وقد كان حبٌّ يقُصُّ[3] الضلوعَ ولكنّه كان حبًّا شريفا

وحاجةِ جِدٍّ تناولتها[4] برأيٍ يبُدُّ الفؤادَ الحصيفا

دعوت لها قبلَ داعى الصباح غلاما بطُرْق المعالى عروفا

فهبَّ وفى رأسه فضلة من النوم تُطلقُ جفنا رسيفا

يودُّ بكبرى المنى لو رفقـ ـتُ فى ساعةٍ كنتُ فيها عَسوفا

وعاجلتُه فركبتُ الخطارَ وقام فخاض ظهرى رَديفا[5]

وقلتُ : تيمَّمْ بنا جانبا منيعا وبيتَ نخارٍ مُنيفا

فأهلُك حيث تكون المطاعَ ودارك حيث تكون المَخوفا

تطلَّعْ وراء ثنايا الظلام أتؤنس للجد برقا خَطوفا ؟

عسى البدرُ فى آل "عبد الرحيم" يضيءُ فيرفع هذى السُّدوفا[6]

هم الناس فاحبس عليهم وخذ بحُجْزتهم إن رهبت الصروفا

ترى الماءَ لامعُه لا يغُرُّ والنارَ لا تكذِبُ المستضيفا

ومربوطةً لتجيب الصريخ وسارحةً لترَوّى اللهيفا

وبيضًا مجالىَ فى الأنديا ت لا ينظرُ البدرُ منها الكسوفا

اذا صدئت أوجهُ المانعين أرتك الندى رقّةً أو شُفوفا

---

(١) فى الأصل "قومل" . (٢) شنوف جمع شنف وهو قرط يعلق بأعلى الأذن .
(٣) فى الأصل "يقض" . (٤) فى الأصل "تناوكتها" . (٥) الرديف : الراكب خلف الراكب . (٦) السدوف جمع سدف وهو الظلمة .

وشارة ملك تريك الفذو(١) ذ منهم حيالك جمعا كثيفا
تُكثِّرُ قِلّةً أعدادهم .فتحسبهم عشراتٍ ألوفا (٢٧١)
تمارى العلا فيهمُ أيُّهم(٢) أشدّ عُلوقا بها أو حفوفا
فتحمد كهلَهُمُ والغلامَ وترضى تليدَهُمُ والطريفا
توافوا عليها توافى البنا ن كبرَى وصغرَى يُطلنَ الكفوفا
رأوا قبلة المجد مهجورة (٣)فمالوا فظلوا عليها عكوفا
وقام "عميدُ الكفاةِ" الإمام وجاءوا وراء صفوفا صفوفا
فتى لا يقرّ على عثرةٍ(٤) ولا يردُ الضيمَ إلا عَيوفا
ولا يحسب المالَ وجها يُصانُ ولا ساحةَ العُدم ظهرا مُخيفا
اذا اشتدَّ عاركتَ ليثا غضوبا فإن لان غازلتَ ظبيا ألوفا
تخالُ عِمامتَه مِغفَرا(٥) ويومَ الحياءِ تراها نَصيفا(٦)
وشعواء تنزو بهامِ "الكفا ةِ" طورا طِرادا وطورا وُقوفا
تُريبُ الشجاعَ بظلِّ القناةِ ويتّهُمُ الطرفُ فيها الوظيفا(٧)
ندبتُ اليها على خَطبها الـ ـجليلِ هضيما حشاه لطيفا
يطأن على فِقَرٍ لا تَرَا لُ والأسد مستأخراتٍ دُلوفا(٨)
ومغبّرة الجوّ غرثى الترا ب لا تحلب الضرعَ إلا القُروفا(٩)
يعود بها الفحلُ نِضوا أجـ ـبَّ(١١) يألم جِرّتَه(١٢) والصريفا(١٣)

(١) الفذوذ جمع فذ وهو الفرد . (٢) فى الأصل "أنهم" . (٣) فى الأصل "فطلوا" . (٤) فى الأصل "يفر" . (٥) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس . (٦) النصيف : الخمار أو كل ما غطى الرأس . (٧) الوظيف : مستدق الساق . (٨) الدلوف : مشى يقارب الخطو . (٩) القروف : الأمراض الوبيئة . (١٠) النضو : المهزول . (١١) الأجبّ : المقطوع السنام . (١٢) الجرة : ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثانية . (١٣) الصريف : صرير ناب البعير .

فتحتَ يديـك فخلّتها سحابا ظليـلاً وغيثا وكيفا
مكارم تُتمـكُ(١) عَرض السَّـنا م بعـد الذبول وتَبنى السـديفا(٢)
اليـك رحلنا مطايا الثنا ء نُدمِى مناسمَها(٣) والدُّفـوفا(٤)
عليها وُسـوقُ الأمانى الثقا لُ مقـترحاتٍ صنوفا صـنوفا
فأصبحنَ يحكمن بالإشـتطا ط فى بحـرٍ كفّك حكما عنيفا
أوانس منـك بما يبتغين وكنّ من الناس وَحْشا عَزوفا
وعقّ الرجالُ بنـاتِ القـريض فكنت بهنّ حفيًّا رؤوفا
كأنىَ من عزّها فى ذَراك أرى النجمَ جارا لها أو حليفا
فـلا زلتُ أُركِبُهنّ الروا ةَ فيـك مُهملِجة(٥) أو قَطـوفا(٦)
سـوائر لا البحـر يخشينه ولا يتنـاذرن ريحا عَصـوفا
لمجـدك منها رسومٌ تقا م كالعهـدِ يُحفَظُ والنـذرِ(٧) يوفى
تُـرِى لك إكثارَها قِـلّةً ومنـك كثيرا جـداك الطفيفا

* * *

وقال يمدح الوزير بن زعيم الدين ويهنئه بالنيروز، ويذكر غرضا له

سأَلَ "اللوى" وسـؤالُه إلحافُ لو كان من أهلِ "اللوى" إسعافُ
وٱستمنحَ الأظعانَ وقفةَ ساعـةٍ لو أسمـعَ المتسرِّعَ الـوقّافُ
ساروا وغَشْمُ البين يخلِـط أمرَهم حتى ٱسـتوى الفُراط والسُّـلّافُ
هى نظـرةٌ هيماتِ من أخواتها عينـاك إن كفر(٨) المطىَّ "شَراف"(٩)

(١) تُمك : تسمن . (٢) السديف : شحم السنام . (٣) المناسم جمع منسم وهو خف البعير . (٤) الدفوف جمع دف وهو الجنب من كل شيء . (٥) المهملجة : الدابة تسير سيرا حسنا . (٦) القطوف : الدابة تسيء السير وتبطئ . (٧) فى الأصل "البدر" .
(٨) كفر : سنر . (٩) شراف : اسم ماء بنجد .

وتعــوّمتْ فى الآل فهى اذا طما ... سفُنٌ له وحُدوجها أصــدافُ

فاطــرحْ لحاظَك سارقا ما أبصرت ... من قبــل أن تتصــدع الألّافُ

يا دار لستِ اليــوم مثلكِ أمسِ لى، ... ظهــرتْ مفارقةٌ وبان خــلافُ

ذوت الغصــونُ الناضراتُ وهُيِّلتْ[1] ... بعــد الوثارةِ[2] فــوقَك الأحقافُ[3]

وتغــيّرت ريحُ الصَّبا عن خُلقها ... وليانِهــا فنسميُهــا إعصافُ

كنّا نرودُك روضــةً مرشــوفةً ... فاليــومَ تُربك دِمنــةٌ[4] تُستافُ[5]

بذلت عزيزتَك المناسمُ[6] وطأةً ... عنفًا[7] وداست خــدَّك الأخفافُ

وبما يكون العيشُ فيك صبائغا ... سحّارةً حــبراتُها أفــوافُ[8][9]

وعلى رباط اللهــو حولَك ضُمَّــرٌ ... ذيَّالة أذنابُهــا أعــرافُ

إن غاب أهلكِ فالجبــاةُ[10] أهــلةٌ ... أو غاض ماؤك فالسِّــقاء[11] نِطافُ[12]

فاليــومَ أنت الى الدمــوع ذريعةٌ[13] ... إن ضنّ منهــا المســبِلُ الوكّافُ

قــد أنجزتْ فيك النــوى ميعادَها ... يا ليت إنجازَ النــوى إخــلافُ

لم ترمــنى الأيامُ فيــك بعائرٍ[14] ... هى أســهمٌ وجوارحى أهــدافُ (٢٧٢)

أأذمُّ فاحشَ صــبغها فى غــدرةٍ ... عنــدى لهــا أمثالُهــا آلافُ؟

قــد ملّستْ جنبى ضغاطُ حبالِهــا ... فتشــابهَ الإدمالُ[15] والإقــرافُ[16]

---

(١) فى الأصل "وهتلت" . (٢) الوثارة : السهولة واللين . (٣) الأحقاف جمع حقف وهو ما اعوج من الرمل واستطال . (٤) الدمنة : الأثر . (٥) تستاف : تشتم . (٦) المناسم جمع منسم وهو الخف أو من الناقة كالظفر للإنسان . (٧) العنف : ضد الرفق . (٨) فى الأصل "صبايعا" . (٩) أفواف جمع فوف وهو ضرب من برود اليمن . (١٠) فى الأصل "غاب" . (١١) فى الأصل "فالشفاء" . (١٢) نطاف جمع نطفة وهى القليل من الماء . (١٣) فى الأصل "دريعة" . (١٤) العائر : السهم لا يدرى من رامیه ، وفى الأصل "بغاير" . (١٥) الإدمال : برء الجرح . (١٦) الإقراف : قشر القرحة بعد يبسها .

وطغت نوائبها عـلىّ فقـرصها ... جرحٌ ومختصـراتها إسـرافُ
كاشفتُها وصعُبتُ(١) لما لم يكن ... عـونا عليها الرفقُ والإلطـافُ
ورددتُ سيفَ تجـلُّدى بفـلوله ... وصـداه إذ لم يُغنـنى الإرهافُ
هرِم الزمانُ وحُوّلت عن شكلها ... شـيمُ الرجال وحالت الأوصافُ
ورقدتُ تحتَ الضـيم لا عن ذلّة ... مستحليا للنـوم وهـو ذعافُ(٢)
ما إن شريت الجـورَ(٣) مرتخصـا له ... حـتى غلا وتعـذّر الإنصـافُ
وجفت خلائقُ كنت إن جاذبتُها ... سهلَ القيـاد ولانت الأعطـافُ
وعذرتُ فى فَـرط العقوق أرقّـةً(٤) ... لؤماءَ(٥) حـتى عقّـنى الأشـرافُ
وغدا "زعيم الدين" مع أمـنى له ... ورجاىَ فيـه عـلى الوفاء يُخافُ
وقسا فـلولا أن أحاشىَ مجـدَه ... منها لقلتُ : مـلولةٌ مِطـرافُ(٦)
دبت اليـه عقـارب من كاشح ... مسـحولةٌ(٧) أسبابُهن ضِـعافُ
فأطفن منه بسمع أروعَ لم يكن ... من جانبيـه لمثلهنّ مَطافُ
ما كن من تحقيقه أو ظنـه ... طـرفا وقـد تجمع الأطـرافُ
حتى سـلا صبٌّ وأعرض مقبـلٌ ... عـنى وأنكر خابرٌ(٨) عـرّافُ
يا سـيفَ نصرى والمهنّـدُ مانـعٌ ... وربيعَ أرضى والسـحابُ مُصافُ(٩)،
ومعيـد(١٠) أيامى الىَّ سمائنـا ... بُدْنًا وهنّ على الحياض عِجافُ،
أخلاقُك الغـرُّ الصـفايا مالهـا ... حملَت قذى الواشين وهى سُـلافُ(١١)

---

(١) فى الأصـل "صبعت" . (٢) الذعاف : السم يقتـل من ساعته ، وفى الأصـل "رعاف" . (٣) فى الأصل "شربت" . (٤) فى الاصل "أدقة" . (٥) فى الأصل "لؤما" . (٦) المطراف : من لايثبت على وداد أو صداقة صاحب . (٧) مسحولة : مفتولة فتلا غير محكم . (٨) فى الأصل "حابر" . . (٩) المصاف : الذى يكون فى الصيف لا يحمل ماء . (١٠) فى الأصل "ومعند" . (١١) السلاف : من أسماء الخمر .

والإفـكُ فى مرآة رأيـك ما له ... يخفى وأنتَ الجوهـرُ الشَّـفافُ!

أظننت أنى مـع تصاعدُ همّـتى ... نحو الدّناة يكون لى إسـفافُ

أو للتسـرع فى قناتى مغـمَزٌ ... من بعـد ما أطّـرَ(١) القناةَ ثقافُ(٢)

قـد كنت أحسبهـا تمرُّ بسمعكم ... سَهَكَ(٣) الرياح يحثّها الإسـرافُ

وإخال مشىَ الوخـد فيهـ القهقرى ... فاذا الذميـلُ وراءه الإيجافُ(٤)

إن كان ظنّـا فهـو إثم أو تقـل ... صـدقَ المبلّغُ فهـو بى إجحافُ

أو كان عتبا مُصلحا ما بعـده ... فالعتبُ مع عدم الذنوب قـذافُ

ونعم صدقتَ ! سواك من أصغى لها ... سَـرَفا وأسمعـه بها الهتّافُ

لكن كرهتُ(٥) مِصاعَهـم(٦) فى طرحها ... عـنى وأنت الفـارسُ العطّافُ

فاسمـع ظلامـةَ نافثٍ لم تكفه ... سيفَ الزمان نزاهـةٌ وعفافُ

إن فاته استئنافُكم إنصافَهُ ... غضـبتْ له حُرُماته الأسـلافُ

واعطف لهـا عطف الكريم وداوِها ... تُبلِلْ فقـد دَوِيتْ(٧) لها الأجوافُ

وآحمـل وإن ثقُلتْ عليـك فإنه ... ماكلّ حاجاتى اليـك خِفافُ

ولقدعلمتَ(٨) ـ وفى الشروع غضاضةٌ ـ ... أنى اذا وردَ الحـريصُ أعافُ

علّمتـنى شرفَ الطبـاع فليس لى ... إلا الى معـروفك ٱستشرافُ(٩)

وأفدتُ عدوى العـز منك فكلّمـا ... وسِـعَ الكفايةَ لى غنًى وكَفافُ

يا من اذا نُدبَ القـريضُ لمدحه ... عجـزَ البليـغُ وقصّـر الوصّافُ

---

(١) أطر : عطف ولوى . (٢) الثقاف : آلة لتقويم المعوج من الرماح . (٣) سهك الرياح : مرورها بشدّة . (٤) الوخد : رمى البعير بقوائمه كالنعام ، والذميل : ضرب من السير السريع ، والأيجاف : ضرب آخر من السير السريع . (٥) فى الأصل "كرهب" .
(٦) المصاع : المجالدة . (٧) دويت : مرضت . (٨) فى الأصل "عملت" .
(٩) الأستشراف : رفع البصر الى الشيء والنظر اليه مع بسط الكف على الحاجب كالمستظل من الشمس .

ومن آجتنى ثمـرَ النفوس بما حفا[1] والجـوّ أقـتمُ والمَـرادُ جَفافُ
واذا الرجالُ تدارسـوا أخلاقَـه وهُمُ الكفاة تعلّمـوا وآقتافـوا[2]
واذا آنتضى الأقْلامَ من أغمادها طفقت تَلَـثَّمُ بالحيا الأسـيافُ
زُبَرٌ[3] تَوغَّـلُ[4] حيث لا آبن الزُّبرة[5] الـ ـد امى ولا آبنُ الغابة الرعّافُ[6]
طلب الرجال مـداك لما أن جرَوا وتناكصُوا باليأس لما خافـوا
والبـدرُ من أنوار وجهك خاشعٌ يشكو وشكوى مثـله آستعطافُ
لك دونه شرفُ النهـار، وحظُّـه من ليـله الإظلام والإسـدافُ
واذا آستتم فليـلةٌ من شهره نصـفٌ وشهـرك كلّه أنصافُ
والقَطرُ يقنع من سماحتِـه بما يعتامُ[7] من كفيك أو يعتافُ[8]
جاريتَـه وسحابُ جودك ساكنٌ ففضلتـه وسحابُـه رَجّافُ[9] (٢٧٣)
بكم آستقام من السياسة مَيلها وثرا المقـلُّ وأخلَف المتـلافُ
وتعـدّلت فى الحـق كلّ فضيلة فتساوت الصهوات والأردافُ
أنـتم بنـو المُلك التليـدِ وقومُهُ وسـواكم الجيران والأحلافُ
ميلادكم سببُ الصـلاح وخَلْقُكم فينا من البارى لنا ألطافُ
سمعا ولولا أن سمعَـك آذنٌ ما قادها رِفـق ولا إعنافُ[10]
أتم القـوافى المنجبات ولم تكن لـولاك تـولَدُ فاؤها والقـافُ
لو لم يحرّكها هـواك لما مشت خَطـرا ولا آهـتزّت لها أعطافُ

---

(١) حفا : أعطى . (٢) اقتافوا : تتبعوا الأثر . (٣) الزبر جمع زبور وهو الكتاب .
(٤) فى الأصـل "عيث" . (٥) الزبرة : القطعة الضخمة من الحـديد ، ويريد بآبن الزبرة الدامى : السـيف . (٦) الرّعاف : السآل بالدم ، ويريد بآبن الغابة الرّعاف : الرمح .
(٧) يعتام : يختار . (٨) يعتاف : يتزوّد . (٩) الرجاف : الكثير الاضطراب .
(١٠) الإعناف : الأخذ بالشدة ، وفى الأصل "أعياف" .

فاجلس لها النيروزَ مجلسَ خَلوةٍ سعدانِ عيدٌ مقبلٌ وزفافُ
وفِّرْ قِراهُ من السرور وقِسْمَنا ممّا تجود فكلّنا أضيافُ
فى نعمةٍ مخلوعُها متجدِّدٌ أبدا وماضى عمرها آستئنافُ
غُرُفاتها مرفوعةٌ ومياهها مسكوبةٌ(١) وجِنانُها ألفافُ(٢)

وقال فى السيف

وآبنٍ سُررتُ به إذ قيل لى : ذكَرٌ فصنته و يصان الدرُّ فى الصدفِ
أخشى الرياحَ عليه أن تهبَّ فما تراه فى غير حجرى أو على كتفى
أغار(٣) عجبا به من أن أقبِّلَه يوما وتقبيلُه أدنى الى شرفى
يتيه من فوق كرسىٍّ — وُهِبتُ له(٤) من "الحسين" — بقدٍّ قام كالألف
كالسيف(٥) أرسله فى الروع صاحبُه على الكتيبة ذات الحشْدِ لم يقِف
أخفيتُه وهو لمّا تَخفَ صورتُه وها هو الآن ما أخفيتُه وخَفِى

وكتب الى الوزير كمال الملك أبى المعالى بسرّ من رأى فى النيروز

لعلّهم لو وقفوا أبلٌ(٦) هذا المدنَفُ
قالوا : غدا وعدُ النوى يا بردَها لو لم يفُوا
فاستنفروا وأجمعوا وآستنظروا وأخلفوا
تسرّع الناجى الحشا وجعجع(٧) المكلَّفُ
ثم آستوى على النوى الـ ـسابقُ والمخلَّفُ

(١) فى الأصل "مسكونة". (٢) الألفاف : الأشجار يلتفّ بعضها ببعض. (٣) فى الأصل "أعار". (٤) يريد بقوله وهبت له « جعلت له بدلا من الحسين بن الإمام على رضى الله عنهما . (٥) كذا بالأصل ولعلها "كالسهم". (٦) أبلٌ : شفى . (٧) جعجع : أناخ و برّك .

هـل أنت يا قلبُ معى أو معَهم منصرِفُ ؟
قل لهُمُ عن جسدى إن سألوا وأسعفوا
قفوا على فارطكم يا أيّهذا السلفُ
ما كل سير اليعملا تِ الغشْمُ والتعجرفُ
تحرّجوا فما دمى أنف البعير يرعُفُ! .
يا سائق الأظعان أر (١) وِدْ بعضَ ما تعتسفُ
فإنّ بين سُوقها أفئدةً تُختَطفُ
أنتَ على خدورها — فارفق بها — مستحلَفُ
وهى على الدرّ الذى أُكِنَّ فيه الصدفُ
وفى الركاب بَكَرةٌ (٢) تطولها وتَشرفُ
تضعُف عن راكبها فهل تراها تُرْدَفُ (٣)
على النقا المبلول (٤) منـ ها غُصُنٌ مهفهفُ
مال وقام فاستقا (٥) م لامُهُ والألفُ
أورق لو أزفّ لى ذاك القضيب المخطَفُ (٦)
آه على ريحانه لو كان مما يُقطفُ
سلالةٌ من الهلا ل جسمُه المنتَّفُ (٧)
يا زمنى على "الغضا" ما أنتَ إلا الأسفُ
لهفى عليك ما ضيا لو ردّك التأسُّفُ
قد كنتُ فى ظلّك لا أخاف ما أُخوَّفُ

(١) أرود : أمهل ، وفى الأصل "أورد" . (٢) البكرة : الناقة الفتية .
(٣) تردف : تحمل رديفا وهو الراكب خلف الراكب . (٤) فى الأصل "المبلوك" .
(٥) فى الأصل "فالسقام" . (٦) المخطف : الضامر . (٧) فى الأصل "المنجف" .

وأنت والشبابُ لى خميلةٌ[1] ومُطرِفُ[2]
ولِدَتى[3] على المها[4] بينكما تَصرُّفُ
فبنتما وصوّحتْ روضةُ عيشى الأُنُفُ[5]
فاليوم كلّ ناظرٍ يُرمِدلى أو يُطرِفُ
تلفّتتْ ذاتُ اللمى[6] عن المنى تحرفُ
فصدَفتْ[7] أمس لها واليوم عنها تصدِفُ
رأتْ بها ما كرهتْ فأنكرتْ ما تعرفُ
وهى التى من يدها سيفُ عِذارى يُرهِفُ
لو أنصفت أسودَه ما راعها المنصِّفُ
حلفتُ بالمقصِّرين[8] من ركبوا[9] فأوجفوا،
لانوا على العيش وخا فوا فوتها فعنفُوا،
بانوا فطاروا فى الرحا ل شُعثُا[10] حين حَفوا، ٢٧٤
رجَوا لأثقال الذنو ب ساعةً تخفِّفُ،
فاستنفدوا جهدَهُمُ سارين حتى وقفوا،
فلثموا ومسحوا وجمّروا وطوّفوا:،
إن "كمال الملك" من جَور الليالى منصفُ

(١) الخميلة : الأشجار الكثيرة الملتفة . (٢) المطرف : ثوب من خز مربع ذو أعلام .
(٣) اللدة : هو الذى ولد معك وتربى . (٤) المها جمع مهاة وهى الظبية . (٥) الروضة الأنف : التى لم ترع . (٦) اللمى : سمرة فى باطن الشفة وهو مما يستحسن . (٧) صدفت : أعرضت وانصرفت . (٨) المقصّرون : واسمو الإبل بالقِصار وهو سمة على أصل العنق .
(٩) فأوجفوا : فأسرعوا ، والإيجاف ضرب من ضروب السير السريع . (١٠) شعثا : جمع أشعث وهو المغبر الرأس المتلبّد الشعر .

وإنه وقومَهُ أكرمُ عينٍ تَطرِفُ
وهو على فخرهمُ فخرٌ لهم وشرَفُ
أبلجُ كلَّ غُمّةٍ[1] بوجهه تنكشفُ
وكلّ والٍ للخطو[2] ب باسمه منصرفُ
حلَّق والنسرُ المُطا ر حوله يرفرفُ
وتمَّ فالبيضاءُ[3] عن أنواره تنكسفُ
ودبّر الملكَ السحيـ[4]ـل رأيُه المستحصفُ[5]
فضمّ منه عدلُه[6] ما نشرَ التحيُّفُ
قاد الصعابَ الخُمسَ[7] يشـ ـتدّ لها ويلطُفُ
حتى استوى على الطريـ[8]ـق وهي ميلٌ حُنُفُ
وعرَّفَ الدنيا وما أعانه معرِّفُ
فقد أقام مَيلَها تدبيرُه المثقِّفُ
نفسٌ مع الحق تعـ ـزّ وله تنعطفُ
تَبرُّجُ الدنيا لها وَهِيَ عنها تعزِفُ[9]
تُقسِم : لا خادعَها مَتاعُها المزخرَفُ
وقدرة يحبسها عن شأوها التعفُّفُ
وراحةٌ ركيّةٌ[10] مُملأ وهي تُترَفُ[11]

(١) في الأصل "عمة" . (٢) في الأصل "للخاطوب" . (٣) البيضاء : الشمس .
(٤) السحيل : المفتول فتلا غير محكم . (٥) المستحصف : المفتول فتلا محكما . (٦) ورد هذا الشطر في الأصل هكذا : * فضم منه له * (٧) الخمس : الصلبة المشتدة واحدها أخمس وخمساء . (٨) حنف جمع أحنف وهو المعوج الرجل أو المنقلب ظهر القدم ، وفي الأصل "حيف" .
(٩) تعزف : تزهد . (١٠) الركية : البئر ذات الماء . (١١) تترف : تتزح .

"دجلةُ" و"الفرات" أو شالٌ[1] لها ونُطَفٌ[2]
بيضاءُ لو جاد بها ما قال : إنى مسرفُ
وخُلُقٌ كالماء لا بل كاللمى[1] يُرتشَفُ
تسكرُ منه صاحيا إن أسكرتك القرقفُ[2]
جلَّ عن الوصف فما يُنصفه من يصفُ
وبهرتْ آيتُه فاعترف المقترفُ[3]
شاوره التاج وفى أذْنيه بعدُ الشَّنفُ[4]
وفات أسلافَ الكهو ل عمرُه المؤتنفُ
إن الذى آستلك سيـ ـفا دونه لمرهفُ
قَويتَ فنصرتَه وحدُّك المضعَّفُ
أجنتته من الردى وصدره مستهدفُ
وزارةٌ عليكمُ دون الرجال تقفُ
أنتم لها ما تقرُب الـ ـدار بكم أو تقذفُ
يشعفها[5] هواكمُ تُعذَرُ أو تُعنَّفُ
فما لقومٍ يبتغو ن وصلها وتصدِفُ[6]
شاموا فكانت برقةً تخدعُ حين تخطفُ
والتيهُ من أكفّهم يجذبها والصلفُ[7]

(١) أوشال جمع وشل وهو القليل من الماء. (٢) نطف جمع نطفة وهى الماء القليل يبقى فى الدلو.
(٣) اللمى : سواد فى باطن الشفة . (٤) القرقف : من أسماء الخمر . (٥) المقترف : المكذب . (٦) الشنف : ما يعلق بأعلى الأذن وقيل هو القرط والأصل فيه سكون النون وقد حركت نونه ها للصرورة ؛ لأن الشنف بفتح النون لغة بمعنى البغضة والكره وهذا بعيد عن المعنى المراد .
(٧) فى الأصل "يشفعها" . (٨) تصدف : تميل وتصد . (٩) الصلف : التكبر .

عادوا بها فعيّفوا[1] بما لهم وأجحفوا
وهى التى قد جرّبوا نشوزها[2] وعرفوا
ما ثُلت وإنما قويتُمُ وضعُفوا
عبرتم الناس بأن جريتُمُ ووقفوا
وذاك ما لا يستطيـ ـعُ البَشَر المكلَّفُ
وكيف لمباهل[3] أن نُكروا ويشرُفوا
ومجدكم واسطةٌ وكلُّ مجدٍ طرَفُ
بكم سرى عِرقٌ وكـ[4]ـثَّ ريشَ الملتحفُ
وطار ذكرى جاريا مع الرياح تعصفُ
ظهرى بكم محصَّنٌ وجانبى مكنَّفُ
ألفتكم، والمنزل الـ ـترحب الخصيبُ يؤلفُ
فمدحى عليكُمُ دون الأنام تعكُفُ
من مُزجت[5] أهواؤه بسلوة تكلُّفُ،
فقد سقا حبَّكم الـ ـمدهق[6] المصرَّفُ[7]
ملكتُمُ نفسى فما لى عنكُمُ منصرَفُ
ووِدّكم منها مكا ن كبدى أو ألطفُ
فلا برا وجدى بكم ولا أفاق الشعَفُ[8]
لست وإن أعرضتُمُ أيأسُ أن تعطّفوا

(١) عيفوا : تكهنوا . (٢) النشوز : الاستعصاء والكراهة ، وفى الأصل "بسورها" .
(٣) المباهل : المفاخر . (٤) كث : كثف ، وفى الأصل "كنت" . (٥) فى الأصل "مرحت" . (٦) المدهق : الذى يملأ الكأس . (٧) المصرّف : من لا يمزج الشراب ويشربه صِرفا . (٨) الشعف : الحب .

وصبر "يعقوبَ" معى حتى يُرِدَّ "يوسفُ"
يبقى عليك ما دَعت أمُّ هديل[1] تَهتفُ
وما أهلَّ وسعى مزدلفٌ[2] معترفُ[3]
وما مشى النيروز يرـ ـخى ذيله ويُسدفُ[4]
عليه من بُرد الربيـ ـع بُردُه المفوَّفُ[5]
فى طالع من نعمةٍ أفولُه لا يزفُّ[6]
فالناس أذيالٌ وأنـ ـت قطبُها والمنصفُ
خُلقتَ فينا واحدا ثانيه من لا يُعرَفُ
أقول لا محتشما لقولها وأحلِفُ
وضامنات لعلا كم موعدا لا يُخلَفُ
سوائر من وصفكم بضوعةٍ[7] تَعَرَّفُ[8]
فهى لكم صوارمٌ وهى لديكم تُحَفُ

وقال فى ريح (٢٧٥)

ما سُمِّحَ وفاقهن خُلفُ شتّى الصفاتِ ضمّهن وصفُ
على اليمين والشمال النصفُ وربع قدام وربع خلفُ
اذا امترى من بعضهنّ خالفُ بلّك منها ما به تجفُّ
أجنحة من "الفرات" تهفو طرد النعام مالهن زفُّ[9]

(١) أم الهديل : الحمامة . (٢) المزدلف : من نزل المزدلفة . (٣) المعترف : الواقف بعرفات . (٤) يسدف : يرفع ، من أسدف الستر اذا رفعه . (٥) المفوف : المخطط . (٦) يزف : يسرع . (٧) فى الأصل "نصوعة" . (٨) تعرف : تفوح بالعرف وهو رائحة الطيب . (٩) الزف : إسراع الظليم فى عدوه ، وفى الأصل "رف" .

* * *

يقول كاتب هذه النسخة : هذا آخر ما وجدته فى ديوان شعره على هذه القافية ، ووجدت على ظهر كتاب مما ينسب اليه هذه الأبيات فأثبتُّها

قفوا فاسألوا عن حال مثلى وضُعفِه ... فقد زاده الشوق الأسى فوق ضِعفِه

وقولوا لمن أرجو الشـفاءَ بوصله : ... أسيرك قد أشفى (١) على الموت فاشفِه

أخو دَنف أخفـاه إخفاؤه الهوى ... نحولا ومن يُخفى الصـبابة تُخفِه

* * *

قافيـــة القـاف

وكتب الى صديق له بالبطيحة (٢) يشوقه ويمازحه باستهداء جُبَّة

قـــل لها أيها الخيالُ الطروقُ : ... نَفَّـرَ العشقَ ما جَـنَى المعشوقُ

بردتْ بعدكِ الضلوعُ من الوجـ ... ـد وخفَّ الهوى وجفَّ (٣) المـوقُ (٤)

ومن الصـبر ما يساعدُ إن رِيـ ... ـم وفى العاشقين من يستفيقُ

كبدى فوق أن أكلِّفها منـ ... ـكِ على البعد حمـل ما لا تُطيقُ

وفؤادى يعزُّ عنـدىَ أن يطـ ... ـمعَ فى أسـره فـؤادٌ طليقُ

يانديمى "بالصَّراة" (٥) آغصبا [ذا] الـ (٦) ـيومَ رهنا بذا الصَّبوح (٧) الغبوقُ (٨) (٩) (١٠)

وآكفيانى أمر المِراح الذى يُحـ ... ـسَبُ بِرًّا فالـبِرُّ وقتا عقوقُ

---

(١) أشفى : أشرف . (٢) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة .

(٣) فى الأصل " خف " . (٤) الموق : طرف العين مما يلى الأنف وهو مجرى الدمع .

(٥) الصراة : نهر يدور حول مدينة السلام . (٦) فى الأصل " آعصبا " . (٧) ليست بالأصل . (٨) رهنا : مقيدا وفى الأصل " رهنا " . (٩) الصبوح : شرب الخمر صباحا .

(١٠) الغبوق : شرب الخمر عشية .

فدم الدَّنّ صِرفُه كدم الخشـ (١) ـفِ متى غُشَّ لم تسغه العروقُ
ومدير سيّان عيناه والإبـ ـريقُ فتكا وريقُه والرحيقُ (٢)
ملّكتنى له الخلاعةُ وآقتـ ـد له رقّ الفؤادُ الرقيقُ
ياليالى "بغدادَ" طبت ولكن (٣) غصبتكِ البدرَ التمامَ "الصليقُ" (٤)
حلّها الغيثُ فى عَرَا (٥) اليهِ والشمـ ـسُ ففيها الحيا ومنها الشروقُ
بأبى ذلك القريبُ وإن نا زعنى سمعَه المكانُ السحيقُ
سل بما سرّ غيرَ قلبىَ فالحز نُ به مذ نأيتُ عنك مُحيقُ
أنزلتْنى الأيامُ بعدكُمُ حيـ ـث تضاع العلا وتُلوَى الحقوقُ
وعرفتُ الرجالَ والجودَ والبخـ ـلَ وكيف المحرومُ والمرزوقُ
إستمع — أسمعتْ عطاياك أذْنيـ ـك — ثناءً تبحُّ منه الحلوقُ
أخلَق الدهرُ من سماحك ما أنـ ـتَ بتجديده علىّ خليقُ
فاكسنى — صرَّحَ الشتاءُ وما أنـ ـت الى مكرماته مسبوقُ — ،
جُبَّةً جُنَّةً من القُرّ قد وا فق معنَى تصحيفِها التحقيقُ
كسجاياك نزهةَ القلب والعيـ (٦) ـنين تحلو ملبوسةً وتروقُ
ولِيَتْ خلقَ ثوبها يدُ ربٍّ لم يفته التغريب والتدقيقُ
نقَشَ (٧) الروضةَ الأنيقةَ ألوا نا كما راقك الشبابُ الأنيقُ
يحسَب الناظرُ المشيرَ اليه أنه من خميلةٍ مسروقُ
راق لونا ورقّ لينا على اللا مسِ فهو الدقيقُ منها الصفيقُ

(١) الخشف : ابن الظبية . (٢) الرحيق : من أسماء الخمر. (٣) فى الأصل "عصبتك".
(٤) الصليق : مواضع كانت فى بطيحة واسط بينها وبين بغداد كانت دار ملك مهذّب الدولة أبى نصر المستولى على تلك البلاد. (٥) العزالى جمع عزلاء، وهى مصبّ الماء من الراوية ونحوها وهى هنا إشارة الى شدّة المطر على التشبيه . (٦) فى الأصل هكذا "والينين" . (٧) فى الأصل "نقس".

وله — إن أماجت الريحُ قُطريـ ـه كما تُنتضَى السيوفُ — بريقُ
وحبيب الىّ ما ريحـك الطـ ـيّـ ـب مسـكٌ من نشره (١) مفتوقُ

* * *

(٢٧٦) وقال يهنّئ نقيب النقباء أبا القاسم بن مَمّا بعقد نكاح

طرفُ "نجديّة" وطرفُ "عراقى" أىّ كأس يـديرها أىّ ساقى !
سنحتْ والقـلوب مطلقـةٌ ترـ ـعَى وعاشت وكلُّها فى وثاقِ
لم تزلْ تخـدع العيونَ الى أن علّقتْ (٢) دمعـةً عـلى كلّ ماقِ
ما أعفّ النفوسَ يا صاحبَىْ شكـ ـواى لـولا غرامـةُ الأحداقِ
وبنفسى المحـلّ ليس رفيقـا (٣) للسـوافى ولا لتيـه الرفاقِ
فى مكان الوحش العواطل تلقى الـ ـإنس فيـه حَوالَ الأعنـاقِ
يتعـرّضن مالهنّ من اللـ ـبس نفورٌ ولا من الصـيد واقى
كلّ محجـوبةٍ الى الحُقْبِ (٤) مستذ ـةٍ لُبسِ الخَلخال عنـد الساقِ
لم تفـوِّز لىَ الأمانى ولم تـر ـم بأشـباحنا ظهـورُ النياقِ
بين آمالنـا "ببغـداد" والنجـ ـح مـدًى بين رميـةٍ وفُواقِ (٥)
ضمنت حورُها لنا العيشَ "والصبـ ـحب" فيهـا الكفيل للأرزاقِ
لم يحـز غـيرَه الكمالُ ولكن ظهـرتْ فيـه قدرةُ الخلّاقِ
باطنٌ مثل ظاهرٍ ، إنّ حسن الـ ـخَلْقِ بُشرى محاسنِ الأخـلاقِ
لـو تراه وأنت تشـناه أبلسـ ـتَ (٦) فعـوّذته من الإشفاقِ

---

(١) فى الأصل "بشره" . (٢) الماق : طرف العين مما يلى الأنف وهو مجرى الدمع .
(٣) السوافى : الرياح تسفى التراب . (٤) الحقب جمع حقاب وهو شىء يحلى تشدّه المرأة على وسطها . (٥) الفواق : الزمن ما بين الحلبتين . (٦) أبلست : حرت فى أمرك .

خذ هنيئا[1] شجاعةً وسماحا ... أو طآ أخمصيك[2] أعلى المراقي
وقرينا أقرَّ عينَ المعالى ... ونفوسُ العدا له [في] السياقِ[3][4]
وُصلَ البدرُ[5] ليلةَ التم بالشمـ ... ـس صباحا والشمسُ في الإشراقِ
صدق الفألُ يومَ بشَّر أصهـا ... را نعيب العلا لهم في الصداق
إجتماعا في الله يُعطى بـه اللـ ... ـه أماناً شمليكما من فراقِ
بأبي أنت فدية لست أرضا ... ها وغير الفداء غير مُطاقِ
أكثر الناسُ من ندى يدك القو ... لَ وسارت نعماك في الآفاقِ
وآسترقَّ الأسماعَ وصفُك فآشتقـ ... ـتُ، فهل من عطف على المشتاق ؟
ومجيري آنفتاحُ كفِّك طلقًا ... من أكفٍّ وقفٍ على الآنغلاقِ
ورجال يلقَون بِشْرِيَ بالبشـ ... ـرِ وقولي : الجزاءَ، بالإطراقِ
موضع الشعر منهمُ موضع العـ ... ـذ ال يومَ النوى من العشّاقِ
وعدتني الآمالُ فيك غنًى قـ ... ـوَّ ت به نُصرتي على الإخفاقِ
فمتى نابني الزمانُ بما يصـ ... ـعُبُ[6] هدّدتُه بأنكَ باقي

* * *

وقال وقد توفِّيَ أبو الحسين محمد بن عمر المعروف بابن الصيدلاني ، وكان من وجوه البغداديين أبّوة، ومن أوحادهم في شرف الأخلاق، وكانت بينهما مودّة تزيد على النسب والأهليّة

صديقٌ يداري الحزنَ عنك مماذقُ ... ودمعٌ يُغبُّ[7] العينَ فيك منافقُ
وقلبٌ اذا عانى الأسى طلبَ الأسى ... لراحته من رقّ ودّك آبقُ

(١) في الأصل هكذا " هينا " . (٢) الأخمص : بطن القدم مما لا يلامس الأرض .
(٣) ليست بالأصل . (٤) السياق : الاحتضار ونزع الروح . (٥) في الأصل " النذر " .
(٦) في الأصل " تصعب " . (٧) يغب : يأتي يوما بعد يوم .

بكى القاطنون الظاعنون وقوّض الـ حُلولُ (١) وصاحت بالفراق النواعقُ (٢)
ولكننى بالأمس لم تسر ناقـةٌ مخنلَس مـنى ولم يحـدُ سائقُ
سـلا عنه فى أىّ المفاوز فاتنى وطـرفى له راعٍ وطِرفىَ سـابقُ
تباغضنا الدنيـا على حبّنا وإن رأت مللا ظلّت خِداعا تُوامقُ (٣)
سوى أننـا نغـتر يا يومَ وبلها بعاجلةٍ والآجلاتُ الصـواعقُ
تصدّت بزور الحسن تقنصنا وما زخارفهـا إلا رُبًى وخنـادقُ
تبسّمُ والثغـرُ المقبِّـل ناهشٌ وتحسـرُ والكفّ المصافح حابقُ (٤)
أتأمل منهـا حظوةً وهى عانس (٥) ولم يحظ أقـوام بها وهى عاتقُ (٦)
أمات أخى فى الودّ أم غاض زاخرٌ من العيش عنى أم تقوّض (٧) شاهقُ
أظلّ غمـامٌ ثم طلّ حِمامُـهُ وقد كنتُ فى عمياءَ وهى بوارقُ
أعُـدُّ له الأيّامَ أرجـو شفاءَه ولا علمَ لى أنّ المنـونَ تسابقُ
وأعدِلُ بالخوف الشكوكَ تعـلُّلا فيا سـوءَ ما جرّت علىّ الحقائقُ
بمن لستُ أنسى من رواحٍ وبُكرةٍ مضى صائحٌ بالأمس قبلى (٨) وغابقُ (٢٧)
دعوت فما لى لم أُجَبْ، إنّ عائقا أصمّـك عنى أن يلـبّى لعائقُ
تخطّى الدواءُ الداءَ وهـو مجرّبٌ وفات طبيبا رأيُه وهـو حاذقُ
خفوناك حـقَّ الودّ إذ أنت آمن وخنّاك يوم الموت إذ أنت واثقُ
وقمنا فأوسـعنا اليك طريقَـهُ وحولَك منا جحفـلٌ متضـايقُ
نخالفك القصدَ اعتمادا وكنت من تساق الى أهوائنـا فتـوافقُ

(١) فى الأصل "وصاحب" . (٢) النواعق : الغربان . (٣) توامق : تحبب .
(٤) الحابق : الضارب . (٥) العانس : التى فاتت سن الزواج . (٦) العاتق : الجارية أول ما أدركت . (٧) فى الأصل "تقوص" . (٨) فى الأصل "قلبى" .

رحيبا على الطـرّاق منا فـا لنا ... بعلنـا[1] جميعا يـوم جاءك طارق[2]
طوى معشرٌ ذاك التنافسَ وٱستوى ال ... حسودُ المعادى فيك لى والموافقُ
وغاضت مودّاتٌ أقضّت وقطّعتْ ... عُرًى كنت وصالا لها وعلائقُ
سرورى حبيس فى سبيلك وقفهُ[3] ... ولذة عيشى بعـد يومك طالقُ
تمسّك بما كنّا عليـه ولا تحُلْ ... عهودٌ ـ وإن حال الردى ـ وموائقُ
وكن لى على ما كنتَ أمسِ معوِّدى ... غدا مسـتعِدًّا ؛ إننى بك لاحقُ
أنتك السوارى الغادياتُ فأفرغتْ ... عليـك ملاءً والجوارى الشوارقُ
ولو لم يكن إلا البكاءُ لأنبتت ... عليك بما تُجرى الحِداقُ الحدائقُ
رَثيتُ بعـلمى فيك حتى كأنها ... تملّى علىّ القولَ تلك الخـلائقُ
وهل يبلغ القولُ الذى كنت فاعلا ... ولم تسمع الحـقَّ الذى أنا ناطقُ
وأُقسم ما أعطتك فضـلَ فضيلةٍ ... أقولُ بها فى مائق وهـو فائقُ
وكيف يناجَى نازحُ السـمع فائتٌ ... عليه مَهيلٌ — من ثرًى — متطابقُ
اذا الحىّ يوما كان فى الحىّ كاذبا ... نِفاقا فإنّ الحىّ فى الميت صادقُ
مضى صاحبى عنى وقد شاب ودّنا ... فيا ليتَ هـذا والوداد مُراهقُ[4]
بجهدك لا تألفْ خليـلا فإنها ... بقـدر مسرّات الألوفِ البوائقُ[5]

وقال فى غرض له

وقالوا : خف اللهَ فى مهجـةٍ ... سمحتَ بها لضَـنًى وٱشتياقِ
ويُسليك أنك مـذ فارقوك ... على عهد من أتلف البينُ باقى

(١) بعلنا : برمنا وضقنا ، وفى الأصل هكذا " بعلنا " . (٢) فى الأصل " جال " .
(٣) فى الأصل "وقفة" . (٤) المراهق : مقارب الحلم . (٥) البوائق : الغوائل والشرور والدواهى واحدها بائقة .

فقلت : وهـل هو إلا الحِمـا ... مُ أحلى من العيش بعد الفراقِ
فداؤك طائفـــةُ البين فى ... بكائى عـــلى إثره وٱحتراق
وقلبٌ على العهـــد إما سلو ... ت من حفظ ميثاقكم فى وثاق
أرى الأرض بعدك مثل القَذاة ... تَرَدَّد ما بين جفنى وماق (١)

وأخّر أبو القاسم سعد بن الكافى الأوحد إنفاذ ما جرت به عادته، فكتب اليه يعاتبه، ويستبطئه بهذه، وأنفذها مقترنة بالدالية التى كتبها الى والده وقد تقدّمت

أشاقك من "حسناء" وهنا طُروقُها؟ ... نعم ! كلُّ حاجاتِ النفوس يشوقُها
سرت أَمَمًا والأرضُ شحطٌ مزارُها ... كثيرٌ عـــواديها قليـــلٌ رفيقُها
تخَـــفَّى وما إن يكتم الليـــلُ بدرَه ... وهـــل فارةٌ (٢) فُضّت (٣) بخاف فتيقُها (٤)؟
لعمر الكرى — ما شاء — ما شبَّه الكرى ... هـــلالٌ محيّـاها وصهباءُ (٥) ريقُهـا
يمثّـل "حسناء" الخيـالُ لمغـــرمٍ ... حبيبٍ اليـــه زُورها وحقيقُهـا
حلفتُ لواشيهـا ليزدادَ غيظـــه ... علىَّ وخيرُ المقسمين صـــدوقُها
لئن ضرّنى بالهجـــر أنى أســـيرها ... لمـا سرّنى بالغـــدر أنى طليقُهـا
أرى كبدى للشوق أنى تنسّمتْ (٦) ... رياحُ النّعامى (٧) غَضُّها (٨) ووريقُها،
فريقين، عند "الحاجبيّة" "باللوى" ... فريقٌ، وعنـدى "بالعراق" فريقُها
وأتبـــع ذكراها اذا آعترض آسمُهـا ... وإن فـــترت أحشاؤها لى وموقُها (٩)

(١) الماق : طرف العين مما يلى الأنف . (٢) الفارة : نافجة المسك . (٣) فى الأصل "يخاف" . (٤) الفتيق : رائحة المسك . (٥) فى الأصـــل "وصقباء" . (٦) فى الأصل "تبسمت" . (٧) النعامى : ريح الجنوب وهى أبلّ الرياح وأرطبها ، وقيل : هى التى بين الجنوب والصبا . (٨) بالأصـــل "غلفها" . (٩) الموق : طرف العين مما يلى الأنف وهو مجرى الدمع .

شرارة قلبٍ ليس يخفَى حريقُه ... وزحمة عين ليس يطفو غريقُها
وكم مسحتْ يوما على السّبْق غُرّتى ... وقد عزّ حلباتِ الوفاء سَبوقُها
عذيرىَ من قلبٍ صحيحٍ ألوفةٍ ... وإخوانِ علّاتٍ كثيرٍ خروقُها
ودنيا خداعٍ كالقذاة بمقلتى ... وإن ملأتها من جمالٍ يروقُها
متى كنتُ فى شرط الأمانىّ عبدَها ... فإنى على شرط العفاف عتيقُها (٢٧٨)
وأعلم منها أين تُمطرُ سُحبُها ... فلا تخدعنّى بالخلاب بروقُها
وعاذلةٍ قالت : رُم الحظَّ تلقه ... وما كلُّ طلّاب الحظوظ لحوقُها
قضت عادةُ الأيّام أن صريحَها ... قليلٌ اذا درّتْ وعزّ مَذيقُها (١)
فناشطها فى غالب الأمر مجدبٌ ... خميصٌ (٢) ويرعاها بطينا ربيقُها (٣)
أفى هذه الأشباح أهلٌ لمطلب ... عفيف أبت أخلاقها وفسوقُها؟
رعَى الله آمالا اليهم بعثتها ... ضياعا كأنى فى "الفرات" أريقُها
اذا كان "سعدٌ" وهو أكرم من مشت ... به وله أيدى الركاب وسُوقُها
نبا وقسا على القوافى فؤادُه ... فمن بعدَهُ حنّانُها وشفيقُها
لمن تُبضَع الأشعار يرجَى نَفاقُها ... اذا كسدت يا "سعدُ" عندك [سُوقها] (٤)
اذا أقصيتْ فى "العرب" يوما وأهملت ... ففى "العجم" تُرعَى ليت شعرى حقوقُها!
لئن كنتَ نشئا أو لسانا عدوَّها ... فإنك علما وانتسابا صديقُها
ألست الذى عزّت (٥) عليه قصائدى ... كما قيل حتى ليس شىءٌ يفوقُها
وأعطيتنى عذراءَ نعمى هنيئة ... متى كُتمتْ فاشهد بأنى سَروقُها
الى أن توهّمت الليالى قد ارعوت ... لتُرقَعَ من جدواك عندى فتُوقُها

---

(١) المذيق : المزوج المخلوط . (٢) الخميص : الضامر البطن (٣) الربيق : المشدود بالربقة وهى كل عروة تشد بها اليم . (٤) ليست بالأصل . (٥) فى الأصل هكذا "عزب" .

وقلتُ : أمانٍ قد أقرّت نَوارُها (١) ... به ودنت من مجتنـاى سَحُـوقها (٢)
" بسـعدٍ " هوت عنقاؤها فتحكّمى ... مُرادكِ يا نفسى ، وباضَ أنوقُها (٣)
ولم يك فيها غـير باعثِ نعمـةٍ ... لعاقلها بالشكر من لا يمـوقُها (٤)
مَن الشـعراءُ القائمـون مَقاومى ... لديك ومَن ذا إن سكتُّ نطـوقُها؟
مجالسُ تُحـلَّى (٥) لى بحقٍّ صـدورُها ... وأرضٌ يخـلَّى لى بسـيفٍ طريقُها
وأنت — وإن هجنتها العامَ — شاهدٌ ... لها كيف يأتى حلوُها ورشـيقُها
وكم طـرِبٍ لى وهو يُنشِد نفسَـه ... الى الحول يصبو نحـوَها ويتوقُها
يكاد بما تحـلو وتصـفو لسمعه ... ينضُّ (٦) لسانا نحـوها يسـتذيقُها
عـدوُّك مثلى يـوم آبتْ خفائفـا ... قِلاصُ (٧) المطايا من رسـومى ونوقُها
مـددتُ لها كفى فلمّـا ثنيتُها ... على اليأس ما إن كدت ردًّا أطيقُها
فيا نجـلةً فى خيبـة فاض وَرسُها (٨) ... حَياءً بمـا خابت وغاض خَـلوقُها (٩)
ويا طرفةً فى مقـلةٍ ذاب لو جرى ... عـلى الخـدّ خلطا دُرّها وعقيقُها
سأخطو اليك الحادثاتِ ولو غدت ... تـلوح سـيوفا لم يرعنى بريقُها
وأهجـرُ أرضا أسـلمتنى وهادُها ... عساه بقـربى منـك يعصِمُ نِيقُها (١٠)
سيوسعها لى حسنُ رأيك آجـلا ... فلا يحرجنّى عاجلا منـك ضيقُها

---

(١) النوار : المرأة النفور . (٢) السحوق : النخلة الطويلة . (٣) الأنوق : الرخمة أو العقاب وفى المثل " أعز من بيض الأنوق " . (٤) كذا بالأصل ولم نوفق فيه الى معنى واضح . (٥) فى الأصل " تحلى " . (٦) ينض : يظهر ، وفى الأصل " يبض " . (٧) قلاص جمع قلوص وهى الفتية من الإبل . (٨) الورس : نبات أصفر . (٩) الخلوق : ضرب من الطيب أعظم أجزائه من الزعفران . (١٠) النيق أعلى موضع فى الجبل .

✦
✦ ✦

وقال يذمّ الزمان، ويستبطئ أهله، ويمدح بعض أصدقائه من العلويّين

حَمَلتْ ركابُ الغرب شمسَ شروقِ ... وحملتُ منك العهدَ غيرَ مُطيقِ
عقدتْ ضمانَ وفائها من خصرها ... فوهى كلا العقدين غير وثيقِ
والغانياتُ بناتُ غدرٍ من أبٍ ... يضربن فى نسبٍ اليه عريقِ
ثاروا فكم قاسٍ علىّ فؤادُه ... لو لم يدلِّسه لسانُ شفيقِ
لله عينا مالئٍ من لؤلؤٍ ... عينيه — يومَ وداعنا — وعقيقِ
إن التى علّقت قلبَك ودَّها ... راحت بقلبٍ عنك غيرِ عَلوقِ
يا أهل "عبدةَ" هل يدٌ يفدَى بها ... قلبٌ أسيرٌ بينكم لطليقِ
أشعرتكم زمنا "بعبدةَ" غيرها ... لو رُجِّمَ المكروهُ بالموموق (١)
لله ناشطةٌ جمعتُ بودّها الم ... حفوظِ باعى فى حبالِ ربيقِ
ما كان أولُ عهدِ أستودعته ... من قلب غانيةٍ إناءَ مريقِ (٢)
ولقد أخالفهنّ غاياتِ الهوى ... وطريقُهن من الشبابِ طريقِ
كان الهوى سكرانَ تنظر عينُه ... حتى صحا فرأى بقلبٍ مفيقِ
ونأيتُمُ ومن الغيوب مستّرٌ ... بالإجتماع يبين بالتفريقِ
فانفس بنفسك أن تحطّك حاجةٌ ... إلا وصبرُك مشرفٌ من نيقِ (٣)
وأبرز لهم جَلْدا وغصنُك مصفرٌ ... تنفى الشماتة فى اهتزاز وريقِ (٢٧٩)
كم باطنٍ غالطتُ — وهو مرمّقٌ — ... عنه الحسودَ بظاهرٍ مرموقِ
والناس أهلُ الواحدِ المثرى وأع ... داءُ المقلِّ بمعشرٍ وفريقِ

(١) الربيق : المشدود بالربقة وهو كل عروة تشد بها البهم . (٢) فى الأصل "طريق" .
(٣) النيق : أعلى موضع فى الجبل .

سلنى بهـم فلقـــد حلبت أمورَهم ... شـــطرين من محض ومن ممذوقِ
وخبرتُهـــم خُـــبرَ اللبيب طباعَه ... فمعى على سَعةٍ، عـــلىَّ لضـــيقِ
ما إن ضننتُ على الظنون بصاحبٍ ... إلا سمحت به عـــلى التحقيـــقِ
لا يُضـحك الأيامَ كذبُ مطامعى ... الا اذا طالبتُهـا بصـــــديقِ
بخـلوا بمـا وجدوا فلو قدروا لمـا ... وجدت لهـاةُ أن تُبَـلَّ بريقِ
ويئستُ حتى لو بصُرت بنـارِهم ... لقِرًى شككتُ وقلتُ : نارُ حريق
ضحكتْ لىَ الأيامُ بعـــدَ عُبوسهـا ... بابن النبىّ عن المـنى المصـــدوق
آنست منـــه بوارقا أمطـــرننى ... ماءَ الحفاظِ عـــلى خِلاب بروق
شرفٌ تنفّس جفْرُه عن غُرَّتَىْ ... جـــدٍّ نبىٍّ أو أبٍ صِـــدِّيقِ
نسبٌ تعفَّرُ منـه لو عَرضتْ له الـ ... ـأفـلاكُ فى صعبِ المَجاز زليـــقِ
أرِجُ المنفَّس خِيلَ واصـفُ طِيبِه ... عَيَّا[1] بمسـك الفـارةِ المفتـــوقِ
واذا "قريشٌ" طاولت بفخارها ... فى عصر إيمـان وعهدِ فسـوق،
بنـــتم كما بانت عـــلى أخواتهـا ... "بمنى"[2] ليالى النحـــرِ والتشريقِ
تتوارثون الأرضَ إرثَ فريضـــةٍ ... وتُملَّكون النـاسَ ملكَ حقوقِ
يفديك مســـتعرٌ عليـــك فؤادُه ... حسدَ الحضيضِ محلَّة "العيُّوقِ"[3]
تفضى صفاتُك بين أضلعه الى ... جُرح على سَـــبر[4] الأساةِ[5] عميـــقِ
لحـــق آنتسابُك باتفاقٍ عـــزَّه ... فأراد فضـــلَك عامدا بلُحـــوقِ
حـــتى اذا المضـــمار ضمكما درى ... أن الســـوادَ لجبهـة المســـبوقِ

---

(١) العىّ : الذى فى منطقـه حصر . (٢) التشريق : ثلاثة أيام بعـد يوم النحر .
(٣) العيّوق : نجم مضىء فى طرف المجـرة يتلو الثريا . (٤) السـبر : اختبار الجـرح .
(٥) الاساة جمع آس وهو الطبيب .

لما أدعى وأبيتَ نَكّس رأسَه ... نجلَ المفاخر بالأب المسروقِ
اِسمع — فقلبي من سماع معاشرٍ ... خُرْسٍ مكارمُهم لكلِّ نطوقِ —
— صَمُّوا فما فرقوا نِداىَ نِداهُمُ ... ما قلتُ أم فى الضأن كان نعيق — ،
فى كلِّ يومٍ بنتَ فكرٍ حرّةً ... تَغنَى ببهجتها عن التنميقِ
حمّلتها كدرَ الهموم وأفجبتْ ... فصفت خلوصَ الخمر بالراووقِ (١)
لم يُجدِ لى تعبى بها فكأننى ... فيما يخيبُ ولدتُها لعقوقِ

* * *

وكتب الى الأستاذ أبى طالب يشكره على جميله اليه، ويذم الزمان

أيا سكرَ الزمان متى تفيقُ ... ويا سَعةَ المطالبِ كم تضيقُ؟!
ويا نَيلَ الحظوظِ أما اليها ... بغير مذلّةٍ لفتى طريقُ؟
أكلُّ فضيلةٍ كانت عليها ... تعين هى التى عنها تعوق؟
قضى عكس الزمان الحقّ ألّا ... يفوقَ بحاله من لا يموق (٢)
ولا يحمى رقيقَ العيش فيه ... سوى حرٍّ له وجهٌ صفيقُ
قضاءٌ ضلّ رشدُ الرأى فيه ... وكاذَبَ دونه الظنُّ الصدوقُ
وعتبٌ طال والأيامُ صُمٌّ ... كما يشكو الى الموج الغريقُ
تهشّمه الخزائمُ (٣) وهو صعبٌ (٤) ... وتخفضه الخصاصةُ (٥) وهو نيقُ (٦)
ألا بأبى يفارقنى أبيٌّ ... عظاتُ الدهر فيه لا تحيقُ
ونفس لم يبت حادى الأمانى ... يسوقُ رجاءَها فيما يسوقُ

---

(١) الراووق : المصفاة . (٢) يموق : يحمق . (٣) الخزائم جمع خزامة وهى حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد فيها الزمام، وفى الأصل "الجرائم" . (٤) الصعب : الفحل لم يركب . (٥) الخصاصة : الفقر . (٦) النيق : أعلى موضع فى الجبل .

اذا روّضتُها حمـلَ الأيادى فقـد كلفتُها ما لا تُطيـقُ
عصت حـتى مخادَعةَ الغـوانى وطاعات الشـباب بهـا تليقُ
أحسّت فى الهـوى هونا فأضحت تُراع من الحسان بما يروقُ
وذى خصر دقيق ، لا جليـلٌ غذاه من الجمـال ولا دقيـقُ
هجرتُ وغير أدمـعَ الجـوارى عليـه وغير أضلعَ الخُفـوقُ
سأسلك طُرقَها البيضاءَ فردا وأين إن آرتفعتُ بها الرفيقُ
لأحرز كآبن "أيّوبٍ" صديقا ألا طالت على السارى الطريقُ ﴿٢٨٠﴾
تركتُ العالمين له وإنى بتركهمُ لواحـدهم خليـقُ
خليـلى من بنى الوزراء (١)خُرْقٌ تصحُّ بفرعهم منـه العـروقُ
شهيـد أن مجـدَهُمُ مُقـامٌ على أقـدامِ غيرهـمُ زليـقُ
"لأيّوبٍ" مخايلُ فيـه دلّت كما دلّت عـلى الغيث البروقُ
ومنه الفضل "إسماعيل" خالٌ، كما إكمال موقِ العين (٢)مُوقُ
مناسبُ ، ساقُ دوحتها طويلٌ عريضٌ فى مفاخرهـم عميـقُ
بأحسابٍ يـزلُّ العارُ عنها وأموالٍ مشت فيها الحقـوقُ
ذوى لَسَنٍ وأفـواهٍ رطابٍ اذا يبست من العِىِّ الحُلُوقُ
أولئك ماهُـمُ وفضُلتَ شـيئا كأنك لاحقا بهـمُ سَـبوقُ
فداؤك مكمَدٌ بك لا تُداوَى برتقٍ بين جنبيـه الفُتـوقُ
اذا راماك (٣)من حسدٍ فأقصى (٤)مكايدِ سهمه فيـك المـروقُ
يريد علاك وهـو بها غريبٌ وأنتَ مـدرّبٌ فيها لبيـقُ

(١) الخرق : السخىّ والفتى الحسن الكريم الخليقة . (٢) الموق : طرف العين مما يلى الأنف (٣) فى الأصل "رماك" . (٤) فى الأصل "فأقضى" .

اذا جاراك بان لمن يداف(١) الـ ـسـوادُ ومن لجبهتـه الخَـلوقُ(٢)
رآك — وأنت حسرتُه — بعينٍ كعين الطَّرفِ(٣) ماطلها العليـقُ
بقيت لكبْتِه ولنـا سـرورًا فكم حسَنٍ يغيظ كما يشـوقُ
يعود العيـدُ دارَك ألفَ شمسٍ عليـك غروبُهـا وبك الشروقُ
اذا هرِمَ الزمانُ أتاك وهـو الـ ـمهفهف فى غضارته الرشـيقُ
حديث العـزِّ ما وافى حـديثٌ وحُجَّ لمثـله البيتُ العتيـقُ
عـدَاتُ بك النوائبَ فاضمحلّت وهـل يبقى على السيل الحريقُ
وسُدَّ بفضـلِ همّتك اختلالى وقـد جلّت عن النُّصح(٤) الخروقُ
فككتَ توحشى وأسرتَ ودّى فهأنا ناشـطٌ(٥) بك بل ربيـقُ
جعلتَ الدهرَ يملك لى جـوابا اذا ناديتُه : أين الصـديقُ
ليسـقِ مكارما لك واصـلتنى سـكوبٌ من حيا شكرى دَفوقُ
تناقـلُه الرواةُ فـكلّ بيتٍ له رهَجٌ(٦) كما هـدرَ الفنيـقُ(٧)
تسهّلَ فى فمى الصعبانِ منه : الـ ـكلامُ الحـلوُ والمعنى الدقيـقُ
سبى الأبصـارَ والأسمـاعَ حتى لطـال به اللسانُ المستذيقُ
ولو قـد لاكه غيرى لأعيـا عليـه فـات وهو به شريقُ
يبُثُّ(٨) عـلاك فى النـعم اللواتى نسـيمُ المكرمات بهـا عبيـقُ
فلو كُتمتْ أبتْ إلا انتشـارا كما يتضـوّع المسك الفتيـقُ

---

(١) يداف : يمزج ويخلط . (٢) الخلوق : ضرب من الطيب تضمخ به جبهة الفرس اذا سبق . (٣) الطَّرف : الفرس . (٤) النصح : الخياطة . (٥) الربيق : المشدود بالربقة وهى كلّ عروة تشد بها البهم . (٦) الهجج : الشغب والفتنة . (٧) الفنيق : الفحل المكرم . (٨) فى الأصل "بيت" .

وقاؤك مهجـةٌ قُسـمتْ ثلاثا فريقـاها اليـك ولى فريقُ
وثقتُ بحسن ظنّى فيـك ألا يقـومَ لغير ودّى فيـه سوقُ
وخفت عليك عينَ الدهر غُضَّتْ فأزرقها بأغراضى عَـلوقُ
فما أرجـو فمن أنّى مـدِلُّ وما أخشى فمن أنى شـفيقُ

* * *

وكتب اليه فى المهرجان يهنّئه ويمازحه باستهداء جُبّة

من العار ـ لولا أنّ طيفَك يطرقُ ـ عُلوقُ الكرى بالعينِ والقلبُ يعشقُ
خيالٌ من "الزوراء" صدَّقتُ فرحةً به خدَعاتِ الليل والصبحُ أصدقُ
عجبتُ له أدنى البعيـدَ وسمّح الـ ـبخيلَ وأهـدى النومَ وهو مؤرِّقُ
طوى رملتَىْ "يبرينَ" لا هو شائمٌ ولا خائلٌ من روعـة البين مشفقُ
يمثّل من "خنساء" غَيْرَى بأن ترى سوى وجهها شمسا على الأرض تُشرِقُ
فنبَّه من أيام "جَمـع"[1] لبانةً يكاد لها جمعُ الضـلوع يفـرَّقُ
لدى ساعةٍ أما الضجيع فصارمٌ وأما الوثيرُ من وسادٍ فمَـرفَقُ
وفى الركب هاماتٌ نشاوَى من الوجى[2] وأيدٍ طريحاتُ الكلال وأسـوقُ
وشُعثٌ[3] أراق السـيرُ ماءَ مَزادهم[4] وهمَّاتُهم فيـه رَوايا[5] تدفَّـقُ
بهم فـوق لسعاتِ الرحال تململٌ وفيهم الى أخرى الأمانى تشـوقُ
كأن لهم عنـد الكواكب حاجةً فأحشاؤهم مثلُ الكواكب تخفقُ
يُسرّون من "نجدٍ" حديثا، عيونُهم [به][6] فى الأحاديث المريبة تنطقُ

(١) أيام جمع : أيام منى . (٢) الوجى : الحفا أو وجع فى الحافر . (٣) شعث جمع أشعث وهو المغبّر المتلبد شعر الرأس . (٤) المزاد جمع مزادة وهى الراوية . (٥) الروايا جمع راوية وهى المزادة يجعل فيها الماء . (٦) ليست فى الأصل .

ورامٍ "بنجدٍ" خضَّب السهمَ من دمى ... على ما اتقيتُ وهو بعدُ يفوقُ
حبائل ما كانت ، وليست لحاظُه ... لها كُفَّةٌ[1] منّى بعضوٍ تَعَلّقُ
هنيئًا له أنى أداوَى بذكره ... - وقد يئست منى الأساةُ[2] - فأفرقُ[3]
وأنى جديد العهد مع كلّ غدرة ... وكلّ هوًى لا يحمل الغدرَ مخلقُ
مريرةُ خُلْقٍ فى الوفاء ، وشيمةٌ ... أنستُ بها ، والنافرُ المتخلّقُ[4]
وقوّدنى للحبّ أولُ زاجر ... أخبُّ على حكم الزمان وأعنقُ[5]
وقد كنت صعبا فى مماكسة الهوى ... فعلّمنى جورُ النوى كيف أرفقُ
وبصّرنى بالناس قلبٌ ممرَّنٌ[6] ... ولحظٌ على ظنّ العيون محقّقُ
صديقَ منهم أين كنتُ مموَّلا ... ثريًّا عدوّى أينما أنا مملقُ[7]
لوامعُ قولٍ كالسراب بلالُه ... بطيءٌ ، وسرَّ العينَ ما يترقرقُ
وشرٌّ علىَّ من عدوٍّ مكاشفٍ ... صديقٌ طوى لى غشَّه متملّقُ
ولكنَّ فذًّا[8] منهمُ صحَّ وحدَهُ ... • علىَّ وسبرى فى الرجال معمّقُ
فذاك ابن "أيّوب" وإن لم نقس به ... بصيرٌ بعوراتِ الأمور محدِّقُ
غريبٌ دعىٌّ فى المكارم شفَّه ... - على عُجمهِ - منك القعيدُ المعرَّقُ
لك السوددُ العِدُّ الحلالُ ومجدُه ... رُقُوعٌ بأيدى السارقين تُلفَّقُ
يلوم على تقصيره عنك حظَّه ... وآفته الحدثانُ والعتقُ أسبقُ
ومتسعٌ يوم الخصام بصوته ... وباب الكلام الفصلِ عنه مضيَّقُ
اذا ملأت فاه الخطابةُ سَرَّه ... وما كلّ آلات الفصيح التشدّقُ

---

(١) الكفة : ما يصاد بها . (٢) الأساة جمع آس وهو الطبيب . (٣) فأفرق : فأبرأ . (٤) فى الأصل "المتحلق" . (٥) الخبب والإعناق ضربان من السير . (٦) فى الأصل "ممرّن" . (٧) المملق : الفقير . (٨) الفذ : الفرد ، وفى الأصل "قذا" .

وحاسـدُ إقبالى عليـك بخُلّتى ... ومـدحىَ حـلوٌ منهما ومنمَّـقُ
يرى فَرْكةً(١) بى عن سواك ومسرحا ... وعنـدك قلبى بالمـودّة مُوثَقُ
وفى الناس من يبغى مكانَك من فمى ... وقلبىَ مشتاقٌ ورهنُـك أغـلقُ
ومحتجب بالمـلك يَشرَق بابُه ... بموكبه الغـاشى ويرجَى ويُفرَقُ
دعانى لِمَـا أدركتَ منى ففـاته ... لسمعىَ أن أُصطاد نسرٌ محلّقُ
أراد برفـدٍ طيبٍ(٢) ما ملكتَه ... بودٍّ وريحانُ المـودّة أعبـقُ
وعاب أناسٌ حشمتى وتأخّرى ... بنفسى وأبوابُ المطالب تُطـرقُ
وقالوا : تقدّم قد تمـوّل ناقصٌ ... وأنت وأنت الواحدُ الفضلِ مخفقُ
ويا بردَ صـدرى لو حُرِمتُ بعقّتى ... ويسرىَ لو أنى بفضـلىَ أُرزقُ
تسمَّعْ فإنّ الإنبساطَ يقصُّهـا ... أحاديثَ فى سـوق المحبـة تنفُقُ
هـل المهرجان اليـومَ إلا نذيرةٌ ... بهجمة أيّام من القُـرِّ تُزهقُ؟
مصاعيبُ(٣) ترمى كالمصاعيبِ فى الدجى ... لُغاماً(٤) على الآفاق يطفو ويغـرقُ
ترى الليـلة الدهماء شهباءَ تحتـه ... ويُصبح منـه أخضرُ اللون أبلقُ
اذا وليتْ كفُّ الشّمال ألتئامَـه ... فليس لكفّ الشمس منـه مفرَّقُ
وإن مسّ جسما عاريًا مسَّ مُحرقا ... على برده، والثلجُ كالنار تُحـرقُ
فهل أنتَ منـه حافظى بحصينةٍ(٥) ... تمـرُّ بها تلك السهامُ فترلَقُ
تضمّ الى الدفء الجمالَ فوجهها ... لرَّ قيقُ وقاحٌ(٦) ليـلةَ القُـرّ يُصفَقُ
موافقـةٍ لونا ولينـا كأنمـا ... تجارَى بعطفيها(٧) نضارٌ وزئبـقُ

---

(١) الفركة : الكراهة والبغض . (٢) فى الأصل "أطيب" . (٣) المصاعيب جمع مصعب وهو الفحل . (٤) اللغام : زبد أفواه الإبل . (٥) يشير بالحصينة الى الجبة التى يستدبها . (٦) القر : البرد . (٧) فى الأصل "بعطفها" .

رعى أبواها من "خوارزمَ" هضبةً ... ترفُّ عليها الغادياتُ[1] وتُغدِقُ
ودبًّا على أمنٍ وخصبٍ فلفّقا ... بجسميهما جسما يقِق ويُمرِّقُ
وقيضَ لها طَبٌّ[2] فلاءم بينها ... صَناعٌ[3] اذا ولّيتَه متأنّقُ
أخو سفرٍ، من "إصبهان" ولادُهُ، ... و"بغداد" منشاه، مُجِلٌّ مدقِّقُ
كأن الذى سدَّى وألحمَ روضةً ... تَفَتَّحُ من حوك الربيع وتُشرِقُ
لها شافعٌ عند القلوب بأحمرٍ ... حكى دمَها تحنو عليه وتُشفِقُ
وقزّيها عند النفوس بأسودٍ ... على أبيضٍ أو أبيضٍ فيه أزرقُ
ومهما تكن من مُرسِلٍ أو مصوِّرٍ ... فرأيك فى التقريب منه الموفَّقُ
وأحظى لدىّ[4] من صحيحٍ ببُطْئِهِ[5] ... مَخيطٌ له ريحٌ بنشرك يَفتُقُ[6] (٢٨٣)
ويُفسدها عندى المطالُ فربما ... تُسابق لفظَ الوعد حزما فتسبِقُ
سواءٌ اذا عجّلتها زِينَ منكبٌ ... جمالا بها أو ليثُ[7] بالتاج مَفرِقُ[8]
ويقبح عند الودّ والمجدِ أننى ... أُرَى عاطلا منها وأنت مطوَّقُ

وقال عند ما آتصل من إكرام ربيب النعمة أبى معمّر بن إسماعيل الموفّق أبى علىّ وتفقُّده وحسنِ عشرته وجميلِ محضره ما يستحقُّ به الشكر، ويَسقط معه الضنُّ والمنافسة فى المدح، وكان على مرّ الأيام يحبُّ أن يُتحَفَ بشىء من شعره ويُكثِرَ آستعمالَ دواعيه، فكتب اليه

(١) الغاديات : السحب تسير غدوة، وفى الأصل "العاديات" . (٢) الطب : الخبير .
(٣) الصناع : الحاذق الماهر . (٤) فى الأصل "الذى" (٥) فى الأصل هكذا "نطيئة" . (٦) يفتق : يضوع . (٧) ليث : لُفَّ . (٨) المفرق : محل الفرق من شعر الرأس .

أما "والنقا" لولا هوى ظبيةٍ "النقا" لمـا قلتُ : حيّا الله دارا ولا سـقَى

ولا أرسلتْ عينى مع الليـــل لحظَها ترودُ السحابَ الجَـونَ[1] من أين أبرقا

خليـــلَّ دعوى الودّ بابٌ موسَّـــعٌ ولكن أرى بابَ التصادق ضيّقا

ألم تر يوم "الجزْع" ما كنت مبصرا فـــلِمْ دمعىَ الجارى ودمعُك قد رقا[2]

نجوتَ وفى أسرِ الهوى لك صاحبٌ فهل أنت مغنٍ عنه أن رحتَ مطلَقا؟

سل الجيرة الغادين هل مُودَع الهوى أمينٌ وهل بعـــد التفرُّق ملتقى؟

وأين الظباءُ العـاطيات[3] الى الصِّبـا يجاذبنـــه الأغصـانَ ريَّانَ مورِقا

حلفتُ بدين الحبِّ يومَ "سويقةٍ" أليّـــةً[4] مغـــلوبٍ تألّى[5] ليصـــدُقا،

لَمَـا بعث "القارئُ"[6] زُرق نبـالِه بأقتـــلَ من تلك العيـــونِ وأرشقا

كأنَّ فؤادى عنـــد صائحةِ النـــوى أديمٌ تفـــرّاه الزمانُ[7]، فـلم تجدْ

ولمّـا أتق نبـــلَ الوشاة بصـــبره به نَغَـــلا[8] أيدى الخـــوالقِ مُخلِقا

حَمَى الله عيشا ـ إن حَمَى العيشَ ـ "باللوى" رمنـــه وشاةُ الدمع من حيثما أتق

ورئمـا[9] بجنبَىْ "غُرَيّبٍ"[10] ما تمتّعتْ تكدّر بعـــدى صـــفوُه وترنّقـا

ضممتُ عليـــه مغـــرما ساعةً يدى لحـاظى به حتى أخيف فشرّقا

ولم أك لمّـا صِـــدتُه فسرحتـــه وخلّيت لمّـا رعتُه عنـــه مشفِقـا

بأوّل قنّـاصٍ تجـــنّى فأخفقـا

---

(١) الجون : الأسود . (٢) رقا : مسيل رقأ الدمع بمعنى جفّ . (٣) العاطيات : الرافعات رءوسهن . (٤) الألية : القسم واليمين . (٥) تألّى : حلف . (٦) القارئ : المنسوب الى القارَة وهى قبيـلة مشهورة بالرماية ، ومنه المثـل "أنصف القـارة من راماها" .

(٧) تفرّاه : بحثه وآستقصاه . (٨) النغـل : فساد الأديم ، والخوالق : المقـدّرات .

(٩) الرئم : الظبى الخالص البياض . (١٠) غرّيب كسكّر : اسم ماء بنجد .

وأعلم لو أن الشبيبةَ كُفَّتِ (١) هناك لأمسى فى حبالِيَ موثَقا
أليلَ سوادى ما أرى الصبحَ سَرّنى فمن ردَّ لى ذاك الظلامَ فأغسقا (٢)
أبيت تَنزَّى بين جنبيَّ لسعةٌ لذكرِك شافى عضِّها غيرُ من رقى
أبَى خُلُقَ الأيّام إلا إساءةً وأحسن حينا كُلفةً وتخلُّقا
أعاتبُها لو كان يجْدى عتابُها ومن حالَمَ الحرقاءَ أصبح أخرقا (٣)
تعجَّبُ منى أختُ "عذرةَ" أن رأت بجبل بنى الدنيا رجائى معلَّقا
وقد عهدتنى منهُمُ ناصلَ المنى اذا لمسوا ودّى تفلَّت مزلَقا (٤)
وقالت: متى آستذرى (٥) وقد كان مصحرا (٦) وخبٌّ (٧) وقد كنا عهدناه [مُعنِقا] (٨)؟
اليكِ! فإنى ما آنحططتُ لرفدهم وبى نَهَضانٌ عنه أن أتحلَّقا
وما كلّ يوم يأكل المرءُ ما جنت يداه له قسرا ويشربُ ما آستقى
وإنى على ما قد ألمتُ محسَّدٌ أكابدُ مفئودا (٩) علىَّ ومُحنقا (١٠)
بُليت بمغتابين لحمَ أخيهمُ بيبت — وما جاعوا — لديهم ممزَّقا
اذا سَرحتْ عنّى من الفضل هجمةٌ (١١) أحالوا عليها عاقرين وسُرَّقا
رمَونى إذ أضحوا هَوانا أخامصًا (١٢) ذُنابَى (١٣) وأن أصبحت فى الفضل [مَفرِقا] (١٤)
أحدّوا أظافيرى فلم أحتلبهمُ ولا لحمَ إلا ما أرى فيه مَعرَقا (١٥)

(١) الكفّة: حبالة تصاد بها الظباء. (٢) أغسق: أظلم. (٣) الأخرق: الأحمق.
(٤) فى الأصل "دى". (٥) استذرى: استظلّ. (٦) المصحر: البارز للصحراء.
(٧) خب: سار سير الخبب وهو مراوحة الفرس بين يديه ورجليه. (٨) فى الأصل هكذا "مع" والمعنق: السارى سير العنق وهو سير سريع. (٩) المفئود: المريض الفؤاد.
(١٠) المحنق: الحانق. (١١) الهجمة: القطيع من الأبل. (١٢) أخامص جمع أخمص وهو باطن القدم مما لا يمس الأرض. (١٣) الذنابى: الذنَب. (١٤) المفرق: موضع فرق الشعر من الرأس، وفى الأصل هكذا "مفرقا". (١٥) يقال: عرق العظم عرقا ومعرقا: أكل ما عليه من لحم.

جنايةُ جهـلٍ جرّها الحلمُ عنهـمُ ... وما كنتُ أخشى أن أرى الحلمَ مُوبقا
ولما رأيت العفـوَ لا يستردُّهم ... ولا العتبَ صيّرتُ العتـابَ التفرُّقا
طرحتهمُ طـرحَ السِّقاء تفجّرت ... مخارزُه بالمـاء حـولَين مُخلِقـا
لئن نُفضتْ باليأس(١) كفّىَ منهمُ ... وأصبحتُ ممـا يغمر العيشَ مملقا
فلى من ريب النعمة اليوم نعمة ... تردُّ الصِّبا جـذلانَ والعمرَ مونِقا
خـلائقُ إمّا ماءُ كَرْمٍ مرقـرَقا ... أغادَى به أو ماءُ مُزنٍ مصفَّقا
كأن الصَّبـا جرّت عليـه ذيولَها ... أصـيلا ، وفأرُ(٢) المسك عنهـا تفتّقا
أغرُّ هـلالىٌّ صحيفةُ وجهـه ... اذا طلعتْ لم تُبق للشمس مَشرِقا
ترى الحسن فيها واقفـا متحيّرا ... وماءَ الحيـاءِ فـوقها مترقـرِقا
بليـلُ يدِ المعروف لو مرّ كفُّه ... على الصَّلد من أحجارِ "سلمى"(٣) تدفّقا
يرى المـالَ وِزرا فى الرقاب مجمَّعا ... فيعيـا به حـتى يـراه مفـرَّقا
من النفر المطفين جدبَ بلادهم ... بمـاءِ الندى الجارى اذا العامُ أحرقا
ميامين تلقى الخـيرَ يوم لقائهـم ... اذا خفتَ يُسرى(٤) أو تعيَّفتَ أبلقا(٥)
طِوال العِادِ طيّبٌ نشرُ أرضهـم ... حيُّون حتى تطرقَ الحـربُ مَطرَقا
اذا ناهز الضيفُ البيوتَ تبـادروا ... له فآسـتَوَوا فيـه غنيّـا ومخفقا
حَموا مجـدهم بالسمهرىّ(٦) تطـاعنا ... وبالكَلِم المربى على الطعن منطِقا
توم الفـتى منهم حليما فإن تقـل ... يقـل مفحما لدى الخصـوم ومرهقا(٧)
اذا أشـعل الأبطالُ فى الحرب شوكةً ... وطـوها حفاةً أرجـلا ثمّ أسـؤقا

(١) فى الأصل "بالناس" . (٢) الفأر : نافجة المسك . (٣) سلمى : اسم جبل . (٤) اليسرى : خلاف اليمنى . ويشير الشاعر بذلك الى الطير التى تمر من ناحية اليسار وهى ممّا يتشاءم منه . (٥) الأبلق : الذى فيه سواد وبياض والمراد به الغراب . (٦) السمهرى : الرمح . (٧) فى الأصل "معجما" .

بكلّ غلامٍ لا ترى السيفَ يحتمى ... ولا الموتَ فى نصر الحفيظة يتّقى
اذا قام ساوى الرمحَ حتى يمسّه ... بغاربه(١) أو طالَ عنه محلّقا
تمارت له أيدى القوابل إذ بدا ... أيبرز نَصلا(٢) أم جبينا مُطرّقا(٣)؟
يدلُّ عليه بشرُه قبل نطقه ... سنا الصبح أتم الفجرَ ثم تألّقا
يُطرّ(٤) سنانا كاللسان حلت له الـ ... ـنفوسُ اذا اشتاق الدماءَ تذوّقا
لهم قَصَبٌ فى المجد زدت مصلّيا(٥) ... عليها وإن مرّوا أمامك سُبّقا
وما ضرّ سارى ليلةٍ لو تناثرت ... كواكبُها ما امتدَّ للقمر البقا
لك المجدُ، يلقى حاجبُ الشمس دونه ... مواقفَ جدٍّ لم يجد عنه مرتقى
مناسبُ ودِّ النجمُ لو تستضيفه ... اليها دعيّا أو تسمّيه ملحقا
تمكّن "إسماعيلُ" منه ورهطُه ... مكانَ تمنّى البدرُ لو أنه ارتقى
اذا عقد النادى الفخارَ عددتُهم ... أباً فأباً حتى عددتُ "الموفّقا"
أبوك الذى أعيا الملوكَ جنابُهُ ... فأعطوه لينا ما اشتهى وترفّقا
تداركهم والشرُّ يفغرُ نحوهم ... فأمسكَ فيه دون ذاك المخنّقا
دَعْوهُ ـ وأطرافُ الرماح تنوشهم ـ : ... لَحاقِ(٦)، فلبّاهم فأُكرِمَ مُلحقا
فأنشرهم موتى وأنقذَ بالقنا ... نعيمَهم المعتادَ من قبضةِ الشقا
له صارمٌ ريّانُ من دمِ بعضهم ... وآخرُ يحمى بعضه أن يمزّقا
حَمَى بين "كرمانٍ" الى الثغر سيفُه ... وعمَّ بلادَ الجوْرِ عدلا وطبّقا
ولم يُبقِ فوق الأرضِ للخوف مَسرَحا ... ولا لجَناح الظلم فى الجوْر خَفقَا

---

(١) الغارب : أعلى الكتف . (٢) النصل : حديدة السيف . (٣) المطرق : المرقق، من قولهم : طرّق الصائغ الذهب والمراد منه غضارة الجبين ونضارته ورقته . (٤) يطُرّ : يحدّ . (٥) المصلّى : ما يجيء ثانيا فى حلبة السباق . (٦) لحاق : اسم فعل أمر بمعنى ألحق .

وما مات حتى أبصـــر العيش ذلّةً ... وحمّلَ الأذى غُلًّا على الحرّ مُوبِقا
ولما أراد الدهرُ تعطيلَ جيـدِهِ ... من الشرف آختارَ الحسام فطوّقا
فَـداك من الأقران أُبْتُرُ(١) لم يكن ... عتيقا ولا فى المجـد مثلَك مُعـرِقا
اذا لفّـه المضمارُ يومَ عريكةٍ ... بنقعـك ولّى يسأل الأرضَ مَنفَقا
يرى مثـلَ عينيه لأسـودِ قلبه ... عدوًّا عـلى أنثَى قناتك أزرقا

* * *

أبثُّك عن قلبٍ أحبَّـك صادقا ... اذا كان حبُّ خـدعةً وتملُّقا
وُصِفتَ له قبـلَ اللقاء فشقتَهُ ... فلمّـا آلتقينا صاده كَرَمُ اللقا
وأصبحتَ من قومٍ عليـه [أعزّةٍ](٢) ... قضى الدهرَ مختصّا بهـم متحقّقا
فزارك من أبكاره بكريمة ... من الخـيّرات الغرِّ صـونا ورونقا
عزيزٌ على غير الكرام آفتراعها ... وإن ساق أعناقَ المهورِ وأصـدَقا
ولما رددتُ الراغبين ولم أدع ... عليها لرامٍ بالمـنى متسـلّقا،
أتانى بشيرُ الخير : أن قـد خطبتَها ... فما كدتُ مسرورا به أن أصدِّقا
وزدتُ يقينا فيـك أنّك واحـدٌ ... اذا آخترتَ كنتَ العـارفَ المتأنّقا
فأشرفُ نفسٍ همّـةً نفسُ ماجدٍ ... يبيت الى أمثالها متشـوّقا
فـراعِ أبًا فى حفظها لم يجـدْ لها ... سَـواءك كفئا ما تَخيَّـلَ وآنتقَى
لئن سُمتَنيها بادئا بِطـلابها ... لَتستمنرنْ منها البناء المنمَّقا
بجوهرةِ الغـوّاصِ دلّاه حظُّـه ... عليها فأهـوَى ما آستطاع وعمَّقا
وابرزها بيضـاءَ تنصُفُ كفَّه ... وميضا ترى وجهَ الغنى فيـه مشرِقا
وقـد أفسد النـاسُ المقالَ فلا ترى ... — لكثرةِ مَن يرضى المحالَ — محقِّقا

(١) الأبتر : مقطوع النسل . (٢) ليست بالأصل .

أرى العيـــدَ والنيروزَ جاءا فأعطيا ... أمانا من الأحداثِ فيـــك وموثقا
فغـادِ بذالكَ لذّةَ العيش مُصبِحـا ... وراوحْ بهـــذا سُنّةَ الدِّين مُغبِقا
وأعطِ وخـــذْ عمـــرَ الزمان محكّما ... وضِحّ وعيِّـــدْ ناحـــرا ومشرِّقا
فـــلو كانت الأيامُ تَنطِقُ أفصحَـا ... بمـا فيك من حســن الثناء وأنطقا

* * *

وكتب اليـــه

سَلكَ الخيـالُ[1] "بحاجرٍ" طَرْفا كراه مـــؤرِّقُهْ
حيّـا خديعـــةَ خُلّبٍ ما بـــلَّ ربعـا مبرِقُـــهْ
وَهْنًـــا وراحَ وليس إ لّا ذكرُه وتشـــوُّقُهْ
وفتحتُ جفـــنى ثمّ عد تُ مع الطماعة أُطبِقُـــهْ
وأجيلُ كفّى أستعيـ ـذُ بـــبُردِه أتعلّقُـــهْ
عجبا لمسرَى "أمِّ سمـ ـيدٍ" أىّ تيـــهٍ تخرُقُـــهْ
وخَطَـا ومشتبه الشـخو ص على الدجى تستـطرقُهْ
ولقـــد تعـادل ظلّهـا بين البيوت فتفـــرِقُهْ
زارت وتحت خـــدودِنا رُكَبُ المطىّ[2] وأسؤقُهْ
ورداءُ كلّ مـــترّفٍ[3] منّا "برامـــةَ" نُمرقُهْ[4]
فتعطّـــرتْ بذيـــولها كُثُبُ[5] "الغوير" "وأبرقُهْ"
واسترجعت باقى كرًى بتنـا اختطافا نسـرقُهْ
يا "روضـة العلمين" جا دكِ من "جُمادَى" رِيقُهْ[6]

---

(١) فى الأصل "الجبال". (٢) أسؤق جمع ساق. (٣) المترف: الذى نعّمته النعمة.
(٤) النمرق: الوسادة. (٥) كثب جمع كثيب وهو التل من الرمل. (٦) الريق: المطر.

وأتاكِ من تُحفِ الربيـ ـع بما يسـرُّكِ مونِقُـهْ
ما خلتُ أنّ البين بعـ ـد تمامِ بدرِكِ يَحْقُـقُـهْ
حتى أطلعتُ وغـربهُ يبكى عليـه ومشـرِقُهْ
فى "الداعرى"(١) - به قِلا صُ "الداعرى"(٢) وأينقُهْ(٣)،
ساقٍ يصـرِّف لحظُهُ كأسَ الغـرام، وتدفُقُـهْ
ما عنـد عينيـكِ يا غزا لةُ فى طليـقٍ توثقُـهْ؟
شـفتاكِ ترشُـفُه مغا لطةً وطـرفُكِ يرشـقُهْ
فلمـاكِ يُـبردُ صـدرَه ولحـاظُ عينكِ تُحـرِقُهْ
زيديه وجـدا إن أقـ ـرَّ حشـاكِ وجـدٌ يُقلقُهْ
وصـلى السهادَ(٤) بليـلهِ إن كان طيفُـكِ يطرُقُهْ
لا تحـرَجى بدمى فعُـ ـقُكِ غـيرُها يتـطوَّقُهْ
أنا ذاكِ أطعمتِ الهـوى لحمى فبات يمـزِّقُهْ
ورهنتُ قلـبى لاعبـا والحبّ عنـدكِ يُغلقُـهْ
القلب لى فاذا عشـقـ ـتُ فربُّه من يعشقُهْ
أنظـر ولَيتَـكِ(٥) مفلتٌ(٦) أشـطانَ(٧) من يتعلَّقُهْ
واعـلم بأنك مخـلِفٌ إلا فـؤادا تُنفقُـهْ
زعمتْ بأن الشَّيب ذن بٌ ليس يُغفـرُ مُوبِقُـهْ
فمن الذى دامت له حَدَقُ الكواعب ترمقُهْ

---

(١) قلاص .جمع قلوص وهى الشابّة من الإبل . (٢) الداعرىّ نسبة الى داعر وهو لحل تنسب اليه الإبل . (٣) الأينق جمع ناقة . (٤) فى الأصل هكذا "الساد" . (٥) فى الأصل "وليك" . (٦) فى الأصل "مغلت" . (٧) الأشطان جمع شطن وهو الحبل .

يصدا الطريرُ[1] وأىّ غصـ ـنٍ لا يُصوّح مورقُهْ
لا تنظرى بالفجر إ لا أن يُبيِّضَ أزرقُهْ
وعيتُ[2] فى فلتات عيـ ـش بالعفاف أرمّقُهْ[3]
من لى بنهضة ناشطٍ[4] أسْرُ[5] المقادِر[6] مطلقُهْ
والحظّ تُخدِجُ[7] أمُّهُ لى أو تتمُّ[8] فتُحمِقُهْ
ما أتعب المحرومَ يأ مُلُ أنّ حرصا يرزقُهْ
تستعبدُ الحرَّ المطا معُ والقناعةُ تُعتقُهْ
والوجه إن كُفِىَ السؤا لَ فليس شىء يُخلقُهْ
ولقد فرَجتُ الى العلا نقعا يضيق مخنّقُهْ
متشهرا فى جوّه حتى كأنى أبلقُهْ
وبليدةِ الأعلام يُنـ ـكِرُ تربَها مستنشقُهْ
يعيا بذرع بساطها رحبُ المطىّ وضيّقُهْ
كتبَ الرسيمُ[9] وخدُّها تحت المناسِمِ[10] مُهرقُهْ[11]
طورا يحقّق فوقها سطرا وطورا يمشُقُهْ
خاوصتُها[12] والليلُ يُفـ ـلَى بالثريّا مفرِقُهْ[13]
فردا يساعدُ وحشتى عضبٌ[14] جديدٌ مخلِقُهْ

(١) الطرير : السنان المحدّد . (٢) فى الأصل هكذا "وعبت" . (٣) أرمّقه : أمسك رمقه . (٤) فى الأصل هكذا "ناسط" . (٥) فى الأصل "سر" . (٦) المقادر : المقادير . (٧) تخدج : يقال أخدجت الدابة أى جاءت بولد ناقص الخلق ، وفى الأصل هكذا "تحدج" . (٨) فى الأصل هكذا "تم" . (٩) الرسيم : ضرب من السير . (١٠) المناسم جمع منسم وهو الخف . (١١) المهرق : الصحيفة . (١٢) خاوصتها : نظرت اليها محدقا نظرى . (١٣) المفرق : محل الفرق من شعر الرأس . (١٤) العضب : الحسام القاطع .

يسلو عن الرفقاء من أنس به مسترفقه
ريّانُ إن يبس المَرا دُ ضحًى سقانى ريقه (١)
طورا يوشّح منكبى وتارةً أتطلّقه (٢)
ومردّدٍ (٣) بين السوا بق لم يهجّن معرقه
سهل اذا استلب المدى أكلَ الطريقَ تدفّقه
لى حلمه ووقاره وعلى المهامه أولقه (٤)
يرمى بواسعةٍ (٥) على كذبِ النواظرِ تصدُقه
لم أجزِه إذ بات يُسـ (٦) ـمِنُ لى الحظوظَ وأعرُقه
حتى علقتُ بساهرٍ حبُّ الضيوف يؤرّقه
جذلان كلّ عشية فيها المغارمُ تُغبقه
متبسم السنوات ضا (٧) حٍ فى القعب فيها مُتأقه (٨)
سيلٌ على ألواذِه (٩) أدمانُه (١٠) أو أنوقه (١١)
للسيف ما ترضاه منـ ـها العينُ أو تستونقه (١٢)
يلقاك أبلجُ وجهه قبلَ العطاء ومشرقه
كالبرق بعد وميضه خلفَ السحاب تدفّقه

(١) الرّيق : المطر . (٢) أتنطّقه : أجعله نطاقا . (٣) يريد بذلك فرسا .
(٤) المهامه : المفاوز والأولق : الطيش والنزو وما يشابههما . (٥) يريد بالواسعة : العين لاتساع مداها فى النظر . (٦) أعرُقه : آخذ ما على عظمه من اللحم . (٧) القعب : القدح الضخم .
(٨) متأق . مملوء . (٩) ألواذ جمع لوذ وهو منعطف الوادى أو الناحية . (١٠) الأدمان جمع آدم وهو البعير تعلو بياضه غبرة . (١١) أنوق جمع ناقة ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا رسما وشكلا ولم نوفق الى فهمه بأكثر مما رجّحنا .

يَسْلُ على الوادى أدمانه أو موقه

(١٢) تستونقه : تستحسنه وتعجب به .

يستنُّ ماءُ الحسن فيـ ـه عـذبُهُ ومرقـرَقُهْ
متمثّل من كسبه الـ ـعالى بجـودٍ يُملِقُهْ
كالليث يأنَف ما كلا إلا عَبيطاً[1] يُشرِقُهْ
ضمنت صـوارمُه له أرزاقَ مَن يسترزقُهْ
فالسيفُ يجمع ماله والمكرمات تفرّقُهْ
من آل "إسماعيل" منتـ ـشر الفخار معرّقُهْ
بيت قعيد العزّ قَـ ـلَّ دخيلُه أو ملصَقُهْ
نسبٌ كأنّ الشمس إشـ ـراقا وعزا تعبقُهْ
ويودّ أعلى الشهب يدـ ـنا أنّه يستلحقُهْ
صعبٌ تُزِلّ صفاتُهُ[2] قدمَ الدعيّ وتُزلِقُهْ
لا يرتقيه — طائرا — عيبٌ ولا يتسلّقُهْ
وُسطاهُ "إسماعيلُه" ومدى علاه "وفّقُهْ"
شرفٌ دنا ونأى محـ ـوّ مه لكم مُحلّقُهْ
بأبيك تمّ عمادُه وسرى فعمّ مطبّقُهْ
سبق الرجال، فبذّهم — مستعجلين — ترفّقُهْ
ومضى يصيب برأيه مثلَ الرِّماءِ[3] يفوّقُهْ
شرف بتيجان الملو ك رِواقُه أو فيلقُهْ
ما بين رأسٍ قد حمى عنه ورأسٍ يفلُقُهْ
قاد العلا وجرى ففا تَ وليس تُدرَك سُبّقُهْ

(١) العبيط : الدم الطريّ . (٢) الصفاة : الحجر الصلب الضخم لا ينبت . (٣) الرماء : الرمي .

ورأيتُ سعيك خلفه فعـ ـلمتُ أنـك تلحقُـهْ
ما مات مجـدٌ أوّلٌ (١) تتلوه أنتَ وتتبعُـهْ
تَنمِى (٢) الطروسُ لفضلكم (٣) خبرًا وأنتَ تحقّقُـهْ
ومتى تعلّمَ ناشئٌ كرما فنفسك تُحذِقُهْ
كم بابِ حظٍّ باسمك ا لـ ـمحبوّب يُفتَحُ مُغلَقُـهْ
وسحابِ جودٍ عن يمـ ـنك عمّ ربعى مغدِقُهْ
لى وبلُهُ ولمن ينا فسنى الفضيلةَ مُصعِقُهْ
وقصائدٍ (٤) كرمت وقد فضحَ اللئيمَ تخلُّقُـهْ
يحلو جناها كلّما (٥) شافهتَه تتذوّقُهْ
ومـلامة عثرتْ بسمـ (٦) ـعك فىّ لا تتخرّقُهْ (٧)
سمع حديدات العوا ذل فى الندى لا تسلُقُهْ
فليسقينّ رياضَ عر ضك فى الندى مغدودقُهْ (٨)
من كلّ سيّارٍ بكم رٍ كاضُهُ أو معنِقُـهْ (٩)
يمضى فيعتلق الصخو رَ بوصف مجدك مفلقُهْ
من معدن الكلم الغري ـب سواى لا يتطرّقُهْ
أحرزت محكمَه اذا أحـ ـتطبَ الكلامَ ملفّقُـهْ
لك حلمُه وعلى عد وّ (١٠) طيشُهُ وتنزّقُـهْ

(١) فى الأصل "تتلوم" . (٢) فى الأصل "منى" . (٣) فى الأصل "بفضلكم" .
(٤) فى الأصل "وفضائل" . (٥) فى الأصل "لتذوقه" . (٦) فى الأصل "فسمعك" .
(٧) فى الأصل "تخرقه" . (٨) المغدودق : ما كثر قطاره من المطر، وفى الأصل "معرورقه" .
(٩) المعنق : السارى سيرا سريعا وهو من العنق . (١٠) فى الأصل "لكم" .

يأتيك زَوْراً[1] كلّ يو مٍ هديّةٍ تتسوّقُهْ
يحبوك خالصتى به وسواك من أتملّقُهْ
كم مهرجانٍ راح منـ ـه وكلّ يوم ترمُقُهْ
خلّيته عطلا أسـ ـوّره[2] به وأطوّقُهْ[3]
لا يعجب الحساد أنْ يصفو لمدحك ممذقُهْ[4][5]
رجلٌ حلا بك عيشُهُ فلا بسمعك منطقُهْ

* * *

وكتب الى الرئيس أبى طالب بن أيوب يهنّئه بالنيروز

يا ديار الحى من جنب[6] الحمى عدتِ ظنّا بعد ما كنتِ حقيقَهْ
أخذ[7] الدهرُ قشيبا رائقا من مغانيك وأعطاكِ سُحوقَهْ[8]
فلئن كنت عدوَّ العين من بعدهم إنكِ للقلبِ صديقَهْ
خلتُ لمّا [لم][9] أطق حمل النوى أن تلك الدمنَ الصمَّ مطيقَهْ
لم أكن أعلم حتى نحلَتْ كنحولى أنها مثلى مشوقَهْ
أين جيرانى بها، لهفى بهم لهفة سكرتُها غيرُ مفيقَهْ
وظباءٌ "بالحمى" ناشطةٌ ظنّها السحرُ رجيماتٍ ربيقَهْ[10]
شام أصحابى على "كاظمةٍ" عارضا يحمل وطفاءَ[11] دَفوقَهْ
فتماروا، ثم قالوا: وقفةً علّه يطرحُ "بالنّعف" وُسُوقَهْ[12]

(١) الزور: الزائر. (٢) أسوّره به: أجعل له سوارا. (٣) أطوّقه: أجعل له طوقا.
(٤) فى الأصل "صفا". (٥) الممذق: المخلوط المشوب. (٦) فى الأصل "حب".
(٧) فى الأصل "أحد". (٨) سحوق جمع سحق وهو الثوب البالى. (٩) ليست بالأصل.
(١٠) ربيقه: موثقه فى الربقة وهى عروة تشد بها الدوابّ. (١١) الوطفاء: السحابة المسترخية لكثرة مائها. (١٢) وسوق جمع وسق وهو الحمل الثقيل.

قلت : أما إن فعلتم فاحبسوا ... ودعوا نِضوى[1] يمضى وطريقَـهْ
لم تقصِّـرْ بى مجارى أدمعى ... فأَرُود الغيثَ أستبكى بروقَـهْ
وبذاك "الجـوّ" إن أدركتُه ... لىَ قلبٌ سابِقٌ[2] أبغى لُحوقَـهْ
وهـلال لا ومن أغربه ... وهُوَ المالكُ أن يَقضِى شُروقَهْ، ٢٨٦
ما ظننت الرشفَ محظـور اللمى ... حظرَه [الخمرةُ][3] حتى ذقتُ ريقَهْ
يا لواة[4] الدين عن ميسرةٍ ... كيف للعسر أن ينسَى حقوقَـهْ
ألَمَا أبصـرتُمُ من ولهى ... والنوى تغشمنى قلـتم : فَروقَهْ[5]
كيف لا تُشـفِقُ من بينكُمُ ... مهجتى وهى من الموت شفيقَـهْ
أرفقـوا يا ربما ذاق الهـوى ... واثقٌ من قسـوة ألا يذوقَـهْ
وأقسـموا قلـبىَ فيما بيننـا ... لى فـريقٌ وخذوا أنتم فريقَـهْ
ما على دهر سـقى لى سَجلُه[6] ... نُطفًا[7] من عيشة الدنيـا الرقيقَـهْ[8]
حيثُ أيامى مـلوكٌ كلُّها ... ومن الأيّام أمـلاكٌ وسُـوقَهْ
وفتـاةُ العمـر بيضـاءُ الطُّـلى ... وردةُ الخدّين سـوداءُ العقيقَهْ[9]
ولحـاظ المقَـلِ المـرضَى التى ... تنصُـلُ اليوم وتنبـو بى عَلوقَهْ
فى ظـلالٍ للصِّبـا سابغـةٍ ... وغصونٍ للأمانىّ وريقَـهْ
لوثنى لى راجعا من عِطفـه ... لا ولكن ساعةٌ منـه أنيقَـهْ
زمنٌ أمكننى من رأسـه ... فتعسَّفتُ به غـير الطريقَـهْ
لانَ فى كفّى فأرخيتُ له ... فمضى كالسهـم لم أملك مُروقَهْ

(١) النضو : البعير المهزول . (٢) فى الأصل "شائق" . (٣) ليست بالأصل .
(٤) لواة الدين : المماطلون . (٥) الفروقة : الشديد الفزع . (٦) السجل : الدلو .
(٧) النطف جمع نطفة وهى ماء يبقى فى الدلو . (٨) فى الأصل "الرفيقة" . (٩) العقيقة : شعر كل مولود .

إن يكن متعةَ دنيا فارقت ... فعلى الشيمة نفسي والخليقَهْ
لا يدى تُعطى على الهون ولا ... تَخْواتى بعصا الضيم مَسوقَهْ
أنا ذاك العضبُ(١) لا تمنعه ... قلّة التصميم فى يوم الحقيقَهْ
وقُوى كفّىَ معقودٌ لها ... "بابن أيوبَ" علاقاتٌ وثيقَهْ
الفتى كلّ الفتى إن خذلت ... أختَها الكفُّ وذمّ السهمُ فُوقَهْ(٢)
وأخو الليلة نهّاضٌ اذا ... ما آستَهَبَّتْهُ الملمّاتُ الطَّروقَهْ
لُذْ به وآندبه للجُلّى ولا ... تخش من غفلة عذرٍ أن تعوقَهْ
يُخرجُ الصلَّ(٣) الى حاجاته ... راقيا فى كلّ زلاءَ زليقَهْ
واذا رابتك من خُلْقِ أخٍ ... هفوةٌ تخلِطُ بالبِرِّ عُقوقَهْ
فعليكَ السهلَ من أخلاقِهِ ... فتضوَّعْ مسكَه وآشربْ رحيقَهْ
من رجالٍ سبَقُوا فى مَهَلٍ ... وخَدانَ(٤) النجمِ سيرًا وعنيقَهْ(٥)
وآنتضوا من طبع أيمانهمُ ... كلَّ عضبٍ(٦) يأمن الجفنُ(٧) دُلوقَهْ(٨)
فِقَرٌ تحملُها موقرةً ... صحفٌ(٩) لِقحتُها الدُّهمُ(١٠) المُليقَهْ(١١)
كلّ بيضاءَ سمينٌ متنُها ... ضمّنتها السحرَ هيفاءُ دقيقَهْ
فاذا الأوجه غطّت لونها ... غَبَرةٌ(١٢) وآستخلفَ الورسُ(١٣) خُلوقَهْ
شهد الحربَ سُفورا منهمُ ... غلمةٌ(١٤) تحت قتام(١٥) النقع(١٦) روقَهْ

(١) العضب : السيف القاطع . (٢) الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .
(٣) الصل : الأفعى . (٤) الوخدان : ضرب من السير . (٥) العنيق : ضرب من السير السريع .
(٦) العضب : السيف القاطع يشبه به القلم . (٧) الجفن : غمد السيف . (٨) الدلوق : خروج السيف من غمده . (٩) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن وهى هنا مجاز و يريد بها الدواة .
(١٠) الدهم : السود و يشير بها الى الدوايات فيها الحبر . (١١) المليقة : التى جعل لها ليقة وأُصلح مدادها . (١٢) الورس نبات أصفر يصبغ به . (١٣) الخلوق ضرب من الطيب مائع فيه صفرة .
(١٤) القتام : الغبار الأسود . (١٥) النقع : الغبار . (١٦) روقة : حسان .

بأكفٍّ كالظبا مصقولة ووجـوهٍ كالدنانير عتيقَـهْ
واذا الليـلةُ ماتت نارُهـا وآستلان الكلبُ بالأرض لُصوقَهْ
فطوى الراعى على أضـلاعه [كشحه](١) وآستعدتِ(٢) الشَّعْرَ الحليقَهْ
برزت تَفهـقُ(٣) فى أبياتهـم كلُّ جوفاءَ من الشِّـيزى(٤) عميقَهْ
لا يبـالى عاقرُ البدن(٥) لهـا أيّهـا الواجبـةُ(٦) الجنبِ الشريقَهْ(٧)
نِلتَهـم طولا وزيِّدتَ فما شُقَّ نقعٌ لم تكن أنت سَبوقَهْ
طلبوا مثلك فآستنوا(٨) قَـرَى(٩) من "أبان"(١٠) يستبيضون أنوقَـه(١١)
كنتَ فيهـم واحـدا ليس له من أخٍ لكن له الشمسُ شقيقَهْ
كم لإسعادك عنـدى من يدٍ سَبغت(١٢) ظلًّا ووجهى والوديقَـه(١٣)
ألْحفتْ(١٤) حالىَ منها نعمـةٌ نعمةُ المـزنةِ(١٥) تنثوها الحـديقَهْ
لم يخَـرِّق زمـنى فى جانبٍ لِىَ إلّا قمتَ نصّاحا(١٦) خُروقَـهْ
خليـلٌ فاسـدٌ أصلحتـه وقريضٌ كاسـدٌ نفّقتَ سوقُهْ
فابـق لى ما هتفت باكيةٌ شجوَها، أو حنَّ فُلٌّ لطروقَهْ(١٧)
سامعا كلَّ بعيـدٍ صيتُها تنفض الأرض ولو كانت سَحوقَهْ(١٨)

---

(١) ليست بالأصل، والكشح : الوشاح . (٢) استعدت : استنصرت، وفى الأصل "استعذبت" والشَّعْر جمع شَعْراء وهى الكثيرة الشعر الطويلته . (٣) تفهق : تمتلىء حتى تتصبّب . (٤) الشيزى : الجفان والقصاع . (٥) البدن جمع بدنة وهى الناقة تنحر . (٦) الواجبة : الساقطة . (٧) الشريقة : التى غصّت . (٨) استنّوا : اتخـذوه سننا أى طريقا . (٩) القَرى : الظهر . (١٠) أبان : اسم جبل . (١١) الأنوق : ذكر الرخم وقيل العقاب، وفى المثل "هو أعز من بيض الأنوق" يضرب للحال . (١٢) سبغت : طالت وآتسعت . (١٣) الوديقة : شدّة حر الهاجرة . (١٤) فى الأصل "ألحقت" . (١٥) تنثوها : تذيعها . (١٦) نصّاحا : خائطا . (١٧) الطروقة : الناقة يطرقها الفحل . (١٨) كذا بالأصل ولعلها "سحيقة" بمعنى بعيدة أو لعلها الطويلة على التشبيه بالنخلة .

عَبْلَةَ[1] المعنَى وإن صاغ لها طبعُها "للعرْبِ" ألفاظا رشيقَهْ
تدَعَ العِرضَ اذا ديفت[2] به عِتْرَةٌ[3] تنسب "دارين"[4] فتيقَهْ[5]
يحمل النيروزُ منها تحفةً هى أن يُحمَدَ مُهديها خليقَهْ (٢٨٧)
فعلُها فى الوجهِ أن تبسطَهُ جَذلا والصدرِ أن تفرِجَ ضِيقَهْ

وكتب الى الأستاذ أبى الحسن المختار بن عبيد الله بن الذهبىّ الكاتب

دَرَّ لها خِلفُ[6] الغمام فسقَى ومدَّ من ظلِّ عليها ما وقَى
ورابها ليلُ "جُمادى" أن تَرى من لهب "الجوزاء" يوما محرِقا
فنهضَتْ بسُوقها[7] ودرَجتْ كَهلا[8] أثيثا ومعينا[9] غدَقا[10][11]
حتّى تخيلت رباها حُوِّلتْ بالخصب غُدْرا[12] وحَصاها وَرَقا
لو جاء يُعطى خبرا عن جنةٍ رائدُها راعيَها لصدَقا
خضنا بألحاظِ العيون طُرُقا منها وأخفافِ المطىّ طُرُقا
ملجَمَةٌ تركب من دهمائها على متاعٍ[13] من ضحاها غسقا[14]
تحبِسنا صدورُها والحبُّ فى أعجازها يجذُب مَن تعلَّقا
كلّ فتًى يَخلُفُ[15] وجهَ شمسِها غاربُه حتى يعودَ المَشرِقا

(١) العبلة : الضخمة . (٢) ديفت : مزجت وخلطت . (٣) العِترة : القطعة من المسك الخالص . (٤) دارين : بلدة مشهورة بالمسك . (٥) فتيقة : ساطعة الرائحة .
(٦) الخلف : حلمة الضرع . (٧) سوق جمع ساق . (٨) الكهل : النبت المنتهى .
(٩) الأثيث : الكثير العظيم . (١٠) المعين : الماء الجارى على وجه الأرض ظاهرا تراه العين .
(١١) الغدق : الماء الكثير . (١٢) غدر جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل .
(١٣) متاع الضحى : ارتفاعه . (١٤) غسق : أظلم . (١٥) فى الأصل "يحلف" .

اذا المطايا لجأتْ ببوعها (١) الى الوريد دعدعوها العنقا (٢)
تعسّفا حتى يُنَقِّى (٣) سوقَها طلابُها أيّامَها على "النّقا"
تغنّ "بالجرعاء" ياسائقَها فإن ونت شيئا فزدها "الأبرقا"
وآغنَ عن السياط فى أرجوزة "بحاجرٍ" ترى السهامَ المُرَّقا
وآستقبل الريح الصَّبا بخُطمِها (٤) تجدْ سُرًى ما وجدتْ منطلَقا
إنّ لها عند "الحمى" وأهله إنْ حَمَلَتْ لُعلَقًا وعُلَّقا (٥)
والجانب الممنوع من "وادى الغضا" هنّأً (٦) ما نقّب (٧) أو ما عرقا (٨)
كم "بالغضا" يازفرتى على "الغضا" من شافع رُدَّ وعهدٍ سرِقا
ونظرةٍ لله منها حكمُهُ يومَ تخاصِمُ القلوبُ الحدَقا
وطارحٍ للنَّكثِ يَثْنِى حبلَه حتى يكونَ الرُّمّةَ (٩) الممزَّقا
قد حبسوا "ظبيةَ" هلّا حبسوا دمعا الى ذكرتها مستبِقا
وبردَ الليلُ على ما لقّقوا لكنهم لا يُبردون الحُرَقا
أما — وكان قسما أبَرُّه — : والظَّلِمِ (١٠) ما أشمَّ أو ما ذوّقا ،
والبانِ يحنو هذه لهذه بالجيدِ حتى دنيا فآعتنقا ،
وما سرى بين الغرار (١١) والكرى طيفٌ لها ردَّ الظلامَ فلقا (١٢) ،
خطْفَ القلوب ثمّ طارت شُعَبا أضغاثُه عنّى وطاحت شُقّقا (١٣) ،

(١) : دعدعوها : دعوها من قولهم دعدع بالمعز اذا دعوها . (٢) العنق : ضرب من السير السريع . (٣) ينقّى : يأخذ نِقْيَها وهو المخّ الذى فى العظم . (٤) الخطم جمع خطام وهو حبل يوضع فى أنف الدابة . (٥) العلق جمع عُلقة وهى ما يتعلّق به . (٦) هنأ الإبل : طلاها بالهناء وهو القطران . (٧) نقّب : أجرب . (٨) عرق العظم : أخذ ما عليه من اللحم . (٩) الرمة : الحبل البالى . (١٠) الظلم : ماء الأسنان . (١١) الغرار : القليل من النوم . (١٢) الفلق : الصبح . (١٣) فى الأصل "شفقا" .

فقمت [أجلو](١) لَبْسَ(٢) طرفى ويدى ... أنفض رحلى وأقصُّ(٣) الطُّرُقا،
ثم وهمت أن بدرا زارنى ... فبتّ لا أسألُ إلا الأفقا،
لقد مشى الواشى على سمعى بها ... فى ضيّق الفجّ زليقِ المرتقَ
شأنَك لا يُبرى الجوى إلا الذى ... أدوى(٤) ولا يفرِى(٥) سوى من خلَقا(٦)
قد عوّذوا وعقدوا تمائمى(٧) ... وأنقع السلوةَ راقٍ وسقى
وما يعود الحولُ إلا عادنى ... منها مسيسٌ لا يُحَلُّ بالرُّقى
وليلةٍ والحىّ بعدُ لم يخف ... أعينهم ولا الغيورَ المشفِقا
واللامزُ(٨) المرتابُ سلْمٌ صدرُه ... وجارةُ البيت التى لا تتّقى
قسمتُها شكلان من وصالها ... وعتبها بين النعيم والشقا
ثم افترقنا ومعى وثيقةٌ ... تُقرِب ما بين الفراق واللقا
يا صاحبى : وقولةٍ مصمِيَةٍ ... لا تفتح الألسنُ منها مُغلَقا،
يغنى اللهاةَ(٩) رفعُها وخفضُها ... حتى يقال : غلِطا أو سرِقا،
ترى البليغ حولها مجمجِما(١٠) ... يومَ تراه الأشدقَ المنطَّقا،
من أمّهات الفضل إما نُثرت ... أو نُظمت كانت لجوجا(١١) عنقا،
ركبتُها أقتحم النادى بها ... جامحةً(١٢) تفوت بى أن أُلحقا،

---

(١) ليست بالأصل . (٢) اللبس الإشكال وعدم الوضوح ، وفى الأصل "ليس" .
(٣) أقصّ : أتتبع وأقتفى ، وفى الأصل "أفضّ" . (٤) أدوى : أمرض . (٥) يفرى : يشق . (٦) خلق الأديم : قدّره وقدّه قبل قطعه وشقّه . (٧) التمائم جمع تميمة : وهى عوذة تعلّق على الصغار مخافة العين . (٨) اللامز : من يشير بعينه ونحوها من كلام خفى ، وفى الأصل "الملمز" وهو خطأ . (٩) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . (١٠) المجمجم : من لا يبين الكلام . (١١) اللجوج : الملازم للأمر يأبى أن يصرف عنه عنادا . (١٢) فى الأصل "تفوب" .

تضحك بالمُجـرَى معى يريدها ... ضحْـك الصَّنـاع(١) بيمين أخرقا(٢)،
... ... نعيمها ... ... ظهرها والعنقا(٣)،
من اللواتى تستصبُّ نحـوها ... نفسُ الوقـور أو يكونَ الأنزقا،
لو راودت أشمـطَ وقّى مائـةً ... يشتو "بقدس" ويصيف "الأبلقا"،
يعتـجر الشَّـملةَ(٤) حيطانا اذا ... قـرَّ(٦) ويُخنَّثُ(٧) اذا ما آسترزقا،
أهـوى لها يأخذ من عاجلها ... أوبقـه(٨) آجلها ما أوبقا،
حملتُ عنها حـرّةً كريمـةً ... لو أُلصق العـارُ بها ما لصـقا،
وصاحبٍ كالغُـلّ بات منكبي ... من رِبقـة الودّ بـه مطوَّقا،
يكرع منى فى نميرٍ(٩) سلسلٍ ... وأستقيـه مِلحا(١٠) مرنّقا،
أرمُّ من أخـلاقه مـلوّنا ... يصـبغ لى فى كلّ يومٍ خُلُقا،
تكثّرتْ بعـددٍ من أُسرتى ... نفسى فأصبحتُ المقـلَّ المملقا،
وطوّفتْ تسـأل فى قبائـلٍ ... غريبـةٍ : أين تكون الأصـدقا،
فما رأت إلا النِّـفاق مسـدّلا ... عـلى المـودّات وإلا الملَـقا،
شمـتُ الأنام خلّبـا إلا فـتى ... من "قيصرٍ" أمطرَ لما برقا
أفرقَ رأسُ(١١) الدهر من جنونه ... بـه وصحّ رأيُـه وحقّقا
غنيتُ منـه بأخٍ فـداؤه ... كلُّ أخٍ أصبحتُ منـه مخفقا
وملتُ كفّى بـه وأفضلت ... جـوهرةً أمّ شُـفوفٍ ونقا(١٢)

(١) الصناع : الحاذق فى الصنعة . (٢) الأخرق : الأحمق الذى لايحسن الصنعة .
(٣) هذا البيت مطموس فى الأصل الفتوغرافى ولم نتبيّن منه إلا الكلمات التى أثبتناها . (٤) يعتجر : يتلفف . (٥) الشملة : الكساء . (٦) قر : برد . (٧) يتخنّث : يطالب الحشيش ويجمعه . (٨) أوبقه : أهلكه . (٩) النمير السلسل : الماء العذب . (١٠) المالح المرنق : الماء الملح الكدر . (١١) أفرق : برئ وأفاق . (١٢) أمّ الشفوف والنقا : اللؤلؤة لصفائها .

باع بها الغـوّاصُ ذاتَ نفسـهِ ... مغـامرا لحـبّها معـمِّقا
يهـوِى به الفقر ومن شعارِه ... إما الغـنى ربًّ وإما الغـرَقا
ومجّـه البحـرُ فلو أبصـرتهُ ... بها مُضـيًّا ولها معتنـقا
ترى الحصى والرمـلَ فى يمينـه ... كيف آنتحى عينـا (١) بها وورِقا (٢)
كرهتُ فى المختـار كلَّ حاسـد ... يحسَب فى آجـتماعنا التفـرُّقا
وبعتُ خُـلانى به بيـعَ فتًى ... يعلم أن الربح حيث صُـفِقا
عرّفنيـه خُـبرتى بغيره، ... من جرّب النـاسَ درى وحذَقا
وصحّ لى بعـدَ رجالٍ مرِضـوا، ... وكثرةُ التيـه تريك الطرُقا
ظنّ غلوى فيـك قومٌ سَرَفا ... وفرطَ مـدحى زُخـرُفا مختلَقا
وزاد حتى لن يقولوا : حاضرٌ ... ودّ فقـالوا : بدوىٌّ عشـقا
ولو رآك مَن رأى بنظرى ... وخُـبرتى (٣) قال : بليـغٌ صـدَقا
جاء بك الدهـرُ على شـرائطى ... تحفـةَ عمـدٍ لا على ما آتفقا
رأيا له القرطاسُ والسـهمُ سـوا ... وراحةً فى المحـل تجـرِى دفَقا
وسـامرا والنـار قـد أخمـدها ... ربُّ المئين (٤) وجـفانا فُهَّـقا (٥)
وخلقـا اذا غضبتَ واسـعا (٦) ... وعُـذُرا اذا وهبت ضيّـقا
وجانبـا فى الـودّ ظـلًّا باردا ... ردَّ الى الـودّ فـؤادا معتَـقا
رشتَ جَنـاحى وآلتحمت معـرِقا ... زَورِىَ حـتى طرتَ بى محلِّـقا
فتحتَ عينـا فى العـلا بصـيرةً ... حـتى رأيتَ غايـتى مـدقَّقا (٧)

(١) العين : الذهب . (٢) الورق : الفضة . (٣) فى الأصل "قيل" .
(٤) المئين : المئات . (٥) فهّقا : مملوءة . (٦) فى الأصل "واسع" .
(٧) فى الأصل "مدققا" .

ودلّك المجـــــدُ على فضيـــلتى دلالةً كنتَ لها مـــوفّقا
لم تك فى الإيمان لى مقـــلّدا ولم يكن يُســـرُك بى تخـــلُّقا
أنت اذا الدهـــر رمى شاكلتى درعى وأنت مُنـــذِرى إن فوّقا
ما غمّضت عـــنّى عينُ حاجةٍ فارتادها طـــرفك إلا رمـــقا
وقتَ فى آثارها مجلّـــيا بعثَ القنيـــص المضرحىّ(١) الأزرقا
فلا تُصبْنى فيـــك عينُ حاســـدٍ له القـــدَى محـــــدِّقا ومطرِقا
ولا تَنـــلْك الحادثاتُ بيـــدٍ(٢) حتى تشـــلَّ ساعدا ومِرفَقا
ونهضَتْ عـــنّى بما أوليتـــه رواحـــلُ الشعر تجـــوب الأفقا
ثقائلا يســـوقها خفـــائفا على الوجى(٣) لا تطمئن قلقا
رافعـــةً واضـــعةً أعناقَهـــا يوما ويوما مغـــرِبا ومشرِقا
إن ظمئت فالشمسُ ولعابهـــا أو سغبت جرت تدارى الرمَقا
تحمـــلُ كلَّ مســـتعادٍ ذكرها عمَّ البـــلادَ صيتُهـــا وطبَّقا
هى العـــذارى البيض لم تلق لها مبتكرا غـــيرى ولا مستطرِقا
اذا أقامت رُشفتْ أو ظعنت تفُتْ على الأفواه نشرًا عبقا (٢٨٩)
اذا الكلام نُسبت أصـــولُه كانت أصـــولا والكلامُ أسؤقا(٤)
أو طُـــرِحَ الشعر فمـــاتَ فجأةً بقين ما طال وما طاب البقا
ينُصّ(٥) شيطانُ القريضِ سمعَه مرتقيا فى جـــوّها مسترِقا
لطـــائمٌ(٦) ســـوائرٌ اذا غـــدا ذكُرك فى أعجـــازِها معلّقا
تعلّقت باسمـــك حـــتّى خرقتْ بـــك الســـماءَ طبَقا فطبَقـــا(٧)

(١) المضرحىّ : النسر الطويل الجناح أوالصقر . (٢) فى الأصل "شلك" . (٣) الوجى : الحفا أو وجع الحافر . (٤) الأسؤق : السيقان ، وفى الأصل "شؤقا" . (٥) ينصّ : يحرّك ويرفع . (٦) لطائم جمع لطيمة وهى العير يحمل الطيب . (٧) طبقا فطبقا : منزلة بعد منزلة .

✦
✦ ✦

وكتب الى الشريف الزكيّ أبي عليّ، وقد ورد من الكوفة الى بغداد

تربّعتْ بين "العذيب" "فالنقا" مرعًى أثيثًا (١) ومعينًا (٢) غَدِقا (٣)
وبُدِّلتْ من زفراتِ "عاجٍ" ظلائلًا من "الحمى" وورَقا
ترتع فيه مرِحاتٍ بُدُنا (٤) كما اشتهت ربيقةٌ (٥) أن تُطلَقا
فدبّ فيها الخصبُ حتى رجعتْ سدائسًا (٦) بُزْلا (٧) وكانت حِقَقا (٨)
فكلّما تزجرها حُداتُها رعى الحمى ربُّ الغمام وسقى
وإنما ذاك لينفُضنَ لنا الى ديار الظاعنين الطُّرُقا
حواملا منا همومًا ثقُلتْ وأنفسًا لم تبق إلا رَمَقا
يحملننا وإن عرين قصَبًا وإن دمين أذرعا وأسؤقا
واصلةً (٩) ومَن يردُّ جنبُه (١٠) عن ليلها وإن سمُن العرقا (١١)
خلن لها "فلجًا" (١٢) فخلنا وقعَها في آلِ (١٣) وهي طوافٍ عَرَقا
نواصلًا من غمرةٍ (١٤) في غَمرةٍ لا يعلق السيلُ بها تدفُّقا
دام عليها الليلُ حتى أصبحتْ تحسَب فجرَ (١٥) "ذات عرقٍ" (١٦) "شفَقا"
ومَن لها ومَن لنا يُخبرنا عن ظبياتِ "عاقلٍ" (١٧) أن يصدُقا؟

---

(١) الأثيث : الغزير الملتفّ . (٢) المعين : الماء الظاهر تراه العين جاريا على وجه الأرض .
(٣) الغدق : الغزير الفائض . (٤) بدنا : سمانا . (٥) الربيقة : المشدودة بالربقة وهي عروة تشد بها البهم . (٦) السدائس : الإبل الطاعنة في السن السادسة . (٧) البزل جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٨) الحقق جمع حِقّة وهي الناقة الطاعنة في السن الرابعة . (٩) في الأصل "وصلة" . (١٠) في الأصل هكذا "حسه" . (١١) العرق جمع عرقة وهي الحبل يشدّ به الأسير . (١٢) فلج : موضع قريب من البصرة . (١٣) الآل : السراب . (١٤) هذه الكلمة وأختها في الأصل هكذا "عمره" . (١٥) في الأصل "نفرا" . (١٦) ذات عرق : مُهَلّ أهل العراق وهو الحدّ بين نجد وتهامة . (١٧) عاقل : واد بنجد وأسم لكثير من المواقع .

وعن قلوبٍ رحنَ فى قبـابها لو نضح المـاء عليها ٱحترقا
ياحبّـذا المُعرضُ عن سـلامنا "برامـةٍ" سالفـةً وعنقـا
وحبّذا حىّ اذا شـنّوا الوغى شاموا السيوفَ وٱستسلوا الحدَقا
ورامياً لا يؤدّين دما (١) ولا يبالين أسـال أم رقا
وقفن صـفًّا فرأين شَرَكا من القلوبُ فرمَين طلَقـا
ولا ومَن كنّ الردى بأمرهِ لولا القلوبُ لم يجـدنَ مَرشَقا
من راكبٌ تحمله الى الهوى (٢) أختُ الهـواء نزوةً وقلَقـا؟
عرِّج على الوادى فقل عن كبدى للبـان ماشئت الجوى والحُرَقا
وٱحجر على عينيك حفظا أن ترى غصنين منه دَنَيـا فٱعتنقا
فطالمـا (٣) ٱسـتظللتُه مصطبحا سـلافةَ العيش بـه مغتبقا
أيّامَ لى عـلى المها بلمّـتى (٤) إمارةٌ أُرجَى لهـا وأُتّـقَى
وفى يدى من القلوب حبُّها أملكها صبـابةً (٥) وعُلَقـا
والبينُ ماٱستنبح لى كلبا ولا ٱسـتنعب فى شملى غرابا أحمقـا
وشرب جارتى "مِنًى" (٦) ومشربى من منهل إما صـفا أو رنقا
أمشى وقد رصـعنى بأعين تكحلهنّ (٧) أُشرا ورونقـا
فاليـومَ بقّى العيشُ لى قـذاتَه وٱرتجـع الشعشاعةَ المصفَّقا
لاجار إلا أن تكون "ظبيةً" ولا ديارَ أو تكون "الأبرقا"
لا وأبى "خنساء" أو رقادها على النـوى وقد فنيتُ أرقا

(١) رقا : جمد . (٢) أخت الهواء : الناقة لسرعتها فى السير كالهواء . (٣) فى الأصل . "فطالما" . (٤) اللة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٥) العلق جمع عُلقة وهى ما يتعلق به .
(٦) رصعنى : طعنى . (٧) الأشر : الحدة والرقة .

ما سهرى "ببابل" ونومُها "بحاجرٍ" إلا النعيمُ والشقا
وليلةٍ من التَّمام(١) جئتها أساير النجمَ وأحدو الغسَقا،
تمطُلُ عينى أن ترى من فجرها بين السواد أبيضًا وأزرقا
ضلّت بها البيضاءُ(٢) عن طريقها فلم تجد بعد الغروب مشرِقا
سريتها مستأنسًا بوَحدتى وطالبُ العز قليلُ الرُّفَقا
وطارق على الكلالِ زارنى بعد الهدوء وبخيرٍ طرَقا
يُهدى من "الكوفة" لى تحيةً ذكيةً تملأ رحلى عبَقا
فضمنّت سوادَها صحيفةً(٣) ردت سوادَ النِّقْسِ(٤) فيها يققا
من الزكىّ طينةً ودوحةً وثمرا وخلقةً وخُلُقا
معرفة وافق معناها آسمها كالسيف ألفى مفصلا فطبَّقا
وبعضهم ملقّب أكذوبة لا صادق المعنى ولا متّفقا
فقع "بكوفان" فقل لبدرها إن بلّغتك العيسُ ذاك الأُفُقا: ،
يا خير من حُلّت على أبوابه حبى الوفود جُمَعا وفِرَقا
وخيرَ من طاف ولبّى وسعى وعبَّ فى بئر "الحطيم" وسقى
وآنتظموا المجد نبيًّا صادعا بالمعجزات وإمامًا صدَقا
وآبن الذين بصّروا من العمى وفتحوا باب الرشاد المغلَقا
مناسكُ الناس لكم وعندكم جزاءُ من أسرف أو من آتقى
والوحىُ والأملاكُ فى أبياتكم مختلفان مهبطا ومُرتقَى
لا يملك الناسُ عليكم إمرةً كنتم ملوكا والأنامُ سُوَقا

(١) التمام: أطول ليلة من ليالى الشتاء. (٢) البيضاء: الشمس. (٣) النقس: المداد، وفى الأصل "النفس". (٤) اليقق: يقال: أبيض يقق كما يقال: أصفر فاقع وأحمر قانئ.

فى جِدّة الدهر وفى شـبابه ... وحين شاب عمـرُه وأخلَقا
مجـدا إلهيًّا توخّاكم بـه ... ربُّ العـلا وشرّفًا محـلّقا
أربقـتُمُ بالدين قوما ألحـدوا ... فيكم وعن قوم حللتم رِبَقا (١)
وأمَّنَ الله بكم عبـادَه ... حـتى حماكم بيتَـه المطوَّقا
ليس "المسيحُ" يومَ أحيا ميِّتا ... ولا الكليمُ يومَ خرّ صـعِقا،
ببالغَيْن ما بنى أبوكُمُ ... وإن هما تقـدَّما وسـبقا
وراكب الريح "سليمان" لو آبـ ... ـتغاكُمُ فى ظهرها ما لحـقا
ولا أبوه (٢) ناسجا أدراعـه ... مضاعفا سـرودَها والحلَقا
فضلتـموه ولكلٍّ فضـلُهُ ... فضـيلةَ (٣) الرأسِ المطا والعـنُقا
ومنـكُمُ مكلِّم الثعبان والـ ... ـعابر — والموتُ يراه — الخندقا (٤)
ومـؤثر الضيف بزادِ أهـله ... وصاحبُ الخاتَم إذ تصـدَّقا
وكلُّ مهـدىّ له معـجزة ... باهـرةٌ بها الكتابُ نطقا
من آستقام مَيلُه اليكُمُ ... فاز ومن حرّف عنكم أُوبِقا (٥)
كنت آبنه سـيفا حماما ويدا ... غيثا زكيا وجبينا فلَقا (٦)
وأنّ غصنا أنت من فروعه ... لخيرُ غصنٍ مثـمرا أو مورقا
ولُسْنا اذا الكلام آنعقـدت ... أطـرافه وأخـذَ المخنَّـقا،
تطعن شزرا والخصامُ واسعٌ ... فيه وإن كان المجالُ (٧) ضـيِّقا
فوارِكٌ (٨) من الكلام لم يكن ... تنكَحُ إلا الأفـوهَ المنطَّقا

(١) الربق جمع ربقة وهى عروة تشد بها اليهم . (٢) أبو سليمان داود عليهما السلام وهو مشهور بنسج الدروع وسردها . (٣) المطا : الظهر . (٤) المعنىُ بهذا البيت والثلاثة الأبيات التى بعده هو الإمام علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه . (٥) أوبق : أهلك . (٦) الفلق : الصبح . (٧) فى الأصل "المحال" . (٨) فوارك جمع فاركة وهى الناشزة التى تبغض زوجها وهى هنا مجاز .

قد وصلتْ تحـلُّ لى عقودها منخرَط الشهب انحدرنَ نَسَقا
أُسمِعُ منهـا المتحدّى مُعجِزا حـتى يُقـرَّ وأريه موثِقا
أعرتَـنى فيها سماتِ مِدَجٍ كنتَ أحقَّ باسمـها وأليقا
واليتهـا باديـةً وعُوَّدا كالسـيل يرمى دُفَقًا فدُفَقا
حتى ملكتَ رقَّ نفسٍ حرّةٍ بها وقيّـدتَ فؤادا مطلَقا
تكرمة أيقظك الفضلُ لهـا والحظّ قد غمّض عنها الحـدَقا
جاءت أمينا كيدُها فى زمنٍ لا تُخدعُ الحيّاتُ فيهـا بالرُّقَى
كأنمـا رُدَّ على قلـبى لهـا فى دولةِ الوحشةِ أنسٌ سُرِقا
والعينُ فى أمثالهـا مشرَعةٌ مالم يقِ اللهُ وقِـدْمًا ما وقى
نَحَلْتنى مـدحَك نحـرا باقيا فى عَقِـبى ما دام للدهر بقـا
حلّيت منه "فارسا" ـ من بعد ما تعطّلتْ ـ أسـورةً(١) وأطـوقا
فاستقبلتْ من عزّها ما قد مضى وآسترجعتْ من مُلكها ما طَلُقا
وكيف لا يُنصَر فضـلُ معشرٍ هم نشروا لواءَكم أو خفقـا
وهم أعزُّوا صهرَكُم وودَّكم وقـد أطاع القـرباءَ الرُّفَقـا
وبيننا ـ إن لم تكن قرابة ـ ولايةٌ تُحصِفُ(٢) تلك العُلَقـا(٣)
ولم يكن أحرارُ ملك "فارسٍ" إلا عبيـدًا لكُمُ أو عُتَقـا
وعاجلٌ أمطـرنى منك الحيـا وآجـلٌ أومضَ لى وأبـرقا
وعدتَنى فارتشتُ محصوصا(٤) بمـا وعدتنيـه وغنيتُ مخفقـا (٢٩١)
فاسمع وعش تُجزَى بمـا تسمعه مَطـارِبًا لو نادت الميْتَ زقا(٥)

(١) أسورة جمع سوار . (٢) تحصف : تحكم . (٣) العُلق جمع علقة وهى ما يتعلق به .
(٤) المحصوص : الذي نتف ريشه . (٥) زقا : صاح .

لو ما رميتُ الحجـرَ الصلدَ بهـا أخدعـــه عَمـايةً لأنفلقـا
تخلُق لى فى قلبِ كلّ حاســـدٍ إما هـــوًى محضًا ،وإما ملَقـا
قـــد ترك الناسُ لهـا طريقَها وسلّموا الركضَ لهـا والعَنَقـا (١)
اذا الكلامُ الفصلُ كان ذنَبـا أو كفَلا كانت طُلًى (٢) ومفـــرِقا (٣)
غريبـــة الحدثان فى أزمانهـا بذَّت فحـُولَ الشـعراء السُّبَّقا
اذا الكلام آشتبهتْ شِـياتُه (٤) وآختلطتْ عرفتَ منها الأبلقا
يجهـلُ منها الناسُ ما علمتَـــه لا عجبـا أن يُحـــرَموا وتُرزَقا
فهى اليـــك دون كلّ خاطبٍ تُزَفُّ (٥) شَـــفعا وتساق رُفقا
بشّرنى عنـــك الخبـــيرُ بالتى تحيى السرورَ وتميتُ الحُـــرَقا
وقال : صبرا وآنتظر صبحَ غدٍ تُدنى السماءُ بـــدرَها المحلّقـا
غـــدًا تراه ، فرفعت ناظـــرا كان على قذَى الفـــراق مطبَقا
وقلتُ : نفسى لك إن قبلتهـا " حقُّ البشير ، قال : رهنٌ غَلِقا
قـــد ملَكتنى غائبـا نَعاؤه وأفعمتْ قلـــبِىَ حتى آندفقـا
فـــلم يدع قبـــلَ اللقاء طَوْلُه فيـــه مكانَ فـــرحةٍ يومَ اللقا
فمرحبا اذا صـــدقتَ مرحبـا لك المـــنى إن تمّ أو تحققـا
جادتك أنـــواءُ الســـماء أبدا أين حللتَ وكَفّا ووُدّقا
ولا عدت بكَتْبهـا ونشـــدِها سمعَـــك مورودا بها مستطرَقا
ولا يزال المهـــرجانُ واضحـا بهـا عليـــك فى الطلوع مُشرِقا

---

(١) العنق : ضرب من السير السريع . (٢) الطلى : الأعناق . (٣) المفرق : محل فرق الشعر من الرأس . (٤) شيات جمع شية وهى لون يخالف معظم اللون . (٥) فى الأصل "ترق" .

والصوم والعيد الى أن ينطوى ... مرُّ النجوم طَبقا فطَبقا (١)
اذا دعوتُ الله أن يبقيك لى ... فقد دعوتُ للعالى بالبقا (٢)

وقال يمدح وزير الوزراء أبا سعد بن عبد الرحيم ويهنّئه بالمهرجان

دعاها معقَّلةً "بالعراقِ" ... الى أهل "نجد" هوى مطلَقُ
فباتت تماكس (٣) مثنَى الحبا ... لِ منها الكراكرُ (٤) والأسوُقُ (٥)
فيأبَى عليها المريرُ (٦) الفتيلُ ... ويُسمح ذو الرُّمَّةِ (٧) المخلَقُ
تحنُّ ويا عجبا أن تحنَّ ... لو أنها سائلٌ يُرزقُ
وما هى إلا بروقُ المنى ... خِلاباً وما "السفحُ" "والأبرقُ"
فهل لمجعجعها (٨) أن يروحَ ... لو آنَ الرواحَ بها أرفقُ
مراتعُها أمسِ أمرَى لها ... وتربُ معاطنها أرفقُ
أتت "بابلا" ونبت "بابلٌ" ... بها وبكى (٩) المشئمَ (١٠) المعرِقُ (١١)
فخلِّ لها طُرقَها والظلا ... مَ تحلُمُ فى السير أو تخرُقُ
وإن كذبتْ هاديات النجوم ... فإنّ لها مُقلًا تصدقُ
عسى رقُّها فى ديار الخمول ... اذا شارفت عزَّها يُعتَقُ
وقم أنت فاسبق بها المدلجين ... فعفوُ المياه لمن يسبِقُ
فإما آعتذرتَ وإما بلغتَ ... فحظُّك غايةُ من يلحقُ

(١) طبقا فطبقا : منزلة بعد منزلة . (٢) فى الأصل "البقا" . (٣) تماكس : تشاكس . (٤) الكراكر جمع كركرة وهى صدر البعير . (٥) الأسوق جمع ساق . (٦) المرير الفتيل : الحبل المحكم الفتل . (٧) ذو الرمة المخلق : الحبل البالى . (٨) لمجعجعها : لمبرّكها ومنيخها . (٩) فى الأصل "وبلى" . (١٠) المشئم : قاصد الشأم . (١١) المعرق : قاصد العراق .

كم النوم تحت ظلال القنـــوع ... وفوق القـــذى جفنُك المطبَـــقُ
تهُبُّ عليـــك رياحُ المـــنى ... فـــتَروَى بمـا أنت مستنشقُ
وخِلفُ(١) العـــلا وأفاويقُها(٢) ... لغـــيرك يُصـــبَح أو يُغبَـــقُ
وكم تســـتقيمُ فتمشى الحظوظُ ... وحظُّك أعمى الخُطى مُزلـــقُ
تُخفَّضُ من حيثُ تبغى العـــلا ... وتُحرَمُ من حيث تَســـترزقُ
ترودُ لنفســـك غيرَ المَـــرادِ ... فـــرِجلٌ سعت ويدٌ تُخفـــقُ
مطالبُ تُنفِـــقُ فيها الزمانَ ... ومن صُلبِ عمـــرك ما تُنفِـــقُ
وحولك — حيث ترى — راعياك ... ثرًى منبتٌ وحيًّا مغـــدِقُ
ودارٌ تعـــزُّ عـــلى أهلها ... ولم تتقلقـــل بك الأينـــقُ
وأسماعُ(٣) أبناء "عبـــد الرحي ... ـم" تُصـــغى وأبوابُهم تُطـــرَقُ (٢٩٢)
وأنجمهـــم لك رعيـا تضيء ... فتـــورى وشمسُهُم تُشـــرِقُ
وبالسم الوزير — فعـــذ بالوزي ... ـر — يُفتَح بابُ النـــدى المغلَقُ
ألم تر للنـاس فى فـــترةٍ ... وقـــد أكلَ الأحلمَ الأخرقُ
ومن ركب الشرَّ طالت يـــداه ... وطارت وخَـــودٌ(٤) به معنِـــقُ
وفى كلّ سرج "أبو جعـــدةٍ"(٥) ... مكانُ الرُّعاةِ به يُنعَـــقُ
تجشُّمـــه رحصُ ما دنَّســـوا ... وإحسـانُه جمـعُ ما فرَّقـــوا
وكنتَ تغيبُ فتشرى(٦) الأمو ... رُ ثمّ تعـــودُ فتستوســـقُ(٧)
حَمَى "شرفُ الدين" أطرافَها ... ومن خلفها طاردٌ مرهـــقُ

---

(١) الخلف : حلمة الضرع . (٢) الأفاويق جمع فيقة وهى اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين .
(٣) فى الأصل "أسماء" . (٤) الوَخود والمعنق : المسرعة فى سيرها وفى الأصل "رجودا" .
(٥) أبو جعدة : كنية الذئب . (٦) تشرى : تضطرب . (٧) تستوسق : تجتمع .

وأضغاث أرسانها فى الرقاب ... نَواصل بالكفّ لا تعلقُ
فقوّمَ والذئبُ مستأسدٌ ... وعدّل والفحلُ مستنوقُ
كريمٌ تصلصلَ من طينةٍ ... أعان المُطيبَ بها المعبقُ
رأت عينُ "ساسانَ" فيها النمو ... وهى على كفّه تشرَقُ
فشجّرها شرفاً لاحقا ... اذا هجّن(١) النسبَ الملصَقُ
تلألأُ فى أفقها أنجمٌ ... بحاشيتَىْ بدرها تُحدِقُ
تودّ البحارُ لأصدافها ... لو هى عن مثلها تُغلَقُ
رعاك مليكٌ رعى الملكَ منك ... بعينٍ على الضيم لا تُطرِقُ
وأنقذه بك فانتاش(٢) وهو ... محترِشٌ(٣) ما له مَنفَقُ(٤)
حملتَ الوزارة حملَ المخفِّ ... وقد أثقلتْ غيرَك الأوسُقُ(٥)
وكم عالجوها بخُرقِ الأكفّ ... ورأيُك فى طبِّها أحذقُ
وسعتَ بصبرك إصلاحَها ... وصدرُ الزمان بها ضيّقُ
وأخّرهم عنك إذ قدّمو ... ك أنك تفرِى(٦) الذى تخلُقُ(٧)
وتَرتُقُ ما فتقته الرجالُ ... ولا يرتُقون كما ترتُقُ
فكونوا لها كلما عُطّلتْ ... حلًى منكم القُلبُ(٨) والأطوقُ
وزدْ شرفا أنت يا تاجَها ... ولا افترق التاجُ والمفرِقُ(٩)
يريد سواكم شاءً بها ... فتأبَى عليه وتستطلقُ

---

(١) هجّن : قبّح وعاب . (٢) آنتاش : أنقذ . (٣) محترش : مجتمع . (٤) المنفق : حجرة اليربوع يخرج منها الى غيرها . (٥) الأوسق جمع وسق وهو الحمل الثقيل . (٦) تفرى : تشقّ . (٧) تخلق : تقدّر . (٨) القُلب : السوار . (٩) المفرق : محلّ فرق الشعر من الرأس

ويستروح النـاسُ أثوابَهـا وأردانُها[1] بكم أعبـقُ
علوتَ فما تنتحيك الصـفاتُ بسهـمٍ ولـو أنه مغـرقُ[2]
فسيَّان فى مدحك النـاجم[3] الـ ـمُعـذَّرُ والمنتهى المفـلقُ
اذا جدتَ أنطقتَ من لا يدين وإن قلتَ أخرست من [ينطق][4]
فقـد شكّ ربُّ الكلام البليـغ أيكسـدُ عنـدك أم ينَفُقُ!
فداك — وكيف له لو فداك — طليـقٌ بروعتـه مـوثَقُ
تَكنَّفُـه ما نعـاتُ البـلا د وهـو على أمنها يَفـرَقُ[5]
يخـال سـيوفَكَ يخطفنـهُ ومن دونه البـابُ والخندقُ
ويعـلم أنّ القنـا فى يديـك يـراه على البعـد أو يرمُـقُ
وكيف تحيـلُ خفايا الشخوص عـلى أسمرٍ لحظُـهُ أزرقُ
تسـمَّعْ لهـا، تستحفّ الحليـ ـمَ منها الطـلاوةُ والرونـقُ
وهادُ الكلامِ وأجبـالُه طـريقٌ بحافـرها يُطـرقُ
نوافثُ فى عُقَـد المـانعين فكلّ يبيس بهـا مـورقُ
سـوائر بالعرض سـيرَ النجوم لهـا مغـربٌ ولهـا مشـرقُ
دعاةٌ بحمـدك فى الخافقيْن لهـا بـك ألـويةٌ تخـفقُ
لك السكبُ من سُحبها والعهاد وعند العدا الحصَبُ المصـعقُ
يكيس[6] بهـا والدٌ منجبٌ اذا ولَدَ الشاعرُ المحمِـقُ[7]
بقيت وقـد فنىَ القائلون عليهـا وما حَزَنى لـو بقُـوا

---

(١) أردان جمع ردن وهو الكم. (٢) المغرق: الذى بولغ فى غاية مدّه فى القوس، وفى الأصل «معرق». (٣) الناجم: الناشئ. (٤) ليست بالأصل. (٥) يفرق: يخاف.
(٦) يكيس: يأتى بأولاد كيسى أى ظرفاء. (٧) المحمق: الذى يأتى بأولاد حمق.

تُذكِّركم فِيَّ حفظَ العهـود ... وإن لم يضـع عنـدكم مَوثِقُ
تحاشيكُمُ أن أرَى ظامئـا ... أحـوم ووادِيكُمُ مُتـأَقُ(١)
ويوحشها أنَّ ربعى على ... تجـدُّد دولتـكم مُخـلِقُ (٢٤٣)
وأنى بمضـيعةٍ ، مثلُكم ... على الفضل من مثلها يُشفِقُ
ترى النـاسَ لم يُسـطفوا مثل ما ... لهـا وهى تهبِـط قـد حلَّقوا
وفى الحقّ ـ والحكمُ العَدْلُ أنت ـ ... اذا لحـقوا أنهـا تَلحـقُ
أمنتُ عليـك صروفَ الزمانِ ... وأخطأك القـدَرُ المـوبقُ(٢)
ودارت لك السـبعة الجارياتُ ... بمـا تسـتحبُّ وتسـتوفقُ
وعُـدَّ أُلوفا لك المهرجان ... يُجـدُّ السنين كما يُخـلَقُ
يزورك مسـترفدا سائـلا ... فيغمـره سـيبُك المغـدِقُ
ويُذهـله وجهُـك المستنيرُ ... عليـه ومجلسُـك المـونِقُ

* * *

وكتب الى عميد الدولة أبى طالب يهنّئه بالعيد والمهرجان

سل "أبرَقَ الحَنّانِ"(٣) ـ وآحبس به ـ ... أين ليالينـا على "الأبرقِ" ؟
وكيف باناتٌ "بسقط اللِّوى" ... ما لم يجُـدْها الدمـعُ لم تورِقِ ؟
هل حملَتْ ـ لا حملَتْ ـ بعدنا ... عنـك الصَّـبا عَرْفا لمستنشقِ ؟
جدّدَ ما جدّدَ من لوعـتى ... أخذُ البـلى من ربعك المخـلقِ
لتبخـل الأنواءُ أو فلتجـدْ ... عليـك بالمنهمـر المغـدِقِ
أغناك صـوبُ الدمع عن منّـة ... أحملُهـا للـرعدِ المـبرقِ
دمعٌ على "الخَيف" جنى ما جنى ... بكاءَ "حسّـان" على "جِلّقِ"

(١) متأق : مملوء . (٢) الموبق : المهلك . (٣) أبرق الحنّان : ماء لبنى فزارة يسمع فيه الحنين .

لله رهن لك يـومَ النقـا ... لـولا وفاء الحبّ لم يَغـلَقِ
يا سائقَ الأظعان رِفقا وإن ... لم يُغنِ قولى للعسـوف : ٱرفُقِ
أؤاخذ الحـادى ونفسى جنَت ... لو شئتُ لم أبك ولم أشـتقِ
لـولا زفيرى خلف أجمالهـم ... ووخـزُ أنفـاسِىَ لم تَنسـقِ
يا غدرَ من لم أك من غدره ... بخـائف التلب ولا مشـفقِ
ما لغـريمى قادرا واجـدا ... يمطُـلُ مطلَ الفـاجر المـلقِ
وما عـلى اللائم فى حبّـه ... ما ضاع من حلمِىَ أو ما بـقى
أنفقتُ لىّ فى الهـوى طائعـا ... والخلَف العاجـلُ للنفـقِ
لا تبدؤا بالعـذل صدرى فـا ... أستنجدُ المـاءَ على محـرقِ
سمّيتَ لى " نجدا " على بعـدها ... يا وَلَهَ " المشئِم " " بالمعـرقِ "
داوِ بها حـبّى فـا مهجـتى ... أوّلُ مخبـولٍ " بنجـدٍ " رُقِى
ومنكرٍ شمطاءَ مَـدّت الى الـ ... ـخمسين يدلوها فـلم تلحـقِ
جنَت شَطاطى وجَنت ما جنتْ ... من صـدإٍ عمَّ عـلى رونقِ
لا بدّ أن يُفتَـقَ عن فجـرها ... وإن تمـادت ليـلةُ المغسـقِ
ما ضرّها خائنـةً لـو وفتْ ... أو ضرّنى لو كنتُ لم أعشـقِ
كان مشيبا ضـلّ عن نهجه ... فـدلّه الحبُّ عـلى مَفـرِقِ
وموقظٍ هبَّ عـلى غِـرّةٍ ... يطـرقنى ساعةَ لا مطـرَقِ
والنجمُ حىٌّ نبضُـه راسبٌ ... فى لجّـة الخضراء لم يغـرقِ
قال : ٱنتبـه للحظّ كم خفقـة ... على مِهـاد الخامـل المخفـقِ
حتّـامَ تحـويمٌ عـلى عُسرةٍ، ... حـلِّقْ الى النَّسـر بنـا حَلِّقِ
قلتُ : بغـيرى فتحرَّش لهـا ... فالنّهضـة الحـرقاءُ للأخرقِ

أما ترى المالَ وجمّاتِه(١) في قُلُبٍ(٢) تنهارُ بالمستقى
يسوغ بالعين فمن رامه بالفم قال المنعُ : رِدْ تشرَقِ
وما انتفاعى بحيًا واسعٍ تخفره ذاتُ جَدًّا ضيِّقِ
لا مسَّ للحرمانِ عندى اذا كنتُ من البُخّال لم أرزَقِ
لا أجلب الرزقَ اذا لم يكن يدرٌّ من أكرم مسترزَقِ
قناعة أعتقَ عزّى بها عُنُقى وعبدُ الحرص لم يُعتَقِ
حلفتُ باخضّع أعناقها(٣) تذرع بالواخد والمعنقِ (٤٤)
كالسطر بعد السطر مخطوطة(٤) من صفحة البيض على مَخرَقِ
ينصُّها السير على لاحبٍ(٥) مثل صليفِ الجمَل(٦) الأورقِ(٧)
تقدَحُ صُفّاح الثرى كلّما تسمعُ للجلمدِ(١٠) أخفافُها(٨) لاحكتِ الأعضاءَ بالأسؤقِ(٩)
بكلّ ما يعرُقُ(١١) أو ينتقى(١٢) يطلبن محجوبا عتيقَ البِنَى(١٣) لولا دفاع الله لم يعتَقِ
والأسودَ الملثومَ(١٤) أحوالَه(١٥) من كلّ أوبٍ(١٦) فرقٌ تلتقى
تهوى بشُعثٍ(١٧) بُدِّلوا سُهمةً(١٨) بكلّ ضاحٍ(١٩) لونُه مونقِ(٢٠)

(١) الجمات جمع جمة وهى الماء المجتمع . (٢) القلب جمع قليب وهى البئر . (٣) الواخد والمعنق اللذان يسيران سير الوخد والعنق وهما ضربان من السير . (٤) المخرق : الفلاة .
(٥) لاحب : واضح . (٦) الصليف : صفحة العنق . (٧) الأورق : من الإبل ما فى لونه بياض الى سواد . (٨) لا حكت : زاحمت . (٩) الأسؤق جمع ساق .
(١٠) الجلمد : الصخر . (١١) يعرق : يأخذ ما عليه من لحم . (١٢) ينتق : يأخذ نقيه أى مخه . (١٣) البنى جمع بنية وهى ما بنيته والمراد بعتيق البنى : البيت الحرام . (١٤) الأسود الملثوم : الحجر الأسود الذى بالكعبة . (١٥) أحواله بمعنى حوله . (١٦) الأوب : الطريق والناحية . (١٧) الشعث جمع أشعث وهو المغبر شعر الرأس المتلبدة . (١٨) السهمة : تغير اللون مع هزال . (١٩) الضاحى : المشرق . (٢٠) المونق : المعجب .

زفّـوا حِماما(١) وعَدُّوها "مُنًى" متى تضـعْ أوزارها(٢) تُحـلَقِ
لولا ابنُ "أيّوب" وآباؤه لم يُبضَـعِ الفضـلُ ولم ينفُقِ(٣)
ولا سـرى مُلكُ بنى "هاشم" فألحـقَ المغـربَ بالمشرقِ
لقـد أوى منهـم الى هضبةٍ تزِلُّ عنها قـدمُ المـرتقى
هـم عزّزوه ورَمّـوا دونه بكلّ مطـرورِ(٤) الشّبا(٥) مطـلَقِ
يطيعـه المـوت اذا ما عصت به يمينُ الحاطبِ المفـلقِ
نصرُ بنى "الأشهلِ"(٦) من قبلهم عـلى بنى الأحمـرِ والأزرقِ
وما وَهَى إلا غـدا ممسكا منهـم بثنِى(٧) الأحصف الأوثقِ
لا كرجالٍ قُـلِّدوا حكَمَـه فخلطـوا المـذوق(٨) بالرِّيقِ(٩)
من كلّ ناسٍ فى غـدٍ بعثَـهُ لم يـرهب الله ولم يتّـقِ
باعَ هـداه طائعا عن يدٍ يدًا عـلى التوفيـق لم تُصفقِ
يرتـفق الأجرَ عـلى دينـه لو كان حرّ الدِّين لم يرفـقِ
حتى كفى اللهُ فمُـدّت يدٌ طُـولَى بقى اللهُ لها مَن بقى(١٠)
دلّت وقامت فى "أبى طالب" شهـادة المـورق للمعـرقِ
شفت به الدولةَ بعـد الصدى(١١) جلجالةٌ(١٢) أمُّ حيًا(١٣) مطبِـقِ
زَلالةٌ طيِّبـةٌ ريحُهـا ما قيـل للسـاق بها رقِّـقِ
جاءت بجـنًى ماؤه مخصبٌ أدرك بعـد المحصبِ المصعقِ

(١) حِمام جمع جم وهو الكثير من كل شىء . (٢) الأوزار : الأثقال واحدها وزر .
(٣) لم ينفق : لم يرج . (٤) المطرور : المحدّد . (٥) الشبا جمع شباة وهى سنّ السيف والرمح . (٦) الأشهل : حىّ من العرب . (٧) الثنى : الحبل . (٨) المذوق : المشوب . (٩) الريق : أول كلّ شىء وأفضله . (١٠) فى الأصل "بقى" .
(١١) الصدى : الظمأ . (١٢) الجلجالة : الرعّادة من السحاب . (١٣) أمّ الحيا : السحابة .

كانت على الفترة لم تُحتَسَبْ ... مفتاحَ باب الفرَج المغلَقِ
إن "الإمامين" به آستريعا ... فتًى لغير الخير لم يُخلَق
مُرّ القِلَى والسخط، حلو الرضا ... والوجه والأخلاقِ والمنطقِ
طال بكفٍّ رطْبةٍ عَفَّةٍ ... مذ بُسطت للجود لم تُطبَقِ
أغنتهما من قبلُ تجريبها ... كالسيف يُعطَى العتقَ بالرونقِ
جَلتْ دُجَى الظلم له نُقبةٌ(١) ... بمثلها الظلماءُ لم تُفتَقِ
فأدركاه غرضا قطّ لم ... ينبِضْ له الظنّ ولم يوفقِ(٢)
نصحا كما شاء ورأيا متى ... يقلْ بغيبٍ قولةً يصدُقِ
فكم حشًا قرّت على أمنها ... بعد آفتراشِ الحذرِ المقلقِ
لم تك يا بازلُ(٣) فى حملها ... مقطِّرا(٤) تظلَعُ(٥) بالأوسقِ(٦)
ولا دخيلَ الظهر فى صدرها ... مدلسا بالنسبِ الملصَقِ
لم تقتعدها رغبةً فى اللُّها(٧) ... ولم تخف ضيما ولم تفرَقِ
أبوك من قبل آمتطى دَستَها ... سبْقا وقال: آقتفِنى وآلحقِ
لطيمةُ(٨) ريحانُها لم يلق ... بغيركم قطّ ولم يعبَقِ
ميراثها فيكم فمن رامها ... يغصِبْ ذليلَ الغصبِ أو يسرِقِ
فآرعَ بها حقك من روضةٍ ... بأعين الروّادِ لم تُرمَقِ
فى سابغٍ من ظلها واسعٍ ... وسائغٍ من مائها رِيِّقِ
تفوز بالمجدِ منها ولد ... حسّاد حظُّ المكمَدِ المحنَقِ

(١) النقبة: الوجه. (٢) لم يوفق: لم يوضع له فوق. (٣) البازل: المسنّ من الإبل.
(٤) المقطّر: الذى بلق الراكب على قطره. (٥) تظلع: تعرج، وفى الأصل «تطلع».
(٦) الأوسق: جمع وسق وهو الحمل الثقيل. (٧) اللها: جمع لهوة وهى أجزل العطايا.
(٨) اللطيمة: نافجة المسك.

وآسحب ذيولا من كراماتها ... لم تَبـل بالسحب ولم تُخـلقِ (١)
كساك منها المـدّ فضفاضـةً ... بغـير أعطـافك لم تلبُـقِ (٢)
بان بك الجـودُ على معشـرٍ ... كما تجلّت شِـية الأبـلقِ
أنت الذى لو لم تكن مطمعى ... أحمـنى اليأسُ فلم أنطـقِ
أعلقتـنى منـك بمفتـولةٍ ... حصـداءَ (٣) ما خاربها معلـقِ
كلّ يدٍ تحرشـنى بالأذى ... فأنت من محفارها مَنـفَق (٤)
فى زمنٍ يرشُـقنى كيـدُه ... ليس له غيرىَ من مَرشَـقِ
يـرى خـوافىَّ (٥) بما لا أرى ... إذ كنت عن قادمتى (٦) أتّقِ
ذاك لأنّى بين أبنائـه ... لم آلَف الهُجْـرَ ولم أخـرَقِ (٧)
موحّـدٌ لـو نخلَتْ كفّـهُ ... عن مثلَ الغـبراءَ لم تلحَقِ
وهـو عدوّ الفضـل مذ لم يزل ... يكاثر الأحـلَمَ بالأنـزقِ
فابق فما مثـلُك جـودا ولا ... مثـلى مليًّا (٨) بثناءٍ بَـقِ
وآسعد بعيدين : جديد العلى ... ومُخـلِق فى مُـذهَبٍ مخـلقِ
فمسـلم ينظـره من علٍ ... وكافر ذو ناظـرٍ مطـرِقِ
تصـاحبا (٩) مـع خُلف حاليهما ... تصـاحبَ الموسِـر والمخفِـقِ
يضـمُّ إقبالُك شمليهـما ... فيُلحـق المأسـورَ بالمطـلَقِ
وآنضُ ثيابَ الصـوم عن عاتق ... من كلّ وِزرٍ فى غدٍ معتَـقِ
وراعِ فى الإمكان ما أغفلت ... منّىَ عينُ المحرِجِ المرهِـقِ

(١) لم تلبق : لم تلق . (٢) الشية : لون يخالف معظم اللون . (٣) الحصداء : المحكمة النسج . (٤) المنفق : المحل الذى يخرج منه اليربوع الى غيره . (٥) الخوافى : ريشات اذا ضم الطير جناحيه خفيت . (٦) القادمة : ريشة من كبار الريش فى مقدم الجناح ، وفى الأصل "وأنا عن قادمتى" الخ . (٧) لم أخرق : لم أحمق . (٨) مليا : طويلا . (٩) فى الأصل "تصاحبا" .

قد كان ربُّ بك لو لم أكن ... آخُذُ بالأحزم والأوثقِ
وآبنِ بها عذراءَ مولودةً ... فى الحِلّ لم تُسبَ ولم تُسرَقِ
ناشزة لولاك ما أُنكحتْ ... وهى اذا طَلُقت لم تطلُقِ
مسبوقة أخّرها عصرُها ... وهى الى الإحسان لم تُسبَقِ
أنبطتُها من ثغبٍ (١) ماؤه ... شريعةٌ (٢) قبلىَ لم تُطرقِ

* * *

وكتب الى بعض الرؤساء من أصدقائه ، وكان ناظرا فى ميسان حربا وخراجا، ولها خبرٌ يجىء بعد، ويذكر آسم صاحبها، وفيها صفة السفينة

أروَّض الوادى أم أبيضَّ الغسقْ (٣) ... أم طيف "ظمياءَ" على النأى طرقْ ؟
جاء على غربته (٤) لم يحتفل ... ما نكدُ الأرض وما تيهُ الطرقْ
تحمله راحلةٌ كاذبةٌ ... من الكرى تُشكر شكرَ من صدَقْ
فقمت أمشى نائما ينفضنىْ ... إكبارُ ما خاض الىّ وخرَقْ
مرتشفا ترابَه أعرفه ... من غيره بما آستفاد من عَبَقْ
والركبُ قد ألهاهُمُ عن شأننا ... يوم "النخيل" سامنى مالم أُطِقْ
وناظر رقادُه من غدرِهِ ... لولا فراقُ الطيف ما ذمّ الأرقْ
ناشدْ غصونا "باللوى" موائلا ... طوعَ النسيم تلتوى وتفترقْ
أهنّ أحلى أم قدودٌ تلتوى ... شكوى على جمرِ النوى وتعتنقْ؟
وعن قناةٍ لحظُها عاملُها، ... وحُبِّبَ الرمحُ إن آسمرَّ ودقّْ
لمياءُ يُافَى الظبىُ من أوصافه ... صِفراً اذا ردّ الذى منها سرَقْ

---

(١) الثغب : الغدير يكون فى ظل جبل لاتصيبه الشمس فيبرد ماؤه . (٢) الشريعة : طريقة الماء . (٣) الغسق : الظلام . (٤) فى الأصل "غربه" .

تمّ البـدورُ وهـلالُ وجهها ... ما بلـغ الـتّم بهـا ولا ٱنمحـقْ
فارقتُ حولا أهلَ "نجدٍ" والهوى ... ذاك الهوى وحُرِّق تلك الحُـرَقْ
فقلْ لمن ظنّ البعادَ سـلوةً : ... لا تُنتحَلْ[1] طعـمَ شيءٍ لم تـذُقْ
آه لقلبٍ شـقّ عنـه أضلعى ... من "الحمى" تخالُجُ البرقِ الشفَقْ[2]
ثار به الشـوقُ فهبّ فهـفا ... تطلُّعـا ثمّ نـزا[3] ثم مرَقْ
أنشُده، وليس فى أهل "مِنًى" ... ـ والقوم حَجٌّ ـ مَن تعرَّفَ الشَّرَقْ[4]
لله عيشٌ "بالحمى" تعلّقتْ ... حبالُه بيـد قطّاع العُـلَقْ[5]
صحبتُ منـه رُفقـةً سائرَة ... لو أمهل الحادى العنيفُ أو رَفَقْ
أيّامَ لى من الشـباب دوحةٌ ... ملتفّـةُ الأغصان خضراءُ الورَقْ
ولِمّتى[6] تقطُر من ماء الصِّبا ... شرطَ المفـدّى[7] ما فلا وما فرِقْ
اذا الظباء نفـرتْ من قانصٍ ... تزاحمتْ عـلى حبالى وربِقْ[8]
فاليـومَ لا أرجـع إلا مخفقا ... محصَّنَ المـدية مثنىّ الورَقْ[9]
قالوا : المشيبُ لبسـةٌ جديدةٌ، ... خذوا الجديدَ وٱسترِدّوا لى الخَلَقْ
أسلفتُ دهرى غَبَنًا[10]، فارتجعتْ ... أحداثُه منى الذى كان ٱستحقّْ
كم قـد ركبت ظهـره، وجُمّى ... تُبدِلُه عن العليـق بالعَـلَقْ[11]
أجريتُـه ركضا الى مآربى ... وخَبَبًا حـتى أفـوزَ بالسـبَقْ

(١) فى الأصل هكذا "تُنحل". (٢) الشفق صفة للبرق بمعنى الأحمر. (٣) نزا : وثب.
(٤) الشرق جهـة شروق الشمس، والشرق أيضا الشمس. (٥) العلق جمـع علقة بمعنى التعلق بالشىء. (٦) اللة : الشَّعر المجاوز لشحمة الأذن. (٧) المفدّى : من تلزمه الفدية فى الحجّ اذا فلا رأسه أو فرقه. (٨) الربق جمع ربقة وهى عروة تشـد بها الدوابّ.
(٩) الورَق جمع ورقةٍ وهى جُلَيْدةٌ توضع عل حزِّ الوتَر من القوس. (١٠) الغبَن : الخداع فى البيع والشراء كالغَبْن بتسكين الباء. (١١) العلق : الدم.

فلم تزل خُطاه بى قصيرةً ... وجَلَدى حتى رضيت بالعَنَق (١)
قالت : يئستَ فجلستَ حَجْرةً (٢) ... والرزقُ فى أخرى يصوبُ ويدِقْ (٣)
مزمِّلا بعيشةٍ ذبذابةٍ ... لم يَكِسِ (٤) الدهرُ بها ولا حَمُقْ
تألفُ دارا "بالعراقِ" جدبُها ... قد عدِمَ اللحمَ وعاد يسترِقْ (٥)
أضَربتْ أسدادُ "جوٍّ" غيرَها ... على المطىّ أم على الأرض طبَقْ؟
يُحبُّ كسرَ (٦) البيت إما عاطلٌ ... من العلا أو طائش القلبِ فرِقْ (٧)
بجَمْتانِ (٨) أين أنت منهما ... هما الثرى وأنتَ بيضاءُ (٩) الأفُقْ
عنّى ! فما أعدلها قضيّةً ... لو أنّ من يُحرَم بالفضل رُزِقْ
أما رأيتِ الفضلَ واجتماعَه ... فى وطنٍ والحظَّ قلّما اتفقْ!
العربىُّ راقعٌ شَملتَه (١٠) ... والقروىّ بالنُّضار ينتطِقْ
من لى بسوقِ المائقين (١١) يُشترَى ... حلمىَ فيها برفاغةِ (١٢) التَّرَقْ!
وقد حرصتُ مطلقا أعنّتى ... لو أنّ معقولَ القضاء ينطلقْ
والشعرُ قد أبضعتُه فكاسدٌ ... أو نافقٌ (١٣) وليت [شعرى] (١٤) ما نَفَقْ (١٥)
عبّدتُه حرًّا لقومٍ عُنُفوا ... بملكه فما نجا حتى أبِقْ (١٦)
فصرتُ إن أردته لمثلها ... أبَى علىّ خيفةً منها وشقْ
وقد عصانى فى الملوك زمنا ... فهل تُرى يُسمِحُ فى مدح السُّوقْ؟

---

(١) العنق : ضرب من السير السريع . (٢) حجرة : ناحية . (٣) يدِقُّ : ينهّل بالودْق .
(٤) لم يكس : لم يفطن وهو ضدّ حمق . (٥) يسترق : يأكل ما على العظم من لحم .
(٦) كسر البيت : جانبه . (٧) الفرق : الخائف . (٨) المجثمة : محلّ الجثوم .
(٩) البيضاء : الشمس . (١٠) الشملة : الكساء . (١١) المائقون : الحمق .
(١٢) الرفاغة : الاتساع ومنه رفاغة العيش؟ اتساعه . (١٣) نافق : رائج . (١٤) فى الأصل هكذا "ولس" . (١٥) ليست بالأصل . (١٦) أبق : هرب من سيّده .

لو كان كالأمير كلُّ سامـــع ... لم يُحتبَسْ عن شأوه ولم يُعَقْ
ولو "بسـعد الدولة" آشتغاله ... مذ سار ما سار بمـدح مختـــلَقْ
حارن ما حارن وآرتاض له ... لقـــد أرمَّ[1] ولأمر مّا نطـــقْ
أصـاب كفًّا ورأى ضريبـــةً ... ففالتَ الغـــمدَ اليها وآندلقْ
ومرّ مشـتاقا مع الأوصـاف لا ... تُملَك منـــه صهوةٌ ولا عُنُـــقْ
طابت له الأنبـاءُ فاســتروحها ... شَمًّا ، وللجـــود رياحٌ تُنتَشَـقْ
يا راكبا تنقُـــله سابحـــةٌ[2] ... ورهاءُ لا من جِنّةٍ ولا خُرُقْ[3]،
ســوداء من لباسـها وجلدها ، ... وجسمُها أبيضُ عريان يَقَـــقْ[4]،
أرضـعها البحـــرُ وربَّاها وما ... تخشَى على ذاك ردًى من الغـرَقْ،
اذا المطايا أُلِمَتْ من الصدى ... خمسًا وعشرا[5] أُلِمت من الشَّرَقْ،
تُحدَى برجزٍ[6] ليس من أشجانها ... ونغَـــمٍ لم يُصـــبِها ولم يَشُـــقْ،
تركب من هُـــوج[7] الرياح غَرَرا[8] ... وما لهـا إلا بهنّ مرتفـــقْ:
بلِّغ "بميسان" اذا بلغتهـا ... عاقـــلةَ[9] الثـاوى وزادَ المنطلِقْ،
وقمـــرا يطلـــع فى سمـائها ... ونـــورُه فى الخافقيْن يأتلِقْ،
وقـــل كما شاء النـــدى لخالدٍ ... قـــولةَ لا تخلُّبٍ ولا مَـــلَقْ:
يا خير من حلّت على أبوابه ... رحائل البُـــدْن[10] وحاجات الرُّفَقْ

(١) أرمّ : سكت . (٢) يريد بالسابحة السفينة . (٣) الورهاء : الحمقاء ، والخرق : الحمق .
(٤) يقال أبيض يقق كما يقال أصفر فاقع وأحمر قانئ . (٥) الخمس والعشر من أظماء الإبل وهو ورودها على الماء فى اليوم الخامس والعاشر . (٦) الرجز : الإنشاد . (٧) هوج جمع هوجاء وهى الريح التى لا تستوى فى هبوبها . (٨) الغرر : الخطر . (٩) العاقلة : قرابة الرجل من قِبَل الأب . (١٠) البدن جمع بدنة وهى الناقة .

ومَن أنتــه كالجبال عَجَفًا (١) ورجعتْ كالوَسْقِ من تحت الوَسَقْ (٢)
لــولا السماحُ وغرامٌ بالنــدى لمـا قَرعتَ تطلبُ المـالَ الحَلَقْ (٣)
ولا شهدتَ اليــومَ تغـلي قِدرُه لو لم يَصُبْ ماءُ الطُّلَى (٤) فيه احترقْ
عمّت على أشــعارها (٥) صِــبائغٌ تولّدت بين النجيــع والعــرَقْ
يحملن كلَّ خائضٍ بحـرَ النــدى حتى يرى الموجَ عليــه ينطبِقْ
كأنه بالمــوت يقضى لذّةً أو بفراقِ نفســهِ يشفى حَنَــقْ
كتيبة خرساء إلا قــونسٌ (٦) يطِنُّ أو خرَّ غلامٌ فصَــعِقْ
لم تر من قبلك خِرْقا (٧) قادها أُســدَ شَرًى تهفو عليهنّ الخُرُقْ (٨) ٢٤٧
اذا طغى على "الصليق" (٩) زأرُها فأضلُعُ "البصرةِ" منها تَصطفِقْ
لواؤك المرفــوعُ من أمامها لم يخفض ولا هوى منــذ بسَقْ
كأنه أبصر أكباد العــدا تنزو (١٠) فأعــداه الخفوقُ فخفــقْ
قــد جرّبوا كيدك أمسِ، والذى عنــد غدٍ أشقّ عليهــم وأشقّ
يا فارس القرطاس والسيف لقد جمعتَ من ذى طرَفَين مفــترَقْ
حــتى لقالوا : طاعنٌ بقــلمٍ أو كاتبٌ بالرمح فى الطِّرس مشقْ
عرفتَ من نفســك ما لم يعرفوا فطِرتَ حتى صرتَ حيث تستحِقّ
كم عجبــوا منــك وأنت تَرتقِي وانتظَــروا فيك الزليــلَ والزلَقْ

(١) العجف : ذهاب السمن . (٢) الوسق : الحمل الثقيل وحرك للضرورة . (٣) المال الحلق : الإبل الموسومة بالحلقة . (٤) الطلى : الأعناق . (٥) أشعار جمع شَعْر . (٦) القونس : أعلى الرأس . (٧) الخرق : الكريم السخي . (٨) خرق جمع خريق وهو المطمئن من الأرض . (٩) الصليق : مواضع كانت فى بطيحة واسطٍ بينها و بين بغــداد كانت دار ملك مهذب الدولة أبي نصر المستولى على تلك البلاد . (١٠) تنزو : تضطرب وتثب .

وخاوصـوك[1] حسـدا بأعين ... لم تحفـل الشّهلةَ[2] منهـا والزّرَقْ
حـتى تركت النجم فى خضرائه ... يخطِر زهوا أن سبَقتَ ولحِـقْ
فالمـال إن لم تلتحف بريشـه ... ولم تنُطْـه بيـدٍ ولم تُـلِقْ[3]،
أنفقتـه فى الجود فهـو بدَدٌ ... فى الأرض حتى ما له منك نفَقْ
والحوضُ يُفنيـه آعتـوارُ شَفَةٍ ... فشفةٍ وإن عـلا وإن عمُـقْ
وفُرُ الفـتى ما شاء من حديثـه ... والمجـدُ فى غير النُّضـارِ والورِقْ[4]
هل لك فى ودٍّ على شحط النـوى ... صفَا على غِشّ المـودّات ورَقْ؟
وصاحبٍ كما آشترطتَ صاحبـا ... أخلصَ ما كان اذا قلتَ : مَذَقْ؟
يكيلك البِرَّ بصـاعٍ أصـوُعا ... وإن عققتَ ـ غيرَ غدرٍ ـ لم يعُقّ
مطهَّـرِ الشيمةِ غُنمٌ قـربُهُ ... محبَّبِ الإكثار محفـوظِ النُّطُقْ
لا يشرب الراحَ لأن تُسكِره ... لكن لأن يجـدُبها حسنَ الخُلُقْ
سيف اذا أنت عرفتَ قـدرَه ... فَـرَى[5] بأعناق عِـداك وفَلَقْ
أتاه عنـك من أحاديث النـدى ... والمجـدِ ما صبا اليـه وأرِقْ
فساقها عـذراءَ ما خطبتَهـا ... وكم غلا خِطبٌ[6] بها فلم تُسَـقْ
ثمينـةَ البُضـعِ حصينا سرّها ... عـلى الرجال حرّةً لا تُسـترَقّ
إن آنستْ خيرا أقامت أو رأت ... ضيما أجاز حكمهـا أن تنطـلِقْ
العَقـدُ والتطليقُ للبعـل، وفى ... قبضتها أقرَّ بعـلٌ أم طَـلِقْ[7]
إنسـيّة تحسَب نفثَ سِحـرها ... كلامَ جِـنّيٍّ حكى ما يسـترِقْ

---

(١) خاوصوك : حدّقوا فيك . (٢) الشهلة : حمرة تشرب الحدقة ؛ والزرق : أن تشوب سواد العين زرقة . (٣) لم تُلِقْ : لم تُمسِكْ . (٤) النضار : الذهب ، والورق : الفضة .
(٥) فرى : شقّ . (٦) الخِطب : الرجل الذى يخطب المرأة . (٧) طلق : تباعدَ .

حاضرة تحسبها باديةً تدّيرتْ داراتِ "خبتٍ" "فالبُرَقْ"(١)
أخّرها الميلادُ وهى رتبةً فى الشعر بالتقديم أولى وأحقْ
اذا قرنتَ بالفحول شأوَها حكمتَ أن السابقَ الذى سُبِقْ
فاجتلِها من فم راوٍ قد فَرَى(٢) بالسعى فيها لك دهرا وخَلَقْ(٣)
أشفقَ أن يَعْطُلَ - وهى مفخرٌ - عرضُك منها ، والمحبُّ ذو شَفَقْ(٤)
فاشكر له ما حملَتْ يمينُه منها وما فتّقَ فيها ورتَقْ
واعرف لمهديها لك افتتاحَه فى المدح باباً عن سواك منغلقْ
وجازِهِ وابقَ على وداده مسلّما ما طرد الليلَ الفلقْ(٥)
ولا تعلّلْ باستماع غيرِها فإنما تلك بُنيّاتُ الطُّرُقْ

* * *

وقال يمدح الملك شاهانشاه جلال الدولة أبا طاهر رحمه الله، ويهنّئه بالمهرجان، وأنشدها بحضرته

اذا لم أحظَ منكِ على التلاقى فما بالى أُروَّعُ بالفراقِ!
بعادُكِ حيث لا يرجوكِ راجٍ كقربكِ حيث لا يلقاكِ لاقى
فمن يشكُ النوى أو يبكِ منها فلا دمعى هناك ولا احتراقى
نواكِ من الملال أخفَّ مسّا على كبدى وأبردُ لاشتياقى
ولولا البينُ لم أملكْ وُصولا الى قُبَلِ الوَداع ولا العِناقِ
على أنّى وأنتِ النجمُ بعدا حديثُكِ بين صدرى والتراقى(٦)

(١) البرق جمع برقة وهو اسم لكثير من المواضع . (٢) فرى : شقّ . (٣) خلق : قدّ وقدّر من خلَقَ الأديمَ أى قدّره قبل فريه . (٤) الشفق : الخوف . (٥) الفلق : الصبح . (٦) التراق جمع ترقوة وهى مقدم الحلق فى أعلى الصّدر .

أقول لصاحبيَّ غداة "جمْع"(١) وأيدى النفـــر(٢) تلعب بالرفاق:
قِيانى من سهام بنات "سعد"(٤) وهـــل مما قضاه الله واق؟(٣)
ومن ظبيٍ مـــددتُ له حبـالى لأقنِصَـــه فعدنَ على خُنـاق
خذا طَرْفى بمـا أبقَ، وطَـرْفى بعمـــدٍ جرّ قتـــلى لا آتفاق
أراق دمى الحرامَ فضـولُ عينى فثارى بين أجفـانى وماق(٥)
أيا ربعَ الهوى : دعْ لى طريق فلا حبسى اليـكَ ولا اعتيـاق
لك الخلْقُ الحسانُ اذا تصدّت ولكن ما لأهلكَ من خَلاق
وقـل لشقيقة القمرين : بِيني فهـــذا عنكِ بَيْنى وآنطـــلاق
وإلا تفعلى أنطـــقْ بهُجْـــرٍ يسـوء الودَّ يا ذات النطـاق
علقتُـكِ ضائعا فى الحبّ عزمى فكان المجـدُ أولى بآعتـــلاق
أنا الجارى اذا الحلَباتُ طالت مراكضُها على الخيـــل العتاق
نفضتُ طريقَها شوطا فشوطا وسُلِّم لى بهـا قَصَبُ الســـباق
فمن ذا يبتغى فى الفضـل سبق وقد يئس الســـوابقُ من لحَاق
بقيتُ لحرّ هـــذا القول وحدى فعبـــدى منه مأمونُ الإباق(٦)
وحسبكِ ما بدا لكِ من نفاذى عـــلى ملك المـــلوك ومن نَفَاق
"بركن الدين" سالمنى زمانى وأطلقتِ الحوادثُ من وَثاق
فهما أبقَ يســـمعْ سائراتٍ مطبِّقـــةً من الكلِم البـــواقى
تكون له مَطاربَ فى غدايا الـ ـصّبوح وفى عشـايا الإغتبـاق

(١) جمع : مِنًى . (٢) النفر : اندفاع القوم من منى الى مكة . (٣) قيانى : إحفظانى . (٤) يريد بسعد هنا آسم القبيلة . (٥) الماق : مؤخر العين مما يلى الأنف . (٦) الإباق : الهرب .

وفى الأعـداء تقطع ماضيات ... مصمِّمةً مـع البيض الرقاق
حَمَى الدنيا فثبَّتَ جانبيها ... صليبٌ لا يروِّعُ بالصِّفاقِ (١)
أبو شبلين من تعلَّقَ يداه ... فليس له من الحدثانِ واقِ
وساق النـاسَ خفضا وٱرتفاعا ... بصيرٌ بالإناخة والمَساقِ
وقاوم بالسياسة كلَّ داءٍ ... طبيبٌ من لداغِ الدهرِ راقِ
اذا غُمُضَ السَّقامُ على المداوى ... تطلَّع من غوامضه العِماقِ
ألا أبلغْ مـلوكَ الأرض أنَّا ... على "الزوراء" فى العيش الوفاقِ
لنا مـلكٌ يُرِبُّ (٢) على نظامٍ ... شتائتَ أمرنا وعلى ٱتساقِ
اذا جمدَ الغمامُ جرت يداه ... فعمَّتْنا بمنهمرٍ دُفاقِ
أطاعتـه المقادرُ وٱستجابت ... له فى كلّ رقْـيٍ وٱنفتاقِ
تناهَوْا عن عداوتنا تناهَوْا ... وفى الأرواح باقيـةُ الرَّماقِ
فقد جـرَّبتُمُ بالأمس منّا ... عرائكَ لا تلينُ على ٱعتياقِ
وكم ملكٍ جليلٍ ندَّ عنا ... فطاحَ على ذوابلنا الدِّقاقِ
عسفناه، وآخـر قـد ملكنا ... مقادتَه بلطف وٱرتفاقِ
وجاءتنا السعودُ بكلّ عاصٍ ... على عجلٍ تعارَضُ وٱستباقِ
وأبصر رشـدَه ٱبنُ أخٍ شقيقٍ ... فطاوع أمرَنا بعد الشِّقاقِ
رأى طعم العقـوقِ لنا مريرا ... فـبَرَّ ودلَّهُ صـدقُ المذاقِ
أراه الحـقَّ أمرُ اللهِ فينا ... فنبَّـه جفنَه بعـد ٱنطباقِ
تذكّرَها على "الأهواز" (٣) شُعثا ... نزائـعَ بين خَرْقٍ (٤) أو مَراقِ

---

(١) الصـفاق : الاضطراب . (٢) يربّ : يجمع . (٣) شعث جمع أشعث وهو المغبّر الرأس المتلبّد الشعر . (٤) الخرق : الفلاة .

وأنذره "بدلّان"[1] وُسـومٌ عـلى الأعنـاق ثابتـةٌ بواقى
وناشـدَ بالقـرابة فانعطفنا له عَطفَ الغصون على الوراقِ
فهـا هـو لو دعوناه لخطبٍ أطاق لأمرنا غـيرَ المطاقِ
فنصرا ياملیك الأرض نصـرا عـلى رغم المحـايد والمـلاقى
تهنَّ بدولةٍ أُنكحتَ منهـا فتـاةً لا تـروَّع بالطـلاقِ
وما اقترحت سوى أن ترتضيها وأن تحنـو عليها من صَداقِ
وعاد المهـرجانُ بخفض عيشٍ يرفّ على ظـلائله الصّـفاقِ
هو اليومُ ابتناه أبوك "كسرى" وشـيّد من قواعـده الوِثاقِ
وشقَّ له من اسم الشمس وصفا يصول به صحيحَ الإشـتقاقِ
ويُقسِم لو رآك جلستَ فيـه لجاءك قائمـا لك فـوق ساقِ
وأعجبـه تـنزُّلُه بعيـدا وأنت عـلى سرير الملك راقى
وأسـلاه عن الإيوان بُقيا[2] مقـام العـزّ فى هـذا الرواقِ
فبادرْ حـظَّ يومك واقتبـلْه على النشواتِ بالكأس الدِّهاقِ
من السوداء لم تك بنت كرمٍ دفينٍ بل من الهيف البِساقِ
مـولّدة الحـوابى لم تلدها الـ ـدّنانُ ولم تُمخَّض فى الزِّقاقِ
وإن هى لم تكن حمـراءَ صِرفا ولا صـفراءَ بالمـاء المُـراقِ،
ولا لونُ الخدود لها اذا ما أُفيضـتْ فى أوانيها الرِّقاقِ،
فألوانُ القـلوب اذا أديرت تُناسبها وألوانُ الحـداقِ
وأحسنُ صبغتين سـواد كأس تعـلّق فى بياضِ يمينِ ساقى

(١) دلان غير مشـدّدة اللام : قرية فى اليمن ، وقد شدّدت لامها للضرورة الشـعرية .
(٢) فى الأصل "لقيا" .

وحرّمها "المجازيّون" ظلما ... لها فاحلّها أهلُ "العراقِ"
وما متحبَّبٍ فيه اختلافٌ ... كمحظورٍ يحرَّم بالوفاقِ
عففت[1] فعِفتَ عين الخمر دينا ... اذا ما عفّ قومٌ للنفاقِ
فباكرْها على أقمارِ تمٍّ ... تقابَلُ فوق أغصانٍ رِشاقِ
ونلْ بيمينك الدنيا جميعا ... وأطبقْها على السبعِ الطباقِ
تدرَّج فى السنين تعدّ ألفا ... وترجع بعدُ فى أُولى المراقى
الى أن تصبحَ الخضراء ماءً ... ويفنَى النيّرانِ وأنت باقى

* * *

وكتب الى كمال الملك أبى المعالى فى النيروز، ويعرّضُ فى آخرها بغرض له

الى كم حبسُها تشكو المضيقا ... أثِرها ربّما وجدتْ طريقا
تنشّطْ سُوقَها وآسرَحْ طُلاها ... عساها أن ترَى للخصب سُوقا
وإن لم تمضِ هرولةً وجَزْا[2] ... فأمهلْها الروائدَ[3] والعنيقا
أجلْها تطلب القُصوى ودعْها ... سُدًى، يرمى الغروبُ بها الشروقا
فإنّ من المحال — ولم تُهدَّمْ ... غوارُبُها — تنجُّزَكَ الحقوقا
أتعقِلُها وتقنعُ بالهوينا ... تكون إذًا بذلّتها خليقا
ولم يُشفِقْ على حسبٍ غلامٌ ... يكون على ركائبه شفيقا
أخضْ أخفافَها الغمرات حتى ... ترى فى الآل[4] سابحَها غريقا
سمائن أو تعرّقها[5] الفيافى ... فتتركها عظاما أو عروقا
تلاقط جوهرَ الحصباء منها ... مناسمُ من دمٍ يصف العقيقا

(١) فى الأصل "عضفت". (٢) الهرولة والجز: الإسراع. (٣) يريد بالروائد والعنيق ضربين من السير. (٤) الآل: السراب. (٥) تعرّقها: تأكل ما على عظمها من لحم.

يصيب به رميّته معاشُ الـ ... ـيدين موفّقٌ نصلا وفوقا
يُقِضّ على جُنوب البيد منها ... سهامَ النزع مفلتةً مُروقا
صبور للهواجر والسوافي ... يرى بجدوبه العيشَ الرقيقا
اذا عدم المياهَ على الركايا (١) ... كفاه أن يعدَّ لها البروقا
توزّطها فإما نلت خيرا ... فسعيٌ وافق القدرَ المسوقا ،
وإما أن تخيب (٢) فلست فيها ... بأول طالبٍ حُرِمَ الذُّحوقا
أرى الأيام تأخذُ ثم تُعطي ... وتخرُق ثم تتصيحُ (٣) الخروقا
وتوقد نارَها دِفًّا (٤) لقوم ... وفي قومٍ تُضرِّمها حريقا
وكلُّ حُلوبها عندي سواءٌ ... مشوبا (٥) أو صريفا أو مَذيقا (٦)
مظالم لو رُفعن الى كريم ... لكان بسدّ عورتها حقيقا
ولو نادت "كمالَ الملك" ألفتْ ... على الأدواء حاسمها الرفيقا
وحطّت فادحُ الأثقال منه ... بذي جنبين يحملها مطيقا
غيور لا ينام على اهتضام الـ ... ـكرام ولا الغِرارَ (٧) ولا الخُفوقا (٨)
تنقّله من العزمات شُمٌّ ... يدوس (٩) جبالها (١٠) نيقا فنيقا
اذا ركب الطريقَ الى المعالي ... فلا زادا يُعِدُّ ولا رفيقا
وجيد تُرهِفُ الأحداثُ منه ... على أعناقها نصلًا عتيقا
لبيب الرأي يكبر عن مشير ... اذا ما الرأيُ شارفَ أن (١١) يموقا

(١) الركايا جمع ركيّة وهي حفرة يجتمع فيها الماء . (٢) في الأصل : «تجيب» .
(٣) تتصح : تخيط . (٤) الدفّ : الدقيق من الشجر . (٥) الصريف : اللبن الخالص
وفي الأصل "مديقا" . (٦) المذيق : المخلوط . (٧) الغرار : القليل من النوم .
(٨) الخفوق : النعاس . (٩) في الأصل "حبالها" . (١٠) النيق : أعلى موضع
في الجبل . (١١) يموق : يحمق .

اذا خفيتْ شواكلُ كلِّ أمرٍ ... جليلِ الخطبِ أبصرها دقيقا
فيلو روّي ليفرق بين ماءٍ ... وماءٍ مثلِه وجدَ الفروقا (٣٠٠)
نمتْ أمُّ الوزارة من أخيه ... ومنه البدرَ والغصنَ الرشيقا
هما الولدان من صلةٍ وبرٍّ ... اذا ولدت من الناس العُقوقا
من النفر الذين اذا استغيثوا ... رأيتَ بهم وَساعَ الأرض ضيقا
كثائبَ ما رعتْ عيناك خُرْسا ... سيومةً وألويةً خفوقا
تخالُ بديةَ أمرهمُ رويًّا ... اذا اجتمعوا وواحدَهم فريقا
رطابُ النطق بسّامو المجالى ... اذا ما أيبسَ (١) القَرَقُ الحُلوقا
لهم شرفٌ سرى من ظهر "كسرى" ... (٢) مَطًا فمطًا (٣) فما ضلّ الطريقا
طوى أصلابهم أو جاء "عبد الـ ... ـمسيح" فجاء مُتّسقا مَسوقا
ترى الأبَ بالشهادة فى بنيه ... قريبا وهو قد أمسى سحيقا (٤)
وما تسمو النفوسُ ولا تزكّى ... اذا لم تنظم الحسبَ العريقا
وبانت آيةٌ "بأبى المعالى" ... فكان مصلِّيًا (٥) فضلَ السَّبوقا
ربا معه الكمالُ فشُقّ منه ... له لقبٌ فصار له شقيقا
خلائق تارةً يُشربن صابا ... وأحيانا مشعشعةً رحيقا
يثير السخطُ منها والتغاضى ... صواعقَها ووابلَها الدَّفوقا
ففى حالٍ تكون بها شريبا ... وفى حال تكون بها شريقا
ويُسكرك الذى يُصحيك منها ... فما تنفكُّ سكرانا مفيقا
فداؤك كلُّ جهمِ الوجه أنّى ... لقى مُرَّ الخلائق كيف ذيقا

(١) القرق: الخوف. (٢) المطّ: الظهر. (٣) فى الأصل "ملّ". (٤) السحيق: البعيد. (٥) المصلّى: الثانى فى حلبة السباق.

تـراه ناشـطا يأتى ويمضى ... وقَيـدُ العجز يجعـله ربيقا (١)

اذا عزلوه لم يحـذر عـدوًّا ... وإن ولّوه لم يُحـرِز صـديقا

يراك بمُـؤْخِر العينين غيظا ... وقـد أقذيتَـه جفنا ومـوقا (٢)

فـلا مَدّت لنعمتـك الليـالى ... يدا طُـولى ولا ظُفـرًا عَلوقا

وإن سنحتْ ميـامنُ كلِّ يوم ... صباحا بالسّعادة أو طُـروقا

فغنّـك المَطـاربَ ثم أبكت ... ديارَ عـداك نَوْحا أو نعيقا

وجادك كسبُ جودك من ثنائى (٣) ... مـواقرَ (٤) تَرجع الذاوى وريقا

اذا هى أوبلت بسـطتْ عريضا ... وإن هى أسبلتْ حفرتْ عميقا

فُتلحِم (٥) فى ربوعك أو تُسـدِّى ... خمـائلَ تأسر الطـرف الطليقا

تزورك شاكياتٍ كلّ يـوم ... حشًى حرّانَ أو قلبا مشـوقا

عـلى مسعاتها قامت مقـاما ... مقِـرًّا من قبـولك أو زليقا

وكم عـثرتْ بذنبٍ كان سهـوا ... فكنتَ بأن تَغمّـدَه حقيقا

وحرّ بالخطيئـة صار عبـدا ... غفـرتَ غلاطَه فغـدا طليقا

* * *

وكتب الى زعيم الملك أبى الحسن بن عبد الرحيم فى المهرجان

أما لنجوم ليلك " بالمصـلّى " (٦) ... مغـاربُ بل أما للشمس شرقُ ؟

تساعدنى على السهـر الليالى ... فهـل إسعادُهنّ عليـه عشقُ ؟

وأين طـريق نومى والدرارى (٧) ... حوائرُ فيـه ليس لهنّ طُـرْق !

---

(١) الربيق : المشدود بالربقة . (٢) الموق : مؤخر العين مما يلى الأنف . (٣) فى الأصل " ثيابى " . (٤) المواقر : السحائب المثقلة بالماء . (٥) فى الأصل " فتحلم " .
(٦) المصلّى : موضع فى عقيق المدينة . (٧) الدرارى : النجوم .

أرقتُ، فهل لهاجعةٍ "بسليع" على الأرقين أفئدةٌ ترقُّ ؟
وما أشكو السهادَ لأنّ جَفني تنافَى عنده فتعٌ وطبْقُ
ولا أنّ الرقادَ يُعير روحا جوًى كبدى فيبرُدُ منه حرقُ
ولكن أن أرى "خنساء" حُلما كأن زخارفَ الأحلام حقُّ
نشَدتك بالقرابة بابن وذّى (١) فإنك لى من ابن أبى أحقُّ
أسلْ "بالجزع" عينَك إن عينى اذ استبرتُها وقتا تعُقُّ
وإن شقَّ البكاءُ على المعاقَ فلم أسألك إلا ما يشُقُّ
ورافدْنى بكفّك فوق قلبى "ببُرقة عاقلٍ" إن عنّ برقُ
تألّقَ ثم حنّقَ "حاجريًّا" له أفقٌ وللأظعان أفقُ
له من عَبرتى حَلَبٌ وصبغ ومن أحشاى شعشعةٌ وخفقُ (٣٠١)
كما عطّ (٢) المشبرقُ (٣) شطرَ بُردٍ يُطرّح واستوى شِقٌّ وشقُّ
يطار حنى الغرام وساعدته هوائفُ تركب الأوراقَ وُرقُ
ورَى أكبادَها "بالقاع" [زُغْبٌ] (٤) جوائمُ ما استتمّ لهنّ خَلْقُ
رماها فى شواكلها مصيبٌ من الأقدار فاختُلتْ (٥) مُدِقُّ
زقت (٦) من كُفّة (٧) القنّاص تمكو (٨) اليها وهى أفرخةٌ تُزَقُّ
وما بين الفراق المزفيها تحاذره وبين الموت فرقُ
وليس عليك من عَلَقٍ بمغنًى (٩) صُماتُ (١٠) حديثه بالموت نطقُ

---

(١) فى الأصل "درى" . (٢) عطّ : شقّ . (٣) المشبرق : مقطّع الثوب
(٤) ليست بالأصل، والزغب جمع أزغب وهو الفرخ نبت ريشه . (٥) اختلت : أصيبت مخاتلة، وفى الأصل "فاختليت" . (٦) زقت : صاحت . (٧) الكفّة : حبالة يصاد بها .
(٨) تمكو : تصفر بفيها . (٩) المغنى : المنزل الذى غنِىَ به أهله . (١٠) الصمات : السكوت .

كأنَّ معالمَ الأجيافِ فيه ... سُطورٌ ملهوجٌ (١) والدارُ رَقُّ
وخَرقٍ (٢) ميِّتِ الأشخاصِ عافٍ ... وسيحٍ ليسَ يُرقَعُ منه خَرقُ،
كأنَّ عرائفَ الجنَّانِ (٣) فيه ... مُلاءُ البُحْتِ من ريحٍ تُمَشَّقُ،
سلكتُ ولا أئيسَ سوى الأصداءِ (٤) يزقو ... ولا صوتٌ سوى الأصداءِ (٥) يرقو
على ضَرِمِ القوائمِ أعوجيٍّ (٦) ... تكاذيبُ الشخوصِ عليه صدقُ
يفيضُ على الوِهادِ عن الروابي ... بما تمليه سالفةٌ وعُنقُ
أقبَّ (٧) تخالُ سنبكَه اتساعا ... يُكبُّ على المداوسِ منه حُقُّ
تظنُّ العينُ فارسَه رديفًا (٨) ... يطامنُ شخصَه عُنُقٌ أمَقُّ (٩)
تنقِّله قوادمُ (١٠) مضرحيٍّ (١١) ... خطائطهنَّ فوقَ التُّربِ مشقُ
سبقتُ به الى أخرى المعالي ... بدارِ الفوتِ، والعلياءُ سَبْقُ
فأُوردتُ الزلالةَ من ملوكٍ ... صفَوا الفمَ، ومزجُ الناسِ مَذْقُ
رُزقتُ جزيلَ مالهمُ بفضلي ... إذا لم يجتمع فضلٌ ورزقُ
اذا لبَّى "زعيمُ الملكِ" صوتي ... فكلُّ مواعدِ الآمالِ صدقُ
أغرَّ كأنَّ جبهتَه (١٢) بُلوجا ... لعينكَ في جبينِ الشمسِ فَتْقُ
يُغيِّرُ حسنُ أخلاقِ الليالي ... عليه وخُلقُه في الجودِ خَلْقُ
ولا يرضى بعذرٍ وهو حقٌّ ... مبينٌ في الندى وعليه حَقُّ

---

(١) الملهوج: الذي لم يحكم الأمر ولم يلزمه. (٢) الخرق: الفلاة. (٣) عرائف الجنان: أصوات الجن. (٤) الأصداء: جمع صدى وهو رجع الصوت. (٥) ترقو: تصيح. (٦) أعوجيّ: نسبة الى أعوج وهو فرس لبني هلال تنسب اليه الخيل. (٧) الأقبّ: الضامر البطن الدقيق الخصر. (٨) الرديف: من يركب خلف الراكب. (٩) الأمقّ: الطويل. (١٠) القوادم: ريشات كبار في جناح الطائر. (١١) المضرحيّ: النسر الطويل الجناح. (١٢) بلوجا: وضوحا.

كريمُ العِيصِ(١) زاد ومادَ غصنٌ ... له من حيث طال وطاب عِرقُ
عتيقُ الطينتين سما عفيفا ... بمتنيه، وبيتُ المجدِ عِتقُ
ويصطلمون(٢) ما محكوا ولجّوا ... وهم خلقاء أن يعفوا ويُبقوا
إذا أذنوا فأحلامٌ وهَدْيٌ ... وإن وهبوا فإفراطٌ وخُرْقُ
وإن نطقوا بفاصلةٍ أرمّت(٣) ... شقاشقُ كلِّ هدّارٍ يبُقُّ(٤)
فلم يعرِبْ ببيّنة لسانٌ ... ولم يرطَبْ(٥) على اللهواتِ حلقُ
فإن تك يا "علىٌّ" نقلتَ منهم ... مناقبَهم فأنت بها أحقُّ
سمحتَ لها ووجهُ الدهرِ جَهمٌ ... وهم سمحوا ووجهُ الدهرِ طَلقُ
إذا خان البنونَ أباً كريما ... وَفَى لهمُ غلامٌ منك خِرْقُ(٦)
فلا يدخلْ عليك فسادُ دهرٍ ... يُخاف على تمامك فيه محقُ
وشلّت(٧) كفُّ خطبٍ كان منها ... لرتقِ علائكم وهنٌ وفتقُ
غلاظٌ من جهالات الليالى ... وهن سواكنٌ أبدا ونزقُ
وحُمقٌ فى الزمان أصاب منكم ... وفى أخلاقه كَيَسٌ وحُمقُ
شِماسٌ من مقادكمُ ولينٌ ... وصعفوٌ تارةً لكمُ ورَنْقُ
وعسفٌ فى القضاء ويقتضيه ... فتمحوه مياسرةٌ ورِفقُ
وإيمانٌ بمعجزكم وشكرٌ ... وكفرٌ تارة بكمُ وفسقُ
فلا تُغمِزْ قناتُكم ببوعٍ(٨) ... ولا يُسبر لكم غَوْرٌ وعُمقُ
ولا تُقرَعْ بمُجزِعة صفاكم(٩) ... وإن خَدشتْ سهامٌ فهى مرقُ

(١) العيص : الأصل والشجر الكثير الملتف . (٢) يصطلمون : يستأصلون .
(٣) أرمّت : سكتت . (٤) يبق : يقذف ما فى فيه بعنف . (٥) اللهوات جمع لهاة وهى لحمة مشرفة على أعلى الحلق . (٦) الخرق : الكريم السخية . (٧) فى الأصل "سلت" .
(٨) بوع جمع باع . (٩) الصفا جمع صفاة وهى الحجر الصلب .

ولا شرب المريّة[1] من رماكم ... وإن هـو ظنّ أن الماءَ طَرْقُ[2]

يناطح صخرةً منكم مليسا ... معارجُ طـرقها زلّاء زَلـقُ

وإن سمحتْ لناتجها بفلقٍ[3] ... فمنها للسقوط عليه فِلقُ

هـو البادى فإن كايلتموه ... بصاع الغـدر فالبادى أعقُّ

وأنصع[4] حين خاف الغمرُ شرًّا ... فـلا ينفُـقْ[5] له ما عاش نِلقُ[6]

سحابة صيِّف ستعود صحوا ... ولم يعـلَقْ لها بالريب وَدقُ[7]

وما سلمت لكم نفسٌ وعِرضٌ ... فأهـون هالك عينٌ ووَرقُ[8][9]

سينزِعها ويَرجِعـها اليكم ... وبعـد اللُّبس نزعتها أشـقُّ

وإنّ أحقّ من ردّ العوارى ... فتًى أخـذ الذى لا يستحقُّ

فـلا يتوهّـم المنجاةَ منها ... وأن طـريدكم بالخـوف طاقُ

وأنّ البعـد يُحصـنه وتَثنِى ال ... ـمكايدَ عنـه حيطانٌ وغَـلقُ

وهـل تخفَى المكايدُ وهى بيضٌ ... على مُقـلِ الذوابل[10] وهى زُرقُ

فلا بُسطتْ ولا قُبضت يمينٌ ... لها نبضٌ بنائلكم[11] ورشـقُ

وكشّـف هـذه الغمّاء جَـدٌّ ... عوائده بما تهوون سـبقُ

وجمّعكم وصاح بمن نعاكم ... غرابُ نوًى له فى الدار نَعـقُ

وعادت دولةٌ ، والحربُ سـلمٌ ... لكم من ربّها ، والخُلف رِفـقُ

الى أن تُورَثَ الدنيا وفيكم ... ولايتُها وما للناس حـقُّ

---

(١) المريّة ما يمرى من لبن الناقة . (٢) الطرق : الماء يخوض فيه الإبل وتبول .
(٣) الفلق : نصف كلّ ماشُقّ . (٤) أنصع : أقر وأعترف . (٥) فلا ينفق : فلا يرج .
(٦) العلق : الشيء النفيس . (٧) الودق : الإمطار . (٨) العين : الذهب .
(٩) الورق : الفضة . (١٠) الذوابل : الرماح . (١١) النائل : العطاء .

تعودكم القوافي لا بساتٍ حناظا لا يرثّ ولا يرقُّ
ينقّحها لكم قلبٌ سليم فيأتيكم بها حُبٌّ وحذْقُ

* * *

وكتب الى عميد الرؤساء أبي طالب في النيروز

نبّهتُ "سعدًا" والأُفُقْ أدهمُ[1] شارفَ البَلَقْ[2]
وصادح الفجر على الـ ـمفحِصِ[3] بعد ما نطقْ
فارتاع ثم قام فآ ـهتزّ لها ثم انطلَقْ
لهفان لا على الكرى حيران لا من الفَرَقْ[4]
مداريا أجفانَه بين السهاد والأرقْ
وقال : أمرَك ! ما ذاك عرا وما طرقْ ؟
اصدع به ! امض له ! أطقتَه أو لم أُطِقْ !
قلت : الجلوسُ في كسو ـر البيت أفنٌ[5] وخُرُقْ[6]
والعزّ ما أفاده هجرُ الجدارِ والفرقْ
راخٍ لها فادنُ بها ناشطةً من الرِّبَقْ[7]
يُبزلها[8] استنانُها بين المثانِي[9] والحِقَقْ[10]
لها من اعتيادها أدلّةٌ على الطُّرُقْ
تغنَى اذا الليلُ دجا عن النجوم بالحدَقْ

(١) الأدهم : الأسود . (٢) البلق : سوادٌ مختلط ببياض . (٣) المفحص : المجثم .
(٤) الفرق : الخوف . (٥) الأفن : ضعف الرأى . (٦) الخرق : الحمق .
(٧) الربق جمع ربقة وهى عروة تشدّ بها الدوابّ . (٨) يبزلها : يجعلها من البزل جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٩) المثانى : الإبل الطاعنة فى السنة الثانية . (١٠) الحقق جمع حِقّة : وهى الناقة الطاعنة فى السنة الرابعة .

قُمْ نشترِ العزَّ بها ... ببيعِ النضارِ بالوَرِقْ (١)
وأفكك من العار بها ... عُنُقَك وخدا وعَنَقْ (٢)
والمرءُ فى دار الأذى ... عبدٌ فإن سار عَتَقْ
جُبْ طبّق الأرض بنا ... فما على الأرض طبَقْ
قد مزج الناس فكم ... تشرب شَوْبا ورَنَقْ
خان الثقاتُ، فبمن ... ندفع ضيما أو نثقْ؟
والهفتى الى صديـ ... ـق قال خيرا فصدقْ
وصاحبٍ مستصرِخ ... يسمعُ شكوى فيرقْ
طار الوفاء فتُرى ... بأى جوٍّ قد لحقْ؟
اولا ابن "أيّوب" لما ... خلتُ أخا صدقٍ صَدقْ
ولا رأيت خُلُقا ... يُعجبُ من هذى الخَلَقْ
لم تترك الأيامُ غيـ ... ـرَ مجده ولم تُبَقْ
على "عميد الرؤسا ... ء" وقفَ الظنُّ المحقْ
والناسُ ما عدوته ... خوالبُ البرق الشفَقْ (٣)
يفديه كلُّ وغِرِ الـ ... ـصدر على الفضل حنِقْ
دعاؤه لوفوره : ... جمعتُه فلا افترقْ
لم ترتدع (٤) بعرضه ... سيادةٌ ولم تَلِقْ (٥)
قد غاظ الدهر له ... حُمْقا وفى الدهر حُمُقْ
فما له من سودَدِ "الـ ... ـأوحدِ" إلا ما سرَقْ

(١) الورق : الفضة . (٢) الوخد والعنق : ضربان من السير . (٣) الشفق : الذى به حمرة كالشفق . (٤) لم ترتدع : لم تضمّخ . (٥) لم تَلِقْ : لم تلصَقْ .

سَقَى الحيا كفًّا اذا جفا الحيا فهى تدقّ (١)
وحيّيتِ النعمةُ مَن أُعطِىَ منها ما آستحقّ
مصطبحا من نشوا تِ المكرمات مغتبقْ
مذ سكرتْ أخلاقُه من السماح لم يُفِقْ
راهنَ فى شوطه الندى جرىَ الرياح فسبقْ
وحالَم الطودَ خفّ الطودُ عنه ونزقْ
أبلج نورُ وجهه يخطَفُ عينَ مَن رمَقْ
وسائد الدست بما شعشع منها تأتلقْ (٢)
يُطمِع فيه بشرُه اذا آستدرَّ فآندفقْ
وتوئس الهيبةُ من حَصاته أن تُسترقْ (٣)
فعفوه ليلٌ ندٍ وبطشُه يومٌ صعقْ
ناصح "لخليفتيـ ـه من" حدَثُ الرأى شفِقْ (٤)
وردّ فى نصابه ما كان شدَّ ومرقْ
مستدركا بنصحه ثُغرةَ كلِّ ما آنفتقْ
سار من العدل على محجّةٍ لم تُخترقْ
متّسقا سعى "الإما م" نسقا بعد نسقْ (٥)
على آقتفاء أمره فى كلِّ ما جلّ ودقّ
فالباس والإسلام فى جماعةٍ لا تفترقْ
نظمتَ دار الملك حتى آلتأمتْ وهى حِذَقْ (٦)

(١) تدق . تمطر . (٢) وسائد جمع وسادة وهى ما يجلس أو يتكأ عليها . (٣) الحصاة : الرأى والعقل . (٤) شفق : ذو شفقة . (٥) فى الأصل : نسقا . (٦) الحذق جمع حذقة وهى القطعة من كلّ شىء .

ينسَـــخ إيمـانُك فيـ ـها شرعَ كلّ من فَسَقْ
وهى الـــتى يُختَـــبر الـ ـمبطلُ فيهـا والمحـــقْ
وتلتـــقى الطاعات فى أبوابهـا وتتفـــــقْ
ويستـــوى الملوك فيـ ـها خاضعين والسُّوقْ
رعيَتَهـا بمـــــرهفِ[1] أجفـانُه لا تنطبـــقْ
يمضى مضاءَ السيفُ قد جـــرَّبته اذا مُشـــقْ
تخال صـــبغَ النِّقسِ[2] فى سِنانه صـــبغَ العَـــلَقْ[3]
يصـــدر عن تنفيـــذه باللطف ما عزَّ وشـــقْ
فالرمح منـــه ما آستقا م[4] واللـــواءُ ما خفَـــقْ
فـــلا عُـــدمتَ آسيا كدَّ العلاجَ[5] فرفَـــقْ
يُـــبرم ما يفتِـــل بالـ ـحزم[6] ويفـــرِى[7] ما خَلَقْ
أنت الذى خلَصتَ لى والنـاسُ غـــدرٌ وملَقْ
أســـغَتنى الـــودَّ وهم بين الغصـاص والشرَقْ
عهـــدٌ حـــديثٌ بالوفا ء عهـــدُه وإن عتُـــقْ
تُجـــدُّه لِبْســـتهُ وكلُّ ملبوسٍ خَلَقْ[8]
كم حادثٍ عـــنّى أمطـ ـتَ بعـــد ما كان علِقْ
ومثقِـــلٍ حملتَـــــه لولا قـــواك لم يُطَـــقْ
فما لإعراضٍ طـــرا ينسَـــخ إقبالا سـبَقْ ؟

---

(١) يشـير بالمرهف الى القلم على التشبيه بالسيف . (٢) النقس : الحبر ، وفى الأصـل "النفس" . (٣) العلق : الدم . (٤) فى الأصل "اسقام" . (٥) الآسى : الطبيب . (٦) يفرى : يشقّ . (٧) خلق : قدّ وقدر . (٨) الخلق : البالى .

وما لِسابٍ عن بذ يّ ماتِيَ بعـد ما عشِـقْ؟
يتركهنَّ بارد الـ ـقلب يعالجن الحُـرَقْ
ينـدبن آثارا وعهـ ـدا كان حـرًّا فأبقْ
وعيشـةً عندكُمُ بيضاءَ خضراءَ الورَقْ
مع النسيَّات غرابُ الـ ـهجـرِ فيها قـد نعَقْ
تشكو الظما بحيث كنّ أبـدا تشكو الغـرقْ
ما طرقَتْ فى حاجـةٍ بابًا لكم إلا غُـلِقْ
هـذا عـلى آقتناعها منكم بما بلَّ الرمَقْ
وأنها لا تسـتبلُّ الـ ـماءَ حـتى تختنـقْ
وهى عـلى جفائكم تحنـو عليكم فترِقْ
فما تُغِبُّ(١) وافـدا تِ رُفَقا عـلى رُفَقْ
لا يلتوى عنكم لها لا ناظـرٌ ولا عُنُـقْ
تُبضِعُكم جوهرَها أكسدَ فيكم أو نفَـقْ
تُهـدِى الى أعراضكم نشرًا(٢) اذا سار عبِـقْ
فى كلّ يـومٍ حسنُه وحسنُها لا يفـترِقْ(٣)
تُجـلِى لكم فى حَلْيها مُـوَشَّحا(٤) ومنتطِـقْ(٥)
تضمن ألفًا مثلَه يأتى بها على نسَـقْ

(١) تغبّ : تزور يوما بعد يوم . (٢) فى الأصل هكذا "سرا" . (٣) فى الأصل "يفرق" . (٤) الموشّح : لابس الوشاح . (٥) المنتطق : من يشدّ النطاق على وسطه .

وقال فى الشيب

ركب الدجى فسعى بغير رفيق ... عجلا فأصبح قاطعا لطريق
أبكى لغاربه ويضحك مظهرا ... يرى بما يأتى وفيه عقوق
مستصحبا فرقا خلاف صحابتى ... ضعفا ويهتك بالقوى فريق
متجاربان فأبتُ مغلوبا يسا ... بقنى وحاز الخصل(١) بالمسبوق
يرمى جنابا كنتُ تحته أذوده ... بالمزهفات مقيمةً للسُّوق(٢)

قافيـــة الكاف

وقال فى غرض له

أيا بانةَ "الغور" عطفا سُقيت ... وإن كنتُ أكنى واعنى سواكِ
أحبكِ من أجل من تُشبهين ... لو انى أراه كما قد أراكِ
ذكرتُ، ويا لهفتى هل نسيتُ ... ليالىَ أسمُرها فى ذراكِ(٣)؟
يُحضِّرُ عودُكِ من دمعتى ... ويعطَر من بُرد "هند" ثراكِ
ويا "هندُ" إن عقل الكاشحون، ... وعندَهُم من ذنوبى نداكِ،
كفى الوجدَ أنى اذا ما استرحتُ ... الى اسمكِ عمَّيتُه بالأراكِ
ظمئتُ الى أعذب الشربتين ... فكلتاهما قد جوتها يداكِ
فكيف تُعنِّينى فى الشهاد(٤) ... محلَّةً(٥) وتُحلِّين فاكِ
هناكِ، ومن عجب فى هوا ... كِ قولىَ فى قتل نفسى: هناكِ!

(١) الخصل: الفضل. (٢) السوق جمع ساق. (٣) الذرا: الكنف.
(٤) الشهاد جمع شهد. (٥) محلة: مانعة وزردى، وفى الأصل "محلية".

غُروبُ[1] تَبُثُّ اذا القَطرُ شَحَّ ... وقلبٌ اذا نَحَمَدَ الجمرُ ذاكى
أخافُ انتقاصَكَ[2] عند العتاب ... سِقاطى[3] فأشكرُ والقلبُ شاكى
اذا الصدُّ أرضاكَ فهو الوصالُ ... فانّى فعلتِ فأهلاً بذاكِ

وسئل عملَ أبياتٍ فى مرثى أهل البيت عليهم السلام على هذا الوزن والروىّ، وهما ممّا تَقِلُّ مساعدةُ الكلام المختارِ على مثله، ولم يجدْ لإجابة الملتمَس لذلك بُدًّا — على ما فيه من اللين والانحطاط — فقال ارتجالاً على جهة الإملاء ومقتضى إجابةِ السائل

يابنةَ القومِ تُراكِ ... بالغٌ قتلى رضاكِ؟!
أم دمى وهو عزيزٌ ... هان فى دينِ هواكِ؟
إن يكن طاح فما أو ... لُ ما طَلَّتْ يداكِ
حُبَّ يومُ "السفح" إلا ... أنه يومُ نواكِ
لعبتْ ساعاتُه بى ... ما كفاها وكفاكِ
كم غزالٍ بالمصلّى[4] ... سام وصلى فحكاكِ
جارياً فى حَلبةِ الحسـ ... ـن ولم يبلغ مَداكِ
مرَّ لا أرهفَ عينيـ ... ـكِ ولا أرشفَ فاكِ
غيرَ أنى قلتُ: حُيِّيـ ... ـتَ على ما أنت حاكى
وقصيراتِ الخُطى غيـ ... ـرك لَدْناتِ[5] الرِّاكِ
عادلاتٍ عالَ الوجـ ... ـدِ بلذّاتِ التشاكى

(١) الغروب جمع غرب وهو الدمع. (٢) فى الأصل "انتقاشك". (٣) السقاط الخطأ فى القول. (٤) المصلى: موضع فى عقيق المدينة. (٥) لدنات: ليّنات.

رُعْنَ فى "مكّةَ" نـومى قبـلَ تغـريدِ المَكاكى (١)
كلّ عَطْرَى شفتـاها عِـتْرَةٌ (٢) فـوق مُـداكِ (٣)
يغتـدى مسواكُها ريـ ـحانـةً غِبَّ السِّـواكِ
فـرأت عيـنى ولكن ما رأى قلـبى سـواكِ
أجتدى النومَ وهل فى الـ ـنّـوم إلاّ أن أراكِ
ما عـلى من حظَـرَ الرا حَ لـو آسـتثنى لَماكِ!
كنتُ صَـعبا لا أُلـوَّ ى بالخَشاشاتِ (٤) الرِّكاكِ،
فمضى حكمُ اكتهالى تابعا حكمَ صِـباكِ
يا سَيرى ليـلةَ "السفـ ـج" وقـد نادَوا: بَراكِ (٥)،
والمطـايا تخلِـط المَعْـ ـجَ (٦) كَلالا (٧) بالسِّـواكِ (٨)،
أتباكيتَ نِفـاقا "بالّلـوى" أم أنتَ باكى؟
أم أراك الشـوق أشبـا هَ "سُلَيمى" فى الأراكِ؟
سألتْ بى أمُّ "سـلمى" أين حزمى وآحتناكى
ورأت ضعضعـةً بيـ ـن سكونى وحَراكى
طاويًا كشحَ مَهِـيضٍ ناشـرا أنفاسَ شاكى
لا تخـالى خَـوَرًا ذا كِ فإنى أنـا ذاكِ،
بـل رزيئاتٌ (٩) تواصيـ ـن شَماتا بانتهاكى

---

(١) المكاكى جمع مُكّاء، وهو طائر. (٢) العترة: القطعة من المسك الخالص.
(٣) المُداك: الحجر الذى يُسحَق عليه الطيب. (٤) الخشاشة: خشبة توضع فى أنف البعير.
(٥) براك: اسم فعل أمر بمعنى آبرك. (٦) المعج: السير السهل. (٧) الكلال: التعب.
(٨) السواك: السير الضعيف. (٩) الرزيئات: المصائب.

كلّ يومٍ حادثٌ ينـ (١)ـكأُ قَرْفى (٢) بالحِكاك (٣)
أنتحي أعزلَ فيه وسلاحُ الدهرِ شاكى (٤)
كم عركتُ الصبر حتّ ى جاء ما فلّ عراكى
وتسترتُ ورزءُ "ال فاطميّين" آنهتاكى
خمَدَ الجمرُ ووجدى بيني "الزهراء" ذاكى
بأبى قبضة الفُجّ ار منهم كلّ زاكى
ملصَقٌ بالأرض جسما نفسُه فوق السُّكاك (٥)
مفردٌ ترميه كفُّ الـ بغى عن قوسِ اشتراك
أظهرتْ فِرقةُ "بدرٍ" فيه أضغانَ النواكى (٦)
كلّ ذاكى الحقدِ أو يخـ ضب أعرافَ المذاكى (٧)
وغريبُ الدار يُلفَى موطِنَ الطعن الدِّراك (٨)
طاهرٌ يُخطَفُ بالأيـ دى الخبيثاتِ السِّماك (٩)
يخرَسُ الموت اذا سمّـ ته أفواهُ البواكى
يابنةَ الطاهركم تُقـ شَر بالظلم عصاك
غضبَ اللهُ لحطب ليلةَ "الطَّفّ" (١٠) عَراك
ورعَى النارَ غدًا جسـ مٌ رعَى أمسِ حماك
شرعَ الغدرَ أخو غِلّ عن الإرثِ زَواك (١١)

(١) ينكأ : يقشر . (٢) القرف : القشرة تعلو الجرح بعد يبسه . (٣) الحكاك : مصدر بمعنى الحك . (٤) شاكى : تام . (٥) السّكاك : الهواء الملاقى عنان السماء، وفى الأصل « الشكاك » . (٦) النواكى : الجهّال العاجزون . (٧) المذاكى : الخيل . (٨) الدراك : المتابع . (٩) السماك : ذوات الرائحة الكريهة . (١٠) الطّف : شاطئ الفرات الذى قتل عنده الحسين رضى الله عنه . (١١) زواك : نحّاك .

يا قبـــورا "بالغـــرِيّ"[1] بِنِ ... "بالطفّ"[2] سقاكِ ،
كلُّ محـلول عُرَى المـــز ... زِم[3] محـــلوبِ السِّماكِ
حامل من صلوات الله ما يُـــرضِى ثـــراكِ ... وإن اسـتغنيتِ عن [وكـ][4]ـفـ] حيًا غـــيرِ حياكِ
إنه لـــو أجـــدب البحـ ... ـرُ اجتدىٰ فضـــلَ نداكِ
أو أضلّ البـــدرُ فى الأفـ ... ـقِ سـناه لاهتـــداكِ
يا هـــــداةَ الله والنجـ ... ـوةَ فى يـــوم الهـــلاكِ
بكم اســـتدللتُ فى حيـ ... ـرةِ أمـــرى وارتباكى
أظلم الشـــكُّ وكنتم ... لى مَصابيحَ المَشاكى[5]

وكتب الى وزير الوزراء عميد الدولة أبى سعد بن عبد الرحيم وهو فى الاعتقال يسليه، ويبشّره بانكشاف غمّته

حُبستَ وأيّام المـــلوكِ كذاكا ... تكون إسارا مـــرّة وفكاكا
ويحجُبُ ظـلُّ الأرض غُرّةَ شمسها ... فتـــنزلُ خفضًـــا تارةً وسُكاكا[6]
وليس يضرُّ النجمَ مَهـــوَى غروبِهِ ... اذا عاد فى أُفْـــقِ السماء سماكا
وما قصّروا من خطوِ سعيك للعـــلا ... وإن قصّروا بالقَيـــدِ رحبَ خُطاكا
ومن كانت "الجوزاء" بالأمس نعلَه ... يكون له القيـــدُ الغداةَ شِراكا

---

(١) الغريّان : بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .
(٢) الطف : شاطئ الفرات الذى قتل عنده الحسين رضى الله عنه . (٣) المزم : السحاب اشتد صوت رعده . (٤) ليست بالأصل . (٥) المشاكى جمع مشكاة وهى الأنبوبة فى وسط القنديل .
(٦) السكاك : الهواء الملاقى عنان السماء .

ملكتَ زمانا جائرا فقسرتَهُ ... على العدل إذ ولّيته فأبا كا
ومن جعجع(١) الأقدارَ عن طُرقِ كيدهِ ... عطفن عليه فاستُثرن وشاكا(٢)
جملتَ الذى أعيا الرجال وغيرَهم ... نخافوا على ضعف الرقاب قُواكا
ونفّر ذؤبانَ(٣) "الغضا" ريحُ ضيغم ... تطيح عليه نَوْشةً وعرا كا
فدبّوا فسدّوا غابَهُ وهو خادرٌ ... فضاق عليه نهضةً وحَراكا
وقد غرّه أن يعملَ الحزمَ سابقا ... على الكيد(٤) أن ليس الذئابُ هُناكا
مشى حافيا فوق القتادة(٥) حاقرا ... لما شامَ(٦) منها أخمصَيْه وَشَاكا
فإن فَصدتْ أظفارَه فلطالما ... أراحَ(٧) بها رَدْعُ الدماء وصاكا(٨)
ولاحت(٩) به للوثبِ نفسا حميَّةً ... تردُّ الرقابَ المصميات رِكاكا
فقل للعدا : لا تمضغوها تحليًا ... وإن هى طابت ذوقةً وملاكا
ولا تلمسوا بعد التجارب حدَّها ... فإن بنى "عبد الرحيم" أُولا كا
هم اليزنيّاتُ(١٠) التى إن أغبَّكم ... بها ذاعرٌ منّى فكرَّ دراكا،
فلا تستقلُّوا مغمَدا من سيوفهم ... وقد حزَّ فى أعناقكم فأحاكا(١١)
ولا تحسبوا استهلاككم خزنَ مالهم ... يجرُّ على غير النفوس هلاكا
فإن الجيادَ الطيّباتِ عروقُها ... تكون هزالا مرّةً وتماكا(١٢)

(١) جعجع : منع وحبس . (٢) وشاكا : سراعا . (٣) ذؤبان : جمع ذئب :
(٤) فى الأصل "كيد" . (٥) القتادة : نبتة لها شوك . (٦) شام : غبّر رجليه بالشّيام وهو التراب ، وفى الأصل "شبن" . (٧) أراح : تنفّس ، والردع : أثر الرائحة .
(٨) صاك : لصق . (٩) لاحت : أبصرت وفاعلها يعود الى الأظفار، وفى الأصل "لاحيته" .
(١٠) اليزنيّات : الرماح المنسوبة الى ذى يزن ملك من ملوك اليمن . (١١) أحاك : عمل وأثر .
(١٢) تماكا : سمانا .

ألا يا بشيرَ الخير قل — غيرَ متّقٍ — متى نلتَ من رؤيا الوزير مناكا؟
وأمكنك الحرّاسُ من بَسط قولةٍ تبوحُ بها جَهرا وتفتحُ فاكا
توكّلْ على مَن غمّها فى سِفارها فكم كنتَ فى أمثالها فكفاكا
وإن هذه طمّتْ على أخواتها فوكّلْ بها الصبرَ الجميلَ أخاكا
ولا تحسبنّ الشرّ ضربةَ لازبٍ وإن طال فى هذا المطالِ مَداكا
فقد يخطئُ الجَلدُ المصيبُ بغدرةٍ وكم وألتْ[1] من عثرةٍ قدَماكا
ستخلُص من أدناسها نازعا لها ولم يتعلّقْ عارُها برِداكا
كأنّك بالإقبال قد هبَّ ثائرا فناشَك فيها ثم ردَّك ذاكا
وقد زادك التخميرُ عَبْقا وضَوعةً ونشرا، كأنّ الحبسَ كان مُداكا[2]
وسُلّمَ سهمُ الانتقام مفوّقا اليك ترمى من بغَى فرماكا
فودَّ إذا لو شُقَّ عنه إهابُهُ[3] وما شَقَّ بالغدرِ المصرِّ عصاكا
فعاذرُ "ركنِ الدين" فى الحفظِ أنه جناه عليك ما عليه جناكا
فما زال مع إلمامِه لك بالأذى اذا أُقرِضَ الإنعامَ منك قضاكا
يزيدك علما بالرجال وفطنةً ويكره قوما بغضة وفِراكا[4]
ويعلم أنْ ما زلتَ فى كلّ حالةٍ سِنادًا له فى مُلكه ومِلاكا[5]
وتمشى بكم وخْدًا وجَمْزًا[6] أمورُهُ وتمشى بأقوامٍ سِواك سِواكا[7]

---

(١) وألت : طلبت النجاة . (٢) المداك : حجر يسحق عليه الطيب . (٣) الإهاب : الجلد . (٤) الفراك : الكراهة . (٥) الملاك : القِوام ومن يعتمد عليه . (٦) الوخد والجمز : ضربان من السير السريع . (٧) السواك : السير الضعيف .

فعطفا على المألوف من برِّ عهده ... وإن هو فى هذا المقام جفاكا
وسمعًا وإن لم تستمع لعيافتى ... وزجرى وإن لم تُصْغِ لى أُذُناكا
وحاشاك أن تخلو[1] من اسمك مدحةٌ ... ويُقفِرَ من وفد الثناء ذَراكا[2]
وأن لا أرَى فى الصدر وجهَك طالعا ... وعينُ القوافى والرِّجاء ترا كا
وحاشاك من يوم جديدٍ وموقفٍ ... أقوم اليه منشدا لسواكا

(١) فى الأصل "تخلو" . (٢) الذرا : الكَنف .

تم الجزء الثانى ويليه الثالث

وأوّله قافية اللام

(مطبعة دار الكتب المصرية ٣٢٧/١٩٢٦/٣٠٠٠)